سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١٢٥)

كنوز وفوائد

من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم

تأليف الفقير إلى اللَّه تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
القحطاني، سعيد بن علي بن وهف
كنوز وفوائد من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم:/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني – الرياض ١٤٣٩هـ
ص: سم،
ردمك: ٩ -٥٩٠٦- ٠٢- ٦٠٣ – ٩٧٨ –
١ – القرآن –تفسير أ. العنوان
ديوي ٢٢٧ ١٤٣٩ /٢١٥٦

رقم الإيداع: ٢١٥٦/ ١٤٣٩
ردمك: ٩ -٥٩٠٦- ٠٢- ٦٠٣ – ٩٧٨ –

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م

من رغب طلب هذا الكتاب، فليطلبه من:
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
ص. ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١ – المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠٢٢٥٦٤– فاكس ٤٠٢٣٠٧٦
الكتاب في موقع د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني:
https://www.binwahaf.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذه «**كنوز وفوائد من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم**» قيدتها أثناء قراءتي في تفسير الإمام الطبري رحمه الله المسمى: بـ«**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»، وتفسير الإمام البغوي رحمه الله المسمى بـ«**معالم التنزيل**»، وتفسير الإمام ابن القيم رحمه الله، المسمى بـ«**التفسير القيم**»، وتفسير الإمام ابن الجوزي رحمه الله المسمى بـ«**زاد المسير في علم التفسير**»، وتفسير الإمام القرطبي رحمه الله، المسمى بـ«**الجامع لأحكام القرآن**»، وتفسير الإمام ابن كثير رحمه الله، المسمى بـ«**تفسير القرآن العظيم**»؛ وتفسير العلامة الشوكاني رحمه الله، المسمى: بـ«**فَتْحِ الْقَدِيرِ الْجَامِعِ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من التفسير**»، وتفسير العلامة السعدي رحمه الله المُسمَّى بـ«**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، وتفسير العلامة الشنقيطي رحمه الله، المسمى بـ«**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، وتفسير العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، المسمى بـ«**تفسير القرآن الكريم جزء عم والفاتحة**»، وعزوت جميع الآيات إلى سورها، وخرجت جميع الأحاديث من مصادرها الأصيلة، وذكرت حكم أهل العلم عليها.

وقد استفدت كثيراً من تقريرات، وتعليقات سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، وكان تقييد هذه الكنوز والفوائد على فترات:

الفترة الأولى: ابتداء من سورة الأنعام بتاريخ ١٥/١٠/١٤١١هـ إلى نهاية سورة الشورى بتاريخ ١٧/١١/١٤١٣هـ، إلا سورة الأنفال.

الفترة الثانية: من أول سورة الفاتحة، وسورة البقرة أثناء شهر/٥/١٤٢٨هـ إلى نهاية سورة المائدة بتاريخ ١١/٩/١٤٣٣هـ.

الفترة الثالثة: سورة الأنفال بتاريخ ١٢/٩/١٤٣٣هـ إلى ١٨/٩/١٤٣٣هـ.

الفترة الرابعة: من أول سورة الزخرف من تاريخ يوم الأربعاء ٥/١/١٤٣٦هـ إلى نهاية سورة الفتح ٢٢/٤/١٤٣٦هـ.

الفترة الخامسة: من أول سورة الحجرات بتاريخ يوم السبت ١/٩/١٤٣٨هـ إلى نهاية سورة الناس يوم الثلاثاء ٢٤/ ٣/١٤٣٩هـ.

وقد كتبت هذه الكنوز والفوائد لنفسي، ولم يكن لي رغبة في نشرها، ثم بدا لي نشرها لعل اللَّه أن ينفعني بها، وينفع بها من انتهت إليه.

وقد كتبت **تفسير سورة الفاتحة، وجزء عم لجميع الآيات تفصيلاً** لعل الله أن ينفع بها العامة، والخاصة، وأما بقية تفسير السور، فلم أكتب إلا الفوائد والكنوز، وقد أضفت رسالة: «**من أحكام سورة المائدة: تفسير خمس الآيات الأُوَل**» في آخر فوائد وكنوز سورة المائدة، لكي تكون محفوظة في موطنها، وسميته: «**كنوز وفوائد من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم**».

واللَّه أسأل أن يجعل ذلك كُلَّه خالصاً لوجهه الكريم، صواباً موافقاً لهدي رسوله الأمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به من انتهى إليه، ويجعله مباركاً مقبولاً عنده؛ فإنه جواد كريم، وهو خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، وصلى اللَّه وسلم، وبارك على عبده، ورسوله الأمين، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه؛ نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى اللَّه تعالى

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر في يوم الثلاثاء ٢٤/ ٣/ ١٤٣٩هـ

مقدمة نافعة مفيدة مختصرة

أولاً: فضائل القرآن الكريم، وتلاوته، وعلو منزلته، ويكون على أنواع:

النوع الأول: تلاوة كتاب اللَّه تعالى على نوعين:

تلاوة حُكْمِيَّة: وهي تصديق أخباره، وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وهي العمل بالقرآن.

وتلاوة لفظية: وهي قراءته،وجاء في فضل هذا النوع فضائل كثيرة، منها:

١- **أمر اللَّه النبي ﷺ بتلاوة القرآن:** ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[1].

٢- **من قرأ حرفاً فله به عشر حسنات؛** لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن:ألف حرف، ولام حرف ،وميم حرف**»[2].

٣- **القرآن يشفع لأصحابه ويحاج عنهم يوم القيامة؛** لحديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن؛فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين[3]:البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[4] أو غيايتان،أو كأنهما فرقانٍ[5] من طير صواف[6] تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»[7][8].

٤- **درجات صاحب القرآن في الجنة على حسب ما يعمل به من القرآن ويقرؤه؛** لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُقال لصاحب**

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٢) الترمذي، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٦٤. وانظر في شرح هذا الحديث: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٢/ ١٠٣- ١٠٥.

(٣) الزهراوان: المنيرتان. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٢/٣٢١.

(٤) الغمامة، والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها.[النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣/٤٠٣، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٦/٩٠].

(٥) فرقان: حزقان، قطعان [النهاية ٣/٤٤، و ١/٣٧٨].

(٦) صواف: باسطات أجنحتها في الطيران، [النهاية، ٣/٣٨].

(٧) البطلة: السحرة، [النهاية، ١/١٣٦].

(٨) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة،برقم ٨٠٤.

القرآن:اقرأْ وارتَقِ،ورتّل كما كنت تُرتّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأُها»[١].

٥- الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة،يقول الصيام:أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه،ويقول القرآن:منعته النوم بالليل فشفعني فيه**»، قال: «**فيشفعان**»[٢].

النوع الثاني: فضل قراءة القرآن في الصلاة

١- قراءة آية واحدة في الصلاة خير من حمر النعم؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال:قال رسول الله ﷺ: «**أيُحِبُّ أحَدُكُمْ إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاثَ خَلِفَاتٍ[٣] عظامٍ سمانٍ؟**»، قلنا:نعم.قال: «**ثلاث آيات يقرأُ بهنَّ أحدكم في صلاته خير له من ثلاثِ خلفاتٍ عظامٍ سمان**»[٤].

وقد ذكر العلماء عدد آيات القرآن الكريم في المصحف الموجود المقروء بالألسنة: ستة آلاف آية، ومئتا آية، وآية (٦٢٠١)[٥]، وقد ذكروا الاتفاق على أن القرآن يزيد على ستة آلاف ومائتي آية[٦].

٢- من قرأ في صلاته في ليلة مائة آية كتب من القانتين؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكتَبْ من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية لم يُكتَب من الغافلين أو كُتب من القانتين**»[٧].

---

(١) أبو داود، برقم ١٤٦٤، والترمذي، برقم ٢٩١٤، والنسائي في الكبرى، برقم ٨٠٥٦، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤٠٣/١: «حسن صحيح».

(٢) أحمد في المسند، ١٧٤/٢، والحاكم، ٥٥٤/١، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٧٩/١: «حسن صحيح».

(٣) خلفات: الواحدة خلفة: وهي الحامل من النوق إلى أن يمضي عليها نصف أمدها، ثم هي عشراء، وهي من أعز أموال العرب [النهاية في غريب الحديث، ٦٨/٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٨٨/٦].

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة، برقم ٨٠٢.

(٥) التذكار في أفضل الأذكار، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، الأندلسي، ص٢٣.

(٦) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم، لابن نجم ص١٠٠، وفتح الباري، لابن حجر، ٥٨٢/٦، ومناهل العرفان للزرقاني، ٣٣٦/١، ٢٣١/١، ٢٣٢.

(٧) ابن خزيمة، ١٨٠/٢، والحاكم، ١٠٨/١، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وقال بغير شك: «في ليلة مائة آية كتب من القانتين»، وابن نصر في قيام الليل، ص١٦٤. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٤٣، ورقم ٦٥٧، وفي تعليقه على صحيح ابن خزيمة، ١٨٠/٢.

٣- ومن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين»[1][2].

٤- من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلةٍ؛ لحديث تميم الداري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة»[3].

٥- لا غبطة أعظم وأكمل إلا في اثنتين؛لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «لا حسد[4] إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار[5]، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[6].

٦- من نام عن حزبه فقرأه قبل صلاة الظهر كُتب له من الليل؛لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل»[7].

النوع الثالث: فضل تعلُّم القرآن وتعليمه، ومدارسته

١- قراءة آيتين أو تعلم آيتين خيرٌ من ناقتينِ عظيمتينِ، ومن أعدادهنّ من الإبل؛ لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ ونحن في الصُّفَّةِ[8] فقال: «أيكم يحبُّ أن يغدوَ كل يوم إلى بُطحان[9] أو إلى العقيق

(١) المقنطرين: أعطي قنطاراً من الأجر، النهاية في غريب الحديث، ٤/ ١١٣.

(٢) أبو داود، برقم ١٣٩٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٣٨٧.

(٣) النسائي،في عمل اليوم والليلة،برقم ٧١٧، والدارمي،٢/ ٥٥٦،وأحمد، ٤/ ١٠٣، والطبراني في الكبير، ٢/ ٥٠، برقم ١٢٥٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٤٤، وفي صحيح الجامع برقم: ٦٤٦٨.

(٤) لا حسد: الحسد: تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام، وأما الحسد المذكور في هذا الحديث: فهو الغبطة، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه [شرح النووي، ٦/ ٩٦، وفتح الباري لابن حجر، ١/ ٢٠٠].

(٥) آناء الليل، وآناء النهار: ساعات الليل، وساعات النهار.

(٦) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٠٢٥، ومسلم، برقم ٨١٥، واللفظ له.

(٧) مسلم، كتاب، برقم ٧٤٧.

(٨) أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة، يسكنونه. [النهاية، ٣/ ٣٧].

(٩) بطحان، والعقيق: من أودية المدينة: [النهاية، ١/ ١٣٥، و٣/ ٢٧٨].

فيأتي منه بناقتين كوماوينِ[(١)] في غير إثمٍ، ولا قطيعةِ رحمٍ؟»، فقلنا: يا رسول اللَّه نُحبُّ ذلك. قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب اللَّه ﷻ خير له من ناقتين، وثلاثٌ خير له ثلاثٍ، وأربعٌ خير له من أربعٍ، ومن أعدادهِنَّ من ا لإبل»[(٢)].

٢- خير الناس وأفضلهم من تعلَّم القرآن وعلّمه؛ لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وفي لفظ: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٣)].

٣- أربعُ نِعَمٍ عظيمة لمن وفقه الله لمدارسة القرآن في المساجد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في حديث طويل وفيه: «... **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(٤)] [(٥)].

٤- أربعُ فضائل لمن وفقه الله للقعود مع قومٍ يذكرون الله تعالى؛ لحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**لا يقعد قوم يذكرون اللَّه ﷻ إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده**»[(٦)].

٥- وجوب إخلاص قراءة القرآن وتعلُّمه للَّه ﷻ؛ لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه: أنه مرَّ على قاصٍّ يقرأُ ثم سأل، فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ القرآن فليسأل اللَّه به، فإنه سَيَجِيءُ أقوامٌ يقرؤون القرآن، يسألون به النَّاس**»[(٧)].

---

(١) كوماوين: مثنى كوماء: وهي الناقة العظيمة، مشرفة السنام عاليته. [النهاية في غريب الحديث، ٤/٢١١].

(٢) مسلم، برقم: ٨٠٣.

(٣) البخاري، برقم ٥٠٢٧.ورقم ٥٠٢٨.

(٤) من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه: أي من أَخَّره عمله السيئ وتفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. [النهاية في غريب الحديث، ١/١٣٤].

(٥) مسلم، برقم ٢٦٩٩.

(٦) مسلم، برقم، ٢٧٠٠.

(٧) الترمذي، برقم ٢٩١٧، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/٦٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٥٧.

النوع الرابع: فضل حافظ القرآن العامل به

١- التالي لكتاب الله العامل به يُوفَّى أجره ويزيده الله من فضله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُور * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١).

٢- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجّة؛ لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترُجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، مثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأُ القرآن، مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، مثل الحنظلة(٢)، ليس لها ريح، وطعمها مرّ»(٣).

٣- الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة(٤) والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»، ولفظ البخاري: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وهو عليه شديد له أجران»(٥).

والماهر أجره أكثر،وأفضل، وأما الذي يتتعتع فيه: فهو الذي يتردَّد فيه لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتعتعته في قراءته ومشقته»(٦).

٤- درجات حافظ القرآن في الجنة؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩- ٣٠.

(٢) الحنظلة: واحد الحنظل، وهو نبات معروف شديد المرارة، له فوائد طبية عديدة. [انظر: تاج العروس، مادة «حنظل»].

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٠٢٠، ومسلم، برقم ٠٧٩٧.

(٤) السفرة الكرام البررة: السفرة: جمع سافر، ككاتب وكتبة، والسافر: الرسول، والسفرة: الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة: الكتبة، والبررة: المطيعون، من البر، والماهر: الحذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه. [شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣٢/٦] وقيل: (السفرة: هم الملائكة). [النهاية ٣٧١/٢].

(٥) متفق عليه: البخاري، برقم ٤٩٣٧، ومسلم، برقم ٧٩٨.

(٦) قال القاضي: «يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لا تصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، ويحتمل أن يراد: أنه عامل بعملهم،وسالك مسلكهم».[شرح النووي، ٣٣٢/٦].

قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتِّل كما كنت تُرتِّل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأُها»[(١)].

٥- يُحلَّى صاحب القرآن بتاج وحُلَّة الكرامة ويرضى الله عنه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يَجِيءُ القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلِّه فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ زده فيُلبس حلّة الكرامة، ثم يقول: يا ربّ ارضَ عنه فيرضى عنه، فيقال: اقرأ وارقَ وتُزاد بكل آية حسنة**»[(٢)].

٦- من إجلال الله إكرام حامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه؛ لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[(٣)].

٧- حافظ القرآن العامل به من أولياء الله المختصين به؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله أهلين من الناس**»، قالوا: يا رسول الله: من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن**[(٤)] **أهل الله وخاصته**»[(٥)].

٨- حامل القرآن يُعطَى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويُوضَع على رأسه تاج الوَقار، ويُكسَى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيهما؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَجِيءُ القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك، وإنَّ كلّ تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فَيُعطَى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويُوضَع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتان لا تقوم لهما الدنيا وما فيهما، فيقولان: يا ربِّ أنَّى لنا هذا؟ فيُقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن**»[(٦)].

---

(١) أبو داود، برقم ١٤٦٤، والترمذي، برقم ٢٩١٤، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/٤٠٣: «حسن صحيح».

(٢) الترمذي، برقم ٢٩١٥، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/١٦٥.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٤٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/١٨٩.

(٤) أهل الله وخاصته؛ أي: أولياؤه المختصون به.

(٥) ابن ماجه، برقم ٢١٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/٩٠، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/١٦٨.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط [مجمع البحرين بزوائد المعجمين، ٦/١١٦، برقم ٣٤٦٩]، وذكر طرقه الألباني، وشاهد عن بريدة بتمامة عند ابن أبي شيبة، ١٠/٤٩٢، قلت: وأخرجه الدارمي أيضاً مطولاً عن بريدة، ٢/٣٢٤، برقم ٣٣٩٤، قال الألباني عن حديث أبي =

٩- القرآن يشهد لصاحبه يوم القيامة،ويدخل السرور عليه؛لحديث بريدة عن أبيه رضي الله عنه، قال:قال رسول الله ﷺ: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب**[(١)]**، فيقول:أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك**»[(٢)].

ذكر **السندي** رحمه الله: أن القرآن: «كأنه يجيء على هذه الهيئة؛ ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغيَّر لونه في الدنيا؛ لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن؛ لأجله في السعي يوم القيامة حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة»[(٣)].

١٠- يرفع الله بالقرآن العاملين به، ويضع به من أعرض عنه؛ فعن نافع بن عبد الحارث أنه لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولىً من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالمٌ بالفرائض، قال عمر: أما إنَّ نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[(٤)].

ثانياً: أهمية التفسير وعلو مكانته:

١ - القرآن الكريم نذير لمن بلغه:

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عَرَبٍ وعَجَمٍ، وأسودَ وأحمرَ، وَإِنْسٍ وَجَانٍّ، فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾ [هُودٍ: ١٧]، فَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا، فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ،

=
هريرة في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٨٢٩: «الحديث حسن أو صحيح؛ لأن له شاهداً من حديث بريدة بن الحصيب مرفوعاً بتمامة..». [وعن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل ضوء الشمس ويُكسى والداه حُلَّتَين لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان بمَ كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن». [الحاكم، ١/١٥٦٨، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب٢/١٦٩]. قلت: وانظر لزيادة الفائدة في التخريج: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى للمؤلف، ١/٣٠- ٣١.

(١) الشاحب: متغيّر اللون، والجسم العارض: من سفرٍ، أو مرضٍ، أو نحوهما. [النهاية في غريب الحديث، ٢/ ٤٤٨].

(٢) ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/٢٣٩، والحاكم، ١/ ٥٥٦، وصححه. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/١٦٩: «حسن لغيره».

(٣) شرح السندي على سنن ابن ماجه، ٤/ ٢٣٨، المطبوع مع سنن ابن ماجه.

(٤) مسلم، برقم ٨١٧.

بِـنَصِّ اللَّهِ تَعَـالَى، وَكَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿فَـذَرْنِي وَمَـنْ يُكَـذِّبُ بِهَـذَا الْحَـدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الْقَلَم: ٤٤- ٤٥].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»[(١)]، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ. فَهُوَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- رَسُولُ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، مُبَلِّغًا لَهُمْ عَنِ اللَّهِ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]»[(٢)].

٢ - حكم تفهم القرآن الكريم

وَقَدْ أخبر النبي ﷺ الأمة: جنَّها، وإنسها عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ نَدَبهم إِلَى تَفَهُّم القرآن الكريم، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد: ٢٤][(٣)].

٣- وجوب بيان العلماء لمعاني القرآن العظيم

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ، وَطَلَبُهُ مِنْ مَظَانِّهِ، وتعلُّم ذَلِكَ وَتَعْلِيمُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَان: ٧٧].

فَذَمَّ اللَّهُ تَعالَى أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ

---

(١) مسند أحمد، ٢٢/ ١٦٥، برقم ١٤٢٦٤، وصحح إسناده محققو المسند، والمستدرك، ٢/ ٤٦٠، وصححه الذهبي، ووافق عليه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٣٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٥.

عَلَى الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا، وَاشْتِغَالِهِمْ بِغَيْرِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ اتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ.

فَعَلَيْنَا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- أَنْ نَنْتَهِيَ عَمَّا ذمَّهم اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَأَنْ نَأْتَمِرَ بِمَا أُمِرْنَا بِهِ، مِنْ تَعَلُّم كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ إِلَيْنَا وَتَعْلِيمِهِ، وَتَفَهُّمِهِ وَتَفْهِيمِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزل مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧]، فَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ الَّتِي قَبْلَهَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، كَذَلِكَ يُلِينُ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ بَعْدَ قَسْوَتِهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَاللَّهُ الْمُؤَمَّلُ الْمَسْؤُولُ أن يفعل بنا ذلك، إنه جَوَادٌ كَرِيمٌ»[1].

٤ - أصح طرق التفسير

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصح طرق التفسير:

١- أَنْ يُفَسَّر الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجمِل فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّر فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

٢- فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ، بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[2] يَعْنِي: السُّنَّةَ، وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٦.

(٢) أبو داود، برقم ٤٦٠٢، ومسند أحمد، ٢٨/ ٤٢٠، برقم ١٧١٧٤، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٧١.

بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ.

وَالْغَرَضُ أَنَّكَ تَطْلُبُ تفسيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تجدْه فَمِنَ السُّنَّةِ، كَمَا قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**بِمَ تَحْكُمُ؟**»، قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟**»، قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟**»، قَالَ: أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي، قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وفَّق رَسُولَ رسولِ اللَّهِ لِمَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ**»، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَسَانِيدِ، وَالسُّنَنِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ[1].

٣- وَحِينَئِذٍ، إِذَا لَمْ نَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ، لِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْقَرَائِنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتُصُّوا بِهَا، وَلِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامّ، وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ، كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيّينَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[2].

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آية من كتاب اللَّه إلا وأنا أعلم فِيمَنْ نَزَلَتْ؟ وَأَيْنَ نَزَلَتْ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أحد أعلم بكِتَابِ اللَّهِ مِنّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لَأَتَيْتُهُ**»[3]، وَقَالَ الْأَعْمَشُ أَيْضًا، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»[4]، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا «أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ

---

(١) أبو داود، برقم ٣٥٩٢، والترمذي، برقم ١٣٢٧، ومسند أحمد، ٣٦/ ٣٨٢، برقم ٢٢٠٦١، وجوّد إسناده الإمام ابن كثير، في تفسيره، ١/ ٧، وقد حكم ابن القيم بصحة الخبر، وشهرته، ووافقه سماحة شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله في مجموع فتاويه، ٦/ ٢٥٢، و٢٤/ ٢٢٩، وقال رحمه الله: «والذين قالوا بصحة الحديث أجلّ، وأكبر من الذين قالوا بضعف الإسناد، وهم رووا عن جماعة من أصحاب معاذ يعتمد عليهم؛ ولهذا وثقه من وثقه من الأئمة، كأبي العباس ابن تيمية، وابن كثير، وابن القيم، وهو كلام محكم، كلام عظيم: أحكم بالقرآن، ثم بالسنة، ثما أجتهد رأيي، فيما يتعلق بالنصوص والقواعد» تعليقات سماحة الشيخ على مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير، وتفسير سورة الفاتحة، ص ١٨..

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٨.

(٣) رواه الطبري، برقم ٨٣، ١/ ٨٠، ورواه البخاري في صحيحه، برقم ٥٠٠٢،

(٤) الطبراني، ١/ ٨٠، برقم ٨١، وصحح إسناده إلى الأعمش محقق تفسير ابن كثير.

يَخْلُفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»[(١)].

وَمِنْهُمُ الْحَبْرُ الْبَحْرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ وَبِبَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ حَيْثُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[(٢)].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «نِعْم تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابنُ عَبَّاسٍ»[(٣)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ قَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذِهِ الْعِبَارَةَ، وَقَدْ: «مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، وعُمِّر بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا كَسَبَهُ مِنَ الْعُلُومِ بَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ؟»[(٤)].

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فَإِنْ لَمْ يَكُنِ اجْتَهَدَ برأيه[(٥)].

٤- إِذَا لَمْ تَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا وَجَدْتَهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ، كمجاهد بن جبر، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْر، وعِكْرِمة، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيّ، ومسروق ابن الْأَجْدَع، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ بْنِ مُزاحم، وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَتُذْكَرُ أَقْوَالُهُمْ فِي الْآيَةِ فَيَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الْأَلْفَاظِ، يَحْسَبُهَا مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ اخْتِلَافًا فَيَحْكِيهَا أَقْوَالًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَبِّرُ عَنِ الشَّيْءِ بِلَازِمِهِ أَوْ بِنَظِيرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنُصُّ عَلَى الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ، وَالْكُلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ، فَلْيَتَفَطَّنِ اللَّبِيبُ لِذَلِكَ، وَاللَّهُ الْهَادِي[(٦)].

---

(١) الطبراني، ١/ ٨٠، برقم ٨٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ١٤٣، ومسلم، برقم ٢٤٧٧، بدون لفظ: «وعلمه التأويل»، والمتن كله في مسند أحمد، ٤/ ٢٢٥، برقم ٢٣٩٧، وحسنه محققو المسند، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٦١٥، وصححه ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في مجمع الزواد، ٩/ ٢٧٦: «قُلْتُ: هُوَ فِي الصَّحِيحِ غَيْرَ قَوْلِهِ: «وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِأَسَانِيدَ، وَلَهُ عِنْدَ الْبَزَّارِ، وَالطَّبَرَانِيِّ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ»، وَلِأَحْمَدَ طَرِيقَانِ رِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٣) ابن جرير، برقم ١٠٤، ورقم ١٠٥، ١٠٦، ١/ ٩٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٩.

(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١١.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١١.

قال سماحة شيخنا الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا اجتمع التابعون، وأئمة السلف على شيء، فلا شك أن ذلك حجة؛ لأنهم أعلم الناس بتفسير كتاب الله، وأصدقهم؛ فإن تنازعوا رجع في الترجيح إلى شيء آخر... **إما للكتاب العزيز، أو السنة المطهرة، أو لغة العرب** في ذلك حتى يجد طالب العلم ما يرجح به أحد القولين، أو أحد الأقوال على الآخر»[(١)].

فَأَمَّا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ فَحَرَامٌ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[(٢)].

وَلِهَذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ عَنْ تَفْسِيرِ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ»[(٣)].

وقال الإمام سماحة شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الرأي: رأيان:**

رأي يؤخذ من الأدلة الشرعية، ومن كلام العرب المعروف، فهذا لا ذمَّ فيه، هكذا كان السلف يفسرون القرآن بما تقتضيه اللغة العربية عند عدم وجود النص.

و[الرأي] الثاني: الرأي المجرد الذي ليس له مستند، ليس له أساس هذا المذموم»[(٤)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ، وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ، وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَه بِه، فكذلك يجب القول فيما سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ[(٥)]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٨٧]، وَلِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ

---

(١) تعليقات الإمام ابن باز على مقدمة تفسير ابن كثير، ص ٣٠.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٢٩٥٢، وسنن النسائي الكبرى، ٥/ ٣١، برقم ٨٠٨٥، وأحمد، برقم ٢٠٦٩، ٤٢٩، والطبري، برقم ٧٣، ١/ ٧٧، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ص ٣٦٠، برقم ٥٧١، وقال سماحة الإمام ابن باز: «والموقوف يشهد له المرفوع» [تعليق سماحة الشيخ على مقدمة تفسير ابن كثير، ص ٣١].

(٣) سنن ابن ماجه، برقم ١٨٠١، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ١٠١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٦، تحت الحديث رقم ٢٥٠٧.

(٤) تعليق سماحة الشيخ على مقدمة تفسير ابن كثير، ص ٣١.

(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧.

طُرُقٍ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِم يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[(١)].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

١- وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا.

٢- وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ.

٣- وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ.

٤- وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ[(٢)].

٥ - عدد آيات القرآن الكريم

قَالَ الإمام ابن كثير رحمه الله: «فَأَمَّا عَدَدُ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَسِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ، ثُمَّ اخْتُلِفَ فِيمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ عَلَى أَقْوَالٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: وَمِائَتَا آيَةٍ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ، وَقِيلَ: وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ آيَةً، وَقِيلَ: وَمِائَتَانِ وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ: وَمِائَتَانِ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَسِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَقِيلَ: وَمِائَتَا آيَةٍ، وَسِتٌّ وَثَلَاثُونَ آيَةً. حَكَى ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ.

٦ - عدد كلمات القرآن الكريم

وَأَمَّا كَلِمَاتُهُ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ، عَنْ عطاءِ بْنِ يَسَارٍ: سَبْعٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً.

٧ - عدد حروف القرآن الكريم

وَأَمَّا حروفُه، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: هَذَا مَا أَحْصَيْنَا مِنَ القرآن وهو ثلاثُمائِة أَلفِ حَرْفٍ وواحدٌ وَعِشْرُونَ ألفَ حَرْفٍ ومائَةٌ وثمانون حَرْفًا.

وَقَالَ الْفَضْلُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ: ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ حَرْفٍ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَخَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا»[(٣)].

وذكر الإمام القرطبي أحمد بن فرح رحمه الله: «أن عدد حروف القرآن في

---

(١) سنن أبي داود، برقم ٣٦٦٠، وسنن ابن ماجه، برقم ٢٦٤، ومسند أحمد، ١٣/ ١٧، برقم ٧٥٧١، وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١١٢٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٤- ١٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٤٧.

المصحف الموجود: ثلاثمائة وأحد عشر ألفاً، ومئتان، وخمسون حرفاً، وحرف [٣١١٢٥١]، وأن عدد آيات القرآن الكريم في المصحف الموجود المقروء بالألسنة: ستة آلاف آية، ومئتا آية، وآية [٦٢٠١]»[١]، وقد ذكروا الاتفاق على أن القرآن يزيد على ستة آلاف، ومئتي آية[٢].

وقيل: القرآن ثلاثُمائة ألف حَرْف وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَسَبْعُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا (٣٤٠٧٤٠)[٣].

٨ - خبر الحجاج في اهتمامه بالقرآن الكريم

وَقَالَ سَلام أَبُو مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيُّ: إِنَّ الْحَجَّاجَ جَمَعَ الْقُرَّاءَ وَالْحُفَّاظَ والكُتَّاب فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنِ الْقُرْآنِ كُلِّه كَمْ مِنْ حرفٍ هُوَ؟ قَالَ: فَحَسَبْنَاهُ فَأَجْمَعُوا أَنَّهُ ثلاثُمائة ألف حَرْف وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَسَبْعُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا. قَالَ: فَأَخْبِرُونِي عَنْ نِصْفِهِ. فَإِذَا هُوَ إِلَى الْفَاءِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْكَهْفِ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكَهْف: ١٩]، وثُلثه الْأَوَّلُ عِنْدَ رَأْسِ مِائَةِ آيَةٍ مِنْ بَرَاءَةٌ، وَالثَّانِي عَلَى رَأْسِ مِائَةٍ أَوْ إِحْدَى وَمِائَةٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ، وَالثَّالِثُ إِلَى آخِرِهِ، وسُبْعُه الْأَوَّلُ إِلَى الدَّالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [النِّسَاء: ٥٥]، والسُّبع الثَّانِي إِلَى الْبَاءِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿حَبِطَتْ﴾ [الأعرَاف: ١٤٧]، وَالثَّالِثُ إِلَى الْأَلِفِ الثَّانِيَةِ مِنْ: ﴿أُكُلَهَا﴾ فِي الرَّعْدِ [الرَّعْد: ٣٥]، وَالرَّابِعُ إِلَى الْأَلِفِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَجِّ: ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحَج: ٦٧]، وَالْخَامِسُ إِلَى الْهَاءِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْأَحْزَابِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزَاب: ٣٦]، وَالسَّادِسُ إِلَى الْوَاوِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْفَتْحِ: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفَتْح: ٦]، وَالسَّابِعُ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ. قَالَ سَلَّامٌ أَبُو مُحَمَّدٍ: عَمِلْنَا ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.

قَالُوا: وَكَانَ الْحَجَّاجُ يَقْرَأُ فِي كلِّ ليلةٍ رُبُعَ الْقُرْآنِ، فَالْأَوَّلُ إِلَى آخِرِ الْأَنْعَامِ، وَالثَّانِي إِلَى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكَهْف: ١٩]، وَالثَّالِثُ إِلَى آخِرِ الزُّمَرِ، وَالرَّابِعُ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ. وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْبَيَانُ خِلَافًا فِي هَذَا كُلِّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٤].

---

(١) التذكار في أفضل الأذكار للإمام محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١ هـ، ص ٢٣.
(٢) استخراج الجدال من القرآن، لابن نجم، ص ١٠٠، وفتح الباري لابن حجر، ٦/ ٥٨٢، ومناهل العرفان للزرقاني، ١/ ٣٣٦، و١/ ٢٣١- ٢٣٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٤٧.
(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ١٣٧.

٩ - تحزيب الصحابة للقرآن الكريم

وَأَمَّا التَّحْزِيبُ وَالتَّجْزِئَةُ فَقَدِ اشْتُهِرَتِ الْأَجْزَاءُ مِنْ ثَلَاثِينَ كَمَا فِي الرَّبَعَاتِ فِي الْمَدَارِسِ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ فِي تَحْزِيبِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ، وَالْحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ أحمدَ وسُنَنِ أَبِي داودَ وَابْنِ ماجَهْ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَوْسِ بْنِ حُذَيفة أَنَّه سَأَلَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ في حَيَاتِهِ: كَيْفَ يُحَزِّبون الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عشرَةَ وثلاثَ عَشْرَةَ، وحزْبُ المُفَصَّل مِنْ قَافٍ حَتَّى يُخْتَمَ[1].

وقد ثبت في سنن أبي داود أن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ في كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: «**فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**فِي شَهْرٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**فِي عِشْرِينَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**فِي خَمْسَ عَشْرَةَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**فِي عَشْرٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**فِي سَبْعٍ**»[2]، وفي لفظ لأبي داود: «إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٤٧- ١٤٨، والحديث أخرجه أبو داود، برقم ١٣٩٥، وأحمد، ٢٦/ ٨٨، برقم ١٦١٦٦، وضعفه محققو المسند، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٣٩٥.

(٢) سنن أبي داود، ١٣٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٣٨٦.

(٣) سنن أبي داود، ١٣٩٠، ورقم ١٣٩١، وصححهما الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٣٨٥.

١ -سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

أولاً: أسماء الفاتحة:

١- **يُقَالُ لَهَا: الْفَاتِحَةُ**، أَيْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ خطًّا، وَبِهَا تُفْتَتَحُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ.

٢- **وَيُقَالُ لَهَا** أَيْضًا: **أُمُّ الْكِتَابِ** عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقَدْ ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»[١].

٣- **وَيُقَالُ لَهَا: الْحَمْدُ**، وَيُقَالُ لَهَا: الصَّلَاةُ، لِقَوْلِهِ عليه السلام عَنْ رَبِّهِ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي**»[٢].

٤- **وَسُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ: صَلَاةً**؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِيهَا.

٥- **وَيُقَالُ لَهَا: الرُّقْيَةُ**؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحِ حِينَ رَقَى بِهَا الرَّجُلَ السَّلِيمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**»[٣].

قَالُوا: وَكَلِمَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً، وَحُرُوفُهَا مِائَةٌ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَرْفًا، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كتاب التفسير: وسميت أم الكتب، أنه يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ[٤].

وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٧٠٤. وسنن أبي داود، برقم ١٤٥٧، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٤٥٢.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٩٠٤.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٢٧٦، مسلم، برقم ٢٢٠١.
(٤) صحيح البخاري، قبل الحديث برقم ٤٤٧٤.

وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: الْفَاتِحَةُ؛ لِأَنَّهَا تُفْتَتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ، وَافْتَتَحتِ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةَ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ.

٦- وَصَحَّ تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي، قَالُوا: لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي الصَّلَاةِ، فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَثَانِي مَعْنًى آخَرُ غَيْرُ هَذَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[(١)].

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»[(٢)].

ثانياً: فَضْلِ الْفَاتِحَةِ

١- وعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ**» قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(٣)].

٢- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً، أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ قَالَ: لاَ، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ، أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[(٤)].

٣- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا**

---

(١) تفسير ابن جرير، ١/ ١٠٧- ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٧٠٤.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٥٠٠٦.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٠٠٧، وصحيح مسلم، برقم ٢٢٠١.

الْيَوْمَ»، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: «هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[١].

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَ: «أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى»: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ «لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أَسْمِعْهُمْ وَلَا تَجْهَرْ، حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ»[٣].

٥- **تَتَعَيَّنُ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ**، وَلَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ بِدُونِهَا لحديث: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»[٤].

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٨٠٦.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٧٤٩٠.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥.

٦- وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[1].

ثالثاً: وجوب قراءة الفاتحة على المأموم:

اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم على ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

القول الأول: أَنَّهُ تَجِبُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهَا، كَمَا تَجِبُ عَلَى إِمَامِهِ؛ لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

القول الثَّانِي: لَا تَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ قِرَاءَةٌ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا الْفَاتِحَةُ، وَلَا غَيْرُهَا، لَا فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، وَلَا السِّرِّيَّةِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَجِبُ الْقِرَاءَةُ عَلَى الْمَأْمُومِ فِي السِّرِّيَّةِ لِمَا تَقَدَّمَ، وَلَا تَجِبُ فِي الْجَهْرِيَّةِ[2].

قال الإمام شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأظهر وجوبها حتى في الجهرية؛ لأن العام يقضي عليه الخاص، وأحاديث الفاتحة خاصة تقضي على جميع العمومات، فيقرأها في الجهرية، والسرية: الإمام، والمأموم، والمنفرد، الكل يقرؤونها في كل ركعة، فالمعنى الأظهر، والصواب أنها تقرأ في كل ركعة»[3].

رابعاً: تَفْسِيرِ الاسْتِعَاذَةَ

الاستعاذة هِيَ الالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَالْعِيَاذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَاللِّيَاذُ يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ[4]

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي، أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٦٦.
(٣) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير سورة الفاتحة للإمام ابن كثير، ص ٧٩.
(٤) ديوان المتنبي، ٢/ ٢٢٥، وقد ذكر الإمام ابن كثير، في البداية والنهاية، ١١/ ٢٩٢: «وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ شيخ الإسلام أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يَقُولُ: رُبَّمَا قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السُّجُودِ، أدعو الله بما تضمناه من الذلّ والخضوع».

عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ، وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ؛ لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ، وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا أَعْلَمُ لَهُنَّ رَابِعَةً، قَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم السَّجْدَةِ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَقِيلَ: مُشْتَقٌّ مِنْ شَاطَ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي الْمَعْنَى، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَصَحُّ(١).

والرَّجيم: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ: أَنَّهُ مَرْجُومٌ، مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥](٢).

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٧.

خامساً: تفسير سورة الفاتحة:

١ - بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

افْتَتَحَ بِهَا الصحابةُ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ سورَةِ النَّمْلِ، ثمّ اختلفوا: هل هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا، أَوْ أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ دُونَ غَيْرِهَا، أَوْ أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ، لَا أَنَّهَا آيَةٌ عَلَى أَقْوَالٍ لِلْعُلَمَاءِ سَلَفًا، وَخَلَفًا[١].

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب أنها آية مستقلة من كتاب الله جلَّ وعلا، وعلامة فصل بين السور، آية مستقلة، فليست من الفاتحة، ولا من غيرها، بل هي آية مستقلة، للفصل بين السور، هذا أحسن ما قاله العلماء فيها، وهي بعض آية من سورة النمل، والفاتحة سبع آيات من دونها، أولها: الحمد لله رب العالمين، وآخرها: غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[٢].

وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ»[٣].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «كَانَ يُقَطِّعُ[٤] قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾»[٥].

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، وَطَوَائِفَ مِنْ سَلَفِ التَّابِعِينَ وَالْخَلَفِ،

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٧.
(٢) تعليقات ابن باز على مقدمة تفسير ابن كثير، وتفسير سورة الفاتحة، ص ١٠٥.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٥٠٤٦.
(٤) يقطّع قراءته: يعني يقف على رؤوس الآيات، من باب الترتيل: تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١٠٩.
(٥) مسند أحمد، ٤٤/ ٢٠٦، برقم ٢٦٥٨٣، وصححه لغيره محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٠٠١، وسنن الترمذي، برقم ٢٩٢٧، وسنن الدارقطني، برقم ١١٩١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٨٩٣، برقم ٩١٣١.

وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالثَّوْرِيّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ: أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ الْبَسْمَلَةَ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا جَهْرًا وَلَا سِرًّا(١).

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةِ، بِـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ، حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ، لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا، وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ، وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقْبَةِ الشَّيْطَانِ، وَيَنْهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ السَّبُعِ، وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ»(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بِـ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]»(٣).

وعن قتادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لَا يَذْكُرُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ، وَلَا فِي آخِرِهَا»(٤).

وقال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ صَلَاةِ مَنْ جَهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»(٥).

قال **الإمام شيخنا ابن باز** رحمه الله: «وهذا هو الأصح من أقوال العلماء، قول أكثر الجمهور، فمن السنة الإسرار بالبسملة لا يجهر بها، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الراشدين، وجمهور أهل العلم، وهو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، حتى أن مالكاً لا يرى قراءتها بالكلية، والقول بهذا ضعيف،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨١.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٤٩٨.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٧٤٣، وصحيح مسلم، برقم ٣٩٩.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٣٩٩، والترمذي، ٢٤٤، والنسائي، برقم ٩٠٩، .
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٢.

والصواب أنها تقرأ لكن سراً... فإذا جهر بعض الناس في بعض الأحيان حتى يعلم المأمومون أنها تقرأ، وحتى لا يظن ظان أنها تترك، فلا بأس، ويكون من باب التعليم، كما فعل أبو هريرة ﷺ»[(١)].

فَضْلُ البَسْمَلَة:

عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيّ، عَمَّنْ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ، فَعَثَرَ الْحِمَارُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ**»[(٢)].

وَتُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْأَكْلِ لِمَا ذكر عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[(٣)].

وتُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْجِمَاعِ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»[(٤)].

وَتُسْتَحَبُّ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ كلِّ عملٍ، وتُسْتَحَبُّ **عِنْدَ دخول الخلاء**، وتُستحب **فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ**، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَوْجَبَهَا عِنْدَ الوضوء عندَ الذِّكْرِ، **والصَّواب** أنّها تَجِبُ في أوّل الوضُوءِ مَعَ الذِّكْرِ، وتسْقطُ عندَ النِّسْيَانِ، وَالصَّوَابُ وُجُوبهَا عندَ الذَّبحِ، والنَّحْر معَ الذِّكْرِ»[(٥)].

وَمِنْ هَاهُنَا يَنْكَشِفُ لَكَ أَنَّ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ النُّحَاةِ فِي تَقْدِيرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْبَاءِ فِي

---

(١) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١١٠.

(٢) مسند أحمد، ٣٤/ ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٩٨٢، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٣٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ١١٨، برقم ٣١٢٨.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٢٠٢٢.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٤١، ومسلم، برقم ١٤٣٤، واللفظ له.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٦- ١٩٠.

قَوْلِكَ: ﴿بِاسْمِ اللَّهِ﴾، هَلْ هُوَ اسْمٌ، أَوْ فِعْلٌ مُتَقَارِبَانِ، وَكُلٌّ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ؛ أَمَّا مَنْ قَدَّرَهُ بِاسْمٍ، تَقْدِيرُهُ: بِاسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هُود: ٤١] [(١)].

«وَمَنْ قدره بالفعل أمراً، أو خبراً نحو: أبدأ بسم اللَّه، أو ابتدأت باسم اللَّه؛ فلقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العَلَق: ١]، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَصْدَرٍ، فَلَكَ أَنْ تُقَدِّرَ الْفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْفِعْلِ الَّذِي سَمَّيْتَ قَبْلَهُ: إِنْ كَانَ قياماً، أو قعوداً، أو أكلاً، أو شراباً، أَوْ قِرَاءَةً، أَوْ وُضُوءًا، أَوْ صَلَاةً، فَالْمَشْرُوعُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ قبل الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ، كُلِّهِ تَبَرُّكًا، وَتَيَمُّنًا، وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتْمَامِ، وَالتَّقَبُّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» [(٢)].

قال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بسم اللَّه**» أبتدئ، هذا يعم إذا قدرته اسماً: أبتدئ في الصلاة، في الوضوء، في الأكل، أما إذا قدرته فعلاً، فيختلف حسب المبدوء به، فإن كان عند الأكل، فيقدر بسم اللَّه أكلي، أو باسم اللَّه آكل، وإن كان وضوءاً: بسم اللَّه أتوضأ، وإن غير ذلك فعلى حسبه» [(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ وهذا المحذوف يقدَّر فعلاً متأخراً مناسباً؛ فإذا قلت: «باسم اللَّه»، وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: «باسم اللَّه آكل»» [(٤)].

﴿اللَّه﴾: عَلَم عَلَى الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَال إِنَّهُ الِاسْم الْأَعْظَم؛ لِأَنَّهُ يُوصَف بِجَمِيعِ الصِّفَات، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩١.
(٣) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١١٨.
(٤) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ٦.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤]، فَأَجْرَى الْأَسْمَاء الْبَاقِيَةَ كُلّهَا صِفَات لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[١]، و«اللَّه»: اسم لا يُسمّى به غيره تبارك وتعالى.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: اِسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنْ الرَّحْمَة عَلَى وَجْه الْمُبَالَغَة، وَرَحْمَن أَشَدّ مُبَالَغَة مِنْ رَحِيم، وَفِي كَلَام اِبْن جَرِير مَا يُفْهَم مِنْهُ حِكَايَة الِاتِّفَاق عَلَى هَذَا[٢].

«وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى الِاشْتِقَاقِ حديث عبد الرحمن بن عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»[٣]، وَهَذَا نَصٌّ فِي الِاشْتِقَاقِ، فَلَا مَعْنَى لِلْمُخَالَفَةِ وَالشِّقَاقِ، وَإِنْكَارُ الْعَرَبِ لَهُ لِجَهْلِهِمْ بِاللَّهِ، وَبِمَا وَجَبَ لَهُ»[٤].

قَالَ أَبُو عَلِيّ الْفَارِسِيُّ: الرَّحْمنِ: اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ، يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ تعالى، والرَّحِيمِ: إِنَّمَا هُوَ فِي جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣]»[٥].

وعن ابن عباس في قوله ﷻ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ... والرحمن: قال المترحم على خلقه، الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته، ويروى عنه أيضاً أنّه قال: الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، وقيل في الجمع بينهما: إنَّ الرحمن أشدُّ مبالغة، والرحيم أخصُّ منه؛ فالرحمن لجميع الخلق، والرحيم للمؤمنين خاصة»[٦].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٧٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٢.
(٣) سنن الترمذي، برقم ١٩٠٧، ولفظه: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»، وهو في مسند أحمد، ٣/ ٢١٦، برقم ١٦٨٦، وصححه لغيره محققو المسند،والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٧، برقم ٢٥٢٨..
(٤) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٤.
(٥) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٥.
(٦) إعراب القرآن لقوام السنة الأصبهاني، ص ٤.

ولعله بمعنى أرفق، كما في حديث عائشة: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[1].

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الرَّحْمنِ إِذَا سُئِلَ أَعْطَى، وَالرَّحِيمِ إِذَا لَمْ يُسْأَلْ يغضبْ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[2].

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ هَذَا الْمَعْنَى فقال:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجةً	وسَلِ الذِي أبوابُهُ لا تُغْلَقُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ	وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَل يَغْضَب»[3]

وَقَالَ ابْن جَرِير عن الْعَرْزَمِيِّ[4]: «الرَّحْمَن الرَّحِيم: قَالَ الرَّحْمَن لِجَمِيعِ الْخَلْق، الرَّحِيم قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ»[5].

قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ**﴾[الفرقان: ٥٩]، وَقَالَ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه: ٥]، فَذَكَرَ الِاسْتِوَاء بِاسْمِهِ الرَّحْمَن لِيَعُمّ جَمِيع خَلْقه بِرَحْمَتِه، وَقَالَ ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[الأحزاب: ٤٣]، فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيم، قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَن أَشَدّ مُبَالَغَة فِي الرَّحْمَة لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقه، وَالرَّحِيم خَاصَّة بِالْمُؤْمِنِينَ.

أَمَّا الرَّحِيم، فَإِنَّهُ تعالى وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، كَمَا وَصَفَ غَيْرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[الإنسان: ٢]، وَالْحَاصِل أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْره، وَمِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْره، كَاسْمِ اللَّه، وَالرَّحْمَن، وَالْخَالِق، وَالرَّزَّاق، وَنَحْو ذَلِكَ؛ فَلِهَذَا بَدَأَ بِاسْمِ اللَّه، وَوَصَفَهُ

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٢٥٩٣.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٣٣٧٣، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٨، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥١٣،وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٢٧ ولفظه: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، غَضِبَ عَلَيْهِ»، ومسند أحمد، ١٥/ ٤٤٨، برقم ٩٧١٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥٤.

(٣) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٦، وابن كثير، ١/ ١٢٥.

(٤) هكذا صححها الإمام ابن باز في تعليقه على تفسير الفاتحة، ص ١٣٣، وهو هكذا في نسخة دار طيبة المحققة، ١/ ١٢٦.

(٥) تفسير الطبري، ١/ ١٢٧.

بِالرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّهُ أَخَصّ وَأَعْرَف مِنْ الرَّحِيم؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَة أَوَّلًا إِنَّمَا تَكُون بِأَشْرَف الْأَسْمَاء؛ فَلِهَذَا اِبْتَدَأَ بِالْأَخَصِّ فَالْأَخَصّ[1].

وَعَنْ الْحَسَن قَالَ: الرَّحْمَن: اِسْم لَا يَسْتَطِيع النَّاس أَنْ يَنْتَحِلُوهُ، تَسَمَّى بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[2].

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيث أُمّ سَلَمَة أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَة رَسُول اللَّه ﷺ، فَقَالَتْ: «كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]»[3]، فَقَرَأَ بَعْضهمْ كَذَلِكَ، وَهُمْ طَائِفَة، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَهَا بِقَوْلِهِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكُسِرَتْ الْمِيم لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَهُمْ الْجُمْهُور[4].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعمُّ جميع الأسماء الحُسْنى، ﴿اللَّهِ﴾ هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»[5].

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الْقُرَّاء السَّبْعَة عَلَى ضَمّ الدَّال فِي قَوْله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هُوَ مُبْتَدَأ وَخَبَر، وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، وَرُؤْبَة بْن الْعَجَّاج أَنَّهُمَا قَالَا: ﴿الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾ بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عَلَى إِضْمَار فِعْل، وَعَنْ الْحَسَن وَزَيْد بْن عَلِيّ ﴿الْحَمْدِ لِلَّهِ﴾ بِكَسْرِ الدَّال إِتْبَاعًا لِلْأَوَّلِ الثَّانِي.

قَالَ أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير مَعْنَى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشُّكْر لِلَّهِ خَالِصًا دُون سَائِر مَا يُعْبَد مِنْ دُونه، وَدُون كُلّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقه بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَاده مِنْ النِّعَم الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَد، وَلَا يُحِيط بِعَدَدِهَا غَيْره أَحَد فِي تَصْحِيح الْآلَات لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِين جَوَارِح أَجْسَام الْمُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضه، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٩.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١/ ٢٦.
(٣) مسند أحمد، ٤٤/ ٢٠٦، برقم ٢٦٥٨٣، وصححه لغيره محققو المسند، وأبو داود، برقم ٤٠٠١، والترمذي، ٢٩٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٥٠٠٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠١.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

مِنْ الرِّزْق، وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيم الْعَيْش، مِنْ غَيْر اِسْتِحْقَاق مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنْ الْأَسْبَاب الْمُؤَدِّيَة إِلَى دَوَام الْخُلُود فِي دَار الْمَقَام فِي النَّعِيم الْمُقِيم، فَلِرَبِّنَا الْحَمْد عَلَى ذَلِكَ كُلّه أَوَّلًا وَآخِرًا.

وَقَالَ اِبْن جَرِير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ ثَنَاء أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسه، وَفِي ضِمْنه أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَ الْقَائِل: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ ثَنَاء عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاته الْعُلَا، وَقَوْله: الشُّكْر لِلَّهِ ثَنَاء عَلَيْهِ بِنِعَمِهِ وَأَيَادِيه، ثُمَّ شَرَعَ فِي رَدّ ذَلِكَ بِمَا حَاصِله: أَنَّ جَمِيع أَهْل الْمَعْرِفَة بِلِسَانِ الْعَرَب يُوقِعُونَ كُلًّا مِنْ الْحَمْد وَالشُّكْر مَكَان الْآخَر، وَقَدْ نَقَلَ السُّلَمِيّ هَذَا الْمَذْهَب أَنَّهُمَا سَوَاء عَنْ جَعْفَر الصَّادِق، وَابْن عَطَاء مِنْ الصُّوفِيَّة.

وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾: كَلِمَة كُلّ شَاكِر[(١)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «واشْتُهِرَ عِنْد كَثِير مِنْ الْعُلَمَاء مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ الْحَمْد هُوَ الثَّنَاء بِالْقَوْلِ عَلَى الْمَحْمُود بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَة وَالْمُتَعَدِّيَة، وَالشُّكْر لَا يَكُون إِلَّا عَلَى الْمُتَعَدِّيَة، وَيَكُون بِالْجِنَانِ وَاللِّسَان وَالْأَرْكَان، كَمَا قَالَ الشَّاعِر:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاء مِنِّي ثَلَاثَة ... يَدِي، وَلِسَانِي، وَالضَّمِير الْمُحَجَّبَا»[(٢)]

قال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...كلام ابن جرير في هذا عظيم، وهو يحكي عن أهل اللغة لا في اصطلاح الناس، واصطلاح الناس كون الشكر في مقابل النعم، والحمد في مقابل النعم وغيرها اصطلاح ما يعارض اللغة، واصطلاحات الناس لهم، فقول ابن جرير هنا أظهر، وأن الحامد شاكر إذا أدَّى حقّ النعم، فإذا لم يؤدها فهو حامد لا شاكر، فالشكر يكون باللسان، ويكون بالعمل، ويكون بالقلب، والحمد يكون باللسان، ويكون بالقلب، والمقصود أن الحامد لله شاكر لله، مُثنٍ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا صدق في ذلك، وأتبع القول العمل، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٢.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، جعل الذكر أولاً مقدماً، ثم أتى بالشكر، فذكر الله يكون بتسبيحه، وتهليله، وتحميده، وغير ذلك من أنواع الذكر، والشكر يكون بأداء حقه مع الثناء»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الحمد»: وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ الكمال الذاتي، والوصفي، والفعلي؛ فهو كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ ولا بد من قيد وهو «المحبة، والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً»؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً؛ تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة، لا محبة فيهم؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه، أو خوفاً منهم؛ ولكن حمدنا لربنا عز وجل حمدَ محبةٍ، وتعظيمٍ؛ فلذلك صار لا بد من القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ و «أل» في «الحمد» للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد»[٢].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لَمْ يَذْكُرْ لِحَمْدِهِ هُنَا ظَرْفًا مَكَانِيًّا، وَلَا زَمَانِيًّا، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الرُّومِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ الْمَكَانِيَّةِ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨]، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ الزَّمَانِيَّةِ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وَقَالَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي «الْحَمْدُ» لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ الْمَحَامِدِ»[٣].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الثناء على الله بصفات الكمال،

---

(١) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١٤٤.
(٢) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ١٢.
(٣) أضواء البيان، للشنقيطي، ١/ ١٠١.

وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه»[(١)].

وَأَمَّا الْمَدْح فَهُوَ أَعَمّ مِنْ الْحَمْد؛ لِأَنَّهُ يَكُون لِلْحَيِّ وَلِلْمَيِّتِ وَلِلْجَمَادِ أَيْضًا، كَمَا يُمْدَح الطَّعَام وَالْمَكَان وَنَحْو ذَلِكَ، وَيَكُون قَبْل الْإِحْسَان وَبَعْده، وَعَلَى الصِّفَات الْمُتَعَدِّيَة وَاللَّازِمَة أَيْضًا، فَهُوَ أَعَمّ[(٢)].

وَعن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ**»[(٣)]:

وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[(٤)].

والألف، واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد، وصنوفه لله تعالى[(٥)].

﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾: وَالرَّبّ هُوَ الْمَالِك الْمُتَصَرِّف، وَيُطْلَق فِي اللُّغَة عَلَى السَّيِّد، وَعَلَى الْمُتَصَرِّف لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلّ ذَلِكَ صَحِيح فِي حَقّ اللَّه تَعَالَى، وَلَا يُسْتَعْمَل الرَّبّ لِغَيْرِ اللَّه، بَلْ بِالْإِضَافَةِ، تَقُول: رَبّ الدَّار، رب كَذَا، وَأَمَّا الرَّبّ فَلَا يُقَال إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الِاسْم الْأَعْظَم، وَالْعَالَمِينَ جَمْع عَالَم، وَهُوَ كُلّ مَوْجُود سِوَى اللَّه ﷻ، وَالْعَالَم جَمْع لَا وَاحِد لَهُ مِنْ لَفْظه، وَالْعَوَالِم أَصْنَاف الْمَخْلُوقَات فِي السَّمَوَات، وَفِي الْبَرّ وَالْبَحْر، وَكُلّ قَرْن مِنْهَا، وَجِيل يُسَمَّى عَالَمًا أَيْضًا، وَعَنْ اِبْن عَبَّاس: **﴿الْحَمْد لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾**: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْق كُلّه: السَّمَوَات وَالْأَرْضُون، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنهنَّ، مِمَّا نَعْلَم وَمِمَّا لَا نَعْلَم[(٦)].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الْعَالَم كُلّ مَا خَلَقَ اللَّه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٢.
(٣) سنن الترمذي، برقم ٣٣٨٣، وحسنه، وابن ماجه، برقم ٣٨٠٠، وصححه محققو مسند أحمد، ٣٥/ ٣٨٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٢١، برقم ١٥٢٦.
(٤) سنن الترمذي، برقم ٣٥٨٥، وموطأ مالك، ١/ ٢١٤، برقم ٣٢، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٢٦، برقم ١٥٣٦.
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٧.
(٦) تفسير ابن كثير، ٢٠٨.

قال **القرطبي**: «وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ: كل العالمين أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَوْجُودٍ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣- ٢٤]، ثُمَّ هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَلَامَةِ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مُوجِدِهِ»[(١)].

وَالْعَالَم مُشْتَقّ مِنْ الْعَلَامَة، قُلْت: لِأَنَّهُ عَلَم دَالّ عَلَى وُجُود خَالِقه، وَصَانِعه، وَوَحْدَانِيّته، كَمَا قَالَ اِبْن الْمُعْتَزّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَه ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدهُ الْجَاحِد

وَفِي كُلّ شَيْء لَهُ آيَة ... تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِد[(٢)]

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب: هو المربي جميع العالمين، وهم من سوى الله، بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى، وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فدل قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»[(٣)].

وقال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا الْعَالَمُونَ، وَبَيَّنَ

---

(١) تفسير القرطبي، ١/ ١٣٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣- ٢٤]، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: اشْتِقَاقُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَلَامَةِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَلَامَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ، مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَالْجَلَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وَالْآيَةُ فِي اللُّغَةِ: الْعَلَامَةُ»(١).

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾ «الرب»: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور؛ و«**العالمين**»: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالَم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلَم على خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته»(٢).

وقال **العلامة ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «العوالم لا يحصيها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو رب العالمين، والعالمون أنواع المخلوقات، ولا يحصي عددها إلا الله، هو الذي يحصي عدد المخلوقات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي في البحر، والذي في البر، والذي في السماء، والذي في داخل الأرض، لا يعلمه إلا الله جلَّ وعلا، فالعوالم لا يحصيها إلا هو، وهو ربها جلَّ وعلا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يشمل العوالم الحية التي لها روح، والعوالم الجامدة؛ لأنها كلها عوالم: الماء عالم، والسموات عالم، والأرض عالم، والجبال عالم»(٤).

وقال : أيضاً: «في قوله: ﴿**رب العالمين**﴾: إشارة إلى أنه المتصرف فيهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، وفيه ترهيب لهم من عصيانه، وأنه قادر على إهلاك من يشاء، وتعذيب من يشاء، ثم قال: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ ترغيب لهم في

---

(١) أضواء البيان، ١/ ١٠١.
(٢) تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين، ص ١٢- ١٣.
(٣) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ١٥٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٦٠.

رحمته، واللجوء إليه، والاستقامة على أمره وطاعته سبحانه، رجاء أن تحصل لهم الرحمة، ثم جاء ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ للجمع بين الرجاء أو الخوف»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويطلق الدين على الطاعة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، أي: الطاعة، والعبادة عند الله الإسلام، ولكن هنا يُراد به الحساب: أن الله يجازيهم بأعمالهم، ويحاسبهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[(٢)].

٣- وَقَوْله تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: تَقَدَّمَ الْكَلَام عَلَيْهِ فِي الْبَسْمَلَة بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بَعْدَ ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾، بِأَنَّهُ ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِـ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ تَرْهِيبٌ قَرَنَهُ بِـ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيبِ؛ لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَمْنَعَ، كَمَا قَالَ: ﴿نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩- ٥٠]، وَقَالَ: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ﴾[غافر: ٣]»[(٣)].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[(٤)].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمّت كُلَّ حيّ، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف

---

(١) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ١٦١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.
(٣) تفسير القرطبي، ١/ ١٣٩.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٧٥٥.

الأمة وأئمتها: الإيمان بأسماء الله، وصفاته، وأحكام الصفات: فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة، يقدر على كل شيء»[(١)].

٤- ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قَرَأَ بَعْض الْقُرَّاء ﴿مَلِك يَوْم الدِّين﴾، وَقَرَأَ آخَرُونَ ﴿مَالِك﴾، وَكِلَاهُمَا صَحِيح مُتَوَاتِر فِي السَّبْع.

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلها قراءة صحيحة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ »[(٢)].

وَتَخْصِيص الْمُلْك بِيَوْمِ الدِّين لَا يَنْفِيه عَمَّا عَدَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِخْبَار بِأَنَّهُ رَبّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَإِنَّمَا أُضِيف إِلَى يَوْم الدِّين؛ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَد هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّم أَحَد إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه:١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[هود: ١٠٥].

وَقَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس: ﴿مَالِك يَوْم الدِّين﴾، يَقُول: لَا يَمْلِك أَحَد مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْم حُكْمًا، كَمُلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: وَيَوْم الدِّين يَوْم الْحِسَاب لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة، يَدِينهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ: إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْره مِنْ الصَّحَابَة، وَالتَّابِعِينَ، وَالسَّلَف وَهُوَ ظَاهِر.

وَالْمَلِك فِي الْحَقِيقَة هُوَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾[الحشر: ٢٣]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً قَالَ: «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ»، وَقَالَ سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ: «أَخْنَعُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ»، هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

(٢) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ٦٣.

قَالَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»، [قال الإمام مسلم]: زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ** ﷻ»[(١)]، وَفِيهِمَا عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ** ﷻ **السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[(٢)].

وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[غافر: ١٦]، فَأَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِه فِي الدُّنْيَا بِمَلِكٍ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾[البقرة: ٢٤٧]، ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ**﴾[الكهف: ٧٩]، ﴿**إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**﴾[المائدة: ٢٠]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ «**مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ**»[(٣)].

وَالدِّينُ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ**﴾[النور: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿**أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ [الصافات: ٥٣]، أَيْ مَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ، وَفِي الْحَدِيثِ: ورُوِي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ يرفعه: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**»[(٤)]، أَيْ: حَاسَبَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ عُمَرُ ﷺ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ»، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**﴾[الحاقة: ١٨].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر، وينهى، ويثيب، ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٢٠٦، صحيح مسلم، برقم ٢١٤٣.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٨١٢، ومسلم، برقم ٣٧٨٦، واللفظ له.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٧٨٨، وصحيح مسلم، برقم ١٩١٢.
(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٥٠، برقم ١٧١٢٣، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٥٩، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٦٠. وحسنه البغوي في شرح السنة، ١٤/ ٣٠٨، وسكت النووي على تحسين الترمذي في رياض الصالحين.

يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه، وعدله، وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى أنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين، ولغيره من الأيام»(١).

وقال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: لَمْ يُبَيِّنْهُ هُنَا، وَبَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ الْآيَةَ [الانفطار: ١٧-١٩]، وَالْمُرَادُ بِالدِّينِ فِي الْآيَةِ الْجَزَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أَيْ: جَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ بِالْعَدْلِ»(٢).

٥- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَرَأَ السَّبْعَةُ وَالْجُمْهُورُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ ﴿إِيَّاكَ﴾.

وَنَسْتَعِين - بِفَتْح النُّون أَوَّل الْكَلِمَة - فِي قِرَاءَة الْجَمِيع، سِوَى يَحْيَى بْن وَثَّاب، وَالْأَعْمَش؛ فَإِنَّهُمَا كَسَرَاهَا، وَهِيَ لُغَة بَنِي أَسَد، وَرَبِيعَة وَبَنِي تَمِيم.

وَالْعِبَادَة فِي اللُّغَة مِنْ الذِّلّ، يُقَال: طَرِيق مُعَبَّد، وَبَعِير مُعَبَّد، أَيْ: مُذَلَّل، وَفِي الشَّرْع عِبَارَة عَمَّا يَجْمَع كَمَال الْمَحَبَّة، وَالْخُضُوع وَالْخَوْف، وَقَدَّمَ الْمَفْعُول، وَهُوَ «**إِيَّاكَ**»، وَكُرِّرَ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْر، أَيْ: لَا نَعْبُد إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّل إِلَّا عَلَيْك، وَهَذَا هُوَ كَمَال الطَّاعَة، وَالدِّين كُلّه يَرْجِع إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْض السَّلَف: الْفَاتِحَة سِرّ الْقُرْآن، وَسِرّهَا هَذِهِ الْكَلِمَة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، فَالْأَوَّل تَبَرُّؤٌ مِنْ الشِّرْك، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنْ الْحَوْل، وَالْقُوَّة، وَالتَّفْوِيض إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْر آيَة مِنْ الْقُرْآن، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[الملك: ٢٩]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٩]،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.
(٢) أضواء البيان، ١/ ١٠٣.

وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾.

وَتَحَوُّل الْكَلَام مِنْ الْغَيْبَة إِلَى الْمُوَاجَهَة بِكَافِ الْخِطَاب، وَهُوَ مُنَاسَبَة؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَثْنَى عَلَى اللَّه، فَكَأَنَّهُ اِقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْن يَدَيْ اللَّه تَعَالَى؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، وَفِي هَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّ أَوَّل السُّورَة خَبَر مِنْ اللَّه تَعَالَى بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسه الْكَرِيمَة بِجَمِيلِ صِفَاته الْحُسْنَى، وَإِرْشَاد لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا لَا تَصِحّ صَلَاة مَنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَهُوَ قَادِر عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[(١)].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم مِنْ حَدِيث الْعَلَاء بْن عَبْد الرَّحْمَن مَوْلَى الْحُرَقَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْره، قال رسول اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[(٢)].

وَقَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس رضي الله عنهما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّد، وَنَخَاف، وَنَرْجُوك يَا رَبّنَا لَا غَيْرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ عَلَى طَاعَتك، وَعَلَى أُمُورنَا كُلّهَا، وَقَالَ قَتَادَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾: يَأْمُركُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أُمُوركُمْ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَة، وَالِاسْتِعَانَة وَسِيلَة إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَام، وَالْحَزْم تَقْدِيم مَا هُوَ الْأَهَمّ، فَالْأَهَمّ، وَاَللَّه أَعْلَم .

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٥٦، وتقدم.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥، وتقدم.

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى النُّون فِي قَوْله تَعَالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَإِنْ كَانَتْ لِلْجَمْع فَالدَّاعِي وَاحِد، وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّعْظِيمِ، فَلَا يُنَاسِب هَذَا الْمَقَام، وَقَدْ أُجِيبَ بِأَنَّ الْمُرَاد مِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَار عَنْ جِنْس الْعِبَاد، وَالْمُصَلِّي فَرْد مِنْهُمْ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي جَمَاعَة، أَوْ إِمَامهمْ، فَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسه، وَعَنْ إِخْوَانه الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِبَادَةِ الَّتِي خُلِقُوا لِأَجْلِهَا، وَتَوَسَّطَ لَهُمْ بِخَيْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَجُوز أَنْ تَكُون لِلتَّعْظِيمِ، كَأَنَّ الْعَبْدَ قِيلَ لَهُ: إِذَا كُنْت دَاخِل الْعِبَادَة، فَأَنْتَ شَرِيف، وَجَاهك عَرِيض فَقُلْ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَإِنْ كُنْت خَارِج الْعِبَادَة، فَلَا تَقُلْ نَحْنُ، وَلَا فَعَلْنَا، وَلَوْ كُنْت فِي مِائَة أَلْف، أَوْ أَلْف أَلْف لِاحْتِيَاجِ الْجَمِيع إِلَى اللَّه ﷻ، وَفَقْرهمْ إِلَيْهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ أَلْطَف فِي التَّوَاضُع مِنْ إِيَّاكَ عَبْدنَا؛ لِمَا فِي الثَّانِي مِنْ تَعْظِيم نَفْسه، مِنْ جَعْله نَفْسَهُ وَحْده أَهْلًا لِعِبَادَةِ اللَّه تَعَالَى الَّذِي لَا يَسْتَطِيع أَحَد أَنْ يَعْبُدهُ حَقّ عِبَادَته، وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَلِيق بِهِ، وَالْعِبَادَة مَقَام عَظِيم يُشَرَّف بِهِ الْعَبْد لِانْتِسَابِهِ إِلَى جَنَاب اللَّه تَعَالَى، كَمَا قَالَ بَعْضهمْ :

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدهَا فَإِنَّهُ أَشْرَف أَسْمَائِي

وَقَدْ سَمَّى اللَّه رَسُولَهُ ﷺ بِعَبْدِهِ فِي أَشْرَف مَقَامَاته، فَقَالَ : ﴿الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[الكهف: ١]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[الإسراء: ١]، فَسَمَّاهُ عَبْدًا عِنْد إِنْزَاله عَلَيْهِ، وَعِنْدَ قِيَامه فِي الدَّعْوَة، وَإِسْرَائِهِ بِهِ، وَأَرْشَده إِلَى الْقِيَام بِالْعِبَادَةِ فِي أَوْقَات يَضِيق صَدْره مِنْ تَكْذِيب الْمُخَالِفِينَ؛ حَيْثُ يَقُول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٧- ٩٩] [(١)].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك وحدك بالعبادة، والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك،

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٦.

ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك، وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده، و«العبادة» اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، و«الاستعانة» هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك، والقيام بعبادة الله، والاستعانة به، هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله ﷺ، مقصودا بها وجه الله، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر «الاستعانة» بعد «العبادة» مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى؛ فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي»[(١)].

وقال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: «﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾: أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى تَحْقِيقِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ: نَفْيٌ، وَإِثْبَاتٌ، فَالنَّفْيُ: خَلْعُ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَالْإِثْبَاتُ: إِفْرَادُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى النَّفْيِ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ الَّذِي هُوَ «**إِيَّاكَ**»، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ فِي مَبْحَثِ دَلِيلِ الْخِطَابِ الَّذِي هُوَ مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ، وَفِي الْمَعَانِي فِي مَبْحَثِ الْقَصْرِ: أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ مِنْ صِيَغِ الْحَصْرِ، وَأَشَارَ إِلَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: «**نَعْبُدُ**»، وَقَدْ بَيَّنَ مَعْنَاهَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ هُنَا مُفَصَّلًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ الْآيَةَ [البقرة: ٢١]، فَصَرَّحَ بِالْإِثْبَاتِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿**اعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾، وَصَرَّحَ بِالنَّفْيِ مِنْهَا فِي آخِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ فَصَرَّحَ بِالْإِثْبَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾، وَبِالنَّفْيِ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ**

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فَصَرَّحَ بِالنَّفْيِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، وَبِالْإِثْبَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيْ: لَا نَطْلُبُ الْعَوْنَ إِلَّا مِنْكَ وَحْدَكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ وَحْدَكَ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُ مَعَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِتْيَانُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْمُشَارُ إِلَيْهِ هُنَا جَاءَ مُبَيَّنًا وَاضِحًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ الْآيَةَ [هود: ١٢٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الْآيَةَ [التوبة: ١٢٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، «إياك»: مفعول به مقدم، وعامله: «نعبد»، وقُدِّم على عامله لإفادة الحصر، فمعناه: لا نعبد إلا إياك، وكان منفصلاً لتعذر الوصل حينئذ، و«نعبد» أي: نتذلل لك أكمل ذلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلاً لله عز وجل: يسجد على التراب، تمتلئ جبهته من التراب، كل هذا ذلاً لله، ولو أن إنساناً قال: «أنا أعطيك الدنيا كلها، واسجد لي» ما وافق المؤمن أبداً؛ لأن هذا الذل لله عز وجل وحده، و«العبادة» تتضمن فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه؛ لأن من لم يكن كذلك، فليس بعابد: لو لم يفعل المأمور به، لم يكن عابداً حقاً، ولو لم يترك المنهي عنه لم يكن عابداً حقاً، العبد: هو الذي

(١) أضواء البيان، ١/ ١٠٣.

يوافق المعبود في مراده الشرعي، فـ«العبادة» تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أُمر به، وأن يترك كل ما نُهي عنه، ولا يمكن أن يكون قيامه هذا بغير معونة الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نستعين إلا إياك على العبادة، وغيرها، و«الاستعانة» طلب العون، والله ﷻ يجمع بين العبادة، والاستعانة، أو التوكل في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل، إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه»[1].

٦- ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالصَّادِ، وَقُرِئَ السِّرَاطَ، وَقُرِئَ بِالزَّايِ، قَالَ الْفَرَّاءَ: وَهِيَ لُغَةُ بني عذرة وبني كلب؛ لما تقدم الثناء على المسؤول تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَاسَبَ أَنْ يُعَقَّبَ بِالسُّؤَالِ، كَمَا قَالَ: «**فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ، أَنْ يَمْدَحَ مسؤوله، ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ، وَأَنْجَعُ لِلْإِجَابَةِ، وَلِهَذَا أَرْشَدَ الله إِلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَكْمَلُ.

وَقَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ حَالِ السَّائِلِ، وَاحْتِيَاجِهِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القَصَص: ٢٤]، وَقَدْ يَتَقَدَّمُهُ مَعَ ذلك وصف المسؤول، كَقَوْلِ ذِي النُّونِ: ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول كقول الشاعر:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

وَالْهِدَايَةُ هَاهُنَا الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تَعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا، كَمَا ههُنَا ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فَتَضَمَّنُ مَعْنَى: أَلْهِمْنَا، أَوْ وَفِّقْنَا، أَوِ ارْزُقْنَا، أَوِ اعْطِنَا، ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد: ١٠]، أَيْ بَيَّنَّا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدْ تعَدَّى بِـ(إِلَى)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النَّحل: ١٢١]، ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّات: ٢٣]،

(١) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ١٥.

وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ [الْأَعْرَاف: ٤٣]، أَيْ: وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا.

وَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم، فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فيه، وكذلك فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جرير بن عطية الخطفي:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ ... إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمُ

قَالَ: وَالشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، قَالَ: ثُمَّ تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ الصِّرَاطَ، فَتَسْتَعْمِلُهُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وُصِفَ بِاسْتِقَامَةٍ، أَوِ اعْوِجَاجٍ، فَتَصِفُ الْمُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَتِهِ، وَالْمُعْوَجَّ بِاعْوِجَاجِه،

ثُمَّ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ، وَالْخَلَفِ فِي تَفْسِيرِ الصِّرَاطِ، وَإِنْ كَانَ يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمُتَابَعَةُ لِلَّهِ، وَلِلرَّسُولِ، فَرُوِيَ أَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ، «وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»، وَقَدْ رُوِيَ هذا موقوفاً عن علي رضي الله عنه، وَهُوَ أَشْبَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللَّهِ، وَقِيلَ هُوَ الإسلام، قال الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، يَقُولُ: اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ، وَهُوَ دين اللَّه الذي لا اعوجاج فِيهِ[2].

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: ذَاكَ الْإِسْلَامُ[3].

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي

---

(١) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٢، برقم ١٧٥.
(٢) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٧، والحاكم، ٢/ ٢٥٨.
(٣) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٤، برقم ١٨٠.

صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالُوا: هُوَ الْإِسْلَامُ[(١)].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرٍ ﴿اهْدِنَا الصراط المستقيم﴾ قال: هو الْإِسْلَامُ، قَالَ: هُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[(٢)].

وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قَالَ: هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ[(٣)]، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿اهْدِنَا الصراط المستقيم﴾ قال: هو الإسلام[(٤)]، وفي معنى هَذَا حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِراطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»[(٥)].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: الْحَقُّ، وَهَذَا أَشْمَلُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ[(٦)].

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ عَاصِمٌ: فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلْحَسَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَنَصَحَ[(٧)].

---

(١) المرجع السابق، برقم ١٦٨، ١٨٢، والحاكم، ٢/ ٢٥٨.
(٢) تفسير ابن جرير، ٢/ ٢٥٨- ٢٥٩.
(٣) تفسير ابن جرير، برقم ١٨١.
(٤) تفسير ابن جرير، برقم ١٨٥.
(٥) مسند أحمد، ٢٩/ ١٨١، برقم ١٧٦٣٤، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٢٨٥٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٥٩٢، برقم ٢٣٤٨.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم، برقم ٣٥.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم، ١/ ٣٠، وتفسير الطبري، ١/ ١٧٥، وحلية الأولياء، ٢/ ٢١٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١/ ٣٩ إلى عبد بن حميد، وَابْن جريج، وَابْن أبي حَاتِم، وَابْن عدي، وَابْن عَسَاكِر.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ؛ فإن من اتبع الإسلام، فقد اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَاقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَدِ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَقَدِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[١].

وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ الَّذِي تَرَكَنَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[٢].

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عِنْدِي، أَعْنِي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ، وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ مِنْ قَوْلٍ وعمل، ذلك هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ من الصراط المستقيم»[٣].

فإن قيل: فكيف يَسْأَلُ الْمُؤْمِنُ الْهِدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ لَا، وَلَوْلَا احْتِيَاجُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي تَثْبِيتِهِ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَرُسُوخِهِ فِيهَا، وَتَبَصُّرِهِ، وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يُمِدَّهُ بِالْمَعُونَةِ، وَالثَّبَاتِ، وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنه قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَلَا سِيَّمَا الْمُضْطَرُّ

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢١.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٩٩، برقم ١٠٤٥٤.
(٣) تفسير الطبري، ١/ ١٧١.

الْمُحْتَاجُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النِّسَاء: ١٣٦]، فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ ذلك من باب تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّبَاتُ، وَالِاسْتِمْرَارُ، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وَقَدْ كَانَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَقْرَأُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سِرًّا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسْتَمِرَّ بِنَا عَلَيْهِ، وَلَا تعدل بنا إلى غيره[1].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: دُلّنا، وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق، والعمل به، فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية، وأنفعها للعبد؛ ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو اللَّه به في كل ركعة من صلاته؛ لضرورته إلى ذلك»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: «الصراط» فيه قراءتان: بالسين: «السراط»، وبالصاد الخالصة: «الصراط»، والمراد بـ«الصراط» الطريق؛ والمراد بـ«الهداية» هداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فأنت بقولك: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تسأل اللَّه تعالى علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، و«المستقيم» أي: الذي لا اعوجاج فيه»[3].

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.
(٣) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ١٧.

٧- ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، قَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِيمَا إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إِلَى آخِرِهَا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سأل» وقوله تعالى: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مُفَسِّرٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْهُ عِنْدَ النُّحَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يكون عطف بيان، والله أعلم، والذين أنعم الله عَلَيْهِمْ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً * ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ [النِّسَاء: ٦٩- ٧٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَرَأَ الْجُمْهُورُ (غَيْرِ) بِالْجَرِّ على النعت، يعني: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ، وَهُمْ: أَهْلُ الْهِدَايَةِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَزَوَاجِرِهِ غَيْرِ صراط المغضوب عليهم، وهم الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ، وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ، وَهُمُ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ، فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الحق، وأكد الكلام بـ(لا) لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ، وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وجِيءَ بِـ(لَا) لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كُلٌّ مِنْهُمَا، فَإِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْيَهُودُ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْيَهُودِ، وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ استحق الغضب، بخلاف مَنْ لَمْ يَعْلَمْ، وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا، لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ الْحَقِّ، ضَلُّوا، وَكُلٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، لَكِنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْيَهُودِ الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٠]، وَأَخَصُّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾ [الْمَائِدَة: ٧٧].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هُمُ الْيَهُودُ، وَلَا الضَّالِّينَ هُمُ النَّصَارَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، ﴿ولا الضالين﴾: النَّصَارَى، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَلَا أَعْلَمُ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذَا اخْتِلَافًا[(١)].

وقال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا، ففيه شبه من النصارى، فمن تعبّد على الجهالة، أشبه النصارى، ومن خالف العلم أشبه اليهود، فهذا يكون له نصيبه من الغضب، وهذا يكون له نصيب من الضلال، نسأل اللَّه العافية»[(٢)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّحِيحُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُغْتَفَرُ الْإِخْلَالُ بِتَحْرِيرِ مَا بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ؛ لِقُرْبِ مخرجيهما، وذلك أن الضاد مخرجها مِنْ أَوَّلِ حَافَّةِ اللِّسَانِ، وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ، وَمَخْرَجُ الظَّاءِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا؛ وَلِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْحَرْفَيْنِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَجْهُورَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الرِّخْوَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الْمُطْبَقَةِ؛ فَلِهَذَا كُلِّهِ اغْتُفِرَ اسْتِعْمَالُ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ لِمَنْ لَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا حَدِيثُ: «**أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ**»، فلا أصل له، واللَّه أعلم»[(٣)].

وقال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثير من الناس قد يتكلف في الضاد، والظاء، والمؤلف يبين أن الأمر في هذا واسع؛ لأن مخرجيهما متقارب، فيغتفر تحرير ذلك في غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فلا ينبغي التشديد في ذلك»[(٤)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَعَلَى

---

(١) تفسير ا كثير، ١/ ٢٢٨.
(٢) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ١٩٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢٨.
(٤) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢٠١.

ذِكْرِ الْمَعَادِ، وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ، وقوتهم، وإلى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، أَوْ نَظِيرٌ، أَوْ مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حتى يفضي بهم بذلك إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ، والصديقين، والشهداء الصالحين، وَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكِ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، وَالضَّالُّونَ، وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وَحَذْفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المُجَادَلَة: ١٤]، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بِقَدَرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً﴾ [الكَهْف: ١٧]، وَقَالَ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ، وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تقول الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ، وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ مِنْ أَنَّ العباد هم الذين يختارون ذلك، ويفعلون، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحاً فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[1]، يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عِمرَان: ٧]، فَلَيْسَ، بِحَمْدِ اللَّهِ، لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، مُفَرِّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ، وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»[2].

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٥٤٧، ومسلم، برقم ٢٦٦٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢٨.

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، **فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة**: توحيد الربوبية، يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتوحيد الإلهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿اللَّهِ﴾، ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ ﴿الْحَمْدُ﴾ كما تقدم، وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وأن الجزاء يكون بالعدل؛ لأن الدين معناه الجزاء بالعدل، وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية، بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع، والضلال في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأنه معرفة الحق، والعمل به، وكل مبتدع، وضال، فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادةً، واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالحمد لله رب العالمين»[1].

ويستحب لمن يقرأ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا آمِينَ، مِثْلَ يس، ويقال: أمين بالقصر أيضاً، ومعناه: اللهم استجب، والدليل على استحباب التأمين حديث وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَالَ آمِينَ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، وَلِأَبِي دَاوُدَ: رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: آمِينَ، حَتَّى يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨.

(٢) مسند أحمد، ٣١/ ١٤٦، برقم ١٨٨٥٤، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٩٧٢، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٨، وسنن النسائي، ٩٣٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٨٦٣.

(٣) سنن أبي داود، ٩٣٤، وسنن ابن ماجه، ٨٥٣، وصححه الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٢/ ١٩٦.

وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ خَارِجُ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْمُصَلِّي، وَسَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِدًا، أَوْ إِمَامًا، أَوْ مَأْمُومًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)]، وَلِمُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)].

قِيلَ: بِمَعْنَى مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ فِي الزَّمَانِ، وَقِيلَ: فِي الْإِجَابَةِ، وَقِيلَ: فِي صِفَةِ الْإِخْلَاصِ.

وقال **الإمام ابن باز** رحمه الله: «والصواب...أنه الزمان، فإذا توافقا في الزمان، صار هذا من أسباب المغفرة»[(٣)].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا: «**وَإِذْ قَالَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧]، **فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ**»[(٤)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْيَهُودُ فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ، كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ**»[(٥)]، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَلَفْظُهُ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[(٦)].

قال **الإمام ابن باز** رحمه الله: «والصواب أن الكل يجهر: الإمام، والمأموم، يجهرون، وهكذا المنفرد إذا صلى وحده؛ كونه مريضاً أو فاتته الصلاة مع الجماعة في الجهرية»[(٧)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٨٠.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٤١٠.
(٣) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢٠٧.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٤٠٤.
(٥) مسند أحمد، ٤١/ ٤٨١، برقم ٢٥٠٢٩، وصححه محققو المسند. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٤١، برقم ٥١٥.
(٦) سنن ابن ماجه، برقم ٨٥٦، وصححه محققو المسند. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٤١، برقم ٥١٥.
(٧) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢١٠.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: وَمِنْ هُنَا نَزَعَ بَعْضُهُمْ فِي الدَّلَالَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ * قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يُونُس: ٨٨- ٨٩]، فَذَكَرَ الدُّعَاءَ عَنْ مُوسَى وَحْدَهُ، وَمِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَارُونَ أَمَّنَ، فَنَزَلَ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما**﴾، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ أَمَّنَ عَلَى دُعَاءٍ، فَكَأَنَّمَا قَالَهُ»[(١)][(٢)].



(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٣٤.

(٢) حرر يوم الإثنين، ٢٨/ ١/ ١٤٣٩هـ.

٢ -سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- قوله تعالى: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] العَمَه: الضَّلَالُ، يُقَالُ: عَمِهَ فُلَانٌ يَعْمَه عَمَهًا وعُمُوهًا: إِذَا ضَلَّ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فِي ضَلَالِهِمْ، وَكُفْرِهِمُ الَّذِي غَمَرَهُمْ دَنَسُه، وعَلاهم رجْسه، يَتَرَدَّدُونَ حَيَارَى ضُلاَّلاً، لَا يَجِدُونَ إِلَى الْمَخْرَجِ مِنْهُ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ عَنِ الْهُدَى وَأَغْشَاهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَمَى فِي الْعَيْنِ، وَالْعَمَهُ فِي الْقَلْبِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْعَمَى فِي الْقَلْبِ».

٢-وقوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

الْأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ الخفيُّ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاة سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ ... وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ[١]، والأنداد: العُدَلَاءَ والشُرَكَاءَ[٢].

٣-وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤].

قيل: حجارة من كبريت ، وهي أشد الأحجار حرّاً إذا حميت، وقيل: الأحجار هي الأصنام التي تعبد من دون اللَّه، ولا مانع أن المعنى أيضاً: أنها حجارة من كبريت، بالإضافة إلى الأصنام[٣].

٤-وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَّا﴾[البقرة:٢٦].

أَيْ: لَا يَسْتَنْكِفُ، وَقِيلَ: لَا يَخْشَى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا، أَيْ: مَثَلٍ كَانَ، بِأَيِّ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٤.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٤.
(٣) انظر: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص ٣٢.

شَيْءٍ كَانَ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَ«مَا» هَاهُنَا لِلتَّقْلِيلِ، كَمَا تَقُولُ: لَأَضْرِبَنَّ ضَرْبًا مَا، فَيَصْدُقُ بِأَدْنَى شَيْءٍ[١].

٥-قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦].

«فَالْفَاسِقُ: يَشْمَلُ الْكَافِرَ وَالْعَاصِيَ، وَلَكِنَّ فسق الْكَافِرِ أَشَدُّ وَأَفْحَشُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْفَاسِقُ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٢].

٦-وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:٢٧].

«الْخَاسِرُونَ: جَمْعُ خَاسِرٍ، وَهُمُ النَّاقِصُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَحُظُوظَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللَّهَ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَمَا يَخْسَرُ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ بِأَنْ يُوضَعَ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ فِي بَيْعِهِ»[٣]، والخاسرون: أي الخاسرون في الآخرة.

٧-وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:٢٨].

كُنْتُمْ تُرَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ، ثُمَّ أَحْيَاكُمْ فَخَلَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ فَتَرْجِعُونَ إِلَى الْقُبُورِ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهَذِهِ مَيْتَتَانِ وَحَيَاتَانِ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

قوله: ﴿رَغَداً﴾ [البقرة: ٣٥]: أي: هنيئاً واسعاً طيباً.

٨-قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٣٥].

وعَنْ أَبِي ذرٍ: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ آدَمَ، أَنَبِيًّا كَانَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، نَبِيًّا رَسُولًا كَلَّمَهُ اللَّهُ قِبَلاً» [يعني عياناً][٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١١.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٣٣، والحديث «رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ١/١٠من طريق أبي عمر الشامي، عن عبيد الخشخاش، =

وقد سمعت شيخنا ابن باز يذكر أن آدم نبي رسول؛ لأن الله كلمه، وأرسله إلى ذريته. والله أعلم.

وذِكْر ابن كثير في تفسيره هذا الحديث، ولم يذكر أقوالاً، فكأنه يختار أنه نبي رسول، والله أعلم.

٩-وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤].

كُلٌّ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَفِعْلِهِ وَاجِبٌ، لَا يَسْقُطُ أَحَدُهُمَا بِتَرْكِ الْآخَرِ عَلَى أَصَحّ قَوْلَي الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، والواجبُ على الآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَفْعَلَهُ، مع مَنْ أمرهُمْ بِهِ، قال الله تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

١٠-قوله تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧].

أي: فَضَّلهم عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَلَا يَجوزُ حمل المعنى أنه فضَّلهم على مَنْ قَبْلَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَبْلَهُمْ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كافةِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ بَعْدَهُمْ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وأمته خير الأمم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٠].[1]

١١-قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[البقرة:٤٩].

أي: يديمون عذابكم، وقيل: «يوردونكم، ويذيقونكم، ويولونكم سوء العذاب»[2].

=

عن أبي ذر بنحوه، ورواه أبو الشيخ في العظمة، برقم ١٠١٦من طريق جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أمامة، عن أبي ذر بنحوه، ورواه أحمد في المسند، ٣٦/ ٦١٩، برقم ٢٢٢٨٨ مِنْ طَرِيقِ عَلِيّ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أمامة مرفوعاً بنحوه»، وهو حديث طويل وفيه: «قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «آدَمُ»، قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَوَ نَبِيٌّ كَانَ آدَمُ قَالَ: «نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ قُبْلًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»، وضعفه محققو المسند، وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٩/ ٥٨: «منكر».

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٥٨.

١٢-قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[البقرة:٥٧].

المنّ: قيل: الطل، يشبه الرّبَّ الغليظ يشبه المربَّى اليوم، وهو نوع من الحلوى، فهذا القول: إنه الطل: يشبه الرب الغليظ، وقيل المنّ: ينزل مثل الثلج، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهُ كُلُّ مَا امْتَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ عَمَلٌ وَلَا كَدٌّ، فَالْمَنُّ الْمَشْهُورُ إِنْ أُكِلَ وَحْدَهُ كَانَ طَعَامًا وَحَلَاوَةً، وَإِنْ مُزِجَ مَعَ الْمَاءِ صَارَ شَرَابًا طَيِّبًا، وَإِنْ رُكِّبَ مَعَ غَيْرِهِ صَارَ نَوْعًا آخَرَ، وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ وَحْدَهُ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ما رواه الْبُخَارِيّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[(١)]»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿... وَالسَّلْوَى﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «السَّلْوَى طَائِرٌ شَبِيهٌ بالسُّمَّانى، كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ»[(٣)].

١٣-وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٥٨].

اختلف المفسرون في تعيين هذه القرية، وأصح الأقوال: أنها بيت المقدس، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

١٤-قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[البقرة:٥٨]: أَيْ: باب بيت المقدس؛ ركعاً، وذلك شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ، وَرَدِّ بَلَدِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَإِنْقَاذِهِمْ مِنَ التِّيهِ وَالضَّلَالِ[(٤)].

١٥-قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[البقرة:٥٩].

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ (الرِّجْزِ) يَعْنِي بِهِ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٤٧٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٦٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٧١.
(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٧٤.

الْعَـذَابَ». «وَهَكَـذَا رُوِيَ عَـنْ مُجَاهِـدٍ، وَأَبِـي مَالِـكٍ، وَالسُّـدِّيِّ، وَالْحَسَـنِ، وَقَتَادَةَ، أَنَّهُ الْعَذَابُ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الرِّجْزُ: الْغَضَبُ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: الرِّجْزُ: إِمَّا الطَّاعُونُ، وَإِمَّا الْبَرْدُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الطَّاعُونُ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ -يَعْنِي ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ- عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، رضي الله عنهم، قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الطَّاعُونُ رِجْز عَذَابٌ عُذِّب بِهِ من كان قبلكم**»[1].

١٦- قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا**﴾[البقرة:٦١]، قيل: مصراً من الأمصار، وقيل: مصر فرعون، ورجح ابن كثير أن المعنى مصر من الأمصار[2]، وكذلك رجحه البغوي[3]، والسعدي[4].

١٧- قوله تعالى: ﴿**والصَّابِئِينَ**﴾[البقرة:٦٢]: ذكر **الإمام ابن كثير** رحمه الله: الأقوال فيهم، ثم قال: «وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَمُتَابِعِيهِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ، وَلَا النَّصَارَى، وَلَا الْمَجُوسِ، وَلَا الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ، وَلَا دِينٌ مُقَرَّرٌ لَهُمْ يَتْبَعُونَهُ وَيَقْتَفُونَهُ»[5].

١٨- قوله: ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[البقرة:٧٤]، قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ بَعْدَ الْإِجْمَاعِ عَلَى اسْتِحَالَةِ كَوْنِهَا لِلشَّكِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: (أَوْ) هَاهُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، تَقْدِيرُهُ: فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ وَأَشَدُّ قَسْوَةً»[6].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٧٧، والحديث رواه مسلم، برقم ٩٧- (٢٢١٨).
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٨١.
(٣) تفسير البغوي، ١/ ١٢٣.
(٤) تفسير السعدي، ص ٥٣.
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٨٧.
(٦) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٠٥.

وليست (أو)بمعنى (بل)»[١].

١٩-قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:٧٩].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: شِدَّةُ الْعَذَابِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سُيِّرَتْ فِيهِ جِبَالُ الدُّنْيَا لَانْمَاعَتْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ»[٢].

وقال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وَالْوَيْلُ: الْهَلَاكُ وَالدَّمَارُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي اللُّغَةِ، وَالْوَيْلُ: الْهَلَاكُ وَالدَّمَارُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي اللُّغَةِ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ فَيَّاضٍ: سَمِعْتُ أَبَا عِيَاضٍ يَقُولُ: وَيْلٌ: صَدِيدٌ فِي أَصْلِ جَهَنَّمَ.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ. الْوَيْلُ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سُيِّرَتْ فِيهِ الْجِبَالُ لماعت.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: الْوَيْلُ: السَّعِيرُ مِنَ الْعَذَابِ، وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الْوَيْلُ: شِدَّةُ الشَّرِّ»[٣].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «والويل: شدة العذاب والحسرة، وفي ضمنها الوعيد الشديد»[٤].

٢٠-قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨]، وقوله: **﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء:٤٦].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيَكْفُرُونَ بِأَكْثَرِهِ، أَيْ: فَقَلِيلٌ يُؤْمِنُونَ، وَنَصْبُ قَلِيلًا بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَ(مَا) صِلَةٌ عَلَى قَوْلِهِمَا، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: مَعْنَاهُ لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا، وَلَا كَثِيرًا، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلْآخَرِ: مَا أَقَلَّ مَا تَفْعَلُ كَذَا، أَيْ: لَا تَفْعَلُهُ أَصْلًا»[٥].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «قَالَ بَعْضُهُمْ: فَقَلِيلٌ مِنْ يُؤْمَنُ مِنْهُمْ ... وَقِيلَ:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٥.
(٢) تفسير البغوي - طيبة (١/ ١١٥)
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٣١١.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٦.
(٥) تفسير البغوي، ١/ ١٢٠.

فَقَلِيلٌ إِيمَانُهُمْ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَلَكِنَّهُ إِيمَانٌ لَا يَنْفَعُهُمْ، لِأَنَّهُ مَغْمُورٌ بِمَا كَفَرُوا بِهِ مِنَ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُمْ كَانُوا غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿**فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾، وَهُمْ بِالْجَمِيعِ كَافِرُونَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ، تُرِيدُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: تَقُولُ الْعَرَبُ: مَنْ زَنَى بِأَرْضٍ قَلَّمَا تُنْبِتُ، أَيْ: لَا تُنْبِتُ شَيْئًا»[1].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقليلا المؤمن منهم، أو قليلا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير»[2].

٢١-قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة:٩٠].

«فقوله: ﴿**بَغْيًا**﴾ أَيْ: حَسَدًا، وَأَصْلُ الْبَغْيِ: الْفَسَادُ، وَيُقَالُ: بَغَى الْجُرْحُ إِذَا فَسَدَ، وَالْبَغْيُ: الظُّلْمُ، وَأَصْلُهُ الطَّلَبُ، وَالْبَاغِي طَالِبُ الظُّلْمِ، وَالْحَاسِدُ يَظْلِمُ الْمَحْسُودَ جَهْدَهُ، طَلَبًا لِإِزَالَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ»[3].

٢٢-قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٩٤-٩٥].

عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لَوْ تَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ لَمَاتُوا»[4].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ»[1]، «عَنِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٨.

(٣) تفسير البغوي، ١/ ١٢١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١/ ١٧٧.

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٣١.

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنْ رأيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَآتِيَنَّهُ حَتَّى أطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: «لَوْ فعلَ لأخَذته الملائكةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تمنَّوا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا»[١]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

٢٣-قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧-٩٨].

سبب النزول أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: نسألك عن خلال لا يعلمهن إلا نبي، فأخذ النبي ﷺ العهد والميثاق لئن أخبرهم لَيتابِعُنَّه فأعطوه المواثيق... وأسوقه بالمعنى،: فأخبرهم بأن يعقوب مرض مرضًا شديدًا... فنذر لله نذرًا لئن عافاه اللَّه من سقمه ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب الشراب إليه شرب ألبانها، وأخبرهم أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد، والشبه بإذن اللَّه عز وجل، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل، وأخبرهم أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، وأخبرهم أن وليَّه جبريل، ولم يبعث اللَّه نبيًا قط إلا وهو وليُّه، فقالوا: نفارقك... إنه عدونا، فأنزل اللَّه. الآية..[٢].

وفي صحيح البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ رضي الله عنه، وفيه: «**وأما أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ**

---

(١) أخرجه أحمد، ٤/ ٩٨، برقم ٢٢٢٥، و مسند أبي يعلى الموصلي، ٤/ ٤٧١، برقم ٢٦٠٤، وقال المحقق: «إسناده صحيح»، وذكره ابن كثير، ٢/ ٥٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٣٦، وقال المحقق: «إسناده حسن»، وهو عند ابن جرير، ٢/ ٣٧٧- ٣٨٠.

أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا»[١].

٢٤-قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ الآية [البقرة:١٠٢].

«اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ (مَا) نَافِيَةٌ، أَعْنِي التِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (مَا) نَافِيَةٌ، وَمَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ﴾، أَي: السِّحْرُ ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ -لَعَنَهُمُ اللَّهُ- كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نزل بِهِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ»[٢]، أي: ما أنزل الله السحر على الملكين.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ شَرَعَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ، وَأَنَّ (مَا) بِمَعْنَى الذِي، وَأَطَالَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ، وَادَّعَى أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مَلَكَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَذِنَ لَهُمَا فِي تَعْلِيمِ السِّحْرِ اخْتِبَارًا لِعِبَادِهِ وَامْتِحَانًا، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لِعِبَادِهِ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَنْهَى عَنْهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وَادَّعَى أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مُطِيعَانِ فِي تَعْلِيمِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمَا امْتَثَلَا مَا أُمِرَا بِهِ.

وَهَذَا الذِي سَلَكَهُ غَرِيبٌ جِدًّا! وَأَغْرَبُ مِنْهُ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ قَبِيلَانِ مِنَ الْجِنِّ، كَمَا زَعَمَهُ ابْنُ حَزْمٍ!.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادِهِ. عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ﴾ وَيَقُولُ: هُمَا عِلْجَانِ مِنْ أَهْلِ بَابِلَ، وَوَجَّه أصحابُ هَذَا الْقَوْلِ الْإِنْزَالَ بِمَعْنَى الخَلْق، لَا بِمَعْنَى الْإِيحَاءِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ...وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْوَقْفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وَ(مَا) نَافِيَةٌ... وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُمَا كَانَا مَلَكَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُمَا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٣٨، وهو في صحيح البخاري، برقم ٣٣٢٩، ورقم ٣٣٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٥٠.

أُنْزِلَا إِلَى الْأَرْضِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ»[١]، والعلم عند الله تعالى.

وصحح البغوي قول من قال: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى امْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَمَنْ شَقِيَ يَتَعَلَّمُ السِّحْرَ مِنْهُمَا، وَيَأْخُذُهُ عَنْهُمَا، وَيَعْمَلُ بِهِ، فَيَكْفُرُ بِهِ، وَمِنْ سَعِدَ يَتْرُكُهُ، فَيَبْقَى عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَزْدَادُ الْمُعَلِّمَانِ بِالتَّعْلِيمِ عَذَابًا، فَفِيهِ ابْتِلَاءٌ لِلْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، وَلِلَّهِ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ، فَلَهُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ»[٢]، وما يعلمان من أحد حتى ينصحاه، والعلم عند الله تعالى.

٢٥-قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾[البقرة:١٠٦].

النسخ: رفع الحكم بدليل شرعي متأخر، فيندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل، والأثقل بالأخف[٣].

٢٦-قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:١١٢].

قال سعيد بن جبير: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص، ﴿وَجْهَهُ﴾ قال: دينه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متبع فيه الرسول ﷺ، فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابًا موافقا للشريعة»[٤].

٢٧-قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[البقرة:١١٣].

قيل: أمم كانت قبل اليهود والنصارى.

وقيل: العرب، قالوا: ليس محمد على شيء.

وقيل: قالت النصارى مثل قيل اليهود.

واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع، وليس ثمَّ دليل قاطع

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٥٢.

(٢) تفسير البغوي، ١/ ١٢٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٨٥.

يعين واحدًا من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى، والله أعلم»[(١)].

٢٨-قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[البقرة:١١٤].

اختلف المفسرون في المراد بالذين منعوا مساجد الله:

الأول: النصاري، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.

الثاني: هو بُخْتَنَصَّر وأصحابه، خَرَّب بيت المقدس، وأعانه على ذلك النصارى.

الثالث: أنهم المشركون الذين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وبين أن يدخلوا مكة.

واختار ابن جرير القول الأول، واختار ابن كثير القول الثاني، فقال: والذي يظهر والله أعلم القول الثاني»[(٢)].

واختار السعدي أن ذلك عام في النصارى وغيرهم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، وفي المشركين من العرب حينما منعوا رسول الله ﷺ يوم الحديبية من دخول مكة، وفي أصحاب الفيل[(٣)].

٢٩-قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة:١١٥].

قيل: قبلة الله، وقيل: رضى الله.

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء تقريره على تفسير البغوي، الآية عامة، فالله ﷻ قبل وجه المصلي أينما كان العبد والعرب تعبِّر بالوجه عن الشخص كله، فوجه الله أمام العبد إذا صلى وقبلته إذا اجتهد في استقبال القبلة[(٤)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إثبات الوجه لله تعالى على الوجه اللائق به

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٣٨٧.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٣٨٧.
(٣) انظر: تفسير السعدي ص ٦٣.
(٤) انظر: تفسير البغوي، ١/ ١٣٩، وتفسير ابن كثير، ١/ ٣٩١.

تعالى، وأن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه»[1].

٣٠-قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة:١١٦].

القنوت: قيل: مصلُّون، وقيل: مطيعون، وقيل مقرون بالعبودية.

وسمعت **شيخنا ابن باز** : أثناء تقريره على تفسير البغوي يقول: والصواب في قوله: ﴿كل له قانتون﴾: معناه: الذل والخضوع لله، أما الذل أو الخضوع الاختياري فهو خاص بالمؤمنين[2].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة، فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾»[3].

٣١-قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١].

«قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَيَقْرَأَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَلَا يُحَرِّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يَتَأَوَّلَ مِنْهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»[4].

٣٢-قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

ابتلى الله إبراهيم فاختبَرهُ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فقام بهن كلهن ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، أَيْ:

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ١/ ٢٨٩، وابن كثير، ١/ ٣٩٧.

(٣) تفسير السعدي، ص ٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٠٣.

وَفَّى جَمِيعَ مَا شَرَعَ لَهُ، فَعَمِلَ بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وسلامه عَلَيْهِ[١].

أما نوع الكلمات فقد ذكر فيها أقوالاً كثيرة، والصواب فيها كما قال شيخنا ابن باز في تقريره على تفسير البغوي[٢]، قال: «المقصود أن الله ابتلاه بأشياء الله أعلم بها، ولا يجزم بها إلا بخبر صحيح، وأخبار بني إسرائيل لا تُكذّب ولا تُصدّق».

٣٣-قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا سَأَلَ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَة مِنْ فِي ذُرِّيَّتِهِ من بعده، فَأُجِيبُ إِلَى ذَلِك، وَأُخْبِرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ظَالِمُونَ، وَأَنَّهُ لَا يَنَالُهُمْ عَهْدُ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُون أَئِمَّة، فَلَا يُقْتَدَى بِهِمْ، ولم يجْعَل اللَّه إِمَامًا ظَالِمًا يُقْتَدَى بِهِ، والإمامة في الدين لا ينالها من ظلم نفسه، وضرها، وحط من قدرها؛ لمنافاة الظلم لهذا المقام؛ فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ودل مفهوم الآية على أن غير الظالم سينال الإمامة، ولكن مع الإتيان بأسبابها[٣].

وقال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء تقريره على تفسير البغوي[٤]: «والمعنى أن الظالمين لا يكونون أئمة في الهدى والتقوى».

٣٤-قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[آل عمران:٩٧].

«وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو؟ ...عن ابن عباس: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: مقام إبراهيم: الحرم كله»[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: فمقام إبراهيم هذا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٠٥.
(٢) تفسير البغوي، ١/١١١.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ١/ ١١٢، وتفسير ابن كثير، ١/ ٢٨٨، وتفسير السعدي، ص ٥٩.
(٤) ١/ ١١٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٤١٣.

الذي في المسجد، قاله ابن عباس[(١)].

٣٥-قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[البقرة:١٢٥]، قال البخاري[(٢)]: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾: يثوبون: يرجعون»[(٣)].

فائدة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ»[(٤)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»[(٥)].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وهذا -والله أعلم- إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء في صحيح البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»[(٦)].

قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ .. ﴾ الآية [البقرة:١٣٦] الأسباط: قيل بني يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسمَّوا الأسباط[(٧)] وقال البخاري: الأسباط قبائل بني إسرائيل وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ها هنا: شعوب بني إسرائيل وما أنزل من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم[(٨)].

٣٦-قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «أَيْ: يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ، وَقَالَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٤١٣.
(٢) صحيح البخاري، ١/ ٨٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٤١٢.
(٤) البخاري، برقم ١٥٩١، ومسلم، برقم ٢٩٠٩.
(٥) البخاري، برقم ١٥٩٥.
(٦) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٤١، صحيح البخاري، برقم ١٥٩٣.
(٧) تفسير ابن كثير، ٢/١٠٣.
(٨) تفسير ابن كثير، ٢/١٠٤.

الزَّجَّاجُ: يُحِبُّونَ الْأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللَّهِ»[(١)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا، أَيْ: أَمْثَالًا وَنُظَرَاءَ، يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ، وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ»[(٢)].

٣٧-قوله تعالى: ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[البقرة:١٨٧].

«قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وشُرَيح الْقَاضِي، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءٌ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَالْحَكَمُ بْنُ عُتْبَةَ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ: يَعْنِي الْوَلَدَ»[(٣)].

«وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿**وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ يَعْنِي: الْجِمَاعُ...وقَالَ: لَيْلَةَ الْقَدْرِ... وعَنْ قَتَادَةَ...: مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ... وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْآيَةَ أَعَمُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ»[(٤)].

وسمعت **شيخنا ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء تقرسره على تفسير البغوي لهذه الآية يقول: «الآية تعم ابتغاء الولد، والعمل الصالح، وطلب ليلة القدر».

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى، والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية، وإعفاف فرجه، وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح، ومما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها، وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك»[(١)].

٣٨-قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ**

---

(١) تفسير البغوي، ١/ ١٧٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٧٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٥١٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٥١٢، وانظر: تفسير البغوي، ١/ ٢٠٧.
(١) تفسير السعدي، ص: ٨٧.

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠].

«عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾** قَالَ: هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَهُ، وَيَكُفُّ عَمَّنْ كَفَّ عَنْهُ حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءَةٍ وَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ حَتَّى قَالَ: هَذِهِ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** [سورة: ٥]، وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: **﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾** إِنَّمَا هُوَ تَهْيِيجٍ وَإِغْرَاءٌ بِالْأَعْدَاءِ الَّذِينَ همّتهم قِتَالُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، أي: كما يُقَاتِلُونَكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ أَنْتُمْ، كَمَا قَالَ: **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾** [التوبة: ٣٦]؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾**»[(١)].

وسمعت **شيخنا ابن باز** رحمه الله يقول أثناء تقريره على تفسير البغوي[(٢)]: «الجهاد في سبيل اللَّه والدعوة إليه واجب، فإذا كان المسلمون أقوياء فيطلبون الكفار في قعر دارهم، ويغزونهم ويدعونهم إلى اللَّه تعالى وتوحيده، فإن أبوا طلبوا منهم الجزية، فإن أبوا قاتلوهم.

أما إذا كان المسلمون ضعفاء، لا يستطيعون الغزو سقط عنهم الغزو، ولكن يجب عليهم الدفاع فقط، فيدافعوا، ويقاتلوا من قاتلهم، ويتركوا من تركهم، واختار ذلك ابن تيمية».

٣٩-قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥].

ذكر **الإمام ابن كثير** رحمه الله في ذلك أقوالاً، منها:

١- الإلقاء باليد إلى التهلكة: الإمْسَاك عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذكره عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من التابعين.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٢٣.

(٢) ١/ ١٦١.

٢- وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الْبُخْلُ.

٣- وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنْ يُذْنِبَ الرَّجُلُ الذَّنْبَ، فَيَقُولُ: لَا يُغْفَرُ لِي.

٤- وقيل: كان رِجَالٌ يَخْرُجُونَ فِي بُعُوثٍ يَبْعَثُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِغَيْرِ نَفَقَةٍ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَضْمُونُ الْآيَةِ: الأمرُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي سَائِرِ وُجوهِ الْقُرُبات، وَوُجوهِ الطَّاعَاتِ، وَخَاصَّةً صرف الْأَمْوَالِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وبذلهَا فِيمَا يَقْوَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ تَرْكِ فِعْلِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ هَلَاكٌ، وَدَمَارٌ إِنْ لَزِمَهُ وَاعْتَادَهُ»[٢].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجباً، أو مقارباً لهلاك البدن، أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك، ترك الجهاد في سبيل اللَّه، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة، أو سفر مخوف، أو محل مسبعة، أو حيات، أو يصعد شجراً، أو بنياناً خطراً، أو يدخل تحت شيء فيه خطر، ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة: الإقامة على معاصي اللَّه، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر اللَّه به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين»[١].

٤٠-قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ...﴾ [البقرة:١٩٦].

«اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ رحمهم الله هَلْ يُخْتَصُّ الْحَصْرُ بِالْعَدُوِّ، فَلَا يَتَحَلَّلُ إِلَّا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٥٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٣٠.

(١) تفسير العلامة السعدي، ص: ٩٠.

مَنْ حَصَرَهُ عَدُو، لَا مَرَضٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

القول الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ أَبِي نَجِيح، وَمُجَاهِدٍعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا حَصْرَ إِلَّا حصرُ الْعَدُوِّ، فَأَمَّا مَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ أَوْ ضَلَالٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**فَإِذَا أَمِنتُمْ**﴾ فَلَيْسَ الْأَمْنُ حَصْرًا.

قَالَ: وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَطَاوُسٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، نَحْوُ ذَلِكَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ الْحَصْرَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بعدُوّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ ضَلَالٍ - وَهُوَ التَّوَهان عَنِ الطَّرِيقِ - أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ... عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**من كُسر أَوْ عَرِج، فَقَدْ حَلَّ، وَعَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى**»[(١)] ...وَأَخْرَجَهُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَهْ: «**مَنْ عَرَجَ، أَوْ كُسر، أَوْ مَرِض**» فَذَكَرَ مَعْنَاهُ...وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَلْقَمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٍ، وَالنَّخَعِيِّ، وَعَطَاءٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، أَنَّهُمْ قَالُوا: الْإِحْصَارُ مِنْ عَدُوٍّ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ كَسْرٍ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: الْإِحْصَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آذَاهُ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى ضُبَاعة بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ وَأَنَا شَاكِيَةٌ. فَقَالَ: «**حُجّي وَاشْتَرِطِي: أَنَّ مَحِلِّي حيثُ حبَسْتَني**»[(٢)]، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمِثْلِهِ»[(٢)].

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول أثناء تقريره على تفسير البغوي: «والصواب أن الآية عامة في العدو، وغيره من مرض ونحوه... والصواب أنه لا قضاء عليه إن سبق وقد حج حجة الإسلام، والعمرة كذلك»[(٣)].

---

(١) مسند أحمد، ٢٤/ ٥٠٨، برقم ١٥٧٣١، وابن أبي شيبة، برقم (٨٥) ، ومن طريقه ابن ماجه، برقم ٣٠٧٧، وأبو داود، برقم ١٨٦٢، والنسائي برقم ٢٨٦١، وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٦٢٧.

(٢) البخاري، برقم ٥٠٨٩.

(١) مسلم، برقم ١٢٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٣٣.

(٣) ١/ ١٦٨، و١٦٩.

واختار العلامة السعدي في تفسيره أن الآية عامة في العدو، والمرض، والضلالة، ونحو ذلك من أنواع الحصر[(١)].

ورجح العلامة الشنقيطي رحمه الله القول بأن الإحصار بالعدو فقط[(٢)].

والصواب ما تقدم، والله أعلم.

٤١-قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:١٩٦].

«أجمع العلماء عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْحَرَمِ مَعْنِيُّون بِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُتْعَةَ لَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْحَرَمِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ...

وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ وَمَنْ بَيْنه وَبَيْنَ الْمَوَاقِيتِ... وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيّ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ لَا تُقْصَر مِنْهَا الصَّلَاةُ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يُعَدُّ حَاضِرًا لَا مُسَافِرًا»[(٣)].

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على تفسير البغوي[(٤)] يقول: «الأقرب أن حاضري المسجد الحرام هم أهل مكة الذين يسكنون الحرم، أما من كان خارج الحرم، فليس من سكان الحرم، فإذا كان أقل من مسافة قصر، كأهل أم السلم، أو الشرائع، فالأحوط له أن يهدي إذا تمتع خروجاً من الخلاف».

٤٢-قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة:٢٠١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «فَجَمَعَتْ هَذِهِ الدعوةُ كلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، وصرَفت كُلَّ شَرٍّ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا تشملُ كُلَّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيّ، مِنْ عَافِيَةٍ، وَدَارٍ رَحْبَةٍ، وَزَوْجَةٍ حَسَنَةٍ، ورزْقٍ وَاسِعٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَرْكَبٍ هَنِيءٍ، وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عبارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا، فَإِنَّهَا كُلَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِي الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا. وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فِي الْآخِرَةِ فَأَعْلَى ذَلِكَ

(١) انظر: تفسير السعدي، ص: ٩٠.
(٢) انظر: أضواء البيان، ١/ ٧٨- ٨٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٤٠.
(٤) ١/ ١٧١.

دُخُولُ الْجَنَّةِ وَتَوَابِعُهُ مِنَ الْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي العَرَصات، وَتَيْسِيرِ الْحِسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ الصَالِحِةِ، وَأَمَّا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَالْآثَامِ وَتَرْكِ الشُّبَهَاتِ وَالْحَرَامِ ...

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ ربَّنا، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وقنا عذاب النار**»[1]، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارَ مِثْلَ الفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاه؟**»، قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! لَا تُطِيقُهُ -أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- فَهَلَّا قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ، فَشَفَاهُ»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»[3].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه»[1].

---

(١) في صحيح مسلم: سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «**اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ»، مسلم، برقم ٢٦٩٠، وفي البخاري عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» صحيح البخاري، برقم ٤٥٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٥٨.والحديث رواه مسلم، برقم ٢٦٨٨.

(٣) سنن أبي داود، برقم ١٨٩٢، وصحيح ابن خزيمة، برقم ٢٧٢١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٦/ ١٤١، برقم ١٦٥٣.

(١) تفسير السعدي، ص: ٩٢.

٤٣-قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة:٢١٦].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقه، وَيُعْطِيهِ عَطَاءً كَثِيرًا جَزِيلًا بِلَا حَصْرٍ وَلَا تَعْدَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ[1]»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، قَالَ النبي ﷺ: «...**أَنْفِقْ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**»[3]، وقال اللَّه تعالى: **﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** [سبأ:٣٩]، وفي الصحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[4].

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**»[5].

وفي مسند أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ**»[1].

٤٤-قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[البقرة:٢١٣]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَآدَمَ، عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا،

(١) البخاري، برقم ٤٦٨٤، ومسلم، برقم ٩٩٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٦٨.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ١٠/ ١٥٥ ، برقم ١٠٣٢٢، وفي الأوسط، ٣/ ٨٦، برقم ٢٥٧٥، والبزار، ٤/٢٠٤، برقم ١٣٦٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، ١٠/ ٤٣٠، برقم ٦٠٤٠، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦، برقم ١٣٦٢، وجوّد إسناده محقق مسند أبي يعلى، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٣٤٧، ٢٦٦١.
(٤) البخاري، برقم ١٤٤٢، ومسلم، برقم ١٠١٠.
(٥) صحيح مسلم، برقم ٢٩٥٩، وبرقم ١٩٥٨ بلفظ: عَنْ مطرف عن أبيه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾، قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**».
(١) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٨٠، برقم ٢٤٤١٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٣/ ١٨٥، ومصنف ابن أبي شيبة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، ٧/ ٢٤٣، برقم ٣٥٧٠٧، وضعفه محققو المسند، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب، ٤/ ٨٦، والزين العراقي في المغني عن حمل الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء، ٢/ ٨٧٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٨٨: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ دُوَيْدٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ».

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»[(١)].

وسمعت **شيخنا ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء تقريره على تفسير البغوي [(٢)]، يقول: كان نوح أول نبي بعث، أي بعد وقوع الشرك، وإلا فآدم المعروف أنه نبي رسول؛ لأنهم في عهده كانوا أمة على شريعة»[(٣)].

٤٥-قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢١٩].

عن عُمَرَ أنَّه قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّن لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ التِي فِي الْبَقَرَةِ: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾**، فدُعِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقرئتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التِي فِي النِّسَاءِ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾**[النِّسَاءِ: ٤٣]، فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى: أَلَّا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سكرانُ، فدُعِي عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدَعِي عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ: **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** [الْمَائِدَةِ: ٩١]؟ قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنَا، انْتَهَيْنَا»[(١)].

٤٦-قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩].

العفو: ما فضل عن الأهل، فقوله: العفو: يعني الفضل، أي: ما زاد على الحاجة[(٢)].

٤٧-قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا

---

(١) تفسير الطبري، ٤/ ٢٧٥، برقم ٤٠٤٨، وأخرجه الحاكم، ٢/ ٥٤٦، ٥٤٧.

(٢) ١/ ١٨٦.

(٣) وانظر: تفسير البغوي، ١/ ١٨٤، وتفسير ابن كثير، ٢/ ٢٧٨، وأضواء البيان، للشنقيطي، ١/ ٢٨٥- ٢٨٦، فقد تكلم بكلام وافٍ شافٍ، وقد نقلته عند قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يعني موسى ومحمداً، عليهما الصلاة والسلام، وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه [ابن كثير، ١/ ٤٢٨]، وسيأتي التفصيل في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] في أضواء البيان، ١/ ٢٨٥ إن شاء الله تعالى.

(١) مسند أحمد، ١/ ٤٤٢، برقم ٣٧٨، وأبو داود، برقم ٣٦٧٠، والترمذي، برقم ٣٠٤٩، وسنن النسائي، برقم ٥٥٤٠، والحاكم ٤ / ١٤٣، وصحح الحاكم إسناده، ووافقه الذهبي، وأحمد شاكر في تعليقه على المسند، ١/ ٣٢٢، والألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٢٥٥، تفسير ابن كثير، ١/ ٥٧٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٩٢، وتفسير البغوي، ١/ ١٩٣.

افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩].

«وَقَدِ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فِي أَنَّهُ: هَلْ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُفَادِيَهَا بِأَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا؟ فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ ... وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «وَأَجَازَ عُثْمَانُ الْخُلْعَ دُونَ عِقَاصِ رَأْسِهَا»[(١)] ...

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا كُلَّ مَا بِيَدِهَا مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَلَا يَتْرُكُ لَهَا سِوَى عِقَاصِ شَعْرِهَا. وَبِهِ يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، وَعُثْمَانُ الْبَتِّيُّ. وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي ثَوْرٍ، وَاخْتَارَهُ ابن جرير.

وقال الإمام أحمد، وأبو عبيد، وإسحاق بن رَاهْوَيْهِ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا، وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءٍ، وَعَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَطَاوُسٍ، وَالْحَسَنِ، وَالشَّعْبِيِّ، وَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ...

وَيُسْتَدَلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قِصَّةِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا الْحَدِيقَةَ وَلَا يَزْدَادَ»[(٢)].

واخْتَلَفَ العلماء فِي الْخُلْعِ: يكون طلاقاً، أو فسخاً على قولين:

القول الأول: الخلع ليس بطلاق، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ تَطْلِيقَتَيْنِ، ثُمَّ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ بَعْدُ، يَتَزَوَّجُهَا إِنْ شَاءَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ قَرَأَ إِلَى: ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ أَجَازَهُ الْمَالُ فَلَيْسَ بِطَلَاقٍ.

وَرُوِي عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَأَلَهُ فَقَالَ: رَجُلٌ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ تَطْلِيقَتَيْنِ ثُمَّ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ، أَيَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، لَيْسَ الْخُلْعُ بِطَلَاقٍ، ذَكَرَ اللَّهُ الطَّلَاقَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ وَآخِرِهَا، وَالْخُلْعَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ الْخُلْعُ بِشَيْءٍ،

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٥٢٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٦١٧، وانظر: أضواء البيان، فقد نقل كلام ابن كثير، هذا ١/ ٢٧١. والحديث أخرجه البخاري، برقم ٥٢٧٣.

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية.

وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما -مِنْ أَنَّ الْخُلْعَ لَيْسَ بِطَلَاقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فَسْخٌ - هُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، وَهُوَ قَوْلُ طَاوُسٍ، وَعِكْرِمَةَ. وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الظَّاهِرِيُّ. وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ فِي الْقَدِيمِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: الخلعُ طَلَاقٌ بَائِنٌ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، ودليل ذلك قصة أُمِّ بَكْرٍ الْأَسْلَمِيَّةِ: أَنَّهَا اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، فَأَتَيَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: تَطْلِيقَةٌ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ سَمَّيْتَ شَيْئًا فَهُوَ مَا سَمَّيْتَ، وضَعَّفَ الشافعي، والإمام أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَذَا الْأَثَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالْحَسَنُ، وَعَطَاءٌ، وَشُرَيْحٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ، وَأَبُو حنيفة، وأصحابه، والثوري، والأوزاعي، وعثمان التبي، وَالشَّافِعِيُّ فِي الْجَدِيدِ. غَيْرَ أَنَّ الْحَنَفِيَّةَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ مَتَى نَوَى الْمُخَالِعُ بِخُلْعِهِ تَطْلِيقَةً أَوِ اثْنَتَيْنِ أَوْ أَطْلَقَ فَهُوَ وَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ. وَإِنْ نَوَى ثَلَاثًا فَثَلَاثٌ. وَلِلشَّافِعِيِّ قَوْلٌ آخَرُ فِي الْخُلْعِ، وَهُوَ: أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَكُنْ بِلَفْظِ الطَّلَاقِ، وَعُرِّيَ عَنِ النِّيَّةِ فَلَيْسَ هُوَ بِشَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ[(١)].

وسمعت **شيخنا ابن باز** رحمه الله أثناء تقريره على تفسير البغوي [(١)]مال إلى هذا القول، وقال: إن في الحديث: «اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة»، وإن أخذ المال ولم يتلفظ بالطلاق، فإن نيته الفراق، فهو طلاق». والعلم عند الله تعالى.

ورجّح هذا القول **العلامة الشنقيطي** في أضواء البيان، وهو أن الخلع يعتبر طلاقاً[(٢)].

«وَلَيْسَ لِلْمُخَالِعِ أَنْ يُرَاجِعَ الْمُخْتَلِعَةَ فِي الْعِدَّةِ بِغَيْرِ رِضَاهَا عِنْدَ الْأَئِمَّةِ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٦١٨.
(١) ١/٢٠٨.
(٢) أضواء البيان، ١/ ٢٦٩- ٢٧١.

الْأَرْبَعَةِ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ مَلَكَتْ نَفْسَهَا بِمَا بَذَلَتْ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ»[١].

واختلف العلماء في عدة المختلعة على قولين:

القول الأول: ذَهَبَ مَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُمَا، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ؛ إِلَى أَنَّ الْمُخْتَلِعَةَ عِدَّتُهَا عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، إِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَحِيضُ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَعُرْوَةُ، وَسَالِمٌ، وَأَبُو سَلَمَةَ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنُ شِهَابٍ، وَالْحَسَنُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَأَبُو عِيَاضٍ، وجُلاس بْنُ عَمْرٍو، وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدٍ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ. وَمَأْخَذُهُمْ فِي هَذَا أَنَّ الْخُلْعَ طَلَاقٌ، فَتَعْتَدُّ كَسَائِرِ الْمُطَلَّقَاتِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا تَعْتَدُّ بِحَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ تَسْتَبْرِئُ بِهَا رَحِمَهَا»[٢].

واختلف العلماء في المخالعة هل يلحقها طلاق من خالعها بعد الخلع على ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

١- الأول: لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا قَدْ مَلَكَتْ نَفْسَهَا وَبَانَتْ مِنْهُ، وَبِهِ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وغيرهما... وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغيرهما.

٢- الثَّانِي: قَالَ مَالِكٌ: إِنْ أَتْبَعَ الْخُلْعَ طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ سُكُوتٍ بَيْنَهُمَا وَقَعَ، وَإِنْ سَكَتَ بَيْنَهُمَا لَمْ يَقَعْ.

٣-الثَّالِثُ: أَنَّهُ يَقَعُ عَلَيْهَا الطَّلَاقُ بِكُلِّ حَالٍ مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابه»[١].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّالِثُ بِحَسَبِ النَّظَرِ أَبْعَدُ الْأَقْوَالِ ؛ لِأَنَّ الْمُخَالَعَةَ بِمُجَرَّدِ انْقِضَاءِ صِيغَةِ الْخُلْعِ تَبِينُ مِنْهُ، وَالْبَائِنُ أَجْنَبِيَّةٌ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا طَلَاقٌ ؛

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير،١/ ٦١٩، وتكلم العلامة الشنقيطي على ذلك كلاماً نفيساً في كتابه أضواء البيان، ١/ ٢٧٣- ٢٧٧.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٦٢١، وقد فصل في ذلك.

لِأَنَّهُ لَا طَلَاقَ لِأَحَدٍ فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»[(١)].

«وأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ لِلْمُخْتَلِعِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِرِضَاهَا فِي الْعِدَّةِ»[(٢)].

٤٨-قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة:٢٣٨].

اختلف اختلافاً كثيراً في صلاة الوسطى ما هي، والصواب ما دلت عليه السنة أنها صلاة العصر، فعن علي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا**»، ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ: الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ»[(٣)].

٤٩-قوله: تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة:٢٣٨].

القنوت جاء على عدة معانٍ: الخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت، والسكون، وإقامة الطاعة، قال الحافظ ابن حجر : «ذَكَرَ ابن الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْقُنُوتَ وَرَدَ لِعَشَرَةِ مَعَانٍ، فَنَظَمَهَا شَيْخُنَا الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ فِيمَا أَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ إِجَازَةً غَيْرَ مَرَّةٍ:

وَلَفْظُ الْقُنُوتِ اعْدُدْ مَعَانِيَهُ تَجِدْ	مَزِيدًا عَلَى عَشْرِ مَعَانِي مَرْضِيَّهْ
دُعَاءُ خُشُوعٍ وَالْعِبَادَةُ طَاعَةٌ	إِقَامَتُهَا إِقْرَارُهُ بِالْعُبُودِيَّهْ
سُكُوت صَلَاة وَالْقِيَام وَطوله	كَذَاك دوام الطَّاعَة الرَّابِح الْقُنْيَّهْ»[(١)]

وسمعت **شيخنا ابن باز** رحمه الله أثناء تقريره على تفسير البغوي[(٢)]،يقول: «القنوت: الطاعة، وقيل السكوت، وقيل: خاشعين، وقيل: طول القيام، وقيل: داعين، وقيل: مصلين، والمقصود الطاعة، ويدخل فيها كل ذلك، وكل مقام له مقال... وطول القيام أفضل مع طول القراءة، وكثرة السجود أفضل مع قلة القراءة».

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٤٨.
(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٤٩.
(٣) مسند أحمد، ٢/ ٢٤٠، برقم ٩١١، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، برقم ٦٢٧، تفسير ابن كثير، ١/ ٦٤٨. وفي روايات أخرى: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ؛ مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا** »، أَوْ قَالَ: «**حَشَا اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا** ».
(١) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٤٩١، وصلاة المؤمن بتفصيل، ١/ ٤٧٣، وتفسير البغوي، ١/ ٢٢١..
(٢) ١/٢٢١.

والمقصود أن القنوت له عدة معانٍ يدل على كل معنى السياق الذي ورد من أجله، والله أعلم[(١)].

٥٠-قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[البقرة:٢٣٩].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما أمر الله تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات، والقيام بحدودها وَشَدَّدَ الْأَمْرَ بِتَأْكِيدِهَا ذَكَرَ الْحَالَ الَّتِي يَشْتَغِلُ الشَّخْصُ فِيهَا عَنْ أَدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَهِيَ حَالُ الْقِتَالِ وَالْتِحَامِ الْحَرْبِ فَقَالَ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أَيْ: فَصَلُّوا عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا: يعني: مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها...»[(٢)]، والمعنى: رجالاً على أقدامهم، أو ركباناً على دوابهم، قال البخاري: «بَابُ الصَّلاَةِ عِنْدَ مُنَاهَضَةِ الحُصُونِ وَلِقَاءِ العَدُوِّ»[(٣)].

وسمعت شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء تقريره على تفسير البغوي[(٤)] يقول: «الصلاة رجالاً وركباناً في الحرب، ويجوز تأخير الصلاة إذا التحم القتال كما فعل النبي ﷺ في الأحزاب، وكما فعل الصحابة في تستر»[(١)].

٥١-قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: يَعْنِي: مُوسَى وَمُحَمَّدًا ﷺ وَكَذَلِكَ آدَمَ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ حِينَ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الأنبياء في السموات بِحَسْبِ تَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

قَالَ العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَكْلِيمُ آدَمَ الْوَارِدُ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٤١، وتفسير البغوي، ١/ ٢٢١، وصلاة المؤمن، ١/ ٤٧٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٥٥.
(٣) صحيح البخاري، ٢/ ١٥، قبل الحديث رقم ٩٤٥.
(٤) ١/ ٢٢١.
(١) وانظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٠٨، وتفسير البغوي، ١/٢٢١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٧٠، وانظر: صحيح ابن حبان، ١/ ٢٣٦، برقم ٤٨.

يُبَيِّنُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ؛ فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَيَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ نَهْيُ حَوَّاءَ عَنِ الشَّجَرَةِ عَلَى لِسَانِهِ، فَهُوَ رَسُولٌ إِلَيْهَا بِذَلِكَ.

قَالَ الإمام الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، مَا نَصُّهُ: وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ آدَمَ أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ هُوَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ ...»[(١)]، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]، فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَا نَصُّهُ: لِأَنَّ آدَمَ كَانَ هُوَ النَّبِيَّ ﷺ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالرَّسُولُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَى وَلَدِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا وَهُوَ، الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، أَيْ: رُسُلٌ ا.هـ. مَحَلُّ الْحُجَّةِ مِنْهُ بِلَفْظِهِ، وَفِيهِ وَفِي كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ الْمُتَقَدِّمِ عَنْ صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ آدَمَ رَسُولٌ»[(٢)].

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ مُشْكِلٌ مَعَ مَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوَّلُ الرُّسُلِ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، [النساء: ١٦٣]، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلْجَمْعِ إِلَّا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ آدَمَ أُرْسِلَ لِزَوْجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَنُوحٌ أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ فِي الْأَرْضِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْجَمْعِ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَيَقُولُ: «وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»[(١)]، الْحَدِيثَ. فَقَوْلُهُ: «إِلَى أَهْلِ الأرض» لَوْ لَمْ يُرِدْ بِهِ الِاحْتِرَازَ عَنْ رَسُولٍ بُعِثَ لِغَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، لَكَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ حَشْوًا، بَلْ يُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ مُخَالَفَتِهِ مَا ذَكَرْنَا. وَيَتَأَنَّسُ لَهُ بِكَلَامِ ابْنِ عَطِيَّةَ الَّذِي قَدَّمْنَا نَقْلَ الْقُرْطُبِيِّ لَهُ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ آدَمَ أُرْسِلَ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُمْ

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ٤٣١، برقم ٢١٥٤٦، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد،٢/ ٤٧٣، ومحققو المسند، ٣٥/ ٤٣٢.

(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٥٤.

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٤٧٦، وصحيح مسلم، برقم ١٩٣.

كُفْرٌ فَأَطَاعُوهُ، وَنُوحٌ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ لِقَوْمٍ كَافِرِينَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [يونس: ١٩] الْآيَةَ، أَيْ: عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ، أَيْ حَتَّى كَفَرَ قَوْمُ نُوحٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ»[١].

وقد تقدم في فوائد قول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة ٢١٣]، أن **شيخنا ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان نوح أول نبي بعث، أي بعد وقوع الشرك، وإلا فآدم المعروف أنه نبي رسول؛ لأنهم في عهده كانوا أمة على شريعة»[٢].

٥٢-قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عَزَّ وَجَلَّ[٣].

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى**»، وفي رواية «**فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوِ اكْتَفَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»، وفي رواية: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»، وفي رواية: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ**»[١].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «فَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِالتَّفْضِيلِ وَفِي هَذَا نَظَرٌ.

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا قَالَهُ مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُعِ.

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٥٥.

(٢) انظر ما تقدم في الآية: ٢١٣ من سورة البقرة هناك.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٦٧١.

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٤١٢، وانظر الأرقام: ٢٤١١، و٣٣٩٨، ٣٤٠٨، ٤٦٣٨، ٦٥١٧، ٦٩١٧، ٧٤٢٧، ٧٤٧٢، ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم ٢٣٧٣.

الثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا نَهْيٌ عَنِ التَّفْضِيلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَحَاكَمُوا فِيهَا عِنْدَ التَّخَاصُمِ وَالتَّشَاجُرِ.

الرَّابِعُ: لَا تُفَضِّلُوا بِمُجَرَّدِ الْآرَاءِ وَالْعَصَبِيَّةِ.

الْخَامِسُ: لَيْسَ مَقَامُ التَّفْضِيلِ إِلَيْكُمْ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَيْكُمُ الِانْقِيَادُ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ»[(١)].

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: «وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَجْوِبَةً كَثِيرَةً عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ، وَاخْتَارَ أَنَّ مَنْعَ التَّفْضِيلِ فِي خُصُوصِ النُّبُوَّةِ، وَجَوَازَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ، وَالْخُصُوصِ، وَالْكَرَامَاتِ فَقَدْ قَالَ مَا نَصُّهُ: قُلْتُ: وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَنْعَ مِنَ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاضُلَ فِيهَا، وَإِنَّمَا التَّفْضِيلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ، وَالْكَرَامَاتِ»[(٢)].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قُلْتُ: وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَنْعَ مِنَ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاضُلَ فِيهَا، وَإِنَّمَا التَّفْضِيلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْأَلْطَافِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْمُتَبَايِنَاتِ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ وَأُولُو عَزْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتُّخِذَ خَلِيلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهوَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ وَأُولُو عَزْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتُّخِذَ خَلِيلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء: ٥٥]»[(١)].

وقال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: «قُلْتُ: وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْآيِ وَالْأَحَادِيثِ مِنْ غَيْرِ نَسْخٍ، وَالْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، إِنَّمَا هُوَ بِمَا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٧١.
(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٥٦.
(١) تفسير القرطبي، ٣/ ٢٦٢.

مَنَحَ مِنَ الْفَضَائِلِ وَأَعْطَى مِنَ الْوَسَائِلِ»[(١)].

وقال: «وَاخْتَارَ ابْنُ عَطِيَّةَ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ وَجْهَ الْجَمْعِ جَوَازُ التَّفْضِيلِ إِجْمَالًا كَقَوْلِهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، وَلَمْ يُعَيِّنْ وَمَنَعَ التَّفْضِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْخُصُوصِ كَقَوْلِهِ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى**»، وَقَوْلِهِ: «**لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»[(٢)].

٥٣-قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:٢٦٢].

«يَمْدَحُ تَعَالَى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ مَنًّا عَلَى مَنْ أَعْطَوْهُ، فَلَا يَمُنُّونَ به عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَمُنُّونَ لَا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿**وَلا أَذًى**﴾ أَيْ: لَا يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِ مَكْرُوهًا يُحْبِطُونَ بِهِ مَا سَلَفَ مِنَ الْإِحْسَانِ»[(٣)].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: يفهم من هذه الآية أن من أتبع إنفاقه المن لم يحصل له هذا الثواب المذكور هنا في قوله ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ وقد صرح بهذا المفهوم في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾[البقرة: ٢٦٤][(١)].

٥٤-قال الله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾[البقرة:٢٦٥].

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم في ذلك ﴿**وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ أي: وهم متحققون ومتثبتون أن الله يجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، ونظير هذا في المعنى قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» وقيل: ﴿**وَتَثْبِيتا**﴾ أي تصديقاً ويقيناً[(٢)].

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٥٦.
(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ١/ ١٥٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٦٩٣.
(١) أضواء البيان، ١/٢٨٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٤٦٣.

٥٥-قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٦٦].

وقد فسر هذه الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما: «ضُربت مثلٌ لعملٍ» قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس لعمل، قال عمر لرجل عني يعمل بطاعة الله، ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[(١)].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله في تفسيره: «وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذاً بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل له منه شيء وخانه أحوج ما كان إليه»[(٢)].

وقال تعالى في آخر الآية: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣][(١)].

٥٦-قوله تعالى: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[البقرة:٢٦٧]، ومعنى تغمضوا فيه أي: لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه فلو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه[(٢)].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله في تفسيره: «﴿إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ الإغماض غض البصر، وأراد هنا التجويز والمساهلة، معنى لو كان على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغض له عن حقه وتركه، وقال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد روي عن البراء قال: لو أهدي

---

(١) البخاري برقم ٤٥٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٤٦٥.
(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢٦٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٦٩.

لكم ما أخذتموه إلا عن استحياء من صاحبه وغيره فيكن ترضون لي ما لا تضرون لأنفسكم»[١]. ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

٥٧-قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة:٢٧١].

أي: إن أظهرتموها فنعم شيء هي ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية، وقال الرسول ﷺ: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة**»[٢][٣].

وحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: وذكر منهم «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها** ... الحديث [٤].

٥٨-قوله تعالى: ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ [البقرة:٢٧٣].

«أي: لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه؛ فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال فقد ألحف في المسألة»[١].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ يرفعه: «**ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف اقرءوا إن شئتم ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾**»[٢].

وفي الحديث المرفوع: «**من استعف أعفَّه الله ومن استغنى أغناه الله، ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافاً**»[٣].

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله أثناء تقريره على الآية في تفسير البغوي[٤]

---

(١) تفسير البغوي ١/٢٥٥.
(٢) أخرجه أحمد ٤/١٥١ برقم ١٧٤١٧ وأبو داود، والترمذي والنسائي.
(٣) تفسير ابن كثير، ٢/٤٧٣.
(٤) أخرجه البخاري، برقم ١٤٢٣، ومسلم، برقم ١٠٣١.
(١) تفسير ابن كثير، ٢/٧٨.
(٢) البخاري برقم ٤٥٣٩ ومسلم ١٠٣٩.
(٣) أحمد في المسند ٤/١٣٨ برقم ١٧٢٨٦ وغيره وصححه محقق تفسير ابن كثير، ٢/٤٧٩.
(٤) ١/٢٦٠.

يقول: «إذا كانت تكفيه».

٥٩-قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨٠].

يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حلَّ عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي.

ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبي ﷺ بذلك.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه**»[1].

وعن أبي اليسر أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله ﷻ في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله**»[2].

٦٠-قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:٢٨٤].

عن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام، والجهاد، والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» فلما أقرَّ بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ

(١) البخاري برقم ٣٤٥١، ومسلم برقم ١٥٦٠.

(٢) مسلم برقم ٣٠١٤ وانظر: حديث ٣٠٠٦ في صحيح مسلم.

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إلى آخر الآية.

وفي رواية مسلم: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: «**قد فعلت**».

﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: «**قد فعلت**».

﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «**قد فعلت**».

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: «**قد فعلت**»[١].

٦١-قال الله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾[البقرة:٢٨٦].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء:

أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه.

وأن يستره من عباده فلا يفضحه بينهم.

وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره[٢].



(١) رواه مسلم برقم ١٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٥٢٨.

٣- سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-قال الله تعالى:﴿الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١-٢].

عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ و﴿الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ «إن فيهما اسم الله الأعظم»[١].

٢-قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[آل عمران:٧].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب: أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخرى فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن ردَّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس، ولهذا قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: تحتمل دلالاتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ، والتركيب لا من حيث المراد»[٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي واضحات الدلالة ليس شبهة ولا إشكال ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصله الذي

---

(١) أحمد في المسند ٦/٤٦١، وسنن أبي داود ١٤٩٦، وسنن الترمذي برقم ٣٤٧٨، وسنن ابن ماجه برقم ٣٨٥٥، وحسنه محققو تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٤٣٦ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٩.

يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، ومنه آيات ﴿أخر متشابهات﴾ أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم، والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريقة يصدق بعضه بعضاً ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة ولكن الناس انقسموا فيه فرقتين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل عن الاستقامة، بأن فسدت مقاصدهم وصار قصدهم الغي والضلال، وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه من قصده اتباعه [(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول اللَّه ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ **«فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى اللَّه فاحذروهم»** [(٢)].

وقد روى هذا الحديث في البخاري أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللَّه فاحذروهم»** [(٣)].

وقد ذكر **الإمام ابن كثير** رحمه الله أن الذين يتبعون ما تشابه منه: أهل البدع، ومنهم الخوارج.

٣- قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾[آل عمران:٧].

اختلف القراء في الوقف ها هنا على الجلالة، لما تقدم عن ابن عباس

(١) تفسير السعدي، ص١٢٦.
(٢) أحمد ٦/٤٨، وابن ماجه، برقم ٤٧، وصححه محققو تفسير ابن كثير، ٣/٩.
(٣) البخاري برقم ٤٥٤٧، ومسلم برقم ٢٦٦٥.

رضي الله عنهما أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء:

١-فتفسير لا يعذر أحد في فهمه.

٢-وتفسير تعرف العرب من لغاتها.

٣-وتفسير يعلمه الراسخون في العلم.

٤-وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل[(١)].

ومنهم من يقف على قول ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. ثم رد تأويل المتشابهة على ما عرفوا تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[(٢)] ومن العلماء من فصَّل في هذا المقام وقال التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه[(٣)].

وقال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ يحتمل أن المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى.

ويحتمل أن المراد به حقيقة أمره التي يؤول إليها .... ثم قال: فالغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها ... كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ الآية [يونس: ٣٩] إلى غير ذلك من الآيات، قال ابن جرير الطبري: وأصل التأويل من

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/١٣.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/١٥. وتمام كلام ابن كثير، ٣/١٥-١٦: «.. كقوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله**﴾ أي حقيقة ما أُخبروا به من أمر المعاد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنها لا يعلمها على الجلية إلا الله عز وجل وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء فالوقف ﴿**الراسخون في العلم**﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به ..».

آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه، ورجع يؤول أولاً، وأوَّلته أنا صيَّرته إليه [١].

ثم قال: اعلم إن التأويل يطلق على ثلاثة إطلاقات:

الأول: هو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن.

الثاني: يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قوله ﷺ في ابن عباس «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» وقول ابن جرير وغيره من العلماء القول في تأويل قوله تعالى: .. كذا وكذا .. أي في تفسيره وبيانه.

الثالث: هو معناه المتعارف عليه عند الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره، المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك [٢].

٤-قال الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ**﴾ **الآية** [آل عمران:١٤].

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[٣] أما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه «**وإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء**»[٤] [٥].

٥-قال الله تعالى: ﴿**وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران:٤٩].

قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام: السحر وتعظيم السحرة فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

---

(١) أضواء البيان، ١/٣٢٨-٣٢٩.

(٢) أضواء البيان، ١/٣٢٩.

(٣) البخاري، برقم ٥٠٩٦، ومسلم، برقم ٢٧٤٠.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٠٦٩ موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير ابن كثير، ٣/٢٦.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد عليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد.

وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فلم يستطيعوا أبداً، لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبداً[(١)].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤].

ومكر الله بهم حينما أرادوا قتله فألقى الله شبهه على رجل منهم فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[المائدة: ١٥٧- ١٥٨] [(٢)].

٧- قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥].

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

فقال قتادة وغيره هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك [(٣)].

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[الأنعام: ٦٠]، وقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الزمر: ٤٢] [(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٦٦.
(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ١/٣٤٢، وتفسير ابن كثير، ٣/٦٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/٦٩.
(١) تفسير ابن كثير، ٣/٦٩-٧٠، وأضواء البيان، للشنقيطي، ١/٤٢.

وقال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك إليَّ في الدنيا من غير موت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾[المائدة: ١١٨]، أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي[١].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران:٧٧].

﴿يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: يعتاضون عما عاهدوا اللَّه عليه بالأثمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة.

﴿لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾: أي: لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها.

﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لا يكلمهم اللَّه كلام لطف بهم.

﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بعين الرحمة.

﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: من الذنوب والأدناس.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفي ذلك أحاديث:

١-حديث أبي ذر رضي الله عنه يرفعه: «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قلت يا رسول اللَّه من هم خسروا وخابوا، قال: وأعاد رسول اللَّه ﷺ ثلاث مرات، قال: «**المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان**»[٢].

٢-وعن أبي ذر رضي الله عنه كان يقول: ثلاثة يحبهم الله:

-الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يُفتح لأصحابه.

-والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحنوا أن يمسّوا الأرض فينزلون فيتنحَّى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم.

-والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهم موت أو ظعن.

وثلاثة يشنؤهم الله:

-التاجر الحلاف، أو قال: البائع الحلاف.

---

(١) تفسير البغوي، ١/٣٠٨.
(٢) مسلم، برقم ١٠٦.

-والفقير المختال.

-والبخيل المنان[(١)].

وفي ذلك أحاديث كثيرة:

الأشيمط الزان.

والعائل المستكبر.

والملك الكذاب ... وغير ذلك.

«ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده. ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعني كاذباً. ورجل بايع إماماً فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له» [(٢)].

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[آل عمران:٨١].

﴿إِصْرِي﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي: يعني: عهدي.

وقيل: ﴿إِصْرِي﴾ ثقل ما حملتم من عهدي أي ميثاقي الشديد المؤكد[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[(٤)].

﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي بعهد اللَّه[(٥)].

وقيل: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن[(٦)].

وقيل: تمسكوا بدين الله.

وقيل: الجماعة: عليكم بالجماعة فإنها حبل اللَّه الذي أمر به ..

وقيل: بأمر اللَّه وطاعته[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن اللَّه يرضى لكم ثلاثاً**

---

(١) أحمد في المسند، ٥/١٤٨، وصحح إسناده محققو تفسير ابن كثير، ٣/٩٣.

(٢) أحمد ٢/٤٨٠، وأبو داود برقم ٣٤٧٤، والترمذي ١٥٩٥، والبخاري ٢٦٧٢، ومسلم ١٠٨، تفسير ابن كثير، ٣/٩٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/١٠٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ٣/١٣٤.

(٦) تفسير ابن كثير، ٣/١٣٤.

(١) تفسير البغوي، ١/٣٣٣.

ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(١)].

١٠-قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠].

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً»[(٢)].

وحديث: «عرضت عليّ الأمم ... » وفيه: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[(٣)]، ذكر ابن كثير رحمه الله أحاديث كثيرة نحو هذه الأحاديث، ثم قال: فهذه الأحاديث في معنى قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم»[(٤)].

١١-قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾[آل عمران:١١٢].

قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي: ألزمهم الله الذل والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أمان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمَّنه واحد من المسلمين لو امرأة، وكذا عبد على أحد قولي العلماء ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ أي ألزموها قدراً وشرعاً[(١)].

١٢-قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا

---

(١) مسلم، ١٧١٥.
(٢) أحمد، ٢٠٨/٥، ٢٨١، وصححه محققو تفسير ابن كثير، ١٤٥/٣.
(٣) مسلم، برقم ٢١٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٥٩/٣.
(١) تفسير ابن كثير، ١٦٠/٣.

صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران:١١٧].

قوله ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ قيل: برد شديد، وقيل: برد وجليد، وقيل: نار وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد، ولا سيما الجليد، يحرق الزرع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار، فإذا نزلت على حرث قد آن جذاده، أو حصاده، فدمرته، وأعدمت ما فيه من ثمر، وزرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه[(١)].

فكذلك الكفار، يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا، وثمرها كما يذهب ثمر هذا الحرث بذنوب صاحبه[(٢)].

١٣- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران:١١٨].

قوله بطانة: أي: يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم.

لا يألون المؤمنين خبالاً: أي: يسعون في مخالفتهم، وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويؤدون ما يعنت بالمؤمنين، ويحرجهم ويشق عليهم[(٣)].

وقوله: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخلة أمره.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء، وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله**»[(١)] [(٢)].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله في تفسيره: «﴿بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء أصفياء من غير ملتكم، وبطانة الرجل خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/١٦٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/١٦٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/١٦٤.
(١) البخاري، برقم ٦٦١١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٦٤.

ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، وقوله تعالى: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ أي: لا يقصرون، ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر، والفساد، والخبال»[١].

١٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:١٢١].

المراد بهذه الوقعة يوم أحد عند الجمهور، وكانت في يوم السبت من شوال لإحدى عشرة ليلة منه، سنة ثلاث للهجرة، واللَّه أعلم[٢]، وأما بدر، فكانت يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة[٣].

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان، وسبعون بعيراً، والباقون مشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو ما بين تسعمائة إلى ألف رجل في سوابغ الحديد، والبيض، والعدة الكاملة، والخيول المسومة، والحلي الزائد، فأعز اللَّه رسوله، وأظهر وحيه، وتنزيله[٤].

١٥- قال اللَّه تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران:١٢٤-١٢٥].

اختلف المفسرون رحمهم اللَّه في هذا الوعد: هل كان يوم بدر، أو يوم أحد على قولين:

القول الأول: إن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، واختاره ابن جرير الطبري، قال الربيع بن أنس: أمد اللَّه المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة، ثم صاروا خمسة.

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله في صدر بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ

---

(١) تفسير البغوي، ١/٣٤٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/١٧٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/١٧٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣/١٧٣.

﴿مُرْدِفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٩]، فالجواب: أن التنصيص على الألف ها هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم، وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن الملائكة إنما كانوا يوم بدر والله أعلم، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

والقول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وذلك يوم أحد، وهو قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والزهري، وموسى بن عقبة، وغيرهم، لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فروا يومئذٍ، زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾ فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد[(١)].

واختار العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أن ذلك في وقعة بدر[(٢)].

قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾.

قيل: من وجههم.

وقيل: من غضبهم ووجههم.

وقيل: من سفرهم هذا، ويقال من غضبهم هذا[(٣)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر[(٤)].

قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي: معلمين، وقيل مسومين بالعمائم، وقيل: بسيما القتال.

وجاء عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء مُعْتَجِراً بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/ ١٧٤.
(٢) تفسير السعدي، ص١٥٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ١٧٥.
(٤) تفسير السعدي، ص١٥٤.
(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٣/ ٤٠٧، و مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٤٣٧، برقم ٣٢٧٢٤، وصحح إسناده محققو تفسير ابن كثير، ٣/ ١٧٧.

وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: «معلمين بعلامات الشجعان»[(١)].

١٦-قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٥].

هذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه.

وعن حبيب بن صهبان قال: قال رجل من المسلمين، وهو حجر بن عدي: «ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة: يعني دجلة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾، ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم أقحم الناس، فلما رآهم العدو، قالوا: ديوان فهربوا»[(٢)].

١٧-قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[آل عمران:١٤٦].

قيل: ربيون كثير: جماعات.

وقيل: ربيون كثير: أي: ألوف.

وقيل: الربيون: الجموع الكثيرة قاله ابن عباس وغيره.

وقيل: ربيون كثير: أي: علماء كثير.

وقيل: الربيون: هم الذين يعبدون الله عز وجل.

وقيل: الربيون: الأتباع والرعية[(٣)].

ورجح العلامة الشنقيطي رحمه الله في قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ نائب فاعل[(١)].

١٨-قال الله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨].

يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء في الحديث عن

---

(١) تفسير السعدي، ص١٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٢٠٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/٢٠٥-٢٠٦، وانظر: أضواء البيان، ١/٣٥٢.

(١) أضواء البيان، ١/٣٥٦.

النبي ﷺ: «**من ادعى دعوى كاذبة؛ ليتكثر بها، لم يزده الله إلا قلة**»(١)، وفي الصحيحين: «**المتشبع بما لم يُعط، كلابس ثوبي زور**»(٢).

١٩-قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: يتفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق، وقدرته، وعلمه، وحكمته، واختياره، ورحمته.

قال الفضيل: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك، وسيئاتك.

وقال سفيان: الفكرة نور يدخل قلبك، ربما تمثل بهذا البيت:

إذا المـــرء كانـــت لـــه فكـــرة ... ففـــي كـــل شـــيء لـــه عبـــرة(٣)



---

(١) من حديث رواه مسلم، برقم ١١٠/١٧٦.
(٢) البخاري، برقم ٥٢١٩، ومسلم، برقم ٢١٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ٢٩٥/٣-٢٩٦.

٤ -سورة النساء

١-قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٦].

قالت عائشة رضي الله عنها: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر قيامه عليه[١].

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: «نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه، ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه»[٢].

قال الفقهاء: له أن يأكل أقل الأمرين: أجرة مثله، أو قدر حاجته، واختلفوا: هل يرد إذا أيسر على قولين:

القول الأول: لا يرده؛ لأنه أكل بأجرة عمله، وكان فقيراً، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي؛ لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل.

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده يرفعه: «**كل من مال يتيمك غير مسرف، ومبذر، ومتأثل مالاً، ومن غير أن تقي مالك**» أو قال: «**تفدي مالك بماله**»[٣].

القول الثاني: يرده؛ لأن مال اليتيم على الحظر، وإنما أبيح للحاجة، فيرد بدله، كأكل مال الغير للمضطر عند الحاجة[٤].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[النساء:٨].

اختلف في ذلك على قولين:

الأول: القول بالنسخ، وأن ذلك كان قبل نزول آية الميراث التي بعدها، ذكر ذلك ابن عباس وغيره، والآية الناسخة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾[النساء: ١١].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا مذهب جمهور الفقهاء، والأئمة الأربعة، وأصحابهم».

القول الثاني: إن الآية محكمة، وأن ذلك كان واجباً في ابتداء الإسلام،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٥٧٥.
(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره، ٣/٨٦٨.
(٣) أحمد في المسند، ٢/١٨٦، برقم ٦٧٤٧، ورقم ٧٠٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٥-٣٥٨.

وقيل مستحب، وممن قال بذلك ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[١].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١].

وقد استنبط من هذه الآية بعض الأذكياء أن اللَّه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها، حيث وصَّى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ رأى امرأة من السبي فُرِّق بينها وبين ولدها، فجعلت تدور على ولدها، فلما وجدته مع السبي أخذته فألصقته بصدرها، وأرضعته، فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار، وهي تقدر على ذلك؟**» قالوا: لا يا رسول الله، فقال: «**فوالله، لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٢][٣].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾[النساء:١١].

الأبوان لهما في الميراث أحوال:

الحالة الأولى: أن يجتمعا مع الأولاد، فيفرض لكل واحد منهما السدس، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة، فرض لها النصف، وللأبوين لكل واحد منهما السدس، وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب، فجمع له في هذه الحالة بين الفرض والتعصيب.

الحالة الثانية: أن ينفرد الأبوان بالميراث، فيفرض للأم الثلث، والحالة هذه، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب، فيكون قد أخذ ضعفي ما للأم، وهو الثلثان، فلو كان معهما، والحالة هذه، زوج أو زوجة، أخذ الزوج النصف، والزوجة الربع، ثم اختلف العلماء ما تأخذ الأم بعد فرض الزوج، أو الزوجة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تأخذ ثلث الباقي في المسألتين؛ لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة إليهما، وقد جعل اللَّه لها نصف ما جعل للأب، فتأخذ ثلث الباقي، ويأخذ الأب الباقي ثلثيه، وهو قول: عمر، وعثمان، وأصح الراويتين

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٦٠-٣٦٢.
(٢) البخاري، برقم ٥٩٩٩، ومسلم، برقم ٢٧٥٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/٣٧١.

عن علي، وبه يقول ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور العلماء رحمهم الله.

القول الثاني: أنها تأخذ ثلث جميع المال، وهذا فيه نظر، بل هو ضعيف.

القول الثالث: تأخذ ثلث جميع المال في مسألة الزوجة، وأما في مسألة الزوج، فتأخذ ثلث الباقي، وهو ضعيف أيضاً، والصحيح الأول، والله أعلم.

الحالة الثالثة: من أحوال الأبوين، وهو اجتماعهما مع الإخوة، وسواء كانوا من الأبوين، أو من الأب، أو من الأم؛ فإنهم لا يرثون مع الأب شيئاً، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، فيفرض لها مع وجودهم السدس، فإن لم يكن وارث سواهما، وسوى الأب، أخذ الأب الباقي، وحكم الأخوين فيما ذكرناه حكم الإخوة عند الجمهور، والأخوان تسمى إخوة، وقد أضروا بالأم، ولا يرثون، ولا يحجبها الأخ الواحد عن الثلث، ويحجبها ما فوق ذلك[1].

٥-قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء:١٢] .

أي: الكلالة، وهي الأخت، أو الأخ لأم[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أم، كما هو في قراءة بعض السلف، منهم سعد بن أبي وقاص، وكذا فسرها أبو بكر الصديق.

والإخوة لأم يخالفون بقية الورثة من وجوه:

الوجه الأول: أنهم يرثون مع من أدلوا به، وهي الأم.

الوجه الثاني: أن ذكورهم، وإناثهم في الميراث سواء.

الوجه الثالث: أنهم لا يرثون إلا إذا كان ميتهم يورث كلالة، فلا يرثون مع أب، ولا جد، ولا ولد، ولا ولد ابن.

الوجه الرابع: أنهم لا يزادون على الثلث، وإن كثر ذكورهم، وإناثهم.

واختلف العلماء في مسألة المشركة: وهي زوج، وأم، أو جدة، واثنان من

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٧٢-٣٧٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٣٧٨.

ولد الأم، وواحد، أو أكثر من ولد الأبوين:

فعلى قول الجمهور:

للزوج النصف.

وللأم أو الجدة السدس.

ولولد الأم الثلث، ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك، وهو إخوة الأم.

وقد وقعت هذه المسألة في زمن عمر أمير المؤمنين، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم، فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حماراً، ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم.

وعن علي بن أبي طالب: لا يشرك بينهم؛ بل يجعل الثلث لأولاد الأم، ولا شيء لأولاد الأبوين، والحالة هذه لأنهم عصبة.

وهذا قول أبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وهو المشهور عن ابن عباس، وهو مذهب أبي حنيفة، والإمام أحمد، وداود الظاهري[(١)].

٦-قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ الآية [النساء:١٥].

ذهب الإمام أحمد إلى الجمع بين الجلد، والرجم في حق الثيب الزاني.

وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني، إنما يرجم فقط من غير جلد؛ لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً، والغامدية، واليهوديين، ولم يجلدهم قبل ذلك، فدل على أن الجلد ليس بحتم، بل هو منسوخ على قولهم، والله أعلم[(٢)].

٧-قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩].

أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٢٨].

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشرة، يداعب أهله، ويتلطف بهم،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٧٨-٣٧٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٧.

ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك[(١)]، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها[(٢)].

٨-قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[النساء:٣١].

منها قول النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(٣)].

وذكر **الإمام ابن كثير** رحمه الله كبائر كثيرة بأدلة صحيحة غير هذه السبع[(٤)].

وقال رجل لابن عباس: كم الكبائر: سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار[(٥)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب»[(٦)].

وذكر عن ابن عباس أنه قال: «كل ما نهى الله عنه كبيرة»[(٧)].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنه قال: «كل شيء عصي الله فيه، فهو كبيرة»[(٨)].

قال **الإمام ابن كثير**: وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة فمن قال: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة، وقيل غير ذلك[(٩)].

وذكر ابن كثير عن أبي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي في كتابه الشرح

---

(١) مسند أحمد، ٤١/ ٤٤٧، برقم ٢٤٩٨١، وصححه محقق المسند، وسنن أبي داود، برقم ٢٥٧٨، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ٣٢٩، برقم ٢٣٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٤٠٠-٤٠١.
(٣) البخاري، برقم ٢٧٦٦، ومسلم، برقم ٢٨٧٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣/٤٥٠-٤٨٠.
(٥) رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، قال محقق تفسير ابن كثير، ٣/٤٧٢: «وإسناده صحيح».
(٦) رواه ابن جرير نقله ابن كثير، ٣/٤٧٣.
(٧) رواه ابن جرير بإسناده، ذكره ابن كثير في تفسيره، ٣/٤٧٣.
(٨) رواه بسنده عنه ابن جرير الطبري في تفسيره، ونقله ابن كثير في تفسيره، ٣/٤٧٣.
(٩) تفسير ابن كثير، ٣/٤٧٩.

الكبير- الشهير في كتاب الشهادات منه: ثم اختلف الصحابة ﷺ، فمن بعدهم في الكبائر، وفي الفرق بينها وبين الصغائر، ولبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه:

أحدها: أنها المعصية الموجبة للحد.

الثاني: أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب، أو سنة، وهذا أكثر ما يوجد لهم.

الثالث: كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة، فهي مبطلة للعدالة، نقله عن إمام الحرمين.

الرابع: كل فعل نص الكتاب على تحريمه، وكل معصية توجب في جنسها حداً من قتل، أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور، والكذب في الشهادة، والرواية، واليمين، ذكره عن القاضي أبي سعيد الهروي، هكذا ذكر ابن كثير رحمه الله هذه التعريفات للكبيرة[١].

قلت: وهذا أشمل، وأوسع، وأخطر، فظهر من مجموع التعاريف المشهورة عند أهل السنة: أن الكبيرة كل ذنب فيه حدّ في الدنيا، أو وعيد بنار، أو غضب، أو لعنة، أو نفي إيمان، أو غير ذلك، والتعريفات التي ذكرها ابن كثير توجب الحذر على العبد المسلم، والله ولي التوفيق.

٩-قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾ [النساء:٣٢].

قالت أم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[٢].

وفي رواية ابن أبي حاتم، وابن جرير: ثم أنزل الله: ﴿**أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ**

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) أحمد في المسند، ٤٤/٣٢٠، برقم ٢٦٧٣٦، والترمذي، برقم ٣٠٢٢، والحاكم، ٢/٣٠٥، برقم ٣٠٦، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ شاكر، وقال محقق تفسير ابن كثير، ٤/٥: «فثبت عندنا اتصال الحديث وصحته، والحمد لله». تفسير ابن كثير، ٤/٥.

عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ الآية[آل عمران: ١٩٥][١].

وذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: عن ابن عباس: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، قال: ولا يتمنى الرجل، فيقول: ليت لو أن لي مال فلان وأهله، فنهى اللَّه عن ذلك، ولكن ليسأل اللَّه من فضله[٢].

وكذا قال الحسن، ومحمد بن سيرين، وعطاء، والضحاك نحو هذا، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[٣]، فإن هذا شيء غير ما نهت عنه الآية، والآية نهت عن تمني عين نعمة هذا، يقول: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي: في الأمور الدنيوية، وكذا الدينية أيضاً، لحديث أم سلمة، وابن عباس، وهكذا قال عطاء بن أبي رباح: نزلت في النهي عن تمني ما لفلان، وفي تمني النساء أن يكن رجالاً فيغزون[٤].

١٠-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ [النساء:٣٣].

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ أي: ورثة، وعن ابن عباس عصبة.

ويعني بقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ من تركة والديه، وأقربائه من الميراث.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من النصر، والرفادة، والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصى له.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة، يرث المهاجري الأنصاري، دون ذوي رحمه، بالأخوة التي آخى رسول اللَّه ﷺ بينهم، فلما نزلت هذه الآية:

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٧.
(٣) البخاري، برقم ٧٣، ومسلم، برقم ٨١٦، ومصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ١٥٣، برقم ٣٠٢٨٢، واللفظ له.
(٤) رواه ابن جرير، ونقله عنه ابن كثير، ٤/ ٨.

١٠-﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، فكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل، ويقول: ترثني، وأرثك، وكان الأحياء يتحالفون، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**كل حلف كان في الجاهلية، أو عقد أدركه الإسلام، فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا عقد، ولا حلف في الإسلام**»[١]، فنسختها هذه الآية: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥]، وقد قال بالتوارث في الحلف: أبو حنيفة، وأصحابه، ورواية عن أحمد، والصحيح قول الجمهور، ومالك، والشافعي، وأحمد في المشهور عنه في قولهم: لا توارث في الحلف، وإنما كان هذا في أول الإسلام، ثم نسخ، وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر**»[٢]، أي: اقسموا الميراث على أصحاب الفروض الذين ذكرهم اللَّه في آيتي الفرائض، فما بقي بعد ذلك فأعطوه العصبة[٣].

١١-قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [النساء:٤٧].

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً﴾ طمسها: هو ردها إلى الأدبار، وجعل أبصارهم من ورائهم.

ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً، فلا يبقى لها سمع، ولا بصر، ولا أثر، ونردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار [٤].

وقد قيل: إن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية[١].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) البخاري ٦٧٣٢، ومسلم ١٦١٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٠-٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ٤/٩٧.
(١) تفسير ابن كثير، ٤/٩٨.

١٢-قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٤٩].

عن أبي بكرة، عن أبيه: أن رسول اللَّه ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل، فقال: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**»، ثم قال: «**إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل أحسبه كذا، ولا يزكي على الله أحداً**»[١].

قال عبداللَّه بن مسعود ﷺ: إن الرجل ليغدو بدينه، ثم يرجع وما معه منه شيء، يلقى الرجل ليس يملك له نفعاً، ولا ضراً، فيقول له: إنك كنت، والله كيت وكيت، فلعله أن يرجع، ولم يحظ من حاجته بشيء، وقد أسخط اللَّه، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾[٢].

ثم قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وسيأتي الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾؛ ولهذا قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: المرجع في ذلك إلى اللَّه عز وجل؛ لأنه عالم بحقائق الأمور، وغوامضها[٣].

١٣-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾الآية [النساء:٥٨].

يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة يرفعه: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»[٤].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق اللَّه عز وجل على عباده من: الصلاة، والزكاة، والصيام، والكفارات، والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد.

ومن حقوق العباد بعضهم على بعض: كالودائع، وغير ذلك مما يؤتمنون بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر اللَّه عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل

---

(١) البخاري، ٢٦٦٢، ومسلم، برقم ٣٠٠٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ١١٢-١١٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ١١٤.
(٤) مسند أحمد، ٢٤/ ١٥٠، برقم ١٥٤٢٤، وحسنه لغيره محققو المسند، وأبو داود، برقم ٣٥٣٦، وسنن الترمذي، ٣/ ٥٦٤، برقم ١٢٦٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ١٠٧، برقم ٢٤٠.

ذلك في الدنيا أخذ منه يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لتؤدّن الحقوق إلى أهلها، حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء**»(١).

١٤-قال اللَّه تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً**﴾[النساء:٦٠].

هذا إنكار من اللَّه ﷻ على من يدعي الإيمان بما أنزل على رسوله، وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ، والآية عامة في كل من تحاكم إلى غير كتاب اللَّه، وسنة رسوله؛ فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ها هنا(٢).

١٥-قال اللَّه تعالى: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ [النساء:٨٨].

قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا**﴾، أي: ردهم، وأوقعهم في الخطأ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**أَرْكَسَهُمْ**﴾ أي: أوقعهم، قال قتادة: أهلكهم، وقال السدي: أضلهم، وقوله: ﴿**بِمَا كَسَبُوا**﴾ أي: بسبب عصيانهم، ومخالفتهم الرسول، واتباعهم الباطل(٣).

١٦-قال اللَّه تعالى: ﴿**كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا**﴾ [النساء:٩١].

قوله: ﴿**أُرْكِسُوا**﴾ أي: انهمكوا فيها (٤).

وقال في الجلالين: «وقعوا أشد وقوع».

١٧-قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا**﴾ [النساء:٩٢].

الكفارة بتحرير رقبة مؤمنة في قتل الخطأ؛ لما ارتكبه من الذنب العظيم،

---

(١) مسلم، برقم ٢٥٨٢، تفسير ابن كثير، ٤/١٢٤-١٢٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/١٣٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ٤/١٨٩.
(٤) تفسير ابن كثير، ٤/١٩٨.

وإن كان خطأ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة، فلا تجزئ الكافرة، هذا **الواجب الأول** في قتل الخطأ.

الواجب الثاني: ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾، وإلا فتدفع لهم الدية عوضاً لهم عما فاتهم من قريبهم، وهذه الدية، إنما تجب على عاقلة القاتل، لا في ماله، وقال الشافعي رحمه الله: لم أعلم خلافاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة، وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها، وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية؛ لكن هذا تجب فيه الدية الخطأ أثلاثاً[(١)].

١٨- قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾** [النساء:١٠٠].

قوله: ﴿مُرَاغَماً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: التحول من أرض إلى أرض.

وقال مجاهد: متزحزحاً عما يكره.

وقال سفيان بن عيينة: ﴿مُرَاغَماً كَثِيراً﴾ بروجاً.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: والظاهر، والله أعلم، أن المراغم التمنع الذي يتحصن به، ويراغم به الأعداء.

قوله: ﴿وَسَعَةً﴾ يعني: الرزق، قاله غير واحد، ومنهم قتادة، حيث قال في قوله: ﴿يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾، أي: والله من الضلالة إلى الهدى، من القلة إلى الغنى[(٢)].

١٩- قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** [النساء:١٠١].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/١٩٥-١٩٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/٢٣١.

قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾، أي: سافرتم في البلاد.

قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن مبدأ الإسلام بعد الهجرة، كانت غالب أسفارهم مخوفة، بل ما كانوا يتهيئون إلا إلى غزو عام، أو سرية خاصة، وسائر حرب للإسلام، وأهله، وعندما أمن الناس، فعجب عمر، وسأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[(١)].

٢٠-قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ...﴾ الآية [النساء:١٠٢].

صلاة الخوف أنواع كثيرة؛ فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوبها، والصلاة تكون رباعية، وتارة ثلاثية كالمغرب، وتارة ثنائية كالصبح، وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب، فلا يقدرون على الجماعة، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها، ورجالاً وركباناً، ولهم أن يمشوا، والحالة هذه، ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة.

ومن العلماء من قال يصلون، والحالة هذه ركعة واحدة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما.

• ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال، والمناجزة، كما أخر النبي ﷺ يوم الأحزاب صلاة العصر، وقيل: والظهر، فصلاهما بعد الغروب، ثم صلى بعدهما المغرب، ثم العشاء.

وقد قال البخاري في صحيحه[(٢)]: باب الصلاة عند مناهضة الحصون، ولقاء العدو، قال الأوزاعي: إن كان تهيأ للفتح، ولم يقدروا على الصلاة، صلوا إيماء كل امرئ لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء، أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال، أو يأمنوا، فيصلوا ركعتين، فإن لم يقدروا صلوا ركعة، وسجدتين، فإن لم يقدروا لا يجزئهم التكبير، ويؤخرونها حتى يأمنوا، وبه قال مكحول.

---

(١) رواه مسلم برقم ٦٨٦، ابن كثير، ٤/٢٣٧.

(٢) البخاري مع فتح الباري، ٢/٤٣٤، قبل الحديث رقم ٩٤٥.

وقال أنس بن مالك: حضرتُ مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال، فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصلِّ إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها، ونحن مع أبي موسى، ففتح لنا، قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا، وما فيها[(١)].

وقد كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم ينكر عليهم[(٢)].

وقد كان **شيخنا ابن باز** رحمه الله يفتي بتأخير الصلاة لمن لم يقدر عليها عند اشتداد القتال، ثم تصلى بعد الفتح، ويستدل بقصة فتح تستر هذه.

٢١-قال الله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [النساء:١١٤].

قوله : ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ**﴾ يعني: كلام الناس.

قوله: ﴿**إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ أي: إلا نجوى من قال بذلك.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين**»، قال: «**وفساد ذات البين هي الحالقة**»[(٣)].

وعن أم كلثوم بنت عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً**»، وقالت: لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس، إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها[(٤)].

قوله: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾، أي: مخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك عند الله عز وجل ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ أي: ثواباً جزيلاً واسعاً[(١)].

---

(١) البخاري، قبل الحديث رقم ٩٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤/٢٤٧-٢٥٠.

(٣) مسند أحمد، ٤٥/ ٥٠٠، برقم ٢٧٥٠٨، وصحح إسناده محققو المسند، وأبو داود، برقم ٤٩١٩، والترمذي، برقم ٢٥٠٩، وقال الترمذي: «حديث صحيح»، وصححه أبو حاتم، وابن حبان في الإحسان، ١١/٥٠٩٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ١٠٧، برقم ٢٤٠.

(٤) مسلم، برقم ٢٦٠٥.

(١) تفسير ابن كثير، ٤/٢٧١-٢٧٤.

ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣][(١)].

٢٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥].

قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق، وتبين له، واتضح له.

قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً؛ فإنه قد تضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفاً لهم، وتعظيماً لنبيهم ﷺ.

قوله: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره، ونزينها له، استدراجاً له، كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام: ١١٠].

قوله : ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾، وجعل النار مصيره في الآخرة؛ لأن من خرج عن الهدى، لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة[(٢)].

٢٣-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً﴾ [النساء:١١٧].

قيل: «مع كل صنم جنيَّة»، روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وقيل: «أوثاناً»، روي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها، وقيل: لأن المشركين قالوا: الملائكة بنات اللَّه، تعالى اللَّه عن ذلك، روي عن الضحاك، وقيل: ﴿إِنَاثًا﴾، أي: موتى، روي

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ١/٤٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/٢٧٤.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: ﴿إِنَاثاً﴾ كل شيء ميت، ليس فيه روح[(١)].

قوله: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً﴾، أي: هو الذي أمرهم بذلك، حسّنه لهم، وزيّنه، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر، ﴿لعنه﴾ أي: طرده، وأبعده من رحمته[(٢)].

٢٤- قال الله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ الآية [النساء:١٢٧].

كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار، ولا البنات، وذلك كقوله: ﴿لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾[النساء: ١٢٧]، فنهى الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء: ١١]: صغيراً، أو كبيراً[(٣)].

٢٥- قال الله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤٣].

يعني بين أصحاب النبي ﷺ وبين اليهود.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيتهما تتبع**»[(٤)].

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ أي: ومن صرفه عن طريق الهدى لن تجد له ولياً مرشداً؛ فإنه من يضلل، فلا هادي له[(٥)].

٢٦- قال الله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾ [النساء:١٤٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل سلطان في القرآن حجة.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وهذا إسناد صحيح[(٦)].

٢٧- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء:١٤٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/٢٧٦-٢٧٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/٢٧٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ٤/٢٩٧.
(٤) مسلم، برقم ٢٧٨٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ٤/٣٢٠-٤٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير، ٤/٣٢٣-٣٢٤.

قال ابن عباس ﭭ: أي: في أسفل النار، وقال غيره: النار دركات، كما أن الجنة درجات.

قال أبو هريرة ﭬ: إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار في توابيت من نار، تطبق عليهم(١).

وكذا قال عبدالله بن مسعود ﭬ(٢).

٢٨-قال الله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨].

قيل: لا يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون قد ظلمه.

وقيل: رخص له أن يدعو على من ظلمه، من غير أن يعتدي عليه.

وقيل: هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افترى عليك، فلا تفتر عليه.

فعن أبي هريرة ﭬ يرفعه: «**المستبان ما قالا، فعلى البادي منهما ما لم يعتدي المظلوم**»(٣).

وقيل: هو قول الضيف: ضفت فلاناً، فلم يؤدِّ إلي حق ضيافتي، فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، حين لم يؤد إليه ضيافته.

وقيل: ومن هذا القبيل ما روى أبو هريرة ﭬ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: «**أخرج متاعك، فضعه على الطريق**»، فأخذ الرجل متاعه، فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: مالك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم أخزه، قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، والله لا أؤذيك أبداً»(٤).

٢٩-قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء:١٦٤].

قال الإمام ابن كثير ﭫ: «وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط،

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٦١٥٤/٤، قال محقق تفسير ابن كثير، ٣٢٤/٤: «إسناده صحيح».
(٢) تفسير ابن جرير، ١٠٧٤٦/٩، وقال محقق تفسير ابن كثير، ٣٢٤/٤: «وإسناده صحيح».
(٣) مسلم، برقم ٢٥٨٧.
(٤) البخاري في الأدب المفرد، ١٢٤، والحاكم في المستدرك، ١٦٥/٤، ١٦٦، وأبو داود، برقم ٥١٥٣، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، وقال محقق تفسير ابن كثير، ٣٢٩/٤: «وإسناده حسن».

وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وذا الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ»(١).

٣٠-قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء:١٧٠].

«أي: قد جاءكم محمد صلوات واللَّه، وسلامه عليه بالهدى، ودين الحق، والبيان الشافي من اللَّه ﷻ، فآمنوا بما جاءكم به، واتبعوه يكن خيراً لكم»، ثم قال: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: فهو غني عنكم، وعن إيمانكم، ولا يتضرر بكفرانكم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[إبراهيم: ٨]، وقال هاهنا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ أي: بمن يستحق منكم الهداية، فيهديه، وبمن يستحق الغواية فيغويه ﴿حَكِيماً﴾، أي: في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره»(٢).

٣١-قال اللَّه تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ [النساء:١٧٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾ لن يستكبر. الاستنكاف هو الامتناع(٣).

٣٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا...﴾ الآية [النساء:١٧٣].

أي: امتنعوا من طاعة اللَّه، وعبادته، واستكبروا عن ذلك(٤).

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٧١.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٨٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٩١.
(٤) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٩٢.

٥ -سورة المائدة

١-قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

قال عبدالله بن مسعود: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه»[١].

وقوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد يعني بالعقود: العهود، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما تفسيراً لذلك: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يعني بالعهود يعني ما أحل الله، وما حرم، وما فرض، وما حد في القرآن كله، ولا تغدروا ولا تنكثوا[٢].

٢-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾الآية [المائدة:٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بذلك مناسك الحج.

وقال مجاهد: الصفا، والمروة، والهدي، والبدن من شعائر الله.

وقيل: شعائره: محارمه، أي: لا تحلوا محارم الله التي حرم عليكم.

قوله: ﴿وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾.

قيل: لا تحلوا قتالاً، وفيه روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير، وقيل: ذلك منسوخ، واختاره الجمهور.

قال الجمهور: وإنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجوا بقوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾، قالوا: المراد أشهر التسيير الأربعة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[التوبة: ٥]، قالوا: فلم يستثن شهراً حراماً من غيره.

وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم، وغيرها من شهور السنة[١].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٩٦ برقم ١٠٣٧، تفسير ابن كثير، ٥/٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٨.

(١) تفسير ابن كثير، ٥/١٢.

٣-قال الله تعالى: ﴿وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ﴾ [المائدة:٢] يعني: لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام؛ فإن فيه تعظيماً لشعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها؛ لتتميز به عما عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدي إلى الكعبة، فيجتنبها من يريدها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها، فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء(١).

٤-قال الله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا...﴾ [المائدة:٢]، أي: لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام(٢).

وقوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة: ٨] أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد في كل حال، وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض(٣).

٥-قال الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [المائدة:٥] أي: أحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

قيل: أراد بالمحصنات الحرائر دون الإماء، روي عن مجاهد.

وقيل: الحرائر العفيفات، قاله مجاهد في رواية عنه، وهو قول الجمهور(٤).

٦-قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ٥/١٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ٥/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ٥/٨٢.

المحاربة: هي المضادة المخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق، وإخافة السبيل، وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾ الإفساد: يطلق على أنواع من الشر[١].

والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات[٢].

قوله: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من شهر السلاح في قبة الإسلام، أو أخاف السبيل، ثم ظفر به، وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده، ورجله»[٣].

وفي رواية عن ابن عباس في قطاع الطريق: «إذا قتلوا، وأخذوا المال، قتلوا، وصلبوا، وإذا قتلوا، ولم يأخذوا المال، قتلوا، ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل، ولم يأخذوا المال، نفوا من الأرض»[٤].

وقيل: المراد بالنفي: هو أن يطلب حتى يقدر عليه، فيقام عليه الحد، أو يهرب من دار الإسلام.

وقيل: ينفى من بلده إلى بلد آخر، أو يخرجه السلطان، أو نائبه من معاملته بالكلية.

وقيل: ينفى من جند إلى جند سنين، ولا يخرج من أرض الإسلام.

وقيل: المراد بالنفي ههنا: السجن، وهو قول أبي حنيفة، وأصحابه.

واختار ابن جرير: أن المراد بالنفي ههنا: أن يخرج من بلده إلى بلد آخر، فيسجن فيه[٥].

٧- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥].

يأمر عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/١٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ٥/١٨٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ٥/١٩٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ٥/١٩٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ٥/١٩٦.

عن المحارم، وترك المنهيات، وقد قال بعدها: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

قوله : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة، قاله ابن عباس.

وقال قتادة: أي: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه، وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه.

والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[١].

وهي أيضاً علمٌ على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ[٢].

٨-قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «من جحد ما أنزل الله، فقد كفر، ومن أقر به، ولم يحكم، فهو ظالم فاسق»[٣].

وقال ابن طاوس سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ قال: هي به كفر، قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله.

وقال عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[٤].

وقال طاوس: «ليس بكفر ينقل عن الملة».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»[٥].

قلت: والصواب التفصيل في كفر من حكم بغير ما أنزل الله على النحو الآتي:

١-إذا جحد حكم الله، فهو كافر كفراً أكبر.

٢-إذا اعتقد، أو قال: إن حكم غير الله أفضل من حكم الله، ورسوله، فهو كافر كفراً أكبر.

٣-إذا اعتقد، أو قال: إنّ حكم غير الله يساوي حكم الله، فهو كافر كفراً أكبر.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/٢٠٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٢٠٠.
(٣) رواه ابن جرير، ١٠/٣٥٧، برقم ١٢٠٦١، وإسناده صحيح.
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره، ١٠/٣٥٥، برقم ١٢٠٤٧.
(٥) رواه الحاكم وقال :صحيح على شرط الشيخين. تفسير ابن كثير، ٥/٢٣٠-٢٣٢.

٤-إذا اعتقد، أو قال: إن حكم الله أفضل، ولكن يجوز أن يحكم بغيره، فهو كافر **كفراً** أكبر.

٥-إذا اعتقد، أو قال: إن حكم الله هو الواجب، ولا يجوز أن يحكم بغيره، ولكن حمله على الحكم بغير ما أنزل الله شهوته، وهواه، وهو يعترف بخطأه، وظلمه، فهو كافر كفراً أصغر، أكبر من الكبائر.

وهذا تفصيل **العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ** مفتي الديار السعودية سابقاً، في رسالة تحكيم القوانين.

٩-قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ [المائدة:٤٨].

قوله: ﴿**وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله[1].

قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ [المائدة: ٤٨].

والمعنى لكل جعلنا منكم سبيلاً، وسنة[2].

وقد أخبر أن الأمم مختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات: ديننا واحد**» [يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمَّنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء: ٢٥].

وأما الشرائع، فمختلفة الأوامر، والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وتخفيفاً، فيزاد في الشدة في هذه دون هذه]، وتمام الحديث: «**وشرائعنا شتى**»[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/٢٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٢٤٨.

(١) تفسير ابن كثير، ٥/٢٤٨.

١٠-قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠].

أي يبتغون، ويريدون، وعن حكم اللَّه يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: من أعدل من اللَّه في حكمه لمن عقل عن اللَّه شرعه، وآمن، وأيقن، وعلم أن اللَّه أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها؛ فإنه تعالى: العالم بكل شيء، القادر على كل شيء[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أبغض الناس إلى اللَّه متبعٌ في الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرئ بغير حقٍّ ليريق دمه**»[٢].

ولفظه في البخاري: «**أبغض الناس إلى اللَّه ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطَّلبُ دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه**»[٣].

١١-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾[المائدة:٦٩].

قوله: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ لما طال الفصل حسن العطف بالرفع، والصابئون: طائفة بين النصارى، والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد، وعنه بين اليهود والمجوس .. وعن الحسن أنهم كالمجوس ..

والمقصود أن كل فرقة آمنت باللَّه، واليوم الآخر، وعملت عملاً صالحاً، ولا يكون ذلك كذلك، حتى يكون موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد إرسال صاحبها، المبعوث إلى جميع الثقلين، فمن اتصف بذلك، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون فيما يستقبلونه، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم[٤].

١٢-قال اللَّه تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[المائدة:٧٨].

عن ابن عميرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض، كان من**

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/٢٥١-٢٥٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٢٥٢.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٨٨٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ٥/٢٩٤-٢٩٥.

شهدها، فكرهها [وقال مرة: فأنكرها] ، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها»[١].

وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه**»، فبكى أبو سعيد، وقال: «قد والله رأينا أشياء فهبنا»[٢].

وعن أبي سعيد يرفعه «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[٣].

١٣-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

يفسره قول النبي ﷺ: «...**لكني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأنام، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، أو كما قال ﷺ.

وقوله: ﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾.

يحتمل أن يكون المراد منه: ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم، بتحريم المباحات عليكم.

ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال، فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم، وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا..﴾ الآية[الفرقان: ٦٧][٤].

١٤- قوله في كفارة اليمين: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾[المائدة: ٨٩].

هل يجب صيام ثلاثة الأيام متتابعات:

على قولين:

١-قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا يجب التتابع.

---

(١) أبو داود، برقم ٤٣٤٥ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٦٥١.

(٢) ابن ماجه، برقم ٤٠٠٧، والترمذي، برقم ٢١٩١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦٨.

(٣) أبو داود، برقم ٤٣٤٤، والترمذي، برقم ٢١٧٤، وغيرهما.

(٤) تفسير ابن كثير، ٥/٣٢٠.

٢-ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع، كما هو قول الحنفية، والحنابلة.

فقد روي عن أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود ،وغيرهما، أنهم كانوا يقرؤونها: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه إذا لم يثبت كونها قرآناً متواتراً، فلا أقل من أن يكون خبراً واحداً، أو تفسيراً من الصحابة، وهو في حكم المرفوع»[١].

١٥-قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ﴾ [المائدة:٩٦].

قوله: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما لفظه ميتاً، وقيل: ما يتزود منه مليحاً يابساً، وقيل: كل ما فيه[٢].

١٦-قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧].

قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.

سميت الكعبة؛ لأنها مربعة، قاله مجاهد، وعكرمة.

وقيل: سميت كعبة؛ لارتفاعها عن الأرض، وقال ابن جرير: الكعبة: الحرم كله.

البيت الحرام: سمي حراماً؛ لأن الله حرمه، وعظم حرمته، فحرم صيدها، وان يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها.

قوله: ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ في دينهم، ودنياهم: أما الدين؛ فلأنه يقوم به الحج، والمناسك، وأما الدنيا؛ فما يجبى إليه من الثمرات، قلت: وكذلك أمر الله بتأمين من دخله كان آمناً، وجعل الأشهر الحرم يأمنون فيها.

﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾: فكان الناس يأمنون بتقليد الهدي، وذلك القوام فيه[٣].

١٧-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/٣٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٣٦٥، وتفسير البغوي ٢/٦٦.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٥/٣٧٦، وتفسير البغوي، ٢/٦٨.

من أصلح أمره، لا يضره فساد من فسد من الناس؛ سواء كانوا قريباً منه، أو بعيداً. وليس في الآية مستدل على ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكناً.

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه**»[(١)].

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: «قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك، فيها إذا بلغ جهده، فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتدِ ..» ، ثم ذكر الأدلة رحمه الله على أن تارك الأمر بالمعروف غير مهتدٍ[(٢)].

ثم ذكر **العلامة الشنقيطي** رحمه الله فيه مسائل:

المسألة الأولى: يجب على كل من الآمر والمأمور اتباع الحق المأمور به.

المسألة الثانية: يشترط في الآمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به، أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر؛ لأنه إن كان جاهلاً بذلك، فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ولاسيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل.

المسألة الثالثة: يشترط في جواز الأمر بالمعروف أن لا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر، لإجماع المسلمين على ارتكاب أخف الضررين.

المسألة الرابعة: من أعظم أنواع الأمر بالمعروف كلمة حق عند سلطان جائر[(١)].

١٨–قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ [المائدة:١١٠].

---

(١) مسند أحمد، ١/ ١٩٧، برقم ١٦، وصحح إسناده محققو المسند، وأبو داود، برقم ٤٣٣٨، والترمذي، برقم ٣٠٥٧، وابن ماجه، برقم ٤٠٠٥، والنسائي في الكبرى، برقم ٦٦١٥، وصحح إسناده أحمد شاكر. تفسير ابن كثير، ٥/٣٩٢-٣٩٨.

(٢) أضواء البيان، ٢/١٦٩

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/١٧٢-١٧٧.

وقد بين الله صفة كفهم عنه بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾[النساء: ١٥٧]، وقوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[آل عمران: ٥٥][١].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك، حين جئتهم بالبراهين، والحجج القاطعة على نبوتك، ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك، واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك، وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إلي، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان عليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة[٢]، والله أعلم[٣].

❁ ❁ ❁

(١) أَضواء البيان، ٢/١٧٨-١٧٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥/٤١٣.

(٣) يوم الإثنين ١١/٩/١٤٣٣هـ بعد الفجر.

من أحكام سورة المائدة

تفسير خمس الآيات الأول من سورة المائدة وما تضمنته من أحكام[1]

تأليف الفقير إلى اللَّه تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

(١) هذه رسالة لطيفة كتبتها في عام ١٤٠٤هـ، وطبعت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ، ثم طبعت الطبعة الثانية في ربيع الأول عام ١٤١١هـ، ثم أحببت أن تكون محفوظة، فأثبتها بنصها في آخر فوائد سورة المائدة من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فهذه رسالة مختصرة في «**تفسير خمس الآيات الأول من سورة المائدة**»، بيّنت فيها بتوفيق الله تعالى الأحكام التي اشتملت عليها هذه الآيات الكريمات:

وقد قسمت هذا الموضوع إلى ستة أبواب، وتحت كل باب فصلان:

الباب الأول: مقدمات لهذا البحث، والفصل الأول منه في معرفة سبب نزول سورة المائدة، وأغراضها، ومضامينها، والفصل الثاني: في معرفة سبب نزول الآيات الخمس، وأهمية نزول هذه الآيات، وما نسخ منها وما لم ينسخ.

الباب الثاني: تفسير الآية الأولى من سورة المائدة، والفصل الأول من هذا الباب، تعريف العقود، والمراد بالعهود، وتعريف بهيمة الأنعام، والفصل الثاني: في بيان ما أحل الله للمؤمنين من بهيمة الأنعام، ومناسبة ذكر الحل، وبيان ما استثنى مما أحل الله للمؤمنين، والضابط العام للأنواع المحرمة من الحيوانات والطيور.

الباب الثالث: تفسير الآية الثانية من سورة المائدة، الفصل الأول من هذا الباب في تعريف الشعائر، وبيان سبب نزول هذه الآية الكريمة، وأقوال العلماء فيما نسخ من هذه الآية وما لم ينسخ، والفصل الثاني في إباحة الصيد بعد حل الإحرام، والأمر بالتعاون على البر والتقوى.

الباب الرابع: تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة، الفصل الأول من هذا الباب معرفة ما حرمه الله من بهيمة الأنعام، وإبطال عادات الجاهلية في أكل

المحرمات من بهيمة الأنعام، وتعريف الذكاة الشرعية، وذكر شروطها، والفصل الثاني تحريم أكل ما ذبح لغير الله، والاستقسام بالأزلام، وذكر إتمام اللَّه النعمة على هذه الأمة، وإكماله الدين، ورفع الإثم عمن اضطر إلى شيء من المحرمات من بهيمة الأنعام غير باغٍ ولا عادٍ، وذكر الحكمة من ذلك.

الباب الخامس: تفسير الآية الرابعة من سورة المائدة، الفصل الأول من هذا الباب بيان شروط الصيد بالجوارح: من الكلاب والطيور، والفصل الثاني، بيان الاختلاف في حل صيد بعض الجوارح، وبيان اختلاف العلماء في إمساك الجارح من الطيور والكلاب عن الأكل من الصيد، هل يكون ذلك شرطاً أم لا؟.

الباب السادس: تفسير الآية الخامسة من سورة المائدة، الفصل الأول من هذا الباب: بيان المقصود بالحل في طعام أهل الكتاب، ومتى يحل ومتى لا يحل؟ وحكم نكاح الكتابيات، والفصل الثاني: حكم المرتد، وحكم من حكم بغير ما أنزل اللَّه.

واللَّه أسأل أن يجعل هذه الكلمات القليلة مباركة، نافعة، خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع بها من انتهت إليه؛ فإنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللَّه وسلم، وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

حرر في عام **١٤٠٤**هـ.

الباب الأول

ويشتمل على فصلين، هما:

الفصل الأول:

أولاً: معرفة سبب نزول سورة المائدة.

ثانياً: أغراض، ومضامين سورة المائدة.

الفصل الثاني:

أولاً: معرفة سبب نزول الآيات الخمس الأُول من سورة المائدة.

ثانياً: أهمية نزول هذه الآيات الخمس.

ثالثاً: ما نسخ منها وما لم ينسخ.

الفصل الأول

أولاً: معرفة سبب نزول سورة المائدة.

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية، وقال مقاتل: «نزلت نهاراً، وكلها مدنية»، وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية، والصحيح أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة؛ فلهذا نسبت إلى مكة[١].

روى الحاكم في المستدرك عن جبير بن نفير قال: «حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي[٢].

قال **الإمام القرطبي** رحمه الله: وهي مدنية بإجماع... وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار[٣].

ثانياً: أغراض ومضامين سورة المائدة.

افتتح اللَّه سبحانه وتعالى هذه السورة بالأمر بالوفاء بالعقود، ثم المضي بعد هذا الافتتاح في بيان الحلال والحرام، من الذبائح، والمطاعم، والمشارب، والمناكح، وبيان كثير من الأحكام الشرعية، والتعبدية، وبيان حقيقة العقيدة الصحيحة، وبيان حقيقة العبودية، وحقيقة الألوهية، وبيان علاقات الأُمّة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل، وبيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام لله، والشهادة بالقسط، والوصاية على البشرية بكتابها المهيمن على كل الكتب قبلها، والحكم فيها بما أنزل اللَّه كله، والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله، والحذر من عدم العدل تأثراً بالمشاعر الشخصية والمودة والشنآن... افتتاح السورة على هذا النحو،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي.

(٢) مستدرك الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/٣١١، ورواه الإمام أحمد، ٦/٥٤، برقم ٢٦٠٦٣، وزاد: «**وسألتها عن خلق رسول اللَّه** ﷺ؟ فقالت: **القرآن**».

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٦/٣٠.

والمضي فيها على هذا النهج يعطي كلمة «العقود» معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ويكشف أن المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله وفي أولها عقد الإيمان بالله، ومعرفة حقيقة ألوهيته سبحانه، ومقتضى العبودية لألوهيته، هذا العقد الذي تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود، وسائر الضوابط في الحياة.

وفي سورة المائدة تسع عشرة فريضة ليست في غيرها وهي: ﴿الْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالْمُتَرَدِّيَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ﴾، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وتمام الطهور في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾، ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، إلى قوله: ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، و﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية، والفريضة التاسعة عشرة قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾، فليس للأذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة، أما ما جاء في سورة «الجمعة»، فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات[1].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ٣٠/٦، وتفسير البغوي، ٥/٢.

الفصل الثاني

أولاً: معرفة سبب نزول الآيات الخمس الأُول من سورة المائدة:

١ – أخرج **الإمام ابن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ، و**الإمام ابن أبي حاتم** رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قال: كان المشركون يحجّون البيت الحرام، ويهدون الهدايا، ويعظّمون حرمة المشاعر، وينحرون في حجّهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقال الله: ﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾[1].

٢ – وفي الصحيحين من حديث طارق بن شهاب، قال: «جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية من كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٤]، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول اللَّه ﷺ، والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول اللَّه ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة، وفي لفظ: نزلت عشية عرفة»[2]، قال سعيد بن جبير: عاش رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك واحداً وثمانين يوماً.

٣– قال **الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «زاد المسير في علم التفسير»: في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ... ﴾ الآية:

«في سبب نزولها قولان:

قيل: أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب، قال الناس: يا رسول اللَّه ماذا أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية[3].

وقيل: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سماه رسول اللَّه ﷺ: زيد

---

(١) فتح القدير، ٢/٧.

(٢) البخاري، برقم ٤٥، ومسلم، برقم ٣٠١٧، ولفظ مسلم قريب من ذلك، ورواه أحمد، ١/٢٣٧، برقم ١٨٨.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، المستدرك، ٢/٣١١، والمعجم الكبير للطبراني، ١/ ٣٢٥، برقم ٩٧١، وقوّاه بشواهده محققو مسند أحمد، ٣٩/ ٢٩٤.

الخير قالا: «يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة،فماذا يحل لنا منها، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير»[١]، والله تعالى أعلم.

وكان السبب في أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب هو ما رواه مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً[٢]، فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم، قال رسول الله ﷺ: «**إن جبريل كان واعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني**» قال: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: «**قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة**» قال: أجل ولكنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة، فأصبح رسول الله ﷺ يومئذ، فأمر بقتل الكلاب، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير، ويترك كلب الحائط الكبير[٣]، وعن جابر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها، وقال: «**عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان**»[٤].

٤ - نزول قوله تعالى:﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]:

أ- قال **الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: «إن الله تعالى لما رخّص في نكاح الكتابيات قلن بينهن لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوج الرجل منا الكتابية وليست على ديننا، فنزلت: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

ب - وقال مقاتل بن حيان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين.
(٢) الواجم هو الساكت الذي يظهر عليه الهم والكآبة.
(٣) رواه مسلم، برقم ٢١٠٥.
(٤) مسلم، برقم ١٥٧٢.

الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر[١].

ثانياً: أهمية نزول هذه الآيات الخمس وما نسخ منها وما لم ينسخ:

لاشك أن هذه الآيات الخمس تضمنت أحكاماً عظيمة، وهذه الأحكام محكمة لم يدخل عليها نسخ، فقد تضمنت هذه الآيات أحكاماً منها:

١- أحكام العقود، والعهود.

٢- أحكام الصيد في الحل والإحرام.

٣ - إبطال عادات الجاهلية: حيث كانوا يحرمون على أنفسهم، البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وكانوا يأكلون الميتة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، والدم، ويأكلون ما قتلته السباع من بهيمة الأنعام، وغير ذلك مما سأبينه في الفصول القادمة إن شاء اللَّه تعالى.

فجاء الإسلام بإبطال هذه العادات كلها، وأحل للمؤمنين الطيبات، وحرم عليهم الخبائث كهذه المحرمات وغيرها.

٤- جاء في هذه الآيات الخمس كذلك، استثناء ما أدركت ذكاته من المحرمات المذكورة آنفاً، فما أدرك المسلمون حياته من هذه المذكورات فذُكِّي قبل زهوق نفسه، فهو من الطيبات.

٥- جاء في هذه الآيات الخمس، حكم الصيد بالجوارح، من الكلاب والطيور المُعلَّمة.

٦- وجاء كذلك فيها حل طعام أهل الكتاب - اليهود، والنصارى-.

٧- وكذلك حكم نكاح الكتابيات المحصنات من أهل الكتاب.

٨ - وجاء في هذه الآيات الخمس حكم من كفر بالإيمان، وأن عمله يحبط بكفره، وهذه الأحكام ليست للحصر لما ورد في هذه الآيات الخمس من أحكام، وإنما هي أمثلة مما ورد فيها من الأحكام التي لم تنسخ، والدليل

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٧.

على أن الأحكام التي في هذه الآيات الخمس لم تنسخ، بل هي محكمة ما جاء من قول عائشة رضي الله عنها فيما رواه الحاكم في: مستدركه من حديث جبير بن نفير، قال: «حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»[1].

ثالثاً: ما نسخ من هذه الآيات الخمس وما لم ينسخ.

سبق أن تقدم قول عائشة لجبير بن نفير: «يا جبير تقرأ المائدة؟ قال: فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه»[2]، فدلّ هذا على أن الأحكام التي وردت في سورة المائدة لم ينسخ منها شيء.

أقوال العلماء في هذا

قال **الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: «اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ...﴾ الآية [المائدة: ٢] ، على قولين:

أحدها: أنها محكمة، روي ذلك عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء، وكذلك قال أبو ميسرة في آخرين، قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدي قبل أوان ذبحه، واختلفوا في القلائد، فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدي حتى ينحره، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت.

والثاني: أنها منسوخة، وفي المنسوخ منها أربعة أقوال:

أحدهما: أن جميعها منسوخة، وهو قول الشعبي.

الثاني: أنها وردت في حق المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون

---

(١) مستدرك الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/٣١١ ، وتقدم تخريجه.

(٢) مستدرك الحاكم، ٢/٣١١، وسبق تخريجه.

شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهي المسلمون بهذه الآية عن التعرض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**﴾ [التوبة: ٥]، وهذا قول الأكثرين.

الثالث: أن الذي نسخ قوله تعالى: ﴿**وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**﴾ نسخه قوله تعالى: ﴿**فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ [التوبة: ٢٨]، روي عن ابن عباس وقتادة.

والرابع: أن المنسوخ منها تحريم الشهر الحرام، وآمّون البيت الحرام: إذا كانوا مشركين، وهدي المشركين.. قاله أبو سليمان الدمشقي»[١]، والعلم عند الله تعالى.

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٧٨.

الباب الثاني

تفسير الآية الأولى من سورة المائدة

قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، أتى رجل عبد اللَّه بن مسعود فقال: اعهد إليّ فقال: إذا سمعت اللَّه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾ «**فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه**»[(١)].

وهذه الآية التي افتتح اللَّه تعالى بها هذه السورة إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ فيها من البلاغة ما تتقاصر عنه القوى البشرية مع شمولها لأحكام عدة: منها الوفاء بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بمحرم[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢ بتصرف.

(٢) فتح القدير، ٢/٤ بتصرف.

الفصل الأول

أولاً: تعريف العقود

العقود لغة: الحبل والبيع والعهد يعقده، شده وعنقه إليه لجأ، والحاسب حسب، والعقد الضمان والعهد، والجمل الموثّق الظهر، وهو منّي معقد الإزار أي قريب المنزلة، والعاقد حريم البئر وما حولها[١].

العقود في الاصطلاح: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وقال الزجاج: «العقود أوكد العهود»[٢]، وحكى ابن جرير الإجماع على أنه يقصد بالعقود العهود[٣]، قال ابن عباس: والمراد بالعقود هنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾، يعني ما أحلّ اللَّه وما حرّم، وما فرض، وما حدّ في القرآن كله، ولا تغدروا، ولا تنكثوا، ثم شدّد في ذلك فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

المراد بالعهود:

قال الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير: «واختلفوا في المراد بالعهود هنا على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عهود اللَّه التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن.

الثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلْفُ الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها اللَّه على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جرير، وقد ذكرنا أن الخطاب للكتابيين.

---

(١) القاموس المحيط، فصل العين، باب الدال، ١/٣١٥.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٦٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ٢/٣ بتصرف.

الخامس: أنها عقود الناس بينهم: من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد»[(١)].

قلت: وقد ذكر ﷻ في كتابه الكريم العهد الأول الذي أخذه على بني آدم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثانياً: تعريف بهيمة الأنعام

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾.

البهيمة: لغة: كل ذات أربع قوائم ولو في الماء، وكل حي لا يميز... والأبهم الأعجم، واستبهم عليه استعجم، فلم يقدر على الكلام[(٢)].

وبهيمة الأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم، قاله: الحسن، وقتادة، وغير واحد[(٣)].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: في بهيمة الأنعام ثلاثة أقوال هي:

الأول: أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس.

وفي الحديث: «ذكاة الجنين ذكاة أمه» من حديث جابر، وهو حديث صحيح[(٤)].

الثاني: أنها، الإبل، والبقر، والغنم، قاله: الحسن، وقتادة، والسدي.

الثالث: أنها وحش الأنعام كالظباء وبقر الوحش[(٥)].

قال ابن عطية: وهذا قول حسن؛ وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج، وما انضاف إليها من سائر الحيوانات يقال لها: أنعام مجموعة معها، وكأن المفترس كالأسد، وكل ذي ناب خارجة عن حد الأنعام، فبهيمة الأنعام هي: الراعي من ذوات الأربع... وعلى القول بتخصيص بهيمة الأنعام بالإبل،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٦٨.

(٢) القاموس المحيط، فصل الباء، باب الميم، ٤/٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير،، ٢/٣، وتفسير البغوي، ٢/٦.

(٤) رواه أبو داود، برقم ٢٨٣٠، والترمذي، برقم ١٤٧٦، وابن ماجه، برقم الحديث ٣١٩٩، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٨٣.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٦٩، روي ذلك عن ابن عباس وأبي صالح.

والبقر، والغنم، تكون الإضافة بيانية، ويلحق بها ما يحل مما هو خارج عنها بالقياس، بل بالنصوص التي في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً**﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]، وقد نهى ﷺ: «**عن كل ذي ناب من السِّباع وعن كل ذي مخلب من الطير**»[١]، وقوله ﷺ: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**»[٢]؛ فإنه يدل بمفهومه على أن ما عداه حلال، وكذا سائر النصوص الخاصة كما في كتب السنة المطهرة[٣].

قال **الإمام ابن العربي** رحمه الله: «أما من قال: إن النعم هي: الإبل، والبقر، والغنم، فقد علمتَ صحةَ ذلك دليلاً، وهو أن النعم عند بعض أهل اللغة اسم خاص للإبل يُذَكَّر ويؤنث... وقد قال الله تعالى: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ**﴾ [النحل: ٥- ٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ**﴾، وقال: ﴿**وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ**﴾ [الأنعام: ١٤٢-١٤٤]، فهذا مرتبط بقوله: ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا**﴾ أي: خلق جنات وخلق من الأنعام حمولة وفرشاً، يعني كباراً وصغاراً، ثم فسرها فقال: ثمانية أزواج... الآية..

وقال تعالى: ﴿**... وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا**﴾ – وهي الغنم – ﴿**وَأَوْبَارِهَا**﴾ – وهي الإبل – ﴿**وَأَشْعَارِهَا**﴾ – وهي المعزى – ﴿**أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾ [النحل ٨٠].

فهذه ثلاثة أدلة تنبئ عن تضمن اسم النعم لهذه الأجناس الثلاثة: الإبل، والبقر، والغنم، لتأنيس ذلك كله، فأما الوحشية فلم أعلمه إلى الآن إلا اتباعاً لأهل اللغة..»[١].

---

(١) مسلم، برقم ١٩٣٤.

(٢) صحيح مسلم، برقم ١٩٣٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني، ٢/٥.

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ٢/٥٢٩.

الفصل الثاني

أولاً: بيان ما أحل الله للمؤمنين ومناسبة ذكر الحل

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾.

سبق تعريف بهيمة الأنعام، في اللغة، وفي الاصطلاح، وأن الله ﷻ قد أحلها للمؤمنين - إلا ما استثنى وسيأتي إن شاء الله - وسبق أن ذكرت أن جمهور المفسرين على أن بهيمة الأنعام ثلاثة أجناس: الإبل، والبقر، والغنم، وقد ذكرت أقوال العلماء بالتفصيل، وهي ثلاثة أقوال كما تقدم، ورجح ابن العربي القول الأول منها، وهو أن بهيمة الأنعام هي الإبل، والبقر، والغنم - واستدل على ذلك بأدلة ثلاثة ذكرتها هناك، إذن قد أحل الله تبارك وتعالى للمؤمنين بهيمة الأنعام إلا ما استثنى منها سبحانه، ومناسبة ذكر الحل هنا هي:

أن المشركين كانوا يحرمون: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، قال سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

فقد كان أهل الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها وهي «البحيرة».

وكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وكانوا إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها - أي ذكر وأنثى من بطن واحد – وهي الوصيلة، وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، وهو الحام.

فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادات كلها، فلا بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حام(١).

فأحلّ الله تبارك وتعالى الأنعام كلها إلا ما استثنى ﷻ من هذه الأنعام، فأحل

---

(١)صفوة التفاسير، ١/٣٦٩.

الطيبات، وحرم الخبائث، وأبطل عادات الجاهلية، فالحلال ما أحله اللَّه ورسوله، والحرام ما حرّمه اللَّه ورسوله، أما ما استثنى سبحانه مما أحلّ للمؤمنين فهو قوله تعالى: ﴿إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾، وتوضيحه سيأتي إن شاء اللَّه تعالى.

ثانياً: ما استُثنِيَ مما أحل اللَّه للمؤمنين من بهيمة الأنعام:

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «يعني بذلك، الميتة والدم، ولحم الخنزير...».

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر واللَّه أعلم أن المراد بذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣]»[(١)].

وقال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي يقرأ عليكم في القرآن والسنة،من قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ الآية وقوله ﷺ: «وكل ذي ناب من السباع حرام»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، قال بعضهم: هذا منصوب على الحال، والمراد بالأنعام ما يعمّ الإنسي من الإبل، والبقر، والغنم وما يعم الوحشي، كالظباء، والبقر، والحمر، فاستُثني من الإنسي ما تقدم، واستثني من الوحشي الصيد في حال الإحرام.

وقيل: المراد أحللنا الأنعام إلا ما استُثْنِيَ منها لمن التزم تحريم الصيد، وهو حرام لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

أي: أبحنا تناول الميتة للمضطر بشرط أن يكون غير باغٍ ولا معتدٍ، وهكذا هنا أي كما أحللنا الأنعام في جميع الأحوال، فحرموا الصيد حال الإحرام؛ فإن اللَّه قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه؛ ولهذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والحديث رواه مسلم، برقم ١٩٣٣، ولكن بلفظ: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**»، وتقدم تخريجه.

قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] [(١)].

ثالثاً: الضابط العام للأنواع المحرمة من الحيوانات والطيور:

عن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ: «**نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم: عن ابن عباس: «**نهى رسول اللَّه ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير**»[(٣)].

والمخلب للطير كالظفر لغيره، لكنه أشد منه وأغلظ وأَحَدُّ، فهو كالنَّاب للسبع، قال ابن حجر في فتح الباري: «اختلف القائلون بالتحريم في المراد بما له ناب، قيل: إنه ما يتقوَّى به ويصول على غيره، ويصطاد ويعدو بطبعه غالباً كالأسد، والفهد، والصقر، والعقاب، أما ما لا يعدو كالضبع، والثعلب، فلا، وإلى هذا ذهب الشافعي، والليث، ومن تبعهما.

ثم قال: وقد ورد هذا في حل الضبع أحاديث لا بأس بها.

أما الثعلب فورد في تحريمه حديث خزيمة بن جزء عند الترمذي، وابن ماجه، ولكن سنده ضعيف»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**»[(٥)]، قال النووي رحمه اللَّه في شرحه على صحيح مسلم في شرح هذا الحديث: قوله: «**نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير**» وفي رواية: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**» والمخلب بكسر الميم وفتح اللام، وقال أهل اللغة: المخلب للطير والسباع بمنزلة الظفر للإنسان، فهذه الأحاديث دلالة لمذهب الشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، وداود، أنه يحرم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير.

أما الإمام مالك، فقال: لا يحرم بل يكره، ودليله قوله تعالى:

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير، ٢/٤.

(٢) البخاري، برقم ٥٥٣٠، ورقم الحديث ٥٧٨٠.

(٣) صحيح مسلم، برقم ١٩٣٤، وتقدم تخريجه.

(٤) فتح الباري، ٩/٦٥٨.

(٥) مسلم، برقم ١٩٣٣، وتقدم تخريجه.

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥].

ثم قال **الإمام النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورَدَّ عليه أصحابنا بهذه الأحاديث، وقالوا: والآية ليس فيها الإخبار بأنه لم يجد في ذلك الوقت محرماً إلا المذكورات في الآية، ثم أوحي إليه بتحريم كل ذي ناب من السباع – ومخلب من الطير – فوجب قبوله والعمل به»(١).

قلت: وبالجملة تحرم الحيوانات والطيور المفترسة آكلة اللحوم، ويستثنى من هذه الحيوانات ما ورد في الشرع استثناؤه من هذه الحيوانات، كالضبع، **فإنه قد ورد في حِلّه أحاديث منها:**

١- عن أبي عمار قال: «قلت لجابر: الضبع، أصيد هي؟ قال: نعم، قال: قلت: آكلها؟ قال: نعم، قال: قلت: أقاله رسول اللَّه ﷺ؟ قال: نعم»(٢).

٢- وعن جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الضبع فقال: «**هو صيد ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم**»(٣)، وقال ابن حجر العسقلاني: «وقد ورد في حل الضبع أحاديث لا بأس بها»(٤).

الخلاصة في هذا الموضوع أنه يحرم: كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، إلا ما استثني كالضبع كما تقدم.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، ١٣/٨٢.

(٢) رواه الترمذي، برقم ٨٥١، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وانظر: صحيح الترمذي، ١/٢٥٥.

(٣) رواه أبو داود، برقم ٣٨٠١، وقد روي أحاديث كثيرة في الضبع، روى ذلك، أحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، والدارمي، ومالك واخترت حديثين هما ما ذكر أعلاه من سنن الترمذي، وسنن أبي داود.

(٤) فتح الباري كتاب الصيد ٩/٦٥٨.

الباب الثالث

تفسير الآية الثانية من سورة المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

الفصل الأول

أولاً: تعريف الشعائر:

الشعائر لغة: أشعرها جعل لها شعيرة، وشعائر الحج مناسكه، وعلاماته، والشعيرة، والشعارة، والمشعر معظمها، و شعائره معالمه التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها، وكلما ألزقته بشيء أشعرته به، والشعائر جمع شعيرة، على وزن فعيلة... ومنه الإشعار للهدي، والمشاعر المعالم، واحدها مشعر[(١)].

قال عطاء في الشعائر: «**جميع ما أمر اللَّه به، ونهى عنه**».

وقال الحسن: دين اللَّه كله، كقوله: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢].

قال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الراجح الذي لا يُقدَّمُ غيرهُ؛ لعمومه»[(٢)].

ثانياً: سبب النزول، وأقوال العلماء فيما نسخ من هذه الآية وما لم ينسخ:

قال **العلامة الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يحجون ويعتمرون، ويهدون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ...﴾ [المائدة:٢]. إلى آخر هذه الآية، فيكون ذلك منسوخاً بقوله تعالى: ﴿**اقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...**﴾ [التوبة:٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ [التوبة: ٣٨]، وقوله ﷺ: «**لا يحجنّ بعد العام مشرك**»[(٣)]، وقال قوم: الآية محكمة، وهي في المسلمين»[(٤)].

قلت: وسبق أن ذكرت أقوال العلماء بالتفصيل في الباب الأول، الفصل الثاني: تحت عنوان: ما نسخ من هذه الآيات الخمس وما لم ينسخ، وذكرت الثلاثة الأقوال التي قالها علماء الناسخ والمنسوخ، فأغنى عن إعادتها هنا، قوله تعالى: ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ﴾، يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى اللَّه عن تعاطيه فيه، من الابتداء بالقتال،

(١) القاموس المحيط، فصل الشين، باب الراء، ٢/٥٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي، ٦/٣٧.

(٣) البخاري، برقم ١٦٢٢، ولكنه بلفظ: «**ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان**».

(٤) فتح القدير للشوكاني، ٢/٦.

وتأكيد اجتناب المحارم، وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجبُ مُضرَ الذي بين جُمادَى وشعبان**»[(١)].

«قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني لا تستحلوا القتال فيه... وذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم... وقد حكى الإجماع الإمام أبو جعفر على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها.

وقوله: ﴿وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ﴾، أي لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام، فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام؛ وليعلم أنها هدي إلى الكعبة، فيجتنبها من يريدها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها؛ فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾، أي ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام لحج أو عمرة، نهى تعالى عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت كما كان أهل الجاهلية يفعلون[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾ يعني بذلك التجارة، وهذا كما تقدم في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

(١) البخاري، برقم ٣١٩٧، ومسلم، برقم ١٦٧٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٤.
(٣) صفوة التفاسير للصابوني، ١/٢٢٦.

الفصل الثاني

أولاً: إباحة الصيد بعد حل المحرم إحرامه، والنهي عن الاعتداء على الغير بغير حق

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت عليه السير أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه، فإن كان، واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح[١].

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم كانوا قد صدوكم عن المسجد الحرام على أن تعتدوا عليهم[٢].

قال بعض السلف: «ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض»[٣].

ثانياً: الأمر بالتعاون على البر والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان

قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم، والمحارم[٤]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**»[٥]، وفي الصحيح: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»[٦].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله**»[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٥.
(٢) صفوة التفاسير للصابوني، ١/٢٢٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٦.
(٥) البخاري، برقم ٦٩٥٢ ومسلم، برقم ٢٥٨٤، بلفظ غير هذا، ولكنه قريب منه.
(٦) صحيح مسلم، برقم ٢٦٧٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) صحيح مسلم، برقم ١٨٩٣.

الباب الرابع

تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة

قال اللَّه تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ. الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

الفصل الأول

أولاً: ما حرّمه اللَّه من بهيمة الأنعام إبطالاً لعادات الجاهلية:

كان أهل الجاهلية يأكلون الميتة، ويخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها، وكانوا يضربون الأنعام بالخشب لآلهتهم حتى تموت ثم يأكلونها، وكانوا إذا ذبحوا ذكروا اللات والعزى، ورفعوا بذلك أصواتهم، وكانوا إذا جاع أحدهم أخذ شيئاً محدداً من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، وكانوا كذلك إذا أكل السبع شاة أكلوها سواء ماتت أم لا، ولم يُذَكُّوها.

فلما جاء الإسلام حرّم ذلك كلّه، فقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ الآية، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، هذا شروع في المحرمات التي أشار إليها سبحانه بقوله: ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ينهى اللَّه سبحانه عباده عن تعاطي هذه المحرمات من:

١- **الميتة**، وهي ما مات من الحيوانات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد؛ لما فيها من المضرَّة من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين، وللبدن؛ فلهذا حرمها ﷻ، ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، كما روى أبو هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ سُئل عن ماء البحر، فقال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[(١)].

ويُستثنى كذلك الجراد، فعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أحل لكم ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالسمك والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال**»[(٢)].

---

(١) رواه مالك في الموطأ، ١/٢٢، والشافعي، ١/٢، وأحمد ١/٢١٤، وأبو داود، برقم ٨٣، والترمذي، برقم ٦٩، والنسائي، برقم ٥٩، وابن ماجه، برقم ٣٨٦، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما. وهو حديث صحيح انظر صحيح الترمذي، ١/٢١.

(٢) رواه الشافعي، ٢/١٧٣، وأحمد، وابن ماجه، برقم ٣٢١٢، والدارقطني، والبيهقي، ١/٢٥٤، وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأثبات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه عليه وصحح الموقوف أبو زرعة الرازي وأبو حاتم قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع. لأن قول الصحابي أحل لنا، وحرم علينا كذا. مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل =

٢- قوله تعالى: ﴿وَالدَّمُ﴾ يعني المسفوح، كقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾، فقد كان أهل الجاهلية إذا جاع أحدهم يفصد بعيره فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرم اللَّه الدم المسفوح على هذه الأمة.

قال الأعشى:

وإيـــاك والميتـــات لا تقربنَّهـــا ... ولا تأخـذنَّ عظمـاً حديـداً لتفصـدا

٣- قوله: ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ يعني إنسيه ووحشيه، واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير اللَّه فهو حرام؛ لأنَّ اللَّه تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك، وذكر عليها اسم غيره من، صنم، أو طاغوت، أو وثن، أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع.

٥- قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾، وهي التي تموت بالخنق سواء كان ذلك بفعلها، كأن تدخل رأسها في حبل، أو بين عودين، أو بفعل آدمي أو غيره.

٦- قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾، وهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت – كالضرب بالحجر والعصا – من غير تذكية.

وفي صحيح مسلم أن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلت يا رسول الله، إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، قال: «**إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله**»[1]، وهذا من بيان السنة للقرآن، فما خزقه بالمعراض يكون حلالاً؛ لأنه من الطيبات، وما دخل في حكم هذه الآية – آية التحريم – وهو ما إذا أصابه بعرضه، فلا يؤكل لأنه وقيذ.

وكذلك كلب الصيد إذا أرسل على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه، أو صدمه، فإن الراجح كما قال ذلك ابن كثير في تفسيره –: إنَّ الكلب إذا

=

الاستدلال بهذه الرواية لأنها في معنى المرفوع: قال ذلك زهير الشاويش في تعليقه على هذا الحديث في زاد المسير في علم التفسير. قلت: قال ابن أبي أوفى غزونا مع رسول اللَّه ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد. أما أكل السمك فدليل حله قوله ﷺ في ماء البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**».

(١) صحيح مسلم، برقم ١٩٢٩.

أرسل على الصيد ولم يجرحه أو صدمه فإن ذلك وقيذ وقال اختار هذا القول ورجحه كثير من الأئمة، وهو أشبه بالصواب.

ففي الصحيحين عن رافع بن خديج ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله، إنا لاقو العدو غداً، وليس معنا مُدىً، أفنذبح بالقصب؟ فقال: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى أهل الحبشة**»[(١)].

٧- قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تتردى من علو إلى أسفل فتموت من غير فرق بين أن تتردى – تسقط – من جبل أو في بئر – أو غير ذلك.

٨- قوله تعالى: ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي تنطحها – شاة أخرى أو بقر – فتموت من دون تذكية.

٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي ما افترسه ذو ناب، كالأسد، والنمر، والفهد، والذئب، والضبع، ونحوها.

والمراد هنا ما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع كله قد فني، وسواء سال الدم مما أكل السبع، ولو من مذبحها أو لا، فإنها لا تؤكل؛ لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ هذا عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد به سبب موته فأمكن تداركه، وفيه حياة مستقرة والمراد يعني: إلا ما ذكيتم من المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع.

وروي عن طاووس وغيره من التابعين «أن المذكاة متى تحركت حركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح هي حلال، وهذا مذهب الجمهور»[(٢)].

ثانياً: الذكاة الشرعية: تعريفها، وشروطها:

قال الزجاج: «أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه ذكاء في السن وهو تمام السن، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً.

وقد روي عن علي، وابن عباس، والحسن، وقتادة، أنهم قالوا: ما أدركت

---

(١) رواه البخاري، برقم ٢٤٨٨، ورواه مسلم، برقم ١٩٦٨ بلفظ مقارب.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ١١.

ذكاته بأن توجد له عين تطرف، أو ذنب يتحرك، فأكله حلال»[(١)].

قال **العلامة محمد بن صالح العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الذكاة:** ١ -نحر الحيوان البري الحلال.

٢ - أو ذبحه.

٣ - أو جرحه في أي موضع من بدنه.

فالنحر للإبل، والذبح لما سواها، والجرح لكل ما لا يقدر عليه إلا به من إبل، وغيرها».

* «**ما يجب قطعه في الذكاة:**

١ - عن الإمام أحمد: روايتان:

إحداهما: أنه الحلقوم، والمريء – والعرقان اللذان بينهما – أي بين الحلقوم والمريء، والعرقان هما الودجان – فإن نقص من ذلك شيئاً لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله.

الرواية الثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل، وبه قال الشافعي.

٢ - وقال أبو حنيفة يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وأحد الودجين.

٣ - وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج وإن لم يقطع الحلقوم.

قال **الإمام ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المغني: إن الإمام مالك، قال: برواية أحمد الأولى، وهي: قطع: الحلقوم، والمريء، والودجين»[(٢)].

قلت:العلماء مجمعون على أن الأكمل في الذبح قطع الأربعة وهي:

١- الحلقوم، وهو مجرى النفس.

٢- المريء، وهو مجرى الطعام.

٣- ٤- الودجان وهما عرقان يقطعهما الذابح، بينهما الحلقوم، والمريء، فإذا نقص الذابح عن ذلك شيئاً دخل الخلل.

قال **الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: «**باب النحر والذبح**».

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٨٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٨٢.

قال ابن جريج عن عطاء: لا ذبح ولا نحر إلا في المذبح والمنحر قلت: أيجزئ ما يذبح أن أنحره؟ قال: نعم، ذكر اللَّه ذبح البقرة، فإن ذبحت شيئاً ينحر جاز والنحر أحب إليّ، والذبح قطع الأوداج، قلت: فيخلف الأوداج حتى يقطع النخاع؟ قال: لا إخال.

وأخبرني نافع أن ابن عمر نهى عن النخع، يقول: يقطع ما دون العظم، ثم يدع حتى تموت[(١)].

قال **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **النخع أن يذبح الشاة ثم يكسر قفاها من موضع** الذبح.. أو تضرب ليعجل قطع حركتها، قال أبو عبيدة: وإنما نهى أن تكسر رقبة الذبيحة قبل أن تبرد، ويبين ذلك أن في الحديث: «**ولا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهق**»[(٢)]، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: الذكاة في الحلق واللبة[(٣)]، وهذا إسناد صحيح»[(٤)].

* ذبيحة الأعراب

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: «**إن قوماً يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم اللَّه عليه أم لا، فقال: سموا أنتم وكلوه، قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر**»[(٥)].

* ذبيحة المرأة والأَمَة

عن نافع بن كعب عن أبيه أن امرأة ذبحت شاة بحجر، فَسُئِل النبي ﷺ عن ذلك فأمر بأكلها[(٦)].

* آلة الذبح وذكاة غير المقدور عليه

عن رافع بن خديج قال: قلت يا رسول الله، إنا لاقوا العدو غداً وليست معنا مُدىً. فقال: «**أعجل – أو أرن – ما أنهر الدم وذكر اسم اللَّه عليه فكل، ليس السن والظفر. وسأحدثكم: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة**» وأصبنا

---

(١) البخاري مع فتح الباري، ٩/٦٤٠.
(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ٩/٦٤١، وعزاه إلى أبي عبيد في الغريب عن عمر.
(٣) البخاري مع الفتح، ٩/ ٦٤٠.
(٤) انظر: فتح الباري، ٩/ ٦٤١، وقال وصله سعيد بن منصور، والبيهقي.
(٥) البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ذبيحة الأعراب ونحوهم، برقم ٥٥٠٧.
(٦) البخاري، كتاب الصيد برقم ٥٥٠٤.

نهب إبل وغنم، فندّ منها بعير، فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فإذا غلب منها شيء فافعلوا به هكذا**»[(١)].

فالبعير إذا توحش، أو تردَّى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره.

* خلاصة شروط الذكاة

الشرط الأول: أن يكون المذكِّي ممن يمكن منه قصد التذكية، وهو المميز والعاقل.

الشرط الثاني: أن يكون مسلماً أو كتابياً.

الشرط الثالث: أن يقصد التذكية.

الشرط الرابع: أن لا يذبح لغير الله.

الشرط الخامس: أن لا يهلّ لغير اللَّه بأن يذكر عليه اسم غير الله.

الشرط السادس: أن يسمّي اللَّه عليها.

الشرط السابع: أن تكون الذكاة بمحدّد ينهر الدم غير سنٍّ وظفر.

الشرط الثامن: إنهار الدم في موضعه.

الشرط التاسع: أن يكون المذكَّى مأذوناً في ذكاته شرعاً[(٢)].

---

(١) البخاري، برقم ٥٥٠٩.

(٢) رسالة في الذكاة الشرعية للشيخ محمد العثيمين، ص٦٤.

الفصل الثاني

أولاً: تحريم أكل ما ذبح لغير الله، والاستقسام بالأزلام:

قال اللَّه تعالى بعد ذكر المحرمات من الميتة والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير اللَّه به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، إلا ما ذكيتم.

١٠- قال هنا: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

قال مجاهد، وابن جريج: «كانت النصب حجارة حول الكعبة، وهي ثلاثمائة وستون نصباً كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويُشرِّحون اللحم ويضعونه على النصب، وكذا ذكره غير واحد.

فنهى اللَّه المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى لو كان يذكر عليها اسم اللَّه في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه اللَّه ورسوله.

وينبغي أن يُحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل لغير اللَّه به»[1].

١١- قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ﴾ أي حرَّم عليكم أيها المؤمنون أن تستقسموا بالأزلام، واحدها زلم، وقد تُفْتَح الزاي فيقال: زَلم، وقد كانت العرب في الجاهلية يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاث على أحدها مكتوب افعل – وقيل مكتوب: أمرني ربي –، وعلى الآخر مكتوب لا تفعل – وقيل مكتوب: نهاني ربي – والثالث: ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد، والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمُحيت، ورأى إسماعيل، وإبراهيم عليهما السلام بأيديهما الأزلام،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١١/٢.

فقال: «**قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط**»[(١)]، وقد أمر اللَّه المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما روى الإمام أحمد، والبخاري، وأهل السنن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: إذا هَمّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويسميه باسمه – خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضّني به**»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ أي يئسوا من مشابهة المسلمين؛ لما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله؛ ولهذا قال تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقال تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ أي لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم، واخشوني أنصركم عليهم، وأبيدهم وأظفركم بهم، وأشف صدوركم منهم، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة»[(٣)].

ثانياً: إتمام اللَّه النعمة وإكماله الدين لهذه الأمة.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذه أكبر نعم اللَّه تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات اللَّه

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، برقم ٣٣٥٢.

(٢) البخاري، برقم ١١٦٢، ورقم ٦٣٨٢، ورقم ٧٣٩٠، وأحمد، برقم ١٤٧٠٧، وهذا لفظه.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/١٠.

وسلامه عليه؛ ولهذا جعله اللَّه خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو الحق والصدق، ولا كذب فيه، ولا خُلْف»[١].

وقد أخبر اللَّه نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمّه فلا ينقص أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً.

فقد جعله اللَّه كاملاً لظهوره على الأديان كلّها وغلبته لها؛ ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال، والحرام... قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير كآية الربا، وآية الكلالة، ونحوهما، والمراد باليوم هنا هو يوم الجمعة، وهو يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢].

ثالثاً: رفع الإثم عمن اضطر إلى شيء من المحرمات وبيان الحكمة من ذلك:

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي دعته الضرورة ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة، والخمص الجوع، وهذا كلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من: الميتة، والدم وما ذكر معها، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.. غير مائل إلى ذلك، والإثم: الحرام أي حال كون المضطر في المخمصة غير مائل لإثم، وهو بمعنى غير باغ ولا عاد[٣]، وقال ابن كثير: «فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها اللَّه تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك فله تناوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي واللَّه غفور رحيم له؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له، وفي المسند، وصحيح ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: قال

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/١٠.

(٢) فتح القدير للشوكاني، ٢/١١، والحديث في صحيح البخاري، برقم ٤٥، ومسلم، برقم ٣٠١٧، وتقدم تخريجه.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٨٨، وفتح القدير، ٢/١١ بتصرف.

رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**»[(١)].

ولهذا قال الفقهاء: قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الأحيان ،وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً، بحسب الأحوال»[(٢)].

ولا خلاف في أكل طعام الغير إذا وجده المضطر من غير قطع أو أذى، وهناك لا يحلّ لـه أكل الميتة ونحوها، ولكن الخلاف هل يضمن ما أكل، والصحيح أنه لا يضمن»[(٣)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ**﴾ أي: في غير بغي ولا عدوان... وغير مستحلّه، وليس لـه من ذلك إلّا القدر الذي يبلغه الحلال، وله أن يحمل منه ما يبلّغه ذلك، فإذا بلّغه ألقاه وهو قوله ﴿**وَلاَ عَادٍ**﴾».

قال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما المخمصة فلا يخلو أن تكون دائمة أو لا، فإن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع من الميتة، إلا أنه لا يحل لـه أكلها وهو يجد مال مسلم لا يخاف فيه قطعاً، كالتمر المعلق، وحريسة الجبل، ونحو ذلك مما لا قطع فيه ولا أذى»[(٤)].

قال مجاهد: «فمن اضطر غير باغ ولا عاد قاطعاً للسبيل، أو مفارقاً للأئمة، أو خارجاً في معصية الله، فله الرخصة، ومن خرج باغياً، أو عادياً، أو في معصية الله فلا رخصة له، وإن اضطر إليه... وقال قتادة.. فمن اضطر غير باغ ولا عاد، قال: غير باغ في الميتة، أي في أكله أن يتعدى حلالاً إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة...»، وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ**﴾: «أي: أكره على ذلك بغير اختياره»[(٥)].

قال **الإمام ابن العربي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الضرر الذي بيّناه يلحق إما بإكراه من ظالم، أو جوع في مخمصة، أو بفقر لا يجد فيه غيره، فإن التحريم يرتفع عن

---

(١) مسند أحمد، ٢/١٠٨، وهو في مجمع الزوائد، ٣/١٦٢، ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني، ٢/١٤٦، برقم ١٨٨١، ١٨٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/١١.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١/٢٢٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٢٠٥.

ذلك بحكم الاستثناء ويكون مباحاً، فأما الإكراه فيبيح ذلك كله إلى آخر الإكراه»[1]، وقد روى الإمام أحمد: «أنهم قالوا: يا رسول الله، إنّا بأرضٍ تصيبنا بها المخمصة، فمتى تحلّ لنا بها الميتة؟ فقال: «**إذا لم تصطبحوا، ولم تغتبقوا، ولم تحتفئوا فشأنكم بها**»[2].

والحكمة من إباحة هذه المحرمات عند الضرورة:

أن الله تبارك وتعالى: رحيم بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وقد أباح لهم سبحانه هذه المحرمات عند الضرورة التي قد تهلك الإنسان، فهو سبحانه رحيم بهم، فمن احتاج تناول شيءٍ من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناوله والله غفور رحيم له؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له.

وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته[3]، والعبد الفقير إلى رحمة ربه إذا ألجأته هذه الضرورة فإنه يعمد إلى رخصة ربه، فيجتنب أكبر الضررين بارتكاب أخفّهما، فإن إثم قتل النفس أعظم من إثم أكل الميتة، بل قد أباحها الله سبحانه عند الضرورة.

قال سبحانه: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، ١/٥٥.

(٢) مسند أحمد، ٥/٢١٨، برقم ٢٢٢٤٦، وقال زهير الشاويش: «تفرد به من هذا الوجه، وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين».

(٣) مسند أحمد، ٢/١٠٨، وسبق تخريجه.

الباب الخامس

تفسير الآية الرابعة من سورة المائدة

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

الفصل الأول

بيان شروط الصيد بالجوارح من الكلاب والطيور

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أُرسل كلبي، وأُسمّي، قال: «**إذا أرسلت كلبك وسميت فأخذ، فقتل فكل، وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه**» قلت: إني أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذ؟ قال: «**فلا تأكل فإنما سميت على كلبك، ولم تسمِّ على غيره**»[(١)].

وعن عدي بن حاتم أيضاً: قال: قلت: يا رسول اللَّه إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، قال: «**إذا رميت بالمعراض الصيد فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ، فلا تأكله**»[(٢)].

قال **الإمام القرطبي** رحمه الله: «أجمعت الأمة على أن الكلب:

١- إذا لم يكن أسود.

٢- وعلّمه مسلم، فينشلي إذا أشلي، ويجيب إذا دُعي، وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر.

٣- وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده.

٤- وأثّر فيه بجرح، أو تنييب.

٥- وصاد به مسلم.

٦- وذكر اسم اللَّه عند إرساله أن صيده صحيح يُؤكل بلا خلاف. فإن انخرم شرط من هذه الشروط دخل الخلاف.

فإن كان الذي يصاد به غير الكلب: كالفهد، وما أشبهه، وكالبازي، والصقر، ونحوهما من الطيور، فجمهور الأمة على أن ما صاد بعد التعليم

(١)رواه البخاري، برقم ٢٠٥٤، ومسلم، برقم ١٩٢٩.

(٢)مسلم، برقم ١٩٢٩.

فهو جارح كاسب[١].

قال **الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التسمية قيل إنها ترجع للإرسال، قاله ابن عباس والسدي.

ثم قال: «وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد»[٢].

قال زهير الشاويش في تعليقه على زاد المسير: «قال ابن قدامة في المغني: «إذا ترك التسمية عمداً أو سهواً لم يبح»، قلت: ودليلهم: الآية، وحديث عدي. القول الثاني: إن التسمية ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة»[٣].

وقال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: «فأما لو انبعث الجارح من تلقاء نفسه من غير إرسال ولا إغراء، فلا يجوز صيده، ولا يحلّ أكله عند الجمهور، ومالك، والشافعي، وأبي ثور، وأصحاب الرأي؛ لأنه إنما صاده لنفسه من غير إرسال، وأمسك عليها، ولا صنيع للصائد فيه فلا ينسب إرساله إليه؛ لأنه لا يصدق عليه قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إذا أرسلت كلبك المعلم...**»[٤].

قلت: والراجح قول الجمهور ومن تبعهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة ٤]، وقول الرسول ﷺ لعدي: «**إذا أرسلت كلبك المعلَّم...**»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/٦٦.

(٢) زاد المسير، ٢/ ٢٩٤.

(٣) زاد المسير، ٢/٢٩٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، والحديث في البخاري، برقم ٢٠٥٤، ومسلم، برقم ١٩٢٩، وتقدمق تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه في الحاشية قبل السابقة.

الفصل الثاني

أولاً: بيان الخلاف في حلّ صيد بعض الجوارح:

قيل: إن السبع يسمى كلباً، فيدخل كل سبع يصاد به، وقيل: إن هذه الآية خاصة بالكلاب.

وقد حكى ابن المنذر عن ابن عمر أنه قال: «ما يصاد بالبزاة وغيرها من الطير، فما أدركت ذكاته فهو حلال وإلا فلا تطعمه».

وإن كان الكلب الأسود بهيماً فكره صيده الحسن، وقتادة، والنخعي، وقال أحمد: ما أعرف أحداً يرخص فيه إذا كان بهيماً.. واحتجوا بحديث «**الكلب الأسود شيطان**»[1].

أما عامة أهل العلم بالمدينة والكوفة، فيرون جواز صيد كل كلب معلَّم.

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحق أنه يحلّ صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره، وبين الأسود من الكلاب وغيره، وبين الطير وغيره»[2]، قلت: قال القاضي عياض، وأبو يعلى: «ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود وإن كان معلَّماً؛ لأن النبي ﷺ أمر بقتله، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت الصيد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كعدمه.

قلت: يقصد القاضي عياض وأصحابه بأمر ﷺ الرسول بقتل الكلب الأسود: حديث: «**عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان**»[3].

وحديث عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم**»[4].

واستثنى الإمام أحمد الكلب الأسود كذلك؛ لأنه عنده مما يجب قتله، ولا يحل اقتناؤه؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يقطع الصلاة الحمار، والمرأة، والكلب الأسود**»، فقلت: ما بال

---

(١) سبق تخريجه، وهو في مسلم، برقم ٥١٠.

(٢) فتح القدير للشوكاني، ٢/ ١٣.

(٣) مسلم، برقم ١٥٧٢.

(٤) أبو داود، برقم ٢٨٤٧، الترمذي، برقم ١٤٨٦، والنسائي، برقم ٤٧٩١، والدارمي، ٢/ ٩٠، وانظر: صحيح الجامع الصغير، ٥/ ٧٥، برقم ٥١٩٨.

الكلب الأسود من الأحمر؟ قال: «**الكلب الأسود شيطان**»[(١)].

أما ما عدا الكلب الأسود، فقد جاء الشرع باستثناء ثلاثة من الكلاب، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من اقتنى كلباً ليس كلب صيد، ولا ماشية، ولا أرض؛ فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم**»[(٢)].

قلت: أما ما ذكره ابن المنذر عن ابن عمر رضي الله عنه من قوله: ما يصاد بالبزاة وغيرها فما أدركت ذكاته فهو حلال وإلا فلا تطعمه.

فقد روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصيد بالبازي فقال: «**ما أمسك عليك فكل**» قال الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم»[(٣)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «والمحكي عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب؛ لأنها تكلب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهو مذهب الأربعة وغيرهم واختاره ابن جرير»[(٤)].

ثانياً: بيان اختلاف العلماء في اشتراط إمساك الجارح من الطيور والكلاب عن الأكل من الصيد:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن إمساك الصائد عن الأكل شرط في كل الجوارح، فإن أكلت لم يؤكل. وقد روي عن ابن عباس، وعطاء رضي الله عنهم.

القول الثاني: إنه ليس بشرط في الكل، فيؤكل وإن أكلت، وروي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم.

القول الثالث: إنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي.

قال **الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: «وهذا أصح؛ لأن جارح الطير يُعلّم على

---

(١)مسلم، برقم ٥١٠.

(٢)مسلم، برقم ١٥٧٥.

(٣) الترمذي، برقم ١٤٦٧، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مجالد عن الشعبي والعمل على هذا عند أهل العلم». وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٨٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/١٦.

الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل... فعلى هذا إذا أكل الكلب، أو الفهد، أو أي جارح من جوارح البهائم المعلمة من الصيد لم يبح أكله»[١]، قلت: وهذا هو الراجح إن شاء الله؛ لحديث عدي بن حاتم المتقدم، وفيه: «..**وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه**»[٢]، يقصد بذلك الكلب المعلم إذا أكل من الصيد.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ قال سعيد: يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ أي أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها، والطيبات من الرزق، وأحلّ لكم ما صدتموه بالجوارح، وهي الكلاب، والفهود، والصقور، وأشباهها كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين.

(مكلّبين) أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلبات للصيد: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ هو أنه إذا أرسله استرسل، وإذا أشلاه استشلى، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه، ولا يمسكه لنفسه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، فمتى كان الجارح معلماً، وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله حلّ الصيد وإن قتله بإجماع[٣].

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي راقبوا الله في أعمالكم، فإنه سريع المجازاة للعباد[٤].

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٣ ببعض التصرف.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠٥٤، وصحيح مسلم، برقم ١٩٢٩، وتقدم تخريجه.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/١٥.
(٤) صفوة التفاسير ١/٣٢٨.

الباب السادس

تفسير الآية الخامسة من سورة المائدة

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

الفصل الأول

أولاً: بيان المقصود بالحل في طعام أهل الكتاب:

لمّا ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحلّ لهم من الطيبات، قال بعده: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾، ثم ذكر ذبائح أهل الكتابين، من اليهود والنصارى، فقال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، «قال ابن عباس وغيره: يعني ذبائحهم، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تبارك وتعالى ما هو منزه عنه، تعالى وتقدس»[١].

وثبت في الصحيح أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية، وقد سمّوا ذراعها، وكان يعجبه الذراع فتناوله، فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم فلفظه، وأثّر ذلك في ثنايا رسول الله ﷺ وفي أبهره، وأكل معه منها بِشر بن البراء بن معرور فمات، فقتل اليهودية التي سمّتها، وكان اسمها زينب[٢].

ووجه الدلالة منه أنه عزم على أكلها ومن معه، ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا... ولم يبح ذبائح من عدا اليهود والنصارى من أهل الشرك، ومن شابههم؛ لأنهم لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم، بل ويأكلون الميتة، بخلاف أهل الكتابين، ومن غير أهل الكتاب من يعاملون بأخذ الجزية منهم تبعاً وإلحاقاً لأهل الكتاب، ومع ذلك فإنهم لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ دل بمفهومه – مفهوم المخالفة – على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل[٤].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «قال علي، وعائشة، وابن عمر: إذا سمعت

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ١٩.

(٢) قصة أكل النبي ﷺ من الشاة التي سُمّت له بخيبر انظرها في: البخاري، برقم ٢٦١٧، ومسلم، برقم ٢١٩٠، وأحمد في المسند، برقم ٢٧٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٢٠ ببعض التصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٢٠.

الكتابي يسمي غير الله فلا تأكل، وهو قول: طاووس، والحسن، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[المائدة:٣]، وقال مالك: إنه يكره ولا يحرم.

فهذا الخلاف إذا علمنا أن أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم اسم غير الله، وأما مع عدم العلم، فقد حكى الطبري، وابن كثير الإجماع على حلها لهذه الآية»[1].

قال **الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: «وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

والصحيح أنها أطلقت إباحة ذبائحهم؛ لأن الأصل أنهم يذكرون الله فيحمل أمرهم على هذا، فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب: علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن، وجماعة»[2].

قلت: وهذا القول: هو قول: علي، وعائشة، وغيرهما كما ذكره الشوكاني، وهو الراجح إن شاء الله؛ للأدلة المذكورة آنفاً في النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

والمراد بطعام أهل الكتاب: ذبائحهم، هذا قول ابن عباس، وجماعة[3].

قال **العلامة الشوكاني** رحمه الله نقلاً عن القرطبي: «ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاة كالطعام يجوز أكله.

أما المجوس فذهب الجمهور إلى أنها لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم لأنهم ليسوا بأهل كتاب على المشهور عند أهل العلم، وخالف في ذلك أبو ثور، وأنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال أحمد بن حنبل: أبو ثور كاسمه، يعني في هذه المسألة، وكأنه تمسك بما روي عن النبي ﷺ مرسلاً أنه قال في المجوس: «**سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب**» ولم يثبت بهذا اللفظ»[1].

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ٢/١٤.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٥.

(١) فتح القدير، ٢/١٥، والحديث أخرجه مالك في الموطأ، ١/٢٧٨، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٢٤٨.

قال **الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة: «فأما ذبائح المجوس فأجمعوا على تحريمها»[(١)]، قلت: وكأن ابن الجوزي لم يعتدّ بخلاف أبي ثور.

وقال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة: «وأما المجوس فالعلماء مجمعون – إلا من شذّ منهم – على أن ذبائحهم لا تؤكل، ولا يتزوج منهم؛ لأنهم ليسوا أهل كتاب على المشهور عند العلماء».

وقال أيضاً: «ولا بأس بالأكل، والشرب، والطبخ، في آنية الكفار كلهم ما لم تكن ذهباً، أو فضة، أو جلد خنزير، بعد أن تغسل وتغلى لأنهم لا يتوقون النجاسات»[(٢)].

وفي صحيح مسلم عن أبي ثعلبة الخشني قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في آنيتهم، وأرض صيد أصيد بقوسي، وأصيد بكلبي المعلم، وأصيد بكلبي الذي ليس بمعلم، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك، قال: «**أما ما ذكرت أنكم بأرض قوم من أهل الكتاب، وتأكلون في آنيتهم، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها، أما ما ذكرت أنك بأرض صيد، فما صدت بقوسك فاذكر اسم الله وكل، وما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله وكل، وما صدت بكلبك الذي ليس بمعلم فأدركت ذكاته فكله**»[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾، قال القرطبي: «دليل على أنهم مخاطبون بتفاصيل شرعنا»[(٤)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم، كما أكلتم من ذبائحهم، وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه عبد الله بن أُبي بن سلول حين مات ودفنه فيه، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم من المدينة ثوبه، فجازاه النبي ﷺ ذلك، فأما الحديث الذي فيه: «**لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(١)]، فمحمول على الندب والاستحباب، والله أعلم[(١)].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/٧٧.

(٣) البخاري، برقم ٥٤٩٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/٧٩.

(١) رواه أبو داود في سننه، برقم ٤٨٣٤، والترمذي، برقم ٢٣٩٥، ومسند أحمد، ٣/٣٨، برقم ١١٣٥٧، وحسّنه الألباني في صحيح =

ثانياً: حكم نكاح الكتابيات.

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات، وذكر هذا توطئة لما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: المحصنات العفيفات عن الزنا، كما قال تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

وقد كان الناس لا ينكحون الكتابيات بعد أن نزلت الآية التي في سورة البقرة: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[البقرة:٢٢١]. فجعلوا هذه الآية مخصصة للتي في سورة البقرة: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ...﴾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها، وإلا فلا معارضة بينها وبينها؛ لأن أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]، قال ابن كثير أيضاً: «قد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة»[(٢)].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «وقد روي عن عثمان أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية.

وعن طلحة بن عبيد الله: أنه تزوج يهودية... أما المجوس فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شذّ من قال: إنهم أهل كتاب»[(٣)].

وقوله: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن، أي كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس.

=

الترمذي، برقم ٢٥١٩.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٢٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٩٦.

وقوله ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، فكما شرط الإحصان في النساء وهو العفة عن الزنا، كذلك شرطها في الرجال أن يكونوا محصنين عفيفين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾، وهم الزناة، ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ أي ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن؛ ولهذا ذهب **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنه لا يصحّ نكاح المرأة البغي حتى تتوب، وكذلك لا يصحّ عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب؛ لهذه الآية؛ ولحديث: «**لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله**»[1].

قال قتادة: «أحلّ الله لنا محصنتين: محصنة مؤمنة، ومحصنة من أهل الكتاب، نساؤنا عليهم حرام، ونساؤهم لنا حلال»[2].

(١)تفسير ابن كثير، ٢/١٧، والحديث في مسند أحمد، ٢/٣٢٤، برقم ٨٢٨٣، وسنن أبي داود، برقم ٢٠٥٤، ٢/٢٢١، وانظر: صحيح الجامع للألباني، ٦/٢٥٥.

(٢)فتح القدير للشوكاني ٢/١٦.

الفصل الثاني

أولاً: حكم المرتد

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١] أي ومن يرتد عن الدين، ويكفر بشرائع الإيمان فقد حبط عمله، وهو من الهالكين[٢]، وروى ليث عن مجاهد: ومن يكفر بالإيمان: قال الإيمان بالله تعالى.

قال الزجاج: «معنى الآية: من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحل الله فهو كافر.

وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدم.

وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه يقول: إنما أباح الله ﷻ الكتابيات؛ لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهنّ، فحذّر ناكحهنّ من الميل إلى دينهنّ بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾»[٣].

ثانياً: حكم من حكم بغير ما أنزل الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦].

لما كان الموضوع الذي قبل هذا هو الكلام عن بعض أحكام المرتدّ، أحببت أن أتبعه بحكم من حكم بغير ما أنزل الله؛ لأن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتدّاً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني، ١/٣٢٩.

(٣) زاد المسير في عمل التفسير، ٢/٢٩٧، وانظر حكم المرتد مُفصلاً في كتابي: «قضية التكفير».

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

وهي كلمة: **كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك**، فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يخرج من الملة؛ لمنافاته أصل الدين بالكلية.

والأصغر ينقص الإيمان،وينافي كماله،ولا يخرج صاحبه من الملة.

ولهذا فصّل العلماء القول فيمن حكم بغير ما أنزل الله.

قال **سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سئل عن حكم من حكم بغير ما أنزل الله.

قال: «من حكم بغير ما أنزل اللَّه فلا يخرج عن أربعة أنواع:

١- من قال: أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية، فهو كافر كفراً أكبر.

٢- ومن قال: أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز، وبالشريعة جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

٣- ومن قال: أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل، لكن الحكم بغير ما أنزل اللَّه جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

٤- ومن قال: أنا أحكم بهذا، وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل اللَّه لا يجوز، ويقول: الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل، ولا يجوز الحكم بغيرها، ولكنه متساهل، أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامه، فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة، ويعتبر من أكبر الكبائر»[(١)].

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ما يسمى كفراً، وظلماً، يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأن كلاً من الكفر، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

---

(١) حدثنا بهذا الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز أثناء محاضرة له بالجامع الكبير بعد عام ١٤٠٢هـ، وأظنه عام ١٤٠٣هـ، ثم طبعت هذه المحاضرة فيما بعد بعنوان القوادح في العقيدة.

أ - أكبر يخرج من الملة؛ لمنافاته أصل الدين بالكلية.

ب - وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه منه، فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق.

والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله، وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصراً عليه، ولا يخلده في النار، بل يخرجه برحمته، ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان(١).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن المعاصي صغرت أم كبرت لا تؤدي بذاتها إلى الحكم على المسلم بالكفر، إنما يكون الكفر بسبب استحلال المعصية بتحليل ما حرّم الله، أو تحريم ما أحلّ الله تعالى، وهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من العلماء(٢)، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

ولا أستطيع أن أكتب في هذا المبحث المحدود كل ما قال علماء أهل السنة والجماعة، وإنما ذكرت الخلاصة، ومن أراد التفصيل في حكم المرتد فعليه بالرجوع إلى كتابي «**قضية التكفير**»، والله أسأل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.



(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، ٢/٤٢٣.
(٢) الحكم وقضية تكفير المسلم، ص١٨٦، وقضية التكفير للمؤلف، ص٤٠.

٦ -سورة الأنعام[(١)]

١-قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

قوله: ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: على غفلة.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المبلس: الآيس، فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم يرَ أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ.. ﴾[(٢)].

٢-قال الله تعالى: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام:٧٠] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام:٧٠].

قوله: ﴿تُبْسَلَ﴾ أي: تُسْلَم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والسدي.

وقال مرة: وابن زيد: تؤخذ.

وقال الكلبي: تُجْزى.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وكل هذه الأقوال، والعبارات متقاربة في المعنى، وحاصلها: الإسلام للهلكة، والحبس عن الخير، والارتهان عن درك المطلوب»[(٣)].

٣-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي...﴾ [الأنعام:٧٦].

فيه أربعة أوجه من التأويل:

١-أراد إبراهيم استدراج القوم، وتعريفهم خطأهم بهذا القول.

٢-قاله على وجه الاستفهام، تقديره: أهذا ربي على وجه التوبيخ، والإنكار.

٣-الاحتجاج عليهم يقول: هذا ربي بزعمكم.

---

(١) حرر في ١٤١١/١٠/١٥هـ.

(٢) تفسير ابن كثير، عند تفسير الآية ٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير،.

٤-فيه إضمار وتقديره: يقولون هذا ربي[(١)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: والحق أن إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان مناظراً لقومه، مبيناً بطلان ما كانوا عليه[(٢)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً**﴾ [الأنعام:٨٠].

وليس الاستثناء من الأول، بل استثناء منقطع، معناه: لكن إن يشاء ربي شيئاً: أي: سوءاً، فيكون ما شاء[(٣)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: استثناء منقطع: أي: لا يضر، ولا ينفع إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[(٤)].

٥-قال اللَّه تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ..**﴾ الآيات [الأنعام:٨٤-٨٦].

قوله: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ**﴾: عود الضمير إلى نوح؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر لا إشكال فيه، وهو اختيار ابن جرير، وعوده إلى إبراهيم؛ لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل عليه لوط؛ فإنه ليس من ذرية إبراهيم، بل هو ابن أخيه هاران بن آزر، اللهم إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليباً، كما في قوله: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ**﴾[البقرة: ١٣٣]، فإسماعيل عم يعقوب، دخل في آبائه تغليباً[(٥)].

٦-درجات الفضائل أربع: «ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم: من النبيين، **٢**-والصديقين، **٣**-والشهداء **٤**-والصالحين»[(١)].

---

(١) تفسير البغوي ٢/١١٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/١٤٣.
(٣) تفسير البغوي ٢/١١٢.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/١٤٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ٢/١٤٧، وتفسير السعدي ٢/٤٢٩.
(١) تفسير السعدي ٢/٣٢٩.

٧-قال اللَّه تعالى:﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام:٩٨] المستقر: أي: في الأرحام، ومستودع: أي: في أصلاب الرجال، وبه قال ابن عباس، وغيره.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هو الأظهر[١].

وقيل: فمستقر: في الرحم على أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث، وهذا عن ابن مسعود[٢].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[الأنعام:٩٥]، أي: كيف تصرفون عن الحق، وتدلون عنه إلى الباطل[٣].

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[الأنعام:٩٩]، أي: مشتبه في الورق، والشكل قريب بعضه من بعض، ومتخالف في الثمار شكلاً، وطعماً، وطبعاً[٤].

١٠-قال اللَّه تعالى:﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾[الأنعام:١٠٠]، أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده، لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره؟[٥].

قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، أي: اختلقوا، وائتفكوا، وتخرّصوا، وكذبوا[٦].

١١-درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، أو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها، أو ترك المصلحة، إذا كان يترتب عليها مفسدة أعظم منهما: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجلُ والديه**» قالوا: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**»[٧]، أو كما قال ﷺ[٨].

(١) تفسير ابن كثير، ٢/١٥٠.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٢/١١٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ٢/١٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢/١٥٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ٢/١٥٢.
(٦) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٥٤.
(٧) البخاري، برقم ٥٩٧٣، ومسلم، برقم ٩٠.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/١٥٦.

١٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾[الأنعام:١٠٥].

١-ابن كثير: نوضح الآيات، ونفسرها، ونبينها في كل موطن[١].

٢-البغوي: نفصلها، ونبينها في كل وجه[٢].

٣-السعدي: التصريف: معناه: التنويع: أي: اللَّه تعالى ينوّع الآيات الدالة على المعاني الرائعة، الكاشفة عن الحقائق، تصريفاً بالغاً في الروعة مبلغاً ارتقى عن إدراك المخلوقين[٣].

١٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:١٠٥].

﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾.

١-قيل: معناها: لئلا يقولوا: درست.

٢-وقيل: اللام للعاقبة «نصرف الآيات، وعاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي: قرأت على غيرك، أو قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[القصص: ٨]، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدواً لهم.

٣-وقيل: يعني: أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم، ويسعد بها قوم آخرون.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هذه الأقوال ذكرها البغوي[٤].

واختار العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره القول الثاني: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾: نفعل ما نفعل من التصريف المذكور، واللام للعاقبة، والصيرورة، والواو اعتراضية، أي: لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا: درست، وكذلك

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/١٥٤.
(٢) تفسير البغوي ٢/١٢٠.
(٣) تفسير السعدي ٢/٤٥٠.
(٤) تفسير البغوي ٢/١٢٠.

الآيات صرفت للتبيين، ومجمل معنى الآية هو: ومثل هذا التنويع البديع في عرض الدلائل الكونية، نعرض آياتنا في القرآن منوعة، مفصلة؛ لنقيم الحجة بها على الجاحدين، ولنبيّن ما أنزل إليك من الحقائق لقوم يدركون الحق[1].

واختار العلامة الشنقيطي رحمه الله قول السعدي رحمه الله، فقال: ومعناهما: آيل إلى شيء واحد، ويشهد له القرآن في آيات كثيرة، دالة على أنه يبين الحق واضحاً في هذا الكتاب؛ ليهدي به قوماً، ويجعله حجة على آخرين، كقوله ... وقوله ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[المدثر: ٣١]، كما قال هنا ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، فالأشقياء يقولون: تعلمته من البشر بالدراسة، وأهل العلم والسعادة يعلمون أنه الحق الذي لا شك فيه[2].

١٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[الأنعام:١٢١].

اختلف أهل العلم في أكل ما لم يذكر اسم اللَّه عليه من الذبائح التي يذبحها المسلم بيده على ثلاثة أقوال:

-**المذهب الأول**: تحريم أكل ذلك؛ سواء ترك التسمية عامداً، أو ناسياً: وهي رواية عن مالك، ورواية عن أحمد، ونصرها طائفة من أصحابه المتقدمين، والمتأخرين، وهو اختيار داود الظاهري، وغيره، وهو مروي عن ابن عمر، ونافع.

-**القول الثاني**: إن ترك التسمية لا يضر مطلقاً، وهذا مذهب الشافعي، وجميع أصحابه، ورواية عن أحمد، ورواية عن مالك، وحكي عن ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنه.

-**القول الثالث**: التفصيل: إن ترك التسمية ناسياً لم يضرّ، وعمداً لم تحلّ، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد، ومالك، وبه يقول أبو حنيفة، وأصحابه، وغيرهم، وهو محكي عن علي، وابن عباس، وسعيد بن المسيب،

(١) تفسير السعدي ٢/٤٥٠.
(٢) أضواء البيان، ٢/٢٠٧.

وغيرهم ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا..﴾[البقرة: ٢٨٦] «عفي لأمتي الخطأ والنسيان .. »» ورجح هذا القول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وعبدالرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره في المجلد ٢/٤١٦[1].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[الأنعام: ١٢٠] اختلف في معنى ذلك، والراجح أن معنى ذلك: «جميع المعاصي التي توقع العبد في الإثم، والحرج، سواء كان ذلك متعلقاً بحقوق اللَّه، أو حقوق عباده، فنهى اللَّه ﷻ عن الوقوع في الإثم الظاهر، والباطن: أي: السر، والعلانية المتعلقة بالبدن، والجوارح، والمتعلقة بالقلب، وكثير من الناس يخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصاً معاصي القلب: كالكبر، والعجب، والرياء ... ونحو ذلك حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به، ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة[2].

١٦-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[هود: ١٠٧].

-فقيل: أراد إلا قدر ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم.

-وقيل: خالدين في النار، إلا ما شاء اللَّه من أنواع العذاب.

-وقيل: ويذكر عن ابن عباس: أنه يرجع إلى قوم سبق فيهم علم اللَّه أنهم يسلمون، فيخرجون من النار، و(ما) بمعنى من على هذا التأويل[1].

-وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعضهم: يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ، وقال بعضهم: إلى مدة الدنيا، وقيل غير ذلك من الأقوال التي ستأتي في سورة هود عند قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[هود: ١٠٧][2].

---

(١) انظر الأقوال المتقدمة في تفسير ابن كثير، ٢/١٦١، وتفسير البغوي ٢/١٢٧.
(٢) انظر: تفسير السعدي ٢/٤٦٥، وتفسير الجزائري ١/٦٥٢.
(١) تفسير البغوي ٢/١٣١.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢/١٦٨.

-وقيل: إلا ما شاء الله من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم[١].

١٧-قال الله تعالى:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[الأنعام:١٣٠].

قال كثير من المفسرين: المراد بالرسل من الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل، فيبلغونه إلى قومهم، ويشهد لهذا ذكر أنهم منذرون لقومهم قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[الأحقاف: ٢٩].

وقال بعض العلماء: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من مجموعكم الصادق بخصوص الإنس؛ لأنه لا رسل من الجن، ويستأنس لهذا القول بأن القرآن ربما أطلق فيه المجموع، مراداً به بعضه، كقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾[الشمس: ١٤]، مع أن العاقر واحد منهم، كما قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[القمر: ٢٩].

قال في أضواء البيان: «واعلم أن ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله وغيره من أجلاء العلماء في تفسير هذه الآية من أن قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن: ٢٢] يراد به البحر الملح خاصة دون العذب، غلط كبير، لا يجوز القول به؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى؛ لأن الله ذكر البحرين: الملح، والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر: ١٢]، ثم صرح باستخراج اللؤلؤ، والمرجان منهما جميعاً بقوله: ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[النحل: ١٤]، والحلية اللؤلؤ والمرجان ...»[١].

١٨-﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام:١٤١].

اختلف في هذا الحق:

أ-فقيل هي الزكاة المفروضة من العشر والنصف، ومنهم ابن عباس، وغيره.

ب-وقيل حق في المال سوى الزكاة، ومنهم علي بن الحسين، وعطاء، ومجاهد.

ج-وقيل كان هذا حقاً في ابتداء الإسلام منسوخاً بإيجاب العشر، أو نصفه،

---

(١) انظر: تفسير الجلالين ص١٨٤، تفسير الجزائري ١/٦٥٧.

(١) انظر :أضواء البيان، ٢/٢١١، وانظر: تفسير البغوي ٢/١٣١.

قاله سعيد بن جبير، واختار القول بالنسخ ابن جرير، قال ابن كثير: وفيه نظر.

د-واختار الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا كان شيئاً واجباً في الأصل، ثم إنه فُصِّل بيانه، وبُيِّن مقدار المخرج، وكميته، قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم[١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزرع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، ولو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة[٢].

فما هو الراجح من هذه الأقوال؟

الذي يرجحه شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أصل الزكاة كان واجباً من أول الإسلام في مكة، ثم بُينت الأنصباء، ومقدار الواجب بعد الهجرة إلى المدينة.

١٩-قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ... ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وهذه الأربعة ورد حصر تحريمها في البقرة، وفي النحل، والأنعام.

-من الناس من قال: إنه لا يحرم مطعوم غير الأربعة المذكورة، وهذا باطل بإجماع المسلمين، لإجماع المسلمين، ودلالة الكتاب والسنة على تحريم الخمر، فهو دليل قاطع على تحريم غير الأربعة، ومن زعم أن الخمر حلال لهذه الآية، فهو كافر بلا نزاع بين العلماء.

-وقيل بأن الزيادة على الأربعة المذكورة نسخ.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكونه نسخاً أظهر عندي؛ لأن الحصر في الآية يفهم منه إباحة ما سوى الأربعة شرعاً، فتكون إباحة شرعية لدلالة القرآن عليها، ورفع الإباحة الشرعية نسخ بلا خلاف، أما قول جمهور العلماء إن

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/١٧٣ وتفسير البغوي، ٢/١٣٥.
(٢) تفسير السعدي، ٢/٤٨٦.

الزيادة لا تنافي في المزيد، وما لا ينافي لا يكون ناسخاً، وهو ظاهر.

-والذي يظهر رجحانه بالدليل هو ما ذهب إليه الجمهور من أن كل ما ثبت تحريمه بطريق صحيحة من كتاب أو سنة، فهو حرام، ويزاد على الأربعة المذكورة في الآيات، ولا يكون في ذلك، أي: مناقضة للقرآن؛ لأن المحرمات المزيدة عليها حرمت بعدها[1].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعضهم: إن هذه الآية نزلت قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحي إليه في ذلك الوقت ...[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بها: .. منها «**نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير**» والأصل عند الشافعي أن ما لم يرد فيه نص تحريم، أو تحليل؛ فإن كان مما أمر الشرع بقتله، كما قال: «**خمس فواسق يقتلن في الحل، والحرم ...**» أو نهى عن قتله .. فهو حرام، وما سوى ذلك، فالمرجع فيه الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم، فهو حرام؛ لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: ﴿**قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾، فثبت أن ما استطابوا فهو حلال[1]، قلت: فيما عدا ما دل على تحريمه الكتاب، أو السنة، أو القياس الصحيح، أو الإجماع.

ونهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد[2].

وصحّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: لا تقتلوا الضفادع؛ فإن نقيقها تسبيح، ولا تقتلوا الخفاش؛ فإنه لما خرب بيت المقدس قال: يا رب، سلطني على البحر حتى أغرقهم، قال البيهقي: إسناده صحيح[3]، وقال:

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٢٤٩-٢٥٠، وتفسير ابن كثير، ٢/١٧٥، وتفسير البغوي، ٢/١٣٨.
(٢) تفسير السعدي، ٢/٤٩٢.
(١) تفسير البغوي، ٢/١٣٨.
(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم. انظر: أضواء البيان، ٢/٢٧٣.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٢/٢٧٤.

والظاهر أن هذا الحديث لا مجال للرأي فيه، فهو في حكم المرفوع؛ لأن علم تسبيح الضفدع، وما قاله الخفاش، لا يكون بالرأي، وعليه فهو يدل على منع أكل الخفاش، والضفدع [١].

٢٠-قال اللَّه تعالى:﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا..﴾ الآية [الأنعام:١٤٨].

ومرادهم أن اللَّه لما كان قادراً على منعهم من الشرك، ولم يمنعهم منه أن ذلك دليل على رضاه بشركهم، ولذلك كذبهم هنا، فقال: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾، وكذبهم في الزخرف حين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[الزخرف: ٢٠]، وقال في الزمر: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر: ٧][٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله بما معناه فعلم أنها حجة فاسدة من عدة أوجه، منها ما يأتي:

١-ما ذكر اللَّه أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

٢-أن الحجة لا بد أن تكون مستندة إلى العلم بالبرهان.

٣-أن للَّه الحجة البالغة التي لم تبق لأحد عذراً، التي اتفقت عليها الأنبياء، والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة.

٤-أن اللَّه أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة يتمكن بها من فعل ما كلف به، فما أوجب على أحد ما لا يقدر على فعله، وما حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، والاحتجاج بعد هذا ظلم محض، وعناد صرف.

٥-واللَّه تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاؤوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا، وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات.

(١) أضواء البيان، ٢/٢٧٤، وانظر فوائد كثيرة في ذكر كثير، من المحرمات في أضواء البيان، للشنقيطي ٢/٢٤٦-٢٧٧.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٢/٢٧٧.

فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية، والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجة تحت إرادته.

٦-أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر، يتناقضون في ذلك، فلو أساء إليهم مسيء بضرب، أو أخذ مال، أو نحو ذلك، واحتج هذا المسيء بالقضاء والقدر؛ لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب، فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله، ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم.

٧-أن احتجاجهم بالقضاء والقدر، ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام المصيب عندهم، والمخطئ[(١)].

٢١-قال الله تعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..﴾الآية [الأنعام:١٥١].

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: الظاهر في قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أنه متضمن معنى ما وصاكم به فعلاً، أو تركاً؛ لأن كلاً من ترك الواجب، وفعل الحرام حرام، فالمعنى: وصاكم ألا تشركوا، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً[(١)].

وقال **الجزائري**: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ وهذا أمر، إذ التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، والأمر بالشيء نهي عن ضده، فالأمر بالإحسان، يقتضي تحريم الإساءة، والإساءة إلى الوالدين هي عقوقهما، فكان عقوق الوالدين محرماً، داخلاً ضمن المحرمات المذكورة[(٢)].

وهذه الوصايا العشر في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢٢-قال الله تعالى:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[الأنعام:١٥٧].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٢/٤٩٥-٤٩٧.
(١) أضواء البيان، ٢/٢٧٨.
(٢) تفسير الجزائري ٢/٦٧٦.

ومعنى تفسير السدي لهذه الآية: أن قوله صدف عنها، أي: صد غيره عن اتباع آيات الله، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: صدف عنها: أعرض عنها.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول السدي هنا فيه قوة؛ لأنه قال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ كما تقدم في أول السورة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[1].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ في الأضواء بعد ذكره للخلاف، وقول السدي، والمعنى: أنه صد غيره عن اتباع آياته، والقرآن يدل لقول السدي؛ لأن إعراض هذا الذي لا أحد أظلم منه عن آيات صرح به في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إذ لا إعراض أعظم من التكذيب، فدل ذلك أن المراد بقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أنه صد غيره، فصار جامعاً بين الضلال والإضلال[2]، وقال: وإطلاق صدف بمعنى أعرض كثير في كلام العرب[3].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ٢/١٨٤.
(٢) أضواء البيان، ٢/٢٨٢.
(٣) أضواء البيان، ٢/٢٨٣.

٧ - سورة الأعراف

١-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣].

ذكر الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن فوائد في تفسير هذه الآية، وخلاصة ما قال:

بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه عامل إبليس بنقيض قصده؛ حيث كان قصده التعاظم، والتكبر، فأخرجه اللَّه صاغراً حقيراً، ذليلاً، متصفاً بنقيض ما كان يحاوله من العلو، والعظمة، وذلك في قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، والصغار أشد الذل، والهوان، وقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً﴾[الأعراف: ١٨]، ونحو ذلك من الآيات.

ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة، والرفعة، وإنما يحصل له نقيض قصده، وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وبيّن تعالى في مواضع أخرى كثيراً من العواقب السيئة التي تنشأ عن الكبر، أعاذنا اللَّه منها، فمن ذلك:

١-إنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات اللَّه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢-من أسباب الثواء في النار: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٣-وصاحبه لا يحبه اللَّه: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

٤-استعاذ موسى من صاحبه، ولا يستعيذ إلا مما هو شر: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] إلى غير ذلك من عواقبه الوخيمة، ويفهم من مفهوم المخالفة في الآية أن المتواضع للَّه يرفعه اللَّه، وقد أشار إلى مكانة المتواضعين عنده في عدة مواضع، كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقد صح عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[(١)]، وقد قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى صفحات الجو وهو وضيع

قلت: وقد ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(٢)].

«**إنَّ حقاً على اللهِ أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**»[(٣)].

فنسأل الله أن يعيذنا من الكبر، والإعجاب بالنفس، وأن يرزقنا التواضع له وحده، كما يحب في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة[(٤)].

٢-قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ [الأعراف:٢٩-٣٠].

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: أمركم بالاستقامة في محالها، وتكميل العبادات خصوصاً الصلاة، أقيموها ظاهراً وباطناً، قاصدين بذلك وجه الله وحده، لا شريك له، فإنه تعالى لا يقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً لله[(٥)].

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ للعلماء في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير:

الأول: أن معنى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: كما سبق لكم في علم الله من

---

(١) مسلم، برقم ٢٨٦٥.
(٢) مسلم، برقم ٢٥٨٨.
(٣) البخاري، برقم ٦٥٠١.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٢/٢٩٤-٢٩٥ بتصرف.
(٥) تفسير ابن كثير، ٢/١٩٩، وتفسير السعدي ٣/١٧.

سعادة، أو شقاوة، فإنكم تصيرون إليه، فمن سبق له العلم أنه سعيد، صار إلى السعادة، ومن سبق له العلم أنه شقي، صار إلى الشقاوة، ويدل لهذا الوجه قوله بعده: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾، وهو ظاهر كما ترى، ومن الآيات الدالة عليه أيضاً قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[التغابن: ٢].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: ويتأيد هذا بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: «**فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها ..** »[(١)]، وفي حديث سهل بن سعد يرفعه: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»[(٢)].

القول الثاني: إن معنى قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: كما خلقكم، أولاً لم تكونوا شيئاً؛ فإنه يعيدكم مرة أخرى، ويبعثكم من قبوركم أحياء، حفاة، عراة، غرلاً بعد أن متم، وصرتم عظاماً، رميماً، والآيات الدالة على هذا الوجه كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا..﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ..﴾ [الروم: ٢٧].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللهُ: «قد يكون في الآية وجهان، وكل واحد منهما حق، ويشهد له القرآن، فنذكر الجميع؛ لأنه كله حق، والعلم عند الله تعالى»[(٣)].

٣-قال الله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ

---

(١) البخاري، برقم ٣٣٣٢، ومسلم، برقم ٢٦٤٣.

(٢) البخاري، برقم ٦٦٠٧، ومسلم، برقم ١١٢ بلفظه، والجملة الأخيرة من صحيح مسلم.

(٣) انظر :أضواء البيان، ٢/٢٩٧-٢٩٨، وابن كثير، ٢/٢٠٠.

﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآية الكريمة، وأمثالها من آيات الصفات كقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ونحو ذلك أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل، وقوم إلى التشبيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علواً كبيراً عن ذلك، والله جل وعلا أوضح هذا في غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس، ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم [أي: المخلوقات] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه، ملحد، ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة المخلوق، فهو مؤمن، جامع بين صفات الكمال، والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه، والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وأثبت لنفسه صفات الكمال، والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فصرح في هذه الآية بنفي المماثلة، مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال[١].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد؛ لأن الموصوف بها

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٣٠٤-٣٠٥، وينظر في هذا الكتاب فوائد عظيمة في العقيدة ٢/٣٠٤-٣٢١.

واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاته، فمن أثبت مثلاً أنه سميع، بصير، وسمعه، وبصره مخالفان لأسماع الحوادث، وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات؛ كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع الذوات، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق[1].

٤-قال اللَّه تعالى: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف:٥٥-٥٦].

هذه الآيات فيها من آداب الدعاء:

١-أن يكون الداعي ضارعاً: أي: متذللاً، مستكيناً، ملحاً في المسألة.

٢-أن يخفي دعاءه، فلا يجهر به جهراً يخاف منه الرياء، بل يخفضه إخلاصاً.

٣-أن يكون حال الدعاء خائفاً، طامعاً: خائفاً من عقابه، طامعاً في ثوابه.

٤-أن لا يعتدي في الدعاء بسؤال غير اللَّه، أو سؤال ما لم تجر سنة اللَّه بإعطائه، أو يسأل مسائل لا تصلح له، كأن يسأل النبوة، أو يسأل منازل الأنبياء، والاعتداء هو التجاوز للحد.

وعن عبداللَّه بن مغفل أنه سمع ابناً له يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بنيَّ، سل اللَّه الجنة، وعذ به من النار، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يكون قوم يعتدون في الدعاء، والطهور**»[2].

قال عبداللَّه بن المبارك: عن مبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته، وعنده الزوار، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من

---

(١) أضواء البيان، ٢/٣١٨.

(٢) أخرجه أحمد، ٢٧/ ٣٥١، برقم ١٦٧٩٦، وحسنه لغيره محققو المسند، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٤، وأبو داود، برقم ١٤٨٠، قال ابن كثير، عن إسناد أبي داود: وهو إسناد حسن لا بأس به. تفسير ابن كثير، ٢/٢١٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٢٠، برقم ١٣٣٠.

عمل يقدرون أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبداً، لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن اللَّه تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥][(١)].

٥-الإخلاص في الدعاء لأن ذلك يتضمنه الخفية[(٢)].

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦]، ولم يقل اللَّه ﷻ قريبة، هذا فيه للعلماء أقوال، منها:

١-الرحمة مصدر بمعنى الرحم، فالتذكير باعتبار المعنى.

٢-من أساليب اللغة العربية أن القرابة إذا كانت قرابة نسب، تعيّن التأنيث فيها في الأنثى، فتقول فلانة قريبتي، وقريبة مني، ولا تقل قريب مني، وإن كانت في قرابة مسافة جاز التذكير والتأنيث، فتقول: داره قريب، وقريبة مني.

٣-إضافة الرحمة إلى اللَّه جل وعلا.

وذكر العلامة الشنقيطي رحمه الله ستة أقوال في ذلك[(٣)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣].

قيل: كانت من الباقين في العذاب.

وقيل: كانت من الهالكين، وهو تفسير باللازم[(٤)].

وقيل: كانت من المعمرين، قد أتى عليها دهر طويل، فهلكت مع من هلك من قوم لوط[(٥)].

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمْ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٢].

قيل: كأن لم يقيموا، ولم يتركوا فيها، والمغاني: المنازل، واحدها مغنى.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢١٢.
(٢) انظر: تفسير البغوي، وتفسير السعدي، وتفسير الجزائري ٢/٣٢، وانظر: فوائد في آداب الذكر والدعاء في هذا المجموع ص٢٧ فائدة ٣٥.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٢/٣٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢/٢٢١.
(٥) تفسير البغوي ٢/١٨٠.

وقيل: كأن لم يتنعموا فيها[١].

٧-قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف:١٠١].

هذه الآية للعلماء فيها عدة أوجه من التفسير[١]:

١-منها: فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به، ولم يؤمنوا به؛ لاستحالة التغير فيما سبق في علم الله الأزلي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس: ٩٦]، واختاره ابن جرير.

٢-ومنها: أن معنى الآية أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة كفروا أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[الأنعام: ٢٨]، لكنه بعيد من ظاهر الآية.

٣-ومنها: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءت به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، واستحسنه ابن كثير.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية الكريمة، ووجهه ظاهر؛ لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل، سبب للطبع على القلوب: الإبعاد عن الهدى، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ١١٠].

وقد ذكر العلامة الشنقيطي رحمه الله أن الآية قد تكون فيها أوجه من التفسير، كلها يشهد لها القرآن، وكلها حق، فنذكر جميعها، والعلم عند الله[٢].

٨-قال الله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٠٥].

قال بعض أهل التفسير: معناه:

١-﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾: أي أنا خليق بذلك، وحري به وجدير، والباء، وعلى يتعاقبان، يقال: رميت بالقوس، ورميت على

(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢٢٣، والبغوي ٢/١٨٢.

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٢٢٨، وابن كثير، ٢/٢٢٥، والبغوي ٢/١٨٤.

(٢) أضواء البيان، ٢/٣٢٩.

القوس، جئت بحالة حسنة، وعلى حال حسنة، ويدل عليه قراءة الأعمش: «**حقيق بأن لا أقول**»، فتكون على في الآية هنا بمعنى الباء.

٢-وقال بعض المفسرين: معناه: حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق.

٣-وقال آخرون من أهل المدينة: «ويقال بأنها قراءة لنافع»: (عليَّ) حقيق عليّ، بمعنى: واجب عليّ، وحق عليَّ ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق، وصدق، والله أعلم[(١)].

٩-قال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي...**﴾ [الأعراف:١٤٣].

استدل المعتزلة النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامة بهذه الآية على مذهبهم الباطل، وقد جاءت آيات تدل على أن النفي المذكور، إنما هو في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فإن المؤمنين يرونه جل وعلا بأبصارهم، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة: ٢٢- ٢٣]، وقوله في الكفار: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[المطففين: ١٥]، فإنه يفهم من مفهوم المخالفة أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وذلك هو أحد القولين في قوله: ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[ق: ٣٥][(٢)].

١٠-قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٣]، فيها وجهان:

أ-﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: من بني إسرائيل،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢٣٦، وتفسير البغوي ٢/١٨٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، للفائدة ٢/٣٣٢. وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، ورؤية الله جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلاً في الدنيا قول موسى: ﴿**رب أرني أنظر إليك**﴾؛ لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله، وأما شرعاً، فهي جائزة، وواقعة في الآخرة للمؤمنين، كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترت به الأحاديث، وأما في الدنيا، فممنوعة شرعاً، كما دلت عليه آية الأعراف، وحديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا». انظر: إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/٣٣٢، والحديث في التوحيد لابن خزيمة، ٢/ ٤٤٨، والأسماء والصفات للبيهقي، برقم ٢٠٥، ورؤية الله للدارقطني، ص ٢٩٠، وكلها موقوفة، ومرفوعاً في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، برقم ٧٨٠، وانظر: صحيح مسلم، برقم ١٨١، وقال المناوي في الفتح السماوي، ٢/ ٧١٣: «هَذَا هُوَ الثَّابِت عَن رَسُول الله ﷺ أخرجه مُسلم، وَعَن أَصْحَابه: أبي بكر وصحابته، وَأبي مُوسَى، وَعبادَة وَغيرهم، وَالْأَحَادِيث فِيهِ كَثِيرَة».

واختاره ابن جرير.

ب-وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه لا يراك أحد في الدنيا إلى يوم القيامة.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا قول حسن له اتجاه[(١)].

١١-قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦] أي: سأمنع فهم الحجج، والأدلة الدالة على عظمتي، وشريعتي، وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير الحق، أي: كما استكبروا بغير حق، أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ١١٠]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، وقال مجاهد: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، قال: أنزع عنهم فهم القرآن.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن كان بهذه الصفة حرمه الله خيراً كثيراً[(٢)].

١٢-قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤-١٦٥].

فقد نص الله على نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا، ومع هذا، فقد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى: هل كانوا من الهالكين، أو من الناجين على قولين:

الأول: إن الطائفتين: الساكتة، والنهاية أنجاهما الله تعالى، وهذا يذكر عن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٢٣٥.
(٢) تفسير السعدي ٣/٩٠.

عكرمة، وأن ابن عباس وافقه عندما سأله.

القول الثاني: إن الساكتين كانوا من الهالكين، قال ابن عباس: كانوا أثلاثاً: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾[الأعراف: ١٦٤]، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم، **قال الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إسناد جيد عن ابن عباس، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة السالكين أولى من القول بهذا؛ لأنه تبين حالهم بذلك، والله أعلم[١].

وقال **العلامة عبد الرحمن السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: والظاهر أنهم كانوا من الناجين؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت؛ ولأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية، فإذا قام به البعض، سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم قوله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾، فأبدوا من غضبهم عليهم ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة[٢].

١٣-قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

في هذه الآية الكريمة وجهان لأهل التفسير:

أ-معنى أخذ ذرية آدم من ظهورهم هو إيجاد قرن منهم بعد قرن، وإنشاء قوم بعد قوم آخرين، ومعنى قوله: ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أي: قالوا ذلك بلسان حالهم بما نصب الله لهم من الأدلة، وظهورها بأن الله ربهم المستحق للعبادة وحده، كخلق السموات والأرض، وما ركز فيهم من الفطر.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/٢٤٨.

(٢) تفسير السعدي ٣/١٠٨.

ب-وقيل: إن الله استخرج جميع ذرية آدم من ظهره من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال، ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرةً بذلك الميثاق الذي نسيه الكل، ولم يولد أحد منهم، وهو يذكر، وإخبار الرسل به يحصل به اليقين بوجوده.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الوجه الأخير يدل له الكتاب والسنة، ثم أورد الأدلة على ذلك»[1].

١٤-قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ...﴾ [الأعراف:١٨٨].

المراد بالخير في هذه الآية: قيل: المال، وقيل: العمل الصالح، والصحيح الأول؛ لأنه ﷺ مستكثر جداً من الخير الذي هو العمل الصالح؛ لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته[2].

١٥-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٩٠].

في هذه الآية وجهان من التفسير:

قيل: إن حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت، فجاءها الشيطان، فقال: سمي هذا الولد عبدالحارث؛ فإنه يعيش، والحارث من أسماء الشيطان، فسمته: عبدالحارث.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما أتى آدم وحواء صالحاً كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما، فالمراد المشركون من بني آدم.

ورجح هذا العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]، والإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

١٦-قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٣٣٥-٣٣٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ٢/٢٥٠-٢٥٣، وتفسير السعدي.

(٢) أضواء البيان، ٢/٣٤٠.

(٣) أضواء البيان، ٢/٣٤١.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢/٢٦٤.

مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

في هذه الآية بيان بعض آداب الذكر، وهي:

١-السرية.

٢-التضرع والتذلل.

٣-الخوف والخشية.

٤-عدم رفع الصوت به[١].

---

(١) انظر: تفسير الجزائري، ٢/١١٧، وتفسير السعدي، ٣/١٣٩-١٤٠، وانظر آداب أخرى في هذا المجموع، ص٢٠، فائدة ٢٤.

٨ -سورة الأنفال[(١)]

كلمات سورة الأنفال، وحروفها:

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلماتها: ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة، حروفها: خمسة آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً، والله أعلم»[(٢)].

١-قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال:١].

الأنفال: الغنائم، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، كما رواه البخاري[(٣)].

وقال ابن عباس: سورة الأنفال نزلت في بدر[(٤)].

وعن ابن عباس أنه قال: ﴿الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء[(٥)].

وقيل: الأنفال: ما ينفِّله الإمام لبعض الأشخاص: من سَلب، أو نحوه بعد قسم أصل المغنم، وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل، والله أعلم.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس»[(٦)].

وقيل: الأنفال ما ينفله الإمام لبعض السرايا، زيادة على قسمهم مع بقية الجيش، ذكر عن الشعبي، واختار ابن جرير أنها الزيادات على القسم[(٧)].

وشاهد هذا قوله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**»، فذكر الحديث، إلى أن قال: «**وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي**»[(٨)].

وفي تفسير **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الآية: قل: الأنفال لله مع الدنيا والآخرة، وللرسول ﷺ يضعها حيث أمره الله تعالى: أي: الحكم فيها لله،

---

(١) حرر في ١٣/٩/١٤٣٣هـ.
(٢) تفسير ابن كثير، ٧/٥.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٦٤٥.
(٤) البخاري، برقم ٤٦٤٥.
(٥) البخاري، برقم ٤٦٤٥.
(٦) تفسير ابن كثير، ٧/٦.
(٧) تفسير ابن كثير، ٧/٧.
(٨) البخاري، برقم ٣٣٥، ومسلم، برقم ٥٢١.

ولرسوله، وقد بين اللَّه مصارفها في قوله ﷻ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ...﴾الآية[(١)].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان: «جمهور العلماء على أن الآية نزلت في غنائم بدر لما اختلف الصحابة فيها ...»، إلى أن قال: «والحاصل أن آية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ الآية، بيّنت أنه ليس المراد قصر الغنائم على الرسول المذكور في أول السورة، وأنها تعطى أربعة أخماس منها للغانمين ...»[(٢)].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ [الأنفال:٢].

وقد استدل البخاري، وغيره من الأئمة بهذه الآية، وأشباهها على زيادة الإيمان، وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد[(٣)].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ..﴾ [الأنفال:١٩].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ أي: تستنصروا، وتستقضوا اللَّه، وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاء ما سألتم[(٤)].

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالفتح هنا في هذه الآية عند جمهور العلماء: الحكم، وذلك أن قريشاً لما أرادوا الخروج إلى غزوة بدر، تعلقوا بأستار الكعبة، وزعموا أنهم قطّان بيت اللَّه الحرام، وأنهم يسقون الحجاج ونحو ذلك، وأن محمداً ﷺ فرق الجماعة، وقطع الرحم، وسفه الآباء، وعاب الدين، ثم سألوا اللَّه أن يحكم بينهم وبين النبي ﷺ، بأن يهلك الظالم منهم، وينصر المحق، فحكم اللَّه بذلك، وأهلكهم ونصره ....»[(٥)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢].

---

(١) تفسير البغوي، ٢/٢٢٩.
(٢) أضواء البيان، ٢/٣٤٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ٧/١٥، وانظر الآيات في زيادة الإيمان: أضواء البيان، ٢/٢٤٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ٧/٤٣.
(٥) أضواء البيان، ٢/٣٤٧.

أي: شر من الدواب على وجه الأرض من خَلْقِ الله ﴿عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ عن الحق، فلا يسمعونه، ولا يقولونه، ﴿الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله ﷻ، سماهم (دواب) لقلة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[الأعراف: ١٧٩][١].

٥-قال الله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

قيل: الحق.

وقيل: القرآن، فيه النجاة، والحياة.

وقيل: الإسلام، فيه إحياؤهم بعد موتهم بالكفر[٢].

وقيل: الإيمان؛ لأن الكافر ميت، فيحيى بالإيمان.

وقيل: الجهاد؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون[٣].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

وعن مجاهد: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ حتى تركه لا يعقل.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن، ولا يكفر إلا بإذنه.

وقد جاءت بذلك الأحاديث، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[٤].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[٥].

---

(١) تفسير البغوي ٢/٢٤٠، وانظر: تفسير ابن كثير، ٧/٤٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٧/٤٦.
(٣) تفسير البغوي ٢/٢٤٠.
(٤) مسلم برقم ٢٦٥٤، وغيره تفسير ابن كثير، ٧/٤٩.
(٥) الترمذي برقم ٢١٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٣٢٣، برقم ٣٠٨١.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»، فَتَلَا مُعَاذٌ: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾ [آل عمران: ٨]»[1].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال:٢٨].

الفتنة: الاختبار، والامتحان، والابتلاء، وهو: أحد معاني الفتنة في القرآن، والمعنى: يختبرون بها: هل يكون المال والولد سبباً للوقوع فيما لا يرضي اللَّه، وزاد في موضع آخر: أن الأزواج فتنة أيضاً: كالمال، والولد، فأمر الإنسان بالحذر منهم أن يوقعوه فيما لا يرضي اللَّه، ثم أمره إن اطلع على ما يكره من أولئك الأعداء الذين اقرب الناس له، وأخصّهم، وهم الأولاد، والأزواج أن يعفو عنهم، ويصفح، ولا يؤاخذهم، فيحذر منهم أولاً، ويصفح عنهم إن وقع منهم بعض الشيء، وذلك في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[التغابن: ١٤- ١٥][2].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الأنفال:٢٩].

قوله: ﴿**فُرْقَاناً**﴾ مخرجاً في الدنيا والآخرة.

وقيل: نجاةً، وقيل: نصراً.

---

(١) سنن الترمذي، برقم ٣٥٢٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ١٢٦، برقم ٢٠٩١.

(٢) أضواء البيان، ٢/٣٤٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ٧/٥٧.

وقيل: فصلاً بين الحق والباطل.

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: قول الجماعة المذكورة إن المراد بالفرقان المخرج، يشهد له قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ الآية [الطلاق: ٢] والقول بأنه النجاة، أو النصر، راجع في المعنى إلى هذا؛ لأن من جعل الله له مخرجاً أنجاه، ونصره، لكن الذي يدل القرآن على صحته في تفسير الآية المذكورة هو قول ابن إسحاق؛ لأن الفرقان مصدر زيدت فيه الألف والنون، وأريد به الوصف: أي: الفارق بين الحق والباطل ..

ويدل على أن المراد بالفرقان هنا: العلم الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾الآية [الحديد: ٢٨]؛ لأنه قوله هنا: ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ**﴾ يعني: علماً وهدىً تفرقون به بين الحق والباطل، ويدل على أن المراد بالنور هنا: الهدى ومعرفة الحق قوله تعالى فيمن كان كافراً فهداه الله ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾ الآية[الأنعام: ١٢٢][١].

٩-قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال:٣٥].

المكاء: الصفير.

والتصدية: التصفيق[٢].

١٠-قال الله تعالى: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً**﴾ الآية [الأنفال:٤٣].

وقوله: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً**﴾ [الأنفال:٤٣].

ومعنى الآية أنه تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه؛ ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال، وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة

(١) أضواء البيان، ٣٤٩/٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ٥٨/٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ٧١/٧، وأضواء البيان، ٣٥١/٢.

مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعيفاً، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[آل عمران: ١٣]، وهذا الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلاً منهما حق وصدق ولله الحمد[(١)(٢)].



(١) تفسير ابن كثير، ٧/٩٥-٩٦.

(٢) حرر في يوم الاثنين ١٨/٩/١٤٣٣هـ.

٩ -سورة التوبة

اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من سورة التوبة على أقوال:

١-**قيل**: البسملة: رحمة، وأمان، وبراءة نزلت بالسيف، فليس فيها أمان.

٢-**وقيل** ذلك على عادة العرب إذا نقضوا عهداً بكتاب، أسقطوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، ولا يخفى ضعف هذا القول.

٣-**وقيل**: الصحابة اختلفوا: هل براءة، والأنفال سورة، أو سورتان، فتركوا بينهما فرجة لمن قال إنهما سورتان، وتركوا البسملة لمن قال: إنها سورة، فرضي الفريقان، وثبتت حجتهما في المصحف.

٤-**وقيل**: نسخ أول براءة، فسقطت معه البسملة.

٥-وقال **الإمام القرطبي** رحمه الله: والصحيح أن البسملة لم تكتب في أول السورة؛ لأن جبريل لم ينزل بها فيها، قاله القشيري.

٦-**والصحيح** ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما عن عثمان رضي الله عنه أنه قال عندما سأل ابن عباس عن السبب في عدم كتابة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان إذا أنزل عليه شيء، يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر ما أنزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول اللَّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، ووضعتها في السبع الطوال[(١)].

فيؤخذ من هذا أمرين:

١-ترتيب الآيات بتوقيف من النبي ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود، برقم ٧٨٦، والنسائي في الكبرى، برقم ٧٩٣٥، والترمذي، برقم ٣٠٨٦، وأحمد، ١/ ٤٥٩، برقم ٣٩٩، والحاكم، ٢/ ٢٤١، وصححه. انظر: أضواء البيان، ٢/ ٤٢٧.

٢-ترتيب السور توقيفي أيضاً فيما عدا سورة براءة، وهو أظهر الأقوال[(١)].

١- قال الله تعالى:﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة:١-٢].

فيه اختلاف كثير بين العلماء، والذي يشهد له القرآن هو أن ذلك في أصحاب العهود المطلقة غير المؤقتة بوقت معين، أو من كانت مدة عهده المؤقتة أقل من أربعة أشهر، فتكمل له أربعة أشهر، أما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر، فيكمل له عهده إلى مدته[(٢)].

٢-قال الله تعالى:﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة:٢].

قيل: ابتداء التأجيل من شوال، وآخره المحرم، ولكن القرآن يدل على أن ابتداءها من يوم النحر، الأصح من أنه يوم الحج الأكبر، وقد قيل إن يوم الحج الأكبر: يوم عرفة.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: في رواية أنه يوم النحر: وهذا إسناد صحيح[(٣)].

٣-قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ الآية [التوبة:٥].

اختلف العلماء في المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: إنها المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ الآية [التوبة:٣٦].

ولكن السياق يدل على أنها أشهر الإمهال المذكورة في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس، كما قاله ابن كثير وبين أنه الأظهر[(٤)].

٤-قال الله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨].

قيل: الإل: القرابة، والذمة: العهد يذكر ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلي بن أبي طلحة، وعكرمة والصوفي، والضحاك والسدي.

وقيل: إلاً: الإل: الله، مثل قوله: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل كأنه يقول: لا يرقبون الله.

(١) انظر: أضواء البيان، ٤٢٨/٢.
(٢) أضواء البيان، ٤٢٨/٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣٢٠/٢، وانظر: أضواء البيان، ٤٢٩/٢.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٤٣٠/٢، وتفسير ابن كثير، ٣٠/٢.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والقول الأول أظهر، وأشهر، وعليه الأكثر ...[(١)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ إلى: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

اتفقت الأمة على أخذ الجزية من أهل الكتابين [اليهود والنصارى]، إذا لم يكونوا عرباً، واختلفوا في الكتابي العربي:

١-فذهب الشافعي إلى أن الجزية على الأديان، لا على الأنساب، فتؤخذ من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماً، ولا تؤخذ من أهل الأوثان بحال، واحتج أن النبي ﷺ أخذها من أكيدر دومة الجندل، وهو رجل من العرب، يقال :إنه من غسان، وأخذ من أهل اليمن، وعامتهم عرب، والمجوس، اتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم لفعله ﷺ.

٢-وذهب مالك، والأوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد.

٣-وقال أبو حنيفة: تؤخذ من أهل الكتاب على العموم، وتؤخذ من مشركي العجم، ولا تؤخذ من مشركي العرب.

٤-وقال أبو يوسف: لا تؤخذ من العربي كتابياً، أو مشركاً، وتؤخذ من العجمي كتابياً، أو مشركاً[(٢)]، وقال في مذهب أحمد المشهور عنه: إنه مثل قول الشافعي، وهو القول الأول.

٦-قال اللَّه تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣٤].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: أظهر الأقوال، وأقربها للصواب في معنى: ﴿يَكْنِزُونَ﴾ في هذه الآية الكريمة، أنهم لا يؤدون زكاتهما [(٣)]، وروي هذا عن عمر، وعبدالله بن عمر، وابن عباس، وجابر، وأبي هريرة رضي الله عنهم، ولا شك أن هذا القول أصوب الأقوال[(١)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٢٣-٣٢٤.
(٢) انظر: تفسير البغوي ٢/٢٨٢، وابن كثير، ٢/٣٣٢.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٢/٤٣٢
(١) أضواء البيان، ٢/٤٣٢.

٧- ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام: هل هو منسوخ، أو محكم على قولين:

أحدهما، وهو الأشهر: أنه منسوخ؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، وأمر بقتال المشركين، وظاهر السياق أنه أمر بذلك أمراً عاماً، ولو كان محرماً في الشهر الحرام؛ لأوشك أن يقيده بانسلاخها؛ ولأن الرسول ﷺ حاصر أهل الطائف في شهر حرام، وهو ذو القعدة.

والقول الآخر: إن ابتداء القتال في شهر حرام حرام، وأنه لم ينسخ [(١)].

٨- قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً...﴾ الآية [التوبة: ٤١].

أمر الله بالنفير العام على أي حال كان المؤمن: كهولاً، وشباناً، وشيوخاً، وأغنياء، وفقراء، ونشاطاً، وغير نشاط، ركباناً، ومشاة، مشاغيل، وغير مشاغيل، أصحاء ومرضى ..

ولا يخفى ما في هذه الآية من المشقة، والتشديد في الخروج إلى الجهاد، وعلى كل حال، ولكن الله تعالى أرحم الراحمين، رفع هذا، ونسخه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، وروي عن ابن عباس وغيره أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فالحمد لله رب العالمين أرحم الراحمين [(٢)].

٩- قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً..﴾ [التوبة: ٤٧].

والمعنى: ما زادوكم إلا شراً، وفساداً، وتخذيلاً، ومعنى الفساد: إيقاع الجبن، والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر [(١)]، ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٤٠، وتفسير البغوي ٢/٢٩٠.
(٢) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي ٢/٤٧٠، وتفسير ابن كثير، ٢/٣٤٤، والبغوي ٢/٢٩٦.
(١) تفسير البغوي ٢/٣٩٨.

﴿الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، ﴿وَلأَوْضَعُوا﴾: أسرعوا: خلالكم بينكم بالنميمة، والبغضاء، والفتنة[١].

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: يستمعون كلامهم، مطيعون لهم، مستجيبون لحديثهم، وكلامهم، وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي ذلك إلى وقوع فساد وشر بين المؤمنين.

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن جرير: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، أي: عيون يسمعون لهم الأخبار، وينقلونها إليهم، والمعنى الأول أظهر في المناسبة بالسياق، وإليه ذهب قتادة، وغيره من المفسرين[٢].

١٠- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..﴾ الآية [التوبة:٧٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمشركين ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وسيف للكفار من أهل الكتاب ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩]، وسيف للمنافقين ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وسيف للبغاة ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[الحجرات: ٩][٣].

١١- قال الله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١].

يستدل بهذه الآية على قاعدة، وهي: أن من أحسن إلى غيره: في نفسه، أو ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص، أو تلف أنه غير ضامن؛ لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين[٤].



---

(١) تفسير البغوي ٢/٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ٢/٣٤٥.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٤٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٥٥.
(٤) انظر: تفسير السعدي رحمه الله ٣/٢٨١.

١٠ -سورة يونس

١-قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:٣٠].

في الآية أوجه من التفسير:

١-على هذه القراءة ﴿تَبْلُو﴾ أي: تختبر، وتعلم ما أسلفت، وقدمت من خير، وشر، كقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[القيامة: ١٣]، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[الطارق: ٩]، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾[الإسراء: ١٣]، ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[الكهف: ٤٩].

٢-على قراءة تتلوا بتاءين ففي معناها وجهان:

أ-أنها تقرأ في كتاب أعمالها جميع ما قدمت، فيرجع هذا الوجه إلى الوجه الأول.

ب-أن كل أمة تتبع عملها لقوله ﷺ: «**لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ... الحديث**»[(١)].

٢-قال الله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٣٨].

هذا هو المقام الثالث في التحدي.

فالمقام الأول: تحداهم إن كانوا صادقين أن القرآن من عند محمد ﷺ، فليعارضوه بمثل ما جاء به، وليستعينوا بمن شاءوا، وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك، ولا سبيل إليه، فقال سبحانه في سورة الطور ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[الطور: ٣٤]، وقال: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[الإسراء: ٨٨].

والمقام الثاني: ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه، فقال في أول سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٤٨١، وتفسير ابن كثير، ٢/٣٩٨، والحديث أخرجه البخاري، برقم ٦٥٧٣، ومسلم، برقم ١٨٢.

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[هود: ١٣]، وكذا تحداهم في سورة البقرة بسورة منه، وهي مدنية، وأخبرهم أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾[البقرة: ٢٤][1].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١].

قال ابن زيد وغيره: إن هذه الآية منسوخة بآيات السيف، والظاهر أن معناها محكم؛ لأن البراءة إلى اللَّه من عمل السوء، لاشك في بقاء مشروعيتها.

فقد أمر اللَّه في هذه الآية نبيه ﷺ أن يظهر البراءة من أعمال الكفار القبيحة، إنكاراً لها، وبين هذا المعنى في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ...﴾[الكافرون: ١]، إلى قوله: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦]، ونظير ذلك قول إبراهيم وأتباعه لقومه: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[الممتحنة: ٤]، وبيّن في موضع آخر أن اعتزال الكفار، والأوثان، والبراءة منهم من فوائد تفضل اللَّه تعالى بالذرية الطيبة الصالحة، وهو قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ..﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيّاً﴾[مريم: ٤٩- ٥٠][2].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[يونس:٤٥].

الآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد أقسم تعالى على أن هذا الخسران لا ينجو منه إنسان، إلا بأربعة أمور:

١-الإيمان.

٢-العمل الصالح.

٣-التواصي بالحق.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٣٩٩، وأضواء البيان، ٢/٢٨٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٢/٤٨٥.

٤-التواصي بالصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ...﴾ [العصر: ١-٣] إلى آخر السورة[١].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:٤٧].

يعني يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[الزمر: ٦٩]، فكل أمة تعرض على اللَّه بحضرة رسولها، وكتاب أعمالها من خير، وشر، موضع شاهد عليهم، وحفظتهم من الملائكة شهود أيضاً[٢].

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً..﴾ [يونس: ٥٩].

يستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه؛ لأن اللَّه أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده[٣].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فسَّرهم ربهم بالذين آمنوا وكانوا يتقون، فمن كان للَّه تقياً، كان للَّه ولياً، وقال عبداللَّه بن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من السلف: «أولياء اللَّه الذين إذا رؤوا ذُكِر اللَّه»، وروي أنهم عباد من عباد اللَّه يغبطهم الأنبياء والشهداء، وهم قوم تحابوا في اللَّه من غير أموال، ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس[٤].

٨-قال اللَّه تعالى:﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ..﴾ [يونس:٦٤].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢/٤٨٧.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٠١، وأضواء البيان، ٢/٤٨٩.
(٣) انظر: تفسير السعدي ٢/٣٦٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢/٤٠٤.

وردت روايات كثيرة أنها الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن في الدنيا، أو ترى له، وجاء في رواية لمسلم عن أبي ذر ﵁ قال: يا رسول اللَّه، الرجل يعمل العمل، ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[١]، والخلاصة واللَّه أعلم أن البشرى كالتالي:

١-في الحياة الدنيا: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف اللَّه، وتيسيره لأحسن الأعمال، والأخلاق، وصرف عنه مساوئ الأخلاق.

٢-وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، وفي القبر ما يبشر به من رضا اللَّه تعالى، والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم[٢].

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾[يونس:٨١-٨٢].

قال ابن أبي حاتم بسنده عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن اللَّه، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في يونس:٨١-٨٢، والآية الأخرى: ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..**﴾ إلى آخر أربع آيات[الأعراف: ١١٨- ١٢١]، وقوله: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾[طه: ٦٩][٣].

١٠-قال اللَّه تعالى:﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ**﴾[يونس:٨٣].

يذكر عن ابن عباس أن الذرية هنا من غير بني إسرائيل من قوم فرعون، منهم: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون ... وروي عن ابن عباس أنهم من

(١) مسلم، برقم ٢٦٤٢.
(٢) انظر: تفسير السعدي ٣/٣٦٧، وتفسير ابن كثير، ٢/٤٠٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٠٩.

بني إسرائيل، وهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان، ومات آباؤهم، واختار هذا القول ابن جرير، وأن الذرية من بني إسرائيل، لا من قوم فرعون؛ لعود الضمير على أقرب المذكورين، وفي هذا نظر؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث، والشباب، وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد كانوا يعرفون نعته، وصفته من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون .. ولما جاء موسى، آذاهم أشد الأذى، فقالوا: ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ..﴾[الأعراف: ١٢٩]، وإذا تقرر هذا، فكيف يكون المراد: إلا ذرية من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ..﴾[يونس: ٨٣]، أي: وأشراف قومه أن يفتنهم، ولم يكن من بني إسرائيل، من يخاف منهم أن يفتن عن الإيمان، سوى قارون؛ فإنه كان من قوم موسى، فبغى عليهم، لكنه كان طاوياً إلى فرعون، متصلاً به، متعلقاً بحباله .. ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٥][(١)].

١١-قال الله تعالى:﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧].

اختلف المفسرون في معنى ﴿قِبْلَةً﴾، فقيل: أمروا أن يتخذوها مساجد، وذلك أنهم كانوا خاشعين، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم، وهذا يذكر عن ابن عباس، والثوري، ومجاهد، وأبي مالك، والربيع بن أنس .. وكان هذا، والله أعلم، لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون، وقومه، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم، وأن يجعلوها مستقبلة الكعبة، يصلون فيها، فذكر ابن كثير خلاف المفسرين، ولم يذكر إلا ما اختاره رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]، وقد قيل: اجعلوها يقابل بعضها

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٠٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤١٠.

بعضاً، قاله **العلامة الشوكاني** رحمه الله، وغيره، وذكر القول الثاني أيضاً، وقيل: القبلة: بيت المقدس، وقيل: الكعبة.

١٢-قال الله تعالى:﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ..﴾ [يونس:٨٨].

واختلف في معنى ليضلوا: فقال **الإمام ابن كثير** رحمه الله في تفسيره: (ليَضلوا) بفتح الياء، أي: أعطيتهم، وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به استدراجاً منك لهم، كقوله تعالى: **﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾**[الجن: ١٦- ١٧]، قلت: فعلى هذا تكون اللام هنا لام كي.

وقال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وقرأ آخرون: (ليُضلّوا) بضم الياء، أي: ليفتتن بما أعطيتهم هذا؛ لحبك إياهم، وامتنانك بهم[١].

وقيل هي لام العاقبة: كما قال تعالى: **﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾**[القصص: ٨][٢].

١٣-قال الله تعالى:﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤].

قيل: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، كما يقال: إياك أعني، واسمعي يا جارة «مثل بذلك الجزائري في تفسيره».

وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق، ومكذب، وشاك، وهذا الخطاب مع أهل الشك، معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، قال ابن عباس: كعبدالله بن سلام، وأصحابه الذين آمنوا من أهل الكتاب، فيشهدون على صدق الرسول ﷺ، ويخبرونك بنبوته.

وقال الفراء: علم الله أن رسوله ﷺ غير شاك؛ لكنه ذكره على عادة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤١١.
(٢) انظر: تفسير البغوي ٢/٣٦٥.

العرب، يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك[(١)].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:٩٨].

والمعنى: فهلا كانت، **والمعنى:** فلم تكن قرية؛ لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، فلم ينفع أهل قرية كفروا، ثم آمنوا، لما رأوا العذاب، وحضرهم، ثم تركوا إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم، وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف اللَّه في قلوبهم التوبة، ثم عجّوا إلى اللَّه بالدعاء، والضراعة، والتوبة، والندامة، فتاب اللَّه عليهم[(٢)].



(١) انظر: تفسير البغوي ٢/٣٦٨، وتفسير ابن كثير، ٢/٤١٣.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤١٤، وتفسير البغوي ٢/٣٦٨.

١١ -سورة هود

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول اللَّه قد شبت قال: «**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»[التكوير: ١] [(١)].

١-قال اللَّه تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:٦].

أخبر سبحانه أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر الدواب: صغيرها، وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه يعلم مستقرها، ومستودعها، وعن ابن عباس: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ حيث تأوي، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت، وروي عن ابن عباس أيضاً، ومجاهد، وجماعة: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الرحم، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ في الصلب، كالتي في الأنعام .. فاللَّه أعلم[(٢)].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧].

عن عمران بن حصين قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، قال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن**» قالوا: قد قبلنا، فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: «**كان اللَّه قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ، ذكر كل شيء**» قال: فأتاني آتٍ فقال: يا عمران، انحلت ناقتك من عقالها، قال: فخرجت في إثرها، فلا أدري ما كان بعدي، وهذا الحديث في صحيح البخاري، ومسلم بألفاظ كثيرة، منها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «**كان اللَّه ولم يكن شيء قبله**» وفي رواية: «**غيره**» وفي رواية: «**معه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**» وفي صحيح مسلم عن عبداللَّه بن

---

(١) أخرجه الترمذي وانظر: صحيح سنن الترمذي ١١٣/٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الثاني حديث رقم ٩٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤١٨/٢.

عمرو بن العاص قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[1].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود:٨].

الأمة تستعمل في القرآن أربعة استعمالات:

الأول: وهو ما ذكر هنا من استعمال الأمة في البرهة من الزمن، وهو الأجل المعدود، والأمد المحصور، والمدة المضروبة، وهو كقوله في يوسف: **﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾**[يوسف: ٤٥].

الثاني: استعمالها في جماعة من الناس، وفرقة من الناس، وهذا الاستعمال الغالب، كقوله: **﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾**[القصص: ٢٣]، وكقوله: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**[النحل: ٣٦]، **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ...﴾**[يونس: ٤٨]، **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾**[البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك.

الثالث: استعمال الأمة في الرجل الإمام المقتدى به **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[النحل: ١٢٠].

الرابع: وتستعمل في الملة والدين والشريعة والطريقة كقوله: **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾**[الأنبياء: ٩٢]، **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾**[الزخرف: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات[2].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود:٥].

اختلف العلماء في معنى قوله في هذه الآية الكريمة:

﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، وقوله: **﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾**، وفي مرجع الضمير في قوله: **﴿مِنْهُ﴾**.

١-قال بعض العلماء المراد بقوله **﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾**:

أ-يزوَرّون عن الحق، وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره،

---

(١) البخاري، برقم ٣١٩١.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/١٣، وتفسير ابن كثير، ٢/٤١٩.

ومن ازورّ عنه، وانحرف: ثنى عنه صدره، هكذا فسر الزمخشري في الكشاف.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وهذا المعنى معروف في كلام العرب، فهم يعبرون باعوجاج الصدر عن العدول عن الشيء، والميل عنه، ويعبرون بإقامة الصدر عن القصد إلى الشيء، وعدم الميل عنه.

ب-وقيل نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ فيدعوه إلى الإيمان. حكى معناه عن عبدالله بن شداد.

ج-وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يكرهون أن يجامعوا، أو يتغوطوا، وليس بين فروجهم وبين السماء حجاب، يستحيون من الله.

د-وقيل: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يخفون ما في صدورهم من الشحناء، والعداوة.

٢-﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾:

أ-قيل: يغطون رؤوسهم لأجل كراهة سماع كلام الله، كقوله عن نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[نوح: ٧].

ب-وقيل: إذا عملوا سوءاً، وشكوا في الله، ثنوا صدورهم، وغطوا رؤوسهم، يظنون أنهم يستخفون عن الله بذلك، فأخبرهم الله أنه يعلم ما يسرون، وما يعلنون.

٣-﴿مِنْهُ﴾ قيل: عائد إلى الله في أظهر القولين، وقيل: راجع إلى النبي ﷺ، كما مر في الأقوال في الآية[١].

٥-قال الله تعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود:١٦].

صرّح تعالى في هذه الآية أن من عمل عملاً يريد به الحياة الدنيا، أعطاه الله جزاء عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة إلا النار، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤١٧/٢، وأضواء البيان، للشنقيطي ١١/٣ وتفسير البغوي ٣٧٣/٢.

الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[الشورى: ٢٠]، ولكنه تعالى بين في سورة بني إسرائيل تعليق ذلك على مشيئته تعالى، فقال تعالى: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾**[الإسراء: ١٨- ١٩].

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: إن أهل الرياء يعطون حسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً، يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً، أو صلاة، أو تهجداً بالليل، لا يعمله إلا التماساً للدنيا، فيوفيه الله الذي التمس في الدنيا من المثابة، ويحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين، فمن كانت الدنيا همه، ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يعطى بها جزاءً، وأما المؤمن، فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة[(١)].

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى عن السلف أنواعاً من العمل للدنيا:

النوع الأول: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله تعالى: من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس ولكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليه، ولا هم له في طلب الجنة والهرب من النار وهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وهو أن يعمل الأعمال الصالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة، يأخذ بها مالاً، مثل أن يحج لمال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو يجاهد لأجل المغنم، أو يتعلم القرآن، ويواظب على الصلاة من أجل وظيفة المسجد، ولا يقصد وجه الله تعالى.

النوع الرابع: أن يعمل عملاً صالحاً مخلصاً لله فيه، وحده لا شريك له،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/ ١٤، وتفسير ابن كثير، ٢/ ٤٢١.

لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل: اليهود، أو النصارى إذا تصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله، والدار الآخرة، مثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر، أو شرك أكبر، يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون وجه الله والدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وهذا النوع ذكر عن أنس بن مالك ﷺ، وغيره من السلف، وكان السلف يخافون من ذلك، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة، لتمنيت الموت؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧][(١)].

٦-قال الله تعالى:﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ...﴾ [هود:١٧].

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: يعني النبي ﷺ، ويدخل مع أتباعه، والله أعلم، والمعنى: أفمن كان على بينة من ربه، كمن يريد الحياة والدنيا، وزينتها، بما أوحاه الله من القرآن الذي فيه الأدلة، والبراهين.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي: يتبعه من يشهد له بصدقه.

واختلف في هذا الشاهد على أقوال:

أ-فقيل: إنه جبريل، قاله ابن عباس، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وأكثر أهل التفسير، فجبريل شاهد من الله ﷻ، وهو يتلو على محمد ما بعث به.

ب-وقيل: هو لسان رسول الله ﷺ يتلو به القرآن، ولسان الصدق الذي ينطق به، وكمالاته الخلقية، والروحية؛ حيث نظر إليه بعض الناس، وهو عبدالله بن سلام، فقال: ما هذا بوجه كذاب ..

جـ-وقيل: هو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين يشهد حقيقة ما أوحاه الله، وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيماناً على إيمانه.

د-وقيل: الشاهد: المعجزات، أو القرآن، أو الإنجيل[(٢)].

---

(١) انظر: فتح المجيد ص٤٤٤-٤٤٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٢١، وتفسير البغوي ٢/٣٧٧، وتفسير السعدي ٣/٤١٢، والجزائري ٢/٣٢٨، ومختصر الطبري ص٢٤٥، وزبدة التفسير ص٢٨٧.

فالبينة: الوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة، وهذا الشاهد الأول.

والشاهد الثاني ما تقدم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

والشاهد الثالث كتاب موسى يشهد للقرآن بالصدق.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

في هذه الآية للعلماء أوجه، بعضها يشهد له القرآن:

الأول: وهو اختيار الطبري في تفسيره، ونقله عن ابن عباس، وقتادة: أي: لا يستطيعون أن يستمعوا للحق سماع منتفع، ولا يبصرون إبصار مهتدٍ؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع، وأبصار.

الثاني: عدم الاستطاعة المذكورة في الآية: هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم، وأسماعهم، والغشاوة التي جعل الله على أبصارهم، واختاره الشنقيطي في الأضواء.

الثالث: ما كانوا يستطيعون السمع لشدة كراهتهم للنبي ﷺ.

الرابع: أن «ما» مصدرية ظرفية، أي: يضاعف لهم العذاب مدة كونهم يستطيعون أن يسمعوا، ويبصروا، أي: يضاعف لهم العذاب دائماً.

الخامس: أن «ما» مصدرية في محل نصب بنزع الخافض، أي: يضاعف لهم العذاب بسبب كونهم يستطيعون السمع، والإبصار في دار الدنيا، وتركوا الحق مع أنهم يستطيعون إدراكه بأسماعهم، وأبصارهم.

السادس: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ هذا من صفة الأصنام: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥] [١].

٧- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/١٦-١٧.

اختلف العلماء في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام على أقوال:

أحدها: أنه أراد المدافعة عن ضيفه ولم ير إمضاء ما قال، وبهذا قال عكرمة وأبو عبيدة.

الثاني: أن المراد بناته لصلبه: وأن المعنى دعوا فاحشة اللواط وأزوجكم بناتي وعلى هذا فتزويج المسلمة للكافر كان جائزاً في شرعه كما كانت بنات نبينا ﷺ تحت الكفار في أول الإسلام.

القول الثالث: أن المراد بالبنات جميع نساء قومه [(١)].

٨-قال اللَّه تعالى:﴿**وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾ [هود:٨٣].

في هذه الآية ثلاثة أوجه للعلماء:

١-ليس هذه الحجارة ببعيد من قوم لوط فلم تكن تخطئهم وهذا القول ضعيف.

٢-ديار قوم لوط ليست ببعيدة من المكذبين لنبينا محمد ﷺ فكان عليهم أن يعتبروا بما وقع لها إذا مروا عليها في أسفارهم إلى الشام وعلى هذا فالضمير راجع إلى ديار قوم لوط وهو قوله ﴿**وَمَا هِيَ**..﴾.

٣-القول الثالث: وما هذه الحجارة التي أمطرت على قوم لوط ببعيد من الظالمين للفاعلين مثل فعل قوم لوط، فهو تهديد لمشركي العرب [(٢)].

اختلف العلماء في عقوبة الفاعل والمفعول به على أقوال:

١-يقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً سواء كانا محصنين، أو بكرين، أو أحدها محصناً والآخر بكراً وممن قال بهذا مالك وأصحابه، وأحد قولي الشافعي وأحد الروايتين عن أحمد وحكى غير واحد إجماع الصحابة على هذا القول إلا أن القائلين به اختلفوا في كيفية قتل من فعل ذلك:

أ-فقال بعضهم: يقتل بالسيف وهو الراجح الذي رجحه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر لزيادة الفائدة: أضواء البيان، للشنقيطي ٣/٣٤-٣٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٣٩-٤٠.

ب-وقال آخرون: يرجم بالحجارة.

جـ-وقال آخرون: يرفع على أعلى بناء في البلد فيرمى منه منكساً.

والراجح ما تقدم وأنه بالسيف.

٢-**والقول الثاني:** اللواط زنى يجلد البكر ويرجم الزاني والراجح الأول.

٣-**والقول الثالث:** اللواط لا يقتل فاعله والمفعول به ولكن يعزران بالضرب والسجن وهذا القول لا يعول عليه [(١)].

٩- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨].

بين الله عدم الانقطاع في كل من عذاب أهل النار، ونعيم أهل الجنة، فقال في خلود أهل الجنة: **﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**، **﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾**[ص: ٥٤]، وقال في خلود أهل النار: **﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾**[الإسراء: ٩٧]، ومعلوم أن (كلما) تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها [(٢)].

واختار ابن جرير، وابن كثير ما روي عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة أن الاستثناء في النار عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين: من الملائكة، والنبيين، والمؤمنين، ثم تأتي رحمة الله أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، وقد قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله، كما وردت بذلك الأحاديث المستفيضة عن رسول الله ﷺ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية[(٣)].

وقيل: إلا ما شاء ربك من الفريقين، من تعميرهم في الدنيا، واحتباسهم في البرزخ

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٣/٤٣-٤٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٥٠.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، عند تفسيره لهذه الآية، ٢/٤٤١-٤٤٢، وتفسير البغوي، ٢/٤٠٢، والسعدي، ٣/٤٦١.

ما بين الموت والبعث، قبل دخولهم الجنة والنار، فالاستثناء على هذا راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع الأزمان، إلا الزمن الذي قبل الدخول فيها[١].

قلت: قد بين **العلامة محمد الشنقيطي** رحمه الله في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب الحق في ذلك[٢].

١٠-قال الله تعالى :﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود:١١٨-١١٩].

قوله: ﴿**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾ لا يزال الناس مختلفين في أديانهم، واعتقاداتهم، ومللهم، ونحلهم، ومذاهبهم، وآرائهم.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: إن هذا القول هو المشهور الصحيح، وقيل: مختلفين في الهدى، وقيل: مختلفين في الرزق ﴿**إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾، أي: إلا المرحومين من أتباع الرسول، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين، ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبي، وخاتم الرسل، فاتبعوه، ونصروه، وصدقوه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية.

١١-قال الله تعالى:﴿**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ خلقهم فريقين، كقوله: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾[هود:١٠٥]، وهذا نقل عن ابن عباس، وقال مالك في قوله تعالى: ﴿**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**..﴾ الآية: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهذا القول اختاره ابن جرير، ومالك وغيرهما[٣].

قال **العلامة السعدي** رحمه الله: اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق معه فيما قاله، والضلال في قول غيره ﴿**إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾، فهداهم الله إلى العلم بالحق، والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٢/٤٠٢، وتفسير السعدي، ٣/٤٦١.

(٢) انظره في أضواء البيان، ١٠/١٢٣-١٢٨، وانظر أيضاً ما تقدم من تفسير سورة الأنعام، الآية ١٢٨ في هذه الفوائد.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٤٦.

السعادة، وتداركتهم العناية الربانية، والتوفيق الإلهي، أما من عداهم، فهم مخذولون، موكولون إلى أنفسهم، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، اقتضت حكمته ليكون منهم السعداء، والأشقياء، والمتفقون، والمختلفون، والفريق الذي هدى الله، والفريق الذي حقت عليهم الضلالة[1].



(١) انظر: تفسير السعدي ٣/٤٧٠.

١٢ -سورة يوسف

١- قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦].

قيل: تعبير الرؤيا قاله جماعة من أهل العلم.

وقيل: المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتب اللَّه وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها. قال الشنقيطي: الظاهر أن ذلك يشمل ذلك كله: من تأويل الرؤيا وعلوم كتب اللَّه وسنن الأنبياء [(١)].

٢- ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً...﴾ [يوسف: ١٩].

أ- يعني إخوة يوسف كتموا شأنه أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه خوفاً من إخوته أن يقتلوه قاله العوفي عن ابن عباس.

ب- وقال السدي ومجاهد وابن جرير أسره الواردون من بقية السيارة وقالوا اشترينا مخافة أن يشاركوهم فيه [(٢)].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:٢٠].

قيل: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ عائد على إخوة يوسف، باعوه بثمن قليل، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وهذا هو الأقوى.

وقيل: الضمير يعود على السيارة، والأقوى الأول، كما تقدم[(٣)].

٤- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].

اختلف الناس في هذا المقام:

١-فقيل: همَّ بها: خاطرٌ قلبي صرف عنه وازع التقوى، وقيل: هو الميل الطبيعي، كما قال ﷺ: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك**»[(٤)]، يعني: ميل القلب

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٥١-٥٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٤٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٥٤.

(٤) سنن أبي داود، برقم ٢١٣٤، وسنن الترمذي، برقم ١١٤٠، وسنن ابن ماجه، برقم ١٩٧١، قال الإمام ابن الملقن في البدر المنير، ٧/ ٤٨١: «حَدِيث صَحِيح، رَوَاهُ أَحْمد والدارمي في «مسنديهما» وأصحابُ «السّنَن» الْأَرْبَعَة»، وصححه إسناده الأرتؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه، برقم ١٩٧١.

الطبيعي، وقال: «**ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبت له حسنة كاملة**»[١].

٢-**وقيل**: لم يقع منه هم. وهذا مخالف لقواعد اللغة العربية [٢].

٥-قال الله تعالى:﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ [يوسف:٢٦].

اختلف المفسرون في الشاهد هنا على أقوال:

١-**فقيل**: صبي في المهد، وممن قال ذلك: ابن عباس، والضحاك، وسعيد بن جبير.

٢-**وقيل**: إنه رجل ذو لحية، قاله ابن عباس أيضاً، والحسن.

٣-**وقيل**: ابن عم لها، كان حكيماً، قاله زيد بن أسلم، وقتادة، وعكرمة.

٤-**وقيل**: ليس بإنس، ولا جان، وهو خلق من خلق الله، وهذا يرده قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَهْلِهَا**﴾.

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله: وأظهر الأقوال إنه صبي؛ لما رواه أحمد، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**تكلم في المهد أربعة، وهم صغار: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم**»[٣].

٦-قال الله تعالى:﴿**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف:٢٨].

هذه الآية إذا ضمت إليها آية أخرى حصل بذلك بيان أن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، والآية هي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾[النساء: ٧٦] [٤].

٧-قال الله تعالى:﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ [يوسف:٤٢].

﴿**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ قاله يوسف للذي ظن أنه ناج منهما.

﴿**فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ**﴾ الضمير عائد على الناجي؛ فإن يوسف أوصاه أن يذكره عند الملك، فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك، وكان ذلك

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٩١، وصحيح مسلم، برقم ١٣١.
(٢) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٣/٥٩-٦٠، وتفسير ابن كثير، ٢/٤٥٦.
(٣) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٣/٧١، وابن كثير، ٢/٤٥٧، والحديث أخرجه الطبري، ١٦/ ٥٥، والمستدرك للحاكم، ٢/ ٥٣٨، وصححه، ووافقه الذهبي، ومسند أحمد، ٥/ ٣٠، ٢٨٢١، وحسنه محققو المسند، ودلائل النبوة للبيهقي، ٢/ ٣٨٩.
(٤) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٣/٧٢.

من جملة مكايد الشيطان؛ لئلا يطلع نبي الله من السجن، وهذا هو الصواب أن الضمير عائد على الناجي، كما قاله مجاهد، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد.

وقيل: إن الضمير عائد على يوسف، رواه ابن جرير عن ابن عباس، ومجاهد أيضاً، وعكرمة، وغيرهم وهو ضعيف[١].

٨-قال الله تعالى:﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٢-٥٣].

تقول امرأة العزيز ذلك الإقرار الذي أقررت به على نفسي، أني راودت يوسف؛ ليعلم أني لم أخنه بالغيب: ويحتمل أن مرادها بذلك زوجها، وأنها لم تخنه حين راودت يوسف، ولم يجر منها إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه .. ويحتمل أن المراد بذلك يوسف؛ ليعلم أنها لم تخنه في حال غيبته، وأنه صادق، وقالت: ولست أبرئ نفسي: من المراودة، والهم، والحرص الشديد، والكيد في ذلك، وهذا القول هو الأشهر، والأليق والأنسب بسياق القصة، ومعاني الكلام، ونصره الإمام أبو العباس ابن تيمية، فأفرده بتصنيف على حدة[٢].

وهناك قول آخر حكاه ابن جرير، وأنه من كلام يوسف، وتبع ابن جرير صاحب الجلالين، ومختصر تفسير الشوكاني، والجزائري، وحكاه البغوي والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز[٣].

٩-قال الله تعالى:﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

١-هذا الدعاء دعا به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما تمت نعمة الله عليه من النبوة، والملك، فسأل ربه كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٦١، وتفسير السعدي ٤/٣٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٦٣، وتفسير السعدي ٤/٣٨، وقال هذا هو الصواب.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٦٣.

٢-وقيل يحتمل أنه دعا بهذا الدعاء عند الاحتضار، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال عند الاحتضار «**اللهم الرفيق الأعلى**» ثلاثاً.

٣-ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام، واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله، وانقضى عمره، لا أنه سأل ذلك منجزاً، كما يقول الداعي: اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

٤-ويحتمل أنه سأل منجزاً، وكان ذلك جائزاً في ملتهم، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا[١].

واختار **العلامة السعدي** رحمه الله أن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت، وإنما معنى ذلك: أي: أدم عليّ الإسلام، وثبتني عليه حتى تتوفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت[٢].

١٠-قال الله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس:١١٠].

﴿قَدْ كُذِبُوا﴾ فيها قرآتان: **﴿قد كُذِّبوا﴾** بالتشديد وقراءة بالتخفيف **﴿قد كُذِبوا﴾**.

١-معنى قراءة التشديد ﴿كُذِّبوا﴾ حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وظنوا: أي: أيقنوا، يعني: الرسل أن الأمم قد كذّبوهم تكذيباً لا يرجى بعده إيمانهم، والظن بمعنى اليقين، وهذا ما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها كما رواه البخاري.

٢-ومعنى قراءة التخفيف ﴿كُذِبوا﴾ حتى إذا استيئس الرسل من استجابة أقوامهم لهم، وظن أقوامهم أن الرسل قد كَذَبُوهم في وعيد العقاب، جاءهم النصر على ذلك، وهذا عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن مسعود[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٧٣-٤٧٤.
(٢) انظر: تفسير السعدي ٤/٦٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٧٨، والبغوي ٢/٤٥٤.

١٣ -سورة الرعد

١-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا..﴾ [الرعد:٢].

ظاهر هذه الآية قد يفهم منه أن السماء مرفوعة على عمد، ولكننا لا نراها، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[لقمان: ١٠]، واختلف العلماء على قولين:

أ- أن لها عمداً، ولكننا لا نراها كما يشير إليه ظاهر الآية، وممن روى عنه هذا القول: ابن عباس، ومجاهد، والحسن وقتادة وغير واحد كما قاله ابن كثير.

ب- وقيل: إنها مرفوعة بلا عمد أصلاً، وهو مروي عن قتادة أيضاً، وقول إياس بن معاوية، وهذا القول يدل عليه تصريحه تعالى في سورة الحج أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض في قوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[الحج: ٦٥]، فعلى هذا يكون قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة.

وعلى هذا أيضاً: فقوله بغير عمد ترونها: أي: لا عمد لها حتى تروها[(١)].

٢-قال الله تعالى:﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧].

ذكر في ذلك أقوالاً كثيرة، وأظهر الأقوال في هذه الآية أن: المراد بالقوم الأمة، والمراد بالهادي الرسول، كما يدل عليه قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[يونس: ٤٧][(٢)].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل، وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى[(٣)].

٣-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد:٨].

يحتمل أن يكون ﴿مَا﴾ في هذه الآية موصولة، أي: يعلم الذي تحمله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٨١، وأضواء البيان، ٤/٧٧-٧٨، وتفسير السعدي ٤/٨٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٨٠.

(٣) تفسير السعدي ٤/٩٢.

كل أنثى، وعلى هذا فالمعنى: يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو: من ذكورة، وأنوثة، وخداج، وحسن، وقبيح، وطول، وقصر، وسعادة، وشقاوة، إلى غير ذلك من الأحوال، وقد دلت على هذا المعنى آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾[لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٦].

ويحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: يعلم حمل كل أنثى، بالمعنى المصدري، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فاطر: ١١]، وقد تقدم أن الآية قد يكون لها وجهان؛ كلاهما حق، وكلاهما يشهد له القرآن(١).

وما تقدم جاريان على قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، فعلى كون «ما» موصولة فيها، فالمعنى: يعلم الذي تنقصه، وتزيده، وعلى كونها مصدرية، فالمعنى يعلم نقصها، وزيادتها.

واختلف العلماء في المراد بقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

١-فقيل: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: خروج الدم، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إمساكه، قاله مجاهد.

٢-وقيل: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: ترى الدم في حملها، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في التسعة الأشهر. قاله: ابن عباس.

٣-وقيل: ما تزداد على التسعة، وما تنقص من التسعة، قاله ابن عباس أيضاً.

٤-وقيل: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ يعني: السقط، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: ما زادت في الحمل حتى ولدته تماماً، قاله: ابن عباس.

٥-وقيل: ما غاضت الرحم بالدم يوماً، إلا زادت في الحمل يوماً، حتى تكمل تسعة أشهر طاهراً .

٦-وقيل: الفيض، والزيادة يرجعان إلى الولد، كزيادة أصبع، وغيرها، ونقص أصبع، قاله عكرمة.

٧-وقيل: انقطاع دم الحيض، وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع، قاله القرطبي.

---

(١) أضواء البيان، ٤/٨١.

٨-وقيل: تغيض تشتمل على واحد، وتزداد تثقل على توأمين فأكثر.

ومرجع هذه الأقوال إلى شيء واحد، وهو: أنه تعالى عالم بما تنقصه الأرحام، وما تزيده؛ لأن معنى تغيض: تنقص، وتزداد تأخذه زائداً، فيشمل النقص المذكور نقص العدد، ونقص العضو من الجنين، ونقص جسمه إذا حاضت عليه، فتقلص، ونقص مدة الحمل بأن تسقطه قبل مدته المعتادة، كما أن الازدياد يشمل: زيادة العضو، وزيادة العدد، وزيادة جسم الجنين إذا لم تحض وهي حامل، وزيادة أمد الحمل عن القدر المعتاد، والله أعلم[1].

٤-قال الله تعالى:﴿وَللَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

اختلف العلماء في سجود الظل، وسجود غير المؤمنين:

١-فقال بعضهم: سجود من في السموات والأرض من العام المخصوص، فالمؤمنون، والملائكة يسجدون سجوداً حقيقياً، وهو وضع الجبهة على الأرض، يفعلون ذلك طوعاً، والكفار يسجدون كرهاً، أعني المنافقين، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، فقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾، دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود.

٢-وقيل: الآية عامة، والمراد بسجود المسلمين طوعاً انقيادهم لما يريد الله منهم طوعاً، والمراد بسجود الكافرين كرهاً: انقيادهم لما يريد الله منهم كرهاً؛ لأن إرادته نافذة فيهم، منقادون، خاضعون لصنعه فيهم، وأصل السجود في اللغة: الذل، والخضوع، وعلى هذا القول: فالسجود لغوي، لا شرعي.

وهذا الخلاف المذكور جارٍ في سجود الظلال، فقيل: سجوده حقيقي، والله قادر على أن يخلق لها إدراكات، وتسجد سجوداً حقيقياً، وقيل: سجودها: ميلها بقدرة الله

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٨٢-٨٤.

أول النهار إلى جهة المغرب، وآخره إلى جهة المشرق، وادّعى من قال هذا أن الظل لا حقيقة له؛ لأنه خيال، ونحن نقول: إن الله قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكات، يسجد بها لله سجوداً حقيقياً، والقاعدة المقررة في علم الأصول هو: حمل نصوص الوحي على ظواهرها، إلا بدليل من كتاب أو سنة.

وحاصل القولين المتقدمين:

أ- أن السجود شرعي، وعليه فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص.

ب- أن السجود لغوي، بمعنى الانقياد، والذل، والخضوع، وعليه فهو باق على عمومه، والمقرر في الأصول عند المالكية، والحنابلة، وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية، والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية، خلافاً للأحناف[١].

٥- قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى**﴾ [الرعد:٣١].

اختلفوا في جواب لو:

فقال قوم: جواب لو محذوف، تقديره: لكان هذا القرآن.

وقال آخرون: جواب لو مقدم، تقدير الكلام: وهم يكفرون بالرحمن، كأنه يقول: لو سيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض، أو كلم به الموتى، لكفروا بالرحمن، ولم يؤمنوا[٢].

٦- قال الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ [الرعد:٣١].

قال أكثر المفسرين: معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً، وهي لغة من لغات العرب، وقيل هي لغة هوازن، ويدل على ذلك قراءة ابن عباس: «**فلم يتبن الذين آمنوا**»[٣].

---

(١) أضواء البيان، ٤/٩٩-١٠٠.
(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٠، وأضواء البيان، ٤/١٠٢.
(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٠، وتفسير ابن كثير، ٢/٤٩٧.

٧-قال الله تعالى:﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ..﴾ [الرعد:٣٣].

أي: حفيظ، عليم، رقيب على كل نفس، يعلم ما يعمل العاملون، ولا يخفى عليه خافية، ويرزقها ـ أي: النفس ـ، ويجازيها بما عملت، وجوابه محذوف، تقديره: كمن ليس بقائم، بل عاجز عن نفسه، أفمن كان كذلك كالأصنام التي يعبدونها: لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل، ولا تملك نفعاً لأنفسها، ولا لعابديها، ولا كشف الضر عنها، ولا عن عابديها، وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ﴾[١].

٨-قال الله تعالى:﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩].

اختلف المفسرون في معنى الآية على أقوال:

١- قيل: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء، والسعادة، والحياة، والموت، قاله ابن عباس.

٢- وقيل: هذا التدبير السنوي في ليلة القدر ومعنى ما قيل في هذا أن الأقدار ينسخ الله منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء، وقد يستأنس لذلك بحديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ»[٢]،وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، وفي لفظ لمسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٣].

٣- وقيل: من جاء أجله يذهب، ويثبت الذي هو حي إلى أجله.

٤- وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه.

قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قيل: الحلال، والحرام، وقيل: أصل الكتاب،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٩٨، وتفسير البغوي ٣/٢١.

(٢) مسند أحمد، ٣٧/ ٦٨، برقم ٢٢٣٨٦، وحسنه لغيره محققو المسند.، ورواه النسائي في الكبرى، برقم ١١٥٧٥، وابن ماجه، برقم ٩٠.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٥٩٨٥، ومسلم، برقم ٢٥٥٧.

وهو اللوح المحفوظ الذي لا يُبدّل، ولا يُغيّر.

٥- **وقيل**: إن الحفظة يكتبون على ابن آدم كل شيء، فيمحو اللَّه ما ليس فيه ثواب، ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب، وعقاب، قاله: الضحاك.

٦- **وقيل**: هو الرجل يعمل بطاعة اللَّه ﷻ، ثم يعود إلى الضلال، فيموت على ذلك، قاله ابن عباس.

٧- **وقيل**: يمحو ما يشاء من ذنوب العباد، فيغفرها، ويثبت ما يشاء، فلا يغفرها، قاله سعيد بن جبير.

٨- **وقيل**: يمحو اللَّه ما يشاء من الذنوب بالتوبة، ويثبت بدل الذنوب حسنات، قاله عكرمة.

٩- **وقيل**: يمحو القمر، ويثبت الشمس، قاله السدي[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: يمحو اللَّه ما يشاء من الأقدار، ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه؛ فإن هذا لا يقع فيه تبديل، ولا تغيير؛ ولهذا قال ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع له سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع، وشُعب، فالتغيير يقع في الفروع: كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل اللَّه لثبوتها أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل اللَّه البر، والصلة، والإحسان من أسباب طول العمر، وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق، والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك، والمعاطب سبباً للسلامة، وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب إرادته، وقدرته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه، وكتبه في اللوح المحفوظ[(٢)].

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ [الرعد:٤١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٠٠، وتفسير البغوي ٣/٢٢.

(٢) تفسير السعدي، ٤/١١٦-١١٧.

١- **أكثر المفسرين** على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد من ديار الشرك في ديار الإسلام فقد نقص من ديار الشرك.

٢- **وقال قوم**: خراب الأرض.

٣- **وقال الآخرون**: هو خراب الأرض، وقبض أهلها.

٤- **وقيل**: نقصانها: موت العلماء، وذهاب الفقهاء[١].



(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٣٢-٣٣، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٠٢، وأضواء البيان، ٤/٥٨١.

١٤ -سورة إبراهيم

١-قال اللَّه تعالى:﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم:٩].

اختلف العلماء في معنى هذه الآية:

١- قال بعضهم: أن أولئك الكفار جعلوا أيديهم أنفسهم في أفواههم ليعظوا عليها غيظاً وحنقاً لما جاءت به الرسل. قاله: عبداللَّه بن مسعود وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾[آل عمران: ١١٩].

٢- وقيل: لما سمعوا كتاب اللَّه عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب.

٣- وقيل: أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل، يأمرونهم بالسكوت عنهم؛ لما دعوهم إلى اللَّه ﷻ.

٤- وقيل: جعلوا أيديهم في أفواه الرسل، رداً لقولهم، وعليه فالضمير الأول للكفار، والثاني للرسل[١].

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

يحتمل معنيين:

١-المعنى الأول: أفي وجوده شك فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به.

٢- والمعنى الثاني: أي: أفي إلهيته شك، وتفرده بوجوب العبادة، وهو الخالق لكل شيء، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده، لا شريك له[٢].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ [إبراهيم:١٥] .

قيل في معنى ذلك:

١- استنصرت الرسل ربها على قومها: قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

٢- وقيل: استفتحت الأمم على أنفسها، أي: طلبوا العذاب من اللَّه إن كان الرسل صادقين، ويحتمل أن يكون هذا مراداً، وهذا مراداً، كما استفتح الكفار يوم بدر، واستفتح رسول اللَّه ﷺ، أي: استنصر[٣].

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٠٥-١٠٧، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٠٦، وتفسير البغوي، ٣/٢٧.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٠٦.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٧.

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم:١٦].

في معنى ذلك وجهان:

١- قيل: وراء: هنا بمعنى أمام، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[الكهف: ٧٩]، وكان ابن عباس يقرأ: «كان أمامهم ملك» أن من وراء الجبار العنيد جهنم، أي: هي له بالمرصاد أمامه يسكنها.

٢- وقيل: وراء: بمعنى: بعد، أي: من بعد هلاكهم جهنم.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والأول هو الظاهر، وهو الحق،. واختاره ابن كثير(١).

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ..﴾ [إبراهيم:٢٤].

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وفروعها كشجرة طيبة «هو المؤمن»، أصلها: ثابت في قلب المؤمن، وفرعها في السماء، يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، هكذا ذكر عن ابن عباس، وغيره، أن ذلك عبارة عن عمل المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، وأن المؤمن كشجرة النخلة، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين، ووقت، وصباح، ومساء.

١-فالشجرة الطيبة: النخلة.

٢-وقيل شجرة طيبة: شجرة في الجنة.

والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف، وشتاء، أو ليل، أو نهار كذلك المؤمن، لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل، وأطراف النهار في كل وقت وحين.

وفي تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: ١-عرق راسخ، ٢-وأصل قائم، ٣-وفرع عال، فكذلك الإيمان، لا يتم إلا بثلاثة أشياء: ١-تصديق بالقلب، ٢-وقول باللسان، ٣-وعمل بالأبدان(٢).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي الشرك، والمعاصي ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، وهي شجرة

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٠٩، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٠٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥١٢، وتفسير البغوي، ٣/٣٣.

الحنظل، ونحوها، وقيل الثوم، وقيل الكشوت، كذلك كلمة الكفر، والمعاصي ليس لها ثبات نافع في القلب، ولا تثمر إلا قولاً خبيثاً، وعملاً خبيثاً، يؤذي صاحبه، ولا يصعد إلى الله من عمل صالح، ولا ينفع نفسه، ولا يتتفع به غيره[1].

٦-قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ...﴾ الآية [إبراهيم:٢٧].

في معنى قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ أقوال:

١-قال أكثر المفسرين: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني، قبل الموت، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ يعني: في القبر، وهذا الراجح، والله أعلم.

٢-وقيل: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عند السؤال في القبر، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ عند البعث، والأول أصح[2].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: إذا قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام الذي يستلزم عمل الجوارح، ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس، ومرادها.

وفي الآخرة: عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون[3].

٧-قال الله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣].

١-قيل: خالية؛ لأن قلوبهم خرجت عن صدورهم، فصارت إلى حناجرهم، لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى مكانها، فأفئدتهم هواء، لا شيء فيها، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه.

٢-وقيل: خالية، لا تعي شيئاً، ولا تعقل من الخوف، وقيل غير ذلك، وحقيقة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥١٢، وتفسير السعدي، ٤/١٣٩، وتفسير البغوي، ٣/٣٣.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٣٣.
(٣) انظر: تفسير السعدي ٤/١٤٠، وتفسير ابن كثير، ٢/٥١٦.

المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة لهول ذلك اليوم(١).

٨- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

لذلك وجهان من التفسير:

١-قيل في معنى ذلك: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، فهذا الذي فعلوه من شركهم بالله، وكفرهم به، ما ضر ذلك شيئاً من الجبال، ولا غيرها، وإنما عاد وبال ذلك عليهم، ويشبه هذا القول: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[لقمان: ١٨].

٢- وقيل: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ أي شركهم كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾[مريم: ٩٠](٢).

٩-قال الله تعالى:﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨] كقوله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد» وسألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ: «أين الناس يومئذٍ»، قال: «على الصراط»(٣).

قال العلامة السعدي رحمه الله: وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات؛ فإن الأرض يوم القيامة تسوى، وتمد كمد الأديم، ويلقى ما على ظهرها من جبل، ومعلم، فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً، ولا أمتاً، وتكون السماء كالمهل من شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله بيمينه(٤).

١٠-﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠].

القطران: قيل: هو والذي تطلى به الإبل؛ لأنه ألصق شيء بالنار.
وقيل: أي: من نحاس حار، والصخر المذاب(٥).



---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٢٢، وتفسير البغوي ٣/٣٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٢٣، وتفسير البغوي ٣/٤٠، وتفسير السعدي ٤/١٥٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٢٣-٥٢٥.
(٤) انظر: تفسير السعدي ٤/١٥١.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٢٥، وتفسير البغوي ٣/٤٢.

١٥ -سورة الحجر

١-قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢].

في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر، تمنوا أنهم كانوا في الدنيا مسلمين، وندموا على كفرهم، وللعلماء أقوال في هذه الآية في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الإسلام.

١-قيل: حالة المعاينة للنار.

٢-وقيل: يوم القيامة.

٣-وقيل: عندما يرون عصاة المؤمنين يُخرجون من النار.

وأقوال العلماء هنا راجعة إلى شيء واحد، وهو أن الكفار إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر، وتمنوا أنهم كانوا مسلمين[١].

٢-قال الله تعالى:﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر:١٥] .

قيل: سُدت، وقيل: سحرت، وقيل: أخذت، وقيل: حُبست، ومنعت النظر، وقيل: سُكرت، السكران الذي لا يعقل[٢].

٣-قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦].

اختلف العلماء في المراد بالبروج هنا:

أ-فقيل: الكواكب.

ب-وقيل: البروج هنا منازل الشمس، والقمر.

جـ-وقيل: الكواكب العظام.

د-وقيل: قصور في السماء، وعليها الحرس.

ومرجع الأقوال كلها إلى شيء واحد؛ لأن أصل البروج في اللغة: الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها، فالكواكب ظاهرة، والقصور ظاهرة، ومنازل القمر،

(١) انظر: أضواء البيان، ١١٦/٤، وتفسير ابن كثير، ٥٢٦/٢، وتفسير البغوي، ٤٣/٣.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٤٥/٣.

والشمس كالقصور بجامع أن لكل محل ينزل فيه، والعلم عند الله تعالى[(١)].

٤-قال الله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [الحجر:٢٢].

قيل في ذلك أقوال:

١-لواقح: أي: حوامل تحمل المطر، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧]، أي: حملت سحاباً ثقالاً، واللواقح من الإبل: حوامل الأجنة، واللواقح من الريح: حوامل المطر.

٢-وقيل: اللواقح يعني: الملاقح، أي: التي تلقح غيرها من السحاب، والشجر، وعلى هذا ففيه وجهان: أحدهما: أن المراد بلواقح: أي: ذوات لقاح؛ لأنها تلقح السحاب، والشجر.

والوجه الثاني: أن اللواقح بمعنى ملاقح: ألقحت السحاب، والشجر كما يلقح الفحل الأنثى، فكما أن الأنثى تحمل بسبب ضراب الفحل، فكذلك السحاب يمتلئ ماءً بسبب الرياح، والشجر، فيبعث الله الرياح، فتمر بالسحاب فيمتلئ ماء[(٢)].

٥-قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤].

في ذلك أقوال:

١-قيل: أراد بالمستقدمين الأموات، والمستأخرين الأحياء.

٢-وقيل: الأولين، والآخرين.

٣-وقيل: المستقدمون من خلق الله، والمستأخرون من لم يخلق الله.

٤-وقيل: المستقدمون القرون الأولى، والمستأخرون أمة محمد ﷺ.

٥-وقيل: المستقدمون في الطاعة، والمستأخرون عنها.

٦-وقيل: المستقدمون في صفوف الصلاة، والمستأخرون فيها[(٣)].

٦-قال الله تعالى:﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٢١، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٢٩.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/١٣٤.
(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٨، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٣٠.

فيه للعلماء وجهان يشهد لهما القرآن:

أ-قيل: ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: ليست خزائنه عندكم، بل نحن الخازنون له، ننزله متى شئنا ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[الحجر: ٢١].

ب-وقيل: وما أنتم له بخازنين بعد أن أنزلناه عليكم، فلا تقدرون على حفظه في الآبار، والعيون، والغدران، بل نحن الحافظون له فيها؛ ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة، ويدل لهذا الوجه آيات منها: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[المؤمنون: ١٨]، وقوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[الملك: ٣٠][1].

٧- قال الله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦][2].

الصلصال: الطين اليابس الذي يصل، أي: يصوّت من يبسه، إذا ضربه شيء ما دام لم تمسه النار، فإذا مسته النار، فهو حينئذ فخار.

الحمأ: الطين الأسود المتغير.

المسنون: قيل معناه: المصور، وقيل: المسنون: المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثالها.

وقيل المسنون المنتن، وقيل: المسنون الأملس، وقيل: المتغير، ورجح الشنقيطي الأول (وهو المصور)[3].

أوضح اللَّه في كتابه أطوار هذا الإنسان:

أولاً: تراب: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩].

ثانياً: ثم بلَّ هذا التراب، فصار طيناً لازباً يعلق بالأيدي، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾[الصافات: ١١].

ثالثاً: وهذا الطين أسود متغير ﴿مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٤٢.

(٢)

(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/١٤٣-١٤٤.

رابعاً: يبس حتى صار صلصالاً ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾، والله أعلم [(١)].

٨-قال الله تعالى:﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

فيه أوجه:

١-قيل: هذا على التهديد، والوعيد، كما يقول الرجل لمن يخاصمه: طريقك علي، أي: لا تفلت مني، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤].

٢-وقيل: هذا طريق مرجعه إليّ، فأجازي كلاً بعمله، وعليّ ها هنا بمعنى (إليَّ).

٣-وقيل: هذا طريق مستقيم إليَّ، حق عليَّ أن أراعيه، وأحفظه، وهو أن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين، فعليّ استقامته بالبيان، والبرهان، والتوفيق، والهداية [(٢)].

٩- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

للعلماء في التوسم هنا أربعة أقوال متقاربة، يرجع معناها إلى شيء واحد:

١-فقيل: المتوسمين: المعتبرين.

٢-وقيل: المتوسمين: المتفرسين من الفراسة.

٣-وقيل: المتوسمين: الناظرين.

٤-وقيل: المتوسمين: المتأملين.

٥-وقيل: المتوسمين: المتفكرين.

٦-وقيل: المتوسمين: المتبصرين.

ولا يخفى أن الاعتبار، والنظر، والتأمل، والتفكر، والتبصر، والتفرس، معناها واحد، فمآل جميع الأقوال إلى شيء واحد، وهو أن ما وقع لقوم لوط موعظة وعبرة لمن نظر في ذلك، وتأمل فيه حق التأمل[(٣)].

١٠-قال الله تعالى:﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٤٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٣٢، وتفسير البغوي، ٣/١٥، ومختصر الطبري، ص٢٩٤، ومختصر فتح القدير، ص٣٤١.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/١٥٨، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٣٦، وتفسير البغوي ٣/٥٤.

يعني بقوله: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي: مدينتي قوم لوط، وأصحاب الأيكة[١]، فهما بطريق واضح يمر بهما المسافرون، ويرون من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار، فيعتبر بذلك أولو الألباب، والأيكة: الشجر الملتف.

١١- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧].

اختلف في السبع المثاني على قولين:

القول الأول: إنها الفاتحة، وهي سبع آيات، روي ذلك عن علي، وعمر، وابن مسعود، وابن عباس، وأنها تثنى في كل ركعة مكتوبة، أو تطوع، واختاره ابن جرير، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك، ومن ذلك حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى الحديث .... وفيه«﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[٢]، وعن أبي هريرة يرفعه: «**أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم**»[٣].

وهذا نص في أن الفاتحة هي السبع المثاني، والقرآن العظيم.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: ولكن لا ينافي في وصف غيرها من السبع الطوال بذلك؛ لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[الزمر: ٢٣]، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضاً، كما أنه عليه الصلاة والسلام، لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي؛ فإن ذكر الشيء لا ينافي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة، والله أعلم[٤].

القول الثاني: أنها السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

وقيل: هذه السور، إلا أن الأنفال، وبراءة تعد سورة واحدة، بدلاً من يونس.

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/٥٥، وتفسير السعدي ٤/١٧٥.
(٢) رواه البخاري، برقم ٧٤٧٤.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٧٠٤.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٣٨.

وروى هذا القول عن بعض الصحابة، وغيرهم، وكأن السعدي في تفسيره مال إليه، فقال على الصحيح.

وانتصر للقول الأول الشنقيطي في أضواء البيان[(١)]، ثم ذكر الأحاديث من البخاري، ثم قال: وبه تعلم أن قول من قال إنها السبع الطوال غير صحيح، إذ لا كلام لأحد معه ﷺ.

١٢- قال الله تعالى:﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

﴿لا تَمُدَّنَّ..﴾ «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»[(٢)].

قال **في أضواء البيان**[(٣)]: الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة أن الله نهى نبيه ﷺ عن الحزن على الكفار، إذا امتنعوا عن قبول الإسلام، ويدل على ذلك آيات كثيرة، كقوله تعالى: **﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾**[النحل: ١٢٧].

١٣-قال الله تعالى:﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩٠-٩١].

في المراد بالمقتسمين **أقوال للعلماء**، وكل واحد منها يشهد له القرآن، إلا أن في الآية قرينة تضعف بعض تلك الأقوال:

الأول: أن المراد بهم الذين يحلفون على تكذيب الرسل ومخالفتهم وعلى هذا فالاقتسام بمعنى اليمين وهو بمعنى التقاسم **﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾**[النمل: ٤٩]، وقوله: **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾**[النحل: ٣٨]، **﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾**[الأعراف: ٤٩] إلى غير ذلك، فكأنهم لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه، فسموا مقتسمين.

---

(١) أضواء البيان، ٤/١٩٤-١٩٥.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٢٩٦٣.
(٣) أضواء البيان، ٤/١٩٦.

القول الثاني: أن المراد بالمقتسمين: اليهود، والنصارى؛ لأنهم اقتسموا كتبهم، فآمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[النساء: ١٥٠].

القول الثالث: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلقه محمد ﷺ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[الحاقة ٤١-٤٢]، وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر: ٢٤]، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾[ص: ٧]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[النحل: ٢٤].

والقرينة من القرآن تؤيد هذا القول الثالث، ولا تنافي الثاني، بخلاف الأول؛ لأن قوله الذين جعل القرآن عضين أظهر في القول الثالث؛ لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة، كقولهم: شعر، سحر، كهانة.

وعلى أنهم أهل الكتاب، فالمراد كتبهم التي جزؤوها، فآمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها، أو القرآن؛ لأنهم آمنوا بما وافق هواهم منهم، وكفروا بغيره.

وقوله عضين: جمع عضه، وهي العضو من الشيء، أي: جعلوه أعضاء متفرقة، وقال بعض العلماء: أصل العضه عضهه، والعضه السحر، فعلى هذا القول: فالمعنى جعلوا القرآن سحراً، كقوله ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدير: ٢٤]، والعرب تسمي الساحر عاضهاً، والساحرة عاضهة، والسحر عضها [(١)].

١٤-قال الله تعالى:﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

في هذه الآية الكريمة قولان:

الأول: أي: لا تبال بتكذيبهم، واستهزائهم، ولا يصعب عليك ذلك، فالله حافظك منهم، والآية على هذا المعنى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: بلغ رسالة ربك، وهذا كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٩٧-٢٠٠.

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

الثاني: وهو الظاهر في معنى الآية أنه كان أول الأمر مأموراً بالإعراض عن المشركين، ثم نسخ ذلك بآيات السيف[١].

النهي عن الجلوس في أماكن الخسف[٢].

تسعة عشر موضعاً نهي عن الصلاة فيها[٣].

١٥- ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩]، أي: الموت ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[المدثر: ٤٧]، وتدل هذه الآية على أمور، منها:

١-أن الإنسان ما دام حياً، وله عقل ثابت، يميز به، فالعبادة واجبة عليه بحسب طاقته «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»، وهكذا.

٢-أن ما يفسره بعض الملحدين لهذه الآية كفر، وهم المدعون للصوفية، من أن معنى اليقين المعرفة بالله جل وعلا، فإذا وصل العبد من المعرفة بالله إلى تلك الدرجة المعبر عنها باليقين، أنه تسقط عنه العبادات والتكاليف؛ لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر بالعبادة، والتفسير بهذا كفر بالله تعالى، وزندقة، وخروج عن دائرة الإسلام بإجماع المسلمين، وهذا النوع لا يسمى تأويلاً، بل يسمى لعباً[٤].



---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٠١-٢٠٢.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٤/١٦٢.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٤/١٦٨-١٩٠.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٠٧، وتفسير ابن كثير، لهذه الآية.

١٦ -سورة النحل

١-قال الله تعالى:﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩].

للعلماء في هذه الآية وجهان:

١-معنى ذلك أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله، أي: موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه، وإلى مرضاته ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله؛ بل هو زائغ، وحائد عن الوصول إليه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ..﴾[الأنعام: ١٥٢]، ويؤيد هذا التفسير قوله بعده: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾، وهذا الوجه أظهر عند الشنقيطي، وغيره، كابن كثير، وهو قول مجاهد.

٢-أي: على الله أن يبين لكم طريق الحق على ألسنة رسله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥][١].

٢-قال الله تعالى:﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥].

اختلف العلماء في إعراب مكروا السيئات:

فقيل: السيئات نعت لمصدر محذوف، أي: مكروا المكرات السيئات، أي: القبيحات.

وقيل: السيئات مفعول به لمكروا على تضمين مكروا بمعنى فعلوا، واستظهره الشنقيطي.

وقيل: مفعول به للأمن: أي: أأمن الماكرون السيئات، أي: العقوبات الشديدة التي تسؤهم عند نزولها بهم[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:٤٧].

في ﴿تَخَوُّفٍ﴾ أقوال:

١-قيل على تخوفٍ، أي: يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢٢٠/٤، وتفسير ابن كثير، ٥٤٤/٢، وتفسير البغوي، ٦٣/٣.
(٢) انظر:أضواء البيان، ٢٧٦/٤.

مثل ما أصابهم، يقول: إن شئت أخذته على إثر موت صاحبه، وتخوفه بذلك، ولم يذكر ابن كثير إلا هذا القول[١].

٢-وقيل: التخوف النقص، أي: ينقص من أطرافهم بعد شيء حتى يهلك جميعهم[٢].

٤-قال الله تعالى: ﴿سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨]

أي: صاغرون[٣].

٥- ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ [النحل:٥٢].

واصباً أي دائماً، واجباً، خالصاً فهذه ثلاثة أوجه:

١-قيل: واصباً :أي دائماً ثابتاً، والمعنى ليس من أحد يدان له، ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال، أو هلاك غير الله ﷻ، فإن الطاعة تدوم له، ولا تنقطع فقوله هنا: ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾، أي: الطاعة، ولم يذكر ابن كثير إلا هذا.

٢-وقيل: واصباً أي: واجباً.

٣-وقيل: واصباً أي: خالصاً [٤].

٦-قال الله تعالى:﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ...﴾ [النحل:٥٦].

في قوله: ﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ﴾ في ضمير الفاعل وجهان:

١-إنه عائد إلى الكفار، أي: ويجعل الكفار للأصنام التي لا يعلمون أن الله أمر بعبادتها، ولا يعلمون أنها تنفع عابدها، أو تضر عاصيها نصيباً ... إلخ.

٢-أن واو: يعلمون واقعة على الأصنام، فهي جماد لا يعلم شيئاً، أي: ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئاً؛ لكونهم جماداً نصيباً[٥].

٧- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾[النحل: ٥٧]، فلفظ جعل: أي: يعتقدون.

ولفظة جعل في اللغة العربية تأتي على أربعة معان:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٥٢، وتفسير السعدي، ٤/٢٠٧.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٧٠.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ٣/٧٠، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٥٢.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٧٨-٢٨٠، وتفسير البغوي، ٣/٧٢.
(٥) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٨٣.

١-بمعنى اعتقد ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾.

٢-بمعنى صيَّر ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾[نوح: ١٦].

٣-بمعنى خلق ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام: ١]، أي: خلق الظلمات والنور.

٤-بمعنى :

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبي فأنهض نهض الشارب السكر[1]

٨-قال اللَّه تعالى:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل:٦١].

فيه قولان للعلماء:

١-القول الأول: خاص بالكفار؛ لأن الذنوب ذنوبهم، واللَّه يقول ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الأنعام: ١٦٤]، ومعنى من دابة أي: كافرة، وقيل: المعنى: أنه لو أهلك الآباء، لم تكن الأبناء.

٢-القول الثاني: قول جمهور العلماء، ومنهم عبداللَّه بن مسعود، وأبو هريرة، وأبو الأحوص، وغيرهم، كما نقله عنهم ابن كثير، وغيره، أن الآية عامة، حتى إن ذنوب بني آدم لتهلك الجعل في جحره، والحبارى في وكرها، ونحو ذلك، لولا أن اللَّه حليم لا يعجل بالعقوبة، وهذا القول هو الصحيح.

أما كون العقاب، والهلاك يعم الجميع: المؤمن، والكافر؛ فإن الهلاك يجعل للظالم انتقاماً، وجزاءً، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة، فالهلاك يصيب الجميع، ثم يبعثون على نياتهم[2].

٩-قال اللَّه تعالى:﴿لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢].

والمعنى: حقاً لهم النار، وأنهم منسيون متروكون في النار[3].

١٠-قال اللَّه تعالى:﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[النحل:٦٦].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٢٨٧/٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٢٨٨/٤.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٢٩٣/٤، وتفسير ابن كثير، ٥٥٥/٢.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أفرده هنا عوداً على معنى النعم، أو الضمير عائد على الحيوان، فإن الأنعام حيوانات[(١)].

١١-قال الله تعالى:﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ [النحل:٦٧].

جمهور العلماء على أن المراد بالسكر هنا الخمر، ومنهم ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وغيرهم، وهذا هو الصحيح، ثم نزل بعد ذلك تحريم الخمر في المدينة في البقرة، والنساء، والمائدة على التدرج، فهي منسوخة بآية المائدة.

١٢-قال الله تعالى:﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٠]

فبيّن في هذه الآية أن من الناس من يموت قبل بلوغ أرذل العمر، ومنهم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر، وأرذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق، والفكر، وخصّ بالرذيلة؛ لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من أرذل العمر، وروي عن علي رضي الله عنه أن أرذل العمر خمس وسبعون سنة، وعن قتادة تسعون سنة، والظاهر أنه لا تحديد له بالسنين، وإنما هو باعتبار تفاوت حال الأشخاص، وقوله: ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي: يرد إلى أرذل العمر؛ لأجل أن يزول ما كان يعلم من العلم أيام الشباب، ويبقى لا يدري شيئاً لذهاب إدراكه بسبب الخرف، ولله في ذلك حكمة.

قال بعض العلماء: إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف، وضياع العلم، والعقل من شدة الكبر، ويستروح لهذا المعنى ببعض التفسيرات في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[التين: ٥-٦][(٢)].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

قيل: الحفدة: أولاد الأولاد، أي: جعل لكم من أزواجكم بنين، ومن البنين حفدة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٥٥٥.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٣١٣-٣١٤.

وقيل: الحفدة: الأعوان، والخدم مطلقاً.

وقيل: الحفدة الأختان، وهم أزواج البنات.

والصواب أن الحفدة جمع حافد، وهو اسم فاعل من الحفد، وهو الإسراع في الخدمة، والعمل، ومعلوم أن أولاد الرجل، وأولاد أولاده من خدمه المسرعين في خدمته عادة، والعلم عند الله تعالى، وهذا هو ظاهر القرآن[١].

١٤-قال الله تعالى:﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً..**﴾ [النحل:٧٢].

اختلف العلماء في جواز المناكحة بين بني آدم والجن[٢].

١٥-قال الله تعالى: ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ**﴾ [النحل: ٧٤].

أي: لا تجعلوا له أشباهاً، وأمثالاً، ونظراء[٣].

١٦-قال الله تعالى:﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٧٥].

١٧-قال الله تعالى:﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[النحل:٧٦]

هذان مثلان، متضمنان قياسين من قياس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته، وموجبه، فإن القياس نوعان:

١-قياس طَرْدٍ يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه.

٢-وقياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه.

فالمثل الأول [في الآية ٧٥] ما ضربه الله سبحانه لنفسه، وللأوثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده: سراً، وجهراً،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٣١٧-٣١٨.

(٢) انظر التفصيل في ذلك أضواء البيان، ٤/٣٢٠-٣٢٢ ورجح عدم جوازه.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٢٤، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٥٩.

وليلاً، ونهاراً، يمينه ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل، والنهار.

والأوثان مملوكة لعابديها، عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف يجعلونها شركاء لله، ويعبدونها من دونه مع هذا التفاوت العظيم، وهذا قول مجاهد وغيره.

وقال ابن عباس: هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر: مثل المؤمن في الخير الذي عنده، ثم رزقه رزقاً حسناً، فهو ينفق منه على نفسه، وعلى غيره، سراً، وجهراً، والكافر بمنزلة عبد مملوك، عاجز لا يقدر على شيء؛ لأنه لا خير عنده، فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء، والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب، وأعظم.

وأما المثل الثاني [في الآية ٧٦]، فهو مثل ضربه الله ﷻ لنفسه؛ ولما يعبد من دونه أيضاً، فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم، لا يعقل، ولا ينطق، بل هو أبكم القلب، واللسان، قدم عدم النطق القلبي، واللساني، ومع هذا فهو عاجز، لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا، فإن أرسلته لا يأتي بخير، ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه قادر متكلم يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم[(١)].

١٨-قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

بيّن الله في القرآن كل علم، وكل شيء، فقد اشتمل على كل شيء، أما أنواع العلوم، فليس منها باب، ولا مسألة، هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها، فالقرآن فيه بيان كل شيء، والسنة تدخل في آية واحدة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧][(٢)].

١٩-قال الله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ﴾ [النحل:٩٧].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أي: خديعة، ومكراً، والدخل ما يدخل

---

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٢) انظر بحث عظيم في هذه المسألة في أضواء البيان، ٤/٣٣٥-٣٤٦.

في شيء للفساد ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: لأن تكون أمة هي أكثر من أمة، قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم، وأعز، نقضوا حلف هؤلاء، وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد، بأن كانت أمة أكثر من أمة، فنهاهم الله عن ذلك[1].

٢٠-قال الله تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

اختلف العلماء في المراد بالحياة الطيبة في هذه الآية على أقوال:

١-فقال قوم: الحياة الطيبة في هذه الآية في الدنيا، وذلك بأن يوفق الله العبد إلى ما يرضيه، ويرزقه العافية، والرزق الحلال، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١].

٢-**وقال بعض العلماء**: لا تطيب الحياة إلا في الجنة، فهذه الحياة الطيبة في الجنة؛ لأن الدنيا لا تخلو من المصائب، والأكدار، والأمراض، والآلام، والأحزان، ونحو ذلك: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤].

والذي يؤيده القرآن والسنة الثابتة، هو القول الأول، وأن الحياة الطيبة في الدنيا.

وقد قيل بأن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، فقال ابن عباس كما روي عنه، وغيره: الرزق الحلال الطيب.

وعن علي أنها القناعة، وقيل العبادة في الدنيا، وقيل العمل بالطاعة، والانشراح لها.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله، لقوله ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه**»[2]، وقال ﷺ: «**إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً**»[3].

٢١-قال الله تعالى:﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

الصحيح أن الاستعاذة تكون عند إرادة القراءة، أي: إذا أردت قراءة

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٨٢، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٦٥.

(٢) رواه مسلم، برقم ١٠٥٤ ومسند أحمد، ١١/ ١٣٤، برقم ٦٥٧٢.

(٣) رواه مسلم، برقم ٢٨٠٨، ومسند أحمد، ١٩/ ٢٦٦، برقم ١٢٢٣٧، انظر :أضواء البيان، ٤/٣٥٣-٣٥٦، وتفسير ابن كثير، ٢/٥٦٦.

القرآن، فاستعذ بالله، وليس المراد أنه إذا قرأ القرآن، وفرغ منهم، استعاذ بالله كما يفهم من ظاهر الآية، والدليل على ما ذكرنا تكرر حذف الإرادة في القرآن، وفي كلام العرب لدلالة المقام عليه كقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ..﴾[المائدة: ٦]، أي: إذا أردتم القيام إليها، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾[المجادلة: ٩]، أي: إذا أردتم أن تتناجوا بالإثم؛ لأن النهي إنما هو عن أمر مستقبل، يراد فعله، ولا يصح النهي عن فعل مضى، وانقضى، كما هو واضح، وقال كثير من أهل العلم: إن الأمر في الآية للندب، والاستحباب، وحكى عليه الإجماع ابن جرير، وغيره من الأئمة(١).

٢٢-قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١٠٠]

واختلف في معنى السلطان:

١-**قال أكثر أهل العلم** في السلطان في هذه الآية: هو الحجة، أي: ليس للشيطان عليهم حجة فيما يدعوهم إليه من عبادة الأوثان.

٢-**وقيل**: ليس له سلطان عليهم: أي: تسلط وقدرة على أن يوقعهم في ذنب لا توبة منه، وأظهر الأقوال في ضمير ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أن الضمير عائد إلى الشيطان، لا إلى الله(٢).

٢٣-قال الله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ..﴾ [النحل:١١٨].

أي في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا...﴾[الأنعام: ١٤٦](٣).



---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٥٧.
(٢) ينظر: أضواء البيان، ٤/٣٥٧-٣٥٨.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٨٣، وتفسير ابن كثير، ٤/٥٧١.

١٧ -سورة الإسراء

عن ابن مسعود ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي [١].

١-قال الله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

الإسراء فيه أقوال:

١-زعم بعض أهل العلم أنه بروحه ﷺ دون جسده وأن ذلك في المنام لا اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي.

٢-وزعم بعضهم أن الإسراء بالجسد والمعراج بالروح دون الجسد.

٣-وظاهر القرآن أن الإسراء والمعراج بروحه وجسده ﷺ يقظة لا مناماً لأنه قال ﴿بِعَبْدِهِ﴾ والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد دلت الأحاديث أن الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه يقظة لا مناماً [٢].

﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..﴾ أظهر التفسيرات فيه أن معنى ذلك أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار، كما عليه جمهور العلماء [٣].

٢-قال الله تعالى:﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء:٣].

والمعنى: يا ذرية من حملنا مع نوح تشبهوا بأبيكم فاشكروا نعمنا [٤].

٣-قال الله تعالى:﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ [الإسراء:٤].

﴿وَقَضَيْنَا﴾ أظهر الأقوال في معنى ذلك: أخبرناهم وأعلمناهم ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[الحجر:٦٦]، أي:

---

(١) رواه البخاري، برقم ٤٧٠٨. انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، مع فوائد أخرى، ٣/٣٩١-٣٩٩.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٠١.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٠٤، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٤.

تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به [١].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾ [الإسراء:٥].

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ أي، أولى الإفسادتين.

اختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين على بني إسرائيل، واتفقوا على أنهم قومٌ كفار، تملكوا بلادهم؛ لما كثرت فيهم المعاصي، وتركوا كثيراً من شريعتهم، وطغوا في الأرض.

٥-قال اللَّه تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ..﴾ [الإسراء:٧].

أي: إذا أفسدتم المرة الثانية، وجاء أعداؤكم ليهينوكم، ويقهروكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، حينما جاسوا خلال الديار، وليدمروا، ويخربوا ما ظهروا عليه تدميراً.

فالضمير ﴿لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الواو عائد إلى الذين بعثهم اللَّه ليسوء وجوه بني إسرائيل بالعذاب، والقتل[٢].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

أي: إذا عادوا للإفساد للمرة الثالثة، فإن اللَّه يعود عليهم بالانتقام منهم، بتسليط أعدائهم عليهم، وقد عادوا للمرة الثالثة بتكذيب محمد ﷺ، وكتم صفاته، ونقض عهوده، فعاد اللَّه جل وعلا للانتقام منهم، وسلط عليهم رسوله، فجرى على بني قريظة بالقتل، وبني النضير، وبني قينقاع، وخيبر ما جرى من القتل، والسبي، والإجلاء، وضرب الجزية على من بقي منهم، وضرب الذلة، والمسكنة[٣].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ [الإسراء:٨].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٣/٤٠٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٥.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٠٦، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٥.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٠٧-٤٠٨.

فيها وجهان من التفسير، كل منهما يشهد لمعناه القرآن:

أ-الحصير: الحبس، والسجن.

ب-الحصير: فراشاً، ومهاداً[١].

٨-قال الله تعالى:﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء:٩].

أي: أعدل، وأعلى من العقائد، والأعمال، والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم، في جميع أموره[٢].

٩-قال الله تعالى:﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**﴾ [الإسراء:١١].

في هذه الآية وجهان من التفسير:

أ- يدعو على نفسه، وولده، وماله، كما يدعو بالخير، فيقول عند الضجر: اللهم أهلك ولدي، كما يقول في غير وقت الضجر: اللَّهم عاف ولدي .. ونحو ذلك،. ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾ [يونس: ١١]، وهذا أصح التفسيرين لدلالة آية يونس عليه.

ب- وقيل: إن الإنسان كما يدعو بالخير، فيسأل الله الجنة، والسلامة من النار، ومن عذاب القبر، كذلك قد يدعو بالشر، فيسأل الله أن ييسر له الزنا، أو قتل مسلم هو عدو له، ونحو ذلك، والوجه الأول أصح [٣].

١٠-قال الله تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**﴾[الإسراء:١٢] أي: جعل الله الليل والنهار علامتين دالتين على أنه الرب المستحق للعبادة وحده، ولا يشرك معه غيره[٤].

١١-قال الله تعالى:﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء:١٢].

في ذلك وجهان من التفسير للعلماء:

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٥٢٨.

(٣) أضواء البيان، ٣/٤٥٧-٤٥٨.

(٤) أضواء البيان، ٣/٤٥٨.

أ- أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وجعلنا نيري الليل والنهار: أي: الشمس والقمر آيتين.

فآية الليل: القمر، وآية النهار: الشمس، والمحو: الطمس، ومعنى محو آية الليل: السواد الذي في القمر، وقيل: المحو: لم يجعل في القمر شعاعاً كشعاع الشمس، ترى به الأشياء رؤية بينة، فنقص نور القمر عن نور الشمس، وهذا معنى الطمس على هذا القول، وهذا القول أظهر لمقابلته بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، وجعل آية النهار مبصرة: أي: ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء على حقيقته.

وغاية ما في هذا الوجه: حذف مضاف، وهو كثير في القرآن، وفي كلام العرب، إن دلت عليه قرينة: فالقرينة في الآية قوله: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، فإضافة الآية إلى الليل والنهار دليل على أن الآيتين المذكورتين لهما، لا هما أنفسهما، وحذف المضاف كثيرة في القرآن: كقوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[النساء: ٢٣]، أي: نكاحهن ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[المائدة: ٣]، أي: أكلها، ونحو ذلك.

ب-الوجه الثاني: أن الآية ليس فيها مضاف محذوف، وأن المراد بالآيتين نفس الليل، والنهار، لا الشمس، والقمر، وعلى هذا القول، فإضافة الآية إلى الليل، والنهار من إضافة الشيء إلى نفسه، مع اختلاف اللفظ تنزيلاً لاختلاف اللفظ منزلة الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[البقرة: ١٨٥]، ورمضان هو الشهر بعينه على التحقيق، وقوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ..﴾، والمكر هو السيئ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[فاطر: ٤٣].

وعلى هذا الوجه من التفسير، فالمعنى: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة: أي: جعلنا الليل ممحو الضوء، مطموسة، مظلماً لا تستبان فيه الأشياء، كما لا يستبان ما في اللوح الممحو، وجعلنا النهار مبصراً: أي: تبصر فيه الأشياء وتستبان[1].

---

(١) أضواء البيان، ٣/٤٦١-٤٦٤، وابن كثير، ٣/٢٧.

١٢-قال الله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾ [الإسراء:١٣].

فيها وجهان من التفسير:

أ-أن المراد بالطائر العمل: فهو ما طار له من عمل من خير وشر، فيلزم به، ويجازى عليه.

والآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له كثيرة جداً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[النساء: ١٢٣]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور: ١٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ..﴾ الآية[الزلزلة: ٧].

ب-ما سبق له في علم الله من شقاوة، وسعادة: أي: بالمراد بطائره: نصيبه الذي طار له في الأزل من الشقاوة والسعادة، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[التغابن: ٢]، ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلالَةُ..﴾[الأعراف: ٣٠]، ونحو ذلك.

والقولان متلازمان؛ لأن ما يطير إليه العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة والسعادة.

إذا عرفت هذين الوجهين، فاعلم أن الآية قد يكون فيها للعلماء قولان، أو أقوال، وكلها يشهد لها القرآن، فهذان الوجهان كلاهما يشهد له القرآن[(١)].

ومعنى قوله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ أي: جعلنا عمله، أو ما سبق له في عنقه لازماً له لزوم القلادة، أو الغل، لا ينفك عنه.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾ [الإسراء: ١٣].

ذكر تعالى أن ذلك العمل الذي في عنقه يجمع له كله في كتاب يعطاه يوم القيامة، إما بيمينه إن سعيداً، وبشماله إن كان شقياً، وذلك الكتاب: منشوراً: أي: مفتوحاً يقرأه هو، وغيره[(١)].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء:١٥].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٦٤-٤٦٥، وابن كثير، ٣/٢٧، والبغوي، ٣/١٠٨.

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٦٥-٤٦٦، وابن كثير، ٣/٢٧.

أي: ﴿وَلا تَزِرُ﴾ أي: تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾ أي: آثمة ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: إثم أخرى.

والمعنى: لا تحمل نفس آثمة مذنبة إثم نفس أخرى آثمة مذنبة، بل لا تحمل إلا إثم نفسها.

ولا يعارض هذه الآية ما في سورة النحل من قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[النحل: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[العنكبوت: ١٣]؛ لأن المراد بذلك أن هؤلاء حملوا أثقال أنفسهم، وآثامهم، وحملوا أيضاً آثاماً أخرى بسبب ما أضلوا من العباد غيرهم، من غير أن ينقص من أوزار من أضلوهم شيء؛ لأن من سن سنة سيئة، فعليه إثمها، وإثم من عمل بها، من غير أن ينقص من إثمهم شيء[1].

ويرد على ما تقدم سؤالان:

١-ما ثبت في الصحيح من «**أن الميت يعذب بما نيح عليه**».

٢-إيجاب دية الخطأ على العاقلة.

والجواب على الأولى قيل إنه حمل على أمرين:

أ-أن يكون الميت أوصى بذلك: أي بالنوح عليه.

ب-أن يهمل الميت نهيهم عن النوح عليه قبل موته مع أنه يعلم أنه سينوحون عليه؛ لأن إهماله نهيهم تفريط منه لقوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[التحريم: ٦].

والجواب عن إيجاب الدية على العاقلة:

قيل فيه: ليس فيه تحميلهم وزر القاتل، ولكن ذلك مواساة محضة، أوجبها الله على عاقلة الجاني خطأ؛ لأن الجاني لم يقصد سوءًا، ولا إثم عليه، ولا إشكال في ذلك، فقد أوجب الله أخذ مال الزكاة من الغني، وردها إلى الفقراء[1].

١٤-قال الله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء:١٥].

أخبر الله أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، لكن هنا مسألة

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٦٩-٤٧٠، وابن كثير، ٣/٢٨.

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٧١.

اختلف فيها الأئمة رحمهم الله تعالى قديماً، وحديثاً، وهي: الوِلْدَان الذين ماتوا وهم صغار، وآباؤهم كفار، فما حكمهم؟ وكذا المجنون، والأصم، ومن مات في الفترة، ولم تبلغه دعوة ..

أما أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة فقيل فيهم أقوال:

١-**قيل**: إنهم معذورون؛ لأنهم لم يبلغهم دعوة، ولو ماتوا على الكفر، وهذا هو الصواب لأمرين:

أ-**أنه ثبت** عنه ﷺ أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذا يجمع بين الأقوال كلها.

ب-**أن الجمع** بين الأدلة المتعارضة واجب، متى أمكن الجمع، ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا القول بالعذر، والامتحان، فمن دخل النار، فهو الذي لم يمتثل أمر الله.

٢-**وقيل** فيهم: إن كل كافر مات على كفره فهو في النار، واستدلوا بظواهر الآيات، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء: ٤٨]، ونحو ذلك.

والصواب الجمع بين النصوص، كما تقدم[1].

وأما ولدان المشركين، فقيل فيهم أقوال:

منها أنهم كأهل الفترة يختبرون، وهذا هو الذي كان يرجحه شيخنا عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

ومنها أنهم في الجنة، وهذا هو الذي رجع إليه شيخنا عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وأفتى به أخيراً، ورجحه[1].

١٥-قال الله تعالى:﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾ [الإسراء:١٦].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٧١-٤٨٢.

(١) انظر التفصيل في ذلك تفسير ابن كثير، ٣/٢٨-٣٢ وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم في آخر الكتاب.

في هذه الآية ثلاثة مذاهب للعلماء:

أ-الأول: وهو الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء أن الأمر هو قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾، وهو الأمر الذي هو ضد النهي، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره، والمعنى أمرنا مترفيها بطاعة الله، وتوحيده، وتصديق رسله، واتباعهم فيما جاؤوا به، ففسقوا، أي: خرجوا عن طاعة الله، وعصوه، وكذبوا رسله، فحق عليها القول، أي: وجب عليها الوعيد: ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾، أي: أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً، وهذا القول يشهد له آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف: ٢٨]، وهذا صريح في أنه سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وهذا دليل واضح على أن قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أمرناهم بالطاعة، فعصوا، وليس المعنى: أمرناهم بالفسق، ففسقوا.

ب-القول الثاني: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أمر كوني قدري، أي: قدرنا عليهم ذلك، وسخرناهم له؛ لأن كلاً ميسر لما خلق له.

ج-القول الثالث: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بمعنى: أكثرنا عددهم.

د-وهناك قول رابع: أن الآية فيها قراءة لعلي رضي الله عنه: «**أمّرنا مترفيها ففسقوا فيها**»، أي: جعلناهم أمراء، أي: جعلنا هم أمراء مسلطين: سلطنا أشرارهم، فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾[الأنعام: ١٢٣]، والصواب القول الأول لما تقدم[1].

١٦-قال الله تعالى:﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ [الإسراء:٢٢].

أ-الظاهر أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، وذلك ليشرِّع لأمته على لسانه الإخلاص لتوحيد العبادة لله تعالى؛ لأنه ﷺ معلوم أنه لا يجعل مع الله إلهاً آخر، وأنه لا يقعد مذموماً مخذولاً.

ب-وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر، والمراد بذلك

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٢٨٤-٤٨٩، وابن كثير، ٣/٣٢-٣٣.

المكلفون من الأمة.

﴿مَذْموماً﴾ على إشراكك فيلحقه الذم من الله ومن عقلاء الناس.

﴿مَخْذُولاً﴾ المخذول: هو الذي لا ينصره من كان يرجو نصره، ويؤمله، فالله ﷻ لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك ضراً ولا نفعاً[(١)].

١٧-قال الله تعالى:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ..﴾ [الإسراء:٣٣].

الإسراف في القتل له صور ثلاث:

أ-أن يقتل اثنين، أو أكثر بواحد.

ب-أن يقتل بالقتيل واحد، لكنه غير القاتل.

ج-أن يقتل القاتل، ويمثل به[(٢)].

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

فنهى المسلم عن اتباع ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت، ولم ير، وسمعت، ولم يسمع، وعلمت، ولم يعلم.

١٨-قال الله تعالى:﴿كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٦] أي: يسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه، وعما عمل فيها، ويصح استعمال أولئك مكان تلك[(٣)].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: في ذلك وجهان من التفسير:

أ-أن معنى الآية أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن أفعال جوارحه، فيقال له: لم سمعت ما لا يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه؟ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الحجر: ٩٢- ٩٣]، ونحو ذلك من الآيات.

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٩٤-٤٩٦، وابن كثير، ٣/٣٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٤٤٩-٥٠٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٩.

ب-والوجه الثاني: أن الجوارح هي التي تسأل عن أفعال صاحبها، فتشهد عليه جوارحه بما فعل، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥]، وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[فصلت: ٢٠].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: والقول الأول أظهر عندي، وهو قول الجمهور[(١)].

قلت: تقدم أن ابن كثير جمع بين القولين، فيسأل عنها، وتسأل عنه[(٢)].

١٩-قال اللَّه تعالى:﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء:٣٧].

فيه وجهان من التفسير:

أ-أي: لن تجعل فيها خرقاً بدوسك عليها، وشدة وطئك، وأنت أيها المتكبر المختال، ضعيف، حقير، عاجز، محصور بين جمادين، أنت عاجز أن تؤثر فيهما، فالأرض تحتك لا تؤثر فيها، والجبال فوقك لا يبلغ طولك طولها، فاعرف قدرك، ولا تتكبر، ولا تمشي في الأرض مرحاً.

ب-القول الثاني: أن معنى لن تخرق الأرض: لن تقطعها بمشيك[(٣)]، ورجح القول الأول، وقال: واستدل بعض أهل العلم بقوله: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ على منع الرقص، وتعاطيه؛ لأن صاحبه ممن يمشي مرحاً.

٢٠- قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾[الإسراء: ٤٢].

في هذه الآية وجهان، كلاهما حق، ويشهد له القرآن:

أ-الوجه الأول: أن معنى الآية: لو كان مع اللَّه آلهة أخرى، كما يزعم الكفار، لطلبوا إلى اللَّه سبيلاً، أي: إلى مغالبته، وقهره، وإزالة ملكه؛ لأنهم إذاً يكونون شركاءه، كما يفعل الملوك؛ بعضهم مع بعض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عن ذلك علواً كبيراً، واستظهر

---

(١) أضواء البيان، ٣/٥٨٩-٥٩٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٣٩.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٣/٥٩١-٥٩٢.

هذا القول الشنقيطي، والبغوي؛ لقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ..﴾[المؤمنون: ٩١]، وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ..﴾[الأنبياء: ٢٢]، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره.

ب-الوجه الثاني: أن معنى الآية: لابتغوا إلى ذي العرش طريقاً، ووسيلة تقربهم إليه؛ لاعترافهم بفضله، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء: ٥٧]، ويروى هذا عن قتادة، واقتصر عليه ابن كثير، ولا شك أن الظاهر من الآية بحسب اللغة القول الأول[١].

٢١-قال اللَّه تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

أ-قيل: بلسان الحال لغير العاقل؛ لأنه يشهد بأن اللَّه خالقه، والقادر عليه.

ب-وقيل: بلسان المقال للعاقل وغيره، وهو على حقيقته، ولكن البشر لا يسمعون ذلك، ولا يفهمونه[٢].

وجمع العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ بين القولين أن كل حيوان ناطق، وغير ناطق، ومن أشجار، ونبات، وجامد، وحي، وميت، إلا يسبح بحمده بلسان الحال، ولسان المقال، ولكن تسبيح المخلوقات التي على غير لغتكم، لا تفقهون تسبيحهم[٣].

٢٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ [الإسراء:٤٥]

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير:

أ-إذا قرأت القرآن جعلنا بينك حائلاً، وساتراً يمنعهم من تفهم القرآن، وإدراكه لئلا يفقهوه، فينتفعوا به، وعلى هذا القول، فالحجاب المستور هو ما

(١) انظر: أضواء البيان، ٥٩٤/٣، وتفسير البغوي، ١١٦/٣.
(٢) انظر: زبدة التفسير من فتح القدير ص٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ٤١/٣.
(٣) انظر: تفسير السعدي ٢٨٣/٤.

حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه، كقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ..﴾[الأنعام: ٤٦].

ب-وقيل: إن الله يستره عن أعين الكفار، فلا يرونه كما حجب عيني أم جميل زوجة أبي لهب عن رؤية النبي ﷺ عندما قالت:

مذمماً عصينا ودينه أبينا

ولهذا قيل بأن الحجاب المستور: مستور عن أعين الناس، فلا يرونه، أو مستور به القاري، فلا يراه غيره[1].

٢٣-قال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ [الإسراء:٤٦].

جعل الله على قلوب الكفار أكنة ـ جمع كنان ـ، وهو ما يستر الشيء، ويغطيه، ويكنه لئلا يفقهوا القرآن، أو كراهة أن يفقهوه؛ لحيلولة تلك الأكنة بين قلوبهم وبين فقه القرآن، أي: فهم معانيه فهماً ينتفع به صاحبه، وأنه جعل في آذانهم وقراً، أي: صمماً، وثقلاً لئلا يسمعوه سماع قبول، وانتفاع[2].

٢٤- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢].

أ-قيل: تستجيبون بحمده: أي: بأمره، قاله ابن عباس: والمعنى تنقادون لأمره، ولا تستعصون عليه، وقوله: ﴿بحمده﴾: أي: هو المحمود على أفعاله.

ب-وقيل: مقرين بأنه خالقهم، وباعثهم، ويحمدونه حتى ينفعهم الحمد.

والذي رجحه السعدي الأول[3].

٢٥-قال الله تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾ [الإسراء:٥٨].

أ-قال بعضهم في الآية حذف صفة، أي: وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها، وقد دل على ذلك آيات، منها: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾**[الأنعام: ١١٧].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٥٩٥-٥٩٦، وتفسير ابن كثير، ٣/٤٣، وتفسير البغوي، ٣/١١٧.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٥٩٧، وتفسير ابن كثير، ٣/٤٣، وتفسير البغوي، ٣/١١٧.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٥، وتفسير البغوي ٣/١١٩، وتفسير السعدي ٤/٢٨٧.

ب-وقال بعض أهل العلم الآية عامة، فالقرية الصالحة إهلاكها بالموت، والقرية الظالمة إهلاكها بالعذاب، ولا شك أن كل نفس ذائقة الموت[١].

٢٦-قال الله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠].

أكثر المفسرين، وهو التحقيق في معنى هذه الآية، أن الله سبحانه جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب، والعجائب ليلة الإسراء، والمعراج، فتنة للناس؛ لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يكون حقاً، قالوا: كيف يصل إلى بيت المقدس، ويخترق السبع الطباق، ويرى ما رأى في ليلة واحدة، ويصبح في محله بمكة؛ هذا محال، فكان هذا الأمر فتنة لهم؛ لعدم تصديقهم به.

وأنه جعل سبحانه الشجرة الملعونة في القرآن التي هي شجرة الزقوم فتنة للناس؛ لأنهم لما سمعوه ﷺ يقرأ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٦٤]، قالوا: ظهر كذبه؛ لأن الشجر لا ينبت في الأرض اليابسة، فكيف ينبت في أصل النار، فصار ذلك فتنة، وإنما وصف الشجرة باللعن؛ لأنها في أصل النار، وأصل النار بعيد من رحمة الله، واللعن الإبعاد عن رحمة الله، أو لخبث صفاتها التي وصفت بها في القرآن، أو للعن الذين يطعمونها، والعلم عند الله تعالى[٢].

٢٧-قال الله تعالى:﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٦٢].

﴿لأَحْتَنِكَنَّ﴾:

أ-قال ابن عباس: لأستولين على ذريته إلا قليلاً.

ب-وقال مجاهد: لأحتوينهم.

جـ-وقال ابن زيد: لأضلنهم.

المعنى متقارب أي: لأستأصلنهم بالإغواء، والإضلال، ولأجتاحنهم.

د-وقيل: المراد: لأقودنهم إلى ما أشاء من قول العرب: أحنكت

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٦٠٠-٦٠١.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٣/٦٠٣-٦٠٤.

الفرس، إذا جعلت الرسن في حنكه؛ لتقوده حيث شئت، والحنك حول الفم، هذا هو أصل الاستعمال[١].

٢٨-قال اللَّه تعالى:﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [الإسراء:٦٤].

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ واستخف، واستجهد من استطعت منهم أن تستنفزه، والذي يظهر أن الأمر للتهديد، أي: افعل ذلك، فسترى عاقبته الوخيمة، كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠].

أ-﴿بِصَوْتِكَ﴾: اللهو، والغناء، والمزامير: أي: استخف من استطعت أن تستخفه منهم باللهو، والغناء، والمزامير، قاله: مجاهد.

ب-وقيل: صوته يشمل كل داع دعا إلى معصية؛ لأن ذلك طاعة له.

جـ-وقيل: صوته: وسوسته.

﴿وَأَجْلِبْ﴾: صِحْ تقول العرب: أجلب على فرسه، وجلب عليه: إذا صاح به من خلفه، واستحثه للسبق.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: صح عليهم بجنودك خيالتهم، ورجلتهم، واستعن عليهم بركبان جندك، ومشاتهم، والخيل تطلق على نفس الأفراس، وعلى الفوارس الراكبين عليها، وهو المراد في الآية، والرجل جمع راجل، أي: الماشي على رجليه.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ﴾ من مشاركته:

أ-ما قدموا على أنفسهم طاعة له: كالبحائر، والسوائب، ونحو ذلك.

ب-ما يأمرهم به من الإنفاق في معصية اللَّه تعالى.

جـ-وما يأمرهم به من اكتساب الأموال من الطرق المحرمة، كالربا، والغصب، وأنواع الخيانات؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك طاعة له.

﴿وَالأَولادِ﴾ ومشاركته في الأولاد على أصناف أيضاً:

أ-قتل بعض الأولاد طاعة للشيطان.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٣/٦٠٤-٦٠٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٦٠٤-٦٠٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٤٩، وتفسير البغوي، ٣/١٢٢.

ب-**يمجسونهم**، ويهودونهم، وينصرونهم طاعة له.

جـ-**تسمية الأولاد:** عبد الحارث، وعبد شمس، وعبد العزى، ونحو ذلك؛ لأنهم بذلك سموا أولادهم عبيداً لغير اللَّه، طاعة له.

د-**أولاد الزنا؛** لأنهم إنما تسببوا في وجودهم بارتكاب الفاحشة طاعة له[١].

هـ-**وكذلك من جامع** زوجته، ولم يقل: «**اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»[٢].

٢٩-قال اللَّه تعالى:﴿**ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً**﴾ [الإسراء:٦٩].

قيل: ثم لا تجدوا لكم علينا ناصراً، ولا ثائراً يطالب بالثأر، كقوله تعالى: ﴿**فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[الشمس: ١٤-١٥]، أي: لا يخاف عاقبة تبعة تلحقه بذلك. وكل مطالب بدين أو ثأر أو غير ذلك تسميه العرب تبيعاً[٣].

٣٠-قال اللَّه تعالى:﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ [الإسراء:٧١].

في هذه الآية أوجه من التفسير:

أ-**يوم ندعو كل أناس بإمامهم:** المراد كتاب أعمالهم، كقوله: ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا**..﴾[الجاثية: ٢٨]، واختار هذا القول ابن كثير.

ب-**وقيل: نبيهم** كقوله ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ**﴾[يونس: ٤٧]، واختاره السعدي.

جـ-**وقيل:** إمامهم: كتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع، واختاره ابن جرير.

د-**قيل:** إمامهم: أي: ندعو كل قوم بمن يأتمون به، فأهل الإيمان أئمتهم الأنبياء، وأهل الكفر أئمتهم كبراؤهم من رؤساء الكفرة، كما قال تعالى: ﴿**وجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾[القصص: ٤١]، واستظهر ذلك الشنقيطي في

---

(١) انظر هذه الفوائد المجموعة من كتب التفسير في أضواء البيان، ٣/٦٠٧-٦٠٩.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/١٢٣.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٣/٦١٣-٦١٤، وتفسير ابن كثير، ٣/٥١، وتفسير البغوي ٣/١٢٥.

الأضواء، وما تقدم لا ينافي في أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته ...»[١].

هـ-وهناك قول باطل نذكره هنا للتنبيه: وهو قول بعضهم: إمامهم أي: يقال: يا فلان بن فلانة، وهذا قول باطل بلا شك؛ لأنه ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**يرفع يوم القيامة لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان**»[٢].

٣١-قال الله تعالى:**﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** [الإسراء:٧٦].

قيل: نزلت في اليهود، أشاروا على الرسول بسكنى الشام، وهذا ضعيف.

وقيل: نزلت في كفار قريش عندما هموا بإخراج الرسول قبل أمر الله له بالهجرة، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده إلا قليلاً، وكذلك وقع، فإنه لم يكن بعد هجرته إلا سنة ونصفاً، حتى أمكنه الله منهم في بدر، فقتل صناديدهم[٣].

٣٢- ﴿أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨].

١-**قيل**: لدلوك الشمس: لغروبها.

٢-**وقيل**: لدلوكها: لزوالها، وهذا هو الصحيح على التحقيق، فهذا القول يتناول الصلوات الخمس: فدلوك الشمس يدخل فيه الظهر والعصر، و**﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾** أي: ظلامه، وهذا يشمل المغرب والعشاء، **﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾** أي: صلاة الصبح، **﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾** أي: تشهدها ملائكة الليل، وملائكة النهار[١].

٣٣-قال الله تعالى:**﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾** [الإسراء:٨٠].

أ-قيل: أدخلني مدخل صدق: يعني: المدينة، وأخرجني مخرج صدق، يعني: من مكة.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وهذا القول أشهر الأقوال، وهو الصحيح.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٦١٦-٦١٧، وتفسير ابن كثير، ٣/٥١-٥٢، وتفسير السعدي، ٤/٣٠٢.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٣/٦١٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢-٥٣، وتفسير السعدي، ٤/٣٠٤.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣-٥٤، وأضواء البيان، ٣/٦٢١-٦٢٢.

ب-وقيـل: أدخلنـي مـدخل صـدق، يعنـي: المـوت، وأخرجنـي مخـرج صدق، يعني: الحياة بعد الموت.

جـ-وقيل: أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي، أي: اجعل مداخلي كلها في طاعتك، وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص، وامتثال الأمر، وقيل غير ذلك[١]، والقول الذي رجحه ابن كثير، واختاره الطبري هو الأول[٢].

٣٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء:٨٢]

وهذا كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[فصلت: ٤٤]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

١-الشفاء الذي تضمنه القرآن عام:

أ-لشـفاء القلـوب مـن: الشـبه والجهالـة، والآراء الفاسـدة، والانحـراف السيئ، والمقاصد الرديئة، فإنه مشتمل على العلم اليقين الذي تزول به كل شبهة، وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر اللَّه.

ب-وشفاء الأبدان من آلامها، وأسقامها إذا رقي به عليها، كما دلت على ذلك السنة[١].

٢-وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي حث عليها التي متى فعلها العبد فاز بالرحمة، والسعادة الأبدية في العاجل والآجل[٢].

٣٥-قال اللَّه تعالى:﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ [الإسراء:٩٢].

أ-أي: تأتي باللَّه والملائكة معاينة يشهدون لك بما جئت به وهذا كقوله ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ وهذا قول قتادة وغيره.

ب-وقيل: أي: تأتي باللَّه، والملائكة كفيلاً، والقبيل، والزعيم، والكفيل،

---

(١) انظر بقية الأقوال: تفسير البغوي، ٢/١٣٢.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٨.
(١) أضواء البيان، ٣/٦٢٤، وتفسير السعدي، ٤/٣٠٩.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ٤/٣٠٩.

والضمين بمعنى واحد، أي: شاهداً بصحة ما تقول.

جـ-وقيل: تأتي بالله، والملائكة قبيلة قبيلة، أي: بجميع أصناف الملائكة[1].

٣٦-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾ [الإسراء:١٠١].

والآيات قيل فيها أقوال:

١-قيل: هي العصا، واليد، والسنون، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وقد بين هذه الآيات في آيات أخرى قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٠٧- ١٠٨]، وقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ..**﴾[الأعراف: ١٣٠]، وقوله: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾[الشعراء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ**﴾[الأعراف: ١٣٣]، وجعل بعضهم الجبل بدل السنين: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾[الأعراف: ١٧١]، قاله ابن عباس[1].

٢-وقيل: اليد، والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، الدم، قاله ابن عباس أيضاً، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والشعبي.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي[2].

٣-وقيل: مثل القول الأول، إلا أنه جعلت العقدة التي بلسانه، فحلها الله بدلاً من السنين، قاله ابن عباس، والضحاك[3].

٤-وقيل مثل القول الثاني، إلا أنه جُعِل: الطمس، والبحر بدلاً من السنين، ونقص الثمرات، قاله محمد بن كعب القرظي[4].

وقد أوتي موسى آيات أخرى كثيرة، منها: ضربه الحجر بالعصا، وخروج الماء منه، وتظليل بني إسرائيل بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك مما أوتوه بني إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، لكن ذكر هنا التسع آيات التي

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٦٢٧، وتفسير البغوي، ٣/١٣٧.

(١) انظر: أضواء البيان، ٣/٦٣٢، وتفسير ابن كثير، ٣/٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦٥، وهناك أقوال أخرى انظرها: في مختصر الطبري، ص٤٢٥، والزبدة مختصر الشوكاني، ص٤٩٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي، ٣/١٣٩.

(٤) انظر: تفسير البغوي، ٣/١٣٩.

شاهدها فرعون، وقومه من أهل مصر، فكانت حجة عليهم، فخالفوها، وعاندوها كفراً، وجحوداً، هذا كلام ابن كثير، ساقه بعد اختياره للقول الثاني[(١)].

٣٧-قال الله تعالى:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢].

أي: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع إلا رب السموات، والأرض بصائر منه لعباده، وآيات واضحات، وحججاً وأدلة على صدق ما جئت به [(٢)].

٣٨-﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠].

في هذه الآية أقوال:

١-**قيل**: لا تجهر بقراءتك، فيسمعك المشركون، فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوا عنه، وهكذا قال عكرمة، والحسن البصري، وقتادة، نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة.

٢-**وقال قوم** منهم ابن عباس: نزلت في الدعاء، وكذا روي عن عائشة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

والمعنى للقولين: لا تجهر بقراءتك، أو بدعائك، ولا تخافت بها، والمخافتة: خفض الصوت، والسكوت، وابتغ بين ذلك سبيلاً، أي: بين الجهر والإخفاء[(١)].



---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٦٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٦٦.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٦٨، والبغوي، ٣/١٤٢، وتفسير السعدي، ٤/٣٢٢.

١٨ -سورة الكهف

عن أبي الدرداء ﷺ، قال قال النبي ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال**»[١].

عن أبي الدرداء ﷺ، قال قال النبي ﷺ: «**من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين**»[٣].

وهناك روايات أخرى[٤].

١-قال الله تعالى:﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ [الكهف:٩].

قيل معناها: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

وقيل معناها: الذي آتيتك من علم الكتاب والسنة، والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وقيل معناها: ما أظهرت من حججي على العباد أعجب من أصحاب الكهف.

وأظهر الأقوال في معنى الآية أن الله يقول لنبيه ﷺ: إن قصة أصحاب الكهف، وإن استعظمها الناس، وعجبوا منها، فليست شيئاً عجيباً بالنسبة إلى قدرتنا، وعظيم صنعنا، فإن خلق السموات والأرض، وجعلنا ما عليها زينة لها، وجعلنا إياها بعد ذلك صعيداً جرزاً أعظم، وأعجب مما فعلنا بأصحاب الكهف[٥].

﴿**وَالرَّقِيمِ**﴾ قيل الرقيم: اسم كلبهم، وقيل: الوادي الذي الغار فيه، **وقيل**: كتاب بنيانهم، **وقيل**: القرية، **وقيل**: الجبل الذي فيه الكهف، **وقيل**:

---

(١) رواه مسلم، برقم ٨٠٩، وأحمد، ٣٦/ ٤٣، برقم ٢١٧١٢.
(٢) رواه مسلم، برقم ٨٠٩، وأحمد، ٤٥/ ٥٠٨، برقم ٢٧٥١٦.
(٣) رواه الحاكم، ١/ ٧٥٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٨٠، برقم ٧٣٦.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٧١-٧٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ٣/٧٤، وتفسير الشنقيطي ٤/١٨.

الكتاب، **وقيل:** لوح من حجارة، كتبت فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف، **والراجح** أن الرقيم معناه المرقوم، فهو فعيل بمعنى مفعول: من رقمت الكتاب، إذا كتبته: سواء قلنا إن الرقيم كتاب، كان عندهم فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماؤهم، وأنسابهم، وقصتهم، وخروجهم، أو صخرة نقشت فيها أسماؤهم[1].

٢-قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف:٢]

العمل لا يكون مقبولاً إلا بثلاثة شروط:

أ-مطابقاً لما جاء به النبي ﷺ **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾**[آل عمران: ٣١].

ب-خالصاً لله تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[البينة: ٥].

ج-أن يكون العمل مبنياً على أساس الإيمان، والعقيدة الصحيحة؛ لأن العمل كالسقف، والعقيدة كالأساس **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾**[النحل: ٩٧]، فجعل الإيمان قيداً في ذلك [2].

٣-قال الله تعالى:﴿قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً..﴾ [الكهف:٢].

في قوله: **﴿قَيِّماً﴾ ثلاثة أوجه من التفسير:**

أ-مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ كقوله **﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾**[البينة: ٣]، **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**[الإسراء: ٩]، وهذا هو قول الجمهور وهو الظاهر وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله: **﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾**؛ لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر، وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر.

ب-وقيل **﴿قَيِّماً﴾** أي: قيّم على ما قبله من الكتب السماوية أي مهيمن عليه.

جـ-معنى كونه قيماً: أنه قيم بمصالح الخلق الدينية، والدنيوية، وهذا الوجه في الحقيقة يلتزمه الوجه الأول[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٧٤ وأضواء البيان، ٣/١٩-٢٠.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٣/٨-٩.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٥.

٤-قال اللَّه تعالى:﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾[الكهف:٦]، أي: مهلك نفسك من شدة الأسف على عدم إيمانهم، كقوله تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر: ٨]، وأظهر الأقوال في معنى «**لعل**» في هذه الآية أن المراد به النهي عن الحزن عليهم[(١)].

٥-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾ [الكهف:١٢].

أكثر المفسرين على أن أحد الحزبين هم أصحاب الكهف، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، **وقيل**: هما حزبان من أهل المدينة، كان منهم مؤمنون، وكافرون، **وقيل**: ضربان من المؤمنين، **وقيل**: الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب، وأصحاب الكهف حزب، إلى غير ذلك من الأقوال، والذي يدل عليه القرآن أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾[الكهف: ١٩][(٢)].

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ يفهم من هذه الآية أن من آمن بربه، وأطاعه، زاده هدى، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾[محمد، ١٧]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ١٧][(٣)].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾[الكهف:١٦] أي ما ترتفقون به أي: تنتفعون به[(٤)].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ..﴾ الآية [الكهف:١٧].

قيل في ذلك قولان:

١-**قيل**: كان أصحاب الكهف في زاوية منه، وبينهم وبين الشمس

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٤/١٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٣.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٩.
(٤) المرجع السابق، ٤/٣٣.

حواجز طبيعية، وبابه إلى الشمال، واختاره ابن كثير[(١)].

٢-وقيل: كانوا في فجوة من الغار على سمت تصيبه الشمس، وتقابله، إلا أن منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم على وجه خرق العادة كرامة لهؤلاء القوم الذين فروا بدينهم طاعة لربهم جل وعلا، والقرينة الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[الكهف: ١٨].

واختار هذا القول العلامة الشنقيطي رحمه الله[(٢)]، وكذلك العلامة الشوكاني رحمه الله.

٨-قال الله تعالى:﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨]

قيل: الوصيد فناء البيت، وقيل: العتبة، وقيل: باب الكهف، والعرب تطلق الوصيد على الباب، والباب يطلق على المدخل الذي يدخل للشيء منه، ومن قال إن الوصيد: الفناء، فإن هذا لا يخالف هذا؛ لأن فناء الكهف هو بابه[(٣)].

واعلم أن ذكر الكلب هنا مع أصحاب الكهف، يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة، فقد شملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر، وخبر وشأن[(٤)]، ويفهم من هذا أن صحبة الأشرار فيها ضرر عظيم[(٥)].

٩-قال الله تعالى:﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾ [الكهف:١٩].

قيل: الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً.

وقيل: أكثر طعاماً والصحيح الأول [(٦)].

١٠-قال الله تعالى:﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ [الكهف:٢١].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٧٦.
(٢) أضواء البيان، ٤/٣٤.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٢.
(٤) انظر: المرجع السابق، ٤/٤٣.
(٥) انظر المرجع السابق، ٤/٤٣.
(٦) تفسير ابن كثير، ٣/٧٨.

قيل في الذين قالوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ قولان:

١-**قيل**: هم من المشركين، وقيل هم من المسلمين.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والظاهر أن الذين قالوا ذلك أصحاب الكلمة والنفوذ[١].

أخبر عَزَّوَجَلَّ عن اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف، فذكر ثلاثة أقوال على أنه لا قائل رابع، وجاء في الآية الكريمة بقرينة تدل على أن القول الثالث هو الصحيح، والأولان باطلان بقوله: ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾، وأقر القول الثالث، ولم يقل بعده رجماً بالغيب، فدل على أنه الصحيح[٢].

١١-قال الله تعالى:﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف:٢٣-٢٤].

سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لقريش سلوا محمداً عن الروح، وعن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لهم قصة عجيبة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**سأخبركم غداً عما سألتم به**» ولم يقل: إن شاء الله، فلبث عنه الوحي مدة .. ثم أنزل الله الجواب عن الأسئلة الثلاثة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾[الكهف: ١٣]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف: ٨٣]، وقد عاتب الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما عاتب نبينا ﷺ ففي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال سليمان ابن داود عليهما السلام: (لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، وفي رواية تسعين امرأة، وفي رواية مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله) فقيل له قال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته، وفي رواية ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون**»[١].

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٧٨، وأضواء البيان، ٤/٧٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٧٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٧٩ والقليل هم السبعة.
(٣) البخاري، برقم ٢٨١٩، ةمسلم، ١٦٥٤.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٧٩، وأضواء البيان، ٤/٧٦.

١٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف:٢٤] في معناها قولان:

١-أي: إذا نسيت الاستثناء، فاستثن، ولو بعد مدة، إذا ذكرت، فقل: إن شاء اللَّه، وهذا لا يمنع الحنث بعد هذه المدة، وإنما ذلك من السنة؛ ليكون آتياً بالسنة في الاستثناء، حتى ولو كان بعد الحنث، وهذا قول الجمهور، ولا يكون واقعاً للحنث، ولا مسقطاً للكفارة بعد هذه المدة.

٢-وقيل: إن الآية لا تعلق لها بما قبلها، والمعنى إذا وقع منك النسيان لشيء، فاذكر اللَّه؛ لأن النسيان من الشيطان كقوله: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام:٦٨]، والقول الأول أليق، وأظهر بسياق الآية[1].

١٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧].

وهذه التلاوة المأمور بها تشمل أمرين:

١-التلاوة بمعنى القراءة.

٢-التلو بمعنى الاتباع.

فالمعنى الأول كقوله تعالى في العنكبوت: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ﴾[العنكبوت:٤٥]، وفي آخر النمل: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[النمل: ٩١- ٩٢]، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل: ٤].

ويدل للمعنى الثاني: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:١٠٦]، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الزخرف:٤٣][2].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[الكهف:٢٧] المراد به مكان الالتجاء الذي يميل فيه إلى ملجأ، أو منجى ينجيه مما يريد اللَّه أن يفعل به[1].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٨٠، وأضواء البيان، ٤/٧٨.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٨٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٨١، وتفسير البغوي، ٣/١٥٨.

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٨٧.

أي: قل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم، هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك[١].

١٦-قال الله تعالى:﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٨].

المراد بهذه الآية التهديد، والتخويف؛ ولهذا أتبع ذلك بقوله: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ..**﴾[الكهف: ٢٩] الآية وقد قال ﷻ: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾[فصلت: ٤٠]، وهذا على طريق التهديد[٢].

﴿**أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾ فيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شيء واحد، وهو إحداق النار بهم من كل جانب.

فمن العلماء من يقول: سرادقها: سورها.

ومنهم من يقول: سرادقها: سور من نار، وهو مروي عن ابن عباس.

ومنهم من يقول: سرادقها: ما روي عنه ﷺ: «**لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة**»[٣].

وعلى كل حال، فمعنى الآية الكريمة أن النار محيطة بهم من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾[الأعراف: ٤١]، وقال: ﴿**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾[الزمر: ١٦][٤].

١٧-قال الله تعالى:﴿**نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ [الكهف:٢١]

أي: نعمت الجنة ثواباً على أعمالهم، وحسنت مرتفقاً: أي: حسنت منزلاً، ومقيلاً ومقاماً ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً**﴾[الفرقان: ٧٦][١]، كما قال في أهل النار: ﴿**بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ [الكهف: ٢٩].

١٨-قال الله تعالى:﴿**هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**﴾ [الكهف:٤٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٨٢، وتفسير البغوي ٣/١٥٩، وأضواء البيان، ٤/٩١، وتفسير السعدي ٥/٣١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٨٢، وتفسير البغوي ٣/١٥٩، وأضواء البيان، ٤/٩٢.
(٣) رواه الترمذي، وأحمد، والحاكم وصححه، وابن جرير في تفسيره.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٤/٩٥.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٨٣، وأضواء البيان، ٤/١٠٠.

الولاية لله هنا في معناها وجهان من التفسير لمن قرأها بفتح الواو ﴿الوَلاية﴾.

الأول: ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ﴾ أي: في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله، أي: الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد مؤمن، أو كافر، يرجع إلى الله، وإلى موالاته، والخضوع له إذا رأى العذاب، وعلى هذا كقوله في فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٩٠]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[غافر: ٨٤].

الوجه الثاني لقراءة فتح الواو ﴿الوَلاية﴾: أن الوَلاية في مثل هذا المقام، والحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين وَلاية رحمة، كما قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة: ٢٥٧]، وله على الكافرين ولاية الملك، والقهر، كقوله: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس: ٣٠].

أما من قرأه بكسر الواو ﴿الوِلاية﴾ فالمعنى الولاية: أي: الملك، والسلطان، والحكم، كقوله: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[غافر:١٦]، وعلى قراءة ﴿لله الحقِ﴾، فالحق نعت لله. وقراءة الرفع ﴿اللهِ الحقُ﴾ نعت للولاية[١].

١٩- قال الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف:٤٦].

فيه أقوال للعلماء:

١- **قيل:** الصلوات الخمس: ابن عباس، وغيره من التابعين بالصلوات الخمس.

٢- **قال** ابن عباس، وعثمان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو قول الجمهور، وفيه أحاديث مرفوعة عن أبي سعيد، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وعائشة، والنعمان بن بشير.

٣- **روي** عن ابن عباس قال: هي ذكر الله، والصلاة، الحج، والصيام، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة، ما دامت السموات والأرض.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٠٦-١٠٧، وتفسير ابن كثير، ٣/٨٥-٨٦.

٤-وقال زيد بن أسلم هي الأعمال الصالحة كلها، واختاره ابن جرير(١).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان(٢) ما معناه: التحقيق أن الباقيات الصالحات لفظ عام، يشمل الصلوات الخمس، والكلمات الخمس المذكورة، وغير ذلك من الأعمال التي ترضي اللَّه.

٢٠-قال اللَّه تعالى:﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٧].

أي: ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال، والظراب، والشجر، والعمارات التي كانت عليها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾[طه: ١٠٥- ١٠٧]، وأقوال العلماء في ذلك راجعة إلى شيء واحد، وهو أنها أرض مستوية، لا نبات فيها، ولا بناء، ولا ارتفاع، ولا انحدار، أما قول من قال: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: بارز ما كان في باطنها من الأموات، والكنوز، فبعيد جداً، كما ترى، وبروز ما فيها دل عليه آيات أخرى، وأن ما في باطنها من أموت وكنوز يخرج، كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا..﴾[الزلزلة: ١- ٢](٣).

٢١-قال اللَّه تعالى:﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف:٤٨].

﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾: قيل: صفاً واحداً يكون في عرض الخلائق يوم القيامة.

وقيل: صفوفاً: أي: صفاً بعد صف.

وذكر الحافظ أبو القاسم عبدالرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل يرفعه «**إن اللَّه تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت يرفع غير فظيع** .. » إلى أن قال: «**يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أقدامهم للحساب**»(١) وهذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية وهو يدل على أن معنى (صفاً) أي:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٨٨.
(٢) أضواء البيان، ٤/١٠٩.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/١١١.
(١) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث، برقم ٧٣٤٢، وقال جامع الأحاديث، ٨/ ٣٠١: «وعزاه القرطبى فى التفسير، ١٠/٤١٧ إلى عبد الرحمن بن منده فى كتاب التوحيد». ا. هـ. ولم أجده عند ابن منده.

صفوفاً، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[الفجر: ٢٢] [(١)].

٢٢-قال الله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠].

وهذا ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه لكونه من الجن، والفاء من الحروف الدالة على التعليل: كقولهم: سرق فقطعت يده، أي: لأجل سرقته، وسها فسجد، أي: لأجل سهوه، ومن هذا القبيل: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾، أي: لعلة كينونته من الجن؛ لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة؛ لأنهم امتثلوا الأمر، وعصا هو، ولأجل ظاهر هذه الآية الكريمة، ذهبت طائفة من العلماء إلى أن إبليس ليس من الملائكة في الأصل، بل من الجن، وذلك لأمرين:

١-عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس.

٢-صرح الله في هذه الآية الكريمة أنه من الجن، فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل البشر، وهذا هو الظاهر، والله أعلم[(٢)].

٢٣-قال الله تعالى:﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف:٥٠].

وهذا دليل على أن للشيطان ذرية، لكن هل هي عن تزويج أو غيره، لا دليل عليها من نص صريح، ومثله لا يعرف بالرأي، فهو له ذرية لا شك في ذلك، لكن طريقة وجود النسل يحتاج، أي: إلى كيفية النسل، إلى دليل[(٣)].

٢٤-قال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾ [الكهف:٥٢].

اختلف العلماء في ذلك من ثلاث جهات:

الأولى: في المراد بالظرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

والثانية: في مرجع الضمير ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

والثالثة: في المراد بالموبق.

أما الموبق: **فقيل**: المهلك، **وقيل**: واد في جهنم، **وقيل**: الموعد، **وقيل**: العداوة، والتحقيق أن الموبق المهلك، وأوبقته ذنوبه: أهلكته، ومنه الحديث

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١١٣، وتفسير ابن كثير، ٣/٨٨.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/١٢١، وابن كثير، ٣/٨٩.
(٣) أضواء البيان، ٤/١٢٢-١٢٤.

«**فموبق نفسه، أو بائعها فمعتقها**»، وحديث السبع الموبقات: أي: المهلكات.

أما الظرف ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ فعلى قول من قال في الموبق: العداوة، أي: فجعلنا بينهم عداوة، كقوله: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾[الزخرف: ٦٧]، ولكن تفسير الموبق بالعداوة بعيد، **وقيل**: المراد بالبين في الآية: الوصل، أي: جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾[البقرة: ١٦٦]، أي: المواصلات التي كانت بينهم في الدنيا.

وقيل: جعلنا الهلاك بينهم؛ لأن كلاً منهم معيناً على هلاك الآخر؛ لتعاونهم على الكفر، والمعاصي.

وقيل: جعلنا مهلكاً بين المؤمنين والكافرين يفصل بينهم، فالداخل فيه في الهلاك، والخارج منه في عافية.

وأظهر الأقوال: وجعلنا بين الكفار وبين من كانوا يعبدونهم مع الله ويشركونهم معه موبقاً، أي: مهلكاً؛ لأن الجميع يحيط بهم الهلاك من كل جانب.

وبما ذكر هنا يعلم أن الضمير في قوله: (**بينهم**) راجع إلى أهل النار، **وقيل**: راجع إلى أهل الجنة، وأهل النار معاً، **وقيل**: راجع للمشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله، وهذا هو أظهرها لدلالة ظاهر السياق عليه[(١)].

٢٥-قال الله تعالى:﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً**﴾ [الكهف:٥٥].

في هذه الآية وجهان من التفسير:

الأول: وما منع الناس من الإيمان والاستغفار إذا جاءتهم الرسل بالبينات الواضحات، إلا ما سبق في علمنا من أنهم لا يؤمنون، بل يستمرون على كفرهم حتى تأتيهم سنة الأولين، أي: سنتنا في إهلاكهم بالعذاب المستأصل، أو يأتيهم العذاب قبلاً، وهذا هو الظاهر.

الثاني: أن معنى الآية: فيه مضاف، محذوفاً تقديره: وما منع الناس من الإيمان،

---

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي ٤/١٢٦-١٢٩.

والاستغفار، إلا طلبهم أن تأتيهم سنة الأولين، أو يأتيهم العذاب قبلاً، والأول أظهر.

ومعنى﴿قُبُلاً﴾ أي: أنواعاً مختلفة، يتلو بعضها بعضاً، والتحقيق: أن معنى: ﴿قُبلاً﴾ أي: عياناً، وأصله من المقابلة؛ لأن المتقابلين يعاين كل واحد منهما الآخر[١].

٢٦-قال اللَّه تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧].

وجه الجمع بين هذا والآيات التي فيها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً..﴾[الأنعام: ٢١]، ونحو ذلك من الآيات فيه وجهان:

أ-أن كل من قال اللَّه فيه، ومن أظلم ممن فعل كذا: لا أحد أظلم من واحد منهم، وإذاً فهم متساوون في الظلم، لا يفوق بعضهم فيه بعضاً، فلا إشكال في كون كل واحد منهم، لا أحد أظلم منه.

ب-وقيل: صلة الموصول تعين كل واحد في محله، وعليه فالمعنى في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: لا أحد أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه، فأعرض عنها.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾[الأنعام: ٢١]: لا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على اللَّه ، وهكذا، والوجه الأول أولى؛ لأنه جار على ظاهر القرآن، ولا إشكال فيه[٢].

٢٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ [الكهف:٥٩].

لفظة ﴿لَمَّا﴾ ترد في القرآن في كلام العرب على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: «لما»: النافية الجازمة للفعل المضارع، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ..﴾[البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ..﴾[آل عمران: ١٤٢].

النوع الثاني: «لَمَّا» تكون حرف استثناء بمعنى إلا، فتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[الطارق: ٤] في قراءة من شدّد.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٣٥-١٣٨.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/١٤٤.

النوع الثالث: «**لما**» وهو النوع المختص بالماضي المقتضي جملتين توجد ثانيتهما عند وجود أولاهما كقوله : ﴿.. **لَمَّا ظَلَمُوا**﴾[الكهف: ٥٩]، أي: لما ظلموا أهلكناهم، فما قبلها دليل على الجهة المحذوفة[١].

٢٨-قال الله تعالى:﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾ [الكهف:٦١].

اختلف العلماء في تعيين البحرين المذكورين:

أ-ذهب أكثر العلماء أنهما بحر فارس، والروم: بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب.

ب-وقيل: مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب.

جـ-وقيل: بحر الأردن، والقلزم.

ومعلوم أن تعيين البحرين من النوع الذي لا دليل عليه من كتاب، ولا سنة، وليس في معرفته فائدة، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته[٢].

٢٩-قال الله تعالى:﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا**..﴾ [الكهف:٦٥]، وهو الخضر بإجماع المفسرين، واختلف في الخضر: هل هو نبي، أم رسول، أم رجل صالح؟.

والصواب أنه نبي؛ لأنه لم يفعل شيئاً عن أمره، وإنما بأمر من الله تعالى، والله لا يطلع أحداً على الغيب إلا من ارتضى من رسول[٣].

واختلف هل هو حي أو ميت؟ والصواب أنه ميت؛ لأدلة منها:

أ-﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾[الأنبياء: ٣٤].

ب-وقوله ﷺ: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الأرض لا تعبد في الأرض**».

جـ-إخباره ﷺ على أنه على رأس مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها بالحديث، لا يبقى أحد على وجه الأرض ممن هو عليها تلك الليلة[١].

٣٠-قال الله تعالى:﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً**﴾ [الكهف:٩٨-٩٩].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٥٤-١٥٥.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/١٥٧.
(٣) انظر التفصيل في الأضواء ٤/١٥٧-١٦٣.
(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٦٣-١٧٨.

هذه الآية الكريمة، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج، إنما يجعله الله دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه[1].

٣١-قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ...﴾ [الكهف:٩٩]

الجملة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها بالتنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أنه يوم إذا جاء وعد ربي بخروجهم، وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول؛ لموافقة ظاهر السياق للقرآن العظيم[2].

٣٢-قال الله تعالى:﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٢].

في قوله: ﴿نُزُلاً﴾ **أوجه من التفسير:**

أ-أظهر الأقوال أن النزل ما يقدم للضيف عند نزوله والقادم عند قدومه.

ب-وقيل: ﴿نُزُلاً﴾ بمعنى المنزل، أي: أعتدنا جهنم للكافرين منزلاً، أي: مكان نزول لا منزل لهم غيره، والأول الأظهر[3].

٣٣-قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

أي: بطل واضمحل.

والضلال يطلق في القرآن الكريم واللغة العربية **ثلاثة إطلاقات:**

الأول: الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل، كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر، وهذا أكثر استعمالاته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٧]، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة: ٧٧].

الثاني: الضلال: بمعنى الهلاك، والغيبة، والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام إذا استهلك فيه، وغاب فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ٢٤]، أي: غاب، واضمحل، وقوله هنا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: بطل، واضمحل، وسمي الدفن إضلالاً ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ..﴾[السجدة: ١٠]، أي اختلطت عظامهم بالرميم وغابت واستهلكت فيها.

---

(١) انظر: الأضواء ٤/١٨١-١٨٧.
(٢) المرجع السابق ٤/١٨١-١٨٢.
(٣) انظر: الأضواء ٤/١٩٠-١٩١.

الثالث: الضلال: بمعنى الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابق للواقع، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾[الضحى: ٧]، أي: ذاهباً عما تعلمه الآن من العلوم، والمعارف التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك الله إلى تلك العلوم، والمعارف بالوحي.

ومن هذا المعنى قوله تعالى عن أولاد يعقوب: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ**﴾[يوسف: ٩٥]، أي: ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف، ومن أجل ذلك تطمع في رجوعه إليك، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: تذهب عن حقيقة المشهود به نسيان، أو نحوه، وقوله: ﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى**﴾[طه: ٥٢][1].

٣٤-قال الله تعالى:﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾[الكهف:١٠٥].

فيه للعلماء أوجه:

أ-المعنى: أنهم ليس لهم حسنات توزن في الكفة الأخرى، في مقابل سيئاته، بل لم يكن لهم إلا سيئات، ومن كان كذلك، فهو في النار.

ب-وقال بعضهم: أنهم لا قدر لهم عند الله لحقارتهم بسبب كفرهم، وقد دلت السنة الصحيحة على أن معنى الآية يدخل فيه الكافر السمين، العظيم البدن، لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، وفيه دلالة على وزن الأشخاص[2].



(١) انظر: أضواء البيان، ٤/١٩٢-١٩٣.
(٢) المرجع السابق ٤/١٩٤-١٩٦.

١٩ -سورة مريم

١-قال اللَّه تعالى:﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:٢].

أظهر الأقوال أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك بعبده زكريا[١].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ..﴾ [مريم:٦].

هذا الإرث إرث العلم، والنبوة، والدعوة إلى اللَّه، والقيام بدينه، لا إرث المال، وهذا يدل عليه أمران:

أ-قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ومعلوم أنهم انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم، والنبوة، والدين.

ب-ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[النمل: ١٦]، وهذه الوراثة وراثة علم ودين، والعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر[٣].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ [مريم:٧] فيه قولان:

أ-قيل: لم يسم أحد قبله بهذا الاسم، واختاره ابن جرير.

ب-وقيل: لم نجعل له من قبل شبيهاً، ولا مماثلاً في السمو، والرفعة، والشرف، وهذا القول غير صواب؛ لأنه ليس بأفضل من نوح، وإبراهيم، وموسى، والقول الأول هو الصواب[٤].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً﴾ [مريم:١٠].

أ-أي: علامتك على وقوع ذلك أن تمنع عن الكلام، فلا تطيقه ثلاث

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٠٨، وأضواء البيان، ٤/٢٠٣.
(٢) البخاري، برقم ٤٠٣٤، ومسلم، برقم ١٧٥٨.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٠٦-٢٠٨ وابن كثير، ٣/١٠٩.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٤/٢١٤.

ليال بأيامهن وأنت صحيح، من غير مرض، ولا علة، ولكنك ممنوع من الكلام على سبيل خرق العادة، وهذا القول هو الصواب.

ب-وقيل: سوياً: أي: ثلاث ليال متتابعات، وهذا غير صواب، والصواب الأول[١].

٥-قال الله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢].

أ-الكتاب هنا: التوراة، وهو قول الجمهور، وحكى بعض المفسرين عليه الإجماع.

ب-وقيل: هو كتاب أنزل على يحيى، وقيل اسم جنس يشمل الكتب المتقدمة، وقيل: صحف.

والأظهر قول الجمهور في القول الأول أنه التوراة.

والمعنى: خذ التوراة بجد، واجتهاد، وتفهم للمعنى على الوجه الصحيح، وهذا يدل على أخذ القرآن بجد، وحزم، وقراءة، وحفظاً، وعملاً بما فيه[٢].

٦-قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم:١٢].

أ-قيل: الفهم، والعلم، والجد، والعزم، والإقبال على الخير، والاجتهاد وهو صغير.

ب-وقيل: النبوة.

جـ-وقيل: الحكمة.

والذي يظهر أن الحكم: العلم النافع، والعمل به، وذلك بفهم الكتاب السماوي فهماً صحيحاً، والعمل به حقاً، فإن هذا يشمل جميع الأقوال[٣].

٧-قال الله تعالى:﴿وَزَكَاةً ..﴾ [مريم:١٣].

أصح الأقوال: أنه معطوف على ما قبله، أي: وأعطيناه طهارة من أدران الذنوب، والمعاصي بالطاعة، والتقرب إلى الله بما يرضيه[٤].

٨-قال الله تعالى:﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ [مريم:١٥].

هذه تحية من الله ليحيى، ومعناها الأمان، والسلامة من الشيطان، والشر،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٢١٨/٤، وابن كثير، ١١٠/٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٢٢٧/٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١١/٣، وأضواء البيان، ٢٢٨/٤، وتفسير البغوي، ١٩٠/٣.

(٤) انظر: أضواء البيان، ٢٢٩/٤.

والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة، وما بينها، وخص هذه الأوقات الثلاثة بالسلام؛ لأنها أوحش من غيرها، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن: يوم ولد، فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت، فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم[١].

٩-قال الله تعالى:﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا..﴾ [مريم:٢٤] واختلف العلماء في هذا المنادي:

أ-قيل: عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ناداها، قاله: أُبي، ومجاهد.

ب-وقيل: جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، روي عن عبدالله بن عباس، وغيره، ومن قال بهذا القول، قال: إن جبريل ناداها من مكان منخفض من تحتها، ورجح القرطبي القول الثاني، وأنه جبريل، ورجح الطبري، والشنقيطي القول الأول، وأنه عيسى[٢].

١٠-قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ [مريم:٢٤]

اختلف العلماء في السري:

أ-فقيل: هو الجدول، وهو النهر الصغير، واستظهره ابن كثير[٣].

ب-وقيل: هو عيسى، ورجح القول الأول الشنقيطي أيضاً[٤].

١١-قال الله تعالى:﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ [مريم:٢٦].

أ-قيل: أمرت أن تقول ذلك باللفظ، وهذا مذهب الجمهور.

ب-وقيل: أمرت أن تقوله بالإشارة[٥].

١٢-قال الله تعالى:﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ..﴾ [مريم:٧].

ليس المراد به هارون أخو موسى، كما يظنه بعض الجهلة، وإنما هو رجل صالح من بني إسرائيل، ومعلوم أن هارون أخا موسى قبل مريم بزمن طويل.

(١) انظر: أضواء البيان، ٢٣١/٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٢٤٦/٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١١٥/٣.
(٤) أضواء البيان، ٢٤٨/٤-٢٤٩.
(٥) انظر: أضواء البيان، ٢٥٤/٤.

١٣-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً...﴾ [مريم:٣٠-٣١].

هذه الأفعال المذكورة بمعنى المستقبل، وهو الصواب إن شاء اللَّه، خلافاً لمن زعم أنه نبي أوتي الكتاب في حالة صباه[١].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم:٣٤] في الحق هنا وجهان:

أ-أن المراد بالحق ضد الباطل بمعنى الصدق، والثبوت.

ب-أن المراد بالحق اللَّه جل وعلا؛ لأن من أسمائه الحق [٢].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ [مريم:٥١].

في ﴿مُخْلَصاً﴾ قرآتان سبعيتان:

أ-فتح اللام ﴿مُخْلَصاً﴾ عاصم، وحمزة، والكسائي، والمعنى على هذه القراءة أن اللَّه استخلصه، واصطفاه.

ب-كسر اللام ﴿مخلِصاً﴾ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ومعنى ذلك أنه كان مخلصاً للَّه في أقواله وأفعاله[٣].

١٦-قال اللَّه تعالى:﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ..﴾ [مريم:٥٨].

هؤلاء النبيون، وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء، استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس.

١٧-قال اللَّه تعالى:﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ...﴾ [مريم:٥٨]

فالمراد: من ذرية آدم، أي: إدريس، وممن حملنا مع نوح، أي: من ذرية إبراهيم، ومن ذرية إبراهيم، أي: إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، ومن ذرية إسرائيل، أي: موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ابن مريم؛ ولذلك

(١) أضواء البيان، ٤/٢٧٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٧٦.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٢٩٠، وابن كثير، ٣/١٢٢.

فرق أنسابهم، وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس؛ فإنه جد نوح، وهذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام[(١)].

١٨-قال الله تعالى:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ..﴾ [مريم:٥٩].

المراد بإضاعة الصلاة:

أ-قيل: تأخيرها عن وقتها المحدد، قاله: ابن مسعود وعمر بن عبدالعزيز وغيرهما. وقال القرطبي إن هذا القول هو الصحيح.

ب-وقيل: إضاعتها: الإخلال بشروطها، قاله: الزجاج.

ج-وقيل: إضاعتها جحد وجوبها.

د-وقيل: إضاعتها في غير الجماعات.

هـ-وقيل: إضاعتها: تعطيل المساجد، والاشتغال عنها بالصنائع.

والصواب أن هذه الأقوال تدخل في الآية [(٢)].

١٩-قال الله تعالى:﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [مريم:٥٩].

في المراد بالغي في الآية أقوال كلها متقاربة:

أ-الكلام على حذف مضاف: فسوف جزاء غي، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ أي يلقى مجازاة آثامه في الدنيا.

ب-الخسران، والحصول في الورطات.

ج-شراً، وضلالاً، أو خيبة.

د-واد في جهنم من قيح؛ لأنه يسيل فيه قيح أهل النار، وصديدهم، وهو بعيد القعر، خبيث الطعم، قاله: ابن مسعود، والبراء بن عازب، وعائشة.

هـ-وقيل: ضلالاً في الآخرة عن طريق الجنة، وفيه أقوال أخرى، ومدار جميع هذه الأقوال في ذلك على شيء واحد، وهو أن أولئك الخلق الذين

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٢٤.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٠٨.

أَضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوا، سوف يلقون عذاباً عظيماً[١].

٢٠-قال اللَّه تعالى:﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ...﴾[مريم:٧١-٧٢].

اختلف العلماء في معنى الورود هنا:

أ-قيل: المراد بالورود الدخول ولكن اللَّه يصرف أذاها عن عباده المؤمنين.

ب-وقيل: المراد بالورود الجواز على الصراط لأنه جسر منصوب على متن جهنم.

ج-وقيل: الورود هو الإشراف عليها، والقرب منها، وحضورها، فيحصل الانزعاج.

د-وقيل: إن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحمى في دار الدنيا[٢].

٢١-قال اللَّه تعالى:﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾ [مريم:٧٥].

في معنى الآية الكريمة وجهان من التفسير عند العلماء:

الأول: أن اللَّه ﷻ أمر نبيه ﷺ في هذه الآية أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين، والمعنى: قل لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم مقاماً، وأحسن منكم ندياً، من كان منا ومنكم في الضلالة، أي: الكفر، والضلال عن طريق الحق.

٢٢-قال اللَّه تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾[مريم:٧٥]

أي: فأمهله الرحمن إمهالاً فيما هو فيه حتى يستدرجه بالإمهال، ويموت على ذلك، ولا يرجع عنه، بل يستمر على ذلك حتى يرى ما يوعده اللَّه، وهو إما عذاب في الدنيا بأيدي المسلمين، وإما بعذاب الآخرة إن ماتوا، وهم على ذلك الكفر.

وعلى هذا، فصيغة الطلب المدلول عليها باللام في قوله ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ على بابها، فهي لام الدعاء بالإمهال في الضلال على الضلال من الفريقين، حتى يرى ما وعده اللَّه من الشر، وهو على أقبح حال من الكفر، والضلال، واقتصر على هذا التفسير ابن كثير.

الثاني: أن صيغة الطلب في قوله ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ يراد بها الإخبار عن سنة اللَّه في الضالين، وعليه فالمعنى أن اللَّه أجرى العادة بأنه يمهل الضال، ويملي له،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٠٩-٣١٠.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٤/٣٤٨-٣٥٥، وابن كثير، ٣/١٢٩-١٣١، والبغوي، ٣/٢٠٣-٢٠٥، وتفسير السعدي، ٥/١٣٠.

فيستدرجه بذلك، حتى يرى ما يوعده، وهو في غفلة، وكفر، وضلال[(١)].

٢٣-قال الله تعالى:﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾ [مريم:٨٠].

أ-ما يقول إنه يؤتاه يوم القيامة من مال، وولد، أي: نسلبه منه في الدنيا ما أعطيناه من المال، والولد بإهلاكنا إياه.

ب-وقيل: نحرمه ما تمناه من الولد، والمال في الآخرة[(٢)].

٢٤-قال الله تعالى:﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ [مريم:٨٢].

في ضمير الفاعل (الواو) وجهان:

أ-قيل: واو الفاعل سيكفرون راجعة إلى المعبودات التي كانوا يعبدونها من دون الله، أما العاقل فلا إشكال فيه، وأما غيره فالله قادر على أن يخلق له إدراكاً.

ب-أن العابدين هم الذين يكفرون بعبادة شركائهم، وينكرونها.

والراجح والأظهر الأول، والعلم عند الله[(٣)].

٢٥-قال الله تعالى:﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ [مريم:٨٣].

أي: سلطانهم عليهم، وقيضناهم لهم، وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم أن معناه: خلينا بينهم وبينهم، ولم نعصمهم من شرهم[(٤)].

٢٦-قال الله تعالى: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾ [مريم:٨٤].

أ-قيل: نعد الأعوام، والشهور، والأيام التي دون وقت هلاكهم، فإذا جاء الوقت المحدد أهلكناهم.

ب-وقيل: هو عد الأنفاس، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأها بكى، وقال آخر العدد خروج نفسك، وفراق أهلك آخر العدد، دخول قبرك.

ج-وقيل: نعد أعمالهم لنجازيهم عليها، والظاهر هو الأول[(١)].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٥٩-٣٦٠.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٨٥.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٨٧-٣٨٨.
(٤) انظر :أضواء البيان، ٤/٣٨٨-٣٨٩.
(١) انظر: الأضواء ٤/٣٩٠.

٢٧-قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ [مريم:٨٥].

أ-قيل: الوفد هم الركبان، أي: يحشرون ركباناً على النجائب، أو الإبل، أو النوق، وعليه جمهور المفسرين.

ب-وقيل: يحشر راكباً على عمله.

جـ-وقيل: يحشرون على نوق بيض لها أجنحة، عليها رحائل الذهب[١].

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ [مريم: ٨٧].

أ-قيل: الواو في قوله لا يملكون راجعة إلى المجرمين في قوله:

٢٨- ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾[مريم: ٨٦]، أي: لا يملك المجرمون الشفاعة، أي: لا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول، والعذاب، وهذا له آيات تدل عليه ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر:٤٨]، وهذا الوجه يفهم منه أن المجرمين لا يشفعون في غيرهم؛ لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم، فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى.

ب-وقيل: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ قيل: الواو راجعة للمتقين والمجرمين جميعاً، أي: لا يملك أحد من جميعهم الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً، وهم المؤمنون، والعهد العمل الصالح[٢].



(١) انظر: الأضواء ٤/٣٩٢.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٩٤-٣٩٥.

٢٠ -سورة طه

١-قال اللَّه تعالى:﴿طه﴾ [طه:١]

لأهل التفسير في ذلك أوجه منها:

أ-قيل: أظهر الأقوال فيها أنها من الحروف المقطعة في أوائل السور.

ب-وقيل: معنى ﴿ طه﴾: أي: يا رجل، وهي لغة بني عك بن عدنان، وبني طيئ، وبني عكل، جاء ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

جـ-وقيل: معناه طأ الأرض بقدميك؛ لأنه كان يرفع رجلاً ويقوم على رجل.

د-وقيل: إنه من أسماء اللَّه، وهذا ضعيف.

هـ-وقيل: إنه من أسماء النبي ﷺ، وهذا ضعيف أيضاً.

و-وقيل: الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية، أي: يا طاهراً من الذنوب، يا هادي الخلق إلى علام الغيوب، وهذا ضعيف أيضاً.

والصواب إن شاء اللَّه أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور[1].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:٢]

فيها وجهان من التفسير، وكلاهما يشهد له القرآن:

أ-أن المعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم، وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا، وجاء بهذا المعنى آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر:٨]، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[الكهف:٦]، وغير ذلك.

ب-أن النبي ﷺ كان يصلي بالليل حتى تورمت قدماه، فأنزل اللَّه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه:٢]، أي: لتهلك نفسك بالعبادة، وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثناك إلا بالحنيفية السمحة، وهذا الوجه تدل عليه ظواهر آيات من كتاب اللَّه، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨]،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٣٩٩-٤٠٠.

وقولـه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ويفهم من قوله: ﴿لِتَشْقَى﴾[طه: ٢] أنه أنزل عليه ليسعد، كما قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، وقد روى الطبراني عن ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أن الله يقول للعلماء يوم القيامة: «إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي**»» قال ابن كثير: إسناده جيد[(١)].

٣-قال الله تعالى:﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧] فيها أوجه من التفسير كلها حق:

أ-يعلم السر وهو ما قاله العبد سراً، ويعلم ما هو أخفى من السر وهو ما توسوس به نفسه كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦].

ب-وقيل: يعلم السر، وهو ما توسوس به نفسه، وأخفى من السر، وهو ما علم الله أن الإنسان سيفعله قبل أن يعلم الإنسان أنه فاعله، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[المؤمنون: ٦٣]، فالله يعلم ما يسره الإنسان اليوم، وما يسره غداً، والعبد لا يعلم ما في غد، فأنت تعلم ما تسر اليوم، ولا تعلم ما تسر غداً، والله يعلم ما تسر اليوم، ويعلم ما تسر غداً[(٢)].

٤-قال الله تعالى:﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا..﴾ [طه:١٥].

أ-قيل: إن ابن عباس كان يقرأها «**أكاد أخفيها من نفسي**»، يقول: لأنها لا تخفى من نفس الله أبداً.

ب-وقيل: أكاد ، أي: لا أطلع عليها أحداً من خلقي[(٣)].

٥-قال الله تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤].

أ-قيل: أقم الصلاة من أجل أن تذكرني ، أي: لتذكرني بها، قاله: مجاهد.

ب-وقيل: إذا تركت صلاة، ثم ذكرتها، فأقمها[(٤)].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٠٠-٤٠١، وتفسير ابن كثير، ٣/١٣٨.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٠٣، وتفسير ابن كثير، ٣/١٣٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٤٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٤٠، وتفسير البغوي ٣/٢١٣.

٦-قال اللَّه تعالى:﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ [طه:٣٨].

أ-قيل: أوحى إليها، أي: ألهمها، وقذف في قلبها.

ب-وقيل: هي رؤيا منام.

جـ-وقيل: أوحى إليها ذلك بواسطة الملك، كلمها بذلك، ولا يلزم من الإيحاء في أمر خاص أن يكون الموحى إليه نبياً[1].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ..﴾ [طه:٣٩].

في الأمر هنا وجهان من التفسير:

أ-أن صيغة الأمر في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أمر معناه الخبر، وجاء هنا بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال، وأوجبها.

ب-وقيل: صيغة الأمر ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ أريد بها الأمر الكوني القدري، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، فالبحر لابد أن يلقيه بالساحل؛ لأن اللَّه أمره بذلك كوناً وقدراً، وقد تقدم ما يشبه هذين الوجهين في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾[مريم: ٧٥][2].

٨-قال اللَّه تعالى:﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠]، فيها للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضاً، وكلها حق، ولا مانع لشمول الآية لجميعها:

أ-قيل: أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة الإلهية، والهيئة، فالذكر من بني آدم أعطاهم نظيرهم من الإناث.

ب-وقيل: أعطى كل شيء صلاحه، ثم هداه إلى ما يصلحه.

جـ-وقيل: أعطى كل شيء صورته المناسبة له، فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة، ولا العكس، ثم هدى كل شيء إلى رزقه، وإلى زوجه.

د-وقيل: أعطى كل شيء صورته، وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الأبصار، والأذن، الشكل الذي يوافق

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٠٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٠٦.

الأسماع، وكذلك الأنف، والرجل ...

ولا مانع من شمول الآية لجميع هذه الأقوال، وهذا اختلاف تنوع لا يكذب بعضه بعضاً، وينبغي أن تحمل الآية على شمول ذلك كله[١].

٩-قال اللَّه تعالى:﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى﴾ [طه:٥٨].

أصح الأقوال في قوله: ﴿مَكَاناً سُوًى﴾ أي: مكاناً وسطاً، تستوي أطراف البلد فيه نصفاً وعدلاً؛ ليتمكن جميع الناس أن يحضروا[٢].

١٠- ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠].

أ- قيل: فتولى: أدبر منصرفاً من ذلك العام.

ب-وقيل: أعرض عن الحق الذي جاء به موسى.

١١-قال اللَّه تعالى:﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾[طه:٦٠] أي ما جمعه من السحر ليغلب به موس، وهذا هو جمعه السحرة من أطراف مملكته.

﴿ثُمَّ أَتَى﴾ أي: جاء بسحرته للميعاد؛ ليغلب نبي اللَّه موسى بسحره في زعمه[٣].

١٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا..﴾ [طه:٦٩].

المعنى على جميع القراءات أنها تبتلع كلما زوروه[٤].

أنواع السحر:

١- سحر الكلدانيين، والكسدائيين الذين يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة للعالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، وهم الذين بعث اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبطلاً لمقالتهم، وهذا السحر كفر بلا خلاف؛ لأنهم كانوا يتقربون للكواكب، كما يتقرب المسلمون إلى اللَّه.

٢- سحر أصحاب الأوهام، والنفوس القوية.

٣- سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية: تسخير الجن، واستخدامهم.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٤/٤١٧-٤١٩.
(٢) انظر: الأضواء ٤/٤٢٩.
(٣) انظر: الأضواء ٤/٤٣٣-٤٣٤.
(٤) انظر: الأضواء ٤/٤٣٩.

٤- **سحر التخيلات**، والأخذ بالعيون، ومبنى هذا النوع منه على القوة الباصرة، قد ترى الشيء خلاف ما هو عليه في الحقيقة؛ لبعض الأسباب العارضة.

٥- **سحر الأعمال** العجيبة.

٦- **سحر الاستعانة** بخواص الأدوية.

٧- **سحر تعليق** القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه، وينقادون له في أكثر الأحوال، فإذا اتفق أن السامع لهذا ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلّق قلبه بذلك، حصل في نوع من الرعب، وأن الجن يطيعونه، وينقادون له في أكثر الأحوال، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحاسة، فحينئذ يتمكن الساحر في أن يفعل ما يشاء.

٨- **السعي بالنميمة**[١].

١٣-قال اللَّه تعالى:﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾ [طه:٧١] فيه وجهان:

أ-يعني أنا، أم رب موسى: أشد عذاباً وأبقى فعلى هذا ففرعون يدعي أن عذابه أشد وأبقى من عذاب اللَّه وهذا كقوله: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[النازعات: ٢٤].

ب-وقيل: ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا**﴾ أي: أنا أم موسى أشد عذاباً، وأبقى، وعلى هذا فهو كالتهكم بموسى.

وقد اختلف العلماء: هل فعل فرعون ما توعدهم به من قطع الأيدي، والأرجل، والأظهر أن اللَّه عصمهم، والعلم عند اللَّه تعالى[٢].

١٤- قال اللَّه تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا..**﴾ [طه:٧٢].

في قوله: ﴿**وَالَّذِي فَطَرَنَا**﴾ وجهان:

أ-قيل: معطوف على البينات: والمعنى: لن نؤثرك، أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى، واليقين، ولا نختارك على الذي فطرنا، وخلقنا، وأنشأنا من العدم، فهو المستحق للعبادة وحده.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٤٤-٤٥١-٤٧١.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٧٤.

ب-وقيل: الواو: واو القسم، والمقسم عليه محذوف، دل عليه ما قبله: أي: والذي فطرنا، لا نؤثرك على ما جاءنا من البينات[١].

١٥-قال الله تعالى:﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ [طه:٧٣].

دلت هذه الآية على أن فرعون أكره السحرة على السحر، ودلت آيات أخرى أنهم فعلوا طائعين غير مكرهين، وللعلماء في ذلك أوجه معروفة، منها:

أ-قيل: إكراههم بالنسبة لأول مرة؛ فإنه أكرههم على الخروج من أماكنهم؛ ليعارضوا موسى، فلما أكرهوا على القدوم، وأمروا بالسحر، أتوه طائعين، فطوعهم بالنسبة لآخر مرة.

ب-وقيل: كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم، وذلك هو المراد بالإكراه على السحر، ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا من السحر بعد التعلم، والكبر طائعين.

جـ-وقيل: إنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر؛ لأن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه، وألزمهم بذلك، فلما لم يجدوا بداً من ذلك فعلوه طائعين، وأظهر الأقوال الأول، والعلم عند الله[٢].

١٦-قال الله تعالى:﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:٧٣].

أ-﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: فالله خير من فرعون لمن أطاعه، فثواب الله خير مما وعد به فرعون، وثوابه أدوم؛ لأن ما وعدهم به فرعون زائل، وثواب الله وملكه لا يزول.

ب-وقيل: ﴿وَأَبْقَى﴾: أي: أبقى عذاباً من عذابك، وأدوم منه يا فرعون، وعليه فهو رد لقول فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾[طه: ٧١][٣].

١٧-قال الله تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [طه:٨٠].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٤/٤٧٤-٤٧٥، وتفسير ابن كثير، ٣/١٥٤.
(٢) انظر :أضواء البيان، ٤/٤٧٦-٤٧٧ وتفسير ابن كثير، ٣/١٥٥.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٧٧-٤٧٨ وتفسير ابن كثير، ٣/١٥٥.

أ-أكثر العلماء أن المن هو الترنجين، وهو شيء ينزل من السماء، ثم يتجمد، وهو يشبه العسل الأبيض، والسلوى طائر يشبه السماني، وقيل: هو السماني، وهذا قول الجمهور.

ب-وقيل: السلوى: العسل.

والأظهر في المن أنه اسم جامع لما يمن اللَّه به على عبده من غير كد، ولا تعب، فيدخل فيه الترنجين الذي من اللَّه به على بني إسرائيل في التيه، ويشمل غير ذلك مما يماثله.

والأظهر في السلوى أنه طائر، سواء قلنا إنه السماني، أو طائر يشبهه؛ لإطباق جمهور العلماء من السلف والخلف على ذلك، مع [أن] السلوى يطلق لغة على العسل(١).

١٨-قال اللَّه تعالى:﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه:٨٥].

والفتنة أطلقت في القرآن إطلاقات متعددة، منها:

أ-الوضع في النار، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات:١٣]، أي: يحرقون وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[البروج:١٠]، أي: أحرقوهم بنار الأخدود.

ب-الاختبار: وهو الأغلب في استعمال الفتنة في القرآن، كقوله: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[التغابن:١٥].

ج-نتيجة الاختبار إذا كانت سيئة، ومن هنا أطلقت الفتنة على الشرك، كقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة:١٩٣]، وقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾[طه:٨٥].

د-الحجة كقوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أي ثم لم تكن حجتهم(٢).

١٩-قال اللَّه تعالى:﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾ [طه:٨٨].

في حياة العجل قولان:

أ-قيل: جعل اللَّه ذلك الحلي المصوغ جسداً من لحم ودم، وهذا هو ظاهر الآية.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٤/٤٨٥-٤٨٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٩٠-٤٩١.

ب-وقيل: لم تكن تلك الصورة لحماً ودماً، ولكن إذا دخلت فيها الريح صوتت كخوار العجل، والأول أقرب لظاهر الآية، والله قادر على أن يجعل الجماد لحماً ودماً، كما جعل آدم لحماً ودماً، وكان طيناً(١).

٢٠-قال الله تعالى:﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾ [طه:٨٦].

أ-قيل: الأسف شدة الغضب ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]، أي: أغضبونا.

ب-وقيل: الأسف هنا: الحزن والجزع: أي رجع موسى في حال كونه غضبان حزيناً جزعاً لكفر قومه بعبادتهم العجل.

٢١- قال الله تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ [طه:٨٦-٨٧].

أظهر الأقوال في الوعد الحسن أنه وعدهم أن ينزل عليهم كتاباً فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا والآخرة(٢).

والمعنى: أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة(٣).

٢٢-قال الله تعالى:﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ..﴾ [طه:٨٧] .

في الأوزار قولان:

أ-﴿أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ معناها: الأثقال من حلي القبط الذي استعاروه منهم.

ب-وقيل: الأوزار هنا: الآثام؛ لأن بني إسرائيل كانوا مع القبط في حكم المستأمنين في دار الحرب، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي؛ ولأن الغنائم لم تكن تحل لهم، وهذا أقوى(٤).

٢٣-قال الله تعالى:﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه:٨٨].

في نسي هنا وجهان:

أ-قيل: نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في مكان آخر، قاله ابن عباس في حديث الفتون، وجاء عن مجاهد.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٩١.
(٢) أضواء البيان، ٤/٤٩٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/١٥٧.
(٤) الأضواء ٤/٤٩٦.

ب-وقيل: نسي السامري ما كان عليه من الإسلام، وصار كافراً بادعاء ألوهية العجل، وعبادته[١].

٢٤-قال اللَّه تعالى:﴿يَبْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ [طه:٩٤] .

هذه الآية مع قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾[الأنعام: ٨٤]، ثم إنه تعالى بعد عد الأنبياء قال ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا بالاقتداء بهم، وأمره ﷺ أمر لنا؛ لأن الأمر للقدوة أمر لأتباعه، وهذا يدل على لزوم إعفاء اللحية، ودليل قرآني على إعفاء اللحية، وعدم حلقها[٢].

٢٥-قال اللَّه تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه:١٠٥].

الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة منها:

أ-ينزعها من أماكنها ويحملها ويدكها ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة: ١٣- ١٤].

ب-يسيرها في الهواء بين السماء والأرض ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٨٨].

جـ-يفتها ويدقها ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً﴾[الواقعة: ٥]، أي: فتت حتى صارت كالبسيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن، أو نحوه على القول بذلك ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة: ١٤].

د-يصيرها كالرمل المتهايل، وكالعهن المنفوش، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾[الزمل: ١٤]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[المعارج: ٨- ٩]، وفي المعارج، والقارعة.

هـ-تصير كالهباء المنبث ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[الواقعة: ٥- ٦].

و-تصير سراباً ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[النبأ: ٢٠].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٤٩٧.
(٢) انظر :أضواء البيان، ٤/٥٠٦-٥٠٧.

ز-ينسفها نسفاً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾[طه: ١٠٥] [(١)].

٢٦-قال الله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ [طه:١٠٨].

أ-﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يحيدون عن الداعي للحضور للحساب ـ وهو الملك إسرافيل ـ ولا يميلون يميناً، ولا شمالاً.

ب-وقيل: ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾: أي: لا عوج لدعاء الملك عن أحد، أي: لا يعدل بدعائه عن أحد، بل يدعوهم جميعاً[(٢)].

٢٧-قال الله تعالى:﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ [طه:١١١].

أ-قيل: المراد بالوجوه في هذه الآية التي ذلت، وخشعت للحي القيوم وجوه العصاة خاصة، وذلك يوم القيامة، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الملك: ٢٧]، وقوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[الغاشية: ٢]، وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٤].

ب-وقيل: المراد: ذلت، وخضعت وجوه المؤمنين لله في دار الدنيا، وذلك بالسجود، والركوع.

جـ-وظاهر القرآن يدل على أن المراد الذل، والخضوع لله يوم القيامة؛ لأن السياق في يوم القيامة، وكل الخلائق تظهر عليهم ذلك اليوم علامات الذل، والخضوع لله جل وعلا، وهذا الوجه الذي اقتصر عليه كثير من المفسرين، كابن كثير، والسعدي، والبغوي، وغيرهم[(٣)].

٢٨-قال الله تعالى :﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه:١١٥].

للعلماء في قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ وجهان:

أ-قيل: المراد بالنسيان: الترك، فلا ينافي الترك عمداً، والعرب تطلق

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٥١٢-٥١٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٥١٥-٥١٦.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٤/٥١٧.

النسيان، وتريد به الترك، كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[طه: ١٢٦]، فالمراد في هذه الآية الترك عمداً، وهو ترك الوفاء بالعهد، ومخالفة أمر الله بالأكل من الشجرة.

ب-وقيل: المراد بالنسيان: النسيان الذي هو ضد الذكر.

وآدم لم يكن معذوراً بالنسيان؛ لأن العذر بالنسيان، والخطأ، والإكراه من خصائص هذه الأمة، ومما يدل على ذلك قوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، لما قرأ النبي ﷺ هذه الآية قال الله: قد فعلت، فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتنان ... «**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(١)].

وفي معنى ذلك حديث من دخل النار في ذباب، وهو مكره، فدل على أن الأمم قبل أمة محمد ﷺ لا يعذرون بالنسيان، ولا بالإكراه.

٢٩-قال الله تعالى:﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧].

قوله: ﴿فَتَشْقَى﴾ أي: تتعب في طلب المعيشة بالكد، والاكتساب؛ لأن الرزق لا يحصل في الدنيا بعد الخروج من الجنة حتى يحرث الأرض، ثم يزرعها، ثم يقوم على الزرع حتى يدرك، ثم يحصده، ثم يدوسه، ثم ينقيه، ثم يطحنه، ثم يعجنه، ثم يخبزه، فهذا شقاؤه المذكور[(٢)].

٣٠-قال الله تعالى:﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١١٧].

اختلف العلماء في عصمة الأنبياء، انظر كلاماً نفيساً في ذلك[(٣)].

٣١- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

اختلف العلماء في المراد بهذه العيشة الضنك على أقوال متقاربة:

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٥٢٠-٥٢٣. والحديث أخرجه البخاري، برقم ٥٢٦٩، ومسلم، برقم ١٢٧.
(٢) انظر: الأضواء ٤/٥٢٤، وتفسير ابن كثير، ٣/١٦٣.
(٣) أضواء البيان، ٤/٥٣٥-٥٣٨.

أ-قيل: جعل الله مع الدين القناعة، والتوكل على الله، والرضا بقسمته، فصاحبه ينفق مما رزقه الله بسماح، وسهولة، فيعيش عيشاً هنيئاً ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[النحل: ٩٧]، وغير ذلك، وأما المعرض عن الدين، فإنه يعيش عيشة ضنكاً؛ لأنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مع الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشته ضنك، وحاله مظلمة.

ب-وقيل: عيشة الضنك هي طعام الضريع، والزقوم يوم القيامة.

ج-وقيل: عيشة الضنك: الكسب الحرام، والعمل السيئ.

د-وقيل: العيشة الضنك: عذاب القبر، وضغطته.

وجاء في الحديث بإسناد جيد: أن المعيشة الضنك هي عذاب القبر.

هـ-المعيشة الضنك: تشمل ما تقدم كله: المعيشة الضنك في الدنيا، وطعام الضريع، والزقوم، وعذاب القبر، فتكون معيشته ضنكاً في الدنيا، والبرزخ، والآخرة والعياذ بالله[(١)].

٣٢-قال الله تعالى:﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤].

والصواب أنه يحشر أعمى البصر، لكن هناك في آية الإسراء دليل على أنه يحشر يوم القيامة أعمى، وأصم، وأبكم مع أن هناك آيات تدل على أن الكفار يوم القيامة يبصرون، ويسمعون، ويتكلمون كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[مريم: ٣٨]، وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾[الكهف: ٥٣]، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾[السجدة: ١٢] إلى غير ذلك من الآيات والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أ-أن العمى، والبكم، والصمم حقيقة، ويكون ذلك في مبدأ الأمر، ثم يرد الله عليهم سمعهم، ونطقهم، وأبصارهم، فيرون النار، ويسمعون زفيرها، وينطقون بما حكى الله عنهم.

ب-وقيل: إنهم لا يرون شيئاً يسرهم، ولا يسمعون شيئاً يسرهم، ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا، لا يسمعون ما يسرهم، ولا ينظرون

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥٥٦/٤-٥٤٨، وتفسير ابن كثير،

إلى ما يسرهم من الآيات، ولا ينطقون بالحق.

ج- وقيل: إن الله تعالى إذا قال لهم: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨]، وقع بهم ذلك العمى، والصمم، والبكم من شدة الكرب، واليأس من الفرج، واستظهر القول الأول الشنقيطي[(١)].

٣٣- قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

٣٤- في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾[طه: ١٣٠] إلى آخر الآية أقوال:

أ- قيل: المراد الصلوات الخمس:

١- قبل طلوع الشمس: إشارة إلى صلاة الفجر، وقبل غروبها: إشارة لصلاة العصر، ومن آناء الليل العشاء، أي: صلاة العشاء، وأطراف النهار: المغرب، والظهر؛ لأن الظهر في الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين من النهار، والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب.

٢- وقيل: قبل طلوع الشمس: الصبح، وقبل غروبها صلاة العصر، ومن آناء الليل: أي: ساعاته: يعني المغرب، والعشاء، قال ابن عباس: يريد أول الليل، وأطراف النهار يعني صلاة الظهر، وسمي وقت الظهر أطراف النهار؛ لأنه وقته عند الزوال، وهو النصف الأول انتهاءً، وهو طرف النصف الثاني ابتداءً، وقيل: وقبل غروبها: الظهر، والعصر؛ لأن الظهر والعصر قبل المغرب.

ب- وقيل: المراد التسبيح في هذه الأوقات، أي: قول القائل سبحان الله في هذه الأوقات الفاضلة: قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وفي أطراف النهار: أوله وآخره، وهذا عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته[(١)].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤/٥٤٩-٥٥٠.

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٢٣٦، وتفسير ابن كثير، ٣/١٦٦، ومختصر الطبري، ص٣٥٩، وزبدة التفسير من فتح القدير، ص٤١٩، وتفسير الجلالين ص٤١٩.

أما قوله في سورة هود: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ﴾[هود: ١١٤]، فـ«طرفي النهار» أوله وآخره، ويدخل فيه الفجر، والظهر، والعصر، وزلفاً من الليل: المغرب، والعشاء، ويدخل قيام الليل، وفي سورة هود: طرفا النهار: قيل: الصبح، والظهر، والعصر، وزلفاً من الليل: صلاة المغرب، والعشاء، وقيل: صلاة الفجر، والظهر طرف، وصلاة العصر والمغرب طرف، وزلفاً من الليل يعني صلاة العشاء[١].



(١) انظر: تفسير السعدي، ٣/٤٦٦، وتفسير البغوي، ٢/٤٠٤، وتفسير الجلالين، ص٣٠١.

٢١ -سورة الأنبياء

١-قال اللَّه تعالى:﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١].

في قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قولان:

أ-أن هذه الأمة آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم؛ لقوله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها.

ب-وقيل: إن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل، معرض لا يدري متى يفجؤه الموت: صباحاً، أو مساءً، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده، اللهم اجعلنا من أدركته عنايتك يا رب[١].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:٧].

أ-قيل: فاسألوا أهل التوراة، والإنجيل، يرد على أهل الكتاب؛ فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً، وعليه أكثر المفسرين.

ب-وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن: فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، إن كنتم لا تعلمون.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: وهذه الآية، وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم؛ فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين: أصوله، وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم، وسؤال أهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم، والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر، نهي عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهي له أن يتعدى لذلك[٢].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٥/٢٠٨.

(٢) تفسير السعدي ٥/٢١٣-٢١٤.

أ-قيل: معنى فيه ذكركم: أي شرفكم كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف: ٤٤]، وهو شرف لمن آمن به وعمل قاله: ابن عباس.

ب-وقيل: فيه حديثكم، قاله: مجاهد.

ج-وقيل: فيه دينكم: أي: فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، قاله الحسن[1].

٤-قال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩]

الضمير في قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ فيه **وجهان:**

أ-قيل: عائد إلى إبليس لأنه لم يقل ذلك غيره.

ب-وقيل: هو عائد إلى الملائكة المذكورين في قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[الأنبياء: ٢٦]، والمعنى: أنهم مع كرامتهم على الله، لو ادّعى أحد منهم على سبيل الفرض، والتقدير، أن له الحق في صرف شيء من حقوق الله الخاصة به إليه، لكان مشركاً، وكان جزاؤه جهنم، وهذا القول الذي لم يذكر ابن كثير، والسعدي، والشوكاني، والشنقيطي غيره[2].

٥-قال الله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠].

الرتق: السد، ومنه: الرتقاء، وهي التي انسد فرجها.

واعلم أن العلماء اختلفوا في المراد بالرتق، والفتق في هذه الآية على خمسة أقوال، بعضها في غاية السقوط:

الأول: أن معنى ﴿كَانَتَا رَتْقاً﴾ أي: كانت السموات والأرض متلاصقة، بعضها مع بعض، ففتقها الله، وفصل بين السموات والأرض، فرفع السماء إلى مكانها، وأقر الأرض في مكانها، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما كما ترى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٧٠، وتفسير البغوي ٣/٢٤١، وتفسير السعدي ٥/٢١٤.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/١٧٢، وتفسير السعدي ٥/٢٢٤، وزبدة التفسير ص٤٢٣، وأضواء البيان، ٤/٥٦١، وتفسير البغوي ٣/٢٤٢.

الثاني: أن السموات السبع كانت رتقاً: أي: متلاصقة بعضها ببعض، ففتقها الله، وجعلها سبع سموات: كل اثنتين منهما بينهما فصل، والأرضون كذلك كانت رتقاً، ففتقها، وجعلها سبعاً بعضها منفصل عن بعض.

القول الثالث: أن السماء كانت لا ينزل منها مطر، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات.

القول الرابع: أنها ﴿كَانَتَا رَتْقاً﴾ أي: في ظلمة لا يرى من شدتها شيء، ففتقهما الله بالنور، وهذا القول في الحقيقة يرجع إلى القول الأول، والثاني.

القول الخامس: وهو أبعد الأقوال؛ لظهور سقوطه أن الرتق يراد به العدم، والفتق يراد به الإيجاد.

ومن المحققين من رجح القول الأول، ومنهم من رجح القول الثالث، والعلم عند الله[(١)].

٦-قال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

أ-قيل: الماء الذي خلق منه كل شيء هو النطفة؛ لأن الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطف، وعلى هذا فهو من العام المخصوص، فإن الملائكة، وآدم، وعيسى، والجان تخرج من ذلك.

ب-وقيل: هو الماء المعروف؛ لأن الحيوانات: إما مخلوقة منه مباشرة، كبعض الحيوانات التي تخلق من الماء، وإما غير مباشرة؛ لأن النطف من الأغذية، والأغذية كلها ناشئة عن الماء، وذلك في الحبوب، والثمار، ونحوها، وكذلك اللحوم، والألبان، والأسماك؛ لأنه كله ناشئ عن الماء.

ج-وقيل: كأنما خلقه من الماء لفرط احتياجه إليه، وقلة صبره عنه.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: أصل كل الأحياء.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء

---

(١) انظر هذه الأقوال: أضواء البيان، ٤/٥٦٣، وتفسير ابن كثير، ٣/١٧٢، وتفسير البغوي، ٣/٢٤٢، وتفسير السعدي، ٥/٢٢٥.

حي، أي: من الحيوان، ويدخل فيه النبات، والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير: يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء، أو بقاؤه بالماء[(١)].

٧-قال الله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥].

أ-قيل: كان المشركون ينكرون نبوته ﷺ، ويقولون: هو شاعر نتربص به ريب المنون؛ لعله يموت كما مات شاعر بني فلان، فأنزل الله هذه الآية.

ب-وقيل: لما نعى جبريل إلى النبي ﷺ نفسه، قال «**فمن لأمتي**» فنزلت الآية، والقول الأول أظهر؛ لأن السورة مكية.

ويفهم من الآية أنه لا ينبغي لأحد من الناس أن يفرح بموت أحد لأجل أمر دنيوي يناله بسبب موته؛ لأنه هو ليس مخلداً بعده؛ ولهذا قال القائل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا[(٢)]

٨- ﴿وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣].

أ-قيل: يصحبون: أي: يُمنعون، قاله: ابن عباس.

ب-وقيل: يجارون. قاله عطية عن ابن عباس.

ج-**ينصرون**، ويحفظون، قاله مجاهد.

د-وقيل: لا يصحبون من الله بخير، قاله قتادة.

والأقوال كلها راجعة إلى يجارون، والعلم عند الله[(٣)].

٩-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:٤٨].

أ-قيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة، وصفة أخرى للتوراة، وهي الضياء: فالتوراة، هي الفرقان، وهي ضياء.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٥٦٣/٤-٥٦٤، وتفسير ابن كثير، ١٧٣/٣، وتفسير البغوي، ٢٤٣/٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٥٦٧/٤-٥٦٩.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٥٨١/٤، وتفسير البغوي، ٢٤٥/٣، وتفسير ابن كثير، ١٧٥/٣.

ب-وقيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: النصر على الأعداء، وضياءً، وهو التوراة، آي: آتينا موسى النصر والضياء[1].

١٠-قال الله تعالى:﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩].

ذكر جمهور المفسرين أن داود وسليمان تحاكم إليهما صاحب حرث [قيل: زرع، وقيل: عنب] نفشت فيه غنم القوم، أي: رعته ليلاً، فحكم بينهم داود بالغنم لصاحب الزرع بدلاً، وعوضاً عما أفسدته من الزرع، أو العنب، وحكم سليمان أن أصحاب الغنم يدفعونها إلى صاحب الحرث ينتفع بمنافعها، ويدفع صاحب الحرث حرثه إلى أصحاب الغنم يبذرونها بمثل البذر الذي أفسدت الغنم، فإذا عاد الحرث كعادته الأولى، أخذ كل ماله: أصحاب الغنم غنمهم، وصاحب الحرث حرثه.

وفي الآية للعلماء قولان:

أ-أن حكم داود وسليمان كان بوحي من الله تعالى، إلا أن ما أوحى إلى سليمان كان ناسخاً لما أوحى إلى داود.

ب-وقيل: كان حكمهما باجتهاد منهما، فأصاب سليمان، فاستحق الثناء باجتهاده، وإصابته ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، ولم يصب داود، ولم يستوجب لوماً ولا ذماً.

وقد جاءت السنة بوقوع اجتهاد مثل هذا لداود، وسليمان، وهو أن امرأتين أكل الذئب ابناً لإحداهما، فاختلفتا، فقالت الكبرى إنما ذهب بابنك، وقالت الصغرى: بل ابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا إلى سليمان، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى[1].

أما في شريعة نبينا محمد ﷺ، فإن أصحاب المواشي عليهم حفظها

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٢٤٧، والسعدي، ٥/٢٣٦ واقتصر على القول الأول.

(١) رواه البخاري، برقم ٣٤٢٧، ومسلم، برقم ١٧٢٠، انظر: أضواء البيان، ٤/٥٩٦-٦٧٢، وتفسير ابن كثير، ٣/١٨١، وتفسير البغوي، ٣/٢٥٣، وتفسير السعدي، ٥/٢٤٩.

بالليل، وعلى أصحاب الحرث حفظه بالنهار.

١١-قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤].

أ-قيل: تركهم الله ﷻ له، وأعطاه مثلهم في الدنيا، وقد كان أماتهم فأحياهم في أقل من لمح البصر، وعليه أكثر المفسرين، كما قال البغوي.

ب-وقيل: ولد له ضعف الذين أماتهم الله[1].

١٢- ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيه وجهان من التفسير:

أ-أي: ظن أن لن نضيق عليه في بطن الحوت، ومن إطلاق ذلك في القرآن ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[الرعد: ٢٦]، أي: ويضيق الرزق على من يشاء ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾[الطلاق: ٧]، أي: ومن ضيق عليه رزقه.

ب-وقيل: ﴿لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لن نقضي عليه ذلك، وعليه فهو من القدر والقضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: ١٢]، أي: قد قدره الله.

أما قول من قال ﴿لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ من القدرة فهو قول باطل بلا شك[2].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

أ-أظهر الأقوال أن الزبور في هذه الآية الكتاب المزبور، والمراد الكتب المنزلة، فيشمل: التوراة، والإنجيل، وزبور داود، وأن المراد بالذكر في هذه الآية اللوح المحفوظ: أم الكتاب.

وعليه فالمعنى: ولقد كتبنا في الكتب المنزلة على الأنبياء أن الأرض يرثها عبادي الصالحون بعد أن كتبنا ذلك في أم الكتاب [اللوح المحفوظ].

ب-وقيل: الزبور هنا: زبور داود ،والذكر هو التوراة، وقيل غير ذلك،

---

(١) انظر: زبدة التفسير، ص٤٢٩، وتفسير البغوي، ٣/١٦٤، وتفسير ابن كثير، ٣/١٨٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/٦٨٣.

والأرجح الأول(١).

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

فيه وجهان:

أ-أن أرض الجنة يورثها اللَّه يوم القيامة عباده الصالحين، ويدل عليه ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[يوسف: ٥٦].

ب-وقيل: أرض العدو يورثها اللَّه المؤمنين في الدنيا ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..﴾[الأحزاب: ٢٧]، ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾[الأعراف: ١٣٧]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾[النور: ٥٥](٢).



(١) انظر: أضواء البيان، ٦٩٣/٤، وتفسير ابن كثير، ١٩٥/٣، وتفسير السعدي ٢٦٦/٥، وتفسير البغوي ٢٧١/٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٦٩٤/٤، وتفسير السعدي ٢٦٧/٥.

٢٢ -سورة الحج

١- قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا...﴾ [الحج:١].

اختلف العلماء في وقت الزلزلة:

أ-قيل: هذه الزلزلة كانت في آخر عمر الدنيا، وهذا ضعيف.

ب-وقيل: هذه الزلزلة بعد البعث من القبور، وهذا ثابت بتصريح النبي ﷺ في قوله: «يقول الله ﷻ يوم القيام يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار ... » وفي آخر الحديث: «فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد».

فإن قيل: لا تحمل الأنثى يوم القيامة بعد الخروج من القبور، ولا ترضع، فالجواب عن ذلك من وجهين:

أ-أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً، فتضع حملها من شدة الهول، ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

ب-أن ذلك كناية عن شدة الهول، كقوله تعالى: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾[المزمل: ١٧]، ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة[(١)].

٢- ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ..﴾ في معنى ذلك أوجه عند العلماء منها:

أ-صفة للنطفة، فالمخلقة ما كان خلقاً سوياً، وغير مخلقة: ما دفعته الأرحام من النطف، وألقته قبل أن يكون خلقاً.

ب-مخلقة تامة، وغير مخلقة غير تامة، فمنها ما يكون كامل الخلقة، سالماً من العيوب، ومنها ما يكون على عكس ذلك.

ج-مصورة إنساً، وغير مصورة إنساً كالسقط الذي هو مضغة ولم يجعل له تخطيط وتشكيل ورجح الشنقيطي القول الثاني [(٢)].

٣- ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/١١-١٤، وتفسير ابن كثير، ٣/١٩٧-٢٠٠، وتفسير البغوي، ٣/٢٧٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٢١-٢٣.

﴿إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

في هذه الآية الكريمة **أوجه من التفسير**:

أ-أن معنى ذلك: من كان يظن أن لن ينصر اللَّه نبيه محمداً ﷺ، فليمدد بحبل إلى سماء بيته، والمراد به السقف؛ لأن العرب تسمي كل ما علاك سماء، والمعنى: فليعقد رأس الحبل في السقف، ثم ﴿لِيَقْطَعْ﴾، أي: ليختنق بالحبل، فيشده في عنقه، وتدلى مع الحبل المعلق حتى يموت، وإنما أطلق القطع على الاختناق؛ لأن الاختناق يقطع النفس بسبب حبس مجاريه، فلينظر إذا اختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾، أي: هل يذهب فعله ذلك، وهو خنقه نفسه حتى يموت، ما يغيظه من نصر اللَّه لمحمد ﷺ في الدنيا والآخرة، والمعنى: لا يذهب ذلك ما يغيظ، وهذا القول هو أظهر الأقوال، كما قال ابن كثير، والشنقيطي، وجمهور المفسرين.

ب-القول الثاني: إن المعنى: من كان يظن أن لن ينصر اللَّه نبيه محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى السماء، ويتوصل إليها؛ فإن النصر إنما يأتي محمداً ﷺ من السماء، ثم ليقطع الوحي من السماء، فيمنع النصر عن محمد ﷺ.

جـ-وهناك قول ثالث ساقط، وهو أن الضمير في: ﴿لَن يَنصُرَهُ﴾ عائد إلى من في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ﴾، وأن النصر هنا بمعنى الرزق، فالمعنى: من كان يظن أن لن يرزقه اللَّه، فليختنق، وليقتل نفسه، وهذا القول ظاهر السقوط[١].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧].

ذكر المفسرون أن اللَّه لما أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، قال: يا رب، كيف أبلغ الناس، وصوتي لا ينفذهم، فقال: نادي، وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا،، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام،

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٤٩-٥١، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٠٤، وتفسير البغوي، ٣/٢٧٩، وتفسير السعدي، ٥/٢٨١.

والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر، ومدر، وشجر، ومن كتب اللَّه أنه يحج إلى يوم القيامة، ولبيك اللهم لبيك، هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف، والله أعلم[١].

٥-قال اللَّه تعالى:﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨].

قد جاء بيان بعض المنافع في بعض الآيات، وأن منها منافع دنيوية، وأخروية. **فالدنيوي**: كأرباح التجارة، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾[البقرة:١٩٨]، ومنها ما يصيبونه من البدن، والذبائح، **ومن الأخروية**: غفران ذنوب الحاج[٢].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:٢٩].

الأمر المنذور له في الجملة حالتان:

أ-أن يكون فيه طاعة لله.

ب-ألا يكون فهي طاعة لله، وهذا منقسم إلى قسمين:

١-ما هو معصية لله.

٢-ما ليس فيه معصية في ذاته، ولكنه من جنس الطاعة كالمباح، فالمنذور إن كان طاعة، وجب الوفاء به.

فروع تتعلق بالنذر:

١-**لا نذر** لشخص في شيء لا يملكه. «**لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**» وعليه كفارة يمين «**لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين**»[٣].

٢-**لا يلزم** الوفاء في النذر في الطاعة، لا يقدر عليه لعجزه عنه، وتلزمه كفارة يمين على الصحيح.

٣-**النذر لا** ينبغي، وهو منهي عنه: «**لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل**».

٤-**من نذر** أن ينحر لله بمكان تقرباً لله، فلا بأس بذلك، ما لم يكن فيه وثن يعبد.

---

(١) أضواء البيان، ٥/٦٦.

(٢) أضواء البيان، ٥/٤٨٩-٤٩٣.

(٣) رواه الخمسة: مسلم، برقم ١٦٤١، أبو داود، برقم ٣٣١٣، وابن ماجه، برقم ٢١٢٤، والنسائي في الكبرى، برقم ٤٧٣٥ .

٥-من مات وعليه نذر، قضى عنه وليه.

٦-الأظهر أن من نذر جميع ماله؛ ليصرف في سبيل اللَّه أنه يكفيه الثلث.

٧-من نذر أن يصلي في مسجد غير المساجد الثلاثة بالسفر، لا يلزمه ذلك، ويصلي في مكانه[1].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

المراد بالعتيق فيه ثلاثة أقوال:

أ-القديم؛ لأنه أقدم مواضع التعبد.

ب-أن اللَّه أعتقه من الجبابرة.

ج-أن المراد بالعتق فيه الكرم.

والصواب أن معنى ذلك القديم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ٩٦][2].

٨-قال اللَّه تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ [الحج:٣٨].

قد أشار اللَّه إلى مثل هذا المعنى في غير هذا الموضوع كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٣]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر: ٣٦]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[غافر: ٥١]، ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]، ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات: ١٧٣][3].

٩-قال اللَّه تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

هذه الآية أول آية نزلت في الجهاد، وليس فيها من أحكام الجهاد إلا مجرد الإذن لهم.

وقد قالت جماعة من أهل العلم: إن اللَّه إذا أراد أن يشرع أمراً شاقاً على النفوس، كان على سبيل التدريج، ومن ذلك:

١-الجهاد:

أ-فأذن فيه من غير إيجاب.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٥/٦٥٩-٦٨٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٦٨٦-٦٨٧.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٥/٦٩٧.

ب-ثم لما استأنست به نفوسهم، أوجب عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾[البقرة: ١٩٠].

جـ-ثم لما استأنست نفوسهم، أوجب عليهم إيجاباً عاماً ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[التوبة: ٥].

ونظير ذلك: الخمر، والصيام[(١)].

١٠-قال الله تعالى:﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: بالجهاد، وإقامة الحدود، وبما يقدره الله من الأسباب.

﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾: قيل المعابد الصغار للرهبان، وقيل صوامع الصابئين، أي: المجوس.

﴿وَبِيَعٌ﴾: وهي أوسع من الصوامع، وأكثر عابدين، وهي كنائس النصارى، وقيل كنائس اليهود.

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ قيل: كنائس اليهود، ويسمونها باللغة العبرية صلواتاً، وقيل: كنائس النصارى، وقيل: معابد الصابئين، وقيل: مساجد لأهل الكتاب، ولأهل الإسلام بالطرق[(٢)].

١١-قال الله تعالى﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥].

﴿فَكَأَيِّنْ﴾: أي: كم من قرية أهلكناها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: وأهلها ظالمون.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة.

﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أي: على سقوفها.

﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: أي: وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها.

---

(١) انظر التفصيل في أضواء البيان، ٥/٧٠١.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٢٩٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٢١٩.

﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: قيل: مجصص، وقيل: رفيع طويل، من قولهم: شاد بناءَه إذا رفعه، وقيل: المنيع، الحصين، وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه، ولا ارتفاعه، ولا إحكامه، ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم.

والمعنى: أن السقوف سقطت عليها حيطانها على أظهر التفسيرات، والقصر المشيد: المطلي بالشيد، بكسر الشين، وهو: الجص، أو الرفيع الحصين، كما تقدم، وكم من قرية أهلكناها، وكم من بئر معطلة عطلناها بإهلاك أهلها، وكم من قصر مشيد، أخليناه من ساكنيه، وأهلكناهم لما كفروا وكذبوا الرسل[(١)].

١٢-قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

وقال تعالى في سورة السجدة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة: ٥].

وقال في سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤].

فآية الحج، وآية السجدة متوافقتان، تصدق كل واحدة منهما الأخرى، وتماثلها في المعنى، وآية المعارج تخالف ظاهرها لزيادتها عليهما بخمسين ضعف، ووجه الجمع باختصار كالتالي:

أ-عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في معنى كلامه: يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ويوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر، وعروجه إلى الله تعالى، ويوم الخمسين ألف هو يوم القيامة.

ب-وقيل: المراد بالجميع يوم القيامة، وأن اختلاف زمن اليوم، إنما هو باعتبار حال المؤمن، وحال الكافر؛ لأن يوم القيامة أخف على المؤمن منه على الكافر[(٢)].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج:٥١].

في ذلك أوجه:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٢٠، وتفسير البغوي ٣/٢٩٠، وأضواء البيان، ٥/٧٠٨.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٧١٩.

أ-قيل معاجزين: أي: يعاجزون الأنبياء وأتباعهم، فيحاول كل واحد منهما إعجاز الآخر، فالأنبياء، وأتباعهم يحاولون إعجاز الكفار، وإخضاعهم للحق، والكفار يقاتلون الأنبياء، وأتباعهم، ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله.

ب-وقيل: معاجزين: أي: ظانين أنهم يعجزون ربهم، فلا يقدر عليهم أنه لا يقدر على بعضهم بعد الموت، والوجه الأول أظهر.

ج-وقيل: معاندين، مشاقين، ويثبطون الناس عن اتباع النبي ﷺ[1].

١٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢].

فيه وجهان:

أ-المعنى: قرأ، أو تلا، وهو قول أكثر أهل التفسير.

ب-وقيل: وهو تمنيه إسلام أمته، وطاعتهم لله ورسوله[2].

١٥-قال الله تعالى: ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥].

﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾:

أ-قيل: عذاب يوم عقيم: هو يوم بدر، كما قاله الأكثرون، وسمي عقيماً؛ لأنه لم يكن في ذلك اليوم خير للكفار.

ب-وقيل: عذاب يوم لا ليلة له، وهو يوم القيامة، ذكر ذلك عن أبي بن كعب، والضحاك، وعكرمة، والحسن، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن هذا هو المراد[3].

١٦-قال الله تعالى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ..﴾ [الحج:٦١].

أ-أكثر المفسرين على أن الإشارة بذلك في هذه الآية راجعة إلى نصرة من ظلم من

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٢٤-٧٢٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٢٢، وتفسير البغوي، ٣/٢٩٢.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٢٦.
(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٩٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٢٤.

عباده المؤمنين المذكورة قبله في قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ..﴾[الحج: ٦٠].

ب-وقيل: الإشارة إلى ما هو أعم، فهي راجعة مما تقدم ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[الحج: ٥٦] إلى ما ذكره من نصرة المظلوم[١].

وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل له معنيان:

أ-إدخال جزء منه فيه، وبذلك يطول النهار في الصيف؛ لأنه أولج فيه شيء من الليل، ويطول الليل في الشتاء؛ لأنه أولج فيه شيء من النهار، وهذا من أدلة قدرة الله الكاملة، وهذا القول عليه أكثر المفسرين.

ب-الإيلاج لهذا في هذا هو تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس، وضياء ذلك في مكان ظلمة، هذا كما يضيء البيت المغلق بالسراج، ويظلم بفقده، والقول الأول أظهر[٢].

١٧-قال الله تعالى:﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧] والمعنى:

أ-قيل: لكل قرن من القرون وضعنا شريعة، فلا تتخطى كل أمة شريعتها الخاصة بها، فكانت التوراة منسك بني إسرائيل الأمة من مبعث موسى إلى مبعث عيسى، والإنجيل منسك الأمة من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ، والقرآن منسك كل مسلم إلى يوم القيامة.

ب-وقيل: موضع أداء الطاعة أي متعبد يتعبدون فيه.

جـ-وقيل: هو الذبائح.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: الأظهر في معنى قوله: ﴿مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: متعبداً يتعبدون فيه؛ لأن أصل النسك التعبد، ولم يذكر غيره ابن كثير[٣].

١٨-قال الله تعالى:﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣] في معنى هذه الآية أوجه:

أ-ضعف الطالب والمطلوب: الطالب الصنم، والمطلوب الذباب، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقال ابن كثير: وهو ظاهر السياق.

ب-وقيل: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب،

---

(١) انظر: أضواء البيان ٥/٧٣٨-٧٣٩.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٣٩-٧٤٠.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٤٥، وزبدة التفسير ص٤٤٢، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٢٧.

والمطلوب الصنم، يطلب الذباب منه السلب، وهذا عكس القول الأول.

جـ-وقيل: الطالب: العابد، والمطلوب المعبود[1].

١٩-قال الله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج:٧٨].

ما تضمنته هذه الآية وغيرها من رفع الحرج، والضيق، والشدة هو إحدى القواعد الخمس التي بني عليها الفقه، وهي:

١-**الضرر يزال** «**لا ضرر ولا ضرار**».

٢-**المشقة تجلب التيسير** ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾.

٣-**لا يرفع يقين بشك**، ومن أدلة ذلك: «**من أحس بشيء، فلا يقطع الصلاة حتى يسمع صوتاً، أو يشم ريحاً**».

٤-**تحكيم عرف الناس** المتعارف عليه في جميع عقودهم، ومعاملاتهم: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [لقمان: ١٧].

٥-**الأمور تبع المقاصد** «**إنما الأعمال بالنيات**»[2].

٢٠-قال الله تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا**﴾ [الحج:٧٨].

اختلف في مرجع الضمير في قوله ﴿**هُوَ سَمَّاكُمْ**﴾:

أ-فقيل: هو الله الذي سماهم المسلمين من قبل: لقرينتين:

١-**قوله** في الآية: ﴿**وَفِي هَذَا**﴾ أي: في هذا القرآن سماكم المسلمين، فإن إبراهيم لم يسمهم المسلمين في القرآن.

٢-**الأفعال** كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا هو الصواب،: وهو أن الله الذي سماهم المسلمين، لا إبراهيم.

ب-وقيل: إبراهيم الذي سماهم المسلمين.

قال **الإمام ابن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا لا وجه له[1].



(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٢٨، وتفسير البغوي، ٣/٢٩٨.

(٢) أضواء البيان، ٥/٧٤٩.

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٥٠-٧٥١، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٢٩، وتفسير البغوي، ٣/٢٩٩.

٢٣ -سورة المؤمنون

١-قال اللَّه تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣].

أ- أصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال، والأفعال، فيدخل فيه اللعب، واللهو، والهزل، وما توجب المروءة تركه.

ب-وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي الباطل وهو يشمل الشرك، كما قاله بعضهم، والمعاصي، كما قاله آخرون، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال(١).

٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤].

أ-الأكثرون على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال، كما ذكره ابن كثير، مع أن الآية مكية، والزكاة إنما فرضت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة ذات المقادير، والنصب، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[الأنعام: ١٤١].

ب-وقيل: المراد بالزكاة هنا زكاة النفس، كما مال إليه الشنقيطي، أي: تطهيرها من الشرك، والمعاصي بالإيمان، والعمل الصالح.

جـ-قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفس، وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا، وهذا واللَّه أعلم(٢).

مسائل مهمة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]:

١-لا يجوز الجمع بين الأختين في ملك اليمين.

٢-هذا خاص بالرجال، دون النساء بإجماع أهل العلم، فلا يجوز للمرأة أن تتمتع بوطء مملوكها.

٣-هذه الآية: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[المؤمنون: ٧] تدل بعمومها على منع الاستمناء باليد؛ لأن من فعل ذلك فقد ابتغى وراء ذلك،

---
(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٥٧، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٣١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٣١-٢٣٢، وأضواء البيان، ٥/٧٥٨-٧٥٩.

وهو من العادين بنص هذه الآي، وفي سورة سأل سائل[١].

٤-قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

أ-﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: يرثون منازل أهل النار في الجنة.

ب-وقال بعضهم: معنى الوراثة هو: أن يؤول أمرهم إلى الجنة، وينالونها، كما يؤول الميراث إلى الوارث، والإنعام عليهم بالخلود فيها في أكمل نعيم وسرور[٢]، ورجح الشنقيطي هذا القول الثاني في أضواء البيان[٣].

٥-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون:١٧].

أ-قيل: قيل لها طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض من قولهم: طارق النعل إذا صيرها طاقاً فوق طاق، ويكب بعضها على بعض.

ب-وقيل: قيل لها طرائق؛ لأنها طرق الملائكة في النزول، والعروج، والقول الأول قول الأكثر؛ لأن الله قد بينه، ووضح معناه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾[نوح: ١٥][٤].

٦-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [المؤمنون:٣١].

أ-أنشأ بعد قوم نوح قوم عاد، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم[٥].

ب-وقيل: المراد بهؤلاء ثمود؛ لقوله:

٧- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾[المؤمنون: ٤١]، والقول الأول أظهر، وعليه أكثر المفسرين[٦].

٨-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٤٤].

أ-﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي أخباراً وقصصاً يسمر بها، ويتعجب منها، ويتلهى بها.

ب-وقيل: جمع حديث، كما تقول هذه أحاديث رسول الله ﷺ[١].

---

(١) أضواء البيان، ٥/٧٦٠-٧٧٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٣٢، وتفسير البغوي، ٣/٣٠٤، وأضواء البيان، ٤/٣٤١.

(٣) أضواء البيان، ٤/٣٤٢.

(٤) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٨٣.

(٥) أضواء البيان، ٤/٣٤٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٣٧، وتفسير البغوي، ٣/٣٠٨، وزبدة التفسير، ص٤٨٤.

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٤].

الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم، وعمايتهم، أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل، وفي هذه الآية أوجه من التفسير ترجع إلى أصل واحد:

أ-﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: جهالتهم.

ب-وقيل: في حيرتهم.

جـ-وقيل: في غفلتهم.

د-وقيل: في ضلالتهم.

فمعنى هذه الأقوال واحد، وهو أنه تعالى أمرهم أن يتركهم فيما هم فيه من الكفر، والضلال، والغي، والمعاصي[٢].

١٠-قال اللَّه تعالى:﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٧].

في قوله تعالى في هذا الضمير قولان:

أ-حال منهم حين نكوصهم عن الحق، وتركه استكباراً عليه، واحتقاراً له، ولأهله، فعلى هذا الضمير في ﴿بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

١-أنه الحرم: ذموا؛ لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام.

٢-أنه ضمير للقرآن، كانوا يسمرون، ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام، كقولهم: إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة ..

٣-أنه راجع إلى محمد ﷺ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة من أنه شاعر، أو كاهن، أو ساحر، أو كاذب، أو مجنون، فكل ذلك باطل، بل هو عبد اللَّه ورسوله.

ب-والقول الثاني: مستكبرين به: متعظمين بالبيت الحرام، فيفتخرون بسببه، ويعتقدون أنهم أولياؤه، ويقولون نحن أهل حرم اللَّه[١].

=
(١) انظر:أضواء البيان، ٥/٧٩٢-٧٩٣، وتفسير البغوي، ٣/٣٠٩.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٧٩٤-٧٩٥.
(١) تفسير ابن كثير، ٣/٢٤١، وتفسير البغوي ٣/٣١٣.

١١-قال الله تعالى:﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١].

أ-قيل: الحق: الله ﷻ، كما قاله الأكثر، ولم يذكر ابن كثير غيره، ومن أسمائه الحسنى: الحق، والمعنى: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من اللهو، وما أحبوا من الشرع، وإرسال من أحبوا إرساله، واقترحوا له الرسالة لفسدت السموات والأرض ومن فيهن.

ب-وقيل: المراد الحق الذي هو ضد الباطل المذكور في قوله:

١٢- ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[المؤمنون: ٧٠]، واختاره ابن عطية وأنكر الأول.

جـ-وقيل: القرآن، أي: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه؛ لفسدت السموات والأرض(١).

١٣-قال الله تعالى:﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١].

أ-قيل: ذكرهم: أي: القرآن الكريم، فيه فخرهم، وشرفهم، ولم يذكر ابن كثير غيره.

ب-وقيل: الذكر في هذه الآية الوعظ، والتوصية، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[آل عمران: ٥٨].

جـ-وقيل: ذكرهم: ما كانوا يتمنونه في قولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[الصافات: ١٦٨]، وهذا كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾[فاطر: ٤٢] (٢).

١٤-قال الله تعالى:﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون:٧٥].

﴿لَلَجُّوا﴾ أي: تمادوا، ولم ينقادوا، واستمروا على كفرهم.

﴿يَعْمَهُونَ﴾:

أ-يترددون متحيرون، لا يميزون حقاً من باطل.

ب-وقال بعض أهل العلم: العمه: عمى القلب، والعلم عند الله تعالى(١).

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٨٠٣-٨٠٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٤٣، وتفسير البغوي ٣/٣١٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٥/٨٠٥، وتفسير البغوي ٣/٣١٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٢٤٣.
(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٨٠٧-٨٠٨، ومفردات الأصبهاني مادة (عمه).

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩].

في صيغة الجمع: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ أقوال:

أ-صيغة الجمع لتعظيم المخاطَب، فالنادم السائل ربه الرجعة، يظهر في ذلك الوقت تعظيمه ربه، وهذا أظهر الأقوال.

ب-وقيل: قوله: ﴿رَبِّ﴾ استغاثة باللَّه تعالى، وقوله ﴿ارْجِعُونِ﴾ خطاب للملائكة.

جـ-جمع الضمير يدل على التكرار، فكأنه قال: رب ارجعني، ارجعني، ارجعني، وهذا بعيد، واللَّه أعلم[1].

١٦-قال اللَّه تعالى:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

في هذه الآية سؤالان معروفان:

السؤال الأول: ما وجه نفي الأنساب هنا، كما أنها دلت آيات على بقائها، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٦] في هذه الآية ثبوت الأنساب.

والجواب عن هذا أن المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا من التفاخر بالآباء، والنفع، والعواطف، والصلات، فكل ذلك ينقطع يوم القيامة.

السؤال الثاني: قوله: ﴿وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقد ذكر في آيات أخرى أنهم يتساءلون ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[الصافات: ٢٧].

والجواب من ثلاثة أوجه:

أ-قيل: نفي السؤال بعد النفخة الأولى، وقبل الثانية، وإثباته بعدهما معاً.

ب-وقيل: نفيه عند اشتغالهم بالصعق، والمحاسبة، والمرور على الصراط، وإثباته فيما عدا ذلك، وقد ذكر ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، فعلى هذا يكون في القيامة أحوالاً، ومواطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عن التساؤل.

جـ-أن السؤال المنفي سؤال خاص، وهو سؤال بعضهم العفو عن بعض فيما بينهم من الحقوق؛ لقنوطهم من الإعطاء، ولو كان المسؤول أباً، أو أماً، أو أخاً[1].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٨٢١.

(١) انظر :أضواء البيان، ٥/٨٢٣.

١٧-قال الله تعالى:﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون:١٠٦].

قوله: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ في ذلك أقوال:

أ-قيل: المعنى: أن الرسل بلغتهم، ولكن ما سبق في علم الله، غلب عليهم، فكذبوا الرسل ليصيروا إلى ما سبق من الله في شقاوتهم، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[يونس: ٩٦- ٩٧] إلى غير ذلك.

ب-وقيل: غلبت علينا لذاتنا، وهذا القول مخالف للتحقيق، وفيه تكلف.

جـ-وقيل: حسن الظن بالنفس، وسوء الظن بالخلق.

والصواب القول الأول[١].



(١) انظر: أضواء البيان، ٥/٨٢٥.

٢٤ -سورة النور

١-قال اللَّه تعالى:﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣].

اختلف العلماء في نكاح العفيف الزانية، ونكاح العفيفة الزاني:

أ-ذهب جماعة من أهل العلم منهم الأئمة الثلاثة: الشافعي ومالك وأبو حنيفة إلى جواز نكاح الزانية مع الكراهة عند مالك وأصحابه ومن وافقهم واحتجوا بأدلة منها:

١-﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾[النساء: ٢٤].

٢-وقالوا إن معنى ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً..﴾ المراد بالنكاح هو الوطء الذي هو الزنى، أعاذنا اللَّه منه.

فيكون في معنى النكاح هنا وجهان:

أ- الوطء: أي: لا يطأ الزاني إلا زانية، أو مشركة، والزانية لا يطأها إلا زان عاص أو مشرك لا يرى حرمة ذلك.

وفسر ابن عباس الآية بذلك، وأنه الجماع.

ب-وقالت جماعة من أهل العلم لا يجوز تزويج الزاني العفيفة، ولا عكسه [إلا بعد التوبة]، وهذا مذهب الإمام أحمد، واحتجوا بأدلة منها:

١-أن معنى الآية: التزويج، أي: هو المراد بالنكاح في هذه الآية.

٢-قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ..﴾ ثم قال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ..﴾[النساء: ٢٤].

٣-﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾[النساء: ٢٥].

٤-«الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله»[1]، ورجح هذا القول ابن القيم، وانتصر له.

ورجح العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ أن النكاح مشترك بين الوطء والتزويج، خلافاً لمن

(١) أحمد ١٤/ ٥٢، برقم ٨٣٠٠، وحسنه محققو المسند، وأبو داود، برقم ٢٠٥٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٩١.

زعم أنه حقيقة في أحدهما، فيحمل النكاح في الآية على الوطء، وعلى التزويج معاً[١].

٢-قال الله تعالى:﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٥].

اختلف العلماء في هذا الاستثناء: هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط، ويبقى مردود الشهادة دائماً، وإن تاب، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة [رد الشهادة، والفسق]، أما الجلد فقد مضى وانتهى.

أ-الإمام أحمد، ومالك، والشافعي: إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، وعلى ذلك سعيد بن المسيب، وجماعة من السلف.

ب-أبو حنيفة قال: يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع اسم الفسق، ولكن لا تقبل شهادته أبداً[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا..﴾ [النور:٢٧].

اعلم أن هذه الآية أشكلت على كثير من أهل العلم، وذلك من أجل التعبير عن الاستئذان بالاستئناس، مع أنهما مختلفان في المادة، والمعنى، وقال ابن حجر في الفتح: وحكى الطحاوي أن الاستئناس في لغة اليمن: الاستئذان.

وفي تفسير هذه الآية بما يناسب لفظها وجهان:

أ-أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يقرع باب غيره، لا يدري: أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، وزال عنه الاستيحاش، ولما كان الاستئناس لازماً للإذن، أطلق اللازم، وأريد ملزومه الذي هو الإذن، وإطلاق اللازم، وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف، فيصير المعنى حتى تستأنسوا، فالاستئناس هو الاستئذان ثلاثاً مع السلام: السلام عليكم أأدخل[١].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٧٢-٨٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٥٧، وأضواء البيان، ٦/٨٩-٩٠.

(١) أضواء البيان، ٦/١٧٢.

ب-وهو أن يكون الاستئناس بمعنى الاستعلام، والاستئذان، والاستكشاف، والمعنى: حتى تستعلموا، وتستكشفوا الحال: هل يؤذن لكم أم لا؟ ومن هذا المعنى ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ..﴾[النساء:٦]، أي: علمتم رشدهم، وظهر لكم.

إذا علم هذا، فاعلم أن ما يذكر من أن أصل الآية حتى تستأذنوا، وأن الكاتبين غلطوا في كتابتهم، فكتبوا تستأنسوا غلطاً، لا يعول عليه، ولا يمكن أن يصح عن ابن عباس، ولو فرضنا صحته، فهو من القراءات التي نسخت، ولعل القارئ لم يطلع على ذلك؛ لأن جميع الصحابة أجمعوا على كتابة تستأنسوا في جميع نسخ المصحف العثماني، وعلى تلاوتها بهذا اللفظ، ومضى على ذلك إجماع المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها في مصاحفهم، وتلاوتهم من غير نكير، والقرآن العظيم تولى الله تعالى حفظه من التبديل والتغيير: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩][١].

٤-قال الله تعالى:﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[النور:٢٧].

أ-قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول والكلام، للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، والمعنى: أن الخبيث من الكلام لا يليق إلا بالخبيث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب.

ب-وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، أمثال عبدالله بن أبي، والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، ويريد عائشة طيبها الله لرسوله ﷺ[٢].

٥-قال الله تعالى:﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا..﴾ [النور:٣١].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/١٦٧-١٦٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٦٩، والبغوي، ٣/٢٣٥.

كلام العلماء في هذه الآية يرجع إلى ثلاثة أقوال:

أ-الزينة الظاهرة هنا ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها، كقول ابن مسعود: كالرداء، والثياب، وما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها، وما يبدو من أسافل الثياب، فلا حرج عليها فيه، وهي ظاهرة بحكم الاضطرار، وهذا القول هو أظهر الأقوال.

أ-المراد بالزينة الظاهرة ما تتزين به المرأة، وليس من أصل خلقتها أيضاً، لكن النظر إلى تلك الزينة يستلزم رؤية شيء من بدن المرأة، وذلك كالخضاب، والكحل، والخاتم، والقرط، والسوار، والقلادة، ونحو ذلك.

جـ-المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة الذي هو من أصل خلقتها، كقول من قال: إن ذلك الوجه، والكفان، والقول الراجح والصواب، إن شاء اللَّه: القول الأول[(١)].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ [النور:٤١].

أ-قيل: إن الضمير المحذوف الذي هو فاعل علم، راجع إلى اللَّه تعالى في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**..﴾[النور: ٤١]، وعلى هذا: فالمعنى: كل من المسبحين، والمصلين قد علم اللَّه صلاته، وتسبيحه.

ب-وقيل: إن الضمير المذكور راجع إلى قوله: ﴿**كُلٌّ**﴾ أي: كل من المصلين، والمسبحين قد علم صلاة نفسه، وتسبيح نفسه.

ورجح هذا القول الثاني الشنقيطي[(٢)].

فيه وجهان من التفسير:

أ-قيل: لا تجعلوا دعاء الرسول إذا دعوتموه، كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: يا محمد، ولا ترفعوا أصواتكم عنده، بل قولوا: يا رسول اللَّه، يا نبي اللَّه، مع خفض الصوت، احتراماً له ﷺ، فعلى هذا يكون الرسول مدعو.

ب-وقيل: لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره، كدعاء غيره، فإن دعاءه

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/١٩٢-٢٠٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٤٤، وتفسير البغوي، ٣/٣٥٠.

مستجاب، فاحذروا أن يدعو عليكم، فتهلكوا.

والذي يشهد له القرآن القول الأول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[الحجرات: ٢]، وغير ذلك[١].

والوجه الثاني يأباه ظاهر القرآن[٢].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١].

اختلف العلماء في معنى هذه الآية:

أ-فقيل: نزلت في الجهاد، فهذه الآية كالآية التي في الفتح، وهي في الجهاد لا محالة، أي: لا إثم عليهم في ترك الجهاد؛ لضعفهم، وعجزهم، وكما قال في التوبة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾[التوبة: ٩١].

ب-وقيل: المراد هنا: أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى؛ لأنه لا يرى الطعام، وما فيه من الطيبات، فربما سبقه غيره إلى الطيب، ولا مع الأعرج؛ لأنه لا يتمكن من الجلوس، كما ينبغي فيأكل عليه جليسه، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره، فكرهوا أن يؤاكلوهم؛ لئلا يظلموهم، فأنزل اللَّه هذه الرخصة في ذلك[٣].

٨- قال اللَّه تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣].

٩-قال اللَّه تعالى:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٤].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد دل استقراء القرآن العظيم أن الفتنة فيه

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٥١.
(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٥٩.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٩٤ وتفسير البغوي ٣/٣٥٧.

أطلقت على أربعة معان:

أ-الإحراق بالنار ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات: ١٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[البروج: ١٠]، أي: أحرقوهم بنار الأخدود.

ب-الاختبار وهو الأشهر: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦-١٧].

جـ-إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار، إن كان سيئة كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٣]، وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٢٩]، فقوله: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، أي: حتى لا يبقى شرك على أصح التفسيرين، ويدل على صحة ذلك قوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾؛ لأن الدين لا يكون كله لله حتى لا يبقى شرك[(١)].

والأظهر أن الفتنة هنا راجعة إلى المعنى الثالث: وهو نتيجة الاختبار، والمعنى أن يفتنهم الله أي: يزيدهم ضلالاً بسبب مخالفتهم عن أمره، وأمر رسوله ﷺ[(٢)].



(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٥٤.
(٢) المرجع السابق، ٦/٢٥٥.

٢٥ -سورة الفرقان

١-قال الله تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١].

الإنذار: هو الإعلام المقترن بتهديد، وتخويف، وكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذار.

﴿تَبَارَكَ﴾ في ذلك أقوال لأهل العلم:

أ-قيل: هو في العربية بمعنى تقدس (للعظمة).

ب-وقيل: تبارك: تفاعل من البركة، ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير.

جـ-وقيل: معنى تبارك: تعالى، وقيل: تعالى عطاؤه، أي: زاد عطاؤه وكثر.

د-وقيل: دام، وثبت إنعامه.

هـ-وقال ابن عباس: تبارك: لم يزل، ولا يزول.

و-وقيل: تمجد، وقيل: تعظم.

ز-وقيل: تعالى، وارتفع.

ورجح العلامة الشنقيطي رحمه الله أن معنى تبارك بحسب اللغة التي نزل بها القرآن: تبارك: أي: تكاثرت الخيرات، والبركات من قبله، وذلك يستلزم عظمته، وتقدسه عن كل ما لا يليق بجلاله، وعظمته، وكماله[(١)].

٢-قال الله تعالى:﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان:١٣]

أ-﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قيل: مصفدين، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال.

ب-وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل.

جـ-وقيل: يقرن الكفار بعضهم إلى بعض في الأصفاد [وهي القيود] والسلاسل.

د-وقيل: مكتفين، ورجح القول الثالث الشنقيطي[(٢)].

٣-قال الله تعالى:﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً﴾ [الفرقان:١٦].

معنى: ﴿وَعْداً مَسْؤُولاً﴾.

أ-قيل: إن المؤمنين كانوا يسألونه، وكانت الملائكة أيضاً تسأله لهم، أما

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٦٢.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٩١.

سؤال المؤمنين له، فقد ذكره سبحانه بقوله عنهم: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[آل عمران: ١٩٤]، وسؤال الملائكة لهم إياه ذكره أيضاً في قوله ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم﴾[غافر: ٨].

ب- وقيل: مسؤولاً: أي: واجباً؛ لأن ما وعد الله به فهو واجب الوقوع؛ لأنه لا يخلف الميعاد، وهو سبحانه يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء، لا معقب لحكمه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧].

ج-وقيل: إن المسلمين يوم القيامة يقولون: قد فعلنا في الدنيا كل ما أمرتنا به، فأنجز لنا ما وعدتنا.

والقولان الأولان أقرب من هذا القول[١].

٤-قال الله تعالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..﴾ [الفرقان:١٧].

اختلف العلماء في المعبودين:

أ-فقيل: الملائكة، وعيسى، وعزير.

ب-وقيل: شمول المعبودين الأصنام مع الملائكة، وعيسى، وعزير؛ لأن ذلك تدل عليه قرائن[٢].

٥-قال الله تعالى:﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان:٢٢].

أ-قيل: يرون الملائكة عند الاحتضار.

ب-وقيل: يوم القيامة يرون الملائكة.

ولا منافاة، فإن الملائكة في هذين اليومين: يوم الممات، ويوم المعاد، تتجلى للمؤمنين، وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة، والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين[٣].

٦-قال الله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان:٢٢].

أ-قيل: هذا من كلام الملائكة، تقول للكافرين حرماً محرماً عليكم

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٩٧.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٢٩٩.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٠٣، وأضواء البيان، ٦/٣٠٥.

الفلاح اليوم، وأصل الحجر المنع، هذا قول جمع من أهل العلم، أن الضمير ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عائد إلى الملائكة، اختاره ابن جرير.

ب-وقيل: هذا من كلام الكفار، كما حكاه ابن جرير، عن ابن جريج، والمعنى: أنهم يتعوذون من الملائكة، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول، وإن كان له مآخذ، ووجه، لكنه بالنسبة إلى السياق بعيد، لاسيما وقد نص الجمهور على خلافه.

وقد رجح هذا القول الثاني العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

٧-قال الله تعالى:﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان:٢٤].

حساب أهل الجنة يسير، ينتهي في نصف نهار؛ لأن المقيل مكان القيلولة، وهي الاستراحة في نصف النهار، وهو يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة، وأما الكافر فهو يوم مقداره خمسين ألف سنة[٢].

٨- قال الله تعالى:﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية، هو عقبة بن أبي معيط، وأن فلاناً الذي أضله عن الذكر: أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فكل ظالم أطاع خليله في الكفر، مات على ذلك، يجري عليه مثل ما جرى لابن أبي معيط[٣].

٩-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الفرقان:٥٠].

أ-قيل: الضمير ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ راجع إلى القرآن.

ب-والتحقيق أن الضمير راجع إلى ماء المطر المذكور في قوله قبله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾[الفرقان:٤٨]، كما ذكر عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما[٤].

١٠-قال الله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٠٣-٣٠٤، وأضواء البيان، ٦/٣٠٦.
(٢) انظر التفصيل في تفسير ابن كثير، ٣/٣٠٣-٣٠٥ وأضواء البيان، ٦/٣٠٨-٣١١.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٦/٣١٣.
(٤) المرجع السابق ٦/٣٣٦.

مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان:٥٣].

لفظة مرج تطلق في اللغة على إطلاقين:

أ-مرج: بمعنى: أرسل، وخلّى من قولهم: مرج دابته، إذا أرسلها إلى المرج، وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، فالمعنى على هذا القول: أرسل البحرين، وخلاهما لا يختلط أحدهما بالآخر، فالمراد بالبحرين على هذا القول: الماء العذب في جميع الدنيا، والماء المالح في جميعها، والعذب: الفرات، ماء الآبار، والعيون، والأنهار في أقطار الدنيا، والبرزخ بين الماء العذب والماء المالح هو: اليبس من الأرض، يحجز بين الماء العذب، والماء المالح على هذا القول، وقوله: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أن البحر المالح، كالبحر المحيط، وغيره من البحار التي هي ملح أجاج.

ب-القول الثاني: مرج: بمعنى خلط، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[ق: ٥]، أي: مختلط، والمعنى أنه يوجد في بعض المناطق اختلاط الماء الملح، والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، غير مرئي للبشر، وهذا محقق الوجود في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسي، بجنب مدينة سانبول، قال الشنقيطي: «وقد زرت مدينة سانبول عام ١٣٦٦هـ، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، ولكن أخبرني بعض المرافقين الثقات أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذباً فراتاً، وبالأخرى ملحاً أجاجاً، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ما أعظمه، وما أكمل قدرته».

وقوله: ﴿ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة، وقوله: ﴿أُجَاجٌ﴾ يدل على زيادة المرارة على كونه ملحاً[١].

١١-قال الله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٣٣٨-٣٤٠.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [الفرقان:٥٤].

قوله ﴿نَسَباً وَصِهْراً﴾ في أوجه من التفسير:

أ-قسم الله البشر: ذو نسب ذكور ينسب إليهم، فيقال: فلان ابن فلان، وفلانة بنت فلان، وذوات صهر، أي: إناث يصاهر بهن، كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[القيامة: ٣٩].

ب-وقيل: كما ذكره ابن كثير، واقتصر عليه: فجعله نسباً، وصهراً، فهو في ابتداء أمره ولد نسيباً، ثم يتزوج فيصير صهراً.

جـ-وقيل: النسب ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحل نكاحه.

د-وقيل: النسب القرابة، والصهر: الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، ولا شك أن الله حرم بالنسب سبعاً، وبالسبب سبعاً.

وقد رجح العلامة الشنقيطي رحمه الله القول الأول، ورجح الإمام ابن كثير رحمه الله القول الثاني، ورجح الإمام البغوي رحمه الله القول الرابع[(١)].

١٢-قال الله تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً..﴾ [الفرقان:٦١].

أ-قيل: المراد بالبروج في هذه الآية: الكواكب العظام.

ب-وقيل: هي قصور في السماء للحرس، والقول الأول أظهر، اللهم إلا إذا كانت أن تكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان.

جـ-وقيل: البروج: منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، سميت بالبروج التي هي القصور؛ لأن هذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البرج من التبرج لظهوره[(٢)].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان:٦٥]

أ-﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ الأظهر أن معنى ذلك: كان ملازماً دائماً غير مفارق،

---
(١) انظر: أضواء البيان، ٣٤٠/٦، وتفسير ابن كثير، ٣١٣/٣، وتفسير البغوي، ٣٧٣/٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٣٤٦/٦.

ومنه سمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا: أي: ملازم له مولع به.

ب-وقيل: الغرام: أي: ما نعموا في الدنيا به من نعم، فإن اللَّه سيسأل الكفار النعمة، فلم يردوها إليه، فأغرمهم فأدخلهم النار.

جـ-وقيل الغرام: أشد العذاب.

د-وقيل: الغرام: الشر.

هـ-وقيل: الغرام: الهلاك.

والأظهر الأول[1].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان:٦٧].

أ-لا يتجاوزون الحد بالإسراف في الإنفاق، فينفقون فوق الحاجة، ولا يبخلون بإنفاق القدر اللازم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها.

ب-وقيل: الإسراف في الآية: الإنفاق في الحرام، والباطل، والإقتار هو منع الحق الواجب.

جـ-وقيل: ما جاوزت به أمر اللَّه تعالى، فهو سرف.

والأظهر القول الأول[2].

فائدة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا..﴾

هذه الآية دلت على أحد ركني ما يسمى بالاقتصاد:

لا خلاف بين جميع العقلاء أن الاقتصاد يقوم على ركنين:

الركن الأول: اكتساب المال.

الركن الثاني: صرفه في مصارفه.

وبهذا يعلم أنه لا فائدة في واحد من الأصلين إلا بوجود الآخر، فلو كان الإنسان أحسن الناس، نظراً في وجوه اكتساب المال، إلا أنه أخرق، جاهل بأوجه صرفه، فإن جميع ما حصل عليه من المال يضيع عليه بدون فائدة.

وكذلك إذا كان الإنسان أحسن الناس نظراً في صرف المال في مصارفه

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٣٥٠/٦، وتفسير ابن كثير، ٣١٤/٣، وتفسير البغوي، ٣٧٦/٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٣٥١/٦، وتفسير ابن كثير، ٣١٤/٣، وتفسير البغوي، ٣٧٦/٣.

المنتجة، إلا أنه جاهل أخرق بأوجه اكتسابه، فإنه لا ينفعه حسن نظره في الصرف، مع أنه لم يقدر على تحصيل شيء يصرفه.

ولا شك أن كل واحد من هذين الأصلين، لا بد له من أمرين ضروريين:

الأمر الأول: معرفة حكم الله فيه؛ لأن الله أباح بعض الطرق لاكتساب المال وحرم بعضها.

ولم يبح جميع الطرق في صرف المال في كل شيء، بل أباح بعض الصرف، وحرم بعضه، فمعرفة حكم الله في اكتساب المال، وصرفه أمر ضروري لا بد منه؛ لأن من لم يعلم ذلك، ويعمل به قد يكتسب المال من وجه حرام، والمال المكتسب من هذا لا خير فيه البتة، وقد يصرف المال من وجه حرام، وصرفه في ذلك حسرة على صاحبه.

الأمر الثاني: معرفة الطريقة الكفيلة باكتساب المال، فقد يعلم الإنسان مثلاً أن التجارة في النوع الفلاني مباحاً شرعاً، لكنه لا يعلم أوجه التصرف بالمصلحة الكفيلة بتحصيل المال من ذلك الوجه الشرعي، وكم من متصرف يريد الربح، فيعود تصرفه بالخسران لعدم معرفته بأوجه التحصيل التي يحصل بها الربح.

وكذلك قد يعلم الإنسان أن الصرف في الشيء الفلاني مباح، وفيه مصلحة، ولكنه لا يهتدي إلى معرفة الصرف المذكور، كما هو مشاهد في المشاريع الكثيرة النفع، إن صرف فيها المال بالحكمة، والمصلحة، فإن فيها معلوم، وإيقاع الصرف على وجه المصلحة، لا يعلمه كثير من الناس، وبهذا يعلم أن أصول الاقتصاد الكبار أربعة:

١-معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال، واجتناب الاكتساب به، إن كان محرماً شرعاً.

٢- حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة المباح، وغيره .

٣- معرفة الله في الأوجه التي يصرف فيها الما، واجتناب المحرم منها.

٤- حسن النظر في أوجه الصرف، واجتناب ما لا فائدة فيه منها، فكل من بنى

اقتصاده على هذه الأسس الأربعة، كان اقتصاده كفيلاً بمصلحته، وكان مرضياً لله ﷻ[1].

١٥-قال الله تعالى:﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ [الفرقان:٧٧].

وكلام العلماء في هذه الآية يدور على أربعة أقوال:

الأقوال الثلاثة الأولى مبنية على أن المصدر فيها مضافاً إلى فاعله:

أ-القول الأول: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: عبادتكم له وحده جل وعلا، فعلى هذا القول، فالخطاب عام للكافرين والمؤمنين، ثم أفردوا الكافرين دون المؤمنين بقوله ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

ب-الثاني: لولا دعاؤكم أيها الكفار له وحده عند الشدائد والكروب، أي: ولو كنتم ترجعون إلى شرككم إذا كشف الضر عنكم.

جـ-الثالث: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾: أي: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أخرى، ولا يخفى بعد هذا القول، وأن فيه تقدير ما لا دليل عليه، ولا حاجة إليه.

د-القول الرابع: مبني على أن المصدر في الآية مضاف إلى مفعوله، فهو ظاهر، أي: ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم على ألسنة رسله، وابتلاؤكم أيكم أحسن عملاً، وعلى هذا فلا إشكال في قوله: فقد كذبتم، أي: ما يعبؤ بكم لولا دعاؤه إياكم، أي: وقد دعاكم فكذبتم، وهذا القول هو وحده الذي لا إشكال فيه، فهو قوي بدلالة الآيات المذكورة عليه[2].



(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٥٤-٣٥٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٦١-٣٦٣، وتفسير البغوي ٣/٣٧٩، وتفسير ابن كثير، ٣/٣١٩.

٢٦ -سورة الشعراء

١-قال الله تعالى:﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦].

قيل في ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أقوال في معناها:

أ-«إنا كلاً منا رسول رب العالمين» أي: كل واحد منَّا رسول رب العالمين.

ب-وقيل: لم يقل رسولا رب العالمين؛ لأنه أراد الرسالة، والمعنى: إنا ذو رسالة رب العالمين.

جـ-وقيل: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهؤلاء رسولي ووكيلي[(١)].

٢-قال الله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩].

أظهر الأقوال وأصحها أن معنى: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أن المراد به كفر النعمة، يعني: أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيراً، وإحساننا إليك، تتقلب في نعمتنا، فكفرت نعمتنا، وقابلتها بالإساءة لقتلك نفساً منا، وجحدت نعمتنا[(٢)].

٣-قال الله تعالى:﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء:٢٠].

أ-ومعنى من الضالين: أي: من الجاهلين، أي: أنا في ذلك الحين لم ينزل علي الوحي، ولم أبعث رسولاً، وهو ﷺ بالنسبة إلى ما علمه من الوحي يعتبر قبله جاهلاً، أي: غير عالم بما أوحى الله إليه[(٣)].

ب-وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله.

جـ-وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد.

د-وقيل: من المخطئين.

وأصحها القول الأول[(٤)].

والضلالات في القرآن له إطلاقات ثلاثة:

الأول: الذهاب عن علم حقيقة الشيء كما ينبغي، فتقول العرب لكل

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٨٢، وأضواء البيان، ٤/٤١٥، وتفسير الجلالين، ص٤٨٠.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٢٠، وتفسير البغوي، ٣/٣٨٠.

(٣) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٧١ وتفسير ابن كثير، ٣/٣٢١، وتفسير البغوي، ٣/٢٨٢.

(٤) انظر: تفسير البغوي، ٣/٣٨٣.

من ذهب عن حقيقة الشيء: ضل عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾[الضحى: ٧]، وقوله عن إخوة يوسف: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[يوسف: ٨]، وقول موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

الثاني: إطلاق الضلال عن الذهاب عن طريق الإيمان المشهور في القرآن، واللغة العربية، فهذا هو الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر، وعن طريق الحق إلى الباطل، وعن طريق الجنة إلى النار، ومن ذلك: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٧]، ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾[يس: ٦٢]، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾[الصافات: ٧١].

الثالث: إطلاق الضلال بمعنى: الهلاك، والغيبة، والاضمحلال، تقول العرب: ضل الشيء، إذا غاب، واضمحل، وتقول: ضل السمن في الطعام إذا غاب فيه، وهلك فيه، ولأجل هذا سمت العرب الدفن في القبر إضلالاً، لأن المدفون يغيب في الأرض، ويضمحل، ويؤول إلى استهلاك عظامه؛ لأنها تصير رميماً، وتمزج بالأرض، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾[السجدة: ١٠]، يعنون: إذا دفنوا، وأكلتهم الأرض، وضلوا فيها أي غابوا فيها واضمحلوا ومن إطلاق الضلال على الغيبة قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ٢٤][١].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢].

في ذلك أقوال:

أ-قيل: على طريق الاستفهام أي: أو تلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء: ٣٤].

يقول: تمن علي أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد، والمعاملات القبيحة، أو يريد: كيف تمن عليَّ بالتربية، وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه ذل، فتعبيدك لقومي، وإهانتك لهم، لا يعتبر معه إحسانك

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٧١، و ٣/٥٣.

إليّ؛ لأني رجل واحد منهم، والله أعلم.

ب-وقيل المعنى: بلى، وتلك نعمة لك عليَّ أن عبدت بني إسرائيل، وتركتني، فلم تستعبدني.

والقول الأول الصحيح الراجح إن شاء الله، ولم يذكر ابن كثير، والشنقيطي، والسعدي غيره[١].

٥-قال الله تعالى:﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨].

الطلع: ما يطلع من الأكمام من عذوق التمر.

هضيم: ١-قيل: لطيف.

٢-وقيل: اللين.

٣-وقيل: الرخو.

٤-وقيل: متهشم متفتت إذا لمس.

٥-وقيل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هم بعضه بعضاً وكسره.

٦-وقال أهل اللغة: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر.

٧-وقيل: الهضم هو الداخل بعضه في بعض من النضج، والنعومة.

٨-وقيل: هضي، أي: هاضم يهضم الطعام.

٩-وقيل: المسترخي في عذوبته، وامتلائه، ونضجه[٢].

٦-قال الله تعالى:﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٩].

١-﴿فَارِهِينَ﴾ أي: حاذقين بنحتها.

٢-وقيل: ﴿فَارِهِينَ﴾ أي: شرهين، أشرين، متجبرين، معجبين أي: يبنونها للفخر والخيلاء.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ولا منافاة بينهما، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً، وبطراً، وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين، وقيل متقنين لنحتها، ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم[١].

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٣٨٣، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٢١، وأضواء البيان، ٦/٣٧١، وتفسير السعدي، ٥/٥١١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٣٢، وتفسير البغوي، ٣/٣٩٤، ومختصر الشوكاني، ص٤٨٨.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٣٢، وتفسير البغوي، ٣/٣٩٥، وزبدة التفسير، ص٤٨٨.

٧-قال الله تعالى:﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا..﴾ [الشعراء:١٨٤-١٨٥].

أ-قيل: من المسحرين: يعنون من المسحورين المخدوعين، أي: ممن يسحر مرة بعد مر، وهذا قول مجاهد، وقتادة، واستظهره ابن كثير.

ب-وقيل: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب، يقال: سحره، أي: عللّه بالطعام، والشراب، يريدون أنك تأكل الطعام، والشراب، ولست بملك، بل ما أنت إلا بشر مثلناً، وهو قول ابن عباس من رواية الكلبي.

والقول الأول الذي اختاره ابن كثير، واستظهره السعدي[1].

٨-قال الله تعالى:﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٧٦-١٧٧].

أ-أصحاب الأيكة قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجر، وقيل شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذا قال لهم أخوهم شعيب، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسباً.

ب-وقيل: أصحاب الأيكة كانوا أصحاب غيضة من ساحل البحر إلى مدين، ولم يقل أخوهم؛ لأنه ليس منهم في النسب بخلاف قصة إرساله إلى مدين؛ فإنه قال فيها: أخاهم شعيباً، وأكثر أهل العلم على أن أصحاب الأيكة هم أهل مدين، وهو الذي رجحه ابن كثير، وصححه، ومال إليه الشنقيطي.

فإن قيل: الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر الله عز وجل في الأعراف أنه رجفة، وذكر في هود أنه صيحة، وذكر في الشعراء أنه عذاب يوم الظلة.

فالجواب كما قاله ابن كثير رحمه الله: وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار، ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٣٢، وتفسير البغوي، ٣/٣٩٥، وتفسير السعدي، ٥/٥٣٩، وزبدة التفسير، ص٤٨٩.

منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام.

وعلى القول بأن شعيباً أرسل إلى أمتين: مدين، وأصحاب الأيكة، فلا إشكال، وقد جاء ذلك في حديث مرفوع، ضعيف، وجاءت القراءة لنافع، وابن كثير، وابن عامر في سورة الشعراء، هكذا: ﴿لَيكةً﴾ بلام مفتوحة أول الكلمة، وتاء مفتوحة آخرها، من غير همز، ولا تعريف على أنه اسم للقرية غير منصوب، وقرأ الباقون: الأيكة بالتعريف، والهمز، وكسر التاء ... وقد اتفقوا على ذلك في سورة ق، والحجر، وأوضح الشنقيطي رحمه الله توجيه القراءتين في سورة الشعراء، وسورة ص، ومعنى الآية في اللغة، وذلك كله في تفسيره لسورة الحجر، والصواب أن أصحاب الأيكة هم أهل مدين، كما قال ذلك ابن كثير[1].



(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٣٤، وتفسير البغوي، ٣/٣٩٧، وتفسير السعدي، ٥/٥٣٩، وأضواء البيان، ٦/٣٧٨.

٢٧ -سورة النمل

١-قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل:٤].

يعمهون: يترددون، متحيرين، يتيهون في ضلالهم[١].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعمهون: يتيهون في ضلالهم[٢].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ مثل ما قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: يترددون متحيرين.

٢-قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾ [النمل:٢٤-٢٥].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَإِذَا وَقَفُوا يَقِفُونَ: «أَلَا يَا»: ثُمَّ يَبْتَدِئُونَ: «اسْجُدُوا»، عَلَى مَعْنَى: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا، وَجَعَلُوهُ أَمْرًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُسْتَأْنَفًا، وَحَذَفُوا هَؤُلَاءِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ «يَا» عَلَيْهَا...وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: «أَلَا» كَلَامًا مُعْتَرِضًا مِنْ غَيْرِ الْقِصَّةِ، إِمَّا مِنَ الْهُدْهُدِ، وَإِمَّا مِنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ مُسْتَأْنَفٌ، يَعْنِي: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْجُدُوا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا»[٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: معناه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ* أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها ... وقرأ بعض القراء: ﴿ألاَ يا اسجدوا للَّه﴾ جعلها «ألا» الاستفتاحية، و«يا» للنداء، وحذف المنادى، تقديره عنده: «ألاَ يا قوم، اسجدوا للَّه»[٤].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألاَّ» أي: هلاَّ ﴿يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾»[٥].

(١) انظر: تفسير السعدي، ٥/٥٦١.
(٢) تفسيرابن كثير، ٣/٣٤٤.
(٣) انظر: البغوي، ٣/٤١٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣/٣٤٩.
(٥) تفسير السعدي، ٥/ ٥٧٤.

٣-قال الله تعالى:﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ..﴾ [النمل:٢٥]

أ-أي: يخرج الخفي المخبأ، وكل خبئة في السماء والأرض، قال أكثر المفسرين: خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات، فهو يخرج، ويظهر ما هو مخبوء، ومخفي فيهما القطر من السماء، والنبات من الأرض، وإخراج الأموات من القبور.

ب-وقيل: الذي يعلم الخبء: أي: يعلم الغيب الخفي الخبيء في أقطار السموات والأرض من صغار المخلوقات، وبذور النباتات، وخفايا الصدور[(١)].

فوائد في تفسير الآية من أضواء البيان[(٢)]:

١-القراء السبعة إلا الكسائي قرأوا بالتشديد ﴿ألّا يسجد لله﴾، ولا خلاف على هذه القراءة، أن يسجدوا فعل مضارع منصوب أن المدغمة في لفظة «لا» والمعنى على أوجه الأعراب.

أ-وزين لهم الشيطان أعمالهم من أجل ألا يسجدوا لله، فهو منصوب على أنه مفعول لأجله.

ب-وزين لهم الشيطان أعمالهم ألا يسجدوا أي: زين لهم الشيطان أعمالهم عدم سجودهم لله، فهو منصوب على أنه بدل من أعمالهم.

وعلى المعنى الأول: فصدهم عن السبيل عدم سجودهم لله، وسبيل الحق الذي صدوا عنه هو عدم سجودهم لله.

وعلى المعنى الثاني: فهم لا يهتدون؛ لأن يسجدوا لله، أي: للسجود له.

و«لا» هنا صلة على عادة العرب؛ فإنها ربما لفظت «لا» من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِي﴾[طه: ٩٢-٩٣]، والمعنى: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن تتبعني، وقوله: ﴿ألا تسجد﴾[الأعراف: ١٢]، أي: ما منعك أن تسجد، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، وقوله: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[الحديد: ٢٩].

٢-وقرأ هذا الحرف ﴿ألا﴾ الكسائي من السبعة وحده ﴿ألا﴾ بتخفيف اللام، فهي لفظة استفتاحية، والتقدير كما تقدم «ألا يا هؤلاء اسجدوا لله».

(١) انظر: ابن كثير، ٣/٣٤٩، وتفسير البغوي، ٣/٤١٥، وتفسير السعدي، ٥/٥٧٤، وأضواء البيان، ٦/٣٩٨.
(٢) أضواء البيان، ٦/٣٩٨-٤٠٥.

٣-على قراءة الجمهور لا يحسن الوقوف على قول لا يهدونا، وعلى قراءة الكسائي يحسن الوقوف عليه[(١)].

٤-قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ.. ﴾ [النمل:٣٤].

قيل في المعنى: إنها قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[النمل: ٣٤]: أي: إذا دخلوها عنوة، وجعلوا أعزة أهلها أذلة من الولاة، والجنود أذلة، إما بالقتل، أو بالأسر، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قاله الله تصديقاً لقولها.

قال صاحب الجلالين: وكذلك أصحاب هذا الكتاب يفعلون[(٢)].

٥-قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣٨].

اختلف في السبب الذي لأجله سليمان بإحضار عرشها:

أ-فقيل، وهو قول الأكثر: لأن سليمان علم أنها إذا أسلمت حرم عليه ما لها، فأراد أن يأخذ سريرها، قبل أن يحرم عليه بإسلامها، ولم يذكر ابن كثير غيره.

ب-وقيل: ليريها قدرة الله، وعظيم سلطانه.

ج-وقيل: أراد أن يأمر بتغييره ليختبر بذلك عقلها[(٣)].

٦-قال الله تعالى:﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [النمل:٣٩].

١-قيل: العفريت المارد القوي، قاله: البغوي.

٢-وقيل: رئيس من الجن[(٤)]، قاله: الطبري.

٣-وقيل: العفريت: المارد، قاله: ابن كثير.

٤-وقيل: العفريت: الداهية، قاله: البغوي.

٥-وقيل: العفريت: الخبيث، قاله: البغوي.

٦-وقيل: العفريت: الغليظ، قاله: البغوي.

٧-وقيل: العفريت: القوي الشديد، قاله: البغوي[(١)].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٣٩٨-٤٠٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٠، وتفسير البغوي، ٣/٤١٦، وزبدة التفسير، ص٤٩٨، وتفسير الجلالين، ص٩٤٨.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٤١٩، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٥١، ومختصر الطبري، ص٤٢٦.

(٤) مختصر الطبري، ص٤٢٦.

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤١٩-٤٢٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٥١، ومختصر الطبري، ص٤٢٦.

٧-قال الله تعالى:﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ..﴾ [النمل:٤٠].

أ-قال الإمام ابن كثير رحمه الله: رجل من الإنس اسمه آصف[١].

ب-قال الإمام الطبري رحمه الله: رجل من الإنس اسمه آصف، صدّيق يعلم الاسم الأعظم[٢].

جـ-قال الإمام البغوي رحمه الله: اختلفوا فيه، فقال بعضهم:، هو جبريل، وقيل: هو ملك من الملائكة، أيد الله به نبيه سليمان، وقال أكثر المفسرين: هو آصف ابن بريخا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فقيل: إنه قال قبل دعائه: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: إنه قال: يا حي، يا قيوم، وقيل: إنه قال: يا إلهنا، وإله كل شيء إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت، وقيل: إنه سليمان[٣].

٨-قال العلامة الشوكاني رحمه الله:

أ-قيل: هو آصف.

ب-وقيل: هو سليمان[٤].

٨-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٤٣].

عرض عليها عرشها، وقد غُيّر ونُكّر لها، فقد زيد في صفاته، ونقص منها، قيل لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾، أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: يشبهه، ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء، والحزم.

أ-فقيل: شبهت عليهم، كما شبهوا عليها.

ب-وقيل: كانت حكيمة لم تقل: نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا خوفاً من التكذيب؛ لأن بعض صفاته تغير.

جـ-وقيل: اشتبه عليها أمره، وشكت[١].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٢.
(٢) مختصر الطبري، ص٤٢٧.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٢٠.
(٤) انظر: زبدة التفسير، ص٤٩٩.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٢، وتفسير البغوي، ٣/٤٢١، ومختصر الطبري، ص٤٢٨.

٩- ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قاله سليمان(١).

واختار هذا القول مع ابن كثير صاحب زبدة التفسير الشوكاني(٢)، وصاحب مختصر الطبري(٣).

وقيل: إنه من قول بلقيس، وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد، والرسل من قبلها، أي: من قبل الآية في العرش، وكنا مسلمين منقادين طائعين لأمر سليمان(٤).

١٠-قال الله تعالى:﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل:٤٤].

أ-الصرح: قيل: قصر من زجاج، أجري تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسبه أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه.

ب-وقيل: الصرح: البلاط اتخذ لها من زجاج، وجعل تحته ماء، وسمكاً، فالسطح من زجاج حينما أجري من تحته الماء، وجُعلت فيه بعض دواب البحر، فحسبته بلقيس بحراً، فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فقال لها: إنه صرح ممرد، أي: مملس، محكوك مستوٍ، فعلمت أنها قد غلبت، فدعاها سليمان للإسلام، فأسلمت(٥).

١١-قال الله تعالى:﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:٤٧].

أصل الفتنة في اللغة: وضع الذهب في النار؛ ليختبر بالسبك أزائف هو أم خالص، وأطلقت الفتنة في القرآن على أربعة معانٍ:

١-الإحراق بالنار: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات:١٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[البروج:١٠]، أي: حرقوهم بالنار في الأخدود على أحد التفسيرين.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٢.

(٢) زبدة التفسير، ص٤٩٩.

(٣) مختصر الطبري، ص٤٢٨.

(٤) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٢١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٣، وتفسير البغوي، ٣/٤٢٢، وزبدة التفسير، ص٤٩٩، ومختصر الطبري، ص٤٢٨.

٢-إطلاق الفتنة على الاختبار، وهذا هو أكثر استعمالاً كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦- ١٧]، وغير ذلك كثير.

٣-إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار، إن كانت سيئة خاصة، ومن هذا أطلقت الفتنة على الكفر والضلال ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة: ١٩٣]، أي: حتى لا يبقى شرك.

٤-إطلاق الفتنة على الحجة ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن حجتهم، كما قاله غير واحد والعلم عند الله(١).

١٢- ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

الخطاب للنبي ﷺ، وأمته تبعاً له، فأمره سبحانه أن يحمده، ويسلم على عباده الذين اصطفى، وهم:

أ-قيل: الأنبياء والرسل دليله قوله تعالى: ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾.

ب-وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ.

جـ-وقيل: هم أمة محمد ﷺ.

د-وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين، واللاحقين.

القول الأول لمقاتل، والثاني لابن عباس، والثالث للكلبي، والرابع لم يذكر البغوي مصدره فيه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى، والأحرى(٢).

١٣-قال الله تعالى:﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠].

أ-قيل: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعبد، وقد تبين لكم، ولكل ذي لب أنه الخالق الرازق المدبر، فالاستفهام على طريق الإنكار، أي: هل معه معبود سواه يعينه على صنعه، بل ليس معه إله، بل هم قوم يعدلون، أي: يشركون.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٤٠٧-٤٠٩.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٢٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٥٦.

ب-وقال بعض المفسرين: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ فعل هذا، وهذا يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد، فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل بالخلق، والرزق، والتدبير(١).

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦]

أ-﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾، أي: تدارك، وتتابع علمهم في الآخرة، وتلاحق، وكمل حين لا ينفع العلم.

ب-وقيل: اجتمع عليهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنة وهم في شك منها في وقتهم في الدنيا فيكون بمعنى الأول.

جـ-وقيل: هل على طريق الاستفهام بمعنى: هل تدارك، وتتابع علمهم بذلك في الآخرة، يعني: لم يتتابع، ولم يتلاحق، وضل، وغاب علمهم به، فلم يبلغوه، ولم يدركوه.

وجملة القول في هذا المعنى: أن اللَّه أخبر أنهم إذا عاينوا يوم القيامة، وبعثوا يستوي علمهم في الآخرة، وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا.

د-وقيل: انتهى علمهم، وعجز عن معرفة وقت الآخرة، وتساوى علمهم في ذلك.

هـ-وقيل: غاب علمهم.

و-وقيل: لم ينفذ لهم علم في الآخرة (٢).

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان: أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: بل ادّارك علمهم، أي: تكامل علمهم في الآخرة حين عاينوها، أي: يعلمون في الآخرة علماً كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾، أي: في دار الدنيا، فهذا الذي يشكون فيه في دار الدنيا، وعمون عنه مما جاءتهم به الرسل يعلمونه في الآخرة علماً كاملاً، لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء، وقد دل القرآن دلالة واضحة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٧، وتفسير البغوي ٣/٤٢٥.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٢٦، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٦٠.

على هذا القول في آيات منها، قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[مريم: ٣٨]، أي ما أسمعهم، وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه، يوم يأتوننا، أي: يوم القيامة، وهذا يوضح قوله ﴿بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سماع الحق، وإبصاره في ذلك الوقت، وقوله: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[مريم: ٣٨]، يوضح قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾؛ ولأن ضلالهم المبين اليوم، أي: في دار الدنيا هو شكهم في الآخرة، وعما هم عنها ... إلخ، والمعنى: كما تقدم في قراءة الجمهور ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾، أن تدارك بمعنى تكامل، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً﴾[(١)].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل:٧٢].

أ-ردف لكم: أي: دنا، وقرب لكم.

ب-وقيل: تبعكم وعجل لكم بعض الذي تستعجلون من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر[(٢)].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر: ٢٢].

١٦-قال اللَّه تعالى:﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[النمل:٨٠].

﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[الروم:٥٢].

ذكر العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ كلاماً نفيساً في معنى هذه الآية، ومن معنى ما ذكر: قوله: اعلم أن التحقيق الذي دلت عليه القرائن القرآنية، واستقراء القرآن أن معنى قوله هنا ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ لا يصح فيه من أقوال العلماء إلا تفسيران:

الأول: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، أي: لا تسمع الكفار الذين أمات اللَّه قلوبهم، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى، وانتفاع، لأن اللَّه ختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٤١٣-٤١٥.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٢٧، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٦١.

الوقر، وعلى أبصارهم الغشاوة، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء، وانتفاع.

الثاني: هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، ولكن لا يسمعون سماع قبول بفقه، واتباع، كما قال سبحانه ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[البقرة: ١٧١]، فهكذا الموتى الذين ضرب الله بهم المثل، لا يجب أن ينتفي عنهم جميع أنواع السمع، كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى منهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير الثاني جزم به، واقتصر عليه أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى كلامه [أي: الشنقيطي] على **القول الأول**: ومن القرائن القرآنية الدالة على ما ذكرنا [أي في القول الأول] أنه جل وعلا، قال بعده ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[الروم: ٨١]، فاتضح بهذه القرينة أن المعنى ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي: الكفار الذين هم أشقياء في علم إسماع هدى، وقبول للحق، ما تسمع ذلك الإسماع إلا من يؤمن بآياتنا، فهم مسلمون ... فهو مسلم على أن المراد بالموت في الآية موت الكفر، لا موت مفارقة الروح للبدن ... ثم ذكر قرائن قرآنية تدل على ذلك ... ثم قال: وآية فاطر المتقدمة كأية النمل، والروم، فلا فرق بين ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، وبين قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر: ٢٢]؛ لأن المراد بالموتى من في القبور واحد ... وقد دلت قرائن قرآنية على معنى آية فاطر كآية النمل، والروم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ...﴾ [فاطر: ١٨]؛ لأن معناها لا ينفع إنذارك إلا من هداه الله، ووفقه، فصار يخشى ربه بالغيب، ويقيم الصلاة، وما أنت بمسمع من في القبور، أي: الموتى، أي: الكفار الذين سبق لهم الشقاء، كما تقدم.

ومن القرائن التي تدل على القول الأول ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[فاطر: ١٩]: المؤمن، والكافر، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾[فاطر: ٢٢]، أي: المؤمن والكافر ... إلخ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في توضيح القول الثاني كما تقدم تفسيره سابقاً ..[انظر القول الثاني سابقاً]، وهذا التفسير الأخير دلت عليه آيات من كتاب اللَّه، جاء فيها التصريح بالبكم، والصمم، والعمى مسنداً إلى قوم يتكلمون، ويسمعون، ويبصرون، والمراد بصممهم عن سماع ما ينفعهم دون غيره، فهم يسمعون غيره، وكذلك في البصر، والكلام ..

ثم تكلم في مسألة سماع الموتى في قبورهم وأطال رَحِمَهُ اللَّهُ.

واختار رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم يسمعون كلام من كلمهم، وقال: إنه الذي يقتضي الدليل رجحانه، وذكر أن من استدل بقول عائشة قد غلط، وذكر لذلك مقدمتين:

الأولى: أن سماع الموتى ثبت عنه ﷺ في أحاديث صحيحة، لا مطعن فيها، ولم يذكر ﷺ أن ذلك خاص بإنسان، ولا بوقت.

الثانية: النصوص في سماع الموتى صحيحة عنه ﷺ، ولم يثبت في الكتاب، ولا في السنة شيء يخالفها، وتأويل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعض الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة، لا يجب الرجوع إليها.

ثم ذكر من النصوص كلام النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأهل بدر، وسلامه على الأموات كالأحياء، فدل ذلك على أنهم يسمعون تسليمه عليهم.

وذكر بعض ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه الروح من الآثار والروايات الكثيرة التي تدل على معرفة الموتى بزيارة الأحياء، ورد اللَّه أرواح الموتى عليهم أثناء سلام قريبهم عليهم، حتى يردوا عليه السلام، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أن سماع الموتى انتصر له ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في الفتاوى ٤/٢٩٥-٢٩٩، وساق كثيراً من كلامه، وأن الآيات المذكورة لا تنافي الأحاديث الصحيحة.

ثم ساق كلام ابن القيم في كتابه الروح، وفي ختامه قال: «ويجمع ما ذكرنا في هذا المبحث في الكلام على آية النمل .. أن الذي يرجحه الدليل أن الموتى يسمعون سلام الأحياء، وخطابهم، سواء قلنا: إن اللَّه يرد عليهم أرواحهم حتى يسمعوا الخطاب، ويردوا الجواب، أو قلنا: إن الأرواح أيضاً

تسمع، وترد بعد فناء الأجسام»[١].

قلت: **سمعت شيخنا: عبدالعزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ تكلم في مسألة سماع الموتى مرات كثيرة، وحاصل كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ أن الموتى في قبورهم: الأصل أنهم لا يسمعون إلا ما خصه الدليل، واستثناه، ثم ذكر من ذلك ثلاثة أمور:

١-سماع الميت قرع نعال أصحابه بعد الدفن.

٢-سماع أهل قليب بدر خطاب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٣-سماع أهل القبور لسلام الزائرين عند السلام عليهم، وردهم عليهم السلام، كما ذكر ذلك ابن القيم في كتابه الروح، وما عدا ذلك، فالموتى لا يسمعون إلا ما جاء به الدليل.

وانتصر **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ لرواية عبدالله بن عمر، فقال: والصحيح عند العلماء رواية عبدالله بن عمر؛ لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له، عن ابن عباس مرفوعاً: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام**»، ثم ذكر آثاراً كثيرة جداً عن الصحابةوالتابعين[٢].

قلت: ما أحسن ما قال **شيخنا العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا بعلمه، وانظر خلاصة كلامه قبل أسطر.

﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ..**﴾ [الزمر: ٦٨].

١٧-قال الله تعالى:﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾[النمل:٨٧].

﴿**فَفَزِعَ**﴾: أي: صعق ﴿**إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء:

أ-فقيل: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون لا يصل الفزع إليهم.

ب-وقيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ثم يقبض الله أرواحهم بعد ذلك.

ج-وقيل: هؤلاء الأربعة، وحملة العرش.

---

(١) انظر هذا البحث في أضواء البيان، ٦/٤١٦-٤٣٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٢-٤٢٣.

د-وقيل: رضوان، والحور، ومالك، والزبانية.

هـ-وقيل: عقارب النار، وحياتها.

قلت: كل هذه الأقوال تحتاج إلى دليل صحيح صريح(١).

١٨-قال اللَّه تعالى:﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا..**﴾ [النمل:٨٩].

الحسنة في هذه الآية تشمل نوعين من الحسنات:

النوع الأول: فعل الخير من أفعال العبد، كالإنفاق في سبيل اللَّه، وبذل النفس، والمال في إعلاء كلمة اللَّه ﴿**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾ أي: بالنسبة لهذا النوع من الحسنات؛ لأن الثواب مضاعف؛ ولأن من أنفق درهماً في سبيل اللَّه أعطاه اللَّه ثواب سبعمائة درهم، فله عند اللَّه ثواب خير من الحسنة التي قدمها، وهذا لا إشكال فيه.

النوع الثاني: كقول من قال من أهل العلم أن المراد بالحسنة في هذه الآية:

أ-لا إله إلا اللَّه، ولا يوجد شيئاً خير من لا إله إلا اللَّه، بل هي أساس الخير كله، والذي يظهر على هذا المعنى أن لفظة خير ليست صيغة تفضيل، والمعنى: فهل خير عند اللَّه حاصل منها، أي: من قبلها، ومن أجلها، وهو الثواب، والأمن من العذاب، أما أن يكون له خير من الإيمان فلا؛ لأنه ليس شيء خيراً من لا إله إلا اللَّه.

ب-وقيل: ﴿**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾: يعني رضوان الله: قال تعالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾.

جـ-وقيل: ﴿**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾: يعني الأضعاف أعطاه اللَّه تعالى بالواحدة عشراً فصاعداً، وهذا حسن؛ لأن للأضعاف خصائص، ولم يذكر ابن كثير غيره، ولعله الراجح إن شاء اللَّه تعالى.

د-وقيل: لا إله إلا اللَّه يتعبد بها العبد في الدنيا للَّه تعالى، وهذا التعبد فعله المحض، وقد أثابه اللَّه في الآخرة على تعبده بها، وإثابة اللَّه فعله سبحانه، ولا شك أن فعل اللَّه خير من فعل عبده، والعلم عند اللَّه تعالى(٢).

١٩-قال اللَّه تعالى:﴿**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النمل:٩٠].

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٣١.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٤٤٣-٤٤٤، والبغوي، ٣/٤٣٢، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٦٤.

أ-قيل: السيئة هنا الشرك، وهذه الآية الكريمة تضمنت أمرين:

١-أن من جاء ربه يوم القيامة بالشرك يكب وجهه في النار.

٢-أن السيئة إنما تجزى بمثلها من غير زيادة، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وكقوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[القصص: :]، ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾[النبأ: ٢٦].

ب-فإذا علمت أن السيئات لا تضاعف، فاعلم أن السيئات قد تعظم، فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥]، أو بسبب حرمة الزمان كقوله تعالى: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[التوبة: ٢٦][١].



(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٤٤٦.

٢٨ -سورة القصص

١-قال الله تعالى:﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً..﴾ [القصص:٨].

أ-قيل: اللام: لام العاقبة، والصيرورة؛ لأنهم لم يلتقطوه؛ ليكون لهم عدواً، وحزناً، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك.

ب-وقيل: يبقى اللام للتعليل؛ لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه؛ ليجعله لهم عدواً، وحزناً، فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه، وهذا معنى السياق، ومال إليه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحققه، وانتصر له، وقال: هو الصواب، والشنقيطي في أضواء البيان[١].

٢-قال الله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤]

١-قيل عن الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة.

٢-وقيل عن مجاهد، وغيره: ثلاث وثلاثون سنة.

﴿وَاسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ..﴾ [القصص:١٩].

أ-قال الإمام البغوي، والإمام ابن كثير، وغيرهما أن القائل هو الإسرائيلي الذي من شيعة موسى، ولم يذكرا غير هذا القول، وهو قول الأكثر فيما أعلم اعتقد لضعفه، ولخوره، وذلته، أن موسى إنما يريده، فقال ذلك ليدافع عن نفسه.

ب-قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه القبطي[٣].

٤- ﴿.. وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

أ-قيل: هو شعيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو المشهور عند كثير من المفسرين.

ب-وقيل: كان ابن أخي شعيب.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٤٥١، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٦٨، وتفسير البغوي، ٣/٤٣٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٣٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٧٠، وتفسير البغوي، ٣/٤٤٠، وتفسير السعدي، ٦/١٣.

جـ-وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [معنى كلامه مختصراً]:

وهذا ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل.

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمن شعيب، فكيف بشخصه، ولو كان ذلك الرجل شعيباً لذكره الله في القرآن، ولسمته المرأتان.

وأيضاً فإن شعيباً قد أهلك الله قومه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لابنتي نبيهم بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده، ويكون خادماً له، وهو أفضل منه، وأعلى درجة إلا أن يقال هذا قبل نبوة موسى، فلا منافاة.

وعلى كل حال، لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ، والله أعلم[1].

٥-قال الله تعالى:﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧].

جواب لولا محذوف، أي: لعاجلناهم بالعقوبة[2].

٦-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [القصص:٤٨].

يعنون: التوراة، والقرآن، تظاهرا: يعني: كل سحر يقوي الآخر.

أما القراءة الأخرى، وهي غير القراءة المثبتة في المصحف (ساحران)، فيعنون محمداً، وموسى عليهما الصلاة والسلام، وقيل غير ذلك[3].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٦/١٩-٢٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٧١.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٤٨، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٧٨.
(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٤٨، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٧٩.

﴿يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ..﴾ [القصص: ٤٨].

أ-﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾: من اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتنقيص الزرع والثمار ... ولم يذكر ابن كثير غير هذا القول، واقتصر عليه.

ب-وقيل: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾: أي: أنزل عليه كتاب جملة واحدة[1].

٧-قال الله تعالى:﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص:٦٤].

أ-قيل: جواب لو، محذوف على تقدير: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

ب-وقيل: المعنى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أي: فودَّوا، وحين عاينوا العذاب، لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا[2].

٨-قال الله تعالى:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٧].

أ-﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ قيل: ما هنا بمعنى: الذي، والتقدير: ويختار الله الذي لهم فيه الخيرة، أي: يختار ما هو الأصلح، والخير، ورده ابن كثير، واعترض عليه بدليل أن ﴿مَا﴾ هنا نافية.

ب-﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، ورجح هذا القول ابن كثير، وصححه، وأن ما تكون هنا نافية، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك[3].

٩-قال الله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي: ليثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٧٨، وتفسير البغوي ٣/٤٤٨.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٥٢، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٨٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٣، ولم يذكر السعدي غيره في تفسيره، ٦/٥٢، وانظر: تفسير البغوي، ٣/٤٥٢.

واختلفوا في عدد العصبة:

أ-فقيل: ما بين العشرة إلى خمسة عشر.

ب-وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، ذكره ابن عباس.

ج-وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين.

د-وقيل: أربعون.

هـ-وقيل: سبعون[١].

١٠-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨].

أ-إن اللَّه تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته ، . فتقديره: إنما أعطيته لعلم اللَّه في أني أهل له، وصحح ابن كثير هذا القول.

ب-وقيل: أي: بالتصرف في التجارات، والزراعات، وأنواع المكاسب[٢].

١١-قال اللَّه تعالى:﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

أ-قيل: يدخلون النار بغير حساب، ولا سؤال؛ لأن اللَّه يعلم ذلك منهم.

ب-وقيل: لا يسألون سؤال استعلا، وإنما يسألون سؤال توبيخ، وتقريع[٣].

١٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:٨٢].

اختلفوا في معنى ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ..﴾ ﴿وَيْكَأَنَّهُ ..﴾

أ-فقيل: ويلك اعلم أن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء، ويلك، اعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا القول ضعفه ابن جرير، والظاهر أنه قول قوي [قاله ابن كثير].

ب-وقيل: ألم تر أن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء، ألم تر أنه لا يفلح الكافرون.

ج-وقيل: ألم تعلم.

د-وقيل: أما ترى.

هـ-وقيل: نعجب عالمين أن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء، نعجب عالمين

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٥٤، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٥، وتفسير البغوي، ٣/٤٥٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٥٥، وتفسير السعدي ٦/٥٨.

أنه لا يفلح الكافرون.

قال **الإمام ابن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وأقوى الأقوال بأنها بمعنى ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ..**﴾ ألم تر أنه لا يفلح الكافرون[١].

١٣-قال الله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ..**﴾ [القصص:٨٥].

أ-﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**﴾ أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين.

ب-وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، وافترض عليك أداءه إلى الناس.

﴿.. **لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾:

أ-قيل: إلى مكة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، ومعاد الرجل بلده؛ لأنه ينصرف، ثم يعود إلى بلده، وقيل هذه الآية نزلت بالجحفة، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في طريق هجرته، فهي ليست بمكية، ولا مدنية، وروى البخاري في صحيحه في التفسير عن ابن عباس ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ إلى مكة.

ب-وقيل: ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ أي: الموت، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس.

جـ-وقيل: ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ إلى الجنة، وهي رواية السدي عن أبي صالح عن ابن عباس.

د-وقيل: ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ أي: إلى يوم القيامة، وهذه رواية عكرمة عن ابن عباس.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله تعالى: ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ قال: إلى بيت المقدس، وهذا والله أعلم، يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة؛ لأن بيت المقدس هو أرض المحشر، والمنشر، والله الموفق للصواب.

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك، تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس، أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ إلى آخر السورة، أنه أجل رسول الله ﷺ، وكان ذلك بحضرة عمر .. ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله تعالى: ﴿**لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ بالموت، وبيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي جزاؤه،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٧، وتفسير البغوي، ٣/٤٥٨، ومختصر الطبري، ص٤٤٥، وتفسير الجزائري، ٣/٤٢٣.

ومصيره على أداء رسالة اللَّه، وإبلاغها إلى الثقلين: الإنس، والجن؛ ولأنه أكمل خلق اللَّه، وأفصح خلق اللَّه، وأشرف خلق اللَّه على الإطلاق[1].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧].

لا يصدنك يا محمد الكافرون، وأقوالهم، وكذبهم، وأذاهم عن تلاوة آيات اللَّه، والعمل بها بعد إذ أنزلها اللَّه إليك، وادع الناس إلى اللَّه ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي، والمراد به أهل دينه ... وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ فيه تعريض بغيره... [2].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

١-إخبار بأنه الدائم الحي القيوم الذي لا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٦- ٢٧]، فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾، أي: إلا إياه.

٢-وقال مجاهد، والثوري، وحكى البخاري في صحيحه، كالمقرر له في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾، أي: إلا ما أريد به وجهه.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال أنها باطلة، إلا ما أريد به وجه اللَّه تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه أن كل الذاوت فانية، زائلة، إلا ذاته تعالى، وتقدس، فإنه الأول الآخر[3].



---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٨-٣٨٩، وتفسير البغوي، ٣/٤٥٨.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٥٩، وزبدة التفسير، ص٥٢٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٨٩، وتفسير البغوي ٣/٤٥٩.

٢٩ -سورة العنكبوت

١-قال الله تعالى:﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:١-٣].

والمعنى: أن الناس لا يتركون دون ابتلاء، واختبار؛ لأجل قولهم آمنا، حتى يتبين بذلك الابتلاء، والاختبار الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق.

فسنة الله ﷻ في الأولين، وفي هذه الأمة أن يختبرهم، ويبتليهم بالسراء، والضراء، والشدة، والرخاء، والعسر، واليسر، والغنى، والفقر، والمنشط، والمكره، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن التي ترجع كلها إلى:

١-فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة.

٢-والشهوات المعارضة للإرادة.

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه، ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الداعية إلى المعاصي، والذنوب، أو الصارفة عن أمر الله به، ورسوله يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه، وصحته، ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه ريباً، وشكاً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي، أو تصده عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه، وصدقه، والناس في هذا أقسام، ودرجات، لا يحصيها إلا الله، فمستقل، ومستكثر، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وما جاء في هذه الآية جاء مبيناً في آيات أخرى، كقوله تعالى:

٣-قال الله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة:٢١٤].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٢].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد: ٣١].

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩].

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١٥٤].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٦].

إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ثبتت السنة الصحيحة «**أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**»[١].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾ [العنكبوت:١٠-١١].

يعني أن من الناس من يقول آمنا باللَّه بلسانه، فإذا أوذي في اللَّه، وابتلي بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، أو أصابه بلاء من الناس، اعتقد أن هذا من نقمة اللَّه، وجعل فتنة الناس صادة له، وصارفة عن الإيمان، والثبات عليه، وجزع من عذاب الناس، ولم يصبر عليه لأجل دينه، فأطاع الناس، وجعل عذابهم كعذاب اللَّه، فإن عذاب اللَّه صارف رادع عن الكفر، والمعاصي لمن أطاع، وخاف من عذابه.

وهذا قال به غير واحد من المفسرين.

وعليه فمعنى الآية كقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[الحج: ١١][٢].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿**وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت:١٠].

وهذا كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ..**﴾[النساء: ١٤١].

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٦/٦٦-٦٧، ٧٠ وأضواء البيان، ٦/٤٦١.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ٦/٧٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٣٩١، وتفسير البغوي، ٣/٤٦٢، وأضواء البيان، ٦/٤٦٢.

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[النساء: ٧٢- ٧٣][1].

٥-قال الله تعالى:﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ..﴾ [العنكبوت:٢٩].

ذكر في معنى المنكر هنا أقوال:

١ - ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قيل: يأتي بعضهم بعضاً جهاراً، قاله: مجاهد.

٢-وقيل: كانوا يتضارطون، ويتضاحكون: قالته: عائشة رضي الله عنها، والقاسم.

٣-وقيل: كانوا يناطحون بين الكباش، ويناقرون بين الديوك، قال ابن كثير: وكل ذلك كان صدر عنهم، وكانوا شراً من ذلك.

٤-قيل: كانوا يحذفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه، روي في حديث مرفوع عن أم هانئ، رواه الترمذي.

٥-وقال مجاهد: الصفير، ولعب الحمام، والجلاهق، والسؤال في المجلس، وحل أزرار القباء.

٦-وقيل: كان يبزق بعضهم على بعض، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

٧-وقال مكحول: كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الأزرار، والصفير، والحذف، واللوطية[2].

٦-قال الله تعالى:﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨].

أ-﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: كانوا معجبين في دينهم، وضلالتهم، يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين.

ب-وقيل: كانوا عقلاء ذوي بصائر [3].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: الأظهر أن استبصارهم المذكور هنا بالنسبة

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٤٦٣/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٩٧/٣، وتفسير البغوي، ٤٦٦/٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي، ٤٦٧/٣.

إلى الحياة الدنيا خاصة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: ٧]، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠][١].

٧-قال الله تعالى:﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠].

أ-﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً..﴾ قيل: قوم لوط، وقيل: الحاصب هي الريح التي تحمل الحصا الصغار.

ب-وقيل: هم قوم عاد، جاءتهم ريح صرصر، باردة، شديدة البرد، عاتية، شديدة الهبوب جداً، تحمل عليهم حصباء الأرض، فتلقيها عليهم، وتقتلعهم من الأرض، فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه، فتشدخه، فيبقى بدناً بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر.

ورجح ابن كثير هذا القول، وذكر أن الله قد ذكر هذا في هذه السورة إهلاك قوم لوط بإنزال الرجز من السماء.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود، وقيل: قوم شعيب، وهو بعيد. وقد ثبت أن الله عذب قوم شعيب: بالرجفة التي زلزلت عليهم بلادهم، وبالصيحة، وبعذاب يوم الظلة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾، وهو قارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾، وهو فرعون، ووزيره هامان، وجنودهما، وأما قوم نوح فقد ذكرهم الله في هذه السورة بإهلاكهم بالطوفان[٢].

٨-قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت:٤٢].

أ-قيل: إن الله يعلم أنهم لا يدعون من دون الله شيئاً موجوداً، ولا إله له حقيقة، فما يدعون ليس بشيء ينفع، أو يضر.

ب-وقيل: إن الله يعلم الذين يدعون من دونه، ولا يخفى عليه[٣].

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤٦٧/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٩٩/٣، وأضواء البيان، ٤٦٧/٦.

(٣) انظر: تفسير السعدي فقد اختار القول الأول، ٨٨/٦ وزبدة التفاسير، ص٥٢٦، وتفسير الجلالين اختار القول الثاني وتبعه الجزائري انظر: ص٥٢٦، وص٤٥٣ من التفسيرين المذكورين.

٩- ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أ-قيل: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه كما قال سبحانه ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢].

ب-وقيل: الذكر خارج الصلاة.

ج-وقيل: ذكر الله ما اشتملت عليه الصلاة من ذكر الله بالقلب، واللسان، والبدن.

واختار ابن جرير القول الأول، واختار السعدي القول الثالث، وقد روي القول الأول عن ابن عباس، وابن مسعود، وسلمان الفارسي، وغيرهم، واختاره ابن جرير كما تقدم[1].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر؛ فإنها تنهى عن الفحشاء، والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله، وما فيها من ذكر الله تعالى أعظم من نهيهما عن الفحشاء والمنكر[2].

١٠-قال الله تعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].

أ-قال قتادة وغير واحد هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام، أو الجزية، أو السيف.

ب-وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن؛ ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٤]، قال ابن كثير: وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد ا.هـ.

قلت: وهو الصواب إن شاء الله، لأن آخر الكلام يدل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي: حادوا عن طريق الحق، وعموا عن واضح الحجة، وعاندوا، وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد[3].

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٠١، وتفسير السعدي، ٦/٩١، ومختصر الطبري، ص٤٥١.
(٢) انظر: التفسير القيم، ص٤٠٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٠١، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٠.

١١-قال الله تعالى:﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

أ-بعض أهل التفسير والحسن البصري: القرآن الكريم آيات بينات واضحات الدلالة على الحق أمراً، ونهياً، وخبراً يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظاً، وتلاوةً، وتفسيراً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧].

ب-واختار ابن جرير ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ..﴾ أي: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً، ولا تخطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، ونقله عن قتادة، وابن جريج، وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس، وقاله الضحاك.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله بعد نقل هذا الكلام: وهو الأظهر، والله أعلم .ا.هـ[(١)].

قلت: ولا مانع من دخول القولين في الآية، فالقرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أمة محمد ﷺ يسر الله لهم حفظه، وتفسيره، وتلاوته، وهم سادة هذه الأمة، وعلماؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم، وهم حجة على غيرهم.

وللنبي محمد ﷺ بأنه ما يتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، والله تعالى أعلم.

١٢-قال الله تعالى:﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٦].

أ-﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قال البغوي هذه اللام لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد كقوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠]، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾، مكسور اللام عند الجمهور نسقاً على قوله ﴿لِيَكْفُرُوا﴾.

ب-وقيل: في كسر اللام ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ و﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ لام كي[(٢)].

جـ-﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ قال ابن كثير: هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية، وعلماء التفسير، وعلماء الأصول: لام العاقبة؛ لأنهم لا

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٠٢/٣، وتفسير البغوي، ٤٧١/٣، وتفسير السعدي، ٩٦/٦.
(٢) انظر: تفسير البغوي، ٤٧٤/٣.

يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك، وتقييضه إياهم لذلك، فهي لام التعليل[١].

١٣-قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

أ-الذين قاتلوا في الله تعالى المشركين لنصرة دينه، يثبتهم الله على ما قاتلوا عليه، وقيل: يزيدهم الله هدى، وقيل: يوفقهم لإصابة الطريق المستقيمة، وهي التي توصل إلى رضى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ب-وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات، قاله الحسن.

١-أفضل الجهاد مخالفة الهوى.

٢-وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به.

٣-وقيل: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة.

٤-وقيل: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا.

٥-وقيل: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون[٢].

قلت: والآية عام، تشمل القتال في سبيل الله تعالى، وتشمل جميع ما ذكر هنا، وتشمل الهجرة، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ثم قال: دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب:

أ-أهل الجهاد [أي: جميع أنواع الجهاد].

ب-وأن من أحسن فيما أمر به أعانه الله، ويسر له أسباب الهداية.

جـ-وأن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي؛ فإنه يحصل له من الهداية، والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم؛ فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٠٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٣/٤٧٥، وتفسير ابن كثير، ٣/٤٠٧.

اللَّه، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول، واللسان للكفار، والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين على رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين(١).

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩] بالنصر، والتأييد في دنياهم، وبالثواب، والمغفرة في عقباهم(٢).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ذكر اللَّه ﷻ أنهم ضعفاء، والذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت ضعيفة اتخذت بيتاً، وهو أوهن البيوت، وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا؛ حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء، فلم يستفيدوا ممن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً على ضعفهم(٣).



(١) تفسير السعدي، ٦/١٠٨.
(٢) تفسير البغوي، ٣/٤٧٥.
(٣) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٤٠١.

٣٠ -سورة الروم

١-قال الله تعالى:﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم:١-٣].

الروم أهل الكتاب، غلبتهم الفرس، ثم أخبر الله أن الروم ستغلب الفرس، فَغُلِبت الفرس من قبل الروم في المدة المحددة:

أ-قيل: غلبت الروم، وهم أصحاب قيصر ملك الشام، فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس، وذلك يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء، كابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم.

ب-وقال آخرون: بل كان نصر الروم على فارس يوم الحديبية، والأمر في ذلك سهل قريب[1].

قوله: ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾.

أ-قيل: في أقرب أرضهم من أرض العرب، وهي أرض الجزيرة، أو أذرعات على قول.

ب-وقيل: أقرب أرض الشام إلى أرض فارس.

ج-وقيل: الأردن، وفلسطين.

ومعنى الآية: غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم[2].

٢-قال الله تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٦-٧].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية الروم هذه تدبراً كثيراً، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس، وذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعفاء العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٠٩، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٧.

فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف، وليس على الحق، وهذا جهل فاحش[(١)].

٣-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ..﴾ [الروم:١٠].

فيها قرآتان:

أ-﴿عاقبةُ﴾ بالرفع، أي: ثم كان آخر أمرهم السوء، أهل الحجاز والبصرة.

ب-﴿عاقبةَ﴾ بالنصب على خبر كان، والتقدير: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

و﴿السُّوأى﴾ قيل: اسم لجهنم، كما أن الحسنى اسم للجنة.

وقيل: ﴿السُّوأى﴾: أي: الخلة التي تسؤهم، وهي النار[(٢)].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢].

أ-قال ابن عباس: ييأس المجرمون، وكذلك قال قتادة، والكلبي.

ب-وقال مجاهد: يفتضح المجرمون، وفي رواية يسكت المجرمون.

جـ-وقال الفراء: ينقطع كلامهم، وحجتهم.

قلت: وكل ذلك يحصل للمجرمين، والقول الأول أظهر، واللَّه أعلم[(٣)].

٥- قال اللَّه تعالى: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

أ-ينعمون: ويكرمون، قاله ابن عباس.

ب-وقيل: يسرون، والحبرة السرور، والحبرة في اللغة العربية كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين.

جـ-وقيل: سماع غناء في الجنة[(٤)].

٦-قال الله تعالى:﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٨].

أ-قيل: المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس، أي: صلوا لله حين تمسون: صلاة المغرب والعشاء، وحين تصبحون: صلاة الصبح، وعشياً:

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٤٧٧، وهناك فوائد جمة.

(٢) انظر:تفسير ابن كثير، ٣/٤١٢، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٨، وأضواء البيان، ٦/٤٨٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٢، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٣، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٩.

صلاة العصر، وحين تظهرون: صلاة الظهر.

ب-أمر سبحانه بالتسبيح، في وقت الصباح والمساء وفي العشي وفي وقت الظهر.

وذكر العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يدل في الأمر بالتسبيح في الصلوات الخمس الواجب المشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات[١].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس بعد أن ساق إسناده عند الطبراني «**من قال حين يصبح: سبحانه الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون أدرك ما فاته من يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته من ليلته**» قال: إسناده جيد، ورواه أبو داود[٢] في سننه[٣].

٧-قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى..﴾ [الروم:٢٧].

أ-﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أيسر عليه، قاله ابن عباس.

ب-وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة.

جـ-وقال آخرون: كلاهما بالنسبة للقدرة على السواء، قال ابن عباس: كل عليه هين، واختاره ابن جرير، وذكر عليه شواهد كثيرة.

ومعنى القول الأول: هو أيسر عليه، وأهون، ووجه ذلك أنه على طريق ضرب المثل، أي: هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء أي الابتداء.

قلت: [ومثل ذلك لو بنى شخص بيتاً، ثم هدمه، ثم أراد أن يعيده مرة أخرى، فالإعادة أهون عليه من الابتداء]، ولله المثل الأعلى[٤].

٨-قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

---

(١) تفسير السعدي، ٦/١١٧.

(٢) أبو داود، برقم ٥٠٧٦، قال الألباني: «ضعيف جداً»، ضعيف أبي داود، ص ٤١٤، برقم ٥٠٧٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٣، وتفسير البغوي، ٣/٤٧٩، وتفسير السعدي، ٦/١١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٥، وتفسير البغوي، ٣/٤٨١.

أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨].

والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله، وأهله، حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه، كما يخالف غيره من الشركاء، والأحرار، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي، من هو مملوك لي؟ فإذا كان هذا الحكم باطلاً في فطركم، وعقولكم مع أنه جائز عليكم، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي[١].

٩-قال اللَّه تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً..﴾ [الروم:٣٠].

أ-فسدد وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنفية ملة إبراهيم، أي: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان، ودينه، وعمله مما يتوجه إليه لتسديده.

ب-وقال سعيد بن جبير: أخلص دينك لله، حنيفاً، أي: مائلاً إليه مستقيماً عليه.

١٠-قال اللَّه تعالى:﴿فِطْرَةَ اللَّهِ..﴾ [الروم:٣٠]، وفيه وجهان:

أ-دين اللَّه، وهو منصوب على الإغراء، أي: ألزم فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، أي: خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس، وجماعة من المفسرين أن الفطرة الدين، وهو الإسلام لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٢].

ب-وقال آخرون: الآية خاصة في المؤمنين، وهم الذين فطرهم اللَّه على الإسلام، واستدلوا بالحديث: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه** .. »[٣]، والقول الأول قول البخاري، وابن عباس، كما تقدم.

١١- ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

أ-قال بعضهم لا تبدلوا خلق اللّه فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم اللّه عليها فيكون ذلك خبراً بمعنى الطلب كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ أي اجعلوه آمناً: وهو معنى صحيح.

---

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٤٠٦.
(٢) مسلم، برقم ٣٦٥٨.
(٣) تقدم تخريجه.

ب-وقيل: هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة عل الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك، ولهذا قال ابن عباس وجماعة منهم البخاري ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي لدين اللَّه.

جـ-وقيل: لا تبديل لخلق اللَّه، أي: ما جبل عليه الإنسان من السعادة، والشقاوة[1].

١٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

في معنى الآية وجهان:

أ-قال ابن عباس، وأكثر المفسرين: هو من أعطى عطية يريد أن يرد عليه الناس أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند اللَّه، وهذا مباح، إلا أنه قد نهي عنه النبي ﷺ ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر: ٦]، أي: لا تعطِ العطاء تريد أكثر منه.

قال ابن عباس: الربا رباءان: فربا لا يصحّ، يعني: ربا البيع، وربا لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها، وأضعافها.

ب-وقيل: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً﴾ أي: من مال طلباً لزيادة خالية عن العوض ﴿فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي لا يبارك اللَّه فيه[2].

١٣-قال اللَّه تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

أ-المراد بالبر هنا الفيافي، والبوادي، والمفاوز، وبالبحر الأمصار، والقرى، والمدن التي على المياه الجارية، أي: على جوانب البحار، والأنهار، قاله ابن عباس، وجماعة.

ب-وقيل: المراد البر المعروف، والبحر المعروف فانقطاع المطر بسبب المعاصي، تؤثر على البر، والبحر، وما فيهما من أحياء.

جـ-وقيل: المراد بالبر ما فيه من المدن، والقرى، وبالبحر جزائره، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والقول الأول أظهر، وعليه الأكثرون، وقال ابن القيم: وتسمى

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٧، وتفسير البغوي، ٣/٤٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤١٩، وتفسير البغوي، ٣/٤٨٥، ومختصر الشوكاني، ص٥٣٥.

القرى التي على المياه الجارية باسم تلك المياه، ثم قال: والظاهر، والله أعلم، أن الفساد المراد به الذنوب، وموجباتها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، فهذا حالنا دائماً، أذاقنا الله الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة[١].

١٤-قال الله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم:٤٣]، أي: يتفرقون فريق في الجنة، وفريق في السعير[٢].

١٥-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً..﴾ [الروم:٤٦] إما من البحار، كما ذكره غير واحد، أو مما يشاء[٣].

١٦-قال الله تعالى:﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً..﴾ [الروم:٤٦]، قيل: قطعاً، قاله مجاهد، وقتادة، وغير واحد، وقيل: متراكماً، كما قاله الضحاك، وقال غيره: المسود من كثرة الماء، تراه مدلهماً ثقيلاً، قريباً من الأرض[٤].

١٧-قال الله تعالى:﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم:٤٩].

اختلف النحاة في المعنى:

أ-قيل: وقد كانوا، أو وما كانوا إلا مبلسين وأعاد قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ تأكيداً قاله ابن جرير.

ب-وقال آخرون: من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله، أي: من قبل الإنزال لمبلسين.

جـ-وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر، والثانية إلى إنشاء السحاب.

د-وقيل: يحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس، ويكون معنى الكلام أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله، ومن قبله أيضاً قد فات عندهم نزوله، وقتاً بعد وقته، فترقبوه، فتأخر، ثم مضت مدة فترقبوه، فتأخر، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤١٩/٣، وتفسير البغوي، ٤٨٥/٣، والتفسير القيم، ص٤٠٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٢٠/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٢١/٣.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٢١/٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٢١/٣، وتفسير البغوي، ٤٨٧/٣.

١٨-قال الله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦].

هذا رد على المجرمين حينما يقولون، ويقسمون: ما لبثوا غير ساعة، كما في الآية قبل هذه الآية، فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم: لقد لبثتم في كتاب الله، أي: فيما كتبه، وقدره، وقضاه.

أ-قيل: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في كتاب الأعمال من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ولكنكم كنتم لا تعلمون ولم يذكر ابن كثير غير هذا القول. والمعنى في حكم الله تعالى.

ب-وقيل: فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور.

جـ-قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: التحقيق أن هذه الآية كقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، فيقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[يس:٥٢] على أصح التفسيرين، كما اختاره ابن جرير، أي: هذا البعث بعد الموت الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، فقوله: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ كقول الذين أوتوا العلم والإيمان على التحقيق(١).

فائدة: ذكر ابن كثير(٢) عن الإمام أحمد في المسند بإسناده أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح، فقرأ فيها الروم، فأوهم، فلما انصرف قال: «**إنه يلبس علينا القرآن، فإن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء**»(٣)قال: وهذا إسناد حسن، ومتن حسن، وفيه سر عجيب، وبناء غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتم به، فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام(٤).

١٩-قال الله تعالى:﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠].

هذا كقوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾[الإسراء: ٢٢].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٤٩٠، وتفسير ابن كثير، ٣/٤٢٤، وتفسير البغوي، ٣/٤٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٥.
(٣) أحمد، ٢٥/ ٢١١، برقم ١٥٨٧٤، وحسنه محققو المسند.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٥.

الله ﷻ بين في بعض الآيات أنه يخاطب النبي ﷺ بخطاب لا يريد به نفس رسول الله ﷺ، وإنما يريد به التشريع، ومن أصرح الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا**﴾[الإسراء: ٢٣]، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل، فالمراد تشريع بر الوالدين لأمته بخطابه ﷺ وكذلك قوله ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[الزمر: ٦٥]، وقوله: ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾[الإنسان: ٢٤][1].

۞ ۞ ۞

(١) انظر التفصيل في: أضواء البيان، ٦/٤٩١-٤٩٢ و٣/٤٩٤-٤٩٦.

٣١ -سورة لقمان

١-قال الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان:٧].

أ-قال: عبدالله بن مسعود، وابن عباس، وجابر، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب: هو الغناء.

ب-وقال قتادة: ولعله لا ينفق فيه مالاً، ولكن شراءه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع.

جـ-وقيل: المراد شراء المغنيات من الجواري.

د-وقيل: الشرك.

واختار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله[١].

٢-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾ [لقمان:١٢].

اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة على قولين:

أ-قيل: كان نبياً.

ب-وأكثر السلف على أنه كان عبداً صالحاً من غير نبوة، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤].

أ-﴿وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾ مشقة على مشقة.

ب-وقيل: جهداً على جهد.

جـ-وقيل: ضعفاً على ضعف.

قلت: وكل هذا يحصل للأم[٣].

٤-قال الله تعالى:﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ..﴾ [لقمان:١٩].

ذكر ابن كثير آثاراً في حب الشهرة، منها مختصراً ما يأتي:

١-عن أنس مرفوعاً: «**حسب امرئ من الشر - إلا من عصم الله - أن**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٦، وتفسير البغوي، ٣/٤٩٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٨، وتفسير البغوي، ٣/٤٩٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٢٩، وتفسير البغوي، ٣/٤٩٠.

يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم»[١]، وذكر له شواهد، انظرها هناك.

٢-وقال علي بن أبي طالب ﵁: لا تبدأ لأن تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار[٢].

٣-قال إبراهيم بن أدهم :: ما صدق الله من أحب الشهرة[٣].

٤-وقال أيوب: ما صدق الله عبد إلا أسره أن لا يشعر بمكانه[٤].

٥-وقال محمد بن العلاء: من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس[٥].

٦-وقال سماك بن سلمة: إياك وكثرة الأخلاء[٦].

٧-وقال أبان بن عثمان: إن أحببت أن يسلم إليك دينك فأقل من المعارف[٧].

٨-كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم.

٩-وعن سليم بن حنظلة قال: بينما نحن جلوس حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال: إنها مذلة للتابع وفتنة للمتبوع[٨].

١٠-وخرج ابن مسعود ﵁ فاتبعه أناس فقال: والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان[٩].

قلت: وهذه الآثار ليست على إطلاقها، والمقصود الإخلاص لله تعالى في كل الأمور، وإلا فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات، وتعليم الناس الخير؛ ولهذا العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء[١].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، ٩/ ٢٢٤، والجامع لابن وهب في الجامع، ص ٥٨١، برقم ٤٨١، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٤/ ١٦٦، برقم ١٦٧٠. وقال الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (المغني عن حمل الأسفار، ص ١١٨٣: «هُوَ غير مَعْرُوف من حَدِيث جَابر، مَعْرُوف من حَدِيث أبي هُرَيْرَة، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب بِسَنَد ضَعِيف، مقتصرين عَلَى أَوله، وَرَوَاهُ مُسلم مُقْتَصراً عَلَى الزِّيَادَة الَّتِي فِي آخِره».

(٢) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٦٣، برقم ٣٤.

(٣) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٦٣، برقم ٣٤، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ٢٠.

(٤) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٦٣، برقم ٣٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ٢٠.

(٥) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٦٤، برقم ٣٦، والمحبة لله لأبي إسحاق الختلي، ص ٤٩، برقم ١٠٤، وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ٣٤٣، عن بشر الحافي بلفظ: «لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ».

(٦) التواضع والخمول، ص ٦٧، برقم ٤٠، والعزلة والانفراد، ص ١٣١، برقم ١٤٤.

(٧) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٧٠، برقم ٤٤.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٣٠٢، برقم ٢٦٣١٥، وسنن الدارمي ١/ ٤٤٨، برقم ٥٤٠، وجوّد إسناده محقق الدارمي، وتاريخ المدينة لابن شبة، ٢/ ٦٩١، وفي جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/ ٥٧٤، برقم ٩٨٦، بلفظ: «هِيَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَتْبُوعِ، مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ».

(٩) سنن الدارمي، ١/ ٤٥١، برقم ٥٤٩، وقال محققه إسناده ثقات إلا أنه منقطع، والتواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٧٨، برقم ٥٢.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٣٢.

ثم ذكر : تعالى [ابن كثير] آثاراً في الكبر منها:

١-«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قلت: رواه مسلم(١).

٢-«**لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب**»(٢).

٣-وكان أبو بكر يخطب الناس ويذكرهم أن الإنسان خرج من مخرج البول مرتين(٣).

٤-وقال الحسن: عجباً لابن آدم، يغسل الخراء بيده في اليوم مرتين، ثم يتكبر يعارض جبار السموات(٤).

٥-قال محمد بن الحسين بن علي رضي الله عنه: ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك(٥).

٦-«**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه**»(٦)، وغير ذلك(٧).

٥-قال الله تعالى:﴿**وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾[لقمان:٣٢].

أ-﴿**فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾ قال مجاهد: أي: كافر، كأنه فسر المقتصد هنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾[العنكبوت: ٦٥].

ب-وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل كقوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾[فاطر:٣٢]، ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال العظام، ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص، لم يقابل ذلك بالعمل التام، والمبادرة إلى الخيرات، فمن اقتصد بعد ذلك، كان مقتصراً.

جـ-وقال الكلبي: مقتصد في القول من الكفر؛ لأن بعضهم كان أشد قولاً، وأعلى في الافتراء من بعض(١).

---

(١) مسلم، برقم ٩١.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٢٠٠٠، وحسنه، وذكره العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين، ٣/ ٥٥٤، وذكر تحسين الترمذي له، وفي تحفة الأحوذي، ٦/ ١١٧: «ذَكَرَهُ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ، وَنَقَلَ تَحْسِينَ التِّرْمِذِيِّ، وَأَقَرَّهُ».

(٣) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ص ٢٥٠، برقم ٢٠٠، وفي شعب الإيمان، ١٠/ ٤٩٤ من قول الأحنف بن قيس.

(٤) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ١١٧.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣/ ١٨٠، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٩/ ٢٦٨.

(٦) البخاري، برقم ٥٧٨٣، ومسلم، برقم ٢٠٨٥.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٣٣.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٣٦، وتفسير البغوي، ٣/٤٩٦.

٦-قال الله تعالى:﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

أ-قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: يعني: الشيطان يعدهم، ويمنيهم.

ب-وقيل: هو أن يعمل المعصية، ويتمنى المغفرة.

جـ-وقال ابن جرير: ﴿الْغَرُورُ﴾ بفتح الغين، وهو ما غر الإنسان من شيء: شيطاناً كان، أو إنساناً أو غيره[1].



(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٣٧، ومختصر الطبري، ص٤٦٦.

٣٢ -سورة السجدة

١- قال الله تعالى:﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

ذكر الله تعالى أنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة، ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[الطلاق: ١٢]، وقد بين سبحانه في سورة الحج أن اليوم عنده تعالى كألف سنة مما يعده الناس ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج: ٤٧]، وقال تعالى في سورة سأل سائل: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤].

والجمع بين هذه الآيات من وجهين:

١-أخرج ابن أبي حاتم من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس أن يوم الألف سنة في سورة الحج، هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ويوم الألف سنة في سورة السجدة، هو مقدار سير الأمر، وعروجه إليه تعالى، ويوم الخمسين الظاهر يوم القيامة.

٢-الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر[(١)].

٢-قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١].

ظاهر الآية: أن الذي يقبض أرواح العباد ملك واحد معين، وقد تبين من آيات أخر أن الناس تتوفاهم الملائكة، لا ملك واحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾[الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى:

(١) انظر: أضواء البيان، ٥٠٣/٦-٥٠٤، و٥١٩/٥، و٣٠٨/٦-٣١١، وهنا في جميع المواضع التفصيل.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[الأنفال: ٥١]، وغير ذلك من الآيات.

وإيضاح هذا عند أهل العلم أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد، هو ملك الموت المذكور هنا، ولكن له أعوان يعملون بأمره، ويعينونه إعانات، كما في حديث البراء بن عازب، وفيه «أن هناك ملائكة يأخذون من يده الروح ...» أما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: ٤٢]، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدرون أن يتوفوا أحداً إلا بمشيئته جل وعلا ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾[آل عمران: ١٤٥][(١)].

٣-قال الله تعالى:**﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [السجدة:٢١].

أ-قيل: المصائب من الدنيا، وأسقامها، وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه، قاله: ابن عباس، وجماعة.

ب-وفي رواية عن ابن عباس: إقامة الحدود عليهم.

ج-وقال البراء بن عازب، ومجاهد، وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر.

د-وقيل: سنون إصابة المشركين.

هـ-وقيل: ما أصابهم من القتل، والسبي يوم بدر، قاله ابن مسعود، وغيره، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة[(٢)].

و-وقيل: عند الموت، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾[الأنعام: ٩٣]، وهذه الآية من الأدلة على عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة[(٣)].

٤-قال الله تعالى:**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ**

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٥٠٥/٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٤/٣، وتفسير البغوي، ٥٠٢/٣، ومختصر الطبري، ص٤٦٨.
(٣) انظر: تفسير السعدي، ١٨٧/٦.

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة:٢٣].

أ-﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قيل: فلا تكن في شك أنك ستلقى موسى ليلة الإسراء.

ب-وقيل: لا تكن في شك من أنك قد لقيت موسى، وقد لقيه ﷺ.

ج-وقيل: ولا تكن في شك من تلقي موسى لكتاب الله التوراة من الرضا والقبول.

د-وقيل: لا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة، وستلقاه فيها[1].

٥-قال الله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة:٢٨-٢٩].

أ-قيل: الفتح فتح مكة، وهذا خطأ رده ابن كثير، والشنقيطي؛ فإن يوم الفتح قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة؛ لما قبل إسلامهم، وهذا القول غير صواب.

ب-الفتح: هو الحكم، والقضاء، كما قال تعالى : ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[الأنفال: ١٩]، أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، أو من محمد وأصحابه، فقد جاءكم الفتح، أي: الحكم بهلاك الظالم، وهو هلاكهم يوم بدر، كما قاله غير واحد.

وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن الفتح الحكم، كما قال تعالى عن شعيب: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩]، أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[سبأ: ٢٦].

فعلى هذا يكون للفتح، وهو القضاء، والحكم معنيان:

١-قيل: هو الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة، وهذا لا إشكال فيه: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾[السجدة: ٢٩].

٢-والقول الثاني: هو الحكم والقضاء بينهم في الدنيا بهلاك الكفار، كما وقع في بدر، فالظاهر أن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾، أي: إذا عاينوا الموت، وشاهدوا القتل، بدليل قوله تعالى:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٤٦، وتفسير البغوي، ٣/٥٠٣، ومختصر الطبري، ص٤٦٩، ومختصر الشوكاني، ص٥٤٧.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[غافر: ٨٤- ٨٥]، وقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء: ١٨].

وقوله تعالى عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[يونس: ٩٠- ٩١][(١)].



(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٧/٣٤، وتفسير البغوي ٥٠٤/٣، والتفصيل الجيد في أضواء البيان، ٥٠٧/٦-٥٠٩.

٣٣ -سورة الأحزاب

١-قال اللَّه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ..﴾ [الأحزاب:١].

اختار العلامة الشنيقطي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، وذلك ليشرع لأمته على لسانه[١].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة اللَّه، على نور من اللَّه، ترجو ثواب اللَّه، وأن تترك معصية اللَّه، على نور من اللَّه مخافة عذاب اللَّه»[٢].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

أ-قيل: أولى بهم من أنفسهم، فيجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم أنفسهم، ويقدموا أمره على ما تشتهيه أنفسهم.

ب-وقيل: النبي أولى بالمؤمنين بعضهم من ببعض.

جـ-وقيل: أولى بهم من أنفسهم فيما قضى به فيهم.

د-وقيل: أولى بهم في الجهاد، وبذل النفس دونه، والجهاد بين يديه[٣].

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في تعظيم حقهن، وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن، والخلوة، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن، وأخواتهن بالإجماع[٤].

فوائد من أضواء البيان في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

١-معنى العود عند الإمام أحمد: هو الجماع، أو يعزم عليه، فإذا ظاهر لا يجامع حتى يكفِّر، فإن جامع قبل التكفير، لزمه الكف عن المسيس مرة أخرى، حتى يكفر، ولا يلزم من هذا جواز الجماع الأول قبل التكفير، والإقدام على المسيس الأول محرم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[المجادلة: ٣].

٢-الراجح أنه لو قال: أنت علي كظهر ابنتي، أو أختي، أو جدتي، أو أحد محارمه .. أو رأس ابنتي .. أن ذلك كله ظهار.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٤٩٤/٣-٤٩٦ و٥١٣/٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٨/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥١/٣، وتفسير البغوي، ٥٠٧/٣، وزبدة التفسير، ص٥٤٩.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥١، وأضواء البيان، ٥٧٠/٦-٥٧١.

أ-وأظهر الأقوال عند العلامة الشنقيطي رحمه الله: أن من شبه امرأته بظهر امرأة تحرم عليه تحريماً مؤقتاً، أن ذلك ظهار، كأن يقول: هي علي كظهر أخت زوجتي، أو غير ذلك.

ب-ومال العلامة الشنقيطي إلى أن من قال: أنت علي كظهر أبي، أو ابني، أن ذلك ليس بظهار، وعليه كفارة يمين، قال صاحب المغني: وهو قول أكثر العلماء.

٣-إذا قال الرجل لامرأته: أنت عليّ حرام، أو إن دخلت الدار، فأنت حرام، ثم دخلتها: ففيها للعلماء نحو عشرين قولاً، وأقيس الأقوال، وأقربها إلى الظاهر للقرآن الكريم قول من قال: إن تحريم الزوجة ظهار تلزم فيه كفارة الظهار، وليس بطلاق، وأقرب الأقوال بعد هذا القول قول من قال: عليه كفارة يمين والاستغفار.

٤-لو قال: أنت علي كظهر أمي لمدة شهر رمضان، قال بعض أهل العلم في المعنى: يصح الظهار المؤقت، وإذا مضى الوقت زال الظهار، وحلت المرأة بلا كفارة، ولا يكون عائداً بالوطء بعد انقضاء الوقت، هذا هو الذي رجحه.

٥-لو قال: أنت علي كظهر أمي، إن شاء الله، أنه أساء الأدب، ولا تلزمه الكفارة، هذا هو الأظهر، والله أعلم.

٦-الأظهر أنه لو مات، أو ماتت، أو طلق قبل التكفير لا يلزمه شيء، فإن عاد فتزوجها بعد الطلاق، فلا يقر بها حتى يكفر.

٧-لو ظاهر من نسائه الأربع بكلمة واحدة، تكفيه كفارة واحدة، ولا خلاف في مذهب أحمد، قاله في المغني.

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: تكفي كفارة واحدة، والأحوط أن يكفر لكل واحدة.

إذا قالت المرأة لزوجها: أنت علي كظهر أبي، قال أكثر أهل العلم: لا يكون ظهاراً، وهو قول الأئمة الأربعة، وأصحابهم.

وأظهر الأقوال أنه يلزمها كفارة يمين [(١)].

هل يقال لبنات أزاوج النبي ﷺ أخوات المؤمنين، وهل يقال: أمهات المؤمنات لأزواج النبي ﷺ[(١)].

٣-قال الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

(١) انظر هذه الفوائد وغيرها كثيراً في أضواء البيان، ٦/٥١٤-٥٧٠.
(١) انظر في ذلك أضواء البيان، ٦/٥٧١.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب:٧].

ذكر ﷻ أنه أخذ من النبيين ميثاقهم، ثم خص منهم خمسة، هم أولو العزم من الرسل.. ولم يبين هذا الميثاق الذي أخذه عليهم، وقد بين ذلك في غير هذا الموضع:

أ-فبين الميثاق الذي أخذه على جميع الأنبياء بقوله في سورة آل عمران ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ..﴾[آل عمران: ٨١].

ب-وبين الميثاق الذي أخذه على خصوص الخمسة أولي العزم من الرسل في سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣]، وآية آل عمران بينتها سورة آل عمران، وسورة الشورى، وقوله: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[الأحزاب: ٧] من عطف الخاص على العام[(١)].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً﴾ [الأحزاب: ١٤].

أي: لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش، وهم الأحزاب من نواحي المدينة، ثم سئلوا الفتنة: أي: الشرك بالله تعالى؛ لأتوها، أي: أعطوها، ورجعوا عن الإسلام.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً﴾.

أ-قيل: ما احتبسوا عن الفتنة، وهي الشرك إلا يسيراً، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك، طيبة به أنفسهم، وهذا قول أكثر المفسرين.

ب-وقيل: ما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفار إلا قليلاً حتى يهلكوا[(٢)].

٥-قال الله تعالى:﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٢٢].

قال ابن عباس، وقتادة، وغير واحد يعنون قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٥٧٢/٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٥١٧/٣.

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤][١].

٦-قال اله تعالى:﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣].

أ-قال بعضهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أجله.

ب-وقال البخاري: عهده، وهو يرجع إلى الأول.

جـ-وقال قتادة: فمنهم من قضى نحبه، يعني: موته على الصدق، والوفاء.

د-وقال بعضهم: نحبه: نذره، أي: فرغ من نذره، وأوفى بعهده.

هـ-وقيل: قضى نحبه: أي: بذل جهده في الوفاء بالعهد.

قلت: ويجمع ذلك كله، ويفسره قصة أنس بن النضر حينما تخلف عن غزوة بدر، وعاهد اللَّه لئن أشهده اللَّه مشهداً آخر فيه قتال: ليرنّ اللَّه ما أصنع، فقاتل في أحد حتى قتل، وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية[٢].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٦].

صياصيهم: حصونهم، كما قاله مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والسدي، وغيرهم من السلف، ومنه سمي صياصي البقر، وهي قرونها؛ لأنها أعلى شيء فيها، ولشوكة الديك كذلك[٣].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا..﴾ [الأحزاب:٢٧].

أ-﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا..﴾ قيل: خيبر.

ب-وقيل: مكة، روى هذين القولين مالك عن زيد بن أسلم.

جـ-وقيل: فارس، والروم.

د-وقال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مراداً.

قلت: وهذا القول يوافق قول عكرمة، إنها كلها أرض تفتح إلى يوم القيامة[١].

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥٧/٣، وأضواء البيان، ٥٧٤/٦، وتفسير البغوي، ٥١٩/٣.
(٢) انظر التفصيل في: تفسير ابن كثير، ٤٥٨/٣، وتفسير البغوي، ٥١٩/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٦٠/٣ وتفسير البغوي، ٥٢١/٣.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٦١/٣، وتفسير البغوي، ٥٢٥/٣.

٨- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ...﴾ الآية [الأحزاب: ٢٨].

كانت تحت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تسع نسوة:

خمس من قريش:

١-عائشة بنت أبي بكر.

٢-حفصة بنت عمر.

٣-أم حبيبة بنت أبي سفيان.

٤-أم سلمة بنت أبي أمية.

٥-سودة بنت زمعة.

وغير القرشيات:

٦-زينب بنت جحش الأسدية.

٧-ميمونة بنت الحارث الهلالية.

٨-صفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية.

٩-جويرية بنت الحارث المصطلقية.

رضي الله عنهن وأرضاهن[١].

من حِكَمِ تعدد زوجات الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

١-ليبلغن الأحكام الخاصة بالنساء.

٢-ليكون أنصار الدعوة أقوياء، فكان يصاهر بعض من ينصر الدعوة.

٣-لرغبة المؤمنين في خدمة رسوله ﷺ.

٤-قد يحتاج الرسول ليكافئ بعض الأرامل ويحسن إليها[١].

٩-قال الله تعالى:﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٣٥].

ساق ابن كثير بإسناد الإمام أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها تقول: قلت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ... إلى أن قالت: فإذا هو

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٣/٥٢٥-٥٢٦.

(١) انظر: تفسير الجزائري، ٣/٥٧٦.

يقول عند المنبر «يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ..﴾ » قال ابن كثير هكذا رواه النسائي، وابن جرير، ثم ساق طريقاً أخرى عند النسائي، عن أم سلمة قالت: «يا رسول الله، ما لا سم الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يذكرون»، فأنزل الله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ..﴾، فذكر ابن كثير ثلاث طرق للحديث عند أحمد، والنسائي، وابن جرير، وساق له شاهداً آخر عن ابن عباس عند ابن جرير[(١)].

١٠- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أ-قيل: إن أزواجه ﷺ لا يدخلن في أهل بيته.

ب-والصواب شمول الآية لأزوج النبي ﷺ، وقد أجمع جمهور العلماء بالأصول أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص، فصورة سبب النزول قطعية الدخول[(٢)].

١١-قال الله تعالى:﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب:٣٧].

أ-قال كثير من المفسرين: ما أخفاه وأبداه الله هو وقوع محبة زينب في قلبه، ومحبته لها، وهي تحت زيد، وقال: سبحان مقلب القلوب، إلى آخر القصة، وهذا كله لا صحة له، ولا دليل عليه، ولا يليق بمحمد ﷺ أن ينسب له هذا القول الباطل، وممن قال بذلك الإمام الطبري، وذكر البغوي شيئاً من ذلك.

ب-والصواب أن الذي أخفاه في نفسه ﷺ، وأبداه الله، هو أن الله ﷻ أوحى إليه أنه سيتزوج بزينب بعد أن يقضي منها زيد وطراً، فأبداه الله بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

وهذا الذي عليه المحققون، والعلماء الراسخون[(١)].

١٢-قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ [الأحزاب:٤٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٦٨.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٥٧٧.
(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٥٨٠-٥٨٣.

في هذه الآية أحكام كثيرة، منها:

١-**إطلاق النكاح على العقد** وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلف في النكاح: هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية؛ فإنه استعمل في العقد وحده.

٢-**وفي الآية الدلالة على إباحة طلاق** المرأة قبل الدخول، وقوله ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق.

٣-**وقد استدل جماعة،** منهم ابن عباس، وغيره من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد، وطائفة كثيرة من السلف، والخلف، وهم الجمهور.

وقد ورد الحديث بذلك «**لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك**»[(١)].

٤-**﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾** وهذا مجمع عليه بين العلماء.

٥-وهل المراد بالمسيس الدخول الوطء، كما هو مجمع عليه، أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الخلفاء الأربعة، وهو الصحيح، فمتى دخل عليها وطئها، أم لا وجب عليها العدة.

٦-والمطلقة قبل المسيس تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا إذا لم يفرض لها مهر، فإن فرض لها مهر؛ فلها نصف المهر المسمى، وكفى عن المتعة.

٧-ودلت الآية على أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول، أو بعده أن يكون الفراق جميلاً، يحمد كل منهما الآخر عليه.

٨-والمتوفى عنها زوجها قبل الدخول عليها العدة أربعة أشهر وعشراً، ولها المهر كاملاً، إن سمى، وإن لم يسم فلها مهر المثل، وترث[(١)].

---

(١) رواه أحمد ١١/ ٣٨١، برقم ٦٧٦٩، وحسنه محققو المسند، والترمذي، برقم ١٥٢٧، وابن ماجه، برقم ٢٠٧٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٧/ ١٥٢، برقم ٢٠٦٩.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٧٨، وتفسير السعدي، ٦/٢٣٤.

١٣-قال اللَّه تعالى:﴿... وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ [الأحزاب:٥٠].

وحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الإناث لنقصهن كقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾[النحل: ٤٨]، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام: ١]، وله نظائر كثيرة[١].

فائدة: كان مهر النبي ﷺ لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشاً وهو نصف أوقية فكان الجميع خمسمائة درهم إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله أربعمائة دينار، وإلا صفية بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها وكذلك جويرية بنت الحارث أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها [٢].

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾ [الأحزاب:٥١].

اختلف أهل التفسير في معنى هذه الآية على أقوال:

أ-قيل: إن هذه في الواهبات له أن يرجي منهن من يشاء، ويؤوي إليه من يشاء، ومع هذا فهو بالخيار بعد ذلك، فمن ردها بعد أرجاها، فلا حرج عليه، ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

ب-وقيل: المعنى أن اللَّه ﷻ أباح له ترك القسم بين زوجاته على وجه الوجوب، وإن قسم بالعدل، فهذا تبرع منه، ومع هذا فالخيرة بيدك من ابتغيت أن تؤويها ممن عزلت، فلا جناح عليك.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها حديثان ذكرهما ابن كثير، الحديث الأول يدل على أن الآية في الواهبات، والحديث الثاني يدل على أنها في القسم، ومن هنا اختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة في الواهبات، وفي النساء اللواتي عنده أنه مخير فيهن، إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم، قال ابن كثير رحمه الله:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٧٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٧٩.

وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه الجمع بين الأحاديث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعاً إليك، وبيدك، ويكون ما جاء منك إليهن تبرعاً منك إليهن ﴿أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ لعلمهن أنك لم تترك واجباً، ولم تفرط في حق لازم؛ لأنهن قد علمن أن اللَّه قد وضع عنك الحرج في ذلك[(١)].

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ [الأحزاب:٥٢].

أ-ذكر غير واحد من العلماء، كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على حسن صنعهن في اختيارهن اللَّه، ورسوله، والدار الآخرة لما خيرهن رسول اللَّه ﷺ كما تقدم في الآية، فكان جزاؤهن أن اللَّه تعالى قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجاً، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء، والسراري، فلا حرج عليه فيهن، ثم أنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك، ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، وقد دل على ذلك كله الآية، وحديث عائشة عند الإمام أحمد في المسند، والترمذي، والنسائي وعن أم سلمة عند ابن أبي حاتم.

ب-وقال آخرون: بل معنى الآية: لا يحل لك النساء بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللواتي أحللن لك، من نسائك اللواتي آتيت أجورهن، وما ملكت يمينك، وبنات عمك، وعماتك، وخالك، وخالاتك، والواهبة، وما سوى ذلك من أصناف النساء، فلا يحل من مسلمة، ولا يهودية، ولا نصرانية، ولا مشركة.

واختار ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته، وكن تسعاً، وهذا الذي قاله جيد، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم رووا عنه هذا، وهذا واللَّه أعلم[(١)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٨١/٣، وتفسير البغوي، ٥٣٧/٣، وتفسير السعدي، ٢٣٨/٦.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٨٢/٣، وتفسير البغوي، ٥٣٨/٣، وتفسير أضواء البيان، ٢٣٩/١٠.

١٦-قال اللَّه تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦].

أ-قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة اللَّه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

ب-روي عن غير واحد من أهل العلم، كما رواه الترمذي: أن صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار[(١)].

١٧- ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٤][(٢)].

١٨-قال اللَّه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ [الأحزاب:٧٠].

أ-قيل: القول السديد: مستقيماً لا اعوجاج فيه، ولا انحراف.

ب-وقيل: القول السديد: لا إله إلا الله.

جـ-وقيل: الصدق.

د-وقيل: السداد.

هـ-وقيل: الصواب

وهذه الأقوال كلها حق[(٣)].

١٩-قال اللَّه تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ... الآية﴾ [الأحزاب:٧٤].

أ-قيل: الأمانة: الطاعة، عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم.

ب-وقيل: الأمانة: الفرائض.

د-وقيل: الأمانة: الدين، والفرائض، والحدود.

وكل هذه الأقوال، وغيرها لا تنافي بينها، بل هي متفقة، وراجعة إلى شيء واحد، وهو: التكليف، وقبول الأمور، والنواهي بشروطها[(١)].

فبين سبحانه أنه عرض الأمانة التي هي امتثال الأوامر، واجتناب النواهي

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٤٨٦.
(٢) أضواء البيان، ٦/٥٨٤-٦٠٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٠٠.
(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٠١.

في حال السر، والخفية كحال العلانية على المخلوقات العظيمة: السموات، والأرض، والجبال عرض تخيير، لا تحتيم، وإنك إن قمت بها، وأديتها على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، فعليك العقاب، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، خوفاً ألا يقمن بما حمِّلن، لا عصياناً لربهن، ولا زهداً في ثوابه، وعرضها على الإنسان على ذلك الشرط المتقدم، فقبلها وحملها.

فانقسم الناس بحسب قيامهم بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

١-منافقون، قاموا بها ظاهراً لا باطناً.

٢-مشركون، تركوها ظاهراً وباطناً.

٣-مؤمنون، قاموا بها ظاهراً وباطناً.

فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب[1].



(١) انظر: تفسير السعدي ٦/٢٥٤.

٣٤ -سورة سبأ

١-قال الله تعالى:﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[سبأ:٣].

ووضح ذلك في آيات أخرى، كقوله في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[يونس: ٦١]، وقوله في سورة الأنعام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ..﴾ الآية [الأنعام: ٥٩][١].

٢-قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ..﴾ [سبأ:١٠].

والصواب من الأقوال في معنى ﴿أَوِّبِي﴾ أي: رجّعي معه التسبيح، ونادينا الطير بمثل ذلك من ترجيع التسبيح معه، وتسبيح الجبال والطير مع داود تسبيح حقيقي، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[الأنبياء: ٧٩][٢].

٣-قال الله تعالى:﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ...﴾ [سبأ:١٣].

قوله: ﴿مِنْ مَحَارِيبَ﴾:

أ-قيل: البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره.

ب-وقيل: بنيان دون القصور، قاله مجاهد.

جـ-وقيل: هي المساجد، قاله الضحاك.

د-وقال قتادة: هي القصور، والمساجد.

هـ-وقال ابن زيد: هي المساكن[٣].

٤-قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ..﴾ [سبأ:١٥].

كانت سبأ ملوك اليمن، وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من جملتهم، وكانوا في نعمة في بلادهم، وقد أرسل الله إليهم

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/ ٦١٤.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٤/ ٦٧٢، وتفسير ابن كثير، ٣/ ٥٠٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٥٠٧.

الرسل، تأمرهم أن يأكلوا من رزق الله، ويشكروه بتوحيده، وعبادته، فكانوا على ذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل، والتفرق في البلاد، وقد ذكر ابن كثير عدة روايات، حسَّن اثنين، أي: سندين، منها أن أصل الاسم لرجل كان اسمه سبأ، ولد له عشرة من الولد، أي: من ذريته، فسكن اليمن منهم ستة، والشام منهم أربعة: فأما اليمانيون، فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير، وأما الشامية: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان[1].

وقيل: اسم سبأ عبد الشمس بن يشجب بن قحطان، وإنما سمي سبأ؛ لأنه أول من سبأ في العرب ... وكان من أمر السد، أنه كان الماء يأتيهم من جبلين، وتجتمع إليه سيول أمطارهم، وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقادم، فبنوا بين الجبلين سداً عظيماً محكماً، حتى ارتفع الماء على حافات الجبلين، فغرسوا الأشجار، واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة، وقد ذكر غير واحد من السلف أن المرأة كانت تشمي تحت الأشجار، وعلى رأسها مكتل، أو زنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة، ولا قطاف لكثرته، واستوائه، ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾[سبأ: ١٥]، أي: من ناحية الجبلين، البلدة بين ذلك ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن توحيد الله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

المراد بالعرم:

١-قيل: المياه.

٢-وقيل: الوادي.

٣-وقيل: الجرذ نقبت السد، فانفجر، قاله ابن عباس، والضحاك، والجرذ: هو الفأر.

وعندما خرب السد، جاءت السيول، فصدمت السد فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرّب ما بين يديه من الأبنية، والأشجار، والثمر، وغير ذلك[2].

٥-قال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ:١٨].

---

(١) انظر سند هذه الروايات في تفسير ابن كثير، ٣/٥٠٩-٥١٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٠٩-٥١٠.

أي: متواصلة، متقاربة، بحيث مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد، ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماءً وثمراً.

قال الله تعالى:﴿.. الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ:١٨].

أ-قيل: قرىً بصنعاء قاله وهب بن منبه وأبو مالك.

ب-وقال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، ومالك عن سعيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، والسدي، وغيرهم: بعض قرى الشام، أي: كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى متواصلة.

جـ-وقال العوفي عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس، وظاهرة بينة واضحة يعرفها المسافرون، يبيتون في واحدة، ويقيلون في أخرى[١].

٦-قال الله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

أ-قيل: الضمير عائد إلى المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة.

ب-والصواب الذي لا ريب فيه أن الضمير عائد إلى الملائكة لورود الأحاديث الصحيحة بذلك[٢].

٧-قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [سبأ:٣٣].

والمعنى: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً، ونهاراً، وتغرونا، وتمنونا، وتخبرونا أنا على هدى، وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك كذب وباطل، فمكركم بالليل والنهار[٣].

٨-قال الله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩].

أ-أي: جاء الحق من الله، والشرع العظيم، وذهب الباطل، واضمحل كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء: ١٨].

ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، وجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن الصنم منها، ويقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٥١٢، وتفسير السعدي، ٦/٢٦٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥١٥، وتفسير السعدي، ٦/٢٧٦.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥١٨.

الْبَاطِلَ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[1].

ب-وزعم قتادة، والسدي أن المراد بالباطل هنا: إبليس، أي: أنه لا يخلق أحداً، ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك، وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد ههنا، والله أعلم[2].

٩- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

أي: لو ترى يا محمد، هؤلاء المكذبون إذ فزعوا فلا يفوتونني، فلا مفر لهم، ولا ملجأ، ولم يمكنوا من الهرب.

أ-قيل: المراد بذلك يوم القيامة، يعذبون من أول وهلة حين يخرجون من قبورهم، ولا يمكنون من الهرب.

ب-وقيل: عند نزول الموت بهم، وأخذهم من ظهر الدنيا.

جـ-وقيل: المراد به عذاب الدنيا، من ذلك ما حصل للمشركين في بدر.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلاً بذلك[3].

١٠-قال الله تعالى:﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ:٥٤].

أ-قيل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الإيمان.

ب-وقيل: التوبة، وهذا اختيار ابن جرير.

جـ-وقيل: الإيمان، والتوبة، والرجوع إلى الدنيا.

د-وقيل: وحيل بينهم وبين ما يشتهون من زهرة الحياة الدنيا من أهل، ومال، وولد، روي عن جماعة من الصحابة، وهو قول البخاري، وجماعة، والصحيح أنه لا منافاة بين القولين: فإنه قد حيل بينهم وبين ما يشتهون من شهواتهم في الدنيا: من أهل ،ومال، وولد، وزهرة، وحيل بينهم وبين ما تمنوه: من الرجوع إلى الدنيا للتوبة، والإيمان، فمنعوا منه[4].



(١) رواه البخاري، برقم ٤٢٨٧، ومسلم، برقم ١٧٨١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٢، وتفسير البغوي، ٣/٥٦٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٢، وتفسير البغوي، ٣/٥٦٣.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٣ وتفسير البغوي ٣/٥٦٣.

٣٥ -سورة فاطر

١-قال اللَّه تعالى:﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

أ-قيل: يزيد في الأجنحة ما يشاء، ومن ذلك جبريل له ستمائة جناح.

ب-وقيل: حسن الصوت.

جـ-وقيل: الملاحة في العينين.

د-وقيل: العقل والتمييز[(١)].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿.. وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

هو الشيطان: قال ابن عباس: لا يفتننكم الشيطان، ويصرفنكم عن اتباع الرسل؛ فإنه غرار كذاب، أفاك، وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان، وفي أول سورة الحديد[(٢)].

وانظر بعض الأقوال في ذلك في فوائد سورة لقمان.

٣-قال اللَّه تعالى:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

أ-إلى اللَّه ﷻ يصعد الكلم الطيب من قراءة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، ودعاء، وكل كلام حسن، يرفع إلى اللَّه تعالى، ويعرض عليه، ويثني اللَّه على صاحبه بين الملأ الأعلى، والعمل الصالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح يرفعه اللَّه تعالى إليه، كالكلم الطيب.

ب-وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب، بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى اللَّه تعالى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكلم الطيب ذكر اللَّه تعالى، يصعد به إلى اللَّه ﷻ، والعمل الصالح أداء الفريضة، فمن ذكر اللَّه تعالى في أداء فرائضه، حمل عمله ذكر اللَّه تعالى يصعد به إلى اللَّه ﷻ، ومن ذكر اللَّه تعالى، ولم يؤد فرائضه، رد كلامه على عمله، فكان أولى به، وكذا قال غير ابن عباس، كابن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسدي، والربيع بن أنس، وشهر بن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٣، وتفسير البغوي، ٣/٥٦٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٥.

حوشب، والحسن، وقتادة وغير واحد، وهو قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن . ..وليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً، وعمل غير صالح، رد الله عليه قوله، ومن قال حسناً، وعمل صالحاً، يرفعه العمل؛ ذلك لأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، فالهاء في قوله: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ راجعة إلى الكلم الطيب.

ج-وقيل: الهاء في قوله ﴿يَرْفَعُهُ﴾ راجعة إلى العمل الصالح، أي: الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي، ومقاتل.

فعلى هذا يكون ضمير ﴿يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: راجع إلى الله، وقيل: راجع إلى العمل الصالح، وقيل: إلى الكلم الطيب.

د-وهناك قول لسفيان بن عيينة: العمل الصالح الخالص، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات، من الأقوال، والأفعال لقوله ﷻ: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠]، فجعل نقيض الصالح: الشرك، والرياء.

قلت: وهذه الأقوال لم يذكر منها ابن كثير إلا القول الثاني الذي قال فيه البغوي: إنه قول أكثر المفسرين، أما القول الرابع، فهو داخل فيما تقدم؛ لأن العمل لا يكون صالحاً حتى يكون خالصاً صواباً على السنة، والله أعلم[(١)].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

أ-الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العمر الطويل في الكتاب، وفي علم الله لا ينقص من عمره، قال ابن جرير: وهذا كقولهم: عندي ثوب، ونصفه، أي: ثوب، ونصف ثوب آخر.

قال ابن عباس: يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر، والحياة، إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقضيت بذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٧، وتفسير البغوي، ٣/٥٦٦، وتفسير السعدي، ٦/٣٠٣.

الذي كتبت له، فذلك الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر، والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ..﴾ الآية.

ب-وقال بعضهم: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أي: ما يكتب من الأجل ﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾، وهو ذهابه قليلاً قليلاً، الجمع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة، وشهراً بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجمع معلوم عند الله تعالى.

واختار ابن جرير الأول، وقال ابن كثير: وهو كما قال[1].

٥-قال الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨].

أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم، وأكثر.

قال ابن مسعود ﷺ: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية.

وقال مالك: «إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب»، قال أحمد بن صالح المصري: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وإنما العلم الذي فرض الله ﷻ أن يتبع، فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة ﷺ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله «نور» يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري: كان يقال: العلماء ثلاثة:

عالم بالله، عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.

فالعالم بالله، وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى، ويعلم الحدود، والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله تعالى، ولا يعلم الحدود، والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود، والفرائض، ولا يخشى الله ﷻ[2].

٦-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٢٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣١-٥٣٢.

﴿لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

قسم الله هذه الأمة إلى ثلاثة أقسام:

ظالم لنفسه: وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

والمقتصد: هو المؤدي لجميع الواجبات، التارك لجميع المحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويرتكب بعض المكروهات.

والسابق بالخيرات: هو الذي فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، والمكروهات، وفعل المستحبات، وترك بعض المباحات.

قال ابن كثير رداً على من أخرج الظالم لنفسه من هذه الأمة، وأنهم هم أصحاب المشأمة، أو الكفار: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهذا اختيار ابن جرير[(١)].

٧-قال الله تعالى:﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧].

أ-قيل: هذا العمر سبعة عشر سنة.

ب-وقيل: عشرون سنة.

ج-وقيل: ثمان عشرة سنة.

د-وقيل: أربعون سنة.

هـ-وقيل: ستون سنة، **قال ابن كثير:** هذه أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه: «**أعذر الله ﷻ إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة**»[(٢)]، وهذا هو الغالب على هذه الأمة: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**»[(٣)].

٨-قال الله تعالى:﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧].

أ-روي عن ابن عباس، وغيره أنه الشيب.

ب-وقال السدي، وعبدالرحمن بن أسلم: يعني به رسول الله ﷺ، وهذا هو الصحيح عن قتادة، أنه قال: احتج عليهم بالعمر، والرسل، وهذا اختيار ابن جرير، قال ابن كثير: وهو الأظهر، وهو قول أكثر المفسرين[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣٤.

(٢) البخاري، برقم ٦٤١٩.

(٣) رواه الترمذي، برقم ٢٣٣١، وابن ماجه، برقم ٤٢٣٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٩٥٣.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣٨، وتفسير البغوي، ٣/٥٧٣.

ج-وقيل: القرآن، والصحيح القول الثاني، والقرآن داخل فيه.

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

أ-قيل: ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، أي: مكر العمل السيئ.

ب-وقيل: إن المكر هو السيئ بعينه، لا شيء آخر.

قال العلامة الشنيقطي رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي يظهر، واللَّه تعالى أعلم، أن التحقيق جواز إضافة الشيء إلى نفسه، إذا اختلفت الألفاظ، كما جزم به ابن جرير في تفسيره في غير هذا الموضع، فالذي يظهر هنا أنه لا حاجة إلى تأويله مع كثرته في القرآن، واللغة العربية، فالظاهر أنه أسلوب من أساليب العربية.

وقوله هنا: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، والمكر هو السيئ بدليل قوله: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾، وقوله: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ﴾[الأعراف: ١٦٩]، والدار هي الآخرة ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[البقرة: ١٨٥]، فالشهر هو رمضان ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، والحبل هو الوريد[(١)].

فائدة: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم، قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينجح حتى ينزل به: من مكر، أو بغي، أو نكث، وتصديقها في كتاب اللَّه تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾، ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[يونس: ٢٣]، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[الفتح: ١٠][(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: أضواء البيان، ١٠/٢٤٦-٢٤٨، وزبدة التفسير، ص٥٧٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣٩.

٣٦ -سورة يس

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد، عن الحسن، قال سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له» قال ابن كثير في تفسيره: إسناده جيد[١].

١-قال الله تعالى:﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧].

الظاهر أن هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: ١٣]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة[٢].

٢-قال الله تعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٨-٩].

الأغلال جمع غل، وهو جمع الأيدي إلى الأعناق، والمعنى: أنا جعلنا هؤلاء المحكوم عليهم بالشقاء، نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمحاً، والمقمح هو الرافع رأسه، وجعل الله من بين أيديهم سداً، ومن خلفهم سداً عن الوصول إلى الحق، والسد هو الحاجز الذي يسد طريق الوصول إلى ما وراءه، فأغشيناهم، أي: جعلنا على أبصارهم غشاوة، وجميع تلك الموانع مانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب، وما جعلها الله إلا بسبب مسارعتهم إلى تكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك بطمس البصائر، والختم على القلوب، والطبع عليها، والغشاوة

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/٥٤٠، وأخرجه في مسند أبي يعلى الموصلي، ١١/ ٩٣، برقم ٦٢٢٤، وضعفه محققه، والمسند الجامع، ١٧/ ٨٠٢، برقم ١٤٤٨٤، وفضائل القرآن للمستغفري، ٢/ ٦٠٦، برقم ٨٩٣، وجزؤه الأول في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٤/ ١٣٠، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، ١/ ٢٤٥.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٦٥٠.

على الأبصار؛ لأن من شؤم السيئات أن الله جل وعلا يعاقب صاحبها تماديه على الشر، والحيلولة بينه وبين الخير، جزاه الله بذلك على كفره جزاء وفاقاً.

وقول من قال: إن الأغلال المذكورة في هذه الآية هي الأغلال التي يعذبون بها في الآخرة، خلاف التحقيق، بل المراد بالأغلال هنا هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا[(١)].

٣-قال الله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

بين سبحانه وتعالى في هذه الآية أربعة أشياء:

١-أنه يحيي الموتى.

٢-أنه يكتب ما قدموا في دار الدنيا.

٣-يكتب آثارهم.

٤-أنه أحصى كل شيء في كتاب بين واضح.

وفي قوله تعالى: ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ وجهان من التفسير:

أ-نكتب آثارهم، وأعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضاً، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا كقوله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[(٢)].

ب-والوجه الثاني: خطاهم إلى الطاعات، أو المعاصي، كما ثبت في الحديث: «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم**»[(٣)] يعني: خطاكم.

وهذا القول لا تنافي بينه وبين القول الأول، بل هذا تنبيه، ودلالة على ذلك بطريق الأولى، والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب؛ فلأن تكتب

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٦٥٢-٦٥٤، وتفسير ابن كثير، ٣/٥٤٢.

(٢) رواه مسلم، برقم ١٠١٧.

(٣) رواه مسلم.

تلك التي فيها قدوة بهم من خير، أو شر بطريق الأولى، والله أعلم[(١)].

٤- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ...﴾ الآيات[يس: ١٣- ١٧].

أ-قيل: إن هذه القرية قرية أنطاكية، قاله كثير من السلف، وأن هؤلاء كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال ابن كثير: وفي ذلك نظر من وجوه ... ثم ساق الوجوه.

ب-وقيل: إن هذه قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف، وظاهر القصة أن هؤلاء كانوا رسل الله عَزَّوَجَلَّ، لا من جهة المسيح.

والصواب أن هذه القرية لم يثبت في تعيينها شيء، فيما أعلم، ولو كان في ذكرها بعينها فائدة لبينها الله تعالى، أو بينها رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والصواب أيضاً أن الرسل رسل الله، والله أعلم[(٢)].

٥-قال الله تعالى:﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧].

أ-الصواب أن المعنى: ومن الدلالات لهم على قدرة الله تعالى: خلق الليل والنهار، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا، فيذهب هذا، ويذهب هذا كقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**»[(٣)].

ب-وزعم البعض أن المعنى أنها كقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[الحج: ٦١]، وقد ضعف ابن جرير وغيره هذا القول، وقال إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا، وليس هذا مراداً في هذه الآية[(٤)].

٦-قال الله تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨].

في معنى قوله تعالى: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قولان لأهل العلم:

أ-المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض في

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٤٥٤-٤٥٦، وتفسير ابن كثير، ٣/٥٤٣-٥٤٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٤٧، وتفسير السعدي، ٦/٣٣٧-٣٣٨.

(٣) البخاري، برقم ١٩٤١، ومسلم، ١١٠١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٤٩.

ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش، وجميع المخلوقات؛ لأنه سقفها، وليس بِكُرَةٍ .. وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة، تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابل هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد، وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث .. فعن أبي ذر ﵁ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال ﷺ: «**يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟**» قلت: اللَّه ورسوله أعلم قال ﷺ: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾**»[1]، وفي رواية له عنه: «**مستقرها تحت العرش**».

ب- وقيل: مستقرها: هو انتهاء سيرها، وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ثم غاية انخفاضها في الشتاء، وهو نهاية هبوطها في الشتاء.

ج-وقيل: المراد بمستقرها الزماني: وهو منتهى سيرها، أي: إلى منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها، وتسكن حركتها، وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته.

د- وقيل: مستقرها هو سيرها إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع، فذلك مستقرها؛ لأنها لا تتجاوزها[2].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤٢].

أ-قيل: الإبل لأنها سفن الصحراء.

ب-وقيل: هي السفن التي من بعد سفينة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا أقوى والقولان لا تعارض بينهما، فاللَّه خلق هذا وهذا ...[3].

٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥].

أ-قال ابن عباس: ما بين أيديكم، يعني: الآخرة، ما خلفكم، يعني: من الدنيا، وما حصل فيها من الذنوب، فاحذروا، ولا تغتروا بها، معنى كلام ابن عباس.

(١) رواه البخاري، برقم ٣١٩٩، ومسلم، برقم ١٥٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٤٩، وتفسير البغوي، ٤/١٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٥١.

ب-وقيل: ما بين أيديكم: وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم: عذاب الآخرة[(١)].

٩-قال الله تعالى:﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس:٦٥].

ما ذكره تعالى في هذه الآية جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور: ٢٤]، وقوله تعالى في فصلت: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[فصلت: ٢٠][(٢)].

١٠-قال الله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[يس:٨٠].

أ-قيل: الذي خلق الشجر من ماء، حتى صار أخضر، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به كذلك، وهو فعّال لما يشاء.

ب-وقيل: المراد بذلك شجر المرخ، والصفار، ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار، وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء[(٣)].

١١- ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[يس: ٨٣].

أ-الملك والملكوت واحد: قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[المؤمنون: ٨٨]، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك: ١]، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورحموت، ورهبة ورهبوت، وجبر وجبروت.

ب-ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام، والملكوت عالم الأرواح، والصحيح القول الأول الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم[(٤)].



---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٥١، وتفسير البغوي، ٤/١٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٦٦٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٥٩.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٦٠.

٣٧ -سورة الصافات

قال اللَّه تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[الصافات:١-٤].

١- أ-أكثر أهل العلم على أن المراد بالصافات هنا، والزاجرات، والتاليات جماعات الملائكة، وقد جاء في وصف الملائكة أنهم صافون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[الصافات: ١٦٥- ١٦٦].

١-ومعنى كونهم صافين: أن يكونوا صفوفاً متراصين، بعضهم بجنب بعض، في طاعة اللَّه تعالى من صلاة وغيرها.

٢-وقيل: لأنهم يصفون أجنحتهم في السماء، ينتظرون أمر اللَّه، ومما يدل على صحة المعنى الأول حديث حذيفة عند مسلم أنه ﷺ قال: «**فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ... الحديث**»[(١)]، وقد روى مسلم أيضاً عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟**» قلنا: وكيف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: «**يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف**»[(٢)].

٢-﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾ قيل: الملائكة تزجر السحاب.

وقيل: تزجر الخلائق عن معاصي اللَّه تعالى بالذكر الذي تتلوه، وتلقيه إلى الأنبياء، فيكون المعنى: ما زجر اللَّه عنه في القرآن.

٣- ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾

أ- قيل: الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند اللَّه إلى الناس وهذا يدل على أنهم يلقون الذكر على الأنبياء لأجل الإعذار والإنذار به وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾[المرسلات: ٥-٦]؛ لأن الذكر الذي تتلوه تلقيه إلى الأنبياء، كما كان جبريل ينزل بالوحي على نبينا، وغيره من

---

(١) مسلم، برقم ٥٢٥.

(٢) مسمل، برقم ٤٣٠.

الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾، أي: لأجل الإعذار، والإنذار، وممن قال بأن الصافات، والزاجرات، والتاليات في أول هذه السورة هي جماعة الملائكة: ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، ومسروق، والسدي، والربيع بن أنس.

ب-وقيل: المراد بالصافات في الآية: الطير، تصف أجنحتها في الهواء.

جـ-وقيل: المراد بالصافات: جماعة المسلمين، يصفون في مساجدهم للصلاة، وفي غزوهم عند لقاء العدو.

د-وقيل: المراد بالزاجرات زجراً، والتاليات ذكراً: جماعات العلماء العاملين، يلقون آيات الله على الناس، ويزجرون عن معاصي الله بآياته، ومواعظه التي أنزلها على رسله.

هـ-وقيل: المراد بالزاجرات زجراً: جماعات الغزاة يزجرون الخيل؛ لتسرع إلى الأعداء.

والقول الأول أظهر، وأكثر قائلاً[(١)].

٤-قال الله تعالى:﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات:٥].

أفرد المشارق والمغرب في سورة البقرة: ﴿وَللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[البقرة:١١٥]، وثناهما في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن:١٧]، وجمعهما في سورة سائل: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[المعارج:٤٠]، وجمع المشارق في سورة الصافات هنا.

والجمع بين الآيات:

أ-الإفراد ﴿وَللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[البقرة: ١١٥] للشمس والقمر، فالمراد به جنس المشرق، والمغرب، وهو صادق بكل ما شرق من مشارق الشمس، وكل مغرب من مغاربها، اللذين هما ثلاثمائة وستون مشرقاً ومغرباً كذلك.

ب-التثنية ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن: ١٧] يعني: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء، ومغرب الصيف، كما عليه الجمهور، وقيل: مشرق الشمس والقمر، ومغربهما.

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٦٧١-٦٧٣، وتفسير ابن كثير، ٤/٣.

جـ-الجمع ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[المعارج: ٤٠]، قيل مشارق الشمس، ومغاربها التي هي ثلاثمائة وستون مشرقاً ومغرباً، كل يوم تشرق مع مشرق، وتغرب مع مغرب آخر إلى نهاية السنة[١].

٥-قال اللَّه تعالى:﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣].

أ-وأزواجهم: قيل: إخوانهم: أشباههم، أصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر .. أي: اجمعوا الظالمين ونظراءهم، وأشباههم.

ب-وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم، وهذا غريب، وخلاف الصواب[٢].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧].

١-نزه اللَّه سبحانه خمر الآخرة في الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا:

أ-من الصداع: كقوله تعالى: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا..﴾.

ب-ووجع البطن: وهو الغول ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ..﴾ وتذهب بالعقل جملة.

٢-وقيل: الغول صداع الرأس.

٣-وقيل: صداع الرأس ووجع البطن معاً.

٤-وقيل: لا تغتال عقولهم.

٥-وقيل: لا مكروه فيها ولا أذى.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الأقوال: والصحيح الأول، وهو قول مجاهد، وهو وجع البطن.

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧]

أي: لا تذهب عقولهم، قاله ابن عباس وجماعة.

وقال الضحاك عن ابن عباس: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر اللَّه تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال[٣].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٦/٦٧٦، و ١٠/٢٦-٢٧.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٦/٦٨١، وتفسير ابن كثير، ٤/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٧-٨، وتفسير البغوي، ٤/٢٧.

٨-قال الله تعالى:﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصافات:٤٥].

بكأس: إناء فيه شراب، ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء.

من معين: من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض، فالخمر تجري في الجنة ظاهرة، تراها العيون، والمعين الماء الجاري[(١)].

٩-قال الله تعالى:﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩].

أ-قيل: كأنهن بياض البيض حين تنزع قشرته واختاره ابن جرير.

ب-وقيل: كأنهن بيض محصن، لم تمسه أيدي.

جـ-وقيل: بطن البيض، والله أعلم، والمكنون هو المستور[(٢)].

١٠-قال الله تعالى:﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١] .

أ-أي: قال قائل من أهل الجنة يحادثهم: إني كان لي قرين مشرك من أهل الدنيا، قاله ابن عباس.

ب-وقيل: كان له قرين، أي: شيطان.

ولا تنافي بين القولين، فإن الشيطان يكون من الجن، فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس، فيقول كلاماً تسمعه الآذان، وكلاهما يتعاونان على الباطل[(٣)].

١١-قال الله تعالى:﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣].

أ-قيل: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: لمحاسبون، قاله مجاهد، والسدي.

ب-وقيل: لمجزيون بأعمالنا، قاله ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، وكلا القولين صحيح[(٤)].

١٢-﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

أ-قيل: هذا من كلام أهل الجنة حكاه الله عنهم.

ب-وقيل: هو من كلام الله تعالى، ومعناه: لمثل هذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصيروا إليه في الآخرة[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٨، وتفسير البغوي، ٤/٢٧، وزبدة التفسير، ص٥٨٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٨، وتفسير البغوي، ٤/٢٧.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٩، وتفسير البغوي، ٤/٢٨.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٩.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٩.

١٣-قال الله تعالى:﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات:٦٢].

أ-قيل: شياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، ولهذا كانت العرب إذا وصفوا شيئاً قبيح المنظر قالوا: كأنه شيطان؛ وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرطبي.

ب-وقال بعضهم: أراد بالشياطين: الحيات والعرب تسمي الحية قبيحة المنظر شيطاناً.

ج-وقيل: هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رؤوس الشياطين.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد أن ذكر هذه الأقوال: «والأول أقوى وأولى، والله أعلم»(١).

١٤-قال الله تعالى:﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات:٨٧].

أ-قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يُذكر بخير، أي: أبقى الله له ذكراً حسناً، وثناءً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء، والأمم.

ب-وقال الضحاك: السلام، والثناء الحسن(٢).

واختار الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الصحيح أن الذي تركه سبحانه على رسله في الآخرين في هذه السورة، هو: السلام عليهم المذكور(٣).

١٥-قال الله تعالى:﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩].

الحديث الذي رواه ابن جرير بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «**لم يكذب إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **إلا ثلاث كذبات قوله** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ **وقال للملك حين قال عن امرأته هي أختي**» رواه أهل السنن(٤)، ولكن هذا ليس من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني(٥).

١٦-قال الله تعالى:﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٢، وتفسير البغوي، ٤/٢٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٣، وتفسير البغوي، ٤/٣٠.
(٣) انظر: التفسير القيم ص٤١٢.
(٤) انظر: صحيح البخاري، برقم ٥٠٨٤، ومسلم، برقم ٢٣٧١، وأحمد، ١٥/ ١٣١، برقم ٩٢٤١، والترمذي، برقم ٣١٦٦، سنن النسائي الكبرى، برقم ٨٣٧٥.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٤.

هذا الغلام هو إسماعيل، وهو أول ولد، بشر به إبراهيم، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين[١].

١٧-قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ..﴾ [الصافات:١٠٤].

اختلف في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم في المنام بذبحه:

أ-قيل: هو إسحاق، قاله جماعة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة، وليس ذلك في كتاب، ولا سنة ثابتة، وهذا متلقى من أحبار أهل الكتاب.

ب-وقد دل القرآن العظيم في موضعين أن الذبيح إسماعيل:

١-في الصافات: وهي هذه الآية.

٢-في هود ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١].

فهذا دليل على أن الذبيح هو إسماعيل، لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق وأن إسحاق يلد يعقوب فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب.

وفي آية الصافات بعد أن ذكر قصة رؤيا إبراهيم وتله لابنه للجبين، ذكر بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى:

١٨- ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء القصة لذبحه يقول أيضاً: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ فهو تكرار لا فائدة فيه، ينزه عنه كلام الله تعالى، وهو واضح أن الغلام المبشر به أولاً الذي فُدي بالذبح العظيم، وهو إسماعيل بلا شك[٢].

ومعلوم أن العطف في اللغة العربية يقتضي المغايرة، فآية الصافات دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل، لا إسحاق، ويستأنس لهذا أن المواضع التي ذكر فيها إسحاق عبَّر في كلها بالعلم، لا الحلم، وهذا الغلام

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٥.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٦ وأضواء البيان، ٦/٦٩٢.

الذبيح وصفه بالحلم، لا العلم[1].

١٩-قال الله تعالى:﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الصافات:١٠٨-١٠٩]، وقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[الصافات: ١١٩- ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[الصافات: ٣٠].

قال **الإمام ابن القيم** رحمه الله: الذي تركه سبحانه على رسله في الآخرين هو السلام عليهم المذكور.

وقلت: وكان ما ذكر من الأقوال في ذلك ما يأتي:

أ-قيل: الذي تركه في الآخرين هو الذكر الحسن والثناء الجميل.

ب-قيل: الذي تركه في الآخرين هو السلام عليهم المذكور في الآية، فهم يسلمون عليهم، ويثنون عليهم.

جـ-وقيل في قوله: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ٧٩]، ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الصافات: ١٠٩]، ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[الصافات: ١٢٠]، ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[الصافات: ١٣٠]، أي سلام منا أي سلام من الله سلم به عليهم.

ولكن **الإمام ابن القيم** رحمه الله تعالى اعترض على هذا التقسيم، فقال: فالذي تركه سبحانه على رسله في الآخرين هو السلام عليهم المذكور وقد قال جماعة من المفسرين: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾[الصافات: ١٢٩] الثناء الحسن، ولسان صدق الأنبياء كلهم، ولا ينبغي أن يحكى هذا قولان للمفسرين، كما يفعله من ليس له عناية بحكاية الأقوال، بل هما قول واحد، فمن قال: إن المتروك هو السلام عليهم، فلا ريب أن قوله: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، والمعنى أن العالمين يسلمون على نوح، ومن بعده من الأنبياء.

ومن فسره بلسان الصدق، والثناء الحسن، نظر إلى لازم السلام، وموجبه إذا ذكروا سُلِّم عليهم.

وزعمت طائفة أن قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ أي: سلام منا، أي: من الله سلم به عليه.

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٦/٦٩٢.

واعترض **الإمام ابن القيم** على ذلك، ورده من عدة وجوه خمسة، وحقق أن المعنى الصحيح هو قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ جملة محكية، أي: تركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ يعني: يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له ...

ثم قال في قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ .. أخبر سبحانه أن هذا السلام عليه في العالمين، ومعلوم أن هذا السلام فيهم هو سلام العالمين عليه، كلهم يسلم عليه، ويثني عليه، ويدعو له ... وأما سلام الله عليه، فليس مقيداً بهم؛ ولهذا لا يشرع أن يسأل الله تعالى مثل ذلك، فلا يقال: السلام على رسول الله في العالمين، ولا اللهم سلم على رسولك في العالمين ...[1].

٢٠-قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٢٣]، ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

ذكر المفسرون أقوالاً في قوله تعالى: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾.

قال **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ في هذه الآية قراءتان:

أ-﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ بوزن إسماعيل.

ب-القراءة الثانية: ﴿سلام على آل ياسين﴾، ثم ذكر أوجه المعاني، وبعد أن ذكر الأقوال في معنى القراءتين، قال: وهذه الأقوال كلها ضعيفة .. ثم قال: والصواب، والله أعلم في ذلك أن أصل الكلمة (آل ياسين)، كآل إبراهيم، فحذفت الألف، واللام من أوله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم على موضع الحذف، وهذا كثير في كلامهم، إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها، فحذفوا منها ما لا بأس بحذفه؛ ولهذا يحذفون النون من إني، وأني، ولكني، ولا يحذفونها من ليتني، ولما كانت اللام في (لعل) شبيهة بالنون، حذف النون معها، ولاسيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي، وتغييرها له، فيقولون مرة: إلياسين، ومرة: إلياس، ومرة: ياسين، وربما قالوا: ياس.

ويكون على إحدى القراءتين قد وقع السلام عليه، وعلى القراءة الأخرى على آله[2].

---

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٤١٢-٤١٧.

(٢) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٤١٧-٤١٨.

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾، كما يقال في إسماعيل: إسماعين، وهي لغة بني أسد، ويقال في ميكال: ميكائيل، وميكائين، وإبراهيم، وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين، وطور سيناء وطور سينين، وهو موضع واحد، وكل هذا سائغ[1].

٢١-قال الله تعالى:﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

أ-قيل: فلولا ما تقدم له من العمل في الرخاء، وفي الحديث «**تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» واختار هذا القول ابن جرير.

ب- وقيل: المعنى: فلو أنه كان من المصلين قبل ذلك.

ج-وقيل: المراد بذلك قوله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

وهذه الدعوة ما دعا بها مسلم قط إلا استجاب الله له، كما بين ذلك النبي ﷺ[2].

٢٢-قال الله تعالى:﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات:١٤٦].

اليقطين: هو القرع، وهو كالإجماع من المفسرين، ذكر البغوي أنه قول جميع المفسرين، وذكر بعضهم للقرع، وهو الدباء فوائد، منها:

١-سرعة نباته، وتظليل ورقة لكبره، ونعومته.

٢-وأنه لا يقربها الذباب.

٣-وجودة تغذية ثمره.

٤-وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً، وقشره أيضاً.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب الدباء، ويتتبعه من نواحي الصحفة[3].

فائدة: قال سبحانه: ﴿لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[القلم: ٤٩].

فهل هذا يدل على أنه لم ينبذ بالعراء.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢١/٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢٣/٤ و١٨٧/٣-١٨٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٢٣/٤، وتفسير البغوي ٤٣/٤.

قيل: لولا في ذاك الموضع يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه، لنبذ بالعراء، وهو مذموم، لكن تداركته النعمة، فنبذ، وهو غير مذموم ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾[الصافات: ١٤٥]، والعراء الأرض الخالية من الشجر والنبات[١].

٢٣-قال الله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

أ-حكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من بطن الحوت، كانوا مائة ألف، أو يزيدون.

ب-وقيل: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعودة إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم، وآمنوا به[٢].

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾

أ-قيل: معناه بل يزيدون. وذكر البغوي أنه قول الأكثر: أي ويزيدون.

ب-وقيل: ﴿أَوْ﴾ هنا على أصلها، كما قال الزجاج، وبعض أهل العربية من أهل البصرة، ومعناه: أو يزيدون على تدبركم، وظنكم، كالرجل يرى قوماً فيقول: هؤلاء ألف، أو يزيدون، فالشك على تقدير المخلوقين.

ولهذا سلك ابن جرير ها هنا ما سلكه عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة: ٧٤]، وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[النساء: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[النجم: ٩]، المراد ليس أنقص من ذلك، بل أزيد، قوله تعالى ﴿فَآمَنُوا﴾ أي: آمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جميعهم، فمتعهم الله إلى وقت آجالهم، كقوله جلت عظمته: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[يونس: ٩٨][٣].

٢٤-قال الله تعالى:﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات:١٥٩-١٦٠].

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/٤٣.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٢٣، وتفسير البغوي، ٤/٤٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٢٣، وتفسير البغوي، ٤/٤٣.

أ-قيل: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به؛ لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله، ولذلك كانوا مخلصين، وهو استثناء منقطع، أي: فإنهم ينزهون ربهم، ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

ب-وقيل: هذا الاستثناء من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[الصافات: ١٢٧-١٢٨]، أي: هذا الاستثناء من المحضرين يعني أنهم، أي: عباد الله المخلصين، لا يحضرون، قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وهذا فيه نظر والله سبحانه وتعالى أعلم.

قلت: والقول الأول هو الذي اختاره السعدي، ولم يذكر غيره، ومال إليه ابن كثير[١].



---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٢٤، وتفسير البغوي ٤/٤٥، وتفسير السعدي ٦/٤٠٢، وتفسير الجلالين ص٥٩٦، وتفسير الجزائري ٣/٦٩٨ وكلهم اختاروا القول الأول إلا البغوي.

٣٨ -سورة ص

١-قال اللَّه تعالى:﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[ص:١-٢].

﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ له وجهان من التفسير عند العلماء:

أ-الذكر بمعنى الشرف والشأن والمكانة قاله ابن عباس ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف: ٤٤] على أحد القولين.

ب-وقيل: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ بمعنى التذكير؛ لأن القرآن العظيم فيه التذكير، والمواعظ، ففيه ذكر للعباد، ونفع لهم في الدنيا والآخرة، وهذا القول قول الجمهور، واختاره ابن جرير.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا منافاة بين القولين؛ فإنه كتاب شريف، مشتمل على التذكير، والإعذار، والإنذار[(١)].

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾

اختلف العلماء في جواب هذا القسم، وهو الشيء الذي أقسم عليه:

أ-فقيل: المقسم عليه مذكور غير محذوف، واختلفوا في تحديده، وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط، وهي كالتالي:

١-فقيل: هو ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[ص: ٦٤].

٢-وقيل: المقسم عليه ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾[ص: ٥٤].

٣-وقيل: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[ص: ١٤].

٤-وقيل: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[ق: ٣٦].

٥-وقيل: هو قوله: ﴿ص﴾ قالوا: معنى ذلك: صدق رسول اللَّه، والقرآن ذي الذكر.

٦-وقيل: المعنى: هذه ﴿ص﴾ السورة التي أعجزت العرب.

ب-وقيل: المقسم عليه محذوف، واختلفوا في تقديره كذلك على أقوال، منها:

١-قيل: الجواب محذوف، وتقديره ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إنه لمعجز.

٢-وقيل: تقديره: ما لأمر كما يقول الكفار من أن النبي ﷺ ساحر،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٢٧، وأضواء البيان، ٧/٨.

وشاعر، وكاهن، وكاذب ..

ورجح **العلامة الشنقيطي** رحمه الله هذا القول الثاني، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل ثلاثة أشياء متلازمة:

-**أن النبي** ﷺ مرسل من الله حقاً وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً﴾[الرعد: ٤٣].

-**أن الإله جل وعلا** واحد، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قولهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥].

-**أنه** عز وجل يبعث من يموت، وليس الأمر كما يقول الكفار في قولهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾[النحل: ٣٨] [١].

٢-قال الله تعالى:﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢].

أي: في حمية، واستكبار عن قبول الحق ... والظاهر أن وجه إطلاق العزة على الحمية والاستكبار أن من اتصف بذلك كأنه ينزل نفسه منزلة الغالب القاهر، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن أصل العزة في لغة العرب الغلبة، والقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، والدليل على أن العزة التي أثبتها الله للكفار، هي بالمعنى المذكور: «الحمية والإثم»، قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[البقرة: ٢٠٦]، والشقاق: المخالفة، وشق العصا، والعناد[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

أولاً: ذكر الله عز وجل في هذه الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أنه تعالى أهلك كثيراً من القرون الماضية، يهدد كفار مكة بذلك.

المسألة الثانية: أن هؤلاء الأمم نادوا حين معاينة أوائل الهلاك، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، إلى قوله : ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[الأنبياء: ١٢-١٤]، وغير ذلك من ندائهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وندائهم بأنهم آمنوا.

المسألة الثالثة: أن ذلك الوقت الذي هو وقت معاينة العذاب، ليس

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٧/٨-١٢، وتفسير ابن كثير، ٤/٢٧.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٧/١٢-١٤.

وقت نداء، فهو وقت لا ملجأ فيه، ولا مفر من الهلاك بعد معاينته(١).

ثانياً: قوله تعالى في هذه الآية ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ الذي هو داخل في المسألة الثالثة.

-قال الله تعالى:﴿فَنَادَوْا﴾ استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة.

-قال الله تعالى:﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين الذي نادوا فيه ـ وهو وقت معاينة العذاب ـ حين فرار، والمناص: الفرار، والملجأ، أي: ليس حين فرار، ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

﴿وَلاتَ﴾ بمعنى ليس بلغة أهل اليمن. قاله البغوي.

﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ والمناص: مصدر ناص ينوص، وهو الفرار، والتأخر، يقال: ناص ينوص، إذا تأخر، وباص يبوص، إذا تقدم.

وأصوب الأقوال التي ذكرت في ﴿وَلاتَ﴾ أن التاء منفصلة عن حين، وأنها تعمل عمل ليس(١).

٤-قال الله تعالى:﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ [ص:٧].

أ-قيل المعنى: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، أي: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في دين قريش، قال ذلك: مجاهد، وقتادة، وأبو زيد.

ب-وقيل: المعنى: ما سمعنا بهذا في ملة النصرانية؛ لأنها آخر الملل قبل النبي ﷺ، وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة(٢).

٥-قال الله تعالى:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص:١٦] .

أ-قيل: يدعون على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القط هو النصيب، أي: عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي توعدنا به، فهم سألوا تعجيل العذاب، كما قال سبحانه عنهم: ﴿قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: ٣١].

ب-وقيل: سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة، إن كانت موجودة؛ ليحصلوا على ذلك في الدنيا، وخرج هذا منهم مخرج الاستبعاد، والتكذيب.

---

(١) انظر التفصيل الجيد في ذلك أضواء البيان، ٧/١٤-١٧.

(١) انظر :أضواء البيان، ٧/١٧-١٨، وتفسير البغوي، ٤/٤٧-٤٨، وتفسير ابن كثير، ٤/٢٧-٢٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٢٩، وتفسير البغوي، ٤/٤٩.

ج-وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير، أو الشر في الدنيا، قاله ابن كثير، وهذا الذي قاله جيد، وعليه يدور كلام الضحاك، وإسماعيل ابن أبي خالد، والله أعلم[١].

٦-قال الله تعالى:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧].

ذو الأيد: القوة في العلم، والعمل، فقد أعطي قوة في الطاعة، وفقهاً في الإسلام، وقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما ثبت في الأحاديث: يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان لا يفر إذا لاقى، وكان أوّاباً.

ففي الصحيحين عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله** ﷻ **صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أواباً**»[٢].

٧-قال الله تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠].

قوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي: جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك، وقويناه بالحرس، والجنود، وبما أعطيناه من الأسباب، وكثرة العَدد، والعُدد التي بها قوّى الله بها ملكه.

قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ الفهم، والعقل، والعدل، والصواب، والنبوة.

قوله: ﴿ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾:

١-وهو علم الحكم، والتبصر في القضاء، وبيان الكلام.

٢-وقيل: هو أن البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، وإصابة القضاء، وفهم ذلك، والفصل في الكلام، والحكم بين الناس، وفصل الخطاب يشمل هذا كله، وقد روى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي موسى رضي الله عنه قال: «**أول من قال أما بعد داود** عليه السلام **وهو فصل الخطاب**»[٣].

٨- قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ... وَإِنَّ

---

(١) انظر :أضواء البيان، ٧/٢٣-٢٤، وتفسير ابن كثير، ٤/٣٠، وتفسير البغوي، ٤/٥٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٣١، وتفسير البغوي، ٤/٥١، والحديث أخرجه البخاري، برقم ١١٣١، ومسلم، برقم ١١٥٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٣١-٣٢، وتفسير البغوي ٤/٥١-٥٢، والحديث في الأوائل للطبراني، ص ٦٨، برقم ٤٠، و الأوائل لابن أبي عاصم، ص ١١٤، برقم ١٩١، وقال في فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٤٥٦: «أخرجه بن أبي حَاتِم وَذكر عَن بن جَرِير بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ مِثْلَهُ».

﴿لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. .. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً[1].

١١- قال الله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

عرض على سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حال مملكته، وسلطانه: الخيل الصافنات، قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث، وطرف حافر الرابعة، والجياد: السراع، وكذا قال غير واحد من السلف.

١٢- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[ص: ٣٢]

ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها، حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب.

ويحتمل أنه كان سائغاً في ملة سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال، وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً، فنسخ ذلك بصلاة الخوف، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة، والمضايقة؛ حيث لا تمكن صلاة، ولا ركوع، ولا سجود، كما فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في فتح تستر .. قاله **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

ولكن سمعت **العلامة ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ يرجّح جواز تأخير الصلاة عند الحاجة الماسة، كما فعل الصحابة في فتح تستر.

قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

أ-قيل: إنه قال: لا والله، لا تشغلني عن عبادة ربي، فأمر بعقرها.

ب-وقيل: جعل يمسح على أعرافها، وعراقيبها حباً لها، وهذا القول اختاره ابن جرير؛ لأنه لم يكن يعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الذي رجح ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٣٢.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٣٢.

في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله؛ .. ولهذا لما خرج عنها لله تعالى، عوضه الله ﷻ ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره؛ حيث أصاب، غدوها شهر، ورواحها شهر، فهذا أسرع، وخير من الخيل، فعن أبي قتادة، وأبي الدهماء، وكانا يكثران السفر نحو البيت، قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال لنا البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ، فجعل يعلمني مما علمه الله ﷻ، وقال: «**إنك لا تدع شيئاً اتقاءً لله تعالى إلا أعطاك الله ﷻ خيراً منه**»[1].

١٢-قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

أ-ذكر أن سليمان سلب، وذلك أن الشيطان أخذ خاتمه، وحكم الناس، وجلس على مجلس سليمان، فحكم أربعين يوماً، وسليمان تائه، وللأسف أن أكثر المفسرين ذكر هذا.

ب-وقيل: أنه أقسم أن يطوف على تسعين امرأة، تلد كل واحدة رجلاً يجاهد في سبيل الله، فلم يلد إلا نصف إنسان، فألقي على كرسي سليمان، والعلم عند الله ﷻ[2].

١٣-قال الله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

أمر الله أيوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يركض الأرض برجله ففعل، فأنبع الله تعالى له عيناً، وأمره أن يغتسل منهما، فأذهبت ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت جميع ما في بطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً[3].

١٤-قال الله تعالى:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

الضغث: هو الشمراخ، فهي مائة عود صغير.

وكان قد حلف أن يضرب زوجته مائة جلدة لأمر فعلته، فلما شفاه الله، وعافاه، وقد خدمته زوجته، وعطفت عليه، ما كان جزاء الإحسان إلا الإحسان، فأمره الله ﷻ أن يأخذ ضغثاً فيضربها به مرة واحدة، وقد برت يمينه، وخرج من حنثه[4].

١٥-قال الله تعالى: ﴿أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٣٤/ ٣٤٢، برقم ٢٠٧٣٩، وصحح إسناده محققو المسند. انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٤-٣٥.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦، والبغوي، ٤/ ٦١، ذكر القول الأول والثاني زبدة التفاسير، ص٦٠١، ومختصر الطبري، ص٥١٦، وتفسير السعدي، ٦/ ٤٢٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٠.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٤١، وتفسير البغوي، ٤/ ٦٦.

﴿ أُوْلِي الأَيْدِي﴾ أي: القوة في العبادة، والطاعة.
﴿وَالأَبْصَارِ﴾ أي: البصيرة النافذة، أي: المعرفة بالله، والمعنى البصائر في الدين[١].
١٦-قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢].
أي: قال: صناديد قريش، وهم في النار، ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار، يعنون: فقراء المؤمنين: عماراً، وخباباً، وصهيباً، وسلمان ﷺ ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٣]، أي: هل اتخذناهم سخرياً في الدار الدنيا، وكانوا أهل الكرامة فأخطأنا، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾، أي: أو هم في النار معنا، ولكن احتجبوا عن أبصارنا، ولم تقع أبصارنا عليهم.
وهذا ضرب مثل، وإلا فكل كافر هذا حاله، يعتقد أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار، افتقدوهم فلم يجدوهم[٢].
١٧-﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩].
فسر هذا الاختصام بقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ...﴾ [ص: ٧١]، والمعنى لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى، يعني في شأن آدم، وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه[٣].
١٨-قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].
قال ابن مسعود ﷺ: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم؛ فإن الله ﷻ، قال لنبيكم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[الزمر: ٨٦][٤].
١٩-﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧-٨٨]
أي: القرآن الكريم ذكر لجميع المكلفين من الجن والإنس.
قوله تعالى:﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: أي: خبره، وصدقه، لتعلمن ذلك بعد الموت يوم القيامة[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٤١، وتفسير البغوي، ٤/٦٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٤٣، وتفسير البغوي، ٤/٦٨.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٤٤، وتفسير البغوي، ٤/٦٨.
(٤) أخرجه البخاري ومسلم. انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٤٥.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٤٥.

٣٩ - سورة الزمر

١-قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:١٨]

أظهر الأقوال في القول إن المراد به ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة، وفي إطلاق القول على القرآن، قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[المؤمنون: ٦٨]، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[الطارق: ١٣- ١٤].

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي: يقدمون الأحسن الذي هو أشد حسناً على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[الزمر: ٥٥]، ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: ١٤٥]، وكون القرآن فيه الأحسن، والحسن، قد دلت عليه آيات كثيرة.

ولا شك أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلاً قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧]، قدموا فعل الخير الواجب على فعل الخير المندوب، وقدموا فعل هذا الأخير على مطلق الحسن الذي هو جائز، ولذا كان الجزاء بخصوص الأحسن الذي هو الواجب، والمندوب لا على مطلق الحسن، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الزمر: ٣٥].

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن، وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[الشورى: ٤١]، مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣]، قال الله تعالى:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ ثم أرشد إلى الأحسن بقوله ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[الشورى: ٤٠]، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، ثم أرشد إلى الأحسن في قوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾[المائدة: ٤٥].

وغير ذلك من الأقوال التي منها:

أ-﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن، ويترك القبيح، فلا يتحدث به.

ب-وقيل: يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن.

جـ-وقيل: المراد بأحسن القول: لا إله إلا الله ...[١].

٢-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ...﴾ [الزمر:٢٣].

أ-قيل: القرآن كله متشابه، مثاني.

ب-وقيل: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

جـ-وقيل: مثاني: ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى.

د-قيل: تكون السورة فيها آية، في السورة الأخرى تشبهها.

هـ-وقيل: مثاني: مردد: ردد موسى في القرآن، وصالح، وهود، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة.

و-وقيل: ﴿مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾ إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد، فهذان من المتشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين، ثم الكافرين، وكصفة الجنة والنار، وما أشبه هذا، فمن المثاني أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد، يشبه بعضه بعضاً، فهو المتشابه، وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران: ٧]، فذاك معنى آخر[٢].

٣-قال الله تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]

هذه الآية، وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة؛ فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا؛ فإنه تعاد عليهم الخصومة مرة أخرى في الدار الآخرة، وحتى الجسد والروح يكون بينهما خصومة يوم القيامة، والظالم، والمظلوم، والصادق، والكاذب، والمهتدي، والضال، والضعيف، والمستكبر ... [٣].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

أ-قيل: الذي جاء بالصدق هو رسول الله، وقيل: هو جبريل ﴿وَصَدَّقَ

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٧/٤٧-٥٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٥٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٥٤.

بِهِ﴾ قيل: هو رسول اللَّه محمد ﷺ.

ب-وقيل: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني أتباعه المؤمنون.

جـ-وقيل: أهل القرآن المؤمنون، يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا، وهذا القول يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمنين يقولون الحق، ويعملون به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية، فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه. وهذا على القول بهذا القول(١).

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩].

اختلف العلماء بالمراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقيل:

أ-هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا، واستدل من قال هذا بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: ٢١].

ب-وقيل: الشهداء أمة محمد ﷺ، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: ١٤٣].

جـ-وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل اللَّه تعالى.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأظهر الأقوال عندي أن الشهداء هم الرسل من البشر الذين أرسلوا إلى الأمم؛ لأنه لا يقضي بين الأمم حتى يأتي رسولها، كما قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[يونس: ٤٧]، فصرح سبحانه بأنه يسأل الرسل من البشر عن ما أجابتهم به أممهم، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٩]، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[الأعراف: ٦](٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٥٥.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٧/٦٢، وتفسير ابن كثير، ٤/٦٦، وتفسير البغوي ٤/٨٨.

٤٠ - سورة غافر

عن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني من سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن بيّتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون» قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: رواه أبو داود، وهذا إسناد صحيح[(١)].

ومعنى «حم لا ينصرون» أي: إن قلتم ذلك: لا ينصرون جعله جزاء لقوله فقولوا[(٢)].

١-قال اللَّه تعالى:﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[غافر:٣].

انظر قصة عجيبة وقعت لعمر بن الخطاب مع بعض أهل الشام في تفسير ابن كثير[(٣)].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ...﴾ [غافر:١١].

الصواب الذي لا شك فيه، ولا مرية أن هذه الآية كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:٢٨].

فالموتة الأولى: كونهم في بطون أمهاتهم: نطفاً، وعلقاً، ومضغاً قبل نفخ الروح فيه.

والإماتة الثانية: هي خروج أرواحهم من أجسادهم، وصيرورتهم إلى قبورهم.

والإحياءة الأولى: هي نفخ الروح فيهم في الحياة الدنيا.

والإحياءة الثانية: بعثهم من قبورهم إلى الحساب والجزاء[(٤)].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ...﴾ [غافر:١٥] .

هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة، وهو قول جماعة من السلف، والخلف، وهو الأرجح، إن شاء اللَّه تعالى[(٥)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ..﴾ [غافر: ١٥].

---

(١) أبو داود، برقم ٢٥٩٩، ولفظه: «إِنْ بُيِّتُّمْ فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ حم لاَ يُنْصَرُونَ»، ومسند أحمد، ٣٨/ ٢٥٣، برقم ٢٣٢٠٤، وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، ٧/ ٣٤٧، برقم ٢٣٣٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٧١.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/٧١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٧٤، وأضواء البيان، ٧/٧٢.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٧٦.

يوم التلاقي من أسماء يوم القيامة.

أ-قيل: يلتقي آدم وآخر ولده.

ب-يلتقي فيه العباد.

ج-وقيل: الظالم والمظلوم.

د-وقيل: يلتقي أهل السماء، والأرض، والخالق، والمخلوق.

وقد يقال إن يوم التلاقي يشمل هذا كله، وأن كل عاقل سيلقى عمله من خير وشر[١].

٥-قال الله تعالى:﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ..﴾ [غافر:١٨].

لدى: بمعنى عند، والحناجر جمع حنجرة، وهي معروفة، ومعنى كون القلوب عند الحناجر في ذلك الوقت فيه وجهان للمفسرين، هما:

أ-قلوبهم يومئذٍ ترتفع من أماكنها في الصدور حتى تلتصق بالحلوق، فتكون لدى الحناجر، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا، وهذا القول هو ظاهر القرآن.

ب-وقيل: المعنى بيان شدة الهول، وفظاعة الأمر.

ومعنى كاظمين: مكروبين، ممتلئين خوفاً، وغماً، وحزناً، وساكتين[٢].

٦-قال الله تعالى:﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...﴾ [غافر: ٢٨].

أ- التحقيق أن هذا الرجل المؤمن من آل فرعون، كان قبطياً.

ب-أما من قال إنه كان من بني إسرائيل، وهو مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، فهو خلاف التحقيق[٣].

وهذا يدل على فضل الإيمان، وفضل صاحبه، فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال، هم:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٧٦/٤.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٨١/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٧٩/٤، وأضواء البيان، ٨٥/٧.

١-مؤمن آل فرعون هذا.

٢-مؤمن آل ياسين.

٣-وأبو بكر الصديق حينما قال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ كما في البخاري[1].

٧-قال الله تعالى:﴿لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ..﴾ [غافر:٤٣].

أ-حقاً أن لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ب-وقيل: حقاً إن الوثن لا ينفع، ولا يضر، وليس له شيء[2].

٨-قال الله تعالى:﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب القبر، وفي البرزخ[3].

٩-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾[غافر:٧٩].

لفظة جعل تأتي في اللغة العربية لأربعة معانٍ:

١-جعل بمعنى اعتقد ومنه ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[الزخرف:١٩].

٢-جعل بمعنى صيّر: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾[الأنبياء:١٥].

٣-جعل بمعنى خلق: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام:١].

وهذه الأحوال جاءت في القرآن الكريم كما ترى.

٤-جعل بمعنى شرع: وهو الذي ليس في القرآن ومنه قوله:

وجعلت إذا ما قمت يثقلني ... ثوبي فأنهض نهض الشارب السَّكِرِ[1]



(١) البخاري، برقم ٣٨٥٦، وانظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، ٤/٨٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٨٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٨٣.
(١) انظر: أضواء البيان، ٧/٩٩.

٤١ -سورة فصلت

١-قال اللَّه تعالى:﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:٩-١٢].

خلق اللَّه الأرض في يومين، وهما: الأحد، والإثنين، وجعل رواسي جبالاً ثوابت من فوقها، وبارك فيها، وذلك بما خلق فيها، وأنه جعلها قابلة للخير، والبذر، والغراس، وقدر فيها أقواتها، وهو ما يحتاجه أهلها من الأرزاق، وغير ذلك في الثلاثاء، والأربعاء، أي: خلق ذلك سبحانه في هذين اليومين، فهما مع اليومين السابقين أربعة أيام، فقوله : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في تتمة أربعة أيام، فرد الآخر على الأول، كما تقول: تزوجت أمس امرأةً، واليوم اثنتين، وإحداهما هي التي تزوجتها بالأمس.

قوله: ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾: أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه، فهي له سواء، لا زيادة فيها، ولا نقصان.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد، وعمد، فقضاهنّ سبع سموات في يومين، أي: أتمهن فرغ من خلقهن في يومين، وهما: الخميس، والجمعة، فكان جميع الخلق في ستة أيام، كما جاء ذلك في النصوص القاطعة الصريحة في القرآن والسنة.

وكيفية الجمع بين آية النازعات، وفصلت واضح بحمد اللَّه، فإنه سبحانه قال في النازعات: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[النازعات: ٢٧- ٣٢]، وقال سبحانه في فصلت بعد أن ذكر

خلق الأرض، وتقدير الأقوات فيها: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إلى السماء﴾ إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ..﴾ فالجمع بين هاتين الآيتين كالآتي:

لا شك أن خلق الأرض قبل السماء، لكنها غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبعاً في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها، ومرعاها، والجبال أرساها، فهو سبحانه، قال : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[النازعات: ٣٠]، ولم يقل خلقها.

وأما الجمع بين ذلك، أي: خلق الأرض أولاً، ثم دحوها بعد خلق السماء، وقوله تعالى في سورة البقرة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ..﴾[البقرة: ٢٩]، فهذا الإشكال مرفوع من وجهين:

أ-المراد بخلق ما في الأرض الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود وقد نص سبحانه على هذا التقدير فقال ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، ثم قال : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾.

ب-أنه تعالى لما خلق الأرض غير مدحوة، وهي أهل لكل ما فيها كان كل ما فيها، كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ...﴾[الأعراف: ١١]، فقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، أي: بخلقنا، وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم.

وجمع بعضهم بأن معنى قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[النازعات: ٣٠]، أي: مع ذلك فلفظة بعد بمعنى مع، ونظيره قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم: ١٣]، وعليه فلا إشكال في الآية، ويستأنس لذلك بالقراءة الشاذة، وبها قرأ مجاهد: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة؛ لأنها مبنية على أن خلق السماء قبل الأرض، وهو خلاف الصواب والتحقيق.

وعلى ما تقدم يكون خلق السموات، والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وأن الأرض خلقت في يومين، وبورك فيها، وقدرت أقواتها،

وجعل فيها رواسي من فوقها في يومين آخرين، فتمام خلق الأرض في أربعة أيام، ثم خلقت السماء في يومين، ودحيت الأرض بإخراج ماءها ومرعاها.

وأما ما جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم: «**أن الله خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة** .. »[(١)]، فهو حديث شاذ مخالف للآيات والأحاديث الناصة على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام[(٢)].

وهكذا سمعت أيضاً سماحة العلامة شيخنا بن باز رحمه الله يقول: «حديث أبي هريرة حديث شاذ، مخالف للأحاديث الصحيحة».

٢-قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١٣].

أي: هلاكاً مثل هلاكهم، وعذاباً مثل عذابهم، والصاعقة المهلكة من كل شيء[(٣)].

٣-قال الله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ**﴾ [فصلت: ١٦][(٤)].

فيها وجهان من التفسير:

أ-قيل: الريح الصرصر: هي الريح العاصفة، شديدة الهبوب التي يسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا فالصرصر من الصرة التي هي الصيحة المزعجة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ**﴾[الذاريات: ٢٩]، أي: في صيحة، ومن هذا المعنى صرير الباب، والقلم، أي: صوتهما.

---

(١) مسلم، برقم ٢٧٨٩.

(٢) انظر في ذلك كله: تفسير ابن كثير، ٤/٩٤-٩٦، وأضواء البيان، ٧/١١٦-١٢٠، وتفسير السعدي ٦/٥٦١-٥٦٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/١٠٩.

(٤) «نحسات» أ-قال: مجاهد: أيام نحسات: مشائم.
ب-وقال الضحاك: شديدة البرد، حتى كان البرد عذابٌ لهم.
جـ-وقال ابن عباس: نحسات: متتابعات، واقتصر عليه ابن كثير.
ومن ظن أن الشؤم في ذلك هو في يوم الأربعاء من آخر كل شهر، وأن ذلك الشؤم ملازم له أبداً، فقد غلط، وأخطأ فهم القرآن، فإن اليوم المذكور بحسب ما يقع فيه، فإن اليوم الواحد يكون يوم سعدٍ لطائفةٍ، ونحسٍ لطائفة أخرى، وذلك لسعود الأعمال، ونحوس الأعمال، فسعود الأعمال بموافقتها لمرضات الرب، ونحوس الأعمال بمخالفتها لرضاء الرب، فهذا يوم بدر: سعد للمؤمنين، ويوم نحس على الكافرين، ويوم القيامة عسير على الكافرين، ونحس لهم، ويسير على المؤمنين، يوم سعد لهم. انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٤٢٩.

ب-وقيل: الصرصر: من الصر الذي هو البرد الشديد المحرق، ومنه على أصح التفسيرين قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[آل عمران: ١١٧] الآية، أي: فيها برد شديد محرق.

والحق أنها متصفة بذلك كله، فهي عاصفة شديدة الهبوب، باردة شديدة البرد[(١)].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧].

المراد بالهدى هنا هو: هدى الدلالة، والبيان، والإرشاد، لا هدى التوفيق، والتسديد، والإلهام، والاصطفاء.

فإن الهداية والهدى هدايتان:

أ-هداية الإرشاد، والدلالة، والبيان.

ب-هداية التوفيق، والإلهام[(٢)].

٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩].

يوزعون: أي: يرد أولهم إلى آخرهم، ويلحق آخرهم بأولهم حتى يجتمعوا، ثم يدفعون في النار[(٣)].

٥-قال اللَّه تعالى:﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنْ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٤].

أ-﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا...﴾ أي: يطلبون العتبى، وهي الرضا، فلا يعتبون، أي: لا يرضى عنهم، والمعتب الذي قبل عتابه، وأجيب عتابه، وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبته طلبت منه أن يعتب أي: يرضى.

ب-وقيل: وإن طلبوا أن يستعتبوا، ويبدوا أعذاراً، فما لهم من أعذار، ولا تقبل أعذارهم، ولا تقال لهم عثرات.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٩٧، وأضواء البيان، ٧/١٢١-١٢٢.
(٢) انظر: أضواء البيان، ٧/١٢٥-١٢٦.
(٣) انظر: أضواء البيان، ٧/١٣١، وتفسير السعدي، ٦/٥٦٧.

جـ-وقيل: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا..﴾ أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم؛ لأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه(١).

٦-قال الله تعالى:﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ..﴾ [فصلت:٢٥].

أ-﴿وَقَيَّضْنَا﴾: بعثنا، ووكلنا.

ب-وقيل: هيأنا.

جـ-وقيل: سببنا.

د-وقيل: سلطنا.

هـ-قيل: جئناهم بهم، وأتحناهم لهم.

و-وقيل: قدرنا، ونحو ذلك.

وجميع تلك العبارات راجع إلى شيء واحد، وهو أن الله ﷻ هيأ للكافرين قرناء من الشياطين، يضلونهم عن الهدى، ويزينون لهم الكفر، والمعاصي، وقدرهم عليهم، وما تضمنته هذه الآية، قد دلت عليه آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٣٦- ٣٧]، فسبب التقييض هو الغفلة عن ذكر الرحمن، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾[مريم: ٨٣](٢).

٧-قال الله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

أ-قيل: الغوا فيه: الغطوا فيه.

ب-وقيل: عيبوه.

جـ-وقيل: اجحدوا به وأنكروه وعادوه.

---

(١) انظر هذه الأقوال: القول الأول: تفسير البغوي، ١١٣/٤ وتفسير الجزائري، ١١٤/٤، والقول الثاني: تفسير ابن كثير، ٩٩/٤، والقول الثالث: نقله ابن كثير، عن ابن جرير، ٩٩/٤، وتفسير السعدي، ٥٧٠/٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، ١٣٣/٧-١٣٥، وتفسير ابن كثير، ٩٩/٤، وتفسير البغوي، ١١٣/٤.

د-الغوا فيه بالمكاء، والصفير، والتخليط.

هـ-وقيل: صيحوا في وجهه[(١)].

٨-قال الله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّلذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنْ الأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩] .

ذكر الإمامان البغوي، وابن كثير رحمهما الله أنهما: إبليس الداعي إلى كل شرك فما دونه من القبائح، وابن آدم الذي قتل أخاه فسن القتل من بعده، فهو أول من سن القتل[(٢)].



(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٩٩، وتفسير البغوي ٤/١١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٠٠، وتفسير البغوي ٤/١١٣.

٤٢ -سورة الشورى

١-قال اللَّه تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:٥].

مقاربة السماء للتفطر في هذه الآية، للعلماء فيها وجهان:

أ-المعنى تكاد السموات يتفطرن خوفاً من اللَّه، وهيبة، وإجلالاً، وهذا هو سبب مقاربتها للتفطر.

ب-وقيل السبب: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ من شدة عظيمة الفرية التي افتراها الكفار على خالق السموات والأرض ﷻ من كونه اتخذ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[مريم: ٨٨- ٩٣]، وغاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى فيها إجمال في سبب تفطر السموات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم، وكلا الوجهين حق[(١)].

٢-قال اللَّه تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧].

والجواب عن تخصيص أم القرى ومن حولها هنا، وفي سورة الأنعام من وجهين:

أ-أن المراد بقوله : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شامل لجميع الأرض، كما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ب-أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن قوله ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ لا يتناول إلا القريب من مكة، حرسها اللَّه، كجزيرة العرب مثلاً، فإن الآيات الأخرى نصت على العموم، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان: ١]، وغير ذلك[(٢)].

٣-قال اللَّه تعالى:﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

(١) انظر: أضواء البيان، ١٥٢/٧-١٥٣.
(٢) انظر :أضواء البيان، ١٥٩/٧.

ما دلت عليه هذه الآية أن الحكم لله جاء موضحاً في آيات كثيرة[١].

٤-قال الله تعالى:﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ..﴾ [الشورى:١١]

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾: أي: خلق لكم أزواجاً من أنفسكم.

﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾ أي: وخلق لكم من الأنعام أزواجاً، وهي الثمانية المذكورة في قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ..﴾ الآية[الأنعام: ١٤٣].

أ-وقوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً، خلقاً من بعد خلق، وجيلاً بعد جيل، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام.

ب-وقيل: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: أي في الرحم.

جـ-وقيل: في البطن.

د-وقيل: في هذا الوجه من الخلقة.

هـ-وقيل: «في» بمعنى الباء، أي: يذرؤكم به، قاله الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ الظاهر أن ضمير الخطاب في قوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ شامل للآدميين والأنعام .. والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم، والأنعام في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾، وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الآية الكريمة: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾، أي: يخلقكم، وينشركم، ﴿فِيهِ﴾ أي: فيما ذكر من الذكور والإناث: أي: في ضمنه عن طريق التناسل .. وقول من قال: إن الضمير في قوله ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى الرحم، وقول من قال راجع إلى البطن، وقول من قال راجع إلى الجعل المفهوم من جعل، وقول من قال راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال خلاف الصواب.

قلت: وهذا هو القول الأول من الأقوال التي ذكرها ابن كثير آنفاً[١].

---

(١) انظرها في أضواء البيان، ٧/١٦٢-١٧٣.

٥-قال اللَّه تعالى:﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الشورى:١٢]

وهي مفاتيحهما، وهذا كناية عن كونه جل وعلا هو وحده المالك لخزائن السموات والأرض؛ لأن ملك مفاتيحهما يستلزم ملكها ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[الحجر: ٢١]، وغير ذلك[٢].

٦-قال اللَّه تعالى:﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..﴾ [الشورى:١٣] .

أي: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً من التوحيد، وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل، وتوافقت عليها الكتب، فذكر سبحانه أولي العزم الخمسة، كما ذكرهم في آية الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب: ٧][٣].

ذكر البغوي أنهم اختلفوا في وجه الآية كالتالي:

أ-تحليل الحلال وتحريم الحرام.

ب-وقيل: تحريم الأمهات والبنات والأخوات.

جـ-وقيل: لم يبعث اللَّه نبياً إلا أوصاه بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار للَّه بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم.

د-وقيل: هو التوحيد، والبراءة من الشرك.

هـ-وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣][٤].

٧-قال اللَّه تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى:١٦].

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: أي: لا ثبات لها كالشيء الذي يزل عن موضعه، فهي خصومة باطلة.

=

(١) انظر: أضواء البيان، ٧/١٧٤-١٧٦، وتفسير ابن كثير، ٤/١١٠.

(٢) انظر: تفسير الشنقيطي أضواء البيان، ٧/١٧٦-١٧٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/١١١.

(٤) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٢٢.

ومعنى حجتهم، أي: خصومتهم باطلة[١].

٨-قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى:١٧] .

أ-المراد بالميزان: العدل والإنصاف.

ب-وقيل: الميزان هو الآلة المعروفة التي يزن بها الناس، وعلى التفسير الأول، وهو أن الميزان: العدل، والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة الوزن المعروفة داخل فيه؛ لأن إقامة الوزن بالقسط من العدل، والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية قد جاء في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[الرحمن: ٧- ٩]، فقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي يظهر، والله أعلم، أن الميزان في سورة الشورى، وسورة الحديد هو العدل، والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف، أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات[٢].

٩- ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون أجراً على التبليغ، والآيات في ذلك كثيرة معلومة، كما في سورة هود، والشعراء، وغيرهما.

فما وجه الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟

والجواب: اعلم أولاً أن في قوله ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أربعة أقوال:

الأول: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: لا أسألك عليه أجراً إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم، فتكفوا عني أذاكم، وتمنعوني من أذى الناس، كما تمنعون من بينكم وبينه قرابة، مثل قرابتي منكم، وكان ﷺ له في كل بطن من بطون

---

(١) انظر: تفسير الشوكاني (المختصر) ص٦٤١، وتفسير البغوي ٤/١٢٢-١٢٣.

(٢) انظر :أضواء البيان، ٧/١٨٣-١٨٧.

قريش رحم، فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ؛ لأنه مبذول لكل أحد؛ لأن كل أحد يوده أهل قرابته، وينتصرون له من أذى الناس، وقد فعل ذلك أبو طالب.

وهذا القول هو الصحيح في الآية، كما اختاره ابن جرير، وعليه فلا إشكال.

الثاني: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: لا تؤذوا قرابتي، واحفظوني فيهم.

وهذا شيء واجب بين المسلمين، فإذا كان الدين يوجب هذا بين المسلمين، تبين أنه غير عوض عن التبليغ ..

الثالث: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: إلا أن تتوددوا إلى الله، وتتقربوا إليه بالطاعة، والعمل الصالح، وعليه فلا إشكال؛ لأن التقرب إلى الله ليس أجراً على التبليغ.

الرابع: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: إلا أن تتوددوا إلى قراباتكم، وتصلوا أرحامكم ... وعليه فلا إشكال؛ لأن صلة الإنسان رحمه ليست أجراً على التبليغ، فقد علمت الصحيح في تفسير الآية، وظهر لك رفع الإشكال على جميع الأقوال[(١)].

١٠- قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى:٢٦].

أ-قال ابن جرير وغيره: أي: ويستجيب الله للذين آمنوا، وعملوا الصالحات الدعاء لأنفسهم، ولأصحابهم، وإخوانهم، وهذا المعنى هو الأظهر لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يستجيب دعاءهم، ويزيدهم فوق ذلك، وعلى هذا المعنى ابن كثير، والبغوي، وغيرهما.

ب-وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: انقسم الناس إلى قسمين:

١-مستجيبون: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه، وينقادون له، ويلبون دعوته؛ لأن ما معهم من الإيمان، والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا شكر الله لهم، ويزيدهم من فضله توفيقاً ونشاطاً على العمل، ومضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب، والفوز العظيم.

٢-أما غير المستجيبين لله، وهم المعاندون ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[(٢)].

---

(١) انظر :أضواء البيان، ١٩١/٧، وتفسير ابن كثير، ١١٤/٤-١١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١١٧/٤، وتفسير البغوي، ١٢٧/٤، وتفسير السعدي، ٦١٥/٦-٦١٦.

١١-قال الله تعالى:﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

ذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية أثراً عن الضحاك، قال فيه: ما نعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ الضحاك: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ثم يقول الضحاك: وأي مُصيبة أعظم من نسيان القرآن(١).

أ-ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم، وأموالهم، وأولادهم، وفيما يحبون، ويكون عزيزاً عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وما يعفو عنه سبحانه أكثر ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[النحل:٦١].

ب-وقيل: الآية مختصة بالكافرين، يصابون بسبب ذنوبهم، فلا يعاجلهم في الدنيا، بل يمهلهم إلى دار الآخرة(٢).

والمصائب على أنواع ثلاثة:

١-منها ما يكون لرفع الدرجات للعبد.

٢-ومنها ما يكون لتكفير السيئات.

٣-ومنها ما يصيب المسلم، والكافر جزاء عصيانه وإعراضه(٣).

١٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ [الشورى: ٣٢].

أ-الأعلام: الجبال.

ب-وقال مجاهد: القصور.

جـ-وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم(٤).

١٣-قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧] .

الفرق بين الكبائر والفواحش ما يأتي:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١١٨/٤.
(٢) انظر: زبدة التفسير، ص٦٤٣، وتفسير السعدي، ٦١٨/٦.
(٣) انظر: المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع لحامد بن محمد المصلح، ص١١٨-١٣٦.
(٤) انظر: أضواء البيان، ١٩٤/٧، وتفسير البغوي، ١٢٨/٤.

أ-الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داعٍ إليها، كالزنا، واللواط، ونحو ذلك، والظاهر أنها من أشنع الكبائر؛ لأن الفاحشة في اللغة: الخصلة المتناهية في القبح، وكل متشدد في شيء، فهو فاحش فيه.

ب-والكبائر هي الذنوب الكبار التي ليس في النفوس داعٍ إليها.

وهذا التفصيل عند اقتران الكبائر بالفواحش، أما عند إفراد كل منهما عن الآخر، فيدخل فيه الآخر(١).

والكبائر على الصحيح ليست محددة بعدد معين، بل هي كل ذنب اقترن بوعيد: بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، أو وجب الحد فيه.

وأما اللمم، فهي الصغائر على الصحيح(٢).

١٤-قال اللَّه تعالى:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[الشورى:٤٠].

ذكر اللَّه تعالى في هذه الآية الكريمة مراتب العقوبات، وأنها ثلاث مراتب:

أ-عدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص.

ب-فضل: العفو، والإصلاح عن المسيء، فله الجزاء العظيم، والثواب الكثير، وشرط العفو، والإصلاح فيه؛ ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق بالعفو عنه، ففي هذه الحالة لا يكون مأموراً به.

جـ-ظلم: وقد ذكرها بقوله **﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**، وهم الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم(٣).

١٥-قال اللَّه تعالى:﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠].

قسم اللَّه ﷻ الناس إلى أربعة أقسام:

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٦/٦٢١، وأضواء البيان، ٧/١٩٥، وتفسير البغوي، ٤/١٢٩.

(٢) انظر: أضواء البيان، ٧/١٩٦-٢٠٠.

(٣) انظر: تفسير السعدي ٦/٦٢٣.

١-**منهم** من يعطيه البنات فقط قال البغوي: كلوط له بنات ﷺ.

٢-**ومنهم** من يعطيه الذكور فقط قال البغوي: كإبراهيم لم يولد له أنثى.

٣-**ومنهم** من يعطيه النوعين: ذكوراً، وإناثاً، قال البغوي: كمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤-**ومنهم** من يمنعه هذا وهذا، فلا يلد، ولا يولد له، ذكراً، ولا أنثى، قال البغوي: كيحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام لم يولد لهما.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: قيل من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى؛ لأن الله تعالى بدأ بالإناث[١].

١٦-قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١].

هذه مقامات الوحي، وطرقه، وهي ثلاثة:

١-**تارة الإلقاء في الروح** يقظة، أو مناماً، كما جاء عنه ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»[٢].

٢-﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلم الله موسى في الطور، وكلم محمداً في الملكوت الأعلى ليلة الإسراء عليهما الصلاة والسلام.

٣-﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾، وهو الملك إما في صورة الملائكة، أو في صورة رجل من بني آدم، كما ينزل جبريل وغيره على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٣].

١٧-قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] .

﴿رُوحاً﴾ فيه أقوال:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٢٢، وتفسير البغوي ٤/١٣١-١٣٢.

(٢) صحيح ابن حبان، ٨/ ٣٢، برقم ٣٢٣٩، وصححه محققه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٤٤، برقم ١٧٠٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٢٣، وتفسير البغوي ٤/١٣٢، وتفسير الجزائري، ٤/١٥٩.

١-قيل: النبوة.

٢-وقيل: الرحمة.

٣-وقيل: وحياً.

٤-وقيل: كتاباً.

٥-وقيل: جبريل.

٦-وقيل: القرآن.

قلت: واللَّه أعلم: الصواب في الروح أنه الوحي كله الذي أوحاه الله عز وجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وبهذا تدخل جميع الأقوال الستة السابقة في هذا القول[1].

﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً..﴾

الصواب أن الضمير عائد إلى الروح[2].



(١) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٣٢، وتفسير ابن كثير، ٤/١٢٤، وتفسير الجزائري، ٤/١٥٩، وأضواء البيان، مفصلاً، ٧/٢٠٠-٢٠٣.
(٢) انظر: التفسير القيم، ص٤٣٤.

٤٣ -سورة الزخرف [(١)]

١-قال الله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [سورة الزخرف: ١- ٢]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي: البيّن، الواضح، الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال تعالى:

٢-﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾، أي: أنزلناه ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[الزخرف: ٣]، أي: بلغة العرب فصيحا واضحاً.

٣-﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تفهمونه، وتتدبرونه كما قال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٥][(٢)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، قوله: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أي: صيّرنا هذا الكتاب عربياً، وقيل: بيناه، وقيل: سميناه، وقيل: وصفناه، يقال: جعل فلانا زيداً أعلم الناس أي وصفه بهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[الزخرف: ١٩]، وقوله: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[الحجر: ٩١]، وقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾[التوبة: ١٩] كلها بمعنى الوصف والتسمية»[(٣)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين، وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدين، والدنيا، والآخرة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ هذا المقسم عليه أنه جُعل بأفصح اللغات، وأبينها، وهذا من بيانه، وذكر الحكمة في ذلك، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ألفاظه، ومعانيه؛ لتيسرها، وقربها من الأذهان»[(٤)].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الزخرف: ٤]، يعني: القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١-٢٢]، فالقرآن عند الله مثبت في

---

(١) حرر في ٥/١/١٤٣٦هـ.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٢/٢٩٧.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٣٣.
(٤) تفسير السعدي، ص٨٩٨.

اللوح المحفوظ، وقوله ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ يخبر عن منزلته، وشرفه، أي: فإنه عندنا لعلي شريفٌ، محكم من الباطل[(١)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا، قاله قتادة، وغيره، ﴿لَعَلِيٌّ﴾ أي: ذو مكانة، وشرف، وفضل، ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: محكم، بريء من اللبس، والزيغ[(٢)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

اختلف المفسرون رحمهم اللَّه في معنى هذه الآية، فقيل: أتحسبون أن نصفح عنكم، ولا نعذبكم، ولم تفعلوا ما أمرتم به، وقيل: أفنترك عنكم الوحي، ونمسك عن إنزال القرآن، فلا نأمركم، ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم، وتركتم الإيمان، استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة، وجماعة[(٣)].

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨].

قال مجاهد: سنتهم، وقال قتادة: عقوبتهم، وقال غيرهما: عبرتهم، أي: جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين، أن يصيبهم ما أصابهم، كقوله في آخر السورة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾[الزخرف: ٥٦]، وكقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[الأحزاب: ٦٢][(٤)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: سنتهم، وصفتهم وعقوبتهم[(٥)].

وذكر العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في أضواء البيان أن هذا راجع إلى القول الأول[(٦)].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [الزخرف: ١١].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿بِقَدَرٍ﴾: قال بعض العلماء: أي بقدر سابق وقضاء.

---

(١) تفسير البغوي، ١٣٣/٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢٩٧/١٢.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ١٣٤/٤، وتفسير ابن كثير، ٣٠٠/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣٠٠/١٢.
(٥) تفسير البغوي، ١٣٤/٤.
(٦) أضواء البيان، ٢٠٩/٧.

وقال بعض العلماء: أي: بمقدار يكون به إصلاح البشر، فلم يكثر الماء جداً، فيكون طوفاناً، فيهلكهم، ولم يجعله قليلاً دون قدر الكفاية، بل نزله بقدر الكفاية من غير مضرة[١]، وهذا المعنى الثاني اقتصر عليه ابن كثير في تفسيره، والبغوي كذلك، والعلامة السعدي في تفسيره.

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا**﴾ [الزخرف: ١٢] أي: الأصناف كلها[٢].

٩- قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

عن أبي لاس الخزاعي، يرفعه «ما من بعير إلا في ذروته شيطان، فاذكروا اسم اللَّه عليها إذا ركبتموها، كما أمركم، ثم امتهنوا لأنفسكم، فإنما يحمل اللَّه عَزَّوَجَلَّ»[٣].

١٠-قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض العلماء: ﴿**جُزْءاً**﴾ أي: عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام، وغيرها من المعبودات، من دون اللَّه.

وقال بعض العلماء: ﴿**جُزْءاً**﴾ أي: ولداً.

وقال بعض العلماء: ﴿**جُزْءاً**﴾ يعني: البنات.

ثم قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر ابن كثير في تفسير هذه أن: الجزء النصيب، واستشهد على ذلك بآية الأنعام، أعني قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا**﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦].

قال مقيّده [**الشنقيطي**] عفا اللَّه عنه، وغفر له: «الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا رَحِمَهُ اللَّهُ غير صواب في الآية؛ لأن المجعول لله في آية الأنعام هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجعول في آية الزخرف هذه جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث، والأنعام، وبين الأمرين فرق واضح كما تر، وأن قول قتادة،

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٢١١.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٣٤.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٣٤.

ومن وافقه أن المراد بالجزء: العدل، والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضاً؛ لأن إطلاق الجزء على النظير، ليس بمعروف في كلام العرب، وأما كون المراد بالجزء في الآية: الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقيق في الآية ...»، ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة على ذلك[١].

١١-قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وهي كلمة «لا إله إلا الله» لا يزال في ذرية إبراهيم من يقولها، ذكر نحو ذلك عن ابن عباس، وقال ابن زيد: كلمة الإسلام، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة[٢].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى العقب، والذرية، والبنين، وفي قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، وفي قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[إبراهيم: ٣٧]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[العنكبوت: ٢٧]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالظاهر المتبادر من الآيات: أن المراد بالبنين، والذرية، والعقب شيء واحد؛ لأن جميعها في شيء واحد، وبذلك تعلم أن ظاهر القرآن يدل على أن من وقف وقفاً، أو تصدق بصدقة على بنيه، أو ذريته، أو عقبه، أن حكم ذلك واحد ..

فمن الآيات الدالة على دخول ولد البنت في اسم الذرية قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾[الأنعام: ٨٤-٨٥]، وهذا نص قرآني صريح في دخول ولد البنت في اسم الذرية؛ لأن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ولد بنت، إذ لا أب له.

ومن الآيات الدالة على دخول ولد البنت في اسم البنين قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[النساء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾[النساء: ٢٣]؛ لأن

---

(١) انظر: أضواء البيان، ٧/٢١٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٠٩.

لفظ البنات في الألفاظ الثلاثة شامل لبنات البنات، وبنات بناتهن، وهذا لا نزاع فيه بين المسلمين، وهو نص قرآني في استواء بنات بنيهن، وبنات بناتهن.

فحصل أن دخول أولاد البنات في الوقوف على الذرية، والبنين، والعقب هو ظاهر القرآن، ولا ينبغي العدول عنه ..

أما لفظ الولد، فإن القرآن يدل على أن أولاد البنات لا يدخلون فيه، وذلك في قوله: ﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ الآية [النساء: ١١]، فإن قوله: ﴿أَوْلادِكُمْ﴾ لا يدخل فيه أولاد البنات، وذلك لا نزاع فيه بين المسلمين، وهو نص صريح قرآني على عدم دخول أولاد البنات في اسم الولد، وإن كان جمهور العلماء على أن العقب، والولد سواء، ولا شك أن اتباع القرآن هو المتعين على كل مسلم.

أما لفظ النسل، فظاهر القرآن شموله لأولاد البنات ... ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

والألفاظ التي يتكلم عليها العلماء في هذا المبحث هي أحد عشر لفظاً: ذكرنا خمسة منها، وهي: الذرية، والبنون، والعقب، والولد، والنسل، وذكرنا أن أربعة منها يدل ظاهر القرآن على أنها يدخل فيها أولاد البنات، وواحد بخلاف ذلك، وهو الولد.

أما الستة الباقية، فمنها: الآل، والأهل، ومعناهما واحد، والقرابة، والعشيرة، والقوم، والموالي وكلام العلماء فيها مضطرب، ولم يحضرني الآن تحديد يتميز به ما يدخل في كل واحد منها، وما يخرج عنه إلا على سبيل التقريب، إلا لفظين، وهما: القرابة والعشيرة ...»[1].

١٢- قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) تفسير الشنقيطي إيضاح القرآن بالقرآن، ٧/٢٣٤-٢٣٥.

قيل: ليسخِّر بعضهم بعضاً في الأعمال؛ لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا.

وقيل: ليملك بعضهم بعضاً، قاله الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو راجع إلى الأول[١].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التحقيق، إن شاء الله، أنه من التسخير، ومعنى تسخير بعضهم لبعضٍ: خدمة بعضهم بعضاً؛ لأن نظام الدنيا في العالم يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا أن يجعل هذا فقيراً مع كونه قوياً قادراً على العمل، ويجعل هذا ضعيفاً، لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم يؤجر بها ذلك الفقير القوي، فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي، فتنتظم المعيشة لكل منهما، وهكذا»[٢].

١٣- قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فجعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق، كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا[٣].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الآية[النحل: ٧١]، ونحو ذلك من الآيات، فدلت هذه الآيات الكريمة على أن تفاوت الناس في الأرزاق والحظوظ سنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية، لا يستطيع أحد من أهل الأرض البتة تبديلها، ولا تحويلها بوجه من الوجوه، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[فاطر: ٤٣][٤].

١٤- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]

قيل: معناه: لشرف لك ولقومك، قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، واختاره ابن جرير، ولم يحك سواه.

وقيل: معناه: تذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم، كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: ١٠][١].

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٣٨، وتفسير ابن كثير، ١٢/٣١٠.
(٢) أضواء البيان، ٧/٢٤٣.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٣٨.
(٤) أضواء البيان، ٧/٢٤٦.
(١) تفسير ابن كثير، ١٢/٣١٤.

١٥-قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى بل، ومعنى هذا قول فرعون: إنه يعني أنه خير من موسى، وقد كذب في قوله كذباً بيناً واضحاً فعليه لعائن اللَّه المتتابعة، قاله ابن كثير في تفسيره[١].

١٦-قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿آسَفُونَا﴾: أسخطونا، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال الضحاك عنه: أغضبونا[٢].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: معناه أغضبونا، وأسخطونا، وكون المراد بالأسف الغضب يدل عليه إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾[الأعراف: ١٥٠] على أصح التفسيرين[٣].

١٧-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

قال ابن عباس: يضحكون، أي: أعجبوا بذلك.

وقيل: يجزعون ويضحكون، قاله قتادة.

وقال إبراهيم النخعي: يعرضون[٤].

وقال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره: يعرضون، ونقل: يضجون، ونقل: يعجون، يجزعون، يضجرون[٥].



(١) تفسير ابن كثير، ٣١٦/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣١٦/١٢.
(٣) أضواء البيان، ٢٥٦/٧.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣١٩/١٢.
(٥) تفسير البغوي، ١٤٣/٤.

٤٤ - سورة الدخان[١]

١-قال اللَّه تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

﴿يُفْرَقُ﴾: أي: يفصل، ويُبين، ويكتب في الليلة المباركة التي هي ليلة القدر.

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: أي: ذو حكمة بالغة؛ لأن كل ما يفعله اللَّه مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: ﴿حَكِيمٍ﴾: أي: محكم، لا تغيير له، ولا تبديل، وكلا الأمرين حق؛ لأن ما سبق في علم اللَّه لا يتغيّر، ولا يتبدّل؛ ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة.

وهي في الاصطلاح: وضع الأمور في مواضعها، وإيقاعها في مواقعها.

وإيضاح معنى الآية أن اللَّه تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة، ويكتب لهم بالتفصيل، والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة إلى ليلة القدر من السنة الجديدة، فتبين في ذلك الآجال، والأرزاق، والفقر والغنى، والخصب والجذب، والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائناً ما كان[٢].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة، أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها[٣].

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١].

قيل في هذا الدخان أقوال عند المفسرين رحمهم اللَّه تعالى:

١-قيل: هو الدخان الذي يغشى الناس، ويعمّهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة.

٢-وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب الكفار من قريش، حينما امتنعوا من

---

(١) حرر في ١٤٣٦/١/١٦هـ.

(٢) إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٣٢٠/٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣٣٤/١٢.

الإيمان، واستكبروا على الحق، فدعا عليهم النبي ﷺ بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد، والجوع حتى أكلوا العظام، والميتات، وصاروا يرون بين السماء والأرض كهيئة الدخان، وذلك من شدة الجوع، فيكون هذا الدخان بالنسبة لأبصارهم، وما يشاهدون، وليس بدخان حقيقة، ثم سألوا النبي ﷺ أن يدعو لهم ..

٣-وقيل: المراد بذلك الدخان الذي من أشراط الساعة «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس ...»(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله: والقول هو الأول.

ثم قال: وفي الآية احتمال أن المراد بقوله:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ أن هذا كله يوم القيامة، وأن قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[الدخان: ١٠-١٦] أن هذا ما وقع لقريش يوم بدر ...(٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ فسّر ذلك ابن مسعود بيوم بدر، وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسير الدخان بما تقدم، وروي أيضاً عن ابن عباس من رواية العوفي عنه، وعن أبي بن كعب، وجماعة، وهو محتمل، والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً ..

وقال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول هي يوم القيامة، وهذا إسناد صحيح، وبه يقول الحسن البصري، وعكرمة في أصحّ الروايتين عنه(٣).

---

(١) مسلم، برقم ٢٩٠١.
(٢) تفسير السعدي، ص٩١٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٤٠، وانظر: تفسير البغوي، ٤/١٤٩.

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧-١٨].

والمعنى: أن موسى قال لفرعون وملئه: أدوا إليَّ عباد اللَّه، يعني بهم: بني إسرائيل، أي: أرسلوهم معي، وأطلقوهم من عذابكم[(١)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٣-٢٤].

والمعنى: واترك البحر بحاله ساكناً على حالته، وهيئته، وذلك أن موسى ﵇ لما جاوز هو وبني إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم، فأمره اللَّه أن يتركه على حاله ساكناً، وبشره أنهم جند مغرقون، فدخل فرعون وقومه، فلما تكامل قوم موسى خارجين من البحر، وتكامل قوم فرعون داخلين فيه، أمره اللَّه أن يلتطم عليهم، فغرقوا عن آخرهم[(٢)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧].

قوم تبع: هم سبأ ...[(٣)].

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧].

فاعتلوه: أي: سوقوه سحباً، ودفعاً في ظهره، وقال مجاهد: ﴿فاعتلوه﴾ أي: خذوه فادفعوه[(٤)].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٥٠].

أي: تشكون فيه، ولا تؤمنون به[(٥)].



---

(١) انظر: أضواء البيان، ٧/٣٢٤، وتفسير السعدي، ص٩١١، وتفسير البغوي، ٤/١٥١.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٥١، وتفسير ابن كثير، ١٢/٣٤٢، وتفسير السعدي، ص٩١١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٤٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٥١.
(٥) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٥٥، وتفسير السعدي، ص٩١٣.

٤٥ -سورة الجاثية(١)

١-قال اللَّه تعالى: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ١-٥].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى:

الأول: خلق السموات والأرض.

الثاني: خلق الناس.

الثالث: خلق الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين، إنما ينتفع بها المؤمنون، الموقنون، الذين يعقلون عن اللَّه حججه وآياته»(٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وقال أولاً: ﴿لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم ﴿يُوقِنُونَ﴾، ثم ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وهو ترقٍ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه، وأعلى»(٣).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «اعلم أن هذه البراهين العظيمة المذكورة في أول سورة الجاثية، هذه ثلاث منها، من براهين البعث التي يكثر في القرآن العظيم الاستدلال بها على البعث.

---

(١) حرر في ١٨/١/١٤٣٦هـ.
(٢) أضواء البيان، ٧/٣٢٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ١٢/٣٥٧.

الأول منها: خلق السموات والأرض؛ لأن خلق السموات والأرض من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر، قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر: ٥٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف: ٣٣].

البرهان الثاني: خلقه تعالى للناس المرة الأولى؛ لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق، لا شك في قدرته على إعادة خلقهم، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس: ٧٨-٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: ٢٧].

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها؛ لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم؛ لأن الجميع أحياء بعد ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت: ٣٩](١).

٢-قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٦-٨].

قال **العلامة الشنقيطي** رحمه الله في هذه الآيات: هذا يدل على أن من يسمع القرآن يُتلى، ثم يصرُّ على الكفر والمعاصي في حال كونه متكبراً عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن، كأنه لم يسمع آيات الله له البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم، وهو الخلود في النار، كقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي

---

(١) أضواء البيان، ٧/٣٣٤-٣٣٦.

أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[لقمان: ٧]»[1].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة الجاثية: ٧].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض العلماء ﴿وَيْلٌ﴾ وادٍ في جهنم، والأظهر أن لفظ ويل: كلمة عذابٍ، وهلاك[2].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد قدمنا الآيات الموضحة مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ الآية [إبراهيم: ١٥]، وبينا هناك أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى أمام، فمعنى من ورائهم جهنم: أي: أمامهم جهنم، يصلاها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: أمامهم ملك»[3].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

ذكر العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ أن معنى ﴿وَلا يُغْنِي﴾ أي: لا ينفع، والظاهر أن أصله من الغَنَاء: بالفتح، والمد، وهو النفع.

٢-وأما الغِناء: بالكسر، والمد، فهو الألحان المطربة.

٣-وأما الغِنى بالكسر، والقصر، فهو ضد الفقر.

٤-وأما الغَنَى: بالفتح، والقصر، فهو الإقامة من قولهم غَنِي بالمكان بكسر النون، يَغنَى بفتحها، غنَى بفتحتين: إذا قام به، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[يونس: ٢٤]، وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[الأعراف: ٩٢]، كأنهم لم يقيموا فيها.

٥-وأما الغُنى بالضم، والقصر، فهو جمع غنية، وهي ما يستغني به الإنسان.

---

(١) أضواء البيان، ٧/٣٤١.
(٢) أضواء البيان، ٧/٣٤٢.
(٣) أضواء البيان، ٧/٣٤٤.

٦-وأما الغُناء بالمد، والضم، فلا أعلمه في العربية[١].

٦-قال الله تعالى: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١١].

قوله: ﴿هَذَا هُدًى﴾ أي: القرآن الكريم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾، وهو المؤلم الموجع[٢].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أصح القولين فيه أن المراد بالرجز: العذاب، ولا تكرار في الآية؛ لأن العذاب أنواع متفاوتة، والمعنى: لهم عذاب من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم، أي: الموصوف بشدة الألم، وفظاعته[٣].

٧-قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي: لا ينالون نعم الله[٤].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي: لا يخافون وقائع الله، ولا يبالون نقمته[٥].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق، والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين؛ فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون»[٦].

٨- قال الله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦].

أي: فضلهم على عالمي زمانهم، فلم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله منهم، قاله ابن عباس[١]، ويخرج من هذا العموم اللفظي هذه

---

(١) أضواء البيان، ٧/٣٤٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٥٨.
(٣) أضواء البيان، ٧/٣٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٠.
(٥) تفسير البغوي، ٤/١٥٨.
(٦) تفسير السعدي، ص٩١٥.
(١) تفسير البغوي، ٤/١٥٨، وتفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٠.

الأمة، فإنهم خير أمة أخرجت للناس[(١)].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه فضل بني إسرائيل على العالمين، وذكر هذا المعنى في موضع آخر من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ٤٧، ١٢٢] في الموضعين، وفي قوله في الدخان: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الدخان: ٣٢]، وقوله في الأعراف: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ١٤٠]، ولكن الله جل وعلا بين أن أمة محمد ﷺ خير من بني إسرائيل، وأكرم على الله، كما صرح بذلك في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

ومما يزد ذلك وضوحاً حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال في أمته: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»، وقد رواه عنه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم[(٢)]، وهو حديث مشهور، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسنه الترمذي، ويروى من حديث معاذ بن جبل، وأبي سعيد نحوه»، قال مقيده [القائل الشنقيطي] عفا الله عنه، وغفر له، ولا شك في صحة معنى حديث معاوية بن حيدة المذكور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه يشهد له النص، والعموم المتواتر ...»[(٣)].

٩-قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد قدمنا في هذا الكتاب المبارك مراراً أن الظلم في لغة العرب أصله، وضع الشيء في غير موضعه، وأن أعظم أنواعه الشرك بالله؛ لأن وضع العبادة في غير من خلق، ورزق هو أشنع وضع الشيء في غير موضعه ...»[(١)].

---

(١) تفسير السعدي، ص٩١٥.

(٢) مسند أحمد، ٣٣/ ٢١٩، برقم ٢٠٠١٥، وحسنه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٣٠٠١، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٨٧، والمستدرك للحاكم، ٤/ ٨٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ٤٥٦، برقم ٤٠٦٥.

(٣) أضواء البيان، ٧/٣٥٢.

(١) أضواء البيان، ٧/٣٥٤.

١٠-قال اللَّه تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني القرآن[١].

والبصيرة: المراد بها البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: ١٠٨]، أي على علم ودليل واضح، والمعنى: أن هذا القرآن براهين قاطعة ...[٢].

١١-قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: معناه: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن باللَّه، ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم اللَّه، وقال آخرون: معناه: اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما تهواه نفسه ...[٣].

قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يحتمل قولين:

أحدهما: وأضله اللَّه لعلمه أنه يستحق ذلك.

والآخر: وأضله اللَّه بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول ولا عكس[٤].

وقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ أي: طبع على سمعه، فلا يسمع الهدى.

﴿وَقَلْبِهِ﴾ فلم يعقل الهدى.

﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ظلمة فهو لا يبصر الهدى.

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: فمن يهديه بعد أن أضله اللَّه ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[٥].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفرأيت الرجل الضال الذي اتخذ إلهه هواه، فما هويه سلكه، سواء كان يرضي اللَّه أو يسخطه، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من اللَّه تعالى

(١) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦١، وتفسير البغوي، ٤/١٥٩.
(٢) أضواء البيان، ٧/٣٥٦.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٦٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٢.
(٥) تفسير البغوي، ٤/١٦٠.

أنه لا تليق به الهداية، ولا يزكو عليها ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ فلا يسمع ما ينفعه ﴿وَقَلْبِهِ﴾، فلا يعي الخير، ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ تمنعه من نظر الحق ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد يهديه، وقد سد الله عليه أبواب الهداية، وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله، ولكن هو الذي ظلم نفسه، وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه، وما يضركم فتجتنبونه»[(١)].

١٢-قال الله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾: أي: ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق.

وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكتابتها، وإثباتها عليكم.

وقيل: نستنسخ: أي: نأخذ نسخة، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان، فيثبت الله منه ما كان فيه ثواب، أو عقاب، ويطرح منه اللغو، نحو قولهم: هلم، واذهب، وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ، تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب، وقال الضحاك: نستنسخ، أي: يثبت، وقال السدي: تكتب، وقال الحسن: تحفظ[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن عباس، وغيره: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيديهم، مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة، قدر مما قد كتبه الله في القِدم على العباد، قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفاً، ولا ينقص حرفاً ثم تقرأ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

(١) تفسير السعدي، ص٩١٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٦٠، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٦.
(١) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٦.

١٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الجاثية: ٣٣].

قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ما كانوا يعملون [(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: نزل بهم[(٢)].

١٤-قال اللَّه تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

والمعنى: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله؛ لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً، ولا توبة[(٣)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يطلب منهم العتبى، بل يعذبون بغير حساب، ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب، ولا حساب[(٤)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يمهلون، ولا يردوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً[(٥)].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٧.
(٢) تفسير السعدي، ص٩١٨.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٦٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٢/٣٦٨.
(٥) تفسير السعدي، ص٩١٨.

٤٦ -سورة الأحقاف(١)

١-قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

قيل: بقية من علم يؤثر عن الأولين، أي: يسند إليهم.

وقيل: رواية عن الأنبياء، وقيل: خاصة من علم.

وأصل الكلمة من الأثر، وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً، وأثارة، ومنه قيل للبحر: أثر(٢).

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾، أو دليل بيّن على هذا المسلك الذي سلكتموه.

وقيل: أو أحد يأثر علماً.

وقيل: أو بينة من الأمر، ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقيل: الخط.

وقيل: أو أثارة شيء يستخرجه، فيثيره.

وقيل: خاصة من علم.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل هذه الأقوال متقاربة، وهي راجعة إلى ما قلناه، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ ...»(٣).

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

قيل: معناه: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة .. فأنزل اللَّه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي اللَّه، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ

---

(١) حرر في ١٣/٤/١٤٣٦هـ.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٦٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٧.

﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ الآية[الفتح: ٥]، وأنزل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾[الأحزاب: ٤٧]، فبين تعالى ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس، وقتادة، والحسن، وعكرمة، وقالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه، وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية، فنسخ ذلك[1].

وذكر **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ هذه الأقوال ثم قال: «والذي ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا: هنيئاً لك يا رسول الله، فمالنا فأنزل الله هذه الآية وقال الحسن: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾، قال: أما في الآخرة، فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي، ولا بكم في الدنيا .. وهذا القول هو الذي عوَّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة، هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدرِ ما كان يؤول إليه أمره، وأما مشركو قريش إلى ماذا، أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم»[2].

وهذا الذي رجحه **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللهُ في أضواء البيان[3].

٣-قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللهُ: «التحقيق إن شاء الله أن ﴿وَالَّذِي﴾ في قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ بمعنى الذين، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه، مكذب بالبعث»[4].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

قيل: درجات الجنة تذهب علوّاً، ودرجات النار تذهب سفالاً[5].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/١٦٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٩.
(٣) أضواء البيان، ٧/٣٧٧.
(٤) أضواء البيان، ٧/٣٨٧.
(٥) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٦٨، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢١.

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ [الأحقاف: ٢٦].

أي: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال، والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله، ولا قريباً منه[١].

وقيل: المعنى: ولقد مكناهم في الذي مكناكم فيه: من القوة في الأجسام، وكثرة الأموال، والأولاد، والعدد، وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا هو الصواب، إن شاء اللَّه تعالى[٢].

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

اختلف في مؤمني الجن: هل يدخلون الجنة؟

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحق أن مؤمنهم كمؤمن الإنس، يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف»[٣].

وهكذا رجح العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان أن كافرهم يدخل النار. ومؤمنهم يدخل الجنة، ومن أدلة دخولهم الجنة قول اللَّه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]، وغير ذلك من الأدلة[٤].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً، وأشهر الأقوال في ذلك: أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب، والشورى، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعلى هذا القول، فالرسل

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٧-٢٨، وانظر: تفسير البغوي، ٤/١٧١.
(٢) أضواء البيان، ٧/٣٩٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/١٧٥.
(٤) أضواء البيان، ٧/٤٠٧، وانظر: تفسير البغوي، ٤/١٧٥، وتفسير ابن كثير، ١٣/٥٤.

الذين أمر رسول اللَّه ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة، فصار هو ﷺ خامسهم»[١].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قيل: بلاغ: أي: وذلك اللبث بلاغ.

وقيل: هذا القرآن بلاغ، وما فيه من البيان بلاغ من اللَّه إليكم.

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «التحقيق إن شاء اللَّه أن أصوب القولين في قوله: ﴿بلاغ﴾ أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا بلاغ، أي: هذا القرآن بلاغ من اللَّه إلى خلقه، ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾[إبراهيم: ٥٢]، وفي سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٦]، وخير ما يفسر به القرآن: القرآن»[٢].



(١) أضواء البيان، ٤٠٨/٧، وانظر: تفسير ابن كثير، ٥٦/١٣، وتفسير البغوي، ١٧٦/٤.
(٢) أضواء البيان، ٤١٠/٧، وانظر: تفسير البغوي، ١٧٧/٤، وتفسير ابن كثير، ٥٧/١٣.

٤٧ -سورة محمد [(١)]

١-قال اللَّه تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١].

أي: أبطلها، فلم يقبلها، وأراد بالأعمال: ما فعلوه من إطعام الطعام، وصلة الأرحام.

وقال الضحاك: أبطل كيدهم، ومكرهم، وجعل الدائرة عليهم[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿أَضَلَّ﴾ اللَّه ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها، وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق، وأولياء اللَّه أن اللَّه جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئاً، وأعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن اللَّه سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه اللَّه: من عبادة الأصنام، والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل، لما كانت باطلة كانت الأعمال لأجلها باطلة»[(٣)].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

قوله: ﴿وأصلح بالهم﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم، حتى لا يعصوا، وأصلح شأنهم، وحالهم إصلاحاً لا فساد معه[(٤)].

وذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أقوالاً:

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: أمرهم.

وقيل: أصلح شأنهم.

وقيل: أصلح حالهم، ثم قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والكل متقارب، وقد جاء في حديث تشميت العاطس: «يهديكم اللَّهُ ويصلح بالكم»[(٥)].

---

(١) حرر في ١٤/٤/١٤٣٦هـ.

(٢) تفسير البغوي، ٤/١٧٧، وأضواء البيان، ٧/٤١٤.

(٣) تفسير السعدي، ص٩٢٥.

(٤) أضواء البيان، ٧/٤١٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ١٧٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٨، والحديث في صحيح البخاري، برقم ٦٢٢٤.

٣-قال الله تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

١-قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥].

٢-وقال الأكثرون ليست منسوخة، ثم قال بعضهم: إنما الإمام مخير بين المنَّ على الأسير فقط، ولا يجوز قتله.

٣-وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء، لحديث ثمامة «**إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال تعطَ منه ما شئت**»[(١)].

وزاد **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمام مخير بين قتله، أو المنّ عليه، أو مفاداته، أو استرقاقه»[(٢)].

وقال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر أهل العلم يقولون: إن الآية ليست منسوخة، وإن جميع الآيات المذكورة محكمة، فالإمام مخير، وله أن يفعل ما رآه مصلحة للمسلمين، من: منٍّ، وفداءٍ، وقتلٍ، واسترقاق»[(٣)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا هو الأصح، والاختيار؛ لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده»، وقال: «وهو قول الحسن، وأكثر الصحابة، والعلماء، وهو قول الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق»[(٤)].

وقوله: ﴿إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: أوجعتم فيهم قتلاً، فالإثخان، هو الإكثار من قتل العدو، حتى يضعف، ويثقل عن النهوض[(٥)].

٤-قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية [محمد: ٤].

قيل: حتى تضع أحمالها، وأثقالها، يعني: حتى تضع أهل الحرب السلام، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل.

وقيل: الحرب هم المحاربون، كالشرب، والركب.

---

(١) البخاري، برقم ٤٣٧٢، ومسلم، ١٧٦٤، وصحيح ابن حبان، ٤/ ٤١، برقم ١٢٣٨، واللفظ له.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٦٠.
(٣) أضواء البيان، ٧/٤١٩.
(٤) تفسير البغوي، ٤/١٧٨.
(٥) أضواء البيان، ٧/٤١٧.

وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم، فيؤمنوا بالله، ورسوله ﷺ، ويبذلوا الوسع في طاعة الله.

وقيل: حتى تضع حربكم، وقتالكم أوزار المشركين، وقبائح أعمالهم بأن يسلموا.

ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل، والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون كله لله، فلا يكون بعده جهاد، ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون في المسالمة، والمهادنة، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل حال حكماً»[(٢)].

٥-قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨-٩].

قيل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ﴾ أي: بُعداً لهم، قاله: ابن عباس.

وقيل: سقوطاً لهم، قاله أبو العالية.

وقيل: خيبة لهم، قاله الضحاك.

وقيل: شقاء لهم، قاله ابن زيد.

وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردي في النار، ويقال للعاثر: تعساً إذا لم يريدوا قيامه[(٣)].

٦-قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: وكم من قرية من قرى المكذبين هي أشد قوة من قريتك في الأموال، والأولاد، والأعوان، والأبنية، والآلات أهلكناهم حين كذبوا رسلنا، ولم تفد فيهم المواعظ، فلا تجد لهم ناصراً،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/١٧٩، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٣/٦٠-٦٢.
(٢) تفسير السعدي، ص٩٢٦.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٨٠.

ولم تغنِ عنهم قوتهم من اللَّه شيئاً»[١].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التحقيق إن شاء اللَّه في معنى هذه الآية الكريمة أن الكفار يوم القيامة، إذا جاءتهم الساعة، يتذكرون، ويؤمنون باللَّه، ورسله، وأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفعهم لفوات وقته»[٢].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾

١-قيل: متصرفكم، ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم: مصيركم في الآخرة إلى الجنة، أو إلى النار، قاله ابن عباس.

٢-وقيل: متقلبكم: منصرفكم لأشغالكم بالنهار، ومثواكم: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، قاله مقاتل، وابن جرير.

٣-وقيل: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم مقامكم في الأرض، قاله عكرمة.

٤-وقيل: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم: مقامكم في القبور، والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم، فلا يخفى عليه شيء منها، قاله ابن كيسان[٣].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القول الثاني أولى، وأظهر، واللَّه أعلم»، وقال: «وهذا القول ذهب إليه ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير، وهو: واللَّه يعلم منصرفكم لأشغالكم بالنهار، ومأواكم إلى مضاجعكم بالليل»[٤].

٩-قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ

---

(١) تفسير السعدي، ص٩٢٧.
(٢) أضواء البيان، ٧/٤٢٦.
(٣) تفسير البغوي، ٤/١٨٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/٧٣.

سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

قوله: ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ... ﴾ الآية.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وكان الأولى بهم أن يسمعوا، ويطيعوا، أي: في الحالة الراهنة»[١].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ وعيد، وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد: أولى لك، أي: وليَك، وقاربَك ما تكره».

ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾، وهذا ابتداء محذوف الخبر، تقديره: طاعة، وقول معروف أمثل، أي: لو أطاعوا، وقالوا قولاً معروفاً، كان أمثل وأحسن.

وقيل: مجازه يقول: هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة رفع على الحكاية، أي: أمرنا طاعة، أو منّا طاعة، وقول معروف حسن.

وقيل: هو متصل بما قبله، واللام في قولهم بمعنى الباء مجاز، فأولى بهم طاعة اللَّه، ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي: لو أطاعوا كانت الطاعة، والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾، أي: جد الأمر، ولزم فرض القتال، وصار الأمر معزوماً ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان، والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾، وقيل: جواب إذا محذوف، تقديره: فإذا عزم الأمر نكلوا، وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا اللَّه لكان خيراً لهم»[٢].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر، المحتم عليهم، ويجمعوا عليه هممهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية اللَّه تعالى وعفوه، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتم، ففي هذه الحال لو صدقوا اللَّه بالاستعانة به،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٧٤.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ١٨٣.

وبذل الجهد في امتثاله، ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ من حالهم الأولى ...»[١].

١٠-قال اللَّه تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فلعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن القرآن، وفارقتم أحكامه ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعصية، والبغي، وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعد أن جمعكم الله على الإسلام ...

وقال بعضهم: هو من الولاية، وقال المسيب ابن شريك، والفراء، يقول: فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم ..[٢].

قوله: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ أولئك الذين أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله، ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم، ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان، وقبول، وإنما تسمع سماعاً تقوم به حجة اللَّه عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يتلفتون بها إلى البراهين والبينات[٣].

١١-قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فلا تفهم مواعظ القرآن، وأحكامه: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل على قلوب أقفالها، حتى يكون اللَّه يفتحها، أو يفرجها[٤].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ بل على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه[٥].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله،

(١) تفسير السعدي، ص٩٢٩.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٨٤.
(٣) تفسير السعدي، ص٩٣٠، وانظر: أحاديث كثيرة في خطر قطيعة الأرحام، وفضل صلة الأرحام تفسير ابن كثير، ١٣/٧٥.
(٤) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٨٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/٧٨.

ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلَّهم على كلِّ خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى اللَّه، وإلى جنته، ومكملاتها، ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرَّفهم بربهم، وأسمائه، وصفاته، وإحسانه، ولشوَّقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الشر، وأقفلت، فلا يدخلها خير أبداً، هذا هو الواقع»[1].

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الهمزة في قوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ للإنكار، والفاء عاطفة على جملة محذوفة على أصح القولين، والتقدير: أيعرضون عن كتاب اللَّه، فلا يتدبرون القرآن، وقوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فيه منقطع، بمعنى بل، فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي: الهمزة، وبيّن أن قلوبهم عليها أقفال، لا تنفتح لخير، ولا لفهم قرآن.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ، والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب اللَّه جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾، وقد ذمَّ اللَّه جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾[الكهف: ٥٧]، ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر هذا القرآن العظيم، أي: تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل

---

(١) تفسير السعدي، ص٩٣٠.

بها، فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار، والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان اللَّه أعطاه فهماً يقدر به على التدبر، وقد شكا النبي ﷺ إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، كما قال اللَّه تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾[الفرقان: ٣٠].

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن، وتفهمه، وتعلمه، والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين»[١].

١٢-قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد: ٣١].

ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿**حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ**﴾ أي: علم الوجود، يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿**وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ أي: نظهرها، ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد[٢].

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علواً كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون، قبل أن يكون، وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[آل عمران: ١٥٤]، فقوله: ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ بعد قوله: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ**﴾ دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالماً به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر اللَّه فيها اختباره لخلقه.

ومعنى: ﴿**حَتَّى نَعْلَمَ**﴾، أي: علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٤٢٨-٤٢٩.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٨٥.

ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالم السر والنجوى، فهو عالم بكل ما سيكون، كما لا يخفى.

قال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: «وهذا العلم هو العلم الذي يقع عليه به الجزاء؛ لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم، لا بعلمه القديم عليهم، فتأويله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ علم شهادة؛ لأنهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا، فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ نختبرها ونظهرها .. »، وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية ما نصه: «ولنبلونكم أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله، حتى نعلم المجاهدين منكم، يقول حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه، وأهل الإيمان من أهل النفاق، ولنبلو أخباركم، فلنعرف الصادق منكم من الكاذب ...»، انتهى محل الغرض منه، وما ذكره من أن المراد بقوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ الآية، حتى يعلم حزبنا، وأولياؤنا المجاهدين منكم الصابرين، له وجه، وقد يرشد له قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، أي: نظهرها، ونبرزها للناس، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]؛ لأن المراد بتمييز الخبيث من الطيب: ظهور ذلك للناس»، ولذا قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]، فتعلموا ما ينطوي عليه الخبيث والطيب، ولكن الله عرفكم بذلك بالاختبار، والابتلاء الذي تظهر بسببه طوايا الناس من خبيث، وطيب، والقول الأول وجيه أيضاً، والعلم عند الله تعالى»[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٥٩٠-٥٩٣.

٤٨ -سورة الفتح[١]

١- قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح:١].

ذكر **الإمام البغوي** رحمه الله أنهم اختلفوا في هذا الفتح، فقيل: فتح مكة، وقيل: فتح خيبر، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح: فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية، كان متعذراً حتى فتحه الله عز وجل، ولم يكن صلح أعظم من الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام[٢].

وساق **الإمام ابن كثير** رحمه الله حديث معاوية بن قُرّة قال: سمعت عبداللَّه بن مغفل يقول: قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته، فرجَّع فيها، قال معاوية: لولا أني أكره أن يجتمع الناسُ علينا، لحكيت لكم قراءته. أخرجاه[٣].

ثم قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول اللَّه ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام؛ ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة، والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا، ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرّه من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نحر هديه؛ حيث أحصر، ورجع، أنزل اللَّه هذه السورة فيما كان من أمره، وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه .. عن البراء قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع الرسول ﷺ أربعة عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء

(١) حرر في ٢٢/٤/١٤٣٦هـ.
(٢) تفسير البغوي ٤/١٨٨.
(٣) البخاري ٤٢٨١، ومسلم ٧٩٤.

فتوضأ، ثم تمضمض، ودعا، ثم صبَّه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا»[(١)].

وقصة لعمر بن الخطاب ﵁، وفيها .. أن النبي ﷺ قال: «**نزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾»[(٢)].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: أُنزلت على النبي ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض»، ثم قرأها النبي ﷺ عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، لقد بيّن الله ﷻ ماذا يُفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فنزلت عليه ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾[(٣)].

وقال المغيرة بن شعبة ﵁: كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[(٤)].

قال الله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح:١]، أي: بيناً ظاهراً، والمراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه خير جزيل، وأمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان[(٥)].

٢- قال الله تعالى:﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢].

قال **الإمام ابن كثير** ﵀: «هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لم يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره، غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطاعة، والبر،

(١) البخاري ٤١٥٠.
(٢) رواه البخاري، برقم ٤١٧٧، وغيره.
(٣) أخرجاه في الصحيحين، البخاري، برقم ٤١٧٢، ومسلم، برقم ١٧٨٦، وهذا لفظ الترمذي، برقم ٣٢٦٣.
(٤) البخاري، برقم ١١٣٠، ومسلم، ٢٨١٩.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٨٨.

والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين، ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة»[١].

٣- قال الله تعالى:﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ [الفتح:٣].

أي: غالباً، وقيل: معزاً[٢].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «التحقيق الذي عليه الجمهور، أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية؛ لأنه فتح عظيم، وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار، فيدعوهم إلى الإسلام، ويبينوا لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام.

ومما يوضح ذلك أن الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ كانوا ألفاً وأربعمائة، ولما أراد النبي ﷺ غزو مكة حين نقض الكفار العهد، كان خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان، وكان معه عشرة آلاف مقاتل، وذلك يوضح أن الصلح المذكور من أعظم الفتوح؛ لكونه سبباً لقوة المسلمين، وكثرة عددهم، وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكة، وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم، وإنما قلنا ذلك لأن أكثر أهل العلم على ما قلنا، ولأن ظاهر القرآن يدل عليه، لأن سورة الفتح هذه نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه ﷺ راجعاً إلى المدينة، ولفظ الماضي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة، ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر، والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال، لا على الماضي، وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ الآية[النصر:١] ...»[٣].

٤- قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤].

السكينة: الطمأنينة، والوقار في قلوب المؤمنين؛ لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم، قال ابن عباس: «كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٨٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٨٩.
(٣) أضواء البيان للشنقيطي، ٧/٦٠٣-٦٠٤.
(٤) تفسير البغوي ٤/١٨٩.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: الرحمة[١].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[الفتح:٤].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له جنود السموات والأرض، وبيَّن في المدثر أن جنوده هذه لا يعلمها إلا هو في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[المدثر: ٣١][٢].

٦- قال الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾[الفتح:٩].

قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعينوه، وتنصروه.

وقوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعظموه، وتفخموه، هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ، وهنا وقف، أي: على قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: سبحوا لله، يريد يصلوا له[٣].

٧- قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠].

قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ بأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة[٤].

قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم، وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ، ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة[٥]، وهو حاضر معهم، يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم، وظواهرهم، فهو سبحانه المبايع بواسطة رسوله ﷺ.

عدد أهل بيعة الرضوان: عن جابر قال: «كنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة»[٦].

وفي رواية: «كنا يومئذ ألف وأربعمائة ووضع يده في ذلك الماء فنبع الماء من بين أصابعه حتى رَوَوْ كلهم»[٧].

وفي رواية عن جابر في الصحيحين أنهم كانوا خمس عشرة مائة[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٨٩.
(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٦٠٤.
(٣) تفسير البغوي ٤/١٩٠.
(٤) تفسير البغوي ٤/١٩٠.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/٩١.
(٦) البخاري ٤٨٤٠، ومسلم ١٨٥٦.
(٧) البخاري ٥٦٣٩، ومسلم ١٨٥٦.
(٨) البخاري ٥٦٣٩، ومسلم، برقم ١٨٥٦، والبخاري، برقم ٤١٥٣.

٨- قال الله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ [الفتح:١٢].

أي: ظننتم أن العدو سيستأصلهم، فلا يرجعون ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ زين الشيطان ذلك في قلوبكم، ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، لا يرجعون، فأين تذهبون معه، انتظروا ما يكون من أمرهم ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ هلكى، لا تصلحون للخير[١].

٩- قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الفتح:١٥].

«يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن صلح الحديبية ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ﴾ سرتم، وذهبتم أيها المؤمنون ﴿إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعني: غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر، نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية، وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة، عوضاً عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا منهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة .. ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾، أي: إلى خيبر ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب»[٢].

١٠- قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح:١٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم، الذين هم أولو بأس شديد على أقوال:

---

(١) تفسير البغوي، ٤/١٩١، وانظر: ما قال ابن كثير رحمه الله ١٣/١٠١.
(٢) تفسير البغوي، ٤/١٩٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٣/١٠٢.

أحدها: أنهم هوازن، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة.

الثاني: ثقيف، قاله: الضحاك.

الثالث: بنو حنيفة، قاله: جويبر وغيره.

الرابع: هم أهل فارس، روي عن ابن عباس.

وقال كعب الأحبار: هم الروم، وعن عطاء، والحسن، وقتادة: هم فارس، والروم، وعن مجاهد: هم أهل الأوثان.

وعن مجاهد أيضاً: هم رجال أولو بأس شديد، ولم يعين فرقة، وبه يقول ابن جريج، واختاره ابن جرير[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم فارس والروم ومن نحى نحوهم وأشبههم»[(٢)].

١١- قال الله تعالى:﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:١٢].

السكينة: هي الطمأنينة، والرضا[(٣)].

١٢- قال الله تعالى:﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ [الفتح:٢٠].

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، **﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾** يعني: خيبر، **﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾**، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر، وحاصر أهلها، همَّت قبائل من بني أسد، وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين، وذراريهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: **﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾**: يعني أهل مكة بالصلح، **﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** أي: كفهم، وسلامتكم منهم آية على صدقك، ويعلموا أن الله هو المتولي حفظهم، وحراستهم في مشهدهم، ومغيبهم، **﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾** أي: يثبتكم على الإسلام، ويزيدكم بصيرة، ويقيناً بصلح الحديبية، وفتح

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٠٣، وانظر: تفسير البغوي، ٤/١٩٢.
(٢) تفسير السعدي، ص٩٣٦.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ٤/١٩٤، وتفسير ابن كثير، ١٣/١٠٥.

خيبر، بسبب انقيادكم لأمره، واتباعكم طاعته، وموافقتكم رسوله ﷺ[١].

١٣- قال الله تعالى:﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ [الفتح:١٢].

أي: وغنيمة أخرى، وفتح آخر معين، لم تكونوا تقدروا عليها، قد يسَّرها الله عليكم، وأحاط بها لكم؛ فإنه تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسبوا.

واختلف المفسرون في هذه الغنيمة ما المراد بها؟ فقال العوفي عن ابن عباس: هي خيبر، وهذا على قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إنها صلح الحديبية، وقاله الضحاك.

وقال قتادة: هي مكة، واختاره ابن جرير.

وقال ابن أبي ليلى، والحسن البصري: هي فارس، والروم.

وقال مجاهد: هي كل فتح، وغنيمة إلى يوم القيامة[٢].

١٤- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ [الفتح:٢٤].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ «أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح: ٢٤] [٣].

١٥- قال الله تعالى:﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥].

قوله: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي: وصدوا الهدي أن يبلغ

---

(١) تفسير البغوي، ١٩٤/٤، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٠٧/١٣، وتفسير السعدي، ص٩٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٠٧/١٣، وانظر: تفسير البغوي، ١٩٨/٤.

(٣) مسلم، برقم ١٨٠٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٠٨/١٣، وتفسير البغوي، ١٩٨/٤.

محله، وهذا من بغيهم وعنادهم، وكان الهدي سبعين بدنة[١].

قوله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ أي: إثم وغرامة.

قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم، ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لسلطناكم عليهم، فلقتلتموهم قتلاً ذريعاً[٢].

١٦- قال الله تعالى:﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وأبو أن يكتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فأنزل الله سكينته على رسوله، وعلى المؤمنين حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية، فيعصوا الله في قتالهم.

قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وهي: قول لا إله إلا الله، كما قال ابن جرير، وعبدالله بن الإمام أحمد.

وقيل: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما قال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقال الله جل ثناؤه على المؤمنين: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، قال مجاهد: «كلمة التقوى»: الإخلاص، وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير.

وقال علي، وابن عمر رضي الله عنهم: لا إله إلا الله والله أكبر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: كان المسلمون أحق بها من الكفار، وكانوا أهلها في علم الله، لأن الله تعالى اختار لدينه، وصحبة نبيه ﷺ أهل الخير.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الخير ممن

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١١١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١١١.

يستحق الشر[(١)].

١٧- قال الله تعالى:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

كان رسول الله ﷺ قد أُريَ في المنام أنه دخل مكة، وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك، وهو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية، لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسَّر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية صلح الحديبية، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب ﷺ النبي ﷺ عن ذلك، فقال فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: «**بلى**»، «**فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟**» قال: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، وبهذا أجاب أبو بكر الصديق ﷺ أيضاً حذو القذة بالقذة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هذا لتحقيق الخبر، وتوكيده، وليس هذا من الاستئناف في شيء، وقوله: ﴿آمِنِينَ﴾ أي: في حال دخولكم، وقوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ حال مقدرة؛ لأنهم في حال حرمهم لم يكونوا محلقين، ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه، ومنهم من قصره، وقوله: ﴿لا تَخافُونَ﴾ حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد، وهذا كان في عمرة القضاء سنة سبع، فإن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة، رجع إلى المدينة، فأقام بها ذا الحجة، ومحرم، وخرج في صفر إلى خيبر، ففتحها الله عليه، ثم رجع إلى المدينة، فلما كان في ذي القعدة سنة سبع، خرج إلى مكة معتمراً، هو وأهل الحديبية[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١٣/١١٣، وتفسير البغوي، ٤/٢٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٣/١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ أي: من قبل دخولكم المسجد الحرام ﴿فَتْحاً قَرِيباً﴾ هو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل فتح خيبر[(١)].

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: فعلم الله من الخيرة، والمصلحة في صرفكم عن مكة، ودخولكم إليها عامكم ذلك، ما لم تعلموه أنتم ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي ﷺ فتحاً قريباً، وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين[(٢)].

١٨- قال الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [الفتح:٢٨].

قوله: ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي: بالعلم النافع، والعمل الصالح، فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق، وإنشاءاتها عدل ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض: من عرب، وعجم، ومليين ومشركين، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ أي: أنه رسوله، وهو ناصره.

١٩- قال الله تعالى:﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: السمت الحسن، وقال مجاهد، وغير واحد: يعني الخشوع، والتواضع، وعن منصور عن مجاهد قال: الخشوع.

قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلباً من فرعون.

وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم[(١)].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٢٠٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١٣٢.
(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٣٣.

قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي: صفتهم في التوراة، قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ أي: صفتهم في الإنجيل. ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي أخرج فراخه، يقال: أشطأ الزرع، فهو مشطئ إذا أفرخ.

قوله: ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: قواه، وأعانه، وشد أزره.

قوله: ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: فاستغلظ ذلك الزرع.

﴿فَاسْتَوَى﴾ أي: ثم تلاحق نباته، وقام، وشب وطال.

﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ أي: على أصوله.

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: أعجب ذلك زرَّاعه، فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه، وأيدوه، ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع.

قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة، والنهي عن التعرض لهم بسبٍ، ومساءة، كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم[1].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٣٤، وانظر: تفسير البغوي ٤/٢٠٧.

٤٩ -سورة الحجرات[1]

١- قال اللَّه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الحجرات:١-٧].

هذه آداب أدّب اللَّه بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسول اللَّه ﷺ من التوقير، والاحترام، والتبجيل، والإعظام، وقوله: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، وقال ابن عباس: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وقيل: لا تقدموا القول، والفعل بين يدي اللَّه ورسوله، ويقال: لا تقدموا القول والفعل بين يدي رسوله، وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: والمعنى: لا تتقدموا أمام اللَّه ورسوله، فتقولوا شيئاً بغير علم، ولا إذن من اللَّه، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي اللَّه، ورسوله، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به اللَّه، وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه اللَّه، ولا حلال إلا ما أحله اللَّه، ولا دين إلا ما شرعه[2].

٢- قال اللَّه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

هذا أدب ثانٍ أدب اللَّه به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ، ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً.

قوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي: لئلا تحبط أعمالكم، أي: لئلا تحبط حسناتكم، وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حياً وميتاً[3].

٣- قال اللَّه تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ

---

(١) حرر في يوم السبت ١/٩/١٤٣٨هـ.
(٢) أضواء البيان، ٧/٦١٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/٢٠٨، وتفسير ابن كثير، ١٣/١٣٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٢، وانظر: تفسير البغوي، ٤/٢٠٩.

الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات:٣].

أي: أخلصها له، وجعلها أهلاً، ومحلاً، واختبرها كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج خالصه[1].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

أي: وبغض إليكم الكفر، والفسوق، وهي: الذنوب الكبار، والعصيان، وهي: جميع المعاصي[2].

٥- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨]

أي: عليم بكل شيء، وبمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، حكيم: في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره[3].

٦- قال اللَّه تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية [الحجرات:٩].

فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية، وإن عظمت، لا كما تقول الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة، ونحوهم[4].

٧- قال اللَّه تعالى:﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

القسط: العدل، وعن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[5].

٨- قال اللَّه تعالى:﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١].

الهمز بالفعل، واللمز بالقول، كما قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١١].

قوله: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٢، وتفسير البغوي، ٤/٢١٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٨، وانظر: تفسير البغوي، ٤/٢١٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/١٥٠.

(٥) مسلم، ١٨٢٧.

الشخص سماعها[(١)].

٩- قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢].

التجسس غالباً يطلق في الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير، كما قال تعالى إخباراً عن يعقوب **﴿يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾**[يوسف: ٨٧]، وقد يستعمل كل منهما في الشر، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»[(٢)].

قال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء، والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم، وهم له كارهون، أو يستمع على أبوابهم[(٣)].

١٠- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى، لا بالأحساب[(٤)].

وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(٥)].

وقوله: **﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** أي: عليم بكم، خبير بأموركم، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله[(٦)].

ولقد صدق من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب[(٧)]

١١- قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٥٤.
(٢) البخاري، برقم ٦٠٦٤، ومسلم، برقم ٢٥٦٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٥٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/١٦٩.
(٥) مسلم، برقم ٢٥٦٤.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٣.
(٧) أضواء البيان، للشنقيطي ٧/٦٣٥.

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤].

قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن هؤلاء منافقون، لأنهم مسلمون في الظاهر كفار في الباطن.

القول الثاني: أن المراد بنفي الإيمان في قوله: ﴿لم تؤمنوا﴾ نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله، فلا إشكال فيه عند أهل السنة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص.

واستظهر الأول **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان [١] وأنهم كفار.

واختار **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[٢] بأن هؤلاء المذكورين ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون، لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير، ثم قال الإمام ابن كثير: وإنما قلنا هذا؛ لأن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين، يظهرون الإيمان، وليسوا كذلك .. والصحيح الأول: أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد، فأدبوا، وأُعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعُنِّفوا وفُضِحوا[٣].



(١) أضواء البيان، للشنقيطي ٧/٦٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٥.

٥٠ -سورة ق[١]

هذه السورة هي أول الحزب المفصَّل على الصحيح، وقيل: من الحجرات، والصواب الأول[٢].

تحزيب الصحابة ﷺ للقرآن:

ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل[٣].

وبيان ذلك:

١- **ثلاث**: البقرة، وآل عمران، والنساء.

٢- **وخمس**: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

٣- **وسبع**: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

٤- **وتسع**: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.

٥- **إحدى عشرة**: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

٦- **وثلاث عشرة**: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وعسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات.

٧- **ثم بعد ذلك حزب المفصل**، كما قاله الصحابة ﷺ، فتعين أن أوله سورة ق، أي: أول حزب المفصل[٤].

وعن أم هشام بنت حارثة قالت: «**لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس**»[١].

---

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/٤هـ.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود برقم ١٣٩٣، وابن ماجه برقم ١٣٤٥، وأحمد برقم ١٦٢١٤، ١٩٧٥، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٨.

(١) مسلم ٨٩١، ورقم ٢٥٨-٢٥٩.

والقصد أن رسول اللَّه ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد، والجمع، لاشتمالها على الابتداء للخلق، والبعث والنشور، والمعاد، والقيام والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب[(١)].

١- قال اللَّه تعالى:﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق:١٠].

قوله: ﴿باسقات﴾ أي: طوالاً، شاهقات، كما قاله ابن عباس، وغيره.

قوله: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي: ثمر، وحمل، سمي بذلك؛ لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق.

قوله: ﴿نَضِيدٌ﴾ متراكب، متراكم، منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه، فليس بنضيد[(٢)].

٢- قال اللَّه تعالى:﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥].

والمعنى: أفأعجزنا ابتداء الخلق، حتى هم في شك من الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، والمعنى: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا، والإعادة أسهل منه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: ٢٧][(٣)].

٣- قال اللَّه تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفسه من الخير، والشر، وقد ثبت في الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها، ما لم تعمل، أو تَكَلَّمْ**» أو كما قال ﷺ[(٤)].

قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: ٨٥]، يعني ملائكته، وكذلك

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٧٩.
(٢) تفسير البغوي ٤/٢٢١، وتفسير ابن كثير، ١٣/١٨٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٨٤.
(٤) البخاري برقم ٢٥٢٨. انظر: تفسير ابن كثير، ١٣/١٨٥.

الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد إليه، بإقدار الله لهم على ذلك، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول، أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله، وتقدس، واللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1].

أما الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: أعلم به من حبل الوريد.

وحبل الوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين[2]، وقد رد على هذا ابن كثير كما تقدم.

٤- قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يكتب كل ما تكلم به من خير، أو شر، حتى إنه ليكتب: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عُرض قوله، وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير، وشرّ، وألقي سائره، وذلك قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩]، وذكر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يئن أحمد حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

ومعنى رقيب: أي: حافظ، ومعنى عتيد: أي: حاضر أينما كان[4].

قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أي: ابن آدم ﴿من قول﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلا ولها من يراقبها، مُعتدّ لذلك، يكتبها، لا يترك كلمة، ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ *

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٨٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٢٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٨٧.
(٤) تفسير البغوي، ٤/٢٢٢.

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠-١٢][1].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله، هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير.

وقيل: السائق: الملك، والشهيد: العمل، روي عن الضحاك، والسدي.

وقيل: السائق: الملك، والشهيد: الإنسان نفسه يشهد على نفسه، وبه قال الضحاك بن مزاحم[2].

٦- قال اللَّه تعالى:﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق:٢١].

يقول الرب ﷻ للإنسي، وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق، فيقول الإنسي: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ربنا ما أضللته، ولكن كان في ضلال بعيد[3].

٧- قال اللَّه تعالى:﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وهذا كقوله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، وهو النظر إلى وجه اللَّه الكريم، وقد ثبت ذلك في صحيح مسلم[4].

٨- قال اللَّه تعالى:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [ق:٣٦].

قوله: ﴿فَنَقَّبُوا﴾: ضربوا، وساروا، وطافوا فيها، يبتغون الأرزاق، والمتاجر، والمكاسب.

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: هل من مفرٍّ كان لهم من قضاء اللَّه وقدره، ومن الموت[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/١٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/١٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/١٩٣.

(٤) مسلم برقم ٢٩٧-٢٩٨.

(١) تفسير البغوي ٤/٢٢٦، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٠١.

٩- قال اللَّه تعالى:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق:٤٠].

أي صلِّ له، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[الإسراء: ٧٩]، وهذا يدل على صلاة الليل، أي وقتٍ صلَّى، وقيل صلاة المغرب، والعشاء.

وقوله: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، **قيل**: هو التسبيح بعد الصلوات.

وقيل: هما الركعتان بعد المغرب.

وقيل: الركعتان قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، والركعتان بعد المغرب أدبار السجود.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: هو قول أكثر المفسرين[١].



(١) تفسير البغوي ٤/٢٢٧، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٠٤.

٥١ -سورة الذاريات[١]

١- قال الله تعالى:﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاتِ وِقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ [الذاريات:١-٣].

قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: الرياح التي تذرو التراب ذرواً.

قوله: ﴿فَالْحَامِلاتِ﴾ يعني: السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء.

قوله: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ هي السفن التي تجري في الماء جرياً سهلاً.

قوله: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به[٢].

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات:٧].

أي: الحساب لكائن لا محالة، فالحساب، والجزاء واقع لا محالة.

٣- قال الله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات:٧].

أي: ذات البهاء، والجمال، والخلق الحسن، والاستواء، قاله ابن عباس وغيره[٣].

٤- قال الله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٩].

أي: يصرف عن الإيمان من صرف.

وقيل: يضل عنه من ضل.

٥- قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات:١٠].

أي: الكذابون، وقيل: لعن المرتابون.

وقيل: هلك المرتابون.

وقيل: لعن المرتابون[٤].

٦- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١١].

قوله: ﴿غَمْرَةٍ﴾ غفلة، وعمى وجهالة.

---

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/٥هـ
(٢) تفسير البغوي، ٢٢٨/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٠٧/١٣.
(٣) تفسير البغوي، ٢٢٩/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٠٩/١٣.
(٤) تفسير البغوي، ٢٢٩/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٠٩/١٣.

قوله: ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون، غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه [(١)].

٧- قال الله تعالى:﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧].

الهجوع: النوم بالليل دون النهار.

والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي: يصلون أكثر الليل.

وقيل: كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر، قاله الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

٨- قال الله تعالى:﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]

السائل: الذي يسأل الناس، وله حق؛ ولهذا جاء في الحديث: «**للسائل حق وإن جاء على فرس**»[(٣)].

وأما المحروم: فقال ابن عباس: هو المحارف الذي ليس في الإسلام سهم، يعني لا سهم له في بيت المال، ولا كسب له، ولا حرفة يتقوت بها.

وقال قتادة: المحروم الذي لا يسأل الناس شيئاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه**»[(٤)].

واختار الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان، قد ذهب ماله سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها[(٥)].



(١) تفسير البغوي، ٤/٢٢٩، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢١٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٢٣٠، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢١٢.
(٣) أحمد، ٣/ ٢٥٤، برقم ١٧٣٠، وضعفه محققو المسند، ورواه أبو داود برقم ١٦٦٦، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ٢/ ١٢٩، برقم ٢٩٤.
(٤) البخاري، برقم ١٤٧٦، ومسلم، برقم ١٠١، و١٠٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/٢١٦.

٥٢ -سورة الطور[١]

١- قال الله تعالى:﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور:١-٦].

قوله: ﴿وَالطُّورِ﴾: الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بالأرض المقدسة، قاله البغوي، وقال ابن كثير: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى[٢].

قوله: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ قيل: مكتوب، وقيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة التي تقرأ على الناس جهاراً.

قوله: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ الرق ما يكتب فيه.

قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت بالسماء السابعة، وهو كعبة أهل السماء السابعة، حيال الكعبة، يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم[٣].

قوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[الأنبياء: ٣٢].

قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني: المرسل، وقال قتادة: المسجور المملوء، واختاره ابن جرير، ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم، فهو مملوء، وقيل: المراد به الفارغ، قاله ابن عباس، وقيل: المراد بالمسجور: الممنوع المكفوف عن الأرض؛ لئلا يغمرها فيغرق أهلها، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٤].

وقيل: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني: الموقد، المحمى بمنزلة التنور المسجور، وهو قول ابن عباس، وذلك أن الله يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً، فيزاد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[التكوير: ٦][٥]. والله تعالى أعلم.

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/٥هـ
(٢) تفسير البغوي، ٢٣٦/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٢٦/١٣.
(٣) تفسير البغوي، ٢٣٧/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٢٦/١٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢٢٨/١٣.
(٥) تفسير البغوي ٢٣٧/٤.

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور:٧]، هذا المقسم عليه، أي: واقع بالكافرين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[الطور: ٨][(١)].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

اختلف العلماء رحمهم الله في معنى هذه الآية:

فقال قوم معناها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ يعني: أولادهم الصغار، والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمانهم بآبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم؛ لتقر بذلك أعينهم، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال آخرون: معناه: والذين آمنوا، واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، وهو قول الضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة، كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله، ويلحقهم بدرجة بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ أي: ما نقصناهم، يعني الآباء ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذريتهم﴾**»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٢٩.

(٢) أخرجه الطبري، ٢٤/٢٧، و ينظر: البغوي في تفسيره، ٤/٢٣٩، وتحقيق ابن كثير، ١٣/٢٣٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٥٠٩، وصححه، وسكت عنه الذهبي، والسنن الكبرى للبيهقي، ١٠/ ٢٦٨، وضعفه ابن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ، ٢/ ٦١٠.

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء .. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنا لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»[١].

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفعه: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

قوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: كل كافر مرتهن في النار بعمله الشرك والمؤمن ليس كذلك لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾[المدثر: ٣٨- ٤١][٣].

أما **الإمام ابن كثير** رحمه الله فقال: أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أباً، أو ابناً، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنْ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:٤٨-٤٩].

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾:

١-**قيل**: حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**»[٥]، قاله سعيد بن جبير، وعطاء.

---

(١) أحمد ٢/٥٠٩. وقال ابن كثير: إسناده صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه، ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [مسلم، برقم ١٦٣١] تفسير ابن كثير، ١٣/٢٣٤.

(٢) مسلم، برقم ١٦٣١.

(٣) تفسير البغوي، ١/٢٣٩، وأضواء البيان، ٧/٦٨٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٣٥.

(٥) الترمذي، برقم ٣٤٢٩، وحسنه الألباني.

٢-وقيل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة، أي: دعاء الاستفتاح: «**سبحانك اللهم، وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»، وغير ذلك من أنواع الاستفتاح، قاله الضحاك، والربيع بن أنس، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم.

٣-وقيل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من نومك من فراشك، قاله أبو الجوزاء، واختاره ابن جرير، فعن عبادة بن الصامت يرفعه: «**من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، ثم قال: رب اغفر لي، أو قال: ثم دعا استجيب له، فإن قام وتوضأ، ثم صلّى، قبلت صلاته**»[(١)].

قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره، واعبده بالتلاوة، والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾[الإسراء: ٧٩]، قاله ابن كثير في تفسيره[(٢)].

وقال مقاتل: يعني: صلاة المغرب، والعشاء[(٣)].

قوله: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ يعني: ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم، أي: تغيب بضوء الصبح، وهذا قول أكثر المفسرين، وقد قال ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[(٤)].

وقال الضحاك: ركعتا صلاة الصبح الفريضة[(٥)].



---

(١) البخاري، برقم ١١٥٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٧٨، وغيرهما. انظر: تفسير البغوي، ٤/٢٤٣، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٤٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٤٤.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ٤/٢٤٤.
(٤) مسلم، برقم ٧٢٥، تفسير البغوي، ٤/٤٤، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٤٤.
(٥) تفسير البغوي، ٤/٢٤٤.

٥٣ -سورة النجم[١]

قال عبدالله: «أول سورة نزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف»[٢].

١- قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم:١].

اختلف العلماء في معنى هذا النجم:

١-قيل: الثريا إذا سقطت، وغابت، والعرب تسمي الثريا نجماً.

٢-وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب.

٣-وروي عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم: أي: ما ترمي به الشياطين عند استراقهم السمع.

٤-وقيل: هي النجوم إذا انتشرت يوم القيامة.

٥-وقيل: المراد بالنجم القرآن؛ لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق تنجيماً، والمفرق منجماً، هذا قول ابن عباس.

٦-وقيل: هو النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[الرحمن: ٦]، وهويّه سقوطه على الأرض.

٧-وقال جعفر الصادق: هو محمد ﷺ إذا نزل من السماء إلى الأرض ليلة المعراج، والهوي: النزول، يقال: هوى يهوي هوياً، إذا نزل، ذكر هذه الأقوال البغوي في تفسيره[٣].

واختار الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ القول الأول، وهو القول بأنه الثريا، وقوله: ﴿إِذَا هَوَى﴾: سقط مع الصبح، وغاب[٤].

٢- قال الله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/٨هـ.
(٢) البخاري، برقم ٤٨٦٣.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٢٤٤.
(٤) انظر: تفسير أضواء البيان، ٧/٦٩٩، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٤٦.

﴿الْهَوَى﴾ [النجم: ٢-٣]، هذا هو المقسم عليه.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: أظهر الأقوال عندي، وأقربها للصواب في نظري: أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم [أي: في قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة: ٧٥] في سورة الواقعة، هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى، هو أن النبي ﷺ على حق، وأنه ما ضل، وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الواقعة: ٧٧- ٨٠].

والثاني: أن كون المقسم عليه المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم، أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾؛ لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله، أنسب لذلك من نجوم السماء، ونجم الأرض، والعلم عند الله تعالى[١].

٣- قال الله تعالى:﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم:٥-٦].

قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل، والقوى: جمع قوة.

قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة شديدة، وخلق حسن.

﴿فَاسْتَوَى﴾ أي: جبريل[٢].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ يعني: محمداً ﷺ، وقيل: جبريل.

٥- قال الله تعالى:﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٨-٩].

١-قيل: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتاه هذه المرة على صورته الحقيقية، أي: دنا بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى: فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين، أو أدنى، بل أدنى، وبه قال ابن عباس، وغيره، والتدلي هو

(١) أضواء البيان، ٧/٧٠٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٢٤٥، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٤٩.

النزول إلى الشيء حتى يقرب منه.

٢-وقيل: دنا محمد ﷺ من ربه، فتدلَّى، فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين، أو أدنى، أي: قدر قوسين، والقاب، والقيب، والقاد، والقيد: عبارة عن المقدار، والقوس ما يرمى به، أي: مقدار قوسين، أي: بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين، وقيل: قدر ذراعين، وهو قول عبدالله بن مسعود، وسعيد بن جبير، والقوس: الذراع، يقاس بها كل شيء، أو أدنى، بل أقرب[١].

٣-وقيل: دنا الجبار رب العزة، فتدلّى.

٤-وقيل: الذي دنا جبريل، دنا من ربه[٢]، والله ﷻ أعلم.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الذي قلناه أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ، إنما هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو قول أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة»، ثم أورد أحاديثهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ[٣].

٦- قال اللَّه تعالى:﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١].

١-قيل: رأى محمد ﷺ ربه.

٢-وقيل: رأى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو قول ابن مسعود، وعائشة، وأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأى جبريل، وله ستمائة جناح، الجناح يسد الأفق، رآه مرتين على هذه الصورة، ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حينما سئل: يا رسول الله، هل رأيت ربك قال: «نورٌ أنَّى أراه»[٤].

وفي لفظ «رأيت نوراً»[٥].

وهذا هو الصواب، كما يرجحه سماحة شيخنا الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه لم يرَ الله في الدنيا، ولا يستطيع أن يراه فيها أما في الآخرة، فيراه

---

(١) تفسير البغوي ٤/٢٤٥.
(٢) ابن جرير، ٢٢/٥٠٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٥٤.
(٤) مسلم، برقم ١٧٨/٢٩١.
(٥) مسلم برقم، ١٧٨/٢٩٢.

المؤمنون في عرصات القيامة، وفي الجنة، والمعنى أنه لم يره بعينه[١].

٧- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم:١٣]، أي: رأى النبي ﷺ جبريل مرتين نازلاً من السماء مرة في الأرض، ومرة في السماء[٢].

٨- قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم:٢٩-٣٠] أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق، واهجره[٣]، وقيل: عن القرآن، وقيل: الإيمان[٤].

قوله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ قال الإمام البغوي رحمه الله: «صغر رأيهم، فقال: ذلك مبلغهم من العلم، أي: ذلك نهاية علمهم، وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة»[٥].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي: وإنما أكثر همه، ومبلغ علمه الدنيا، فذلك هو غاية ما لا خير فيه، ولذلك قال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي: طلب الدنيا، والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه، وفي الحديث الذي رواه الترمذي[٦]: «**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا**».

وفي الحديث الذي رواه الترمذي: «**من كانت الآخرة همه، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا، وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، فرق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له**»[٧].

٩- قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ [النجم:٣٣-٣٤].

قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه[١].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٢٤٧، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٥٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٢٤٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٧١.
(٤) تفسير البغوي، ٤/٢٥١.
(٥) تفسير البغوي، ٤/٢٥١.
(٦) الترمذي، برقم ٣٤٩٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٢٧٢، برقم ١٢٦٨.
(٧) الترمذي، برقم ٢٤٦٥، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٤٥، برقم ١٧٠٨.
(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٧٧.

وقيل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ أي: أدبر عن الإيمان، ﴿وَأَعْطَى﴾ صاحبه ﴿قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ أي: بخل بالباقي، وقيل: أعطى قليلاً من الخير بلسانه، ﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطعه، وأمسك، ولم يقم على العطية[1].

١٠- قال اللَّه تعالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٨-٣٩].

قوله: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحمل نفس حاملة أخرى، ومعناه: لا تؤاخذ نفس بإثم غيرها، أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر، أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها، لا يحملها عنها أحد، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[فاطر: ١٨][2].

١١- قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النجم:٣٩-٤١].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ يدل على أن الإنسان لا يستحق أجراً إلا على سعيه بنفسه، ولم تتعرض هذه الآية لانتفاعه بسعي غيره بنفي، ولا إثبات؛ لأن قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ قد دلت اللام فيه على أنه لا يستحق، ولا يملك شيئاً إلا بسعيه، ولم تتعرض لنفي الانتفاع بما ليس ملكاً له، ولا مستحقاً له ..

فالآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره؛ لأنه لم يقل، وان لم ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: وأن ليس للإنسان وبين الأمرين فرق ظاهر؛ لأن سعي الغير ملك لساعيه، إن شاء بذله لغيره، فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه، وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه، والدعاء له والحج عنه، ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه[1].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/١٥٣، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٧٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٧٩.
(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٧٠٨.

والذي يترجح أن الإنسان ليس له إلا ما سعى، وأن من سعيه الولد الصالح، والعلم الذي نشره، والصدقة التي أجراها، وأما سعي غيره، فلا يملكه، ولكن ذلك الغير إذا عمل العمل، ثم أهدى ثوابه لغيره يصله، إلا ما خصه الدليل، فإن باب القربات يقتصر فيه على النصوص، ومما لم يرد فيه دليل على وصوله للميت قراءة القرآن، ثم أهدى ثوابه للميت، وكذلك الصلاة عنه، فإن هذا يحتاج إلى دليل، والله تعالى أعلم وأحكم.

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآية تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه، وتحت يده، ولا يلزم من ذلك أنه لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه»[(١)].



---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٦٩.

٥٤ -سورة القمر [١]

كان رسول اللَّه ﷺ في صلاة العيد يقرأ بـ«ق واقتربت»[٢].

١- قال اللَّه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١-٢].

قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: دنت القيامة، كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: ١]، وقوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١]، وقد ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ يرفعه: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من نهاري فيما مضى»[٣]، وقد ثبت من حديث ابن عمر يرفعه: «إنما أجلكم في أجل من خلى من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ...»[٤].

قوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمن رسول اللَّه ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهو إحدى المعجزات الباهرة.

ومن هذه الأحاديث: حديث أنس بن مالك ﷺ: «أن أهل مكة سألوا رسول اللَّه ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما»[٥]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:٣].

١-قيل: الخبر مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر.

٢-وقيل: كل أمر من خير، أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

٣-وقيل: يستقر قول المصدقين، والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب.

---

(١) حرر في ١١/٩/١٤٣٨هـ.
(٢) مسلم، برقم ٨٩١.
(٣) مسند أحمد، ١٠/ ١٧٧، برقم ٥٩٦٦، وصححه محققو المسند، وحسنه ابن حجر في الفتح ١١/٣٥٠، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند.
(٤) البخاري، برقم ٣٤٥٩.
(٥) البخاري، برقم ٣٨٦٨.

٤-وقيل: لكل حديث منتهى.

٥-وقيل: كل مقدر كائن لا محالة(١).

٦-وقيل: الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر.

٧-وقيل: مستقر بأهله.

٨-وقيل: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: يوم القيامة.

٩-وقيل: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: واقع(٢).

٣- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥].

١-﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ آية: يعني الفعلة التي فعلنا ﴿آيَةً﴾ يعتبر بها.

٢-وقيل: أراد السفينة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة.

٣-وقيل: الظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾[يس: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة: ١١-١٢]، ولهذا قال هنا: فهل من مدكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه(٣).

٤- قال الله تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ* وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: ما خلقناه فمقدور، ومكتوب في اللوح المحفوظ، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[الفرقان: ٢]، وكقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى: ١-٣]، أي: قدر قدراً، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل أهل السنة بهذه الآية على إثبات قدر الله السابق لخلقه: وهو علمه الأشياء قبل كونها،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٢٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٢٩٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي، ٤/٢٦١، وتفسير ابن كثير، ١٣/٢٩٨، وأضواء البيان، ٧/٧٢٠.

وكتابته لها قبل خلقها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[١]، وفي الحديث: «**استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٢]، وفي حديث ابن عباس يرفعه: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك، لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله عليك، لم يضروك، جفت الأقلام، وطويت الصحف**»[٣]، وفي الحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»[٤]، وفي حديث عبدالله بن عمرو يرفعه: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[٥].

قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، والمعنى: وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها، كلمح البصر: أي أسرع من لمح البصر[٦].

قال **الحافظ ابن كثير** رحمه الله: «وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين»[٧].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [٥٢-٥٣].

أي: كل شيء يفعلونه مكتوب عليهم من خير وشر في ﴿الزُّبُرِ﴾ أي: في الكتب التي بأيدي الملائكة.

---

(١) أحمد، ١٠/ ١٣٣، برقم ٥٨٩٣، وصححه محققو المسند، ورواه مسلم من حديث مالك منفرد به، برقم ٢٦٥٥.
(٢) مسلم، برقم ٢٦٦٤.
(٣) أحمد، ٤/ ٤٠٩، برقم ٢٦٦٩، وقوّى إسناده محققو المسند، والترمذي، برقم ٢٥٢٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٣٩١٧.
(٤) أحمد ٢٢٨٠٨.
(٥) الترمذي ٢١٥٧.
(٦) تفسير البغوي، ٤/٢٦٥.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٠٩.

قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم، ومسَّطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها[1].

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥].

والمعنى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في مجلس حق في دار كرامة اللَّه، لا لغو فيه، ولا تأثيم[2]، ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها، ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء، لا يعجزه شيء[3]، وفي الحديث عن عبداللَّه بن عمرو يرفعه: «**المقسطون عند اللَّه يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[4].



(١) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٣٠٩.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٢٦٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٣١٠.
(٤) أحمد، ١١/ ٣٢، برقم ٦٤٩٢، وغيره، وصحح إسناده محققو المسند.

٥٥ -سورة الرحمن [١]

عن جابر قال: خرج رسول اللَّه ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم «سورة الرحمن» من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «**لقد قرأتها على الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد**»[٢].

١- قال اللَّه تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:١-٢].

أي: أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه، وفهمه على من رحمه اللَّه.

وقيل: معنى ذلك: علم النطق، وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما يعني: الخير، والشر، وقول الحسن: علم النطق أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق، واللسان، والشفتين على خلاف مخارجها[٣].

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥].

أي: يجريان متعاقبين، مُتْقنين، لا يختلف، ولا يضطرب[٤].

٣- قال اللَّه تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦].

اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق: فقيل: النجم ما انبسط على وجه الأرض من النبات، قاله ابن عباس، واختاره ابن جرير، وقيل: النجم الذي في السماء .

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول هو الأظهر، واللَّه أعلم، لقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾**[الحج:١٨]، واختار هذا القول الشنقيطي[٥].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن:١٢].

---

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/١٦هـ
(٢) الترمذي ٣٢٨٧، والحاكم، ٤٧٣/٣، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه برقم ٢١٥٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣١٥/١٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣١٤/١٣.
(٥) تفسير ابن كثير، ٣١٤/١٣، أضواء البيان، ٧٣٧/٧.

قوله: ﴿وَالْحَبُّ﴾ جميع الحبوب التي يقتات بها، مثل القمح، والشعير، والذرة ونحو ذلك.

قوله: ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ أي: صاحب العصف، واختلف العلماء في معنى العصف على أقوال:

١-قيل: العصف: ورق كل شيء يخرج من الحب.

٢-وقيل: العصف: التبن قاله ابن عباس في رواية.

٣-وقيل: العصف: هو ورق الزرع الأخضر، إذا قطع رؤوسه، ويبس، ونظيره: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[الفيل: ٥][1].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «ومعنى هذا، والله أعلم، أن الحب كالقمح، والشعير، ونحوهما، له في حال نباته عصف، وهو ما على السنبلة، وريحان، وهو الورق: الورق الملتف على ساقها، وقيل: العصف الورق، أول ما ينبت الزرع بقلاً، والريحان: الورق يعني: إذا أدجن، وانعقد فيه»[2].

وقال الشنقيطي: «قوله: الحب، كالقمح ونحوه، وقوله: ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ قال أكثر العلماء: العصف: ورق الزرع ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، وقيل: العصف: التبن»[3].

قوله: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ اختلف العلماء في معناه، فقال بعض أهل العلم: هو كل ما طاب ريحه من النبت، وصار يشم للتمتع بريحه.

وقال بعض العلماء: الريحان: الرزق، ومنه قول بعضهم:

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

ولهذا قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق[4].

٥- قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠].

قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أرسلهما، وخلاهما يلتقيان، والبحران

(١) تفسير البغوي، ٤/٢٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٣١٦.
(٣) أضواء البيان، ٧/٧٤٠.
(٤) تفسير البغوي، ٤/٢٦٨، وأضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٧٤٠.

هما: الملح، والحلو، أي: العذب، والمالح.

قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ أي: وجعل بينهما برزخاً، أي: الحاجز من قدرة الله تعالى، وقيل من الأرض، ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يختلطان، ولا يتغيران، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، وقيل: لا يبغيان على الناس بالغرق[1].

٦- قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢].

أي: يخرج من مجموعهما، فإذا وجد ذلك لأحدهما كفى[2].

٧- قوله الله تعالى :﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

ذو الجلال: الكبرياء، والعظمة.

والإكرام: أي: يكرم أنبياءه، وأولياءه بلطفه، مع جلاله، وعظمته[3].

وفي الحديث: «**ألظوا بياذا الجلال والإكرام**»[4] أي: الزموا، وداوموا، وألحوا.

٨- قال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

أي: يعرفون بعلامات سواد الوجوه، وزرق العيون، كما قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[آل عمران: ١٠٦][5].

٩- قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد، يعني: بعد الصلاة، إلا قدر ما يقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال، والإكرام**»[6] .

ألظوا بياذا الجلال والإكرام، أي: إلزموا، ويقال: الإلظاظ هو: الإلحاح، والمداوم، واللزوم[7].



---

(١) تفسير البغوي، ٤/٢٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٣١٨.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٢٧٠، وتفسير ابن كثير، ١٣/٣٢٠.
(٤) مسند أحمد، ٢٩/ ١٣٨، برقم ١٧٥٩٦، وصححه محققو المسند.
(٥) تفسير البغوي، ٤/٢٧٢، وتفسير ابن كثير، ١٣/٣٢٧.
(٦) مسلم، برقم ٥٩١.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٤٤.

٥٦ -سورة الواقعة[١]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»[٢].

١- قال الله تعالى:﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خافضة رافعة﴾[الواقعة:١-٣].

قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، وحصلت هذه الأحوال العظيمة ظهرت منزلة: أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة، والواقعة من أسماء القيامة، كالطامة، والصاخة، والآزفة، والقارعة[٣].

قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء.

وقيل: تخفض أناساً وترفع آخرين.

وقيل: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة[٤].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ [الواقعة:٥-٦].

١-قال أكثر المفسرين: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً﴾ أي: فتت تفتيتاً، وطحنت.

٢-وقال بعضهم: الجبال منها جدد بيض، وحمر، مختلف ألوانها، وغرابيب سود، فإذا بست، وتفتتت يوم القيامة، وطيرت في الجو، أشبهت العهن إذا طيرته الريح في الهواء.

٣-وقيل: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً﴾ أي: سيرت بين السماء والأرض، وعلى هذا، فالمراد ببسها سوقها، وتسييرها.

٤-وقيل: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً﴾ أي: نزعت من أماكنها، وقلعت.

---

(١) حرر في ١٤٣٨/٩/١٨هـ

(٢) الترمذي، برقم ٣٢٩٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٣٧٤، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢ / ٦٧٦، برقم ٩٥٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١٣/٣٤٧، وأضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٧٦١.

(٤) تفسير البغوي، ٤/٢٧٩، وتفسير ابن كثير، ١٣/٣٤٧، وأضواء البيان، ٧/٧٦٣.

قال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآية الكريمة قد يكون فيها أوجه، كلها حق، يشهد لها القرآن»[(١)].

٣- قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٤].

قوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: تُذَكِّر النار الكبرى، فعن أبي هريرة يرفعه: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل اللَّه فيها منفعة لأحد**»[(٢)].

قوله: ﴿وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: المسافرين، قاله ابن عباس، وغيره، واختاره ابن جرير.

وقيل ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: الجائعين، فالمقوي هنا: الجائع.

وقيل: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: للحاضر، والمسافر لكل طعام، لا يصلحه إلا النار.

وقيل: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: المستمتعين: الناس أجمعين.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر، والبادي من غني، وفقير، الكل محتاجون إلى الطبخ، والاصطلاء، والإضاءة، وغير ذلك من المنافع[(٣)].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦].

١-**قيل**: مواقع النجو، أي: نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد ذلك، قاله ابن عباس.

وفي رواية عن ابن عباس: نزل القرآن جملة من عند اللَّه من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على

---

(١) أضواء البيان، ٤/٧٦٤-٧٦٥.

(٢) أحمد، ٢/٢٤٤، وقال المحقق: إسناده صحيح، وهو في البخاري، من حديث مالك، بلفظ: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»، برقم ٣٢٦٥، ومسلم من حديث أبي هريرة، برقم ٢٨٤٣، بلفظ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٨٧.

جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة[١].

٢-وقيل: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ في السماء، ويقال: مطالعها، ومشارقها، وهو قول مجاهد، والحسن، وقتادة، واختاره ابن جرير.

٣-وقيل: مواقعها: منازلها، روي عن قتادة.

٤-وقيل: مواقعها: انتشارها يوم القيامة، روي عن الحسن[٢].

٥-وقيل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ يعني بذلك: الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا، قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا[٣].

واختار العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم، لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٤].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٨٩، وتفسير البغوي، ٤/٢٨٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٨٩، وتفسير البغوي، ٤/٢٨٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٣٩٠.
(٤) أضواء البيان، عند قوله تعالى: {والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى} ٧/٧٠٠.

٥٧ - سورة الحديد[١]

١- قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

١-قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية، وأقوالهم على نحو بضعة عشر قولاً، وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً»[٢].

٢-عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «**اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول، فليس قبلك شيء، والآخر، فليس بعدك شيء، والظاهر، فليس فوقك شيء، والباطن، فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين، وأغننا من الفقر**»[٣].

٣-وعن ابن عباس قال: «إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾**»[٤].

٢- قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

والمعنى: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم من برٍ، أو بحر، في ليل، ونهار، في البيوت، أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره، وسمعه، فيسمع كلامهم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم، ونجواكم، كما قال تعالى: **﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [هود: ٥]، وقال تعالى: **﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾** [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن

---

(١) حرر في ١٩/٩/١٤٣٨هـ.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٠٢.
(٣) مسلم، برقم ٢٧١٣.
(٤) أبو داود، برقم ٥١١٠، وحسن إسناده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٢٤، برقم ١٦١٤.

الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)].

وعن عبدالرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: زوِّدني كلمة أعيش بها؟ فقال: «**استحِ الله كما تستحي رجلاً من صالح عشيرتك لا يفارقك**»[(٢)].

وعن عبدالله بن معاوية الفاخري أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طبية بها نفسه، رافدةً عليه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة[(٣)]، ولا الشرط اللئيمة، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره، [وزكى عبد نفسه، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: «يعلم أن الله معه حيث كان»][(٤)].

وكان الإمام أحمد يستشهد بهذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا إن ما يخفى عليه يغيب[(٥)]

وهذه المعية العامة، وهي معية العلم، وأما المعية الخاصة، فهي بمعنى: التوفيق، والإلهام، والتسديد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].

٣- قال الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

قوله: ﴿ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ إشارة إلى أنه سيكون مُخلَّفاً عنك، فلعلَّ وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعدَ بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله به، فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم، والعدوان[(٦)].

وعن عبدالله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو

---

(١) مسلم برقم ٨.

(٢) البيهقي في الشعب، ٦/١٤٥، برقم ٧٧٣٨، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٧٤١، وعزاه إلى أبي عروبة في الطبقات، والسلمي في آداب الصحبة، ورواه أحمد في الزهد، برقم ٥٩.

(٣) الدرنة: الجرباء.

(٤) أبو داود، برقم ١٥٨٢، والبيهقي، ٤/٩٥، وما بين المعقوفين من لفظ البيهقي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٠٨.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٣/١٤٠٩.

يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١]، «يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك، فهو ذاهب، وتاركه للناس»[٢].

وعن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى واحد: يتبعه: أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله»[٣].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٢-١٤].

قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال عبداللَّه بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «على قدر أعمالهم يمرون على الصراط: منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»[٤].

وقوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني على الصراط، قاله الحسن.

قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال الحسن، وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبدالرحمن

---

(١) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٣٢، برقم ١٦٣٠٥، ومسلم، برقم ٢٩٥٨.
(٢) مسلم، برقم ٢٩٥٩.
(٣) البخاري، ٦٥١٤، ومسلم، برقم ٢٩٦٠.
(٤) راه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وانظر: تفسير الطبري، ٢٢٣، وتفسير ابن كثير، ١٣/ ٤١٦.

بن زيد: هو الذي قال الله تعالى ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾[الأعراف: ٤٦]، وهكذا روي عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ غير واحد، وهو الصحيح.

وقوله: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها، ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، أي: النار وما فيها، قاله قتادة، وابن زيد، وغيرهما[1].

قوله: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت، وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق، وأهله، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت.

قوله: ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان[2].

٥- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧].

قوله: ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تلين عند ذكر الله، والموعظة، وسماع القرآن، فتفهمه، وتنقاد له، وتسمع له، وتطيع.

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين»[3].

قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلالتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث، كذلك يحيي القلوب القاسية ببراهين القرآن، والدلائل، ويولج إليها النور بعدما كانت مقفلة، لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلالة، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٢٠.
(٣) مسلم، برقم ٣٠٢٧.

في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال[(١)].

٦- قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

قوله: ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

قوله: ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: الأوجاع، والأمراض، فعن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[(٢)].

قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها، وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها، سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون.

قوله: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، أي: أعلمناكم بتقدم علمنا، وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها؛ لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، فلا تأسوا على ما فاتكم؛ فإنه لو قدر شيء لكان ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، أي: جاءكم، أو أعطاكم، كلاهما متلازمان، أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم؛ فإن ذلك ليس بسعيكم، ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله، ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً، وبطراً، فتفخروا بها على الناس؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أي: مختال في نفسه، متكبر ﴿فَخُورٍ﴾، أي: على غيره، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح، ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً[(٣)].



(١) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٤٢٤.
(٢) أحمد، ١١/ ١٤٤، برقم ٦٥٧٩، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٩/ ٥، برقم ٦١٠٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٤٣٠-٤٣١.

٥٨ -سورة المجادلة[١]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: ١][٢] والمرأة اسمها خولة، والمظاهر أوس بن الصامت.

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة:٣].

اختلف السلف، والأئمة في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار، فيكرره، وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم، وقول داود، ... وفرقة من أهل الكلام، وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار زمناً يمكنه أن يطلق فيه، فلا يطلق.

وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله: هو أن يعود إلى الجماع، أو يعزم عليه، فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة.

وحكي عن **الإمام مالك** رحمه الله أنه العزم على الجماع، والإمساك، وعنه أنه الجماع.

وقال **الإمام أبو حنيفة** رحمه الله: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته، فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه، والليث بن سعد.

وقيل: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني: يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم.

وقال **الحسن البصري** رحمه الله: يعني: الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً فيما دون الفرج، قبل أن يكفر[٣].

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة:٥].

---

(١) حرر في ٢/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) البخاري معلقاً مجزوماً به قبل الحديث رقم ٧٣٨٦، وأحمد، ٤٠/ ٢٢٨، برقم ٢٤١٩٥، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، ١٣/٤٤٩.

قوله: ﴿كُبِتُوا﴾ أي: أهينوا، ولعنوا، وأُخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم[1].

٣- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٦].

أي: يطلع عليهم، ويسمع كلامهم، وسرهم، ونجواهم، ورسله أيضاً تكتب ما يتناجون به مع علم الله به، وسمعه لهم، كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[التوبة: ٧٨].

وقال الله تعالى: **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**[الزخرف: ٨٠].

ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء[1].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة:٨].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السام، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش**»، قلت: ألم تسمعهم يقولون: السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أو ما سمعتِ أقول: وعليكم**»، فأنزل الله تعالى: **﴿وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾**[2].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله ﷺ: «**هل تدرون ما قال؟**» قالوا: سلم يا رسول الله، قال: «**بل قال: سام عليكم**»، أي: تسأمون دينكم، قال رسول الله ﷺ: «**ردوه**»،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤٥١/١٣.
(١) تفسير ابن كثير، ٤٥٢/١٣.
(٢) مسلم، برقم ٢١٦٥.

فردوه عليه، فقال نبي اللَّه: «**أقلت: سام عليكم؟**»، قال: نعم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا سلم أحد من أهل الكتاب، فقولوا: عليكم، أي: عليك ما قلت**»[1].

٥- قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المجادلة:١٠].

النجوى: وهي المسارة؛ حيث يتوهم منها مؤمن سوءاً ﴿**مِنَ الشَّيْطَانِ**﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان، وتزيينه.

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي؛ حيث يكون في ذلك تأذٍ على مؤمن، فعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه**»[2].

وعن ابن عمر يرفعه: «**إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه**»[3].

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١].

فالجزاء من جنس العمل، كما جاء في الحديث: «**من بنى لله مسجداً، بنى اللَّه له بيتاً في الجنة**»[4].

وكقوله ﷺ: «**ومن يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره اللَّه في الدنيا والآخرة، واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[5].

وعن ابن عمر يرفعه: «**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، فيجلس فيه، ولكن تفسحوا، وتوسعوا**»[6].

وقد اختلف الفقهاء في القيام الوارد، إذ جاء على أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/٢٨ وهو في صحيح البخاري عن عائشة نحوه، برقم ٢٩٣٥، و٦٩٢٦.
(٢) البخاري، برقم ١١٧١ في الأدب المفرد، ومسلم، برقم ٢١٨٤.
(٣) مسلم، برقم ٢١٨٣.
(٤) البخاري، برقم ٤٥٠، ومسلم، برقم ٥٣٣.
(٥) مسلم ٢٦٩٩.
(٦) أحمد، ٨/ ٢٨٤، برقم ٤٦٥٩، وصحح إسناده محققو المسند، وهو في البخاري، برقم ٦٢٦٩.

منهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «**قوموا إلى سيدكم**»[١].

ومنهم من منع ذلك لحديث: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

ومنهم من فصل في ذلك: يجوز عند القدوم من السفر، وللحاكم في محل ولايته.

قلت: والصواب أن ذلك على أحوال ثلاثة:

١-القيام إلى الرجل؛ ليقعده مكانه، أو يصافحه، أو يعانقه لقدومه من السفر، فهذا لا بأس به.

٢-القيام للرجل تعظيماً، لا للسلام، والمصافحة، وهذا لا يجوز.

٣-القيام على الرجل، وهو جالس، فهذا من فعل الأعاجم، ولا يجوز.

٧- قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المجادلة:١٢-١٣].

أي: إذا أراد أحدكم أن يسارّ الرسول ﷺ فيما بينه وبينه، فليقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره، وتزكيه، وتؤهله؛ لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال: ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ**﴾، ثم نسخ الله وجوب ذلك ﴿**فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣].

٨- قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ**﴾ [المجادلة:٢٠].

داخلون في جملة الأذلين، لا يوجد أحد أذل منهم، وقوله: ﴿**يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾، أي: يعادون، ويخالفون، ويشاقون، وأصله مخالفة حدود الله التي حدها،

---

(١) البخاري، برقم ٣٠٤٣، ومسلم، برقم ١٧٦٨.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٩، برقم ١٦٨٣٠، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ٥٢٢٩،والترمذي، برقم ٢٧٥٥، وصححه البخاري في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٦٩٤، برقم ٣٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/ ٤٦٢.

وقوله: ﴿فِي الأَذَلِّينَ﴾، أي: أعظم الناس ذلاً، والذل الصغار، والهوان، والحقارة[(١)].

٩- قال اللَّه تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وهذا فيه النهي البليغ، والزجر العظيم عن موالاة أعداء اللَّه، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى، وأوكد من إيراده بلفظ الإنشاء، كما هو معلوم في محله، ومعنى قوله: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: يحبون، ويوالون أعداء اللَّه ورسوله، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي، والزجر العظيم عن موالاة أعداء اللَّه، جاء موضحاً في آيات أخرى، كقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤][(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين للَّه ورسوله،: يعني: الذين هم في حد، والشرع في حد، أي: معاندون للحق مشاقون له، هم في ناحية، والهدى في ناحية ﴿أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب، الأذلين في الدنيا والآخرة»[(٣)].



(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٨٢٣.
(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٨٢٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٦٩.

٥٩ -سورة الحشر[١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت في بني النضير[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل: سورة النضير[٣].

١- قال اللَّه تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١].

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات، وما في الأرض من شيء، يسبح له بحمده، ويقدسه، ويصلي له، ويوحده كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء: ٧٧].

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي: ردَّه على رسوله، يقال: فاء، يفيء، أي: رجع وفاءها اللَّه ﴿مِنْهُمْ﴾، أي: يهود بني النضير.

قوله: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أوضعتم ﴿من خيل ولا ركاب﴾ يقال: وجف الفرس، والبعير، يجف وجيفاً، وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه: إذا حمله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم[٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مبيناً لمال الفيء، وما صفته، وما حكمه، فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال، ولا إيجاف خيل، ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه؛ فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل، ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة، والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى اللَّه في قلوبهم من هيبة رسول اللَّه ﷺ، فأفاءه اللَّه على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على

---

(١) حرر في ١٠/٥/ ١٤٣٨هـ.
(٢) البخاري، برقم ٤٨٨٢، ومسلم، برقم ٣٠٣١.
(٣) البخاري، برقم ٤٨٨٣.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٧١٦.

المسلمين في وجوه البر، والمصالح التي ذكر اللَّه ﷻ في هذه الآيات ...»[١].

٣- قال اللَّه تعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

أي: مهما أمركم به، فافعلوه، ومهما نهاكم عنه، فاجتنبوه؛ فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر[٢].

وهذا يدل على أن كل ما نهى عنه رسول اللَّه ﷺ، أو أمر به، فهو في كتاب اللَّه في هذه الآية الكريمة[٣].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتبنوه**»[٤].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤوا الدار، والإيمان من قبل أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم»[٥].

قوله: ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم اللَّه به من المنزلة، والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة[٦].

٥- قال اللَّه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٨٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٨٥.
(٣) البخاري، برقم ٤٨٨٦، ومسلم، برقم ٢١٢٥.
(٤) البخاري، برقم ٧٢٨٨، ومسلم، برقم ١٣٣٧.
(٥) البخاري، برقم ٣٧٠٠.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٣/٤٨٩.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:٩].

أي: يقدمون المحاويج على أنفسهم، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، ومن هذا المقام تصدق الصديق في غزوة تبوك بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**»، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهكذا عمر، عندما تصدق بنصف ماله، فقال له: «**ما أبقيت لأهلك؟**»، فقال: مثله، وهكذا هذا الماء الذي عرض على عكرمة، وأصحابه وهم جرحى يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشرب أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل رسول الله إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «**ألا رجل يضيّف هذا الليلة رحمه الله؟**»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ، لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء، فنوِّميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك، من فلان وفلانة**»، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(١)].

قوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من سلم من الشح، فقد أفلح، وأنجح، فعن جابر يرفعه: «**إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[(٢)].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ

---

(١) البخاري، برقم ٤٨٨٩، و٣٧٩٨، ومسلم، برقم ٢٠٥٤.

(٢) مسلم، برقم ٢٥٧٨.

﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

أي: لا تنسوا ذكر الله، فينسيكم العمل الصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون في معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩] (١).

٧- قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخضع له القلوب، وتنصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكيد ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غلظه، وقساوته، لو فهم هذا القرآن، فتدبر ما فيه، لخشع، وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم أيها البشر، أن لا تلين قلوبكم، وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه، ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل، حمّلته إياه لتصدع، وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن، أن يأخذوه بالخشية الشديدة، والتخشع، ثم قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون، وهكذا قال قتادة وابن جرير(٢).

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر

(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٠٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٠١.

أول ما وضع، وجاء النبي ﷺ ليخطب، فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع، وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يُسكَّن، لما كان يسمع من الذكر، والوحي عنده، ففي بعض روايات هذا الحديث: قال الحسن البصري بعد إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع(1).

وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم، لو سمعت كلام الله، وفهمته لخشعت، وتصدعت من خشيته، فكيف بكم، وقد سمعتم، وفهمتم، وقد قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾، ومعنى ذلك أي: لكان هذا القرآن، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[البقرة: 74](2).



(1) هذا لفظ ابن حبان، 14/ 436، برقم 6507، ومسند أبي يعلى، 5/ 142، برقم 2756، وبنحوه في البخاري، برقم 2095، ورقم 3584.
(2) تفسير ابن كثير، 13/501-502.

٦٠ -سورة الممتحنة(١)

١- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة:١-٣].

كان سبب نزول صدر هذه السورة قصة حاطب بن أبي بلتعة، فعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**»، قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءًا ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من كان معك من المهاجرين، لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه صدق**»، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»(٢).

---

(١) حرر في ٧/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) البخاري برقم ٣٠٠٧، ومسلم برقم ٢٤٩٤.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار[(١)].

٢- قال اللَّه تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:٥].

قال مجاهد: معناه: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وكذلك قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا، فيفتتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقٍ هم عليه، واختاره ابن جرير[(٢)].

٣- قال اللَّه تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧].

يقول تعالى لعباده المؤمنين، بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغضة، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد ، وفي الحديث: «أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[(٣)].

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، والنساء، والضعفة منهم ﴿أن تبروهم﴾، أي: تحسنوا إليهم، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[(٤)].

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي، وهي مشركة في عهد قريش، إذا عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه، إن أمي قدمت وهي

(١) تفسير البغوي، ٤/٣٣٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٥١٤.
(٣) الترمذي، برقم ١٩٩٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/٥١٦.

راغبة، أفأصلها؟ قال: «**نعم صلي أمك**»[١].

٥- قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[الممتحنة:١١].

هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد، إذا فرت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها، قاله مجاهد.

وقال ابن عباس في هذه الآية: يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر رسول اللَّه ﷺ أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق، وهكذا قال مجاهد، ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ يعني: أصبتم غنيمة من قريش، أو غيرهم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾، يعني: مهر مثلها، وهذا لا ينافي الأول، لأنه إن أمكن الأول، فهو أولى، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من الكفار، وهذا أوسع، وهو اختيار ابن جرير، وللَّه الحمد، والمنة[٢].

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

قالت عائشة: فمن أقر بهذه الشروط من المؤمنات، قال لها رسول اللَّه ﷺ: «**قد بايعتك**» كلاماً، واللَّه ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما بايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**»[٣].

وفي لفظ لأحمد: «**ولم يصافح منهن امرأة**»[٤].

٧- قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

---

(١) البخاري، برقم ٢٦٢٠، ومسلم، برقم ٥٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٢٥.
(٣) البخاري، برقم ٤٨٩١.
(٤) مسند أحمد، ٤٤/ ٥٥٧، برقم ٢٧٠٠٧، وصححه محقق المسند.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[الممتحنة:١٣].

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكفار في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها، وهم اليهود، والنصارى، وسائر الكفار، ممن غضب اللَّه عليه، ولعنه، واستحق من اللَّه الطرد، والإبعاد، فكيف توالونهم، وتتخذونهم أصدقاء، وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة، ونعيمها في حكم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

فيه قولان:

أحدهما: كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور، أن يجتمعوا بهم بعد ذلك؛ لأنهم لا يعتقدون بعثاً، ولا نشوراً، فقد انقطع رجاءهم منهم فيما يعتقدونه، قاله ابن عباس، والحسن، وغيرهما.

والقول الثاني: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير.

وعن الأعمش، والضحاك عن مسروق، عن ابن مسعود قال: كما يئس الكافر إذا مات وعاين ثوابه، واطلع عليه، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، ومقاتل، وهو اختيار ابن جرير[١].



(١) تفسير ابن كثير، ١٣/٥٣٦.

٦١ -سورة الصف [(١)]

عن عبدالله بن سلام قال: تذاكرنا أيّكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فلم يقم منا أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها[(٢)].

١- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢].

إنكار على من يَعِدُ عِدةً، أو يقول قولاً لا يفي به؛ ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف، إلى أنه يجب الوفاء بالعهد مطلقاً، سواء ترتب عليه غرم للموعد أم لا، واحتجوا بقوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(٣)].

وقيل: أنزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر[(٤)].

٢- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

أي: لما عدلوا عن اتباع الحق، مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك، والحيرة، والخذلان، كما قال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[الأنعام: ١١٠].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي، الأمي، العربي، المكي: أحمد، فعيسى عليه السلام هو

---

(١) حرر في ٨/١٠/١٤٣٨هـ

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٢٠٥، برقم ٢٣٧٨٨، وصححه محققو المسند، ومحقق تفسير ابن كثير، ١٣/٥٣٨.

(٣) البخاري، برقم ٣٣، ومسلم، برقم ١٠٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٣/٥١٤.

خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء، والمرسلين، الذي لا رسالة بعده، ولا نبوة.

وعن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّه به الكفر، أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»(١).

وعن أبي موسى قال: سمّى لنا رسول اللَّه ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظناه فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة، والتوبة والملحمة**»(٢).



(١) البخاري، برقم ٤٨٩٦، ومسلم، برقم ٢٣٥٤.
(٢) الطيالسي في مسنده، برقم ٤٩٢، ومسلم، برقم ٢٣٥٥.

٦٢ -سورة الجمعة[(١)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة، والمنافقون[(٢)].

١-قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

قوله: ﴿الْقُدُّوسِ﴾ أي: المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال.

٢-قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

هذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷻ، وله الحمد، والمنة على فترة من الرسل.

٣-قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيت محمداً عند الكعبة، لأتينَّه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو فعل لأخذته الملائكة، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا، لا يجدون مالاً، ولا أهلاً**»[(٣)].

٤-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

المراد بهذا النداء، هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج، فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه، فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنما كان هذا لكثرة الناس، كما رواه البخاري[(١)].



---

(١) حرر في ١٤٣٨/١/٨هـ.
(٢) مسلم، برقم ٨٧٧.
(٣) مسند أحمد، ٤/ ٩٨، برقم ٢٢٢٥، وصححه محققو المسند، وأحمد شاكر، وأخرجه البخاري، برقم ٤٩٥٨.
(١) البخاري، برقم ٩١٢، و٩١٣، و٩١٥، و٩١٦. تفسير ابن كثير، ١٣/ ٥٦٢.

٦٣ -سورة المنافقون [1]

١-قال اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين، لا يألفون، ولا يؤلفون، خشب بالليل، صخب بالنهار**»، وفي لفظ: «**سُخب بالنهار**»[2].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المُريسيع، وهي غزوة بني المصطلق ... ثم قال: قال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن يحيى بن حَبَّان، وعبداللَّه بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق: فبينا رسول اللَّه ﷺ مقيم هناك، اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب، وسنان بن وبر، قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء، فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد ابن أرقم من الأنصار عند عبداللَّه بن أبي، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، واللَّه ما مثلنا وجلابيب قريش هذه، إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك، واللَّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه، وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما واللَّه لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم فذهب بها إلى رسول اللَّه ﷺ، وهو غُليِّم، وعنده عمر بن الخطاب ﷺ فأخبره، فقال عمر ﷺ: يا

(١) حرر في ٨/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) مسند أحمد، ١٣/ ٣٠٢، برقم ٧٩٢٦، وحسنه العلامة أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند، ١٥/٥٠، برقم ٧٩١٣.

رسول الله، مُر عبَّاد بن بشر فليضرب عنقه، فقال ﷺ: «**فكيف إذا تحدّث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر في الرحيل ...**» القصة(١).

وفي قصة أخرى قال عمر: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد افتتن الناس، أضرب عنقه(٢)، وأنزل الله سورة المنافقين، ولما بلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي ما كان من أمر أبيه، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به، فانا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نرفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا**».

وذكر عكرمة، وابن زيد، وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبدالله هذا على باب المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبدالله بن أبي، قال له ابنه: وراءك، فقال: مالك؟ ويلك، فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز، وأنت الذليل، فلما جاء رسول الله ﷺ، وكان إنما يسير ساقة، فشكا إليه عبدالله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبدالله: والله يا رسول الله، لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فَجُز الآن، وقال أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أبو هارون المدني، قال: قال عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول لأبيه: (والله لا تدخل المدينة أبداً، حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز، وأنا الأذل ...»(٣).



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/١٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/١٤.

٦٤ -سورة التغابن[١]

هذه السورة هي آخر المسبحات ،وسميت سورة التغابن لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، فلا غبن أعظم بأن يدخل هؤلاء الجنة، ويذهب أولئك إلى النار.

١-قال اللَّه تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١].

قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع، ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن.

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[التغابن:٢].

أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية، ممن يستحق الضلالة، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال: ﴿واللَّه بما تعملون بصير﴾[٢].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن:٤].

يخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية، والأرضية، والنفسية.

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن:٥].

قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: وخيم تكذيبهم، ورديء أفعالهم، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة، والخزي.

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

وهذه الآية الثالثة التي أمر اللَّه رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع

---

(١) حرر في ١٤٣٨/١٠/٨هـ.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٧/١٤.

المعاد، ووجوده، فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[يونس: ٥٣]، والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[سبأ: ٣]، والثالثة هي هذه.

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التغابن:١١].

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[الحديد: ٢٢]. وهكذا قال هاهنا ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بأمر اللَّه عن قدره، ومشيئته.

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء اللَّه، وقدره، فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء اللَّه هدى اللَّه قلبه، وعوّضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه(١).

قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»(٢).

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[التغابن:١٧].

أي: مهما أنفقتم من شيء، فهو يخلفه، ومهما تصدقتم من شيء، فله جزاؤه، ونزل منزلة القرض له، كما ثبت في الصحيح أن اللَّه تعالى يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عديم»(٣).

قوله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير.

قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يصفح، ويغفر، ويستر، ويتجاوز عن الذنوب، والزلات، والخطايا، والسيئات(٤).



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٠.
(٢) مسلم، برقم ٢٩٩٩.
(٣) مسلم، برقم ١٨١١.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥.

٦٥ -سورة الطلاق [(١)]

خوطب النبي ﷺ تشريفاً وتكريماً ثم خاطب الأمة تبعاً فقال: ﴿يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

١-قال الله تعالى: ﴿يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾[الطلاق:١].

عن سالم أن عبدالله بن عمر أخبره أنه طلق امرأةً له، وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال له: «**يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها، فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله ...**»[(٢)].

ولفظ مسلم: «**فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء**»[(٣)].

من ها هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنة، وطلاق بدعة، فطلاق السنة: أن يطلقها طاهراً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، ولا يدري أحملت أم لا، وطلاق ثالث لا سنة، ولا بدعة، وهو طلاق الصغيرة، والآيسة، وغير المدخول بها[(٤)].

٢-قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق:٢-٣].

أي: من يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله[(٥)].

٣-قال الله تعالى: ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ فيه قولان:

---

(١) حرر في ١٤٣٨/١٠/٨هـ.
(٢) البخاري، برقم ٤٩٠٨.
(٣) مسلم، برقم ١٤٧١.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢٨/١٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ٣١/١٤.

أحدهما: وهو قول طائفة من السلف كمجاهد، والزهري، وابن زيد، إن رأين دماً، وشككتم في كونه حيضاً، أو استحاضة، وارتبتم فيه.

القول الثاني: إن ارتبتم في حكم عدتهن، ولم تعرفوه، فهو ثلاثة أشهر، وهذا أظهر في المعنى، وهو اختيار ابن جرير[١].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾[الطلاق:٨].

أي: تمردت، وطغت، واستكبرت عن اتباع أمر الله، ومتابعة رسله.

٥-قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ [الطلاق:١٠-١١] إلى نهاية الآيتين.

قوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ يعني القرآن، وقوله: ﴿رَسُولاً﴾ بدلاً من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآناً، وأرسل إليكم رسولاً، وقيل: مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول، وقيل: ذكراً، أي: شرفاً، ثم بين ما هو، فقال: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢].

٦-قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[الطلاق:١٢].

قوله: ﴿وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعاً أيضاً، كما ثبت «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين**» وفي صحيح البخاري: «**خُسف به إلى سبع أرضين**»[٣].

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن، والحديث بلا مستند[٤].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٣٥.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٦١.
(٣) البخاري، برقم ٣١٩٦، ومسلم، برقم ١٦١٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/٤٤.

٦٦ -سورة التحريم[١]

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزلت في شأن مارية التي حرمها رسول اللَّه ﷺ على نفسه بطلب من عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

وقيل: بل كان ذلك في تحريم النبي ﷺ العسل، كما ذكر البخاري عند تفسير هذه الآية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، فقال: «**لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً**»، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[٢].

قوله: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ أي: صائمات، قاله أبو هريرة، وعائشة، وابن عباس وغيرهم[٣].

١- قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

أي: اتقوا اللَّه، وأوصوا أهليكم بتقوى اللَّه، فحق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته، وإمائه، وعبيده ما فرض عليهم، وما نهاهم اللَّه عنه[٤].

وفي معنى هذه الآية حديث: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٥].

قال الفقهاء: وهكذا الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة، والطاعة، وجانب المعصية وترك المنكر[١].

---

(١) حرر في ٨/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) البخاري، برقم ٤٩١٢، ٥٢٦٧، ٦٦٩١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/٥٧.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/٥٩.
(٥) مسند أحمد، ١١/ ٣٦٩، برقم ٦٧٥٦، وحسنه محققو المسند، وأبو داود، برقم ٤٩٥، والترمذي، برقم ٤٠٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٤٠١، برقم ٥٠٩.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٥٩.

٢- قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:٨].

قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يُجدِ ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً.

وليس المراد ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا: أما امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل قومها على أضيافه[٢].

قوله: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾.

قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار[٣].

قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته، وصانته، والإحصان: العفاف، والحرية.

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري يرفعه «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٥].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٦٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/٦٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/٦٦.
(٤) مسند أحمد، ٤/ ٤٠٩، برقم ٢٦٦٨، وصححه محققو المسند، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/٢٦٦: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح».
(٥) البخاري، برقم ٣٤١١، ومسلم، برقم ٢٤٣١.

٦٧ -سورة الملك [١]

عن أبي هريرة ﷛ عن رسول الله ﷺ قال: «**سورة من القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك**»[٢].

وعن أنس ﷛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها، حتى أدخلته الجنة: تبارك الذي بيده الملك**»[٣].

١-قال الله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾[الملك:١].

تبارك: أي تكاثرت البركات، والخيرات من قبله، وهذا يستلزم عظمة الله، وتقديسه وتبارك مختصة بالله، لا يقال ذلك لغيره، لأن من معاني ذلك تعاظم[٤].

٢-قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾[الملك:٣-٤].

قوله: ﴿**مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾ أي: ما ترى من اعوجاج، واختلاف، وتناقض، بل مستقيمة، مستوية، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل[٥].

قوله: ﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ أي: كرر النظر.

قوله: ﴿**مِنْ فُطُورٍ**﴾ أي: شقوق، وصدوع، وخروق.

قوله: ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ أي: كرر النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر صاغراً، ذليلاً، مبعداً، منقطعاً من الإعياء من كثرة النظر، وتكريره، ولا يرى نقصاً، ولا عيباً، ولا خللاً[١].

---

(١) حرر في ٩/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) أبو داود، برقم ١٤٠٠، والترمذي، برقم ٢٨٩١، والنسائي في الكبرى، برقم ١١٦١٢، وابن ماجه، برقم ٣٧٨٦، ومسند أحمد، ١٤/ ٢٨، برقم ٨٢٧٦، ، وحسنه لغيره محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٦٥.

(٣) المعجم الأوسط، برقم ٣٦٥٤، والمعجم الصغير للطبراني، برقم ٤٩٠، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٥/ ١١٤، برقم ١٧٣٨، وحسنه، كما حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (١/ ٦٨٠، برقم ٣٦٤٤.

(٤) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٨/٣٨٧.

(٥) تفسير البغوي، ٤/٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ١٤/٧٢.

(١) تفسير البغوي ٤/٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ١٤/٧٢.

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك:١٠].

أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزل اللَّه من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر باللَّه، والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقول ترشدنا إلى اتباعهم.

٤- قال اللَّه تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، ومعنى سحقاً لأصحاب السعير أي: بعداً لهم(١).

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

يخبر اللَّه عمن يخاف مقامه فيما بينه وبينه، إذا كان غائباً عن الناس، فيترك المعاصي، ويقوم بالطاعات؛ حيث لا يراه أحد إلا اللَّه بأن له مغفرة، وأجراً كبيراً، أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: «**سبعة يظلهم اللَّه في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم: رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف اللَّه، ورجلاً تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه: قال: قالوا يا رسول اللَّه، إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقناك كنا على غيره؟ قال: «**كيف أنتم وربكم؟**»، قالوا: اللَّه ربنا في السر والعلانية، قال: «**ليس ذلكم بالنفاق**»(٣).

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: ألا يعلم الخالق وهو اللَّه عز وجل خالقه، ويعلم ما في صدور مخلوقه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، أي: اللطيف علمه في القلوب، الخبير بما فيها من السر والوسوسة، وقيل: ﴿مَنْ﴾ يرجع إلى المخلوق، أي: ألا يعلم اللَّه مخلوقه(١).

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ١٤/٧٢.
(٢) البخاري، برقم ٦٦٠، ومسلم، برقم ١٠٣١.
(٣) مسند البزار، ١٣/ ٣٠٨، برقم ٦٩٠٤١، وحلية الأولياء، ٢/ ٣٣٢، ومسند عبد بن حميد، ص ٤٠٥، برقم ١٣٧٧، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٨/ ٨٦: «رَوَاهُ مُسَدَّدٌ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ٤٥، برقم ٣٠٢٠.
(١) تفسير البغوي، ٤/٣٧١، وتفسير ابن كثير، ١٤/٧٤.

والخشية: شدة الخوف، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: ٤٩]، وبين تعالى محل تلك الخشية بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨]؛ لأنهم يعرفون حق اللَّه تعالى، ويراقبونه، وبين تعالى حقيقة خشية اللَّه ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٤]، وقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١][(١)].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[الملك:١٨].

أي: من الأمم السابقة، والقرون الخالية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم، أي: عظيماً شديداً أليماً[(٢)].

٨-قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الملك:٢٢].

وهذا مثل ضربه اللَّه للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه، كمثل من يمشي مكباً على وجهه، أي: يمشي منحنياً، لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل تائه، حائر، ضال، أهدى ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً﴾، أي: منتصب القامة ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: على طريق واضح بيّن، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مُفضىً به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر، فإنه يحشر، يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[الصافات: ٢١-٢٥]، وعن أنس رضي الله عنه قيل: يا رسول اللَّه، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٨/٣٩٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/٧٦.

على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم»[(١)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ﴾ راكباً رأسه في الضلالة، والجهالة، أعمى العين، والقلب، لا يبصر يميناً، ولا شمالاً، وهو الكافر، قال قتادة: راكباً على المعاصي في الدنيا، فحشره الله على وجهه يوم القيامة.

﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً﴾ معتدلاً، يبصر الطريق، وهو ﴿على صراط مستقيم﴾، وهو مؤمن، قال قتادة: يمشي يوم القيامة سوياً[(٢)].

٩-قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾[الملك:٢٧].

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يعني العذاب في الآخرة، على قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر.

﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريباً، وهو اسم يوصف به المصدر، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد، والاثنان، والجمع.

قوله: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اسودّت، وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد، يقال: ساء الشيء يسوء، فهو سيئ إذا قبح، وسيئ يسأ إذا قبح[(٣)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما قامت القيامة، وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريباً؛ لأن كل ما هو آتٍ آت، وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به، ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من شر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حسبان»[(١)].

١٠-قال الله تعالى: ﴿قل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[الملك:٣٠]

أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا يُنال الفؤوس الحداد، ولا السواد

(١) أحمد ١٢٧٣١، ونحوه البخاري، برقم ٤٧٦٠، و٦٥٢٣، ومسلم، برقم ٢٨٦. تفسير ابن كثير، ١٤/٧٧.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٧٢.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٣٧٣.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٧٨.

الشداد، والغائر عكس النابع؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾، أي: نابع، سائح، جارٍ على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ، فمن فضله، وكرمه أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة، والكثرة، فله الحمد والمنة[1].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ ظاهر تراه العيون، وتناله الأيدي، والدلاء، وقال عطاء عن ابن عباس: معين: جارٍ.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ٤/٧٨.

٦٨ -سورة القلم[(١)]

قال اللَّه تعالى: ﴿نٓ﴾ الأحرف المقطعة في أوائل السور:

١-قيل: إنها مما استأثر اللَّه بعلمه، فاللَّه أعلم بمراده.

٢-وقيل: إنها من أسماء اللَّه تعالى.

٣-وقيل: إنها مركبة من عشرة حروف.

٤-وقيل: إنها أسماء للسور.

٥-وقيل: إنها للإعجاز وهو الراجح[(٢)].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق اللَّه القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب القدر: ما كان، وما هو كائن إلى الأبد**»[(٣)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ٣-٥]، فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني: وما يكتبون، وعن ابن عباس أيضاً ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يعملون، وقال آخرون: بل المراد ها هنا بالقلم الذي أجراه اللَّه بالقدر، حين كتب مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة[(٤)].

١-قال اللَّه تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:١-٤].

---

(١) حرر في ١٠/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٨/٤١٧.

(٣) الطيالسي ٥٧٧، ومسند أحمد، ٣٧/ ٣٨١، برقم ٢٢٧٠٧، وصححه محققو المسند، والترمذي، برقم ٢١٥٥، وأبو داود برقم ٤٧٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٩٣٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/٨٤.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع، ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، كقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٨]، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[التين: ٦]، أي غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير محسوب، وهو يرجع إلى ما تقدم.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام، وكذلك قال مجاهد، وغيره، وقال عطية: لعلى أدب عظيم، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**»، تقول: كما هو في القرآن[١].

ومعنى: «كان خلقه القرآن» أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن: أمراً، ونهياً سجية له، وخلقاً له تطبّعه، وترك طبعه الجبلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم: من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خَزّاً، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً، ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ[٢].

وقال البراء: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، وفي لفظ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٤].

٢-قال الله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم:٥-٦].

---

(١) مسلم ٧٤٦.

(٢) البخاري، برقم ٥١٦٦، مسلم، برقم ٢٣٠٩.

(٣) البخاري، برقم ٣٥٤٩.

(٤) مسند أحمد، ١٤/ ٥١٢، برقم ٨٩٥٢، وصححه محقق المسند، والسنن الكبرى للبيهقي، ١٠/ ١٩١، ومسند البزار، ٢/ ٤٧٦، برقم ٨٩٤٩، ونوادر الأصول، ٢/ ٣١٢، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٤٥..

أي: فستعلم يا محمد، وسيعلم مخالفوك، ومكذبوك من المفتون الضال منك، ومنهم، وهذا كقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنْ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾[القمر: ٢٦]، وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤].

ومعنى المفتون ظاهر، أي: الذي قد افتتن عن الحق، وضل عنه[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ أي: فسترى يا محمد ويرون، يعني أهل مكة، إذا نزل بهم العذاب[(٢)].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾[القلم:٩-١٠].

قال الضحاك: لو تكفر فيكفرون، وقال الكلبي: لو تلين لهم، فيلينون لك، وقال الحسن: لو تصانعهم في دينك، فيصانعونك في دينهم، وقال زيد بن أسلم: لو تنافق، وترائي فينافقون[(٣)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون، وقال مجاهد: ودوا لو تركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه[(٤)].

قوله: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾، وذلك أن الكاذب لضعفه، ومهانته، إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء اللَّه تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

قال ابن عباس: المهين: الكاذب، وقال مجاهد: هو الضعيف القلب، وقال الحسن: كل حلاف مكابر، مهين، ضعيف[(٥)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم:١٢-١٣].

قوله: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال، قال ابن عباس: مناع للخير، أي: الإسلام، أي: يمنع ولده، وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٨٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٧٧.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٣٧٧.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/٨٨.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/٨٨.

منكم في دين محمد، لا أنفعه بشيء أبداً.

وقيل: يمنع ما عليه، وما لديه من الخير.

قوله: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: ظلوم، يتعدى الحق.

قوله: ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: فاجر.

وقيل: ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحل اللَّه له، ويتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أَثِيمٍ﴾، أي: يتناول المحرمات.

قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العتل: الغليظ الجافي، وقال الحسن: هو الفاحش الخلق السيئ الخلق، وقال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل، وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عُتل، قال عبيد بن عمر: العتل: الأكول، الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة.

قوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، أي: مع ذلك يريد ما وصفناه به.

قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾، وهو الدعي الملتصق بالقوم، وليس منهم.

وقيل: الزنيم: الذي له زنمة كزنمة الشاة، وقيل: كانت له زنمة في عنقه يعرف بها، وقيل: يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنمتها، قال ابن قتيبة: لا نعلم أن اللَّه وصف أحداً، ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

وقيل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العتل: هو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع[(١)].

قوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ الخرطوم الأنف، قال أبو العالية، ومجاهد: أي: نسوِّد وجهه، فنجعل له عَلَماً في الآخرة، يعرف به، وهو سواد الوجه، وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر، وقيل: سنكويه على وجهه.

ومال ابن جرير إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة[(٢)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[القلم:٢٥].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٣٧٨، وتفسير ابن كثير، ١٤/٩٠-٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٧٩، وتفسير ابن كثير، ١٤/٩٤.

الحرد في اللغة: يكون بمعنى: القصد، والمنع، والغضب، وقال قتادة: على جدٍ، وجهدٍ، وقيل: على أمر مجتمعٍ، قد أسسوه بينهم، وقيل: غدوا من بيتهم على منع المساكين، ويقال: حاردت السَّنة، إذا لم يكن لها مطر، وحاردت الناقة، إذا لم يكن لها لبن، وقيل: على حنق، وغضب من المساكين، وعن ابن عباس: على قدرة ﴿قَادِرِينَ﴾ عند أنفسهم على جنتهم، وثمارها، لا يحول بينها وبينهم أحد.

وقيل: وغدوا على قوة وشدة.

وقيل: كان اسم قريتهم حرد قاله السدي، قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأبعد السدي في قوله هذا»[(١)].

٦-قال اللَّه تعالى : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾[القلم:٢٨].

قوله: ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم، وأعقلهم، وأفضلهم.

قوله: ﴿لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، وسمى الاستثناء تسبيحاً؛ لأنه تعظيم للَّه وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته، وقال أبو صالح: كان استثناؤهم: سبحان اللَّه، وقيل: هلا تسبحون اللَّه، وقولوا: سبحان اللَّه، وتشكرونه على ما أعطاكم، وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ نزهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنعنا للمساكين[(٢)].

واقتصر ابن كثير على ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلا تسبحون اللَّه، وتشكرونه على ما أعطاكم، وأنعم به عليكم ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا[(٣)].

٧-قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٣٨٠، وتفسير ابن كثير، ١٤/٩٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٨٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/٩٦.

* ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم:٤٢-٤٣].

يعني: يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، والزلازل، والبلايا، والامتحان، والأمور العظام، فعن أبي سعيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً**»[(١)].

٨-قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[القلم:٥١-٥٢].

قوله :﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم، أي: ليعينوك بأبصارهم، بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها، وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة.

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العين لتولع الرجل بإذن الله فيتصاعد ثم يتردى منه**»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فأغسلوا**»[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم**»[(٤)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين[(٥)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**استعيذوا بالله من العين**

---

(١) البخاري، برقم ٤٩١٩.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٢٨، برقم ٢١٣٠٢، ورقم ٢١٤٧١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٨٨٩.

(٣) مسلم، برقم ٢١٨٨.

(٤) مسند أحمد، ١٥/ ٤١٧، برقم ٩٦٦٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١١٠: «رجاله رجال الصحيح».

(٥) مسلم، برقم ٢١٩٥، ومسند أحمد، ٤٠/ ٤٠٣، برقم ٢٤٣٤٥، وصححه محققو المسند، وابن ماجه، برقم ٣٥١٢، .

فإن العين حق»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان يؤمر العائن فيتوضأ، ويغسل منه المعين**»[٢].

وعن جابر يرفعه: «**العين حق لتورد الرجل القبر، والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين**»[٣].

وعنه يرفعه: «**قد تدخل الرجل العين في القبر، وتدخل الجمل القدر**»[٤].

وحديث: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»[٥].



---

(١) ابن ماجه برقم ٣٥٠٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٧٣٧.

(٢) أبو داود برقم ٣٨٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٨٨٠.

(٣) الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ٦/ ٣١٦، وضعفه الحويني في تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر فى كتب الأماجد، ٢/ ١٩.

(٤) مسند الشهاب للقضاعي، ٢/ ١٤٠، برقم ١٠٥٧، وحسنه الألباني صحيح الجامع الصغير، برقم ٤١٤٤.

(٥) البخاري، برقم ٥٧٠٥، ومسلم، برقم ٢٢٠.

٦٩ -سورة الحاقة[١]

١- قال الله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٣].

قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ يعني القيامة، سميت حاقة؛ لأنها حقت، فلا كاذبة لها، وقيل: لأن فيها حواق الأمور، وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي: يجب، يقال: حق عليه الشيء، إذا وجب يحق حقوقاً.

قوله: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ هذا استفهام، معناه: التفخيم لشأنها، كما يقال: زيدٌ ما زيدٌ، على التعظيم لشأنه.

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أي: إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها، ولم تر ما فيها من الأهوال[٢].

٢-قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[الحاقة:٤-٧].

قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القارعة: القيامة، كما قاله ابن عباس، سميت قارعة؛ لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة، وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم، حتى نزل بهم، فقرع قلوبهم[٣].

قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، وهي الصيحة التي أسكتتهم، والزلزلة التي أسكتتهم، هكذا قال قتادة: الطاغية: الصيحة، وهو اختيار ابن جرير، وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب[٤].

قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة، وقوله: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب، قال قتادة: عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، وقال الضحاك: ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة، و﴿عَاتِيَةٍ﴾ عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة.

قوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم.

(١) حرر في ١٠/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٨٥.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٣٨٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/١١١.

قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ أي: كوامل متتابعات، مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والثوري، وغيرهم ﴿حُسُوماً﴾ متتابعات، وعن عكرمة، والربيع بن خيثم: مشائيم عليهم، كقوله: ﴿في أيام نحسات﴾[فصلت: ١٦][(١)].

٣-قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[الحاقة:٩-١٠].

قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ يعني: قرى قوم لوط، يريد أهل المؤتفكات، وقيل: يريد القوم الذين ائتفكوا بخطيئتهم، وهم الأمم المكذبة للرسل.

قوله: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالخطيئة، والمعصية، وهي الشرك، وقيل: أي بالفعلة الخاطئة، وهي التكذيب بما أنزل اللَّه، وقال الربيع: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعصية، وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾.

قوله: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ شديدة وقال السدي: ﴿رَابِيَةً﴾ مهلكة، وقيل زائدة على عذاب الأمم[(٢)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١١-١٢].

قوله :﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي: حملنا آباءكم، وأنتم في أصلابهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ في السفينة التي تجري في الماء.

قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي: حافظة، سامعة، قاله ابن عباس، وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾: عقلت عن اللَّه، فانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه، وقال الضحاك: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن، ووعت، أي: من له سمع صحيح، وعقل رجيح، وهذا عام فيمن فهم ووعي[(٣)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:٣٥-٣٧].

قوله :﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/١١٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/٣٨٦، وتفسير ابن كثير، ١٤/١١٢.

(٣) تفسير البغوي، ٤/٣٨٦، وتفسير ابن كثير، ١٤/١١٣.

عذاب اللَّه، لا حميم: وهو القريب، وليس له شفيع يطاع.

قوله: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ وهو صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل، كأنه غسالة جروحهم، وقروحهم، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقيل: الزقوم، وقيل الدم يسيل من لحومهم[1].

٦-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة:٤٤-٤٧].

قوله: ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: لأخذناه، وانتقمنا منه باليمين، أي: بالحق، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي: من قِبل الحق، وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة، والقدرة، وقيل: لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل معناه: لأذللناه، وأهناه، كالسلطان، إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه، يقول لبعض أعوانه خذ بيده، فأقمه.

وقيل: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش [قلت: ولكن كلتا يدا ربي يمين في الفضل، والكمال، والشرف].

قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال ابن عباس: نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر، وقيل: هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

قوله: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾أي: مانعين، يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم، مع علمه بأنه لو تكلمه لعاقبناه، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: ﴿حَاجِزِينَ﴾ بالجمع، وهو فعل واحد رداً على معناه، كقوله: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥][2].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٣٩٩٠، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٢١.

(٢) تفسير البغوي، ١٤/٣٩١، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٢٣.

٧٠ -سورة المعارج (١)

١-قال اللَّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[المعارج:١-٧].

قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[المعارج:١].

١-قيل: فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[الحج: ٤٧]، أي: وعذابه واقع لا محالة.

٢-وقيل: المعنى: دعا داعٍ: سأل سائل، عذاباً واقعاً للكافرين، أي: على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث؛ حيث دعا على نفسه، وسأل العذاب، فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية [الأنفال:٣٢]، فنزل به ما سأل يوم بدر، فقتل صبراً، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

قوله: ﴿وَاقِعٌ﴾ أي: نازل، كائن على من ينزل، ولمن ذلك العذاب، وقيل: مرصد معد للكافرين، وقيل: ﴿وَاقِعٌ﴾ جاء.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد اللَّه كونه.

قوله: ﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: من اللَّه ذي الدرجات، وقيل: ذي العلو، والفواضل، وقيل: ذي الفواضل والنعم وقيل: ذي السموات وسماها معارج، لأن الملائكة تعرج فيها، والروح: قيل جبريل.

قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى اللَّه أي تصعد الملائكة إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة على الكافرين، أما المؤمن، فيخفف عنه، حتى يكون كوقت صلاة يصليها في الدنيا[٢].

---

(١) حرر في ١١/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) تفسير البغوي، ٣٩٢/٤، وتفسير ابن كثير، ١٢٦/١٤.

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[المعارج:١٠-١١].

أي: لا يسأل قريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره.

قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم، وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه، من الجن، والإنس، فيبصر الرجل أباه، وأخاه، وقرابته، فلا يسأله، ويبصر حميمه، فلا يكلمه، لاشتغاله بنفسه.

قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار، ثم لا يتعارفون بعده[١].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى * إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[المعارج:١٥-٢٣].

قوله :﴿كَلاَّ﴾ أي: لا ينجيه من عذاب اللَّه شيء.

قوله: ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ اسم من أسماء جهنم، وهذا فيه وصف للنار، وشدة حرها، سميت بذلك لأنها تتلظى، أي: تتلهب.

قوله :﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ أي: تنزع أطراف الرجلين، واليدين، وقيل: لحم الساقين، وقال ابن عباس: جلدة الرأس، وقيل: الجلود والهام، وقيل: مكارم وجهه، وقيل: تحرق كل شيء فيه، وقيل: تبري اللحم، والجلد عن العظم، حتى لا تترك منه شيئاً، وقيل: للعصب، والعقب[٢].

قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أي: جمع المال بعضه على بعض، فأوعاه، وأمسكه، في الوعاء، ولم يؤدِّ حق اللَّه منه الواجب عليه في النفقات، ومن إخراج الزكاة، وغير ذلك من الواجبات، وقد ورد في الحديث «**ولا توعي، فيوعي اللَّه عليك**»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير البغوي، ٣٩٣/٤، وتفسير ابن كثير، ١٣٠/١٤.
(٢) تفسير البغوي، ٣٩٤/٤، وتفسير ابن كثير، ١٣١/١٤.
(٣) البخاري، ١٤٣٤، ومسلم، ١٠٢٩، تفسير البغوي، ٣٩٤/٤، وتفسير ابن كثير، ١٣١/١٤.

٧١ -سورة نوح (١)

١-قال اللَّه تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:٣-٤].

قوله: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، ﴿مِنْ﴾ صلة، أي: يغفر لكم ذنوبكم، وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وذلك بعض ذنوبكم.

وقيل: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على ارتكابكم لها الانتقام، فهذا للتبعيض على هذا القول.

قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: يمد في أعماركم، ويدرؤ عنكم العذاب الذي إن تنزجروا عما نهاكم عنه، أوقعه بكم، فيعاقبكم إلى منتهى آجالكم، فلا يعاقبكم، وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة، والبر، وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة، كما ورد به الحديث «**صلة الرحم تزيد في العمر**»[٢].

قوله :﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة؛ فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد، ولا يمانع؛ فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، فآمنوا قبل حلول الانتقام، وقبل الموت، تسلموا من العذاب[٣].

وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:«**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[٤].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ [نوح:٢١-٢٣].

---

(١) حرر في ١١/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ١/ ٢٨٩، برقم ٩٤٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١١٨: إسناده حسن،وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٧٦٦.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٣٩٧، وتفسير ابن كثير ، ١٤/١٣٨.
(٤) البخاري، برقم ٥٩٨٦، ومسلم، برقم ٢٥٥٧.

قولـه :﴿وَمَكَـرُوا مَكْـراً كُبَّـاراً﴾ أي: كبيـراً عظيمـاً، يقـال: كبيـر، وكبـار بالتخفيف، وكبار بالتشديد شدد للمبالغة وكلها بمعنى واحد، كما يقال: أمر عجيب وعُجاب، وعُجَّاب[1].

قولـه: ﴿وَقَـالُوا لا تَـذَرُنَّ آلِهَـتَكُمْ وَلا تَـذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُـوَاعاً وَلا يَغُـوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾، وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون اللَّه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ودّ، فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع، فكانت لهذيل، وأما يغوث، فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق، فكانت لهمـدان، وأمـا نسـر، فكانـت لحميـر؛ لآل ذي كُـلاع، وهـي أسـماء رجـال صـالحين مـن قـوم نـوح عليه السلام، فلمـا هلكـوا، أوحـى الشـيطان إلـى قـومهم أن انصـبوا إلـى مجالسـهم التـي كـانوا يجلسـون أنصـاباً، وسـموها بأسـمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، وتنسَّخ العلم عُبدت»[2].



(١) تفسير البغوي، ٤/٣٩٩، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٤٢.
(٢) البخاري برقم ٤٩٢٠، تفسير ابن كثير، ١٤/١٤٢.

٧٢ -سورة الجن [(١)]

١-قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ [الجن:١-٤].

قوله: ﴿قُرْآناً عَجَباً﴾ أي: بليغاً، يعجب منه لبلاغته.

قوله: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب من التوحيد، والإيمان، وإلى السداد، والنجاح.

قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا، وعظمته، قاله: مجاهد، وعكرمة، وقتادة، يقال: جد الرجل، أي: عظم، ومنه قول أنس: «إذا قرأ الرجل البقرة، وآل عمران جَدَّ فينا»، أي: عظم قدره، وقيل: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أمر ربنا، وقال الحسن: غنى ربنا، وقال ابن عباس: قدرة ربنا، وقال الضحاك: فعله، وقال القرطبي: آلاؤه، ونعماؤه على خلقه، وقال الأخفش: على ملك ربنا، وعن أبي الدرداء، ومجاهد أيضاً، وابن جريج: تعالى ذكره، وعن سعيد بن جبير: تعالى ربنا[(٢)].

قوله: ﴿سَفِيهُنَا﴾ إبليس، وقيل: ﴿سَفِيهُنَا﴾ اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة، وولداً.

قوله: ﴿شَطَطاً﴾ كذباً، وزوراً، وعدواناً، وهو وصفه بالتشريك، والولد، وجوراً، وظلماً كبيراً[(٣)].

قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ أي: زادوهم إثماً، قاله ابن عباس، وقال مجاهد: طغياناً، وقال مقاتل: غياً، وقال الحسن: شراً، وقيل: عظمة، وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغياناً، يقولون: سدنا الجن، والإنس،

---

(١) حرر في ١١/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٠١، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٤٧.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٤٠١، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٤٨.

والرهق في كلام العرب: الإثم، وغشيان المحارم، وقال أبو العالية، والربيع وزيد بن أسلم ﴿رَهَقاً﴾ خوفاً، وقيل: طغياناً[(١)].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾ [الجن:١١].

قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ دون الصالحين.

قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾ أي: جماعات متفرقين، وأصناف مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قدداً، إذا اختلفت حالاتهم، وأصلها من القد: وهو القطع، قال مجاهد: يعنون: مسلمين، وكافرين، وقيل: أهواء مختلفة، وقال الحسن، والسدي: الجن أمثالكم، فمنهم قدرية، ومنهم مرجئة، ورافضة، وقال ابن كيسان: شعباً، وفرقاً، لكل فرقة هوى كأهواء الناس، وقال سعيد بن جبير: ألوان شتى، وقال أبو عبيدة: أصنافاً[(٢)].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه: حدثنا سليمان بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان، وهو أبو الشعثاء الحضرمي: شيخ مسلم، حدثنا أبو معاوية، قال: سمعت الأعمش يقول: تروح إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز، قال فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع، ولا أرى أحداً، فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم، قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا، عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي، فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش»[(٣)].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً * وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ [الجن:١١-١٧].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٤٠٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٤٩.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٠٣، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٥١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/١٥١.

قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: منا المسلم، ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾، أي: طلبوا لأنفسهم النجاة.

قوله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾، أي: وقوداً تسعر بهم.

قوله: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ اختلف المفسرون رحمهم الله في معنى هذا على قولين:

القول الأول: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، وعدلوا إليها، واستمروا عليها؛ لأسقيناهم ماء غدقاً، أي: كثيراً، والمراد بذلك سعة في الرزق، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[المائدة: ٦٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦]، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أي: لنختبرهم، كما قال مالك عن زيد بن أسلم: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ لنبتلي من يستمر على الهداية، ممن يرتد إلى الغواية.

والقول الثاني: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: الضلالة، ﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ أي: لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤]، وكقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٥- ٥٦]، فمعنى ذلك ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: على طريقة الضلالة[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت الرجل مقيماً على معاصي الله وهو ينعم عليه فاعلم أنه استدراجاً من الله له**»[2].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/١٥٣.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٤٧، برقم ١٧٣١١، وحسنه محققو المسند، والأسماء والصفات للبيهقي، ٢/ ٤٤١، برقم ١٠٢١، والمعجم الأوسط للطبراني، ٩/ ١١٠، برقم ٩٢٧٢، والمعجم الكبير للطبراني، ١٧/ ٣٣٠، برقم ٩١٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١ / ٧٠٠، برقم ٤١٣.

٧٣ -سورة المزمل[١]

١-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [الزمر:١-٤].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، أي: المتلفف بثوبه، وأصله المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، ومثله: المدثر، أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل، وتدثر بثوبه، إذا تغطى به، وقال السدي: أراد يا أيها النائم، قم فصل، قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي، قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد ذلك بالنبي والرسول.

قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ أي: للصلاة.

قوله: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء، ثم بين قدره، فقال: ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ إلى الثلث.

قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، خيره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه، يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل، ومتى النصف، ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم، فرحمهم الله، وخفف عنهم، ونسخها بقوله: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ الآية، فكان بين أول السورة، وآخرها سنة، ثم صار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة، وكان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس[٢].

قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، أي: اقرأه على تمهّل؛ فإنه يكون عوناً على فهم القرآن، وتدبره، وكذلك كان يقرأ عليه الصلاة والسلام قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها، وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «**كانت مداً، ثم قرأ** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم**»[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: كان

(١) حرر في ١١/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) مسلم، برقم ٧٤٦. تفسير البغوي، ٤/٤٠٦.
(٣) البخاري، برقم ٥٠٤٦.

يقطع قراءته آية، آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[(١)].

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[(٢)].

ومما يدل على استحباب تحسين الصوت بالقراءة قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[(٣)].

وفي الحديث: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»[(٤)].

٢-قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[المزمل:٥-٦].

قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾:

١-شديداً، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

٢-قال الحسن: إن الرجل ليهذّ السورة، ولكن العمل بها ثقيل.

٣-قال قتادة: ثقيلاً، هو والله فرائضه، وحدوده.

٤-قال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر، والنهي، والحدود.

٥-قال أبو العالية: ثقيل بالوعد، والوعيد، والحلال، والحرام.

٦-قال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين.

٧-قال الحسين بن الفضيل: قولاً خفيفاً على اللسان، ثقيلاً في الميزان.

٨-قال الفراء: ثقيلاً ليس بالخفيف الشفشاف، لأنه كلام ربنا.

٩-قال ابن زيد: هو والله ثقيل، مبارك، كما ثقل في الدنيا، ثقيل في الموازين يوم القيامة.

١٠-قال الحسن، وقتادة: ثقيل، أي: العمل به.

---

(١) مسند أحمد، ٤٤/ ٢٠٦، برقم ٢٦٥٨٣، وصححه لغيره محققو المسند، وأبو داود ٤٠٠١، والترمذي، ٢٩٢٧، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ١٦٦، برقم ٢٦٩.

(٢) أحمد، ١١/ ٤٠٣، برقم ٦٧٩٩، وصححه لغيره محققو المسند، وأبو داود، برقم ١٤٦٤، والترمذي ٢٩١٤، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند، وقال الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٠٥، بر قم ١٣١٧: «إسناده حسن صحيح».

(٣) البخاري معلقاً قبل الحديث، رقم ٧٥٤٤، وأخرجه مسنداً في خلق أفعال العباد، ص ٦٨، وأحمد، ٣٠/ ٤٥٠، برقم ١٨٤٩٣، وصحح إسناده محققو المسند، وأبو داود، ١٤٦٨، وسنن ابن ماجه، برقم ١٣٤٢، وصححه الألباني صحيح أبي داود، ٥/ ٢٠٨، برقم ١٣٢٠.

(٤) أخرجه البخاري، برقم ٧٥٢٧.

١١-وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته، كما قال زيد بن ثابت: أنزل على رسول ﷺ، وفخذه على فخذي، فكادت ترضّ فخذي، وعن عبدالله بن عمرو، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هل تحسّ بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ، إلا ظننت أن نفسي تفيض**»[(١)].

وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي، فقال: «**أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّ علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول**»[(٢)].

واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدنيا، ثقل يوم القيامة في الموازين [(٣)].

قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾:

ناشئة الليل: ساعاته كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك؛ لأنها تنشأ، أي: تبدو، ومنه نشأت السحابة، إذا بدت، وكل ما حدث بالليل، وبدأ فقد نشأ، فهو ناشئ، والجمع: ناشئة.

وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس، وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله ناشئة، وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: أيّ ساعة قام من الليل فقد نشأ، وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان، أي: قام، وقالت عائشة رضي الله عنها: الناشئة: القيام بعد النوم، وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل، وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل، ويروى عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل، وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة، فهي ناشئة من الليل، وقال الأزهري: ناشئة الليل: قيام الليل، مصدر جاء على فاعله، كالعافية بمعنى العفو.

قوله: ﴿أَشَدُّ وَطْأً﴾ بمعنى المواطأة، والموافقة، يقال: وطأت فلاناً مواطأة القلب، والسمع، والبصر، واللسان، بالليل تكون أكثر مما تكون بالنهار، هذا على

---

(١) أحمد، ١١/ ٦٤٢، برقم ٧٠٧١، والمعجم الكبير للطبراني، ١٣/ ١٦، برقم ٢٢، وصححه أحمد شاكر، ٦/ ٤٨٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/ ٢٥٦: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

(٢) البخاري، برقم: ٢.

(٣) تفسير البغوي، ٤/٤٠٨، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٦٢.

قراءة كسر الواو (وِطأً)، وقرأ آخرون بفتح الواو، وسكون الطاء، أي :أشد على المصلي، وأثقل من صلاة النهار؛ لأن الليل للنوم والراحة، ومنه قوله: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر**»، وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ، يقول: هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام، لم يدر متى يستيقظ، وقال قتادة: أثبت للخير، وأحفظ للقراءة، وقال الفراء: أثبت قياماً، أي: أوطأ للقيام، وأسهل للمصلي من ساعات النهار؛ لأن النهار خلق لتصرف العباد، والليل للخلوة فالعبادة فيه سهلة.

وقيل: أشد نشاطاً، وقال ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار؛ لأنه لا تعرض فيه حوائج، وقال الحسن: أشد وطأً في الخير، وأمنع من الشيطان.

قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أصوب قراءة، وأصح قولاً لهدأة النفس، وسكون الأصوات.

وقال الكلبي: أبين قولاً بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً، وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة، وأبلغ في الثواب[(١)].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من الأقوال التي ذكرها البغوي: «والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته، وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب، واللسان، وأجمع على التلاوة؛ ولهذا قال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة، وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولفظ الأصوات، وأوقات المعاش».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ هذه الآية: «إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب» فقال له رجل: إنما نقرؤها ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ فقال له: إن أصوب، وأقوم، وأهيأ، وأشباه هذا واحد»[(٢)].

قال في **أضواء البيان**: «...ما تنشأه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب، وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر، والتأمل، وبالتالي بالتأثر، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٤٠٨.

(٢) أبو يعلى، ٧/ ٨٨، برقم ٤٠٢٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٧: «رواه البزار (١٥٦٠) مختصر، وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات».

الثقل فيما سيلقى عليه من القول، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به؛ لتحمل ثقل أعباء الدعوة، والرسالة، ولا يثبت القرآن في الصدور، ولا يسهل حفظه، وييسر فهمه إلا بالقيام به من جوف الليل، قال عطية محمد بن سالم عن شيخه العلامة الشنقيطي: وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يترك ورده من الليل صيفاً، أو شتاءً، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[البقرة: ٤٥][(١)].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل:٧-٨].

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ أي: تصرفاً، وتقلباً، وإقبالاً، وإدباراً في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح سرعة الذهاب، ومن السباحة في الماء.

وقيل: ﴿سبحاً طويلاً﴾: فراغاً طويلاً، وسعة لنومك، وتصرفاتك في حوائجك، فصلّ من الليل، وافرغ لدينك في الليل[(٢)].

قوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾

قيل: واذكر اسم ربك بالتوح، والتعظيم، وأكثر من ذكره.

قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، قال ابن عباس، وغيره: أخلص إليه إخلاصاً.

وقال الحسن: اجتهد.

وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته.

وقال سفيان: توكل عليه توكلاً.

وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل في الباب [أي: التبتل] يقال: تبتلت الشيء، أي: قطعته، وصدقه قولهم: أنتِ به بتلة، أي: مقطوعة عن صاحبها، لا سبيل له عليها، والتبتيل: تفصيل، منه يقال: بتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه نفسك، ولذلك قال: تبتيلاً، قال ابن زيد: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند اللَّه[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «انقطع إليه، وتفرغ لعبادته، إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[الشرح: ٨]

(١) أضواء البيان، ٨/٦١٣.

(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٠٩، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٦٤.

(٣) تفسير البغوي، ٤/٤٠٩.

أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال، قاله ابن زيد، بمعناه، أو قريب منه، وقال ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح، وعطية، والضحاك والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، أي: أخلص له العبادة»[1].

٤-قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ [المزمل:١١].

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذب به من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب فيه، ثم قال متوعداً لكفار قومه، ومتهدداً، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم أقدر على الطاعة من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ أي: رويداً كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[لقمان:٢٤][2].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/١٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/١٦٨.

٧٤ -سورة المدثر (١)

١-قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:١-٥].

قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: شمر ساق العزم، وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال، كما حصل باقرأ النبوة.

قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظم.

قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تلبسها على معصية، وفي رواية عنه: طهرها من الذنوب، وفي رواية عنه: طهرها من الإثم، وقال مجاهد: طهر نفسك، وفي رواية عنه: عملك فأصلح، وقال قتادة: طهرها من المعاصي.

قال الشاعر:

إذا المرء لم يدنس اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وفي رواية عن ابن عباس ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ لا تلبس ثيابك التي تلبس من كسب غير طائب.

وقال محمد بن سيرين ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: اغسلها بالماء، وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر، وأن يطهر ثيابه، وهذا القول اختاره ابن جرير رحمه الله.

وقال سعيد بن جبير: وقلبك، ونيتك فطهر، وقال الحسن البصري، والقرظي: وخُلقك فحسن، وقال ابن سيرين، وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وقال طاوس: وثيابك فقصِّر؛ لأن تقصير الثياب طهرة لها.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وقد تشمل الآية جميع ذلك، مع طهارة القلب»[٢].

قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالرُّجْزَ﴾ هو الأوثان، أي: اهجرها، ولا تقربها.

---

(١) حرر في ١٢/١٠/١٤٣٨هـ

(٢) تفسير البغوي، ٤/٤١٣، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٧٧.

وروي عن ابن عباس أن معناه: ترك المآثم، وقال أبو العالية، والربيع: الرُّجز بضم الراء: الصنم، وبالكسر: النجاسة، والمعصية، وقال الضحاك: الشرك، وقال الكلبي: يعني العذاب، أي: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

وعلى كل تقدير، فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك، كقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[الأحزاب: ١][١].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:٦-١٠]

قوله: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾

١-قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعطي العطية تلتمس أكثر منها، وهذا قول أكثر المفسرين، وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاوس، وأبو الأحوص، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

٢-وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك لتستكثره، وكذا قال الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير.

٣-وقال خصيف عن مجاهد في قوله: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، أي: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف.

٤-وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها، تأخذ عليه عوضاً من الدنيا.

فهذه أربعة أقوال ....، والأظهر القول الأول[٢].

قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه اللَّه تعالى[٣].

قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني: النفخة الثانية.



(١) تفسير البغوي، ٤/٤١٣، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٧٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٤١٤ ، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٧٩.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٤١٤.

٧٥ -سورة القيامة[1]

١-قال الله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[القيامة:١-٦].

قوله: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.ذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أن المقسم عليه متى كان منفياً، جاز الإتيان بـ«لا» قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه هنا هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد، من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً، هكذا حكاه ابن أبي حاتم، وقد حكى ابن جرير، عن الحسن، والأعرج أنهما قرآ «لأقسم»، وهذا يوجه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة، ونفى القسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، كما قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير، فأما يوم القيامة، فمعروف، وأما النفس اللوامة، فقال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه.

وعن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: تلوم على الخير، والشر، لو فعلت كذا، وكذا، وكذلك قال سعيد بن جبير: تلوم على الخير، والشر، وروي أن ابن عباس سئل عن ذلك، فقال: هي النفس اللؤوم، وعن مجاهد: تندم على ما فات، وتلوم عليه، وروي عن ابن عباس ﴿اللَّوَّامَةِ﴾ المذمومة، وقال: قتادة ﴿اللَّوَّامَةِ﴾ الفاجرة.

---

(١) حرر في ١٣/١٠/١٤٣٨هـ.

وقال **الإمام ابن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير، والشر، وتندم على ما فات[1].

ذكر **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ قرأ النواس عن ابن كثير «لاقسم» الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة. ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ بالألف، وكذلك قرأ عبدالرحمن الأعرج على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، و«لا» صلة فيهما، أي: أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة.

وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم، كقولك لا والله.

وقال الفراء: لا، ردٌّ لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتدأ فقال: أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة.

وقال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة، وقيامة أحدهم موته.

وشهد علقمة جنازة، فلما دفنت قال: أما هذا، فقد قامت قيامته.

﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال سعيد بن جبير، وعكرمة تلوم على الخير، والشر، ولا تصبر على السراء، والضراء، وقال قتادة: اللوامة: الفاجرة، وقال مجاهد: تندم على ما فات، وتقول لو فعلت، ولو لم أفعل، قال الفراء: ليس من نفس برة، ولا فاجرة، إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً، قالت: هلا ازددت، وإن فعلت عملت شراً، قالت: ياليتني لم أفعل، قال الحسن: هي النفس المؤمنة، قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً، لا يحاسب نفسه، ولا يعاتبها، وقال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا[2].

قال **الإمام ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلفت القراء في قراءة قوله :﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾، فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿لا أُقْسِمُ﴾ «لا» مفصولة من أقسم، سوى الحسن، والأعرج؛ فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك «لأُقْسِمُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١٤/١٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٢١.

بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» بمعنى أقسم بيوم القيامة، ثم أدخلت عليها لام القسم، والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع «لا» مفصولة، أقسم مبتدأه على ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليه، وقد اختلف الذين قرؤوا ذلك على الوجه الذي اخترنا قراءته في تأويله، فقال بعضهم: «لا» صلة، وإنما معنى الكلام «أقسم بيوم القيامة»، ثم ذكر الذين قالوا بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال: وقال آخرون منهم: بل دخلت «لا» توكيداً للكلام، ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ من قال ذلك.

ثم قال: وقال نحويُّو الكوفة: لا، رد لكلام قد مضى من كلام المشركين، الذين كانوا ينكرون الجنة، والنار، ثم ابتدأ القسم، فقيل: أقسم بيوم القيامة، وكان يقول: كل يمين قبلها رد لكلام، فلا بد من تقديم «لا» قبلها رد لكلام، فلا بد من تقديم «لا» قبلها، ليفرق بين ذلك بين اليمين التي تكون جحداً، واليمين التي تستأنف، ويقول: ألا ترى أنك تقول مبتدئاً: والله إن الرسول لحق، وإذا قلت: لا والله، إن الرسول لحق، فكأنك أكذبت قوماً أنكروه.

واختلفوا أيضاً في ذلك: هل هو قسم أم لا؟ فقال بعضهم: هو قسم، أقسم ربنا بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وذكر من قال ذلك.

ثم قال: وقال آخرون: بل أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، وقال معنى قوله: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ لست أقسم بالنفس اللوامة.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ من قال ذلك.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وجعل «لا» رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم، وجواباً لهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب؛ لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، إنما يقصد بـ«لا» رد الكلام، وبقوله: والله ابتدأ بيمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله، لا فعلت كذا وكذا؛ فإن كان المعروف من ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جارياً مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف

بما يجب التسليم له، وبعد، فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قسم فكذلك قوله: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ إلا أن تأتي حجة تدل على أن أحدهما قسم، والآخر خبر، وقد دللنا أن قراءة من قرأ الحرف الأول: «لأقسم»: بوصل اللام بأقسم، قراءة غير جائزة، بخلاف ما عليه الحجة مجمعة، فتأويل الكلام إذاً «لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس من أن الله لا يبعث عباده بعد مماتهم أحياءً، أقسم بيوم القيامة، وكانت جماعة تقول: قيامة كل نفس موتها، ثم ذكر من قال ذلك.

ثم قال: قوله: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿اللَّوَّامَةِ﴾، فقال بعضهم: معنى ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير، والشر، ثم ذكر من قال ذلك، ثم قال: «وقال آخرون: بل معنى ذلك أنها تلوم على ما فات وتندم»، ثم ذكر من قال ذلك.

ثم قال: «وقال آخرون: بل اللوامة الفاجرة»، ثم ذكر من قال ذلك.

ثم قال: «وقال آخرون: بل هي المذمومة» ثم ذكر من قال ذلك.

ثم قال: «وهذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه، وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير، والشر، وتندم على ما فات، والقراء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل «لا» من القسم»[(١)].

ورجح **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن «لا» نافية لكلام قبلها، فلا تتعارض مع الإقسام بيوم القيامة ... والثاني أنها صلة ...»[(٢)].

قوله :﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾

قال **الإمام الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها، بلى، قادرين على أعظم من ذلك: أن نسوي

---

(١) جامع البيان للطبري، ٢٤/٤٧-٥٠.
(٢) أضواء البيان، ٨/٦٣٢.

بنانه، وهي أصابع يديه، ورجليه، فنجعلها شيئاً واحداً، كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ إلا بفيه، كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول، ويقبض إذا شاء، ويبسط فحسن خلقه»[١].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ نزلت في عدي بن ربيعة، والمعنى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ﴾ يعني الكفار ﴿أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد التفريق، والبلى، فنحييه، قيل: ذكر العظام، وأراد نفسه؛ لأن العظام قالب النفس، لا يستوي الخلق إلا باستوائها، وقيل: هو خارج على قول المنكر، أو يجمع الله العظام؟ كقوله: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾[يس: ٧٨]، ﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾ أي: نقدر استقبال صرف الحال، قال الفراء: ﴿قَادِرِينَ﴾ نصب على الخروج من نجمع، كما تقول في الكلام: أتحسب أن لن نقدر عليك، بلى قادرين على أكثر من ذلك ... بلى نقدر على جمع عظامه، وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أنامله، فنجعل أصابع يديه، ورجليه شيئاً واحداً، كخف البعير، وحافر الحمار، فلا يرتفق بالقبض، والبسط، والأعمال اللطيفة: كالكتابة، والخياطة، وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الزجاج، وابن قتيبة: معناه ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نغير السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على صغار العظام، فهو على جمع كبارها أقدر[٢].

وقال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي: يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه، وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾، قال سعيد بن جبير، والعوفي، وابن عباس: أن نجعله خفاً، وحافراً، وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وابن جرير، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا.

---

(١) جامع البيان للطبري، ٢٤/٥٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٢١.

والظاهر من الآية أن قوله ﴿قَادِرِينَ﴾ حال من قوله :﴿نَجْمَعَ﴾ أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى، سنجمعها، قادرين على أن نسوي بنانه، أي: قدرتنا لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه، وهي أطراف أصابعه، مستوية، وهذا معنى قول ابن قتيبة، والزجاج[(١)].

قوله :﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾

١-يقول: لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه، ولكن يريد أن يفجر أمامه، أي: يمضي قدماً في معاصي اللَّه، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً، بل يمضي أمامه راكباً رأسه، ويسوف التوبة، وهذا ما جاء عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، والسدي.

٢-وقيل: يقدم على الذنب، ويؤخر التوبة، فيقول: سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله، وأسوأ أعماله، وهذا جاء عن سعيد بن جبير وغيره.

٣-وقيل: بل معنى ذلك أنه يركب رأسه في طلب الدنيا دائباً، ولا يذكر الموت، وهذا جاء عن الضحاك.

٤-وقيل: يكذب بما أمامه من البعث، والحساب، وأصل الفجور الميل، وسمي الفاسق، والكافر: فاجراً لميله عن الحق، وهذا جاء عن ابن عباس، وابن زيد[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر، يكذب بيوم الحساب، وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد؛ ولهذا قال بعده: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾»[سبأ: ٢٩- ٣٠][(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ١٩٣.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٤، وتفسير البغوي، ٤/ ٤٢١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ١٩٤.

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾ [القيامة:١١].

أي: حصن، ولا حرز، ولا ملجأ، ولا نجاة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير وغير واحد[١].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] .

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾ من النضارة، أي: حسنة، بهية، مشرقة، مسرورة، ناعمة ، مضيئة، مسفرة، بيض يعلوها النور.

قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عياناً بلا حجاب، كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه عن النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»[٢].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[القيامة:٢٩].

١-قيل: الشدة بالشدة آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، إلا من رحم الله، فالتفت عليه الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

٢-وقيل: معنى ذلك: التفت ساقا الميت، إذا لفتا في الكفن، قاله الحسن.

٣-وقيل: معنى ذلك: التفاف ساقي الميت عند الموت، جاء ذلك عن الشعبي وغيره.

٤-وقيل: معنى ذلك: يبسهما عند الموت، جاء ذلك عن السدي، عن أبي مالك، وغيره.

٥-وقيل: معنى ذلك: التف أمر بأمر، جاء عن أبي عيسى.

٦-وقيل: معنى ذلك: التف بلاء ببلاء، جاء عن مجاهد.

٧-وقيل: اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي: قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدة كرب الموت بشدة طول المطلع، والذي يدل على ذلك تأويل قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه

(١) تفسير البغوي، ٤/٤٢٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/١٩٤.
(٢) البخاري، برقم ٧٤٣٥.

عنى بقوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التصقت إحدى الشدتين بالأخرى»[(١)].

٥-قال اللَّه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦].

قال السدي: يعني لا يبعث، وقال مجاهد، والشافعي، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر، ولا ينهى، والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً، لا يؤمر، ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى اللَّه في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ، والجهل، والعناد[(١)].

٦- قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[القيامة:٤٠].

أي: أليس الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه[(٢)].

وعن أبي موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعته من رسول اللَّه ﷺ[(٣)].



(١) تفسير الطبري، ٢٤/٨٠، وانظر: تفسير البغوي، ٤/٤٢٤، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢٠١.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٢٠٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/٢٠٣.
(٣) أبو داود، برقم ٨٨٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٤/ ٤٠، برقم ٨٢٧.

٧٦ -سورة الإنسان [(١)]

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة[١:]، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾[الإنسان: ١] [(٢)].

١-قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[الإنسان:١-٣].

اتفق المفسرون على أن «هَلْ» هنا بمعنى: قد، أي: أن الاستفهام تقريري، يستوجب الإجابة عليه.

ولفظ الإنسان في: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾.

١-قيل: هو آدم الإنسان الأول عليه السلام أتى عليه حين من الدهر، لم يكن شيئاً مذكوراً، أي: لم يكن شيئاً يذكر.

٢-وقيل: هو عموم الإنسان من بني آدم، فيكون المعنى على الأول أن آدم عليه السلام أتى عليه حين من الدهر قبل أربعين سنة، ذكر ابن عباس: كان طيناً، ثم صلصالاً، حتى نفخ فيه الروح.

ويكون على الثاني: أن الإنسان أتى عليه حين من الدهر، هو أربعون يوماً نطفة، ثم أربعون يوماً علقة، ثم أربعون يوماً مضغة، وكل ذلك شيء، ولكنه لم يكن مذكوراً، أي: ضعيفاً، وكلاهما محتمل.

ولفظ الإنسان الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ اتفقوا على أنه عام في بني آدم [أي: بعد آدم]؛ لأنه هو خلق من نطفة أمشاج، أخلاط، وقد رجح الفخر الرازي أن لفظ الإنسان في الموضعين بمعنى واحد، وهو المعنى العام؛ ليستقيم الأسلوب بدون مغايرة بين اللفظين إذ لا قرينة مميزة.

ولعل في السياق قرينة تدل على ما قاله، وهي أن قوله تعالى: ﴿نَبْتَلِيهِ﴾

---

(١) حرر في ١٤/١٠/١٤٣٨هـ.
(٢) مسلم، برقم ٨٧٩.

قطعاً لبني آدم؛ لأن آدم عليه السلام انتهى أمره بالسمع، والطاعة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ٣٧]، ولم يبق من ابتلائه، إنما ذلك لبنيه، واللَّه تعالى أعلم[(١)].

قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بينا له سبيل الحق، والباطل، والهدى، والضلال، وعرفناه طريق الخير، والشر، وهذا كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠]، أي: بينا له طريق الخير، والشر، والهداية هنا بمعنى البيان، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[فصلت: ١٧][(٢)].

قوله: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ أي: إما مؤمناً سعيداً، وإما كافراً شقياً، وقيل: معنى الكلام: الجزاء، يعني: بينا له الطريق: إن شكر، أو كفر، وقيل: تقديره: فهو في ذلك: إما شقي، وإما سعيد، كما جاء في الحديث: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فموبقها، أو معتقها**»[(٣)].

وعن أبي هريرة يرفعه: «**ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب اللَّه اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط اللَّه اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**»[(٤)].

٢-قال اللَّه تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[الإنسان:٧].

أي: يتعبدون للَّه فيما أوجب عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، وعن عائشة رضي الله عنها ترفعه: «**من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه، ومن نذر أن يعصي اللَّه فلا يعصيه**»[(٥)].

وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ يتركون المحرمات التي نهاهم

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٨/٦٤٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/٤٢٧، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢٠٦، وأضواء البيان، ٨/٦٤٨.
(٣) مسلم، برقم ١٢٥.
(٤) مسند أحمد، ١٤/ ٤١، برقم ٨٢٨٦، وحسن إسناده محققو المسند، والمعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ٩٩، برقم ٤٧٨، .
(٥) البخاري، برقم ٦٦٩٦.

اللَّه عنها، خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس، إلا من رحم اللَّه، يقال: استطار الصبح، إذا امتد، وانتشر، قال مقاتل: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت، وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس، والقمر، وفزعت الملائكة، وفي الأرض فنسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء[(١)].

٣-قال اللَّه تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[الإنسان:٨].

قيل: على حب اللَّه تعالى، وجعلوا الضمير عائداً إلى اللَّه ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: يطعمون الطعام في حال محبتهم، وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾[البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، وفي الصحيح: «**أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر**»[(٢)].

٤-قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[الإنسان:١٠].

تعبس فيه الوجوه من هوله، وشدته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم، وليل نائم، وقيل: وصف اليوم العبوس؛ لما فيه من الشدة ﴿قَمْطَرِيراً﴾، قال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: القمطرير الذي يقبض الوجوه، والجباه بالتعبيس، وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطرير: الشديد، قال الأخفش: القمطرير: أشد ما يكون من الأيام، وأطوله في البلاء، يقال: يوم قمطرير، وقماطر إذا كان شديداً كريهاً، وأقمطر اليوم مقمطر.

قال الإمام ابن كثير رحمه اللَّه[(٣)]: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ أي: إنما نفعل هذا لعل اللَّه أن يرحمنا، ويتلقانا بلطفه في اليوم

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٤٢٨، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢٠٩، وأضواء البيان، ٨/٦٧٤.
(٢) البخاري، برقم ١٤١٩، ومسلم، برقم ١٠٣٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/٢١١.

العبوس القمطرير، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿عَبُوساً﴾ ضيقاً ﴿قَمْطَرِيراً﴾ طويلاً، وقال عكرمة، وغيره عنه في قوله: ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ أي: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق، مثل القطران، وقال مجاهد: ﴿عَبُوساً﴾: العابس الشفتين، ﴿قَمْطَرِيراً﴾، قال: تقبيض الوجه بالبسور، وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قَمْطَرِيراً﴾: تقليص الجبين ما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس: الشر، والقمطرير: الشديد، وأوضح العبارات، وأجلاها، وأحلاها، وأعلاها، وأولاها، قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله: والقمطرير هو: الشديد، يقال: هو يوم قمطرير، ويوم قماطر، ويوم عصيب، وعصبْصَب، وقد اقمطر اقمطراراً، وذلك أشد الأيام، وأطولها، في البلاء والشدة[1].

٥-قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾[الإنسان:٢٥-٢٧].

قوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي: أول النهار، وآخره.

وقوله: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾، كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[الإسراء: ٧٩]، وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل: ١-٤][2].

قوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني خلقهم[3].



(١) تفسير البغوي، ٤/٤٢٩، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢١١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/٢١٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/٢١٧، وانظر: تفسير البغوي، ٤/٤٣١.

٧٧ -سورة المرسلات[(١)]

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى، إذا نزلت عليه المرسلات؛ فإنه ليتلوها، وإني لا أتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها؛ إذ وثب علينا حية، قال النبي ﷺ: «**اقتلوها**»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي ﷺ: «**وقيت شركم، كما وقيتم شرها**»[(٢)].

وعن ابن عباس ﷺ أن أم الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ **فقالت: يا بني، ذكرتني بقراءتك لهذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب**[(٣)].

١-قال الله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾[المرسلات:١-٦]

قوله: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ قيل: الملائكة، قاله أبو هريرة ﷺ، ومقاتل، يعني: الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله، ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

وقيل: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ الرياح أرسلت متتابعات كعرف الفرس، وقيل: عرفاً، أي: كثيراً تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه، فأكثروا، هذا معنى قول مجاهد، وقتادة، وقيل: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾، أي: الرسل، وقيل: الملائكة، وكذا قال أبو صالح في ﴿فَالْعَاصِفَاتِ﴾، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾، و﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾، و﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾: الملائكة.

قوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾: الرياح، قاله ابن مسعود، وقاله أيضاً ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح في رواية عنه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «والأظهر أن «المرسلات» هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[الحجر:٢٢]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ

---

(١) حرر في ١٩/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) البخاري برقم ١٨٣٠، ومسلم برقم ٢٢٣٤.

(٣) البخاري برقم ٧٦٣، ومسلم برقم ٤٦٢.

بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[الفرقان: ٤٨]، وكذا العاصفات، هي الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هبت بصوت، وكذا الناشرات، هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، وعن أبي صالح: أن الناشرات نشراً: المطر»[١].

واختار العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ أن المرسلات، والعاصفات، والناشرات هي الرياح[٢].

قوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك: يعني الملائكة، تأتي بما يفرق بين الحق والباطل.

وقال قتادة، والحسن: هي: آي القرآن، تفرق بين الحلال والحرام.

وروي عن مجاهد: هي الرياح، تفرق السحاب وتبدده[٣].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الفارقات، فقيل: الملائكة، وقيل: آيات القرآن، ورجح أنها الملائكة»[٤]

قوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً﴾ يعني: الملائكة، تلقي الذكر، والوحي إلى الأنبياء، ونظير ذلك ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾[غافر: ١٥].

﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ أي: للإعذار، والإنذار[٥].

قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إن هذا كله لواقع، أي: كائن لا محالة[٦].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ وُقِّتَتْ * لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾[المرسلات:١١-١٣].

قوله: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قال ابن عباس: جمعت، وقال ابن زيد: وهذه كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾[المائدة: ١٠٩]، وقال مجاهد ﴿أقتت﴾:

---

(١) تفسير البغوي، ٤/٤٣٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢٢٠.
(٢) أضواء البيان، ٨/٦٨٥.
(٣) تفسير البغوي، ٤/٤٣٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/٢٢١.
(٤) أضواء البيان، ٨/٦٨٦.
(٥) تفسير البغوي، ٤/٤٣٢.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/٢٢١..

أجلت. وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم: ﴿أقتت﴾ أوعدت[(١)].

٣-قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[المرسلات:٣٢].

قيل: القصر: البناء العظيم، قال ابن مسعود: الحصون، وقيل: الخشب العظام المقطعة، وقيل: هي أصول النخل، والشجر، العظام، وقيل: أعناق النخل[(٢)].

٤-قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾[المرسلات:٣٣]

جمالة: أي الإبل السود، قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، واختاره ابن جرير، وقيل: عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: حبال السفن.

وفي رواية عن ابن عباس: جمالات صفر: قطع نحاس[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير، ٢٢١/١٤.
(٢) تفسير البغوي، ٤٣٤/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٢٣/١٤.
(٣) انظر: تفسير البغوي، ٤٣٥/٤، وتفسير ابن كثير، ٢٢٣/١٤.

٧٨ -سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها:

١- ٢: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون؟ من أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر.

قال قتادة، وابن زيد: النبأ العظيم: البعث بعد الموت، وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول لقوله:

٣- ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة:

٤- ٥- ﴿كَلا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ﴾، وهذا تهديدٌ شديد، ووعيد أكيد[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: كَلَّا: نَفْيٌ، يقول: هِمْ، سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ، حِينَ تَنْكَشِفُ الْأُمُورُ، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: وَعِيدٌ لَهُمْ عَلَى إِثْرِ وَعِيدٍ»[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، أي: إذا نزل بهم العذاب، ما كانوا به يكذبون، حين يُدعّون إلى نار جهنم دعًّا»[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون﴾، والجملة

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.

(٢) تفسير الإمام البغوي، ٤/ ٤٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦٩.

الثانية توكيدٌ للأولى من حيث المعنى، وإن كانت ليست توكيداً باعتبار اصطلاح النحويين؛ لأنه فُصل بينها وبين التي قبلها بحرف العطف، والتوكيد لا يُفصل بينه وبين مؤكِّدِه بشيء من الحروف، والمراد بالعلم الذي توعدهم الله به هو علم اليقين الذي يشاهدونه على حسب ما أخبروا به»[١].

ثمَّ شَرَعَ تَعَالَى يُبَيِّن قُدْرَته الْعَظِيمَة عَلَى خَلْق الْأَشْيَاء الْغَرِيبَة، وَالْأُمُور الْعَجِيبَة، الدَّالَّة عَلَى قُدْرَته عَلَى مَا يَشَاء مِنْ أَمْر الْمَعَاد، وَغَيْرِه، فَقَالَ:

٦- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾؟ أَيْ: مُمَهَّدَة لِلْخَلَائِق، ذَلُولًا لَهُمْ، قَارَّة سَاكِنَة ثَابِتَة.

٧- ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، أَيْ: جَعَلَهَا لَهَا أَوْتَادًا، أَرْسَاهَا بِهَا، وَثَبَّتَهَا، وَقَرَّرَهَا حَتَّى سَكَنَتْ، وَلَمْ تَضْطَرِب بِمَنْ عَلَيْهَا، ثم قال:

٨- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى، يَسْتَمْتِعُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، وَيَحْصُل التَّنَاسُل بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

٩- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾، أَيْ: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ؛ لتَحصلَ الرَّاحَةُ مِنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، والسعي فِي الْمَعَايِشِ فِي عَرْضِ النَّهَارِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي «سُورَةِ الْفُرْقَانِ» قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: يَغْشَى النَّاسَ ظَلَامُهُ وَسَوَادُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤].

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: سَكَنًا[٢].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غِطَاءً، وَغِشَاءً يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظُلْمَتِهِ»[١].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٧.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي: جعل الله هذا الليل على الأرض بمنزلة اللباس، كأن الأرض تلبسه، ويكون جلباباً لها، وهذا لا يعرفه تمام المعرفة إلا من صعد فوق ظل الأرض، وقد رأينا ذلك من الآيات العجيبة، إذا صعدت في الطائرة، وارتفعت، وقد غابت الشمس عن سطح الأرض، ثم تبينت لك الشمس بعد أن ترتفع تجد الأرض، وكأنما كسيت بلباس أسود، لا ترى شيئاً من الأرض كله سواد من تحتك»[1].

١١- ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، أَيْ: جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا مُنِيرًا مُضِيئًا؛ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَالذِّهَابِ وَالْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يَعْنِي: السموات السَّبْعَ، فِي اتِّسَاعِهَا وَارْتِفَاعِهَا، وَإِحْكَامِهَا وَإِتْقَانِهَا، وَتَزْيِينِهَا بِالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٣- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يَعْنِي: الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ الَّتِي يَتَوَهَّجُ ضَوْؤُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ[2].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يَعْنِي الشَّمْسَ، ﴿وَهَّاجًا﴾ مُضِيئًا مُنِيرًا، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْوَهَّاجُ: الْوَقَّادُ، وقَالَ مُقَاتِلٌ: جَعَلَ فِيهِ نُورًا وَحَرَارَةً، وَالْوَهَجُ يَجْمَعُ النُّورَ وَالْحَرَارَةَ»[3].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها، وما فيها من المصالح»[4].

١٤- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: الرِّيحُ.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قَالَ: الرِّيَاحُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.
(٣) تفسير الإمام البغوي، ٤/ ٤٣٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦٩.

أَسْلَمَ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنَّهَا الرِّيَاحُ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهَا تَسْتَدِرُّ الْمَطَرَ مِنَ السَّحَابِ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أَيْ: مِنَ السَّحَابِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ السَّحَابُ الَّتِي تَتَحَلَّب بِالْمَطِرِ وَلَمْ تُمطر بعدُ، كَمَا يُقَالُ: امْرَأَةٌ مُعْصِرٌ، إِذَا دَنَا حَيْضُهَا، وَلَمْ تَحِضْ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُعْصِرَاتِ: السَّحَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ**﴾ [الرُّوم: ٤٨]، أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أي: السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي: كثيراً جداً، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ من بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون، ﴿وَنَبَاتًا﴾ يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتاً لمواشيهم، ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة، فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به، وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه، وتجحدونها؟»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ يعني من السحاب، ووصفها الله بأنها معصرات، كأنما تعصر هذا المطر عند نزوله عصراً، كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب، ويخرج منه كما يخرج الماء من الثوب المعصور»[(٣)].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿ثَجَّاجًا﴾:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٦٩.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٤.

مُنْصَبًّا، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَتَابِعًا، وَقَالَ ابن زيد: كثيرًا[(١)].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «وَلَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي صِفَةِ الْكَثْرَةِ الثَّجُّ، وَإِنَّمَا الثَّجُّ: الصَّبُّ الْمُتَتَابِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أفضلُ الْحَجّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ»[(٢)]، يَعْنِي: صَبّ دِمَاءِ البُدْن، هَكَذَا قَالَ. قُلْتُ: وَفِي حَدِيثِ الْمُسْتَحَاضَةِ[(٣)] حِينَ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْعتُ لَكِ الكرسُف»، يَعْنِي: أَنْ تَحْتَشِي بِالْقُطْنِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَثُجُّ ثَجًّا، وَهَذَا فِيهِ دَلَالَة عَلَى اسْتِعْمَالِ الثَّج فِي الصَّبِّ الْمُتَتَابِعِ الْكَثِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[(٤)].

١٥- ١٦- ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾، أَيْ: لنخرجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ المُبَارَك ﴿حَبًّا﴾ يُدَّخرُ لِلْأَنَاسِيّ وَالْأَنْعَامِ، ﴿وَنَبَاتًا﴾، أَيْ: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا، ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أَيْ: بَسَاتِينَ وحدائقَ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَطعُومٍ، وَرَوَائِحَ مُتَفَاوِتَةٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: ﴿أَلْفَافًا﴾ مُجْتَمِعَةً، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ الْآيَةَ [الرَّعْد:٤][(٥)].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا (٣٠)﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.

(٢) الترمذي، برقم ٨٢٧، والدارمي برقم ١٨٣٨، وابن خزيمة، برقم ٢٦٣١، وصححه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٥٠٠.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد، برقم ٢٧٤٧٤، وأبا داود، برقم ٢٨٧، وابن ماجه، برقم ٦٢٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٩٣.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ١٥٥.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.

١٧- يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ مُؤَقَّتٌ بِأَجَلٍ مَعْدُودٍ، لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ عز وجل، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هُود:١٠٤] .

١٨- ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: زُمَرًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإِسْرَاء:٣١].

وَقَالَ **الْبُخَارِيُّ**: «﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «**أبيتُ**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «**أَبَيْتُ**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «**أَبَيْتُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُنزلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فينبتُونَ كَمَا ينبتُ البقلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شيءٌ إِلَّا يَبلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذنَب، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ الْقِيَامَةِ**»[1] .

قال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ والنافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس، ثم يصعقون، فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم، ولهذا قال هنا: «﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، وفي الآية إيجاز بالحذف، أي: فتحيون فتأتون أفواجاً؛ فوجاً مع فوج، أو يتلو فوجاً، وهذه الأفواج، والله أعلم، بحسب الأمم كل أمة تدعى إلى كتابها لتحاسب عليه، فيأتي الناس أفواجاً في هذا الموقف العظيم الذي تسوى فيه الأرض، فيذرها الله عز وجل قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً، ولا أمتاً»[2] .

١٩- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أَيْ: طُرُقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ.

٢٠- ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النَّمل:٨٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القَارِعَة:٥].

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أَيْ: يُخَيَّلُ إِلَى النَّاظِرِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٣٥.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين: (ص: ٢٦.

بَعْدَ هَذَا تَذهب بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا۞فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾[طه:١٠٥ -١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكَهْف:٤٧].

٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَيْ: مُرْصَدَةً مُعدّة.

٢٢- ﴿لِلطَّاغِينَ﴾، وَهُمْ: المَردة الْعُصَاةُ، الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، ﴿مَآبًا﴾، أَيْ: مَرْجِعًا، وَمُنْقَلَبًا، وَمَصِيرًا، وَنُزُلًا، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ حَتَّى يَجْتَازَ بِالنَّارِ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ جَوَازٌ نَجَا، وَإِلَّا احْتَبَسَ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: عَلَيْهَا ثَلَاثُ قَنَاطِرَ.

٢٣- ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَهِيَ جَمْعُ: حقُب، وَهُوَ: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهِ، فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِهِلَالٍ الهَجَرِي: مَا تجدونَ الحُقْبَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ؟ قَالَ: نَجِدُهُ ثَمَانِينَ سَنَةً، كُلُّ سَنَةٍ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، كُلُّ شَهْرٍ ثَلَاثُونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ[(١)].

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[(٢)]، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[(٣)]، وَابْنِ عَبَّاسٍ[(٤)]، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وعَمرو بْنِ مَيْمُونٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكِ، وقَالَ خالد بن معدان: وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لَا انْقِضَاءَ لَهَا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وسئلَ الْحَسَنُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، قَالَ: أَمَّا الْأَحْقَابُ فَلَيْسَ لَهَا عِدّة إِلَّا الْخُلُودَ فِي النَّارِ[(٥)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بَلْ قَالَ: لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً، فو اللَّه مَا هُوَ إِلَّا إِذَا مَضَى حِقَبٌ، دَخَلَ آخَرُ، ثُمَّ آخَرُ إِلَى الْأَبَدِ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ»[(١)].

(١) أخرجه الطبري، ٢٠/ ١١، وهناد في الزهد، برقم ٢٢٠ من طريق سفيان به.
(٢) أخرجه الطبري ١١/ ٣٠، وهناد في الزهد، برقم ٢١٩ كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه، وزاد السيوطي، ٦/ ٥٠٢ نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، ٦/ ٥٠٣.
(٤) أخرجه الطبري، ٣٠/ ١١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣١.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٨.

وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، وَهُوَ: مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، كُلَّمَا مَضَى حُقب جَاءَ حُقْبٌ بَعْدَهُ[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، أي: باقين فيها، ﴿أحقاباً﴾ أي: مدداً طويلة، وقد دلّ القرآن الكريم على أن هذه المُدد لا نهاية لها، وأنها مُدد أبديّة، كما جاء ذلك مصرحاً به في ثلاث آيات من كتاب اللَّه في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨- ١٦٩]، وفي سورة الأحزاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٥]. وفي سورة الجن في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

فإذا كان اللَّه تعالى صرح في ثلاث آيات من كتابه بأن أصحاب النار مخلدون فيها أبداً، فإنه يلزم أن تكون النار باقيةً أبد الآبدين، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، إن النار والجنة مخلوقتان، ولا تفنيان أبداً، ووجد خلاف يسير من بعض أهل السنة في أبدية النار، وزعموا أنها غير مؤبدة، واستدلوا بحجج هي في الحقيقة شُبَهٌ لا دلالة فيها لما ذهبوا إليه، وإذا قورنت بالأدلة الأخرى، تبيّن أنه لا معوّل على المخالف فيه، ولا على قوله، والواجب على المؤمن أن يعتقد ما دلّ عليه كتاب اللَّه دلالة صريحة، لا تحتمل التأويل، والآيات الثلاث التي ذكرناها كلها آيات محكمة، لا يتطرّق إليها النسخ، ولا يتطرّق إليها الاحتمال، أما عدم تطرّق النسخ إليها؛ فلأنها خبر، وأخبار اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لا تنسخ، وكذلك أخبار رسوله ﷺ، لأن نسخ أحد الخبرين بالآخر، يستلزم كذب أحد الخبرين، إما تعمداً من المخبر، أو جهلاً بالحال، وكل ذلك ممتنع في خبر اللَّه، وخبر رسوله ﷺ، المبني على الوحي، وأما عدم تطرق الاحتمال، فللتصريح بالأبدية في الآيات الثلاث، والمهم أنه يجب علينا أن نعتقد شيئين:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣١.

الشيء الأول: وجود الجنة والنار الآن، وأدلة ذلك من القرآن والسنة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والإعداد التهيئة، وهذا الفعل «أعدت» فعل ماضٍ، يدل على أن الإعداد قد وقع، وكذلك قال الله تعالى في النار: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، والإعداد تهيئة الشيء، والفعل هنا ماضٍ يدل على الوقوع، وقد جاءت السنة صريحة في ذلك في أن النبي ﷺ رأى الجنة ورأى النار.

الشيء الثاني: اعتقاد أنهما داران أبديتان، من دخلهما وهو من أهلهما؛ فإنه يكون فيهما أبداً، أما الجنة، فمن دخلها لا يخرج منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وأما النار فإن عصاة المؤمنين يدخلون فيها ما شاء الله أن يبقوا فيها، ثم يكون مآلهم الجنة، كما شهدت بذلك الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فقوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، لا تدل بأي حال من الأحوال على أن هذه الأحقاب مؤمدة، يعني: إلى أمدٍ، ثم تنتهي، بل المعنى: أحقاباً كثيرة لا نهاية لها»[1].

٢٤- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾ أَيْ: لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّم بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٢٥- ﴿إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَثْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمَ، وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَاقَ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

فَأَمَّا الْحَمِيمُ: فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ وحُموّه، والغَسَّاق: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، وَعَرَقِهِمْ، وَدُمُوعِهِمْ، وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ، وَلَا يُوَاجَهُ مَنْ نَتَنِهِ[2].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾، يَعْنِي: النَّوْمَ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيّ، عَنْ مُرَّةَ الطَّيِّبِ، وَنَقَلَهُ عَنْ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧- ٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.

مُجَاهِدٍ أَيْضًا، وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيدة، وَالْكِسَائِيُّ أَيْضًا[(١)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾: نفى اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم البرد الذي تبرد به ظواهر أبدانهم، والشراب الذي تبرد به أجوافهم، ذلك لأنهم والعياذ بالله إذا عطشوا، واستغاثوا كانوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وهل الماء الذي كالمهل، وإذا قرب من الوجه شوى الوجه، هل ينتفع به صاحبه؟ الجواب استمع قول اللَّه تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، أما في ظاهر الجسم، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧ - ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]، ما في بطونهم الأمعاء، وهي باطن الجسم، فمن كان كذلك؛ فإنهم لا يذوقون فيها برداً، ولا شراباً يطفئ حرارة بطونهم، ومن تدبّر ما في القرآن والسنة من الوعيد الشديد لأهل النار؛ فإنه كما قال السلف: «عجبت للنار كيف ينام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها»، إننا لو قال لنا قائل: إن لكم في أقصى الدنيا قصوراً، وأنهاراً، وزوجات، وفاكهة لا تنقطع عنا، ولا نقطع دونها، بل هي إلى أبد الآبدين، لكنا نسير على أهداب أعيننا ليلاً ونهاراً لنصل إلى هذه الجنة التي بها هذا النعيم العظيم، والتي نعيمها دائم لا يقطع، وشباب ساكنها دائم لا يهرم، وصحته دائمة ليس فيها سقم، وانظروا إلى الناس اليوم يذهبون إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ لينالوا درهماً او ديناراً، قد يتمتعون بذلك، وقد لا يتمتعون به، فما بالنا نقف هذا الموقف من طلب الجنة، وهذا الموقف من الهرب من النار، نسأل اللَّه أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة»[(١)].

٢٦- وقوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾،أَيْ: هَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ وَفق

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٣.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩- ٣٠.

أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

٢٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، أَيْ: لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازَوْنَ فِيهَا وَيُحَاسَبُونَ.

٢٨- ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾، أَيْ: وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَدَلَائِلِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَيُقَابِلُونَهَا بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ.

وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾، أَيْ: تَكْذِيبًا، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ الْفِعْلِ، قَالُوا: وَقَدْ سُمع أَعْرَابِيٌّ يَسْتَفْتِي الفرّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ: الحلقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوِ القِصَّار؟.

٢٩-﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أَيْ: وَقَدْ عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم، وكتبناها عَلَيْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

٣٠- ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا﴾، أَيْ: يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جنسهِ، ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٨].

قَالَ قَتَادَةُ: عَنْ أَبِي أَيُّوب الْأَزْدِيّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا﴾، قَالَ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا[(١)].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا(٣٦)﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعدَّ لهم تعالى: من الكرامة، والنعيم المقيم، فقال:

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: فَازُوا، فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ، والأظهر هاهنا قولُ بن عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ:

٣٢-٣٣- ﴿حَدَائِقَ﴾، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ المتقون: هم الذين اتقوا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٤.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٤.

عقاب اللَّه، وذلك بفعل أوامر اللَّه، واجتناب نواهيه، وأحياناً يأمر اللَّه بتقواه، وأحياناً يأمر بتقوى يوم الحساب، وأحياناً يأمر بتقوى النار، قال اللَّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣٠- ١٣١]، فجمع بين الأمر بتقواه، والأمر بتقوى النار، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فأمر بتقوى يوم الحساب، وكل هذا يدور على معنى واحد، وهو: أن يتقي الإنسان محارم ربه، فيقوم بطاعته، وينتهي عن معصيته، فالمتقون هم الذين قاموا بأوامر اللَّه، واجتنبوا نواهي اللَّه، هؤلاء لهم ﴿مفازاً﴾، والمفاز هو مكان الفوز، وزمان الفوز أيضاً، فهم فائزون في أمكنتهم، وفائزون في أيامهم»[(١)].

﴿وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾، أَيْ: وَحُورًا كَوَاعِبَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿كَوَاعِبَ﴾، أَيْ: نَوَاهِدَ، يَعْنُونَ أَنْ ثُدُيَّهن نَوَاهِدَ، لَمْ يَتَدَلَّيْنَ؛ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ، عُرُبٌ، أَتْرَابٌ، أَيْ: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦- ٣٧].

٣٤- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَمْلُوءَةٌ مُتَتَابِعَةٌ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: صَافِيَةٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿دِهَاقًا﴾، الْمَلْأَى الْمُتْرَعَةُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هِيَ الْمُتَتَابِعَةُ.

٣٥- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّوْرِ: ٢٣]، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا كَلَامٌ لاغٍ، عَارٍ عَنِ الْفَائِدَةِ، وَلَا إِثْمٌ كَذِبٌ، بَلْ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَكُلُّ ما فيها سالم من النقص.

٣٦- وَقَوْلُهُ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَازَاهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَعْطَاهُمُوهُ، بِفَضْلِهِ ومَنّه وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: كَافِيًا وَافِرًا شَامِلًا كَثِيرًا، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي، أَيْ: كَفَانِي، وَمِنْهُ: حَسْبِيَ اللَّهُ، أَيِ: اللَّهُ كَافِيَّ[(١)].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٤.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٥.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا(٤٠)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

٣٧- ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هُود: ١٠٥].

٣٨- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هَاهُنَا، مَا هُوَ؟ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ.

الثَّانِي: هُمْ بَنُو آدَمَ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مِمَّا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَكْتُمُهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ خَلق مِنْ خَلْقِ اللهِ، عَلَى صُور بَنِي آدَمَ، وَلَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ وَلَا بِبَشَرٍ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ وَالْأَعْمَشُ.

الرَّابِعُ: هُوَ جِبْرِيلُ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، **وَيُسْتَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ**: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣- ١٩٤]، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: الرُّوحُ: أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ عز وجل، وَصَاحِبُ الْوَحْيِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ الْقُرْآنُ. قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الْآيَةَ [الشُّورَى: ٥٢] .

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَدْرِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، قَالَ: هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ

مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا، والله تعالى أعلم[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو أشرف الملائكة»[٢].

وقال في **أضواء البيان**: «وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سلام﴾ [القدر: ٤- ٥]، فَفِيهِ عَطْفُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الرُّوحِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو جبريل ﴿وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ أي: صفوفاً: صفًّا بعد صف؛ لأنه كما جاء في الحديث: «**تنزل ملائكة السماء الدنيا فتحيط بالخلق، ثم ملائكة السماء الثانية من وراءهم، ثم الثالثة والرابعة والخامسة**»[٤]، وهكذا.. صفوفاً لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا يتكلمون: ملائكة ولا غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بالكلام؛ فإنه يتكلم كما أذن له، ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال قولاً صواباً، موافقاً لمرضات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك بالشفاعة، إذا أذن الله لأحد أن يشفع، شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أذن له، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك الذي أخبرناكم عنه، هو اليوم الحق، والحق ضد الباطل، أي: الثابت الذي يقوم فيه الحق، ويقوم فيه العدل، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلاّ من أتى الله بقلب سليم، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي: من شاء عمل عملاً يؤوب به إلى الله، ويرجع به إلى الله، وذلك العمل الصالح الموافق لمرضاة الله تعالى، أي: مرجعاً يرضى به الله، ويرضى الله به عنه، وهذه المشيئة المطلقة هنا قيدتها آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

(٣) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ١٦.

(٤) انظر مستدرك الحاكم، ٤/ ٦١٤، وصححه، وقال الذهبي: «إسناده قوي».

﴿يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩]، يعني: أننا لنا الخيار فيما نذهب إليه، لا أحد يكرهنا على شيء؛ لكن مع ذلك خيارنا، وإرادتنا، ومشيئتنا راجعة إلى الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وإنما بيّن الله ذلك في كتابه من أجل أن لا يعتمد الإنسان على نفسه، وعلى مشيئته، بل يعلم أنها مرتبطة بمشيئة الله، حتى يلجأ إلى الله في سؤال الهداية لما يحب، ويرضى، ولا يقول الإنسان: أنا حر، أريد ما شئت، وأتصرف كما شئت، نقول: الأمر كذلك؛ لكنك مربوط بإرادة الله ﷻ، فما نشاء من شيء إلا وقد شاءه الله من قبل»[1].

وقوله: ﴿إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [هُودٍ: ١٠٥]، وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ»[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أَيْ: حَقًّا، وَمِنَ الْحَقِّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كَمَا قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَعِكْرِمَةُ.

٣٩- ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، أَيِ: الْكَائِنُ لَا مَحَالَةَ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾، أَيْ: مَرْجِعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي إِلَيْهِ وَمَنْهَجًا يَمُرُّ بِهِ عَلَيْهِ.

٤٠- ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِتَأَكُّدِ وُقُوعِهِ صَارَ قَرِيبًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: خوفناكم من عذاب قريب، وهو يوم القيامة، ويوم القيامة قريب، ولو بقيت الدنيا ملايين السنين فإنه قريب ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، فهذا العذاب الذي أنذرنا الله قريب، ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت، والإنسان لا يدري متى يموت، قد يصبح ولا يمسي، أو يمسي ولا يصبح؛ ولهذا كان علينا أن نحزم في أعمالنا، وأن نستغل الفرصة قبل فوات الأوان، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء: أي كل امرئ ينظر ما قدمت يداه، ويكون بين يديه، ويعطى

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٦.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٤٣٧، وصحيح مسلم، برقم ١٨٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٦.

كتابه، ويقال: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]»[١].

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أَيْ: يَعْرِضُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الْكَهْفِ: ٤٩]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٣].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أَيْ: يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تُرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلِقَ، وَلَا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ، وَذَلِكَ حِينَ عَايَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَنَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ، قَدْ سُطِّرت عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرة، الْكِرَامِ الْبَرَرة.

وَقِيلَ: إِنَّمَا يَوَدُّ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ الله بين الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصَّ لِلشَّاةِ الجمَّاء مِنَ الْقَرْنَاءِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فتصير تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أَيْ: كُنْتُ حَيَوَانًا فَأَرْجِعُ إِلَى التُّرَابِ، وَقَدْ وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّوَرِ الْمَشْهُورِ[٢]، وَوَرَدَ فِيهِ آثَارٌ عَنْ أَبِي هُرَيرة، وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمَا[٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء: أي كل امرئ ينظر ما قدمت يداه، ويكون بين يديه، ويعطى كتابه، ويقال: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ويقول الكافر من شدة ما يرى من الهول، وما يشاهده من العذاب: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي: ليتني لم أخلق، أو ليتني لم أبعث، أو إذا رأى البهائم التي يقضي اللَّه بينها، ثم يقول: كوني تراباً، فتكون تراباً يتمنى أن يكون مثل البهائم، فقوله: ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾ تحتمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: يا ليتني كنت تراباً فلم أُخلق؛ لأن الإنسان خُلق من تراب.

المعنى الثاني: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث، يعني كنت ترابًا في أجواف القبور.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٧.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: ٣٢٥، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، ٣/ ٨٢٤، وقال الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار، ص ١٨٩٨: «رَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي التَّارِيخ وَأَبُو الشَّيْخ فِي كتاب العظمة من حَدِيث أبي هُرَيْرَة «إِن الله تبَارك وَتَعَالَى لما فرغ من خلق السَّموَات وَالْأَرْض خلق الصُّور فَأعْطَاهُ إسْرَافيل فَهُوَ وَاضعه عَلَى فِيهِ شاخص ببصره إِلَى الْعَرْش يَنْتَظر مَتى يُؤمر» قَالَ البُخَارِيّ وَلم يَصح وَفِي رِوَايَة لأبي الشَّيْخ «مَا طرف صَاحب الصُّور مذ وكل بِهِ مستعد ينظر نَحْو الْعَرْش مَخَافَة أَن يُؤمر قبل أَن يرْتَد إِلَيْهِ طرفه كَأَن عَيْنَيْهِ كوكبان دريان»، وإسنادها جيد».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٧.

المعنى الثالث: أنه إذا رأى البهائم التي قضى الله بينها، وقال لها: كوني تراباً، فكانت تراباً، قال: ليتني كنت تراباً، أي: كما كانت هذه البهائم، والله أعلم، وإلى هنا تنتهي سورة النبأ، وفيها من المواعظ والحكم، وآيات الله ﷻ ما يكون موجباً للإيقان، والإيمان، نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بكتابه، وأن يجعله موعظة لقلوبنا، وشفاء لما في صدورنا، إنه جواد كريم»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٧- ٣٨.

٧٩ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

١- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَأَبُو الضُّحَى، والسُّدي:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الْمَلَائِكَةُ، يَعْنُونَ حِينَ تَنْزَعُ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِعُنف، فَتُغرق فِي نَزْعِهَا، وَمَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ، وَكَأَنَّمَا حَلَّته مِنْ نَشَاطٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

٢- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: هِيَ أَنْفُسُ الْكُفَّارِ، تُنزع ثُمَّ تُنشَط، ثُمَّ تَغْرَقُ فِي النَّارِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الْمَوْتُ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَباح فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، وَ﴿النَّاشِطَاتِ﴾: هِيَ الْقِسِيُّ فِي الْقِتَالِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ[(١)].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها، حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ وهم الملائكة أيضاً، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.

أو النشط يكون لأرواح المؤمنين، والنزع لأرواح الكفار»[١].

وقال في أضواء البيان: «وَالَّذي يشهد لَهُ السِّيَاقِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى: هُوَ أَنَّهُمَا وَصْفَانِ مُتَقَابِلَانِ: الْأَوَّلُ: نَزْعٌ بِشِدَّةٍ، وَالْآخَرُ نَشَاطٌ بِخِفَّةٍ، فَيَكُونُ النَّزْعُ غَرْقًا لِأَرْوَاحِ الْكُفَّارِ، وَالنَّشْطُ بِخِفَّةٍ لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ نَزْعِ أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الْآيَةَ [الأنعام: ٩٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠]»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والنازعات﴾ يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها ﴿غرقا﴾ أي: نزعاً بشدة، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾ يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي: تسلها برفق كالأنشوطة، والأنشوطة: الربط الذي يسمونه عندنا (التكة)، أو ما أشبه ذلك من الكلمات، يعني يكون ربطاً، بحيث إذا سللت أحد الطرفين، انفكت العقدة، وهذا ينحلُّ بسرعة وبسهولة، فهؤلاء الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين تنشطها نشطاً، أي: تسلّها برفق، وسبب ذلك أن الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار إذا دعت الروح إلى الخروج، تناديها بأقبح الأوصاف، تقول الملائكة لروح الكافر: **اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، اخرجي إلى غضب الله**، فتنفر الروح لا تريد أن تخرج إلى هذا، وتتفرق في الجسد حتى يقبضوها بشدة، وينزعوها نزعاً يكاد يتمزق الجسد منها من شدة النزع، أما أرواح المؤمنين، جعلني الله وإياكم منهم، فإن الملائكة إذا نزلت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢٢.

لقبضها تبشرها: **اخرجي يا أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى رضوان الله**، فيهون عليها أن تفارق جسدها الذي ألفته، فتخرج بسهولة، ولهذا لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، قالت عائشة: يا رسول الله: إنَّا لنكره الموت، فقال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله، وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه**»[1]؛ لأنه في تلك اللحظة يرى أنه سينتقل إلى دار أحسن من الدار التي فارقها، فيفرح كما يفرح أحدنا إذا قيل له: اخرج من بيت الطين إلى بيت المسلح: القصر المشيد الطيب، فيفرح فيحب لقاء الله، والكافر، والعياذ بالله، بالعكس إذا بشر بالغضب والعذاب، فإنه يكره أن يموت، يكره لقاء الله، فيكره الله لقاءه»[2].

٣- وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، ورُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ مثلُ ذَلِكَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾: الْمَوْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هِيَ السُّفُنُ[3].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ المؤمنين، يسلّونها سلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدَعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ كَالسَّابِحِ بِالشَّيْءِ فِي الْمَاءِ يَرْفُقُ بِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ يُنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ مُسْرِعِينَ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ يُقَالُ لَهُ: سَابِحٌ إِذَا أَسْرَعَ فِي جَرْيِهِ، وَقِيلَ: هِيَ خَيْلُ الْغُزَاةِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣]»[4].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾ هي الملائكة تسبح بأمر الله، أي: تسرع فيه، كما يسرع السابح في الماء، وكما قال تعالى عن الشمس،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٥٠٧، ومسلم، برقم ٢٦٨٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٩- ٤٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٢.

والقمر، والليل، والنهار: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فالمعنى أنها تسبح بأمر الله ﷻ على حسب ما أراد الله سبحانه وتعالى، وهم أي: الملائكة أقوى من الجن، والجن أقوى من البشر، انظر إلى قوله تعالى عن سليمان: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠]، يعني إذا مددت طرفك ثم رجعته، فقبل أن يرجع إليك آتيك به ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠] في الحال رآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، قال العلماء: إنه حملته الملائكة حتى جاءت به إلى سليمان من اليمن، وسليمان بالشام بلحظة، فدلّ هذا على أن قوة الملائكة أشد بكثير من قوة الجن، وقوة الجن أشد من بني آدم؛ لأنه لا يستطيع أحد من بني آدم أن يأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام إلا مدة طويلة، فالحاصل أن الملائكة تسبح بأمر الله ﷻ بما يأمرها به»[1].

٤- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾، رُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَمَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ؛ قَالَ الْحَسَنُ: سَبَقَتْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمَوْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هِيَ الْخَيْلُ فِي سبيل الله[2].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله ترجيحاً أنها الملائكة: «﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ لغيرها ﴿سَبْقًا﴾ فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فالسابقات سبقاً﴾ أيضاً هي الملائكة تسبق إلى أمر الله ﷻ؛ ولهذا كانت الملائكة أسبق إلى أمر الله، وأقوم بأمر الله من بني آدم، قال الله تعالى في وصف ملائكة النار: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٠- ٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠]، فهم سباقون إلى أمر الله ﷻ بما يأمرهم، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؛ لقوتهم وقدرتهم على فعل أوامر الله ﷻ»[١].

٥- ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، قَالَ عَلِيٌّ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيُّ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، زَادَ الْحَسَنُ: تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي: بِأَمْرِ رَبِّهَا ﷻ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي هَذَا، وَلَمْ يَقْطَعِ ابْنُ جَرِيرٍ بِالْمُرَادِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ حَكَى فِي: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَا أَثْبَتَ، وَلَا نَفَى[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ أيضاً وصف للملائكة تدبر الأمر، وهو واحد الأمور، يعني أمور الله ﷻ لها ملائكة تدبرها، حسب أمره، فجبرائيل موكل بالوحي، يتلقاه من الله، وينزل به على الرسل، وإسرافيل موكل بنفخ الصور الذي يكون عند يوم القيامة، ينفخ في الصور، فيفزع الناس، ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى، فيبعثون، وميكائيل موكل بالقطر، وبالمطر، والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين، وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، وملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم، كلٌّ يدبر ما أمره الله ﷻ به، فهذه الأوصاف كلها أوصاف للملائكة على حسب أعمالهم، وأقسم الله سبحانه وتعالى بالملائكة؛ لأنهم من خير المخلوقات، ولا يقسم الله سبحانه وتعالى بشيء إلا وله شأن عظيم: إما في ذاته، وإما لكونه من آيات الله ﷻ»[٣].

٦- ٧- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا النَّفْخَتَانِ: الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَمَّا الْأُولَى -وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، فَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، وَالثَّانِيَةُ، وَهِيَ الرَّادِفَةُ، فَهِيَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٢.

كَقَوْلِهِ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الْحَاقَّة: ١٤].

وعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**إِذًا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**»[(١)].

وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلِهِ، وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»[(٢)].

٨- ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: خَائِفَةٌ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

٩- ﴿**أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾، أَيْ: أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا؛ لِلْمُلَابَسَةِ، أَيْ: ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ؛ مِمَّا عَايَنَتْ مِنَ الْأَهْوَالِ.

١٠- ﴿**يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾؟ يَعْنِي: مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ، يَسْتَبْعِدُونَ وقوعَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَصِيرِ إِلَى الْحَافِرَةِ، وَهِيَ الْقُبُورُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَبَعْدَ تَمَزُّقِ أَجْسَادِهِمْ، وَتَفَتُّتِ عِظَامِهِمْ، وَنَخُورِهَا؛ وَلِهَذَا قَالُوا:

١١- ﴿**أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً**﴾؟ وَقُرِئَ: «**نَاخِرَةً**».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: أَيٌّ: بَالِيَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الْعَظْمُ إِذَا بَلِيَ، ودَخَلت الرِّيحُ فِيهِ.

١٢- ﴿**قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ: ﴿**الْحَافِرَةِ**﴾: الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ، وَمَا أَكْثَرَ أَسْمَائِهَا!

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١٦٦، برقم ٢١٢٤٢، وحسنه محققو المسند، ومصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٢٥٣، برقم ٨٧٠٦، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٣٧، برقم ١٦٧١.

(٢) مسند أحمد، برقم ٢١٢٤١، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٥٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، برقم ٣٥٧٨، وصححه، ووافقه الذهبي، والأحاديث المختارة: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، برقم ١١٨٥، وحسّن إسناده، وحسّن إسناده أيضاً الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٥٤.

هِيَ النَّارُ، وَالْجَحِيمُ، وَسَقَرُ، وَجَهَنَّمُ، وَالْهَاوِيَةُ، وَالْحَافِرَةُ، وَلَظَى، والحُطَمة.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَئِنْ أَحْيَانَا اللَّهُ بعد أن نموت لنخسرن[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ، يَعْنِي إِنْ رُدِدْنَا بَعْدَ الْمَوْتِ، لَنَخْسَرَنَّ بِمَا يُصِيبُنَا بَعْدَ الْمَوْتِ»[2].

١٣- ١٤- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، أَيْ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهِ، وَلَا تَأْكِيدَ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ تَعَالَى إسرافيلَ فَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ نفخة الْبَعْثِ، فَإِذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ قيامٌ بَيْنَ يَدَي الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: أَشَدُّ مَا يَكُونُ الرَّبُّ غَضَبًا عَلَى خَلْقِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: زَجْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ، وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: هِيَ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: الْأَرْضُ كُلُّهَا، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: وَجْهُ الْأَرْضِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا بِأَسْفَلِهَا، فَأُخْرِجُوا إِلَى أَعْلَاهَا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا الْأَرْضُ وَجْهُهَا الْأَعْلَى[3].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قَالَ: أَرْضٌ بَيْضَاءُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٠، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٣.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤١.

عَفْرَاءُ خَالِيَةٌ كالخُبزَة النَّقِيّ[(١)].

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، وَيَقُولُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وَيَقُولُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: وَبَرَزَتِ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا الْجِبَالُ، وَهِيَ لَا تُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ يَعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ، وَلِمَ يَهرَاق عَلَيْهَا دَمٌ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى عليه السلام أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، حَتَّى أَخَذَهُ اللَّهُ أَخذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَكَذَلِكَ عَاقِبَةُ مَنْ خَالَفَكَ، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، فَقَوْلُهُ:

١٥- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟ أَيْ: هَلْ سَمِعْتَ بِخَبَرِهِ؟[(٢)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسى﴾ يَقُولُ: قَدْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ مُوسَى»[(٣)].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ وهذا الاستفهام

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٦/ ٥١٢، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وبنحوه في الصحيحين وغيرهما بلفظ: عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ». صحيح البخاري، برقم ٦٥٢١، ومسلم، برقم ٢٧٩٠، وقد ربط البيهقي في شعب الإيمان، ١/ ٣١٥ بين الآية وهذا الحديث.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

عن أمر عظيم متحقق وقوعه»[١].

١٦- ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾، أَيْ: كَلَّمَهُ نِدَاءً، ﴿بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ﴾، أَيِ: الْمُطَهَّرِ، ﴿طُوًى﴾، وَهُوَ اسْمُ الْوَادِي عَلَى الصَّحِيحِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ طه، فَقَالَ لَهُ:

١٧- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، أَيْ: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا.

١٨- ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾؟ أَيْ: قُلْ لَهُ هَلْ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى طَرِيقَةٍ وَمَسْلَكٍ تَزَكَّى بِهِ، أَيْ: تُسَلِّمُ وَتُطِيعُ.

١٩- ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾، أَيْ: أَدُلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، ﴿فَتَخْشَى﴾، أَيْ: فَيَصِيرُ قَلْبُكَ خَاضِعًا لَهُ، مُطِيعًا خَاشِيًا بَعْدَمَا كَانَ قَاسِيًا خَبِيثًا، بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ.

٢٠- ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾، يَعْنِي: فَأَظْهَرَ لَهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقِّ حُجَّةً قَوِيَّةً، وَدَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[٢].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾، وَهِيَ الْعَصَا وَالْيَدَ البيضاء»[٣].

٢١- ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾، أَيْ: فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وحاصله أَنَّهُ كَفَر قلبه فَلَمْ يَنْفَعِلْ لِمُوسَى بِبَاطِنِهِ وَلَا بِظَاهِرِهِ، وعلمُهُ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ علمُ الْقَلْبِ، وَالْإِيمَانُ عَمَلُهُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَالْخُضُوعُ لَهُ.

٢٢- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ جمعهُ السَّحَرَةَ لِيُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ.

٢٣- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾، أَيْ: فِي قَوْمِهِ[٤].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَحَشَرَ﴾، فَجَمَعَ قَوْمَهُ، وَجُنُودَهُ، ﴿فَنَادَى﴾، لَمَّا اجْتَمَعُوا»[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤١.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

٢٤- ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا فِرْعَوْنٌ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القَصَص: ٣٨] بِأَرْبَعِينَ سَنَةً.

٢٥- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾، أَيْ: انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هُود: ٩٩]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القَصَص: ٤١]، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾، أَيْ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ كَلِمَتَاهُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: كُفْرُهُ وَعِصْيَانُهُ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ الْأَوَّلُ[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: عَاقَبَهُ اللَّهُ فَجَعَلَهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى، أَيْ: فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَرَادَ بِالْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَلِمَتَيْ فِرْعَوْنَ: قَوْلَهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القَصَص: ٣٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً»[٢]، [والصواب، إن شاء اللَّه، قول الحسن ومن معه، أي: في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار، كما صححه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أسطر، واللَّه تعالى أعلم].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ أخذه اللَّه تعالى أخذ عزيز مقتدر، ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ يعني: أنه نكّل به في الآخرة، وفي الأولى، فكان عبرة في زمنه، وعبرة فيما بعد زمنه إلى يوم القيامة، كل من قرأ كتاب اللَّه، وما صنع اللَّه بفرعون؛ فإنه يتخذ ذلك عبرة يعتبر به، وكيف أهلكه اللَّه مع هذا الملك العظيم، وهذا الجبروت، وهذا الطغيان، فصار أهون على اللَّه تعالى من كل هين»[٣].

٢٦- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، أَيْ: لِمَنْ يَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ فِي ذلِكَ﴾، الَّذِي فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ حِينَ كَذَّبَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٩.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

وَعَصَى ﴿لَعِبْرَةً﴾ لَعِظَةٌ، ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ اللَّهَ ﷻ»[(١)].

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى مُحْتَجًّا عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ بَدْئِهِ:

٢٧- ﴿أَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾؟ يَعْنِي: بَلِ السماءُ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غَافِر: ٥٧]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، فَقَوْلُهُ: ﴿بَنَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٢٨- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾، أَيْ: جَعَلَهَا عَالِيَةَ الْبِنَاءِ، بَعِيدَةَ الْفَنَاءِ، مُسْتَوِيَةَ الْأَرْجَاءِ، مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

٢٩- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أَيْ: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا، وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَيِّرًا وَاضِحًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَغْطَشَ لَيْلَهَا: أَظْلَمَهُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أَيْ: أَنَارَ نَهَارَهَا.

٣٠- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٣١- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ: «حم السَّجْدَةِ» أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا دُحِيت بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿دَحَاهَا﴾، وَدَحْيها أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَشَقَّقَ الْأَنْهَارَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالرِّمَالَ وَالسُّبُلَ وَالْآكَامَ،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرَ ذَلِكَ[٢].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ﴾، بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، ﴿دَحاها﴾: بَسَطَهَا، وَالدَّحْوُ: الْبَسْطُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْحُوَهَا قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، وقيل: معناه إذ الأرض مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا، كَقَوْلِهِ عَجَلَّ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القَلَم: ١٣]»[٣].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ أي: أودع فيها منافعها، وفسر ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾»[٤].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ﴾، أي: بعد خلق السموات والأرض ﴿دحاها﴾ بيَّن سبحانه هذا الدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وكانت الأرض مخلوقة قبل السماء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢]، فالأرض مخلوقة من قبل السماء، لكن دحوها، وإخراج

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.

(٢) تقدم في تفسير الآية ١٢ من سورة فصلت: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وفيه: «وَهَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الْأَعْرَاف: ٥٤]، فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ، ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ الْآيَةَ [الْبَقَرَة: ٢٩]، فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٧-٣٣]، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْيَ الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ، فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ...».

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٣.

الماء والمرعى منها، كان بعد خلق السموات»[١].

٣٢- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾، أَيْ: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا، وأكَّدها فِي أَمَاكِنِهَا، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الرَّؤُوف بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ.

٣٣- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾، أَيْ: دَحَا الْأَرْضَ فَأَنْبَعَ عُيُونَهَا، وَأَظْهَرَ مَكْنُونَهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارَهَا، وَأَنْبَتَ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَثِمَارَهَا، وَثَبَّتَ جِبَالَهَا، لِتَسْتَقِرَّ بِأَهْلِهَا، وَيَقَرُّ قَرَارُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لِخَلْقِهِ، وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا، وَيَرْكَبُونَهَا مُدَّةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ[٢].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾

٣٤- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطُمُّ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْظِعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦][٣].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْبَعْثُ، وَقيام الْقِيَامَةُ، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ: طَامَّةً؛ لِأَنَّهَا تَطُمُّ عَلَى كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ فَتَعْلُو فَوْقَهَا، وَتَغْمُرُ مَا سِوَاهَا، والطامة عِنْدَ الْعَرَبِ الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ»[١].

٣٥- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾، أَيْ: حِينَئِذٍ يتذكر ابنُ آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.

٣٦- ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾، أَيْ: أُظْهِرَتْ لِلنَّاظِرِينَ، فَرَآهَا النَّاسُ عِيَانًا.

٣٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾، أَيْ: تَمَرّد وَعَتَا.

٣٨- ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أَيْ: قَدَّمَهَا عَلَى أَمْرِ دِينِهِ وَأُخْرَاهُ.

٣٩- ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أَيْ: فَإِنَّ مصيره إِلَى الْجَحِيمِ، وَإِنَّ مَطْعَمَهُ مِنَ الزَّقُّومِ، وَمَشْرَبَهُ مِنَ الْحَمِيمِ[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ له، أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: هي مأواه، والمأوى: هو المرجع، والمقر، وبئس المقر مقر جهنم، أعاذنا الله منها»[(٣)].

٤٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾، أَيْ: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وردها إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا.

٤١- ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أَيْ: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ.

٤٢-٤٤- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، أَيْ: لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ مَردها ومَرجعها إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ وَقْتَهَا عَلَى التَّعْيِين، ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأَعْرَافِ: ١٨٧]، وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ مَتَى ظُهُورُهَا وَثُبُوتُهَا، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾: لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا، أَيْ: لَا

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٣.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥٣.
(١) صحيح مسلم، برقم ٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.

تَعْلَمُهَا، ﴿إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها﴾، أَيْ: مُنْتَهَى علمها عند الله»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ يعني: أنه لا يمكن أن تذكر لهم الساعة، لأن علمها عند اللَّه»[٢].

٤٥- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾، أَيْ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِتُنْذِرَ النَّاسَ، وَتُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَخَافَ مَقَامَهُ وَوَعِيدَهُ، اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَالْخَيْبَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ.

٤٦- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، أَيْ: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مُدّة الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ، أَوْ ضُحى مِنْ يَوْمٍ.

قَالَ جُويْبر، عَنِ الضّحاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، أَمَّا عَشِيَّة: فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَقْتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ[٣].



(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.

٨٠ -تَفْسِيرُ سُورَةِ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ(١٦)﴾

ذَكَرَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا يخاطبُ بَعْضَ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمع فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيه، إِذْ أَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا - فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، وَيُلِحُّ عَلَيْهِ، وودَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ، وعَبَس فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:

١-٣- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾؟ أَيْ: يَحْصُلُ لَهُ زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ فِي نَفْسِهِ.

٤- ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: يَحْصُلُ لَهُ اتِّعَاظٌ، وَانْزِجَارٌ عَنِ الْمَحَارِمِ.

٥-٦- ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، أَيْ: أَمَّا الْغَنِيُّ فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي.

٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ ؟ أَيْ: مَا أَنْتَ بِمُطَالَبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ زَكَاةٌ.

٨- ٩- ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى﴾، أَيْ: يَقْصِدُكَ، وَيَؤُمُّكَ لِيَهْتَدِيَ بِمَا تَقُولُ لَهُ

١٠- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾، أَيْ: تَتَشَاغَلُ، وَمِنْ هَاهُنَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ أَلَّا يَخُصَّ بِالْإِنْذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، ثُمَّ اللَّهُ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

وعَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى*أَنْ جَاءَهُ الأعْمَى﴾، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ.

وقَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ، ومعه راية سوداء- يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ -[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بِلالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَذَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ**»، وَهُوَ الْأَعْمَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأعْمَى﴾، وَكَانَ يُؤَذِّنُ مَعَ بِلَالٍ، قَالَ سَالِمٌ: وَكَانَ رَجُلا ضَرِيرَ الْبَصَرِ، فَلَمْ يَكُ يُؤَذِّنُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ النَّاسُ- حِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى بُزُوغِ الْفَجْرِ-: أَذِّنْ»[(٣)].

وَهَكَذَا ذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَيُقَالُ: عَمْرٌو، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١١- ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْوَصِيَّةُ بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِبْلَاغِ الْعِلْمِ مِنْ شَرِيفِهِمْ وَوَضِيعِهِمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، يَعْنِي: الْقُرْآنَ[(١)].

---

(١) وثقه في أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري)، ١١/ ١٠٨٦.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣١، موطأ مالك، ١/ ٢٠٣، برقم ٨، صحيح ابن حبان، ٢/ ٢٩٣، برقم ٥٣٥، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٢، برقم ٥٣٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٢٢، وصحيح مسلم، برقم ١٠٩٢.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٨.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾: زَجْرٌ، أَيْ: لَا تَفْعَلْ بَعْدَهَا مِثْلَهَا، ﴿إِنَّهَا﴾، يَعْنِي هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: آيَاتِ الْقُرْآنِ، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: مَوْعِظَةٌ، وَتَذْكِيرٌ لِلْخَلْقِ»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: حقاً إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يُذَكِّر بها عباده، ويبيّن لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]»[٢].

١٢- ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، أَيْ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْوَحْيِ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّآ﴾ يعني: لا تفعل مثل هذا؛ ولهذا نقول: إن ﴿كَلَّآ﴾ هنا حرف ردع، وزجر، أي: لا تفعل مثل ما فعلت، ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿إنها﴾ أي: الآيات القرآنية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ ﴿تذكرة﴾ تذكر الإنسان بما ينفعه، وتحثه عليه، وتذكر له ما يضره، وتحذره منه، ويتعظ بها القلب، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة، فاتعظ، ومن شاء لم يتعظ لقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فالله جعل للإنسان الخيار قدراً بين أن يؤمن ويكفر، أما شرعاً؛ فإنه لا يرضى لعباده الكفر، وليس الإنسان مخيراً شرعاً بين الكفر والإيمان، بل هو مأمور بالإيمان، ومفروض عليه الإيمان، لكن من حيث القدر هو مخير، وليس كما يزعم بعض الناس مسير مجبر على عمله، بل هذا قول مبتدع ابتدعه الجبرية من الجهمية وغيرهم، فالإنسان في الحقيقة مخير، ولذلك إذا وقع الأمر بغير اختياره، كالمكره والنائم والناسي، ونحوهم، لم يترتب عليه حكمه فيما بينه وبين الله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ أي ذكر ما نزل من الوحي، فاتعظ به، ومن شاء

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٨.

لم يذكره، والموفق من وفقه الله ﷻ»[١].

١٣- ١٤- ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْعِظَةُ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، بَلْ جَمِيعُ الْقُرْآنِ:

١٣- ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾، أَيْ: مُعَظَّمَةٍ، مُوَقَّرَةٍ.

١٤- ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، أَيْ: عَالِيَةِ الْقَدْرِ، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، أَيْ: مِنَ الدَّنَسِ، وَالزِّيَادَةِ، وَالنَّقْصِ.

١٥- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْقُرَّاءُ، وَقَالَ ابْنُ جرير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: السَّفَرَةُ بِالنَّبَطِيَّةِ: الْقُرَّاءُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الصَّحِيحُ أَنَّ السَّفَرَةَ الْمَلَائِكَةُ، وَالسَّفَرَةُ يَعْنِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: السَّفِيرُ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الصُّلْحِ وَالْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

ومَا أَدعُ السَّفَارَةَ بَين قَومي ... وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيتُ

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «سَفَرَةٌ: الْمَلَائِكَةُ، سفرت: أَصْلَحْتْ بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَتِ الملائكةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ، وَتَأْدِيَتِهِ، كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ»[٢].

١٦- ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أَيْ: خُلقهم كَرِيمٌ، حَسَنٌ، شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ، وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ، وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ، وَالرَّشَادِ[٣].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[٤].

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلا لَمَّا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦١- ٦٢.

(٢) صحيح البخاري، ٦/ ١٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٩.

(٤) مسند أحمد، ٤٠/ ٢٥٦، برقم ٢٤٢١١، صحيح البخاري، برقم ٤٩٣٧، صحيح مسلم، برقم ٧٩٨، سنن أبي داود، برقم ١٤٥٤، سنن الترمذي، برقم، ٢٩٠٤، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٨١٩٠، سنن ابن ماجه، ٣٧٧٩.

يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِمَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ مِنْ بَنِي آدَمَ:

١٧- ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ، وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ، وَهَذَا لِجِنْسِ الْإِنْسَانِ الْمُكَذِّبِ؛ لِكَثْرَةِ تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنَدٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الِاسْتِبْعَادِ، وَعَدَمِ الْعِلْمِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ! وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَهُ كَافِرًا؟ أَيْ: مَا حَمَلَهُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ - وَقَدْ حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ مُقَاتِلٍ وَالْكَلْبِيِّ-: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: مَا أَلْعَنَهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى لَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ كَمَا بَدَأَهُ، فَقَالَ:

١٨- ١٩- ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾، أَيْ: قَدَّرَ أَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أَطْوَارًا: نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً إِلَى آخِرِ خَلْقِهِ»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿قتل﴾ قال بعض العلماء: إن معناها لُعن، والذي يظهر أن معناها أُهلك؛ لأن القتل يكون به الهلاك، وهو أسلوب تستعمله العرب في تقبيح ما كان عليه صاحبه، فيقولون مثلاً: قتل فلان ما أسوأ خلقه، قتل فلان ما أخبثه، وما أشبه ذلك، وقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان﴾، قال بعض العلماء: المراد بالإنسان هنا الكافر خاصة، وليس كل إنسان؛ لقوله فيما بعد: ﴿ما أكفره﴾، ويحتمل أن يكون المراد بالإنسان الجنس، لأن أكثر بني آدم كفار، كما ثبت في الحديث الصحيح: أن الله يقول يقوم القيامة: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٠.
(٢)تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٨.

فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»[(١)]، فيكون المراد بالإنسان هنا الجنس، ويخرج المؤمن من ذلك بما دلت عليه النصوص الأخرى، ﴿ما أكفره﴾، قال بعض العلماء: إن ﴿ما﴾ هنا استفهامية أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب، يعني: ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيماً؛ لأن الله أعطاه عقلاً، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر، فيكون كفره عظيماً، والفرق بين القولين أنه على القول الأول تكون ﴿ما﴾ استفهامية، أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني: تكون تعجُّبيّة، يعني عجباً له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق، والهدى، والكفر، والإيمان!! والكفر هنا يشمل كل أنواع الكفر، ومنه إنكار البعث؛ فإن كثيراً من الكفار كذبوا بالبعث، وقالوا: لا يمكن أن يُبعث الناس بعد أن كانت عظامهم رميماً، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]»[(٢)].

٢٠- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الْإِنْسَانِ: ٣]، أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ، وَوَضَّحْنَاهُ، وَسَهَّلْنَا عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[(٣)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ طَرِيقَ خروجه من بطن أمه، قاله السدي، ومقاتل، وقال الحسن، وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، سَهَّلَ لَهُ الْعِلْمَ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الْإِنْسَانِ: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَدِ: ١٠]،

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٥٣٠.
(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٦١- ٦٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٠.

وَقِيلَ: يَسَّرَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَا خَلَقَهُ لَهُ، وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ»[(١)].

٢١- ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أَيْ: إِنَّهُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُ ﴿أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أَيْ: جَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: «قَبَرْتُ الرَّجُلَ»: إِذَا وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ، وَعَضَبْتُ قَرْنَ الثَّوْرِ، وَأَعْضَبَهُ اللَّهُ، وَبَتَرْتُ ذَنَبَ الْبَعِيرِ، وَأَبْتَرَهُ اللَّهُ، وَطَرَدْتُ عَنِّي فُلَانًا، وَأَطْرَدَهُ اللَّهُ، أَيْ: جَعَلَهُ طَرِيدًا.

٢٢- ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أَيْ: بَعَثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٠]، ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأكله التّرابُ إِلَّا عَجْب الذَّنَب، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُركَّب**» وفي لفظ: «**ليس مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إلاَّ عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنهُ يُركّبُ الخَلْق يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

٢٣- ﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَقُولُ: كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ؛ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، يَقُولُ: لَمْ يُؤَد مَا فُرض عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ لِرَبِّهِ ﷻ.

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ: ﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، قَالَ: لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلَّ مَا افتُرِض عَلَيْهِ[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا، وَلَمْ أَجِدْ لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ كَلامًا سِوَى هَذَا، وَالَّذِي يَقَعُ لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ-وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ الْمَعْنَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، أَيْ: بَعَثَهُ، ﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، أَيْ: لَا يَفْعَلُهُ الْآنَ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ، وَيَفْرُغَ الْقَدَرُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ كَتَبَ تَعَالَى لَهُ أَنْ سيُوجَدُ مِنْهُمْ، وَيُخْرَجُ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ تَعَالَى كَوْنًا

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٨.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٨١٤، ٤٩٣٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٩٥٥.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٩٩.

وَقَدرًا، فَإِذَا تَنَاهَى ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْشَرَ اللهُ الْخَلَائِقَ وَأَعَادَهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ»[1].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، ﴿لما﴾ هنا بمعنى «لم»؛ لكنها تفارقها في بعض الأشياء، والمعنى أن اللَّه تعالى لم يقضِ ما أمره، أي: ما أمر به كوناً وقدراً، أي: أن الأمر لم يتم لنشر، أو لإنشار هذا الميت؛ بل له موعد منتظر، وفي هذا رد على المكذبين بالبعث الذين يقولون لو كان البعث حقًّا، لوجدنا آباءنا الآن، وهذا القول منهم تحدٍ مكذوب؛ لأن الرسل لم تقل لهم إنكم تبعثون الآن، ولكنهم قالوا لهم: إنكم تبعثون جميعاً بعد أن تموتوا جميعاً»[2].

٢٤- ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: فِيهِ امْتِنَانٌ، وَفِيهِ اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَمَا كَانَتْ عِظَاما بَالِيَةً، وَتُرَابًا مُتَمَزِّقًا.

٢٥- ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ.

٢٦- ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾، أَيْ: أَسْكَنَاهُ فِيهَا، فَدَخَلَ فِي تُخُومِهَا، وتَخَلَّل فِي أَجْزَاءِ الْحَبِّ المودعَ فِيهَا، فَنَبَتَ، وَارْتَفَعَ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

٢٧- ٢٨- ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾، فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا يُذْكَرُ مِنَ الْحُبُوبِ، وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ، وَالْقَضْبُ هُوَ: الْفَصْفَصَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطْبَةً، وَيُقَالُ لَهَا: القَتّ أَيْضًا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْقَضْبُ: الْعَلَفُ.

٢٩- ﴿وَزَيْتُونًا﴾، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَدْمٌ، وَعَصِيرُهُ أُدْمٌ، وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ، وَيُدَّهَنُ بِهِ، ﴿وَنَخْلا﴾: يُؤْكَلُ بَلَحًا بُسْرًا، وَرُطَبًا، وَتَمْرًا، وَنِيئًا، وَمَطْبُوخًا، وَيُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ، وَخَلٌّ.

٣٠- ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾، أي: بساتين، قال الحسن، وقتادة: ﴿غُلْبًا﴾: نَخْلٌ غِلَاظٌ كِرَامٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ: الْحَدَائِقُ: كُلُّ مَا الْتَفَّ وَاجْتَمَعَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: ﴿غُلْبًا﴾: الشَّجَرُ الَّذِي يُسْتَظَلُّ بِهِ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥١.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٦.

طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: أَيْ: طِوَالٌ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿غُلْبًا﴾، أَيْ: غِلَاظُ الْأَوْسَاطِ، وَفِي رِوَايَةٍ: غِلَاظُ الرِّقَابِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ غَلِيظَ الرَّقَبَةِ قِيلَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَغْلَبُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[1].

٣١- ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، أَمَّا الْفَاكِهَةُ، فَهُوَ مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ مِنَ الثِّمَارِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفَاكِهَةُ: كُلُّ مَا أُكِلَ رَطْبًا، وَالْأَبُّ مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ، مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْحَشِيشُ لِلْبَهَائِمِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ: الْأَبُّ: الْكَلَأُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ زَيْدٍ: الْأَبُّ لِلْبَهَائِمِ، كَالْفَاكِهَةِ لِبَنِي آدَمَ، وَعَنْ عَطَاءٍ: كُلُّ شَيْءٍ نَبَتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَهُوَ أَبٌّ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كُلُّ شَيْءٍ أَنْبَتَتْهُ الْأَرْضُ سِوَى الْفَاكِهَةِ فَهُوَ أَبٌّ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَبُّ: نَبْتُ الْأَرْضِ مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: عَدَّ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ: الْأَبُّ: مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ لِلْأَنْعَامِ. هَذَا لَفْظُ أَبِي كُرَيْبٍ، وَقَالَ أَبُو السَّائِبِ: مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَبُّ: الْكَلَأُ وَالْمَرْعَى، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[2].

٣٢- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾، أَيْ: عِيشَةً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾

٣٣- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الصَّاخَّةُ﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللَّهُ، وحَذَّره عِبَادَهُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَعَلَّهُ اسْمٌ لِلنَّفْخَةِ فِي الصُّورِ، وَقَالَ البَغَوِيّ:

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٧/ ٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٢.

﴿الصَّاخَّةُ﴾، يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ، أَيْ: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادَ تُصمّها.

٣٤- ٣٦- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾، أَيْ: يَرَاهُمْ، وَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْهَوْلَ عَظِيمٌ، وَالْخَطْبَ جَلِيلٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[1] -فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ-: «**أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ إِلَى كُلٍّ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللهِ فِي الْخَلَائِقِ، يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ اليومَ إِلَّا نَفْسِي، حَتَّى إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي**»[2]؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

قال قتادة: «﴿يفر﴾ الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ من أخيه: شقيقه، أو لأبيه، أو لأمه ﴿وأمه وأبيه﴾ الأم والأب المباشر، والأجداد أيضاً، والجدات يفر من هؤلاء كلهم ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾، وهم أقرب الناس إليه، وأحب الناس إليه، ويفر من هؤلاء كلهم، قال أهل العلم: يفر منهم لئلا يطالبوه بما فرط به في حقهم من أدب وغيره؛ لأن كل واحد في ذلك اليوم، لا يحب أبداً أن يكون له أحد يطالبه بشيء ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ كل إنسان مشتغل بنفسه، لا ينظر إلى غيره؛ ولهذا لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً**» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض**»؟ قال النبي ﷺ: «**الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[4].

٣٧- ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أَيْ: هُوَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ غَيْرِهِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُحشَرون حُفاة عُراة غُرْلاً**»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: أَيُبْصِرُ-أَوْ: يَرَى-بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: «**يَا فُلَانَةُ**، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٧١٢، صحيح مسلم، برقم ٢٨٥٩.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٥٢٧٤٧١٢، صحيح مسلم، برقم ١٩٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٢.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٨، والحديث أخرجه البخاري، برقم ٦٥٢٧، ومسلم، برقم ٢٨٥٩.

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه[١].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ فَقَالَ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٢].

٣٨- ٣٩- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أَيْ: يَكُونُ النَّاسُ هُنَالِكَ فَرِيقَيْنِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾، أَيْ: مُسْتَنِيرَةٌ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أَيْ: مَسْرُورَةٌ فَرِحَةٌ مِنْ سُرُورِ قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبِشْرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

٤٠- ٤١- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، أَيْ: يَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا قَتَرَةٌ، أَيْ: سَوَادٌ[٣]، «وكآبة ما يشاهدونه من الغم والهم»[٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أَيْ: يَغْشَاهَا سَوَادُ الْوُجُوهِ[٥].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تَعْلُوهَا وَتَغْشَاهَا ظُلْمَةٌ، وَكُسُوفٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَغْشَاهَا ذِلَّةٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْفَرْقُ بين الغبرة والقترة: أَنَّ الْقَتَرَةَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْغُبَارِ فَلَحِقَ بِالسَّمَاءِ، وَالْغَبَرَةَ مَا كَانَ أَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ»[٦].

٤٢- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، جمع الكافر والفاجر، أَيْ: الْكَفَرَةُ قُلُوبُهُمْ، الْفَجَرَةُ فِي أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧][٧].



---

(١) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٢، وصححه الألباني صحيح سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٢.

(٢) سنن النسائي، برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي٧، برقم ٢٠٨٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦.

(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.

(٧) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.

٨١ - سُورَةِ التَّكْوِيرِ

عَن عبدِ اللَّه بْن عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رأيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وَ﴿وإِذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ﴾، وَ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾.

١- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، يَعْنِي: أَظْلَمَتْ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْهُ: ذَهَبَتْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اضمحلّت وذَهبت، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غُوِّرت، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾، يَعْنِي: رُمِيَ بِهَا، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلْقِيَتْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: نُكِّسَتْ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: تَقَعُ فِي الْأَرْضِ[(٢)].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ: أَنَّ التَّكْوِيرَ جَمعُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ تَكْوِيرُ الْعِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا عَلَى الرَّأْسِ، وَكَتَكْوِيرِ الْكَارِهِ، وَهِيَ جَمْعُ الثِّيَابِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرَمَى بِهَا، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها[(٣)].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَظْلَمَتْ، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا، وَقَالَ

---

(١) مسند أحمد، ٨/ ٤٢٣، برقم ٤٨٠٦، وحسّن إسناده محقق المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٦٢٩٣. ورواه الترمذي في سننه، برقم ٣٣٣٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٨، وانظر: تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٣٨.

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: غُوِّرَتْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اضْمَحَلَّتْ»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: «إذا كان يوم القيامة تكور الشمس، أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر...»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

وقال في **أضواء البيان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ، أَنَّ هَذَا كُلَّهُ رَاجِعٌ إِلَى تَغَيُّرِ حَالِهَا فِي آخِرِ أَمْرِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهَا أَجَلًا مُسَمًّى، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَعْلَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٤].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ هذا يكون يوم القيامة، والتكوير: جمع الشيء بعضه إلى بعض، ولفّه كما تكوّر العمامة على الرأس، والشمس كتلة عظيمة كبيرة واسعة في يوم القيامة، يكوّرها الله عَزَّ وَجَلَّ فيلفها جميعاً، ويطوي بعضها على بعض، فيذهب نورها»[٥].

٢- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أَي: انْتَشَرَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وَأَصْلُ الِانْكِدَارِ: الِانْصِبَابُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَالضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أي: تَنَاثَرَتْ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أَيْ: تَغَيَّرَتْ[٦].

وَقَالَ **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: أَيْ تَنَاثَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، يُقَالُ: انْكَدَرَ الطَّائِرُ: إذا سَقَطَ عَنْ عُشِّهِ، قَالَ الْكَلْبِيُّ، وَعَطَاءٌ: تُمْطِرُ السَّمَاءُ يَوْمَئِذٍ نُجُومًا، فَلَا يَبْقَى نَجْمٌ إِلَّا وَقَعَ»[١].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٥.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٣٢٠٠.
(٤) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ٨/ ٤٣٧.
(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٩.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٩.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.

٣- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، أَيْ: زَالَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا، ونُسِفت، فَتَرَكَتِ الْأَرْضَ قَاعًا صَفْصَفًا[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: صارت كثيباً مهيلاً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت، وصارت هباءً منبثاً، وسيرت عن أماكنها»[٢].

قلت: وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ: عِشَارُ الْإِبِلِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عُطِّلَت﴾: تُرِكَتْ وسُيِّبت، وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَالضَّحَّاكُ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا: وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم: لَمْ تَحْلِبْ، وَلَمْ تُصرّ، تَخَلَّى مِنْهَا أَرْبَابُهَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تُرِكَتْ لَا رَاعِيَ لَهَا.

وَالْمَعْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ مُتَقَارِبٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ، وَهِيَ: خِيَارُهَا، وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلت فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، وَاحِدُهَا: عُشَراء، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ، قَدِ اشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهَا، وَعَنْ كَفَالَتِهَا، وَالِانْتِفَاعِ بِهَا، بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمهم مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ المُفظع الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ، وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَوُقُوع مُقَدِّمَاتِهَا.

وَقِيلَ: بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَاهَا أَصْحَابُهَا كَذَلِكَ، وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهَا، وَقَدْ قِيلَ فِي الْعِشَارِ: إِنَّهَا السَّحَابُ، يُعطَّل عَنِ الْمَسِيرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِخَرَابِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي تُعشَّر، وَقِيلَ: إِنَّهَا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ، تُعَطَّل لِذَهَابِ أَهْلِهَا، حَكَى هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي كِتَابِهِ «التَّذْكِرَةُ»، وَرَجَّحَ أَنَّهَا الإبل، وعزاه إلى أكثر

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.

الناس، قُلْتُ: بَلْ لَا يُعْرَفُ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ سِوَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: وَهِيَ النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، وَاحِدَتُهَا عُشَرَاءُ، ثُمَّ لَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ لِتَمَامِ سَنَةٍ، وَهِيَ أَنْفُسُ مَالٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، عُطِّلَتْ: تُرِكَتْ هَمَلاً بِلَا رَاعٍ، أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، وَكَانُوا لَازِمِينَ لِأَذْنَابِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا، لِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

٥- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيمٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ هَذِهِ الْخَلَائِقَ مُوَافِيَةٌ، فَيَقْضِي اللَّهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَالَ: حَشْرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا، وَحَشْرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ غَيْرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسِ؛ فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٣)].

وعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيمٍ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَالَ: أَتَى عَلَيْهَا أَمْرُ اللَّهِ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ أَبِي: فَذَكَرْتُهُ لِعِكْرِمَةَ، فَقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا[(٤)].

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، اخْتَلَطَتْ.

قَالَ **ابْنُ جَرِيرٍ**: وَالْأُولَى قَوْلُ مَنْ قَالَ: ﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعت، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾ [ص: ١٩]، أَيْ: مَجْمُوعَةً[(٥)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: يَعْنِي دَوَابَّ الْبَرِّ،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.

﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ بَعْدَ الْبَعْثِ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ»[١].

٦- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ قَالَ: الْبَحْرُ، فَقَالَ: «مَا أَرَاهُ إِلَّا صَادِقًا، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾» مُخَفَّفَةٌ[٢].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا الدَّبُّورِ فَتُسَعِّرُهَا، وَتَصِيرُ نَارًا تَأَجَّجُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ: ﴿سُجِّرَت﴾: أُوقِدَت، وَقَالَ الْحَسَنُ: يَبِسَتْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ: غَاضَ مَاؤُهَا، فَذَهَبَ وَلَمْ يُبْقِ فِيهَا قَطْرَةً، وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فُجِّرَتْ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: فُتِحَتْ، وَسُيِّرَتْ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فَاضَتْ[٣].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ: الْعَذْبُ، وَالْمَالِحُ، فَصَارَتِ الْبُحُورُ كُلُّهَا بَحْرًا وَاحِدًا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ، وَهَذَا أيضا معنى قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾»[٤].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «أي: أوقدت فَصَارتْ -على عظمها- نَاراً تتوقّد»[٥].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ البحار: جمع بحر، وجمعت لعظمتها، وكثرتها؛ فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريباً، أو أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة، فإنها تُسجر، أي توقد ناراً، تشتعل ناراً عظيمة، وحينئذ تيبس الأرض، ولا يبق فيها ماء؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجّر حتى تكون ناراً»[١].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦١.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ١٠٧٦.
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٠.

٧- ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى نَظِيرِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصَّافَّاتِ: ٢٢].

وعَنْ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ عُمَرَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَالَ: تَزَوّجها: أَنْ تُؤَلَّفَ كُلُّ شِيعَةٍ إِلَى شِيعَتِهِمْ، وَفِي رِوَايَةٍ: هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ، فَيَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ[1].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ النُّعْمَانِ[2] قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَالَ: «يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ تَزْوِيجُ الْأَنْفُسِ».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ النُّعْمَانِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِلنَّاسِ: مَا تَقُولُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؟ فَسَكَتُوا، قَالَ: وَلَكِنْ هُوَ الرَّجُلُ يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: ذَلِكَ حِينَ يَكُونُ النَّاسُ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: الأمثال من الناس جمع بَيْنَهُمْ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيمٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ[3].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تُرسَلِ الْأَرْوَاحُ فَتَزَوَّجُ الْأَجْسَادُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: زُوِّجَتْ بِالْأَبْدَانِ[1].

وَقَالَ الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الأقوال السابقة: «وَقِيلَ: زُوِّجَتِ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٠٧، برقم ١٩١٦٧، وهو في تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٥، وعزاه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/٧، لابن مردويه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٠٤، برقم ١٩١٤٦، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٥، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق، ٤/ ٣٦٢، وبنحوه في المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٢.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٢.

النُّفُوسُ بِأَعْمَالِهَا، وَقَالَ عَطَاءٌ، وَمُقَاتِلٌ: زُوِّجَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَقُرِنَتْ نُفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ: رُدَّتِ الْأَرْوَاحُ فِي الأجساد»[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: قُرن كلُّ صاحبِ عملٍ مع نظيرِه، فجُمِع الأبرارُ مع الأبرارِ، والفجّارُ مع الفجّارِ، وزُوِّجَ المؤمنون بالحُورِ العِين، والكافرون بالشّياطين»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ يعني: شكّلت وضُم بعضها إلى بعضٍ، كل صنف إلى صنفه، كل أمة إلى أمتها»[(٣)].

٨- ٩- ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، هَكَذَا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: ﴿سُئِلَتْ﴾، وَالْمَوْءُودَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ كَرَاهِيَةَ الْبَنَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسْأَلُ الْمَوْءُودَةُ عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، فَإِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ، فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذًا؟!

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، أَيْ: سَأَلَتْ، وَكَذَا قَالَ أَبُو الضُّحَى: «سَأَلَتْ»، أَيْ: طَالَبَتْ بِدَمِهَا، وَعَنِ السُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ، مِثْلُهُ[(٤)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ﴾: وَهِيَ الْجَارِيَةُ الْمَدْفُونَةُ حَيَّةً، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا يُطْرَحُ عَلَيْهَا من التراب فيؤدها، أَيْ يُثْقِلُهَا حَتَّى تَمُوتَ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَدْفِنُ الْبَنَاتَ حَيَّةً؛ مَخَافَةَ العار والحاجة»[(٥)].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ فَقَدْ كَذَبَ، يَقُولُ اللَّهُ عَجَّلَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الْمَدْفُونَةُ»[(١)].

وَعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٣.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.
(١) صححها محققو المسند في تعليقهم على مسند الإمام أحمد، ٢٥/ ٢٦٩، أثناء تعليقهم على الحديث رقم ١٥٩٢٣.

عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «**أَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي صَاحِبُ إِبِلٍ؟ قَالَ: «**فَانْحَرْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً**»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ تُسأل يوم القيامة ﴿**بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾ هل أذنبت؟ فإذا قال قائل: كيف تُسأل، وهي المظلومة ... هي المدفونة، ثم هي قد تدفن، وهي لا تميز، ولم يجر عليها قلم التكليف، فكيف تسأل؟ قيل: إنها تُسأل توبيخاً للذي وأدها؛ لأنها تُسأل أمامه فيقال: بأي ذنب قُتِلْتِ، أو قُتِلَتْ؟ نظير ذلك لو أن شخصاً اعتدى على آخر في الدنيا، فأتوا إلى السلطان إلى الأمير، فقال للمظلوم: بأي ذنب ضربك هذا الرجل؟ وهو يعرف أنه معتدىً عليه، ليس له ذنب؛ لكن من أجل التوبيخ للظالم، فالموؤدة تُسأل بأي ذنب قتلت، توبيخاً لظالمها، وقاتلها ودافنها، نسأل الله العافية»[(٢)].

١٠- ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ بِيَمِينِهِ، أَوْ بِشِمَالِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُملى فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ رَجُلٌ مَاذَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ[(٣)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ تُنْتَشَرُ لِلْحِسَابِ»[(٤)].

١١- ﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: اجْتُذِبَتْ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: كُشِفَتْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَنْكَشِطُ فَتَذْهَبُ[(٥)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ: نُزِعَتْ، وَطُوِيَتْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ السَّقْفُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: تَكْشِفُ عَمَّنْ فِيهَا، وَمَعْنَى الْكَشْطِ: رَفْعُكَ شَيْئًا عَنْ شَيْءٍ قَدْ غَطَّاهُ، كَمَا يُكْشَطُ الْجِلْدُ عَنِ السَّنَامِ»[(١)].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٨/ ٣٣٧، رقم ٨٦٣، ومسند البزار، ١/ ٣٥٥، برقم ٢٣٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٣٢٩٨.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: تُزال عن مكانها كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم، يكشطها الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم يطويها جل وعلا بيمينه، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[١].

١٢- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، قَالَ السُّدِّيُّ: أُحْمِيَتْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أُوقِدَتْ، قَالَ: وَإِنَّمَا يُسَعِّرُهَا غَضَبُ اللهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

١٣- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيمٍ: أَيْ: قُرِّبَتْ إِلَى أَهْلِهَا.

١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾، هَذَا هُوَ الْجَوَابُ، أَيْ: إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ حِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَأُحْضِرَ ذَلِكَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣][٢].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

١٥-١٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْث قَالَ: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الصُّبْحَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾»[١].

وعَنْ عَلِيٍّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾، قَالَ: هِيَ النُّجُومُ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.

(١) صحيح مسلم، برقم ٤٧٥، ولفظه: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الْفَجْرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾، وَكَانَ لَا يَحْنِي رَجُلٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَّ سَاجِدًا».

تَخْنِسُ بِالنَّهَارِ، وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ[(١)].

وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ عَرْعَرَةَ، سَمِعْتُ عَلِيًّا، وَسُئِلَ عَنْ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، فَقَالَ: هِيَ النُّجُومُ، تخنس بِالنَّهَارِ، وَتَكْنُسُ بِاللَّيْلِ[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَغَيْرِهِمْ: أَنَّهَا النُّجُومُ[(٣)].

وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ: ﴿الْخُنَّسُ﴾، أَيْ: فِي حَالِ طُلُوعِهَا، ثُمَّ هِيَ جِوَارٌ فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبُوبَتِهَا يُقَالُ لَهَا: ﴿كُنَّس﴾، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَوَى الظَّبْيُ إِلَى كنَاسه: إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾، قَالَ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَكَذَا قَالَ الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، مَا هِيَ يَا عَمْرُو؟ قُلْتُ: الْبَقَرُ، قَالَ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ، وَكَذَا رَوَى يُونُسُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، قَالَ: الْبَقَرُ تَكْنُسُ إِلَى الظِّلِّ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الظِّبَاءُ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدٌ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: هِيَ الظِّبَاءُ وَالْبَقَرُ[(٤)].

وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾ هَلْ هُوَ النُّجُومُ، أَوِ الظِّبَاءُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ؟ قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا[(١)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوارِ الْكُنَّسِ﴾: ... معناه: أقسم بالخنس، قال قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ تَبْدُو بِاللَّيْلِ، وتخنس بِالنَّهَارِ، فَتُخْفَى فَلَا تُرَى...»[(٢)].

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ قوله تعالى: ﴿فلا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٧، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥١.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥١.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٧.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥٣.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٣.

﴿أقسم﴾ قد يظن بعض الناس أن ﴿لا﴾ نافية، وليس كذلك، بل هي مثبتة للقسم، ويؤتى بها بمثل هذا التركيب للتأكيد، فالمعنى ﴿أقسم بالخنس﴾ والخنس جمع خانسة، وهي النجوم التي تخنس، أي: ترجع، فبينما تراها في أعلى الأفق، إذا بها راجعة إلى آخر الأفق، وذلك والله أعلم لارتفاعها وبُعدها، فيكون ما تحتها من النجوم أسرع منها في الجري بحسب رؤية العين، ﴿الْجَوارِ الْكُنَّسِ﴾ أصلها: (الجواري) بالياء؛ لكن حذفت الياء للتخفيف، و﴿الكنس﴾: هي التي تكنس، أي: تدخل في مغيبها، فأقسم الله بهذه النجوم»[(١)].

١٧- ١٨- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِقْبَالُهُ بِظَلَامِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَظْلَمَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا نَشَأَ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِذَا غَشِيَ النَّاسَ، وَكَذَا قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَالْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ إِذَا أَدْبَرَ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَكَذَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾، أَيْ: إِذَا ذَهَبَ فَتَوَلَّى.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ[(٢)]: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِي، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ ﷺ، حِينَ ثَوّبَ الْمُثَوِّبُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُونَ عَنِ الْوِتْرِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؟ هذا حين أدبر حسن»[(١)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وَقَدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾: إِذَا أَدْبَرَ. قَالَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، أَيْ: أَضَاءَ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ أَيْضًا:

حَتّى إِذَا الصُّبحُ لَهُ تَنَفّسا ... وانجابَ عَنها لَيلُها وعَسعَسَا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٥.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ١/ ١٤٥، ولفظه: «خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ ﷺ حِينَ ثَوَّبَ الْمُثَوِّبُ، فَقَالَ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ أَمَرَ بِالْوِتْرِ، وَوَقَّتَ لَهُ هَذِهِ السَّاعَةَ، أَذِّنْ يَا ابْنَ النَّبَّاحِ، أَوْ أَقِمْ يَا ابْنَ النَّبَّاحِ. ولفظه في مسند أحمد، ٢/ ٢٨٣، برقم ٩٨٧: «عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «إِذَا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، فَظُنُّوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَهْيَاهُ، وَأَتْقَاهُ، وَأَهْدَاهُ»، وَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَيْنَا حِينَ ثَوَّبَ الْمُثَوِّبُ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْوِتْرِ؟ هَذَا حِينُ وِتْرٍ حَسَنٍ»، وصحح إسناده محققو المسند.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٩.

أَيْ: أَدْبَرَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسْعَسَ﴾: إِذَا أَقْبَلَ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِدْبَارِ، لَكِنَّ الْإِقْبَالَ هَاهُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظَلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [اللَّيل: ١-٢]، وَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضُّحى: ١، ٢]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأَنْعَام: ٩٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ[١].

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ: إِنَّ لَفْظَةَ ﴿عَسْعَسَ﴾ تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ عَلَى وَجْهِ الِاشْتِرَاكِ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلٌّ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

قَالَ الإمام ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَزْعُمُ أَنَّ ﴿عَسْعَسَ﴾: دَنَا مِنْ أَوَّلِهِ[٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ أَدْبَرَ...»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ معنى قوله: ﴿عسعس﴾ يعني: أقبل، وقيل: معناه أدبر، وذلك أن الكلمة ﴿عسعس﴾ في اللغة العربية تصلح لهذا وهذا؛ لكن الذي يظهر أن معناها «أقبل» ليوافق أو ليطابق ما بعده من القسم، وهو قوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ فيكون الله أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله، وإنما أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات لعظمها، وكونها من آياته الكبرى»[١].

١٨- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ: إِذَا طَلَعَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا أَضَاءَ وَأَقْبَلَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا نَشَأَ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي: وَضَوءُ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٩.
(٢) المرجع السابق، ١٤/ ٢٦٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أَقْبَلَ، وَبَدَا أَوَّلُهُ، وَقِيلَ: امْتَدَّ ضَوْؤُهُ، وَارْتَفَعَ»[١].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: بانت علائم الصبح، وانشقّ النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل، وتطلع الشمس»[٢].

١٩- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لتبليغُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، أَيْ: مَلَكٌ شَرِيفٌ، حَسَن الْخَلْقِ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْران، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمْ[٣].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّهُ، يَعْنِي الْقُرْآنَ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يَعْنِي جِبْرِيلَ أَيْ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»[٤].

٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ﴾ [النَّجْم: ٥- ٦]، أَيْ: شَدِيدُ الخَلْق، شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْفِعْلِ، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أَيْ: لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ.

٢١- ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾، أَيْ: لَهُ وَجَاهَةٌ، وَهُوَ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ، مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، قَالَ قَتَادَةُ: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾، أَيْ: فِي السَّمَوَاتِ، يَعْنِي: لَيْسَ هُوَ مِنْ أَفْنَاءِ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ السَّادَةِ وَالْأَشْرَافِ، مُعتنى بِهِ، انْتُخِبَ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمِينٍ﴾: صِفَةٌ لِجِبْرِيلَ بِالْأَمَانَةِ، وَهَذَا عَظِيمٌ جِدًّا أَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يُزَكِّي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ جِبْرِيلَ، كَمَا زَكَّى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ:

٢٢- ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى محمدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.

﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، أَيِ: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأَوْلَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النَّجم: ٥-١٠]، كَمَا تَقَدَّمَ تفسيرُ ذَلِكَ، وَتَقْرِيرُهُ.

والدليلُ أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ، وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نزلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النَّجم: ١٣-١٦]، فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ «النَّجْمِ»، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ[(١)].

٢٤- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أَيْ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِظَنِينٍ، أَيْ: بِمُتَّهَمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالضَّادِ، أَيْ: بِبَخِيلٍ، بَلْ يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَينة: ظَنِينٌ وَضَنِينٌ سَوَاءٌ، أَيْ: مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ، وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْقُرْآنُ غَيْبًا، فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَمَا ضَنَّ بِهِ عَلَى النَّاسِ، بَلْ بَلَّغه، وَنَشَرَهُ، وَبَذَلَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَ ابنُ جَرِيرٍ قِرَاءَةَ الضَّادِ.

قُلْتُ [القائل ابن كثير رحمه الله]: وَكِلَاهُمَا مُتَوَاتِرٌ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ كَمَا تَقَدَّمَ[(١)].

٢٥- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، أَيْ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ، وَلَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

٢٦- ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ أَيْ: فَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ، وَبَيَانِ كَوْنِهِ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عز وجل، كَمَا قَالَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه لِوَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ حِينَ قَدِمُوا مُسْلِمِينَ، وَأَمَرَهُمْ فَتَلَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ

---
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧١.

قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْهَذَيَانِ وَالرَّكَاكَةِ، فَقَالَ: وَيْحَكُمْ، أَيْنَ يُذْهَبُ بِعُقُولِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ، أَيْ: مِنْ إِلَهٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: أَيْنَ تَعْدِلُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَفِيهِ الشِّفَاءُ، وَالْبَيَانُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ»[٢].

٢٧- ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، وَيَتَّعِظُونَ

٢٨- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، أَيْ: مَنْ أَرَادَ الْهِدَايَةَ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ منجاةٌ لَهُ وَهِدَايَةٌ، وَلَا هِدَايَةَ فِيمَا سِوَاهُ.

٢٩- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أَيْ: لَيْسَتِ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ، فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ ضَلَّ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْأَمْرُ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَشِيئَةَ فِي التَّوْفِيقِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَفِيهِ إِعْلَامٌ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْمَلُ خَيْرًا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ»[٢].



---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٢.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.

٨٢ -سُورَةِ الانْفِطَار

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذٌ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟! أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟!، أَيْنَ كُنْتَ عَنْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟!»[1]، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ[2].

وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقِيَامَةِ رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، وَ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾»[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)﴾.

١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، أَي: انْشَقَّتْ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:١٨].

٢- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾، أَيْ: تَسَاقَطَتْ.

٣- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، وَقَالَ الْحَسَنُ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: اخْتَلَطَ مَالِحُهَا بِعَذْبِهَا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ[4].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ،

(١) سنن النسائي، برقم ٩٩٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٥٦ .
(٢) صحيح البخاري، برقم ٦١٠٦، صحيح مسلم، ٤٦٥.
(٣) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٨١.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمالح، فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا، وَقَالَ الرَّبِيعُ: فُجِّرَتْ فَاضَتْ»[(١)].

٤- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بُحِثَت، وَقَالَ السُّدِّيُّ: تُبعثر: تُحرّك فَيَخْرُجُ مَنْ فِيهَا[(٢)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بُعْثِرَتْ﴾: بُحِثَتْ، وَقُلِبَ ترابها، وبعث من فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، يُقَالُ: بَعْثَرْتُ الْحَوْضَ، وَبَحْثَرْتُهُ: إِذَا قَلَبْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ»[(٣)].

٥- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، أَيْ: إِذَا كَانَ هَذَا حَصَل هَذَا[(٤)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ سيِّئٍ، وما أَخَّرَتْ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، وَقِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنَ الصدقات، وأَخَّرَتْ مِنَ التَّرِكَاتِ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا في قوله: يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ»[(٥)].

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ : هَذَا تَهْدِيدٌ، لا كما يتوهمه بعض الناسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿الْكَرِيمِ﴾، حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ، بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ - أَيِ: الْعَظِيمِ- حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أجبتَ الْمُرْسَلِينَ؟**»[(٦)].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، فَقَالَ: غَرَّهُ وَاللَّهِ جَهْلُهُ»[(٧)].

وروي عن ابن عمر أنه: قرأ هذه الآية: «﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٦) تفسير الطبري، ١٧/ ١٥٠، والتوحيد لابن خزيمة، ٢/ ٤٢٠، والمعجم الكبير للطبراني، برقم ٨٨٩٩، تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، ٢/ ٨٤٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١١/ ٢٧٧: «رواه الطبراني في الكبير موقوفاً، وروى بعضه مرفوعاً في الأوسط... ورجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة، وفيه ضعف، ورجال الأوسط فيهم شريك أيضاً وإسحاق بن عبد الله التميمي ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥/ ١١٢، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٨، واللفظ له.

الْكَرِيمِ﴾، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: غَرَّهُ -وَاللَّهِ- جَهْلُهُ.

قَالَ: ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيمٍ، وَالْحَسَنِ، مِثْلُ ذَلِكَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: **﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾**، شيءٌ، مَا غرّ ابْنَ آدَمَ، وهَذَا الْعَدْوِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَوْ قَالَ لِي: «مَا غَرَّكَ بِي؟ لَقُلْتُ: سُتُورك المُرخاة، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: لَوْ قَالَ لِي: **﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾**، لَقُلْتُ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ.

قَالَ **الْبَغَوِيُّ**: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: إِنَّمَا قَالَ: **﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ لَقَّنَهُ الْإِجَابَةَ.

وَهَذَا الَّذِي تَخَيَّلَهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ **﴿الْكَرِيمِ﴾**؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ[1].

قال **الإمام الْبَغَوِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾**، مَا خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ الْبَاطِلَ حَتَّى أَضَعْتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ، وَالْمَعْنَى: مَاذَا أمنك من عقابه؟»[2].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾** المراد بالإنسان هنا قيل: هو الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان؛ لأن الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول، ظلوم كفار **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: ٣٤]، فيقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾** ويخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن ديانته **﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** يعني: أي شيء غرّك باللَّه حيث تكذبه في البعث، تعصيه في الأمر والنهي، بل ربما يوجد من ينكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فما الذي غرك؟! قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: **﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** إشارة إلى الجواب، وهو أن الذي غر الإنسان كرم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وإمهاله وحلمه، لكنه لا يجوز أن يغتر الإنسان بذلك، فإن اللَّه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، إذاً ما غرك بربك الكريم؟ الجواب: كرمه وحلمه، هذا هو الذي غر الإنسان، وصار يتمادى

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

في المعصية في التكذيب، يتمادى في المخالفة»[(١)].

٧- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: مَا غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: جَعَلَكَ سَوِيًّا، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ[(٢)].

عَنْ بُسْر بْنِ جحَاش الْقُرَشِيّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعجزني وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ حتى إِذَا سَوّيتك، وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قلتَ: أتصدقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدَقَةِ**»[(٣)].

٨- ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَيِّ شَبَهِ أَبٍ أَوْ أُمٍّ، أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ؟، وَقد روي «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لرجلٍ: «**مَا وُلِدَ لَكَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَسَى أَنْ يُولَد لِي؟ إِمَّا غُلَامٌ، وَإِمَّا جَارِيَةٌ، قَالَ: «**فَمَنْ يُشْبِهُ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ عَسَى أَنْ يُشْبِهَ؟ إِمَّا أَبَاهُ وَإِمَّا أُمَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا: «**مَهْ، لَا تقولَنَّ هَكَذَا، إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أَحْضَرَهَا اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ؟ أَمَا قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾**، قَالَ: سَلَكَكَ»[(٤)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدت غُلامًا أسودَ؟. قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا أَلْوَانُهَا؟**»، قَالَ: حُمر، قَالَ: «**فَهَلْ فِيهَا مَنْ أورَق؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟**»، قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعَةَ عِرْقٍ، قَالَ: «**وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعَةَ عِرْقٍ**»[(٥)].

وَقَدْ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ قِرْدٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ، وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِنْ شَاءَ فِي

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٥.

(٣) مسند أحمد، ٢٩/ ٣٨٥، برقم ١٧٨٤٢، وحسن إسناده محققو المسند، وابن ماجه، ٢٧٠٧، وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٩٩، و١١٤٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده، ٢٤/ ٢٧٠، وابن أبي حاتم، ٨/ ٢٤٧، والطبراني في الكبير، برقم ٤٦٢٤، وحسنه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٣٣٠.

(٥) صحيح البخاري، برقم ٥٣٠٥، وصحيح مسلم، برقم ١٥٠٠.

صُورَةِ كَلْبٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ حِمَارٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قَالَ: قَادِرٌ -وَاللَّهِ- رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَى شكل قبيح من الحيوانات الْمُنْكَرَةِ الْخَلْقِ، وَلَكِنْ بِقُدْرَتِهِ، وَلُطْفِهِ، وَحِلْمِهِ يَخْلُقُهُ عَلَى شَكْلٍ حَسَنٍ مُسْتَقِيمٍ مُعْتَدِلٍ تَامٍّ، حَسَنِ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْئَةِ[1].

٩- ﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، أَيْ: بَلْ إِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ، وَمُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي، تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، أي: مع هذا الوعظ، والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء، وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام اللَّه عليكم ملائكة كراماً، يكتبون أقوالكم، وأفعالكم...»[3].

١٠-١٢- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً حَفَظَةً كِرَامًا، فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ[4].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ﴾، رُقَبَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿كِراماً﴾ عَلَى اللَّهِ، ﴿كاتِبِينَ﴾ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ»[5].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أقام اللَّه عليكم ملائكة كراماً، يكتبون أقوالكم، وأفعالكم، ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم، وتجلُّوهم، وتحترموهم»[6].

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ١٠٧٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٦.
(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.

يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الْأَبْرَارُ الَّذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ ﷻ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ»[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: المراد بالأبرار: القائمون بحقوق اللَّه، وحقوق عباده، الملازمون للبرّ في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب، والروح، والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار»[3].

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ، وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ[4]؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْحِسَابِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْقِيَامَةِ.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الذين قصروا في حقوق اللَّه، وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾، أي: عذاب أليم، في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار»[5].

١٦- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾، أَيْ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

١٧- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ:

١٨- ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

١٩- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، أَيْ: لَا يَقْدِرُ وَاحِدٌ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٨.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.

عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ، وَلَا خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى.

وفي حَدِيثَ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[(١)]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾؛ كَقَوْلِهِ: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غَافِر: ١٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [الْفُرْقَان: ٢٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الْفَاتِحَة: ٤].

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾، وَالْأَمْرُ - وَاللَّهِ- الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ[(٢)].



---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، برقم ٢٠٤، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا».

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٩.

٨٣ -سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ نَبِيّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فحسنَّوا الكيلَ بَعْدَ ذَلِكَ»[(١)].

وَعَنْ هِلَالِ بْنِ طَلْقٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ هَيْئَةً وَأَوْفَاهُ كَيْلًا؟ أَهْلُ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «حَقٌّ لَهُمْ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾»[(٢)].

فَالْمُرَادُ بِالتَّطْفِيفِ هَاهُنَا: البَخْس فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِمَّا بِالِازْدِيَادِ إِنِ اقْتَضَى مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالنُّقْصَانِ إِنْ قَضَاهم. وَلِهَذَا فَسَّرَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمْ بالخَسَار والهَلاك وَهُوَ الْوَيْلُ، بِقَوْلِهِ:

٢- ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾، أَيْ: مِنَ النَّاسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أَيْ: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ

٣- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أَيْ: يَنْقُصُونَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُجْعَلَ «كَالُوا»، و«وَزَنوا» مُتَعَدِّيًا، وَيَكُونُ هُمْ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا ضَمِيرًا مُؤَكِّدًا لِلْمُسْتَتِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَالُوا﴾، وَ«وَزَنُوا»، وَيُحْذَفُ الْمَفْعُولُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عليه، وكلاهما متقارب.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ-تَعَالَى-بِالْوَفَاءِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وَقَالَ:

(١) سنن ابن ماجه، برقم ٢٢٢٣، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٧٦٠.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، برقم ١٩١٧٨، والزهد لهناد، برقم ٣٢٩.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وَقَالَ: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ، ودَمَّرهم عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

٤-٥- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: **﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**؟ أَيْ: أَمَا يخافُ أُولَئِكَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَي مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ، فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الْهَوْلِ، كَثِيرِ الْفَزَعِ، جَلِيلِ الْخَطْبِ، مَنْ خَسرَ فِيهِ أُدْخِلَ نَارًا حَامِيَةً؟

٦- **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً، فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرِجٍ، ضَيِّقٍ ضنك عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ-مَا تَعْجزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ.

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»[(١)].

وَلَفْظُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لعظمة الرَّحْمَنِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ العرقَ ليُلجِمُ الرجالَ إِلَى أَنْصافِ آذَانِهِمْ**»[(٢)].

وعن الْمِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيّ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا كَانَ يومُ الْقِيَامَةِ أدنِيَت الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّى تَكُونَ قيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ، قَالَ: فَتُصْهِرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرق كقَدْر أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا**»[(٣)].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى**

---

(١) البخاري، برقم ، ومسلم، برقم ٢٨٦٢.

(٢) مسند أحمد، برقم ٥٨٢٣، ٦٠٧٥، وهي بلفظ البخاري، ومسلم عن ابن عمر، وأما الرواية الأخرى المذكورة في المتن، فهي برقم ٤٨٦٢، وصححها لغيرها محققو المسند.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٢٣٥، برقم ٢٣٨١٣، حدثنا علي ين إسحق، وليس: إبراهيم بن إسحق، وصحح إسناده محققو المسند، وهو في صحيح مسلم، ٢٨٦٤، ولفظه: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**».

قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الْهَوَامُّ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ، يُعرَقون فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ»[(١)].

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبِيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ العَجُز، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا، «وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً[(٢)].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[(٣)] عَنْ أَبِي هُرَيرة مَرْفُوعًا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٤)].

وَعن عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْتَتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ: «يَكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا»، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي»، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ القيامة»[(٥)].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾.

---

(١) مسند أحمد، برقم ٢٢١٨٦، وقوّى إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٧٤٣٩، وصحح إسناده لغيره محققو المسند.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٩٨٧ بنحوه.

(٤) سنن أبي داود، برقم ٧٦٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٧٤٢.

(٥) سنن أبي داود، برقم ٧٦٦، وسنن النسائي، برقم ٥٥٣٥، وسنن ابن ماجه، برقم ١٣٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٧٤٢.

٧- يَقُولُ: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، أَيْ: إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ لَفِي سِجِّينٍ -فِعِيلٍ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ- كَمَا يُقَالُ: فِسِّيقٌ، وَشِرِّيبٌ، وَخِمِّيرٌ، وَسِكِّيرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا عَظَّمَ أَمْرَهُ فَقَالَ:

٨- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ أَيْ: هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَسِجْنٌ مُقِيمٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ.

ثُمَّ قَدْ قَالَ قَائِلُونَ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: «**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ**»[1]، وَسَجِّينٌ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَقِيلَ: صَخْرَةٌ تَحْتَ السَّابِعَةِ خَضْرَاءُ، وَقِيلَ: بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَالصَّحِيحُ أَنْ «سِجِّينًا» مَأْخُوذٌ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلُّ مَا تَسَافَلَ مِنْهَا ضَاقَ، وَكُلُّ مَا تَعَالَى مِنْهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الْأَفْلَاكَ السَّبْعَةَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْسَعُ، وَأَعْلَى مِنَ الَّذِي دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُونَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ السُّفُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَحَلُّ الْأَضْيَقُ إِلَى الْمَرْكَزِ فِي وَسَطِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَلَمَّا كَانَ مَصِيرُ الْفُجَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ، وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥-٦].

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وَهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ والسفول، كما قال: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣][2].

٩- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، لَيْسَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى سِجِّينٍ، أَيْ: مَرْقُومٌ مَكْتُوبٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، لَا يُزَادُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ أَحَدٌ؛ قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ[3].

١٠- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، أَيْ: إِذَا صَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ

---

(١) الحديث أخرجه أحمد، ٣٠/ ٤٩٩، برقم ١٨٥٣٤، وأوله: «عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ...»، وأصله في البخاري، برقم ٦٦٠٥، وصححه محقق المسند، ٣٠/ ٥٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٤.

(٣) المرجع السابق، ١٤/ ٢٨٤.

مِنَ السِّجن، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْهَلَاكُ، وَالدَّمَارُ، كَمَا يُقَالُ: وَيْلٌ لِفُلَانٍ، وَكَمَا جَاءَ فِي الْمُسْنَدِ[1]، وَالسُّنَنِ[2] مِنْ رِوَايَةِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّث فَيَكْذِبُ، ليضحِكَ النَّاسَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْمُكَذِّبِينَ الْفُجَّارِ الْكَفَرَةِ:

١١- **﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**، أَيْ: لَا يُصَدِّقُونَ بِوُقُوعِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْرَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١٢- **﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾**، أَيْ: مُعْتَدٍ فِي أَفْعَالِهِ؛ مِنْ تَعَاطِي الْحَرَامِ، وَالْمُجَاوَزَةِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ، وَالْأَثِيمِ فِي أَقْوَالِهِ: إِنْ حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

١٣- **﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾**، أَيْ: إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الرَّسُولِ، يُكَذِّبُ بِهِ، وَيَظُنُّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** [النَّحل: ٢٤]، وَقَالَ: **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾** [الفُرقان: ٥]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١٤- **﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَوَحْيُهُ، وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّيْنِ الَّذِي قَدْ لَبِسَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: **﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**، وَالرَّيْنُ يَعْتَرِي قلوبَ الْكَافِرِينَ، وَالْغَيْمُ لِلْأَبْرَارِ، وَالْغَيْنُ لِلْمُقَرَّبِينَ[3].

---

(١) مسند أحمد، ٣٣/ ٢٤٤، برقم ٢٠٠٤٥، وحسن إسناده محققو المسند.

(٢) سنن أبي داود، برقم ٤٩٩٠، سنن الترمذي، برقم ٢٣١٥، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٧١٣٦.

(٣) **انظر هذا المعنى مستوفى للقاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم، حديث رقم ٢٧٠٢، فقد قال: «قيل: ذلك عبارة عن الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان دائه فيستغفر منه؛ إذ كان أبداً فيمن يدمن ذلك، فرأى الغفلة عنه ذنبًا، وقيل: ذلك الغين همه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعده، حتى يستغفر لهم، وقيل: إن ذلك لما يشغله عن عظيم مقامه من النظر في أمور أمته، ومصالحهم، ومجابهة عدوه، ومداراتهم للاستئلاف، فيرى شغله لذلك! إن كان من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال، نزولاً عن عليّ درجته، ورفيع مقامه، من حضوره =**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ، واسْتَغْفَرَ، وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي قال الله: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[2].

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَعْمَى الْقَلْبُ، فَيَمُوتُ، وَكَذَا قال مجاهد ابن جَبْرٍ وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ[3].

١٥- ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، أَيْ: لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنزِلٌ، وَنُزُلٌ سِجِّينٌ، ثُمَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ: هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ ﷻ يَوْمَئِذٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوقُ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، وَكَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، رُؤْيَةٌ بِالْأَبْصَارِ فِي عَرَصات

=

بهمه كله مع الله، ومشاهدته عنده، وفراغه عن غيره إليه، وخلوصه له عمن سواه، فيستغفر لذلك، وقيل: قد يكون هذا الغين السكينة التي تغشى قلبه؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[التوبة: ٤٠]، واستغفاره إظهار للعبودية، والافتقار، وملازمة الخضوع، شكراً لما أولاه به، قال المحاسبي: خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام، وإن كانوا آمنين من عذاب الله، وقيل: يحتمل أن يكون حال خشية لإعظام يغشى القلب، ويكون استغفاره هذا على ما تقدم شكراً وإعظامًا، ولا يعتقد أن استغفاره لأجل الغين، بل ذكر الغين قصة، والاستغفار أخرى غير مرتبطة بها». إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٩٦.

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٨٧. سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٤، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٢٥١، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٤٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٧٠.

(٢) مسند أحمد، ١٣/ ٣٣٣، برقم ٧٩٥٢، وقوّى إسناده محققو المسند.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٥.

الْقِيَامَةِ، وَفِي رَوْضَاتِ الْجِنَانِ الْفَاخِرَةِ[١].

١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾، أَيْ: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الْحِرْمَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ.

١٧- ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّصْغِيرِ، وَالتَّحْقِيرِ.

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى: حَقًّا:

١٨- ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾، وَهُمْ بِخِلَافِ الْفُجَّارِ، ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، أَيْ: مَصِيرُهُمْ إِلَى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ بِخِلَافِ سِجِّينٍ.

قَالَ الْأَعْمَشُ[٢]، عَنْ شِمر بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا، وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ سِجِّينٍ، قَالَ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ، وَسَأَلَهُ عَنْ عِلِّيِّينَ فَقَالَ: هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، يَعْنِي: الْجَنَّةَ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّ عِلِّيِّينَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُلُوِّ، وَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ وَارْتَفَعَ عَظُمَ وَاتَّسَعَ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُعَظِّمًا أَمْرَهُ، وَمُفَخِّمًا شَأْنَهُ[٣]:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٧.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٩١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٨.

١٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّون﴾، ثُمَّ قَالَ مُؤَكِّدًا لِمَا كَتَبَ لَهُمْ:

٢٠- ٢١- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

٢٢- ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَمِيمٌ.

٢٣- ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾، وَهِيَ: السُّرُرُ تَحْتَ الحِجَال، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ: يَنْظُرُونَ فِي مُلكهم، وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَنْقَضِي، وَلَا يَبِيدُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا مُقَابَلَةٌ لِمَا وُصف بِهِ أُولَئِكَ الْفُجَّارُ: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُبَاحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَهُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ، وَفُرُشِهِمْ[1].

٢٤- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، أَيْ: تَعْرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، أَيْ: صِفَةَ التَّرَافَةِ، وَالْحِشْمَةِ، وَالسُّرُورِ، والدِّعة، وَالرِّيَاسَةِ؛ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ.

٢٥- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾، أَيْ: يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالرَّحِيقُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ:

٢٦- ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، أَيْ: خَلْطُهُ مِسْكٌ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: طَيَّبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَمْرَ، فَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ جُعِلَ فِيهَا مِسْكٌ، خُتِمَ بِمِسْكٍ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَالْحَسَنُ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، أَيْ: عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، قَالَ: طِيبُهُ مِسْكٌ.

٢٦- ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، أَيْ: وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٤.

فَلْيَتَفَاخَرِ المتفاخرون، وليتباهى، وَيُكَاثِرْ، وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُون، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٦١].

٢٧- ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، أَيْ: وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ مِنْ تَسْنِيمٍ، أَيْ: مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ: تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَاهُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٢٨- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، أَيْ: يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وتُمزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزجًا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُون عَلَيْهِمْ، أَيْ: مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ،

٣١- ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، أَيْ: إِذَا انْقَلَبَ، أَيْ: رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، انْقَلَبُوا إليها فاكهين، أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ[(١)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾، يَعْنِي الْكُفَّارَ، ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، مُعْجَبِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ، يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِهِمْ»[(٢)].

٣٢- ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾، أَيْ: لِكَوْنِهِمْ عَلَى غَيْرِ دِينِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

٣٣- ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾، أَيْ: وَمَا بُعث هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٢.

حَافِظِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَصْدُرُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ، وَلَا كُلِّفُوا بِهِمْ، فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ، وَجَعَلُوهُمْ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨ -١١١].

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا:

٣٤- ﴿فَالْيَوْمَ﴾: يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولَئِكَ.

٣٥- ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، أَيْ: إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، ولَيْسُوا بِضَالِّينَ، بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

٣٦- ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ أَيْ: هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَى مَا كَانُوا يُقَابِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّنَقُّصِ أَمْ لَا؟ يَعْنِي: قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَأَتَمَّهُ، وَأَكْمَلَهُ[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾: هَلْ جُوزِيَ ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَيْ: جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا لِلتَّقْرِيرِ، وَثُوِّبَ، وَأُثَابَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ»[2].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٥.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٣.

٨٤ -سُورَةِ الانْشقَاقِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ بِهِمْ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ فِيهَا»[(١)].

وَعَنْ بَكْرٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرِيرةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سجدتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «سَجَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]»[(٣)].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً (١١) وَيَصْلَى سَعِيراً (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً (١٥)﴾.

١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٤)].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، أي: انفطرت، وتمايز بعضُها من بعض، وانتثرت نجومُها، وخسف بشمسها وقمرها»[(٥)].

٢- ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أَيْ: اسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا، وَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنَ الِانْشِقَاقِ، ﴿وَحُقَّتْ﴾، أَيْ: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٦٦، وصحيح مسلم، برقم ٥٧٨.
(٣) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

يُمانَع، وَلَا يُغَالَبُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

٣- ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾، أَيْ: بُسطت وَفُرِشَتْ وَوُسّعَت.

٤- ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، أَيْ: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ[(١)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَلْقَتْ﴾: أَخْرَجَتْ، ﴿مَا فِيها﴾ مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾، خَلَتْ مِنْهَا»[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات، والكنوز، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتُخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسّرون على ما هم فيه»[(٣)].

٥- ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: كَمَا تَقَدَّمَ في تفسير الآية.

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، أَيْ: سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعْيًا، وَعَامِلٌ عَمَلًا ﴿فَمُلاقِيهِ﴾، ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَى مَا عملت مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ[(٤)]، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ ملَاقِيهِ**»، وفي لفظ: «**وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»[(٥)].

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾، أَيْ: فَمُلَاقٍ رَبَّكَ، وَمَعْنَاهُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

(٤) مسند الطيالسي، ص ٢٤٢، برقم ١٧٥٥، وهو بلفظ: «عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل ﷺ: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبّ من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه»، والمستدرك، ٤/ ٣٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٤/ ٣٦٠، المعجم الأوسط، ٤/ ٣٠٦، برقم ٤٢٧٨، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٢٥٣، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٢، برقم ٦٢٧.

فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ، وَيُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ، وَعَلَى هَذَا فَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ.

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، يَقُولُ: تَعْمَلُ عَمَلًا تَلْقَى اللَّهَ بِهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾: إِنَّ كَدْحَكَ -يَا ابْنَ آدَمَ- لَضَعِيفٌ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ كَدْحُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ[(١)].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ أي: إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره، ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير، وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاءً بالفضل إن كنت سعيدًا، أو بالعدل إن كنت شقيًا»[(٢)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ الكادح: هو الساعي بجد، ونوع مشقة، وقوله: ﴿إلى ربك﴾ يعني: أنك تكدح كدحاً يوصلك إلى ربك، يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله؛ لأننا سنموت، وإذا متنا رجعنا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فمهما عملت فإن المنتهى هو الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢]؛ ولهذا قال: ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ حتى العاصي كادح كادحًا غايته الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، لكن الفرق بين المطيع والعاصي: أن المطيع يعمل عملاً يرضاه الله، ويصل به إلى مرضاة الله يوم القيامة، والعاصي يعمل عملاً يغضب الله، لكن مع ذلك ينتهي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إذاً قوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾ يعم كل إنسان مؤمن وكافر ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الفاء يقول النحويون: إنها تدل على الترتيب والتعقيب، يعني: فأنت ملاقيه عن قرب ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، وكل آت قريب ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وإذا شئت أن يتبين لك أن ملاقاة الرب عَزَّ وَجَلَّ قريبة، فانظر ما مضى من عمرك الآن، لو مضى لك مئة سنة كأنما هذه السنوات ساعة واحدة، كل الذي مضى من أعمارنا كأنه

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

ساعة واحدة إذاً هو قريب»[(١)].

٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، أَيْ: سَهْلًا بِلَا تَعْسِيرٍ، أَيْ: لَا يُحَقِّقُ عَلَيْهِ جَمِيعُ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حوسب كذلك يهلك لا محالة.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ نُوقِش الْحِسَابَ عُذِّب**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالْحِسَابِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ العَرْض، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**»[(٢)].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أنه لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مُعَذَّبًا**»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟، قَالَ: «**ذَاكَ الْعَرْضُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِش الْحِسَابَ عُذب**»، وَقَالَ بِيَدِهِ عَلَى إِصْبَعِهِ كَأَنَّهُ يَنكُتُ[(٣)].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «**مَنْ نُوقِش الْحِسَابَ -أَوْ: مَنْ حُوسِب- عُذِّبَ**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَتْ: «**إِنَّمَا الحسابُ اليسيرُ عَرض عَلَى اللَّهِ** ﷻ، **وَهُوَ يَرَاهُمْ**»[(٤)].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِش الحسابَ يَا عائشةُ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ**»[(١)].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١١- ٢١٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ١٠٣، ٤٩٣٩، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٧٦، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٢٦، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٩، ومسند أحمد، ٤٠/ ٢٣٦، برقم ٢٤٢٠٠، وتفسير الطبري، ٩/ ٢٤٤.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٤، وفي رواية البخاري عن عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ»، البخاري، برقم ٦٥٣٦.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٤، قال سعد الله بن عبد الله آل حميد في تعليقه على حديث الحاكم رقم ١١٧١، في تلخيص ابن الملقن لملخص الذهبي، ٧/ ٣٥٣٤ عن عائشة، قالت: «مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا رافعة يدي وأنا أقول: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، الحديث. قال الذهبي: «قلت: الحُريش بن الخِرّيت، قال البخاري: فيه نظر،: «الحديث أخرجه الحاكم هنا من طريق حرمي بن عمارة، عن الحريش بن خِرّيت، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه ابن جرير الطبري ٣٠/ ١١٦ من طريق مسلم بن إبراهيم، عن الحريش، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: من نوقش الحساب، أو: من حوسب، عُذِّب، قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير: عرض على الله، وهو يراهم، وأصل الحديث في الصحيحين... وحديث الحاكم ضعيف» مختصر تلخيص الذهبي، ٧/ ٣٥٣٥.

(١) مسند أحمد، ٤٠/ ٢٦٠، برقم ٢٤٢١٥، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ، يُكَفِّرُ اللهُ** ﷻ **بِهِ عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ**». وصححه محققو المسند، وقال ابن كثير في =

٩- ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أَيْ: وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، ﴿مَسْرُورًا﴾، أَيْ: فَرِحَانَ مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ﷻ.

١٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، أَيْ: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، تُثْنى يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِهَا كَذَلِكَ.

١١- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾، أَيْ: خَسَارًا وَهَلَاكًا.

١٢- ١٣- ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أَيْ: فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ الْيَسِيرُ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ.

١٤- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أَيْ: كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا، والحَوْرُ: هُوَ الرُّجُوعُ[١]، قَالَ اللَّهُ:

١٥- ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ: خَيْرِهَا، وَشَرِّهَا، فَإِنَّهُ ﴿كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، أَيْ: عَلِيمًا خَبِيرًا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾.

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وعُبَادة بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي هُرَيرة، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمَكْحُولٍ، وَبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، وبُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الماجَشُون أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَر، عَنِ ابْنِ خُثَيم عَنِ ابْنِ لَبِيبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: الشَّفَقُ: الْبَيَاضُ.

=
تفسيره، ١٤/ ٢٩٤: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٥.

فَالشَّفَقُ هُوَ: حُمْرَةُ الْأُفُقِ، إِمَّا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَإِمَّا بَعْدَ غُرُوبِهَا، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ.

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا ذَهَبَ قِيلَ: غَابَ الشَّفَقُ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الشَّفَقُ: بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وحمرتُها فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ العَتمَة.

وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ: الشَّفَقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ**»[1].

فَفِي هَذَا كُلِّهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالْخَلِيلُ، وَلَكِنْ صَحَّ عن مجاهد أنه قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

١٦- ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ**﴾: هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: الشَّفَقُ: الشَّمْسُ، رَوَاهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا قَرْنهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

١٧- ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾، أَيْ: جَمَعَ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَبِاللَّيْلِ مُقْبِلًا، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[2]: وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفَقُ اسْمٌ لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ. وَقَالُوا: هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿**وَمَا وَسَقَ**﴾: وَمَا جَمَعَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَمَا جَمَعَ مِنْ نَجْمٍ وَدَابَّةٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾: يَقُولُ: مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ، إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَأْوَاهُ.

١٨- ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا اجْتَمَعَ وَاسْتَوَى، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ**﴾: إِذَا اسْتَوَى، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا اجْتَمَعَ، إِذَا امْتَلَأَ،

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٦١٢.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٨.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا اسْتَدَارَ.

وَمَعْنَى كَلَامِهِمْ: أَنَّهُ إِذَا تَكَامَلَ نُورُهُ وَأَبْدَرَ، جَعَلَهُ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون، وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق * لتركبن طبقاً عن طبق﴾ هذه الجملة مكونة من قسم، ومُقسم به، ومقسم عليه، ومُقسِم، فالقسم في قوله: ﴿لا أقسم بالشفق﴾ قد يظن الظان أن معنى ﴿لا أقسم﴾ نفي، وليس كذلك بل هو إثبات و﴿لا﴾ هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر مثل ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾، ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾[3]، ﴿فلا أقسم برب المشارق﴾، ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾، وكلها يقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت، أما المقسِم فهو الله عَزَّ وَجَلَّ أما المقسَم به في هذه الآية فهو الشفق وما عطف عليه»[4].

١٩- قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ-قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ، هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا اللَّفْظِ[1]، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْنَدَ هَذَا التَّفْسِيرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَأَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «نَبِيُّكُمْ» مَرْفُوعًا عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ مِنْ «قَالَ»، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[2]، كَمَا قَالَ أَنَسٌ: «لَا يَأْتِي عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

(٣) ذكر الطبري في تفسيره، ٢٤/ ٤٧- ٥٠ الاختلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾، فقال بعضهم: «لا» صلة، وإنما معنى الكلام: أقسم بيوم القيامة، وقال آخرون: بل دخلت «لا» توكيداً للكلام، وقال نحويُو الكوفة: «لا» ردٌّ لكلام قد مضى من كلام المشركين، الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، ثم ابتدأ القسم، فقال: أقسم بيوم القيامة، ورجّح العلامة الشنقيطي في أضواء البيان، ٨/ ٦٣٢: أن «لا» نافية لكلام قبلها، فلا تتعارض مع الإقسام بيوم القيامة... والثاني: أنها صلة.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١١٥- ١١٦.

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ»[١].

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: يَعْنِي نَبِيَّكُمْ ﷺ، يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، هَذَا لَفْظُهُ[٢].

وقال علي بن أبي طَلْحة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، ومُرَة الطَّيِّب، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ: هَذَا، يَعْنِي الْمُرَادُ بِهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ، فَيَكُونُ مَرْفُوعًا عَلَى أَنَّ «هَذَا»، وَ«نَبِيُّكُمْ»، يُكَوِّنَانِ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَعَلَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ هُوَ الْمُتَبَادَرُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الرُّوَاةِ، كَمَا جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: «مُحَمَّدٌ ﷺ»[٣].

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قراءةُ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَامَّةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ.

وعَنِ الشَّعْبِيِّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: لتركبن يا مُحَمَّدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ[٤]، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ.

يَعْنُونَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ[٥]، وروي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: مَنْزِلًا عَلَى مَنْزِلٍ، وَكَذَا رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ، وَزَادَ: وَيُقَالُ: «أَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ نفسهُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: أَعْمَالُ مَنْ قَبْلِكُمْ مَنْزِلًا عَن مَنْزِلٍ[١].

كَأَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[٢]: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْو

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٠٦٨.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٢.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٣.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٣٢٠، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٦٩، ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ؟»، وعند الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٠٢، ولفظه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ =

القُذَّة بالقُذَّة، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحر ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»»، وَهَذَا مُحْتَمَلٌ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: السَّمَاءُ تَنْشَقُّ ثُمَّ تَحْمَرُّ، ثُمَّ تَكُونُ لَوْنًا بَعْدَ لَوْنٍ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: السَّمَاءُ مَرةً كَالدِّهَانِ، وَمَرَّةً تَنْشَقُّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قَالَ: قَوْمٌ كَانُوا فِي الدُّنْيَا خَسِيسٌ أَمْرُهُمْ، فَارْتَفَعُوا فِي الْآخِرَةِ، وَآخَرُونَ كَانُوا أَشْرَافًا فِي الدُّنْيَا، فَاتَّضَعُوا فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَطِيمًا بعد ما كان رضيعًا، وشيخًا بعد ما كَانَ شَابًّا.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، رَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَشِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ، وَغِنًى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرًا بَعْدَ غِنًى، وَصِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وسَقَما بَعْدَ صِحَّةٍ[١].

قَالَ ابن جرير[٢] بعد ما حَكَى أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لَتَرْكَبَنّ أَنْتَ-يَا مُحَمَّدُ-حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائد، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ الْخطاب إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوَجَّها- جَمِيعَ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا[١].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي: أطوارا متعددة، وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ

=

حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامِعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»»، وصَحّحه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٠٦٧.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٦.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

الروح، ثم يكون وليدًا، وطفلاً، ثم مميزًا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث، ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته، ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾، أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه»[(١)].

وذكر في **أضواء البيان** قوله: «﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ لِمَعْنَاهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مَعَانِي عَدِيدَةً: طُفُولَةً، وَشَبَابًا، وَشُيُوخَةً، فَقْرًا وَغِنًى، وَقُوَّةً وَضَعْفًا، حَيَاةً وَمَوْتًا وَبَعْثًا، رَخَاءً وَشِدَّةً، إِلَى كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ الْكَلِمَةُ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْكُلُّ مُحْتَمَلٌ، وَكُلُّهُ مُرَادٌ»[(٢)].

٢٠- ٢١- ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، أَيْ: فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَمَا لَهُمْ إِذَا قَرَأْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَامَهُ- وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ، لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا؟.

٢٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبُ، وَالْعِنَادُ، وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ.

٢٣- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: يكتمون في صدورهم[(٣)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، أي: بما يعملونه وينوونه سرًا، فالله يعلم سرهم، وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم»[(١)].

٢٤- ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أَيْ: فَأَخْبِرْهُمْ -يَا مُحَمَّدُ- بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.
(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ١٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.
(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

٢٥- ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا -أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ- وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ **﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾** أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَيْرُ مَحْسُوبٍ.

وَحَاصِلُ قَوْلِهِمَا أَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هُود: ١٠٨]، وَقَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: **﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** عَلَيْهِمْ.

وَهَذَا الْقَوْلُ الْآخَرُ عَنْ بَعْضِهِمْ قَدْ أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَهُ الْمِنَّةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وَآنٍ وَلَحْظَةٍ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمِنَّةُ دَائِمًا سَرْمَدًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَبَدًا؛ وَلِهَذَا يُلْهَمُونَ تَسْبِيحَهُ، وَتَحْمِيدَهُ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَس: **﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [يُونُس: ١٠][(١)].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «**﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** وسميت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًا، فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به، ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فآمنوا وعملوا الصالحات، فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير مقطوع؛ بل هو أجر دائم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[(١)].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩- ٣٠٠.

(١) فبشرهم تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

٨٥ -سُورَةِ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾.

يُقْسِمُ تعالى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا، وَهِيَ: النُّجُومُ الْعِظَامُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: الْبُرُوجُ: النُّجُومُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: الْبُرُوجُ الَّتِي فِيهَا الْحَرَسُ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ رَافِعٍ: الْبُرُوجُ: قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ، وَقَالَ المِنْهَال بْنُ عَمْرٍو:

١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: الْخَلْقُ الْحَسَنُ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ[1] أَنَّهَا: مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، تَسِيرُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَهْرًا، وَيَسِيرُ الْقَمَرُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَيْنِ وَثُلُثًا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ويستسرّ ليلتين[2].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب، ونظام دال على كمال قدرة اللَّه تعالى، ورحمته، وسعة علمه، وحكمته»[3].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والسماء ذات البروج﴾ الواو هذه حرف قسم يعني يقسم تعالى بالسماء ﴿ذات البروج﴾ أي صاحبة البروج، والبروج جمع برج،

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٣.

وهو المجموعة العظيمة من النجوم، وسُمّيت بروجاً لعلوها، وارتفاعها، وظهورها، وبيانها، والبروج عند الفلكيين اثني عشر برجاً جمعت في قول الناظم:

حمـــلٌ فثـــور فجـــوزاء فســرطان فأســدٌ ســنبلة ميــزان

فعقــربٌ قــوسٌ فجــدي وكــــذا دلــو وذي آخرهــا الحيتــان

فهي اثنا عشر برجاً، ثلاثة منها للربيع، وثلاثة للصيف، وثلاثة للخريف، وثلاثة للشتاء، فيقسم اللَّه تعالى بالسماء ذات البروج، وله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، أما نحن، فلا نقسم إلا بالله، بأسمائه، وصفاته، ولا نقسم بشيء من المخلوقات لقول النبي ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(١)؛ ولقوله عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(٢).

٢- ٣- ﴿**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿**وَشَاهِدٍ**﴾: يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ، وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِيذُ فِيهَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا أَعَاذَهُ، ﴿**وَمَشْهُودٍ**﴾ يَوْمُ عَرَفَةَ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾، قَالَ: يَعْنِي الشاهدَ يومُ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾، قَالَ: الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»(٥).

وَقَدْ رُوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»، وَكَذَلِكَ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٦٧٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٤- ١٢٥، والحديث رواه أحمد، برقم ٦٠٧٢، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ٣٢٥١، والترمذي، برقم ١٥٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٦٢٠٤.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٣وهو في السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٢٤٢، برقم ٥٥٦٣، ٥٥٦٤، والمعجم الأوسط للطبراني، برقم ١٠٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٨٢٠١. وأخرجه ابن خزيمة، برقم ١٧٢٦، وصححه محققه الأعظمي.

(٤) أحمد في المسند، ١٣/ ٣٥١، برقم ٧٩٧٢، وضعف محققو المسند رفعه، وحسّنوه موقوفاً.

(٥) مسند أحمد، ١٣/ ٣٥٢، برقم ٧٩٧٣، وصحح إسناده محققو المسند.

قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَلَمْ أَرَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ[(١)].

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ذَخَرَهُ اللَّهُ لَنَا**»[(٢)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيَّب أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ سَيِّدَ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الشاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ**»، وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب[(٣)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «**الشَّاهِدُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ [هُود: ١٠٣]»[(٤)].

وَعَنْ شِبَاكٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَنْ: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾، قَالَ: سَأَلْتَ أَحَدًا قَبْلِي؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: «**يَوْمَ الذَّبْحِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ**»، فَقَالَ: لَا وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النِّسَاء: ٤١]، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾»[(٥)].

وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: ﴿**وَمَشْهُودٍ**﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(٦)].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ: الشَّاهِدُ: ابْنُ آدَمَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(٧)].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَيْضًا: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ[(١)].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الشَّاهِدُ: اللَّهُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٢.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤. ومعجم الطبراني الكبير، برقم ٣٤٥٨، ووثقه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٥.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٥، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٣.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤. وقال صاحب الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام، ٤/ ١٧٦: «عن سعيد بن المسيب مرسلًا: «**إن سيّد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة**»، وإسناده لا بأس به، ابن حرملة مختلف في تعديله، فإذا ضمَّ هذا الطريق المرسل إلى الطريقين المسندين صار الحديث حسنًا إن شاء الله، والله أعلم».

(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٥.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.

(٧) المرجع السابق، ١٤/ ٣٠٤.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَالَ: الشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ. هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[٢].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: الشَّاهِدُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ عَنْ سُفْيَانَ -هُوَ الثَّوْرِيُّ- عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: يَوْمُ الذَّبْحِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، يَعْنِي الشَّاهِدَ وَالْمَشْهُودَ[٣].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[٤]: وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَشْهُودُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، ثم ساقه بإسناده حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَيْمَنَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيّ، وذكر حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ**»[٥].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الشَّاهِدُ: اللَّهُ، وَتَلَا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، والمشهود: نَحْنُ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ، وَقَالَ: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ[٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾، وهو يوم القيامة، الذي وعد اللَّه الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف اللَّه الميعاد، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف، أي: مُبصِر، ومُبصَر، وحاضرٌ، ومحضورٌ، وراءٍ، ومرئيٌّ، والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات اللَّه الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة، وقيل: إن المقسم عليه

=
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٣.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٦.
(٥) سنن ابن ماجه، برقم ١٦٣٧، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ١١١٦، وروى جزأه الأول إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي، ص ٤٠، وصححه الألباني في تحقيقه للكتاب، وجوّد إسناده ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي، (ص ١٥٨، والشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٥١.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٢- ٣٠٣.

قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾، وهذا دعاء عليهم بالهلاك»[1].

وقال في أضواء البيان: «اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ مَا مُلَخَّصُهُ: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، أَوِ النَّحْرِ، وَعَزَاهُ لِعَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَالشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَالشَّاهِدُ: هُوَ اللَّهُ، وَالْمَشْهُودُ: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ قَالَ: وَالصَّوَابُ عِنْدِي أَنَّهُ صَالِحٌ لِكُلِّ مَا يُقَالُ لَهُ شَاهد، وَيُقَالُ لَهُ مَشْهُودٌ، فَلَمْ يَفْصِلْ مَا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، أَوِ الشَّهَادَةِ، وَمِثْلُهُ الْقُرْطُبِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ، وَقَدْ فَصَّلَ أَبُو حَيَّانَ عَلَى مَا قَدَّمْنَا، فَقَالَ: إِنْ كَانَ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، فَالشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ كُلَّ مَنْ يَشْهَدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا»[2].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وشاهد ومشهود﴾ ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال، يجمعها أن الله أقسم بكل شاهد، وبكل مشهود، والشهود كثيرون، منهم محمد رسول الله ﷺ شهيداً علينا، كما قال الله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]، ومنهم هذه الأمة شهداء على الناس، ﴿وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور: ٢٤]، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة، فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله: ﴿وشاهد﴾، وأما ﴿المشهود﴾، فهو يوم القيامة، وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، فأقسم

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٣.
(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٣١- ١٣٢).

اللَّه بكل شاهد وبكل مشهود»[(١)].

٤- ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ﴾، أَيْ: لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَجَمْعُهُ: أَخَادِيدُ، وَهِيَ الْحَفِيرُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا خَبَرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ ﷻ، فَقَهَرُوهُمْ، وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أخدُودًا، وَأَجَّجُوا فيه نار، وَأَعَدُّوا لَهَا وَقُودًا يُسَعِّرُونَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

٣-٧- ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، أَيْ: مُشَاهِدُونَ لِمَا يُفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

٨- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، أَيْ: وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُهُمْ بِاللهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِجَنَابِهِ، الْمَنِيعِ الْحَمِيدِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّر عَلَى عِبَادِهِ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ بِهِ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ، وَإِنْ خَفِيَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

٩- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أَيْ: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شيء في جميع السموات وَالْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي أَهْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، مَنْ هُمْ؟ فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ **أَنَّهُمْ أَهْلُ فَارِسٍ** حِينَ أَرَادَ مَلِكُهُمْ تَحْلِيلَ تَزْوِيجِ الْمَحَارِمِ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُهُمْ، فَعَمَدَ إِلَى حَفْرِ أُخْدُودٍ فَقَذَفَ فِيهِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَاسْتَمَرَّ فِيهِمْ تَحْلِيلُ الْمَحَارِمِ إِلَى الْيَوْمِ.

وَعَنْهُ **أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا بِالْيَمَنِ** اقْتَتَلَ مُؤْمِنُوهُمْ وَمُشْرِكُوهُمْ، فَغَلَبَ مُؤْمِنُوهُمْ عَلَى كُفَّارِهِمْ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا فَغَلَبَ الْكُفَّارُ الْمُؤْمِنِينَ، فخدُّوا لَهُمُ الْأَخَادِيدَ، وَأَحْرَقُوهُمْ فِيهَا.

وَعَنْهُ **أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ**، وَاحِدُهُمْ حَبَشِيٌّ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾،

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٥.

قَالَ: نَاسٌ مَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، خَدّوا أُخْدُودًا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهِ نَارًا، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ الْأُخْدُودِ رِجَالًا وَنِسَاءً، فعُرِضوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانْيَالُ وَأَصْحَابُهُ[1].

وعَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٥.

الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[(١)].

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ فِي الْعَالَمِ كَثِيرًا، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ فِي الْيَمَنِ زَمَانَ تُبَّعٍ، وَفِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ زَمَانَ قُسْطَنْطِينَ حِينَ صَرَفَ النَّصَارَى قِبْلَتَهُمْ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٣٠٠٥، ومسند أحمد، ٣٩/ ٣٥١، برقم ٢٣٩٣١.

وَالتَّوْحِيدِ، فَاتَّخَذُوا أَتُّونًا، وَأُلْقِيَ فِيهِ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ وَالتَّوْحِيدِ، وَفِي الْعِرَاقِ فِي أَرْضِ بَابِلَ بُخْتُنَصَّرُ الَّذِي وَضَعَ الصَّنَمَ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، فَامْتَنَعَ دَانْيَالُ وصاحباه: عُزَرْيَا، وَمِيشَائِيلُ، فَأَوْقَدَ لَهُمْ أَتُّونًا، وَأَلْقَى فِيهِ الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ أَلْقَاهُمَا فِيهِ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَأَنْقَذَهُمَا مِنْهَا، وَأَلْقَى فِيهَا الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِ، وَهُمْ تِسْعَةُ رَهْطٍ، فَأَكَلَتْهُمُ النَّارُ[١].

وَعَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ﴾، قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ ثَلَاثَةً: خَدٌّ بِالْعِرَاقِ، وخَدٌّ بِالشَّامِ، وخَدٌّ بِالْيَمَنِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[٢].

«وَعَنْ مُقَاتِلٍ قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ ثَلَاثَةً: وَاحِدَةٌ بِنَجْرَانَ بِالْيَمَنِ، وَالْأُخْرَى بِالشَّامِ، وَالْأُخْرَى بِفَارِسَ ... فَأَمَّا الَّتِي بِفَارِسَ وَالشَّامِ فَلَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا، وَأَنْزَلَ فِي الَّتِي كَانَتْ بِنَجْرَانَ»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ هذه الجملة جواب القسم ﴿قتل﴾ يعني أهلك، وقيل: القتل هنا بمعنى اللعن، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة اللَّه، و﴿أصحاب الأخدود﴾ هم قوم كفار أحرقوا المؤمنين بالنار، وقد وردت قصص متعددة في هؤلاء القوم، منها شيء في الشام، ومنها شيء في اليمن، والمقصود أن هؤلاء الكفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم، ولكنهم عجزوا، فحفروا أخدوداً حُفراً ممدودة في الأرض، كالنهر، وجمعوا الحطب الكثير، وأحرقوا المؤمنين بها، والعياذ باللَّه؛ ولهذا قال: ﴿النار ذات الوقود﴾ يعني أن الأخدود هي أخدود النار ﴿ذات الوقود﴾ أي: الحطب الكثير المتأجج، ﴿إذ هم عليها قعود﴾ يعني: أن هؤلاء الذين حفروا الأخاديد، وألقوا فيها المؤمنين، كانوا، والعياذ باللَّه، عندهم قوة وجبروت، يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود عليها على الأسرة، يتفكهو كأن شيئاً لم يكن، وهذا من الجبروت أن يرى الإنسان البشر تلتهمه النار، وهو جالس

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، ١٢/ ٣٨٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١١.

على سريره يتفكه بالحديث ولا يبالي، ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ يعني هم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، أي: حضور لا يغيب عنهم ما فعلوه بالمؤمنين؛ ولذلك استحقوا هذا الوعيد، بل استحقوا هذه العقوبة أن الله أهلكهم، ولعنهم، وطردهم، وأبعدهم عن رحمته»[١].

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، أَيْ: حَرقوا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ أَبْزَى.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾، أَيْ: لَمْ يُقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا، وَيَنْدَمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾.

١١- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ بِخِلَافِ مَا أُعِدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْجَحِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: إِنَّ بَطْشَهُ، وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبوا رُسُلَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٣- ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، أَيْ: مِنْ قُوَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ كَمَا بَدَأَهُ، بِلَا مُمَانِعٍ وَلَا مُدَافِعٍ.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٦.

١٤- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُود﴾، أَيْ: يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وخَضَع لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.

وَالْوَدُودُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ الْحَبِيبُ.

١٥- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، أَيْ: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْمُعَظَّمِ الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

و﴿الْمَجِيدُ﴾: فِيهِ قِرَاءَتَانِ: الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ ﷻ، وَالْجَرُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ، وَكِلَاهُمَا مَعْنًى صَحِيحٌ[١].

١٦- ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، أَيْ: مَهْمَا أَرَادَ فِعْلَهُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِعَظَمَتِهِ، وَقَهْرِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَعَدْلِهِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ، وَهُوَ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ: «هَلْ نَظَرَ إِلَيْكَ الطَّبِيبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ»[٢].

١٧- ١٨- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، أَيْ: هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟، وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: إِذَا أَخَذَ الظَّالِمَ أَخَذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

١٩- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾، أَيْ: هُمْ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ وَكُفْرٍ وَعِنَادٍ.

٢٠- ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، أَيْ: هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، قَاهِرٌ لَا يَفُوتُونَهُ، وَلَا يُعْجِزُونَهُ[٣].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والله من ورائهم محيط﴾ يعني أن الله تعالى محيط بهم من كل جانب، لا يشذون عنه، ولا عن علمه، ولا عن سلطانه، ولا عن عقابه، ولكنه ﷻ قد يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[١].

٢١- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، أَيْ: عَظِيمٌ كَرِيمٌ[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٣.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة، برقم ٣٤٤٤٠، وحلية الأولياء، ١/ ٣٤، والمحتضرين لابن أبي الدنيا، برقم ٣٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٤٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ**﴾ ﴿**بل هو**﴾ أي: ما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿**قرآن مجيد**﴾ أي: ذو عظمة ومجد، ووصف القرآن بأنه مجيد، لا يعني أن المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله، وقام بواجبه من تلاوته حق تلاوته، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة»[1].

٢٢- ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، أَيْ: هُوَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ، وَالنَّقْصِ، وَالتَّحْرِيفِ، وَالتَّبْدِيلِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ عِنْدَ اللَّهِ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، يُنَزِّلُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ[2].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ**﴾، أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم، ﴿**فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ من التغيير، والزيادة، والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل على جلالة القرآن، وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم»[3].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٤٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٤.

٨٦ -سُورَة الطَّارِق

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: صَلَّى مُعَاذٌ الْمَغْرِب، فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَالنِّسَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ مَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقْرَأَ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَنَحْوَ هَذَا؟**»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)**﴾

يُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ؛ ولِهَذَا قَالَ:

١-﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**﴾. ثُمَّ قَالَ:

٢- ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ**﴾، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٣- ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾.

قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْلِ، وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا**»[(٢)]، أَيْ: يَأْتِيَهُمْ فجأة بالليل، وفي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الدُّعَاءِ: «**إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**»[(٣)].

وَقَوْلُهُ: ﴿**الثَّاقِبُ**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُضِيءُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ مُضِيءٌ وَمُحْرِقٌ لِلشَّيْطَانِ.

٤- ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾، أَيْ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ الْآيَةَ [الرَّعْد: ١١].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٦٠٠، وابن قانع في معجم الصحابة ١/ ١٣٦، وفوائد الحنائي الحنائيات، ١/ ٧٤٠، برقم ١٣٥، وصححه، وحديث السراج، ص ٨٨، برقم ١٧٥، وصححه النخشبي في فوائد الحنائي ١/ ٧٤٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، برقم ١٨٠١، ورقم ٥٢٤٣، ومسلم، برقم ٧١٥.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٧٢٦، الموطأ، - رواية يحيى الليثي، برقم ١٧٠٥، ومسند أحمد، ٢٤/ ٢٠٢، برقم ١٥٤٦١، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٦٠٢.

٥- ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، تَنْبِيهٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلق مِنْهُ، وَإِرْشَادٌ لَهُ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى البَدَاءة فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧].

٦- ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، يَعْنِي: الْمَنِيُّ؛ يَخْرُجُ دَفقًا مِنَ الرَّجُلِ وَمِنَ الْمَرْأَةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٧- ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يَعْنِي: صُلْبَ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبَ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ صَدْرُهَا.

وَعَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: صُلْبِ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، أَصْفَرَ رَقِيقٍ، لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مِنْهُمَا»، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَير، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ والسُّدِّي، وَغَيْرُهُمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قَالَ: هَذِهِ التَّرَائِبُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَعَطِيَّةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَرِيبة الْمَرْأَةِ: موضُع الْقِلَادَةِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَير.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: التَّرَائِبُ: بَيْنَ ثَدْيَيْهَا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: التَّرَائِبُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ إِلَى الصَّدْرِ، وَعَنْهُ أَيْضًا: التَّرَائِبُ: أَسْفَلُ مِنَ التَّرَاقِي.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: فَوْقَ الثَّدْيَيْنِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَير: التَّرَائِبُ أَرْبَعَةُ أَضْلَاعٍ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: التَّرَائِبُ بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَالْعَيْنَيْنِ.

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مَعْمَر بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ الْمَدَنِيّ: أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قَالَ: هُوَ عُصَارَةُ الْقَلْبِ، مِنْ هُنَاكَ يَكُونُ الْوَلَدُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، مِنْ بَيْنِ صُلْبِهِ وَنَحْرِهِ[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٦.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يحتمل أنه من بين صلب الرجل، وترائب المرأة، وهي ثدياها، ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو منيُّ الرجل، وأن محلَّه الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف اللَّه به الماء الدافق، والذي يحس به، ويشاهد دفقه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب؛ فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: من بين الصلب والثديين، ونحو ذلك، واللَّه أعلم»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلب الرجل، وترائبه أعلى صدره، وهذا يدل على عمق مخرج هذا الماء، وأنه يخرج من مكان مكين في الجسد، وقال بعض العلماء: ﴿يخرج من بين الصلب﴾ أي: صلب الرجل ﴿والترائب﴾ ترائب المرأة، ولكن هذا خلاف ظاهر اللفظ، والصواب أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو ماء الرجل، لأن اللَّه تعالى وصفه بذلك»[(٢)].

٨- ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لَقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، قاله مجاهد، وَعِكْرِمَةُ، وَغَيْرُهُمَا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، أَيْ: إِعَادَتُهُ، وَبَعْثُهُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَقَادِرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ الضَّحَّاكُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٩- ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، أَيْ: تَظْهَرُ وَتَبْدُو، وَيَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا[(١)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٢- ١٥٣.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٦.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»[١].

قال **العلامة السعدي** رحمه الله: «فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور، والجزاء، وقد قيل: إن معناه، أن الله على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا، وإن كان المعنى صحيحًا، فليس هو المراد من الآية؛ ولهذا قال بعده: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿إنه على رجعه لقادر﴾ «إنه» أي: الله ﷻ، ﴿على رجعه﴾ أي: على رجع الإنسان ﴿لقادر﴾، وذلك يوم القيامة لقوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾، فالذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء الدافق المهين، قادر على أن يعيده يوم القيامة، وهذا من باب الاستدلال بالمحسوس على المنظور المترقب، وهو قياس عقلي، فإن الإنسان بعقله يقول إذا كان الله قادراً على أن يخلق الإنسان من هذا الماء المهين ويحييه، [فإنه] قادر على أن يعيده مرة ثانية ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ولهذا يستدل الله ﷻ بالمبدأ على المعاد؛ لأنه قياس جلي واضح، ينتقل العقل من هذا إلى هذا بسرعة، وبدون كلفة»[٣].

١٠- ﴿فَمَا لَهُ﴾ أَي: الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَيْ: فِي نَفْسِهِ، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾، أَيْ: مِنْ خَارِجٍ مِنْهُ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ أَحَدٌ ذَلِكَ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٣١٨٨، ومسلم، برقم ١٧٣٨، واللفظ له.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٣.

الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾

١١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الرَّجْعُ﴾: الْمَطَرُ، وَعَنْهُ: هُوَ السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ، وَعَنْهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: تُمْطِرُ ثُمَّ تُمْطِرُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: تُرْجِعُ رِزْقَ الْعِبَادِ كُلَّ عَامٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكُوا وَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَرْجِعُ نُجُومُهَا وَشَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، يَأْتِينَ مِنْ هَاهُنَا.

١٢- ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ انْصِدَاعُهَا عَنِ النَّبَاتِ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون، والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار، والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات»[2].

١٣- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، قَالَ: حَقٌّ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَقَالَ آخَرُ: حُكْمٌ عَدْلٌ[3].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أي: حق وصدق بين واضح، ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف، والمقالات، وتنفصل به الخصومات، ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لإظهار الحق، ولو كره الكافرون»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿إنه لقول فصل﴾ فصل يفصل بين الحق

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.
(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل، أي: قاطع لكل من ناوأه وعاداه؛ ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن، نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن هُزموا، وأذلوا بقدر بُعدهم عن القرآن، وكلما أبعد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر حتى يرجع إلى كتاب الله ﷻ»[1].

١٤- ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾، أَيْ: بَلْ هُوَ حَقٌّ جَدٌّ[2].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿وما هو بالهزل﴾** أي: ما هو باللعب، والعبث، واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه، لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر، فتح الله عليه من المعاني، ما لم يكن عنده من قبل، وهذا شيء مشاهد، اقرأ القرآن وتدبره، كلما قرأته، وتدبرته حصل لك من معانيه، ما لم يكن يحصل لك من قبل، كل هذا لأنه فصل، وليس بالهزل، لكن الكلام اللغو من كلام الناس كلما كررته مججته، وكرهته، ومللته، أما كتاب الله فلا»[3].

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ:

١٥- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، أَيْ: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ.

١٧- ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾، أَيْ: أَنْظِرْهُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، **﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾**، أَيْ: قَلِيلًا، أَيْ: وَتَرَى مَاذَا أُحِلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، وَالْعُقُوبَةِ، وَالْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ: **﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾** [لقمان: ٢٤][4].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.

٨٧ -سُورَةِ سَبِّحْ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا[(١)].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيت بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»[(٢)].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِيدَيْنِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وَإِنْ وَافَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرَأَهُمَا جَمِيعًا»[(٣)].

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ، وَأَهْلِ السُّنَنِ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا»[(٤)].

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زَادَتْ عَائِشَةُ: «وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ»[(٥)].

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ

---

(١) البخاري، برقم ٤٩٤١.

(٢) البخاري، برقم ٧٠٥، ومسلم، برقم ٤٦٥.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٣٢، وبرقم ١٨٣٨٣، وصححه محققو المسند.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٨٧٨، وسنن أبي داود، برقم ١١٢٢، وسنن الترمذي، برقم ٥٣٣، وسنن النسائي، برقم ١٤١٤، وسنن ابن ماجه، برقم ١٢٨١.

(٥) مسند أحمد، عن ابن عباس، برقم ٢٧٢٠، وصححه محققو المسند، وعن عبد الرحمن بن أبزى ١٥٣٥٤، ١٥٣٥٥، وصححهما محققو المسند، وعن أبي بن كعب ٢١١٤٢، وصحح إسناده محققو المسند، وعن عائشة ٢٥٩٠٧، وصحح إسناده محققو المسند.

نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)﴾

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الْوَاقِعَةِ:٧٤، ٩٦]، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»[(١)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»[(٢)].

١- وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا، قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»[(٣)].

٢- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، أَيْ: خَلَقَ الْخَلِيقَةَ، وسَوّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ.

٣- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاوَةِ، وَالسَّعَادَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠]، أَيْ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الله ابن عمرو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كتبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قال: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(٤)].

٤- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، أَيْ: مِنْ جَمِيعِ صُنُوفِ النَّبَاتَاتِ وَالزُّرُوعِ.

٥- ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا، وَعَنْ مُجَاهِدٍ،

---

(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٠، برقم ١٧٤١٤، وقال محققو المسند: «إسناده محتمل للتحسين»، سنن أبي داود، برقم ٨٦٩، وابن ماجه، برقم ٨٨٧، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٥٢، وحسنه في مشكاة المصابيح، برقم ٨٧٩.

(٢) مسند أحمد، ٣/ ٤٩٥، برقم ٢٠٦٦، وصححه محققو المسند موقوفاً، وسنن أبي داود، برقم ٨٨٣، قال الحافظ ا في تفسيره، ١٤/ ٣٢١: «رواه أبو داود، برقم ٨٨٣، عن ابن عباس موقوفاً»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٨٢٦.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٦٨، وصححه الألباني موقوفاً في صحيح أبي داود، بعد الحديث رقم ٨٢٦.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٦٥٣.

وَقَتَادَةَ، وَابْنِ زَيْدٍ، نَحْوُهُ[(١)].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ أي: أسود، أي: جعله هشيمًا رميمًا، ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومنشئها، وهو القرآن، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه، ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة»[(٢)].

٦- ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلا تَنسَى﴾، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لَهُ، بِأَنَّهُ سَيُقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا.

٧- ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ[(٣)]: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْسَى شَيْئًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلا تَنْسَى﴾ طَلَبٌ، وَجَعَلُوا مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا ما يقع من النَّسْخِ، أَيْ: لَا تَنْسَى مَا نُقْرِئُكَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفْعَهُ؛ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾، أَيْ: يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ، وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

٨- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾، أَيْ: نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ، وَأَقْوَالَهُ، وَنُشَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا، سَمْحًا، مُسْتَقِيمًا، عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ.

٩- ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: ذَكِّرْ حَيْثُ تَنْفَعُ التَّذْكِرَةُ، وَمِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **مَا أَنْتَ بِمحدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ**[(١)]، وَقَالَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا**

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧١، وعزاه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/ ٤٨٣ إلى: عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم.

(١) مقدمة صحيح مسلم، ١/ ١١ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!»[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فذكر إن نفعت الذكرى**﴾ يعني: ذكر الناس، ذكرهم بآيات الله، ذكرهم بأيام الله، عظهم ﴿**إن نفعت الذكرى**﴾ يعني: في محل تنفع فيه الذكرى، وعلى هذا فتكون «إن» شرطية، والمعنى إن نفعت الذكرى فذكر، وإن لم تنفع فلا تذكر؛ لأنه لا فائدة من تذكير قوم نعلم أنهم لا يتفعون، هذا ما قيل في هذه الآية، وقال بعض العلماء: المعنى ذكر على كل حال، إن كان هؤلاء القوم تنفع فيهم الذكرى، فيكون الشرط هنا ليس المقصود به أنه لا يُذكر إلا إذا نفعت، بل المعنى ذكر إن كان هؤلاء القوم ينفع فيهم التذكير، فالمعنى على هذا القول: ذكر بكل حال، والذكرى سوف تنفع، تنفع المؤمنين، وتنفع الُمذكِّر أيضاً، فالمذكر متفع على كل حال، والمذكر إن انتفع بها فهو مؤمن، وإن لم يتفع بها؛ فإن ذلك لا ينقص من أجر المذكر شيئاً، فذكر سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع، وقال بعض العلماء: إن ظن أن الذكرى تنفع وجبت، وإن ظن أنها لا تنفع، فهو مخير إن شاء ذكر، وإن شاء لم يذكر، ولكن على كل حال نقول: لابد من التذكير حتى وإن ظننت أنها لا تنفع، فإنها سوف تنفعك أنت، وسوف يعلم الناس أن هذا الشيء الذي ذكرت عنه إما واجب، وإما حرام، وإذا سكتَّ والناس يفعلون المحرم، قال الناس: لو كان هذا محرماً لذكَّر به العلماء، أو لو كان هذا واجباً لذكَّر به العلماء، فلابد من التذكير ولابد من نشر الشريعة سواء نفعت أم لم تنفع»[٢].

١٠- ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**﴾، أَيْ: سَيَتَّعِظُ بِمَا تُبَلِّغُهُ - يَا مُحَمَّدُ - مَنْ قَلْبُهُ يَخْشَى اللَّهَ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ[٣].

وقال العلامة الن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى**﴾ فبين تعالى أن الناس ينقسمون بعد الذكرى إلى قسمين:

القسم الأول: من يخشى الله عَزَّ وَجَلَّ، أي: يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق

---

(١) صحيح البخاري، برقم ١٢٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٦٨- ١٦٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٤.

جل وعلا، فهذا إذا ذكر بآيات ربه تذكر، كما قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، فمن يخشى الله ويخاف الله إذا ذكر، ووعظ بآيات الله اتعظ وانتفع.

أما القسم الثاني: فقال: ﴿**ويتجنبها الأشقى**﴾ أي: يتجنب هذه الذكرى، ولا ينتفع بها الأشقى، و﴿**الأشقى**﴾ هنا اسم تفضيل من الشقاء، وهو ضد السعادة كما في سورة هود: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ**﴾ [هود: ١٠٦]، ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ**﴾ [هود: ١٠٨]، فالأشقى المتصف بالشقاوة يتجنب الذكرى، ولا ينتفع بها، والأشقى هو البالغ في الشقاوة غايتها، وهذا هو الكافر، فإن الكافر يذكر، ولا ينتفع بالذكرى»[(١)].

١١- ١٣- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾، أَيْ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ، بَلْ هِيَ مُضِرَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ بِسَبَبِهَا يَشْعُرُ مَا يُعَاقَبُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ، وَأَنْوَاعِ النَّكَالِ.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أُنَاسٌ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ، فَيُمِيتُهُمْ فِي النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ أَنْصَارَهُ فَيُنْبِتُهُمْ**»، أَوْ قَالَ: «**يَنْبُتُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاءِ**»، أَوْ قَالَ: «**الْحَيَاةِ**»، أَوْ قَالَ: «**الْحَيَوَانِ**»، أَوْ قَالَ: «**نَهَرِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحبَّة فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضْرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ**»، أَوْ قَالَ: «**تَكُونُ صَفْرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ ثُمَّ تَكُونُ خَضْرَاءَ**" **قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ** »[(٢)].

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿**وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾ [الزُّخْرُفِ:٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ**

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٦٩.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٥٩، وصحح إسناده محققو المسند، ١٧/ ٦٠، وفي صحيح مسلم، برقم ١٨٥، ولفظه: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ».

مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى[١].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) ﴾.

١٤- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، أَيْ: طَهَّر نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

١٥- ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، أَيْ: أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَامْتِثَالًا لِشَرْعِ اللَّهِ[٢].

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ سَائِلٌ، وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَلْيُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِهِ زَكَاتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾: زَكَّى مَالَهُ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ[٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: قد فاز، وربح من طهّر نفسه، ونقّاها من الشرك، والظلم، ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: اتصف بذكر اللَّه، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي اللَّه، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة»[٤].

١٦- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أَيْ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبْدُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَصَلَاحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ، وَمَعَادِهِمْ.

١٧- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أَيْ: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دنيّة فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَة شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُكُ الاِهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ؟!

وَعَنْ عَرْفَجَة الثَّقَفِيِّ قَالَ: اسْتَقْرَأْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تَرَكَ الْقِرَاءَة، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: آثَرْنَا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: آثَرْنَا الدُّنْيَا لِأَنَّا رَأَيْنَا زِينَتَهَا، وَنِسَاءَهَا، وَطَعَامَهَا، وَشَرَابَهَا، وزُوِيت عَنَّا الْآخِرَةُ، فَاخْتَرْنَا هَذَا الْعَاجِلَ، وَتَرَكْنَا الْآجِلَ[1].

وَهَذَا مِنْهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَاضُعِ، وَالْهَضْمِ، أَوْ هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْجِنْسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، ومَن أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يبقى عَلَى مَا يَفْنَى»[2].

١٨- ١٩- ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النَّجم:٣٧]، قَالَ: وفَّى ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النَّجم:٣٨][3].

يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النَّجم: ٣٦-٤٢] الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهِنَّ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ-فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ يَقُولُ: الْآيَاتُ الَّتِي فِي سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى[4].

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى[5].

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٥.

(٢) مسند أحمد، ٣٢/ ٤٧٠، برقم ١٩٦٩٧، ورقم ١٩٦٩٨وحسنه لغيره محققو المسند.

(٣) سنن النسائي الكبرى، ٦/ ٥١٣، برقم ١١٦٦٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٢٥٨، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٦.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.

مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى *بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ثُمَّ قَالَ: **﴿إِنَّ هَذَا﴾**، أَيْ: مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ **﴿لَفِي الصُّحُفِ الأولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾**[١].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَابْنِ زَيْدٍ، نحوُه. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٢].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «**﴿إِنَّ هَذَا﴾** المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة **﴿لَفِي الصُّحُفِ الأولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾** اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد ﷺ.

فهذه أوامر في كل شريعة؛ لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان»[٣].



(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

٨٨ -سُورَةِ الْغَاشِيَة

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلاَةِ الْعِيدِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ[(١)].

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ سَأَلَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ: بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ مَعَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾.

الْغَاشِيَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ وتَعُمّهم[(٣)].

١- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يَعْنِي: قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقِيَامَةِ، تَغْشَى كُلَّ شَيْءٍ بِالْأَهْوَالِ»[(٤)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ يجوز أن يكون الخطاب موجهاً للرسول ﷺ وحده، وأمته تبعاً له، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يتأتّى خطابه، والاستفهام هنا للتشويق، فهو كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠]، ويجوز أن يكون للتعظيم لعظم هذا الحديث عن الغاشية ﴿حديث الغاشية﴾ أي: نبأها وخبرها، و﴿الغاشية﴾ هي الداهية العظيمة التي

---

(١) مسلم، برقم ٨٧٨.

(٢) موطأ مالك، ١/ ١١١، برقم ١٩، وسنن أبي داود، برقم ١١٢٣، وسنن النسائي، برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم، برقم ٨٧٨، وسنن ابن ماجه، ١١١٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٨.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٧٨.

تغشى الناس، وهي يوم القيامة التي تحدث الله عنها في القرآن كثيراً، ووصفها بأوصاف عظيمة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]»[(١)].

٢- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾، أَيْ: ذَلِيلَةٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخْشَعُ، وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خَاشِعَةٌ﴾ من الذل، والفضيحة والخزي»[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾: «خاشعة» أي: ذليلة كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، فمعنى خاشعة يعني ذليلة»[(٤)].

٣- ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾، أَيْ: قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا، وَنَصَبَتْ فِيهِ، وَصَلِيَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا حامية.

رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ عن أَبِي عِمْرَانَ الجوني يَقُولُ: «مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِدَيْرِ رَاهِبٍ، قَالَ: فَنَادَاهُ: يَا رَاهِبُ، يَا رَاهِبُ، فَأَشْرَفَ، قَالَ: فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يُبْكِيكَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، فَذَاكَ الَّذِي أَبْكَانِي»[(٥)].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: النَّصَارَى[(٦)].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ: ﴿عَامِلَةٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، ﴿نَاصِبَةٌ﴾ فِي

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٥- ١٧٦.
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٦٧، وجوّد إسناده الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق، ٢/ ٦١٧.
(٦) البخاري، بعد الحديث رقم ٤٩٤١.

النَّارِ بِالْعَذَابِ، وَالْأَغْلَالِ[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ عَمِلُوا، وَنَصَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِثْلَ الرُّهْبَانِ، وَغَيْرِهِمْ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمُ اجْتِهَادًا فِي ضَلَالَةٍ، يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَمَعْنَى النَّصَبِ: الدَّأْبُ فِي الْعَمَلِ بِالتَّعَبِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ: عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ فِي النَّارِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَامِلَةٌ فِي النَّارِ، نَاصِبَةٌ فِيهَا، قَالَ الْحَسَنُ: لَمْ تَعْمَلْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَأَعْمَلَهَا، وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ بِمُعَالَجَةِ السَّلَاسِلِ، وَالْأَغْلَالِ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: تَخُوضُ فِي النَّارِ كَمَا تَخُوضُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَجْرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يُكَلَّفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي النَّارِ، وَالْكَلَامُ خَرَجَ عَلَى «الْوُجُوهِ»، وَالْمُرَادُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا»[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أي: تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في الدنيا؛ لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه، وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنى، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة؛ ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ عاملة عملاً يكون به

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٧٨.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.

النصب، وهو التعب، قال العلماء: وذلك أنهم يكلفون يوم القيامة بجر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم، كما يخوض الرجل في الوحل، فهي عاملة، تعبة من العمل الذي تكلف به يوم القيامة؛ لأنه عمل عذاب وعقاب، وليس المعنى كما قال بعضهم إن المراد بها: الكفار الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وذلك لأن الله قيد هذا بقوله: «﴿وجوه يومئذ﴾ أي: يومئذ تأتي الغاشية، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة، إذن فهي عاملة ناصبة بما تكلف به من جر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم أعاذنا الله منها»[(١)].

٤- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، أَيْ: حَارَةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: تدخل في نار جهنم، والنار الحامية التي بلغت من حموها أنها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا، يعني نار الدنيا كلها، بما فيها، من أشد ما يكون من حرارة نار جهنم أشد منها بتسعة وستين جزءًا، ويدلك على شدة حرارتها أن حرارة الشمس تصل إلينا مع بُعد ما بيننا وبينها، ومع أنها تنفذ من خلال أجواء باردة غاية البرودة، وتصل لنا هذه الحرارة التي تدرك، ولاسيما في أيام الصيف، فالنار نار حامية»[(٣)].

٥- ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾، أَيْ: قَدِ انْتَهَى حَرّها وَغَلَيَانُهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ[(٤)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: حارة شديدة الحرارة ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، فهذا شرابهم»[(١)].

٦- ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.
(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.

عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الزَّقُّومُ، وَعَنْهُ: أَنَّهَا الْحِجَارَةُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الشِّبرِقُ، قَالَ قَتَادَةُ: قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ فِي الرَّبِيعِ الشِّبرِقُ، وَفِي الصَّيْفِ الضَّرِيعُ، قَالَ عِكْرِمَةُ: وَهُوَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَاطِئَةٌ بِالْأَرْضِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[1]: قَالَ مُجَاهِدٌ: الضريعُ نبتٌ يُقَالُ لَهُ: الشِّبرِقُ، يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ: الضريعَ إِذَا يَبِسَ، وَهُوَ سُمٌّ.

وَقَالَ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: هُوَ الشِّبرِقُ، إِذَا يَبِسَ، سُمّي الضَّرِيعَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ، وَأَبْشَعِهِ، وَأَخْبَثِهِ»[2].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ نَبْتٌ ذُو شَوْكٍ لَاطِئٍ بِالْأَرْضِ، تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ الشَّبْرَقَ، فَإِذَا هَاجَ سَمَّوْهَا الضَّرِيعَ، وَهُوَ أَخْبَثُ طَعَامٍ وَأَبْشَعُهُ»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، الضريع: قالوا: إنه شجر ذو شوك عظيم، إذا يبس لا يرعاه ولا البهائم، وإن كان أخضر رعته الإبل، ويسمى عندنا الشبرق، فهم، والعياذ بالله، في نار جهنم، ليس لهم طعام إلا من هذا الضريع، ولكن لا تظن أن الضريع الذي في نار جهنم كالضريع الذي في الدنيا، فهو يختلف عنه اختلافاً عظيماً»[1].

٧- ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، يَعْنِي: لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا

(١) البخاري، بعد الحديث رقم ٤٩٤١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣١.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٧٨.
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٨.

يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، فلا ينفعها في باطنها، فهو لا خير فيه، ليس فيه إلا الشوك، والتجرع العظيم، والمرارة، والرائحة المنتنة التي لا يستفيدون منها شيئاً»[(٢)].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعَدَاءِ فَقَالَ:

٨- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نَاعِمَةٌ﴾، أَيْ: يُعْرَفُ النَّعِيمُ فِيهَا، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا.

٩- وَقَالَ سُفْيَانُ: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾، قَدْ رَضِيَتْ عَمَلَهَا.

١٠- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، أَيْ: رَفِيعَةٌ، بَهِيَّةٌ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ.

١١- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ أَيْ: لَا يُسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ. كَمَا قَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا﴾ [مَرْيَم:٦٢]، وَقَالَ: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّور:٢٣]، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا﴾ [الْوَاقِعَة: ٢٥- ٢٦].

١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، أَيْ: سَارِحَةٌ، وَهَذِهِ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ، يَعْنِي: فِيهَا عُيُونٌ جَارِيَاتٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجُرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ-أَوْ: مِنْ تَحْتِ جِبَالِ-الْمِسْكِ»[(١)].

١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾، أَيْ: عَالِيَةٌ نَاعِمَةٌ كَثِيرَةُ الْفَرْشِ، مُرْتَفِعَةُ السَّمْك، عَلَيْهَا الْحُورُ الْعِينُ، قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣١.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٨.

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٢٢، وصحيح ابن حبان، ١٦/ ٤٢٣، برقم ٧٤٠٨، وحسنه محققه، وهو في البعث والنشور للبيهقي، برقم ٢٦٦.

السُّرُرِ الْعَالِيَةِ تَوَاضَعَتْ لَهُ.

١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، يَعْنِي: أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ، مُرصدة لِمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا.

١٥- ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّمَارِقُ: الْوَسَائِدُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

١٦- ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الزَّرَابِيُّ: الْبُسُطُ، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَمَعْنَى مَبْثُوثَةٍ، أَيْ: هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا[1].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ:

١٧- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ فَإِنَّهَا خلق عَجِيبٌ، وَتَرْكِيبُهَا غَرِيبٌ، فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينُ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ، وَتَنْقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ، وَتُؤْكَلُ، وَيُنْتَفَعُ بِوَبَرِهَا، وَيُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَنُبِّهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ غَالِبُ دَوَابِّهِمْ كَانَتِ الْإِبِلُ، وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَقُولُ: اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

١٨- ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ أَيْ: كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ ﷻ عَنِ الْأَرْضِ هَذَا الرَّفْعَ الْعَظِيمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

١٩- ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، أَيْ: جُعِلَتْ مَنْصُوبَةً قَائِمَةً ثَابِتَةً، رَاسِيَةً لِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَعَادِنِ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٢.

٢٠- ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ أَيْ: كَيْفَ بُسِطَتْ، وَمُدَّتْ، وَمُهِّدَتْ، فنبَّه الْبَدَوِيَّ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ بَعِيرِهِ الَّذِي هُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاءِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ، وَالْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَهُ، وَالْأَرْضِ الَّتِي تَحْتَهُ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ ذَلِكَ، وَصَانِعِهِ، وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ، الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ الْمَالِكُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ[1]، وَهَكَذَا أَقْسَمَ «ضِمَام» فِي سُؤَالِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ أَتَانَا رسولُك فزعم لَنَا أَنَّكَ تزعُم أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رسولُك أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا؟ قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ صَدَقَ ليدخُلَنّ الْجَنَّةَ**»، وقال في آخره: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[2].

٢١- ٢٢- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾، أَيْ: فَذَكِّرْ -يَا مُحَمَّدُ- النَّاسَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٣.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٤٤١، برقم ١٢٤٥٧، وصححه محققو المسند، وهو في المسند كما هنا مع نقص في فقرة: «قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ...». وهو في صحيح البخاري، برقم ٦٣، وصحيح مسلم، برقم ١٢.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾[(١)]، وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)]، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِدُونِ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فذكر**﴾ أمره الله أن يذكر، ولم يخصص أحداً بالتذكير، أي: لم يقل: ذكّر فلاناً وفلاناً، فالتذكير عام؛ لأن الرسول ﷺ بُعث إلى الناس كافة، أي: ذكّر كل أحد في كل حال، وفي كل مكان، فذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذكّر خلفاؤه من بعده الذين خلفوه في أمته، في العلم، والعمل، والدعوة، ولكن هذه الذكرى هل ينتفع بها كل الناس؟ الجواب: لا، ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات: ٥٥]، أما غير المؤمن؛ فإن الذكرى تقيم عليه الحجة، لكن لا تنفعه، لا تنفع الذكرى إلا المؤمن، ونقول: إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى، فاتهمه، لأن الله يقول: ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، فإذا ذُكرت، ولم تجد من قلبك تأثراً وانتفاعاً، فاتهم نفسك، واعلم أن فيك نقص إيمان؛ لأنه لو كان إيمانك كاملاً، لانتفعت بالذكرى، لأن الذكرى لابد أن تنفع المؤمنين، ﴿**إنما أنت مذكر**﴾ يعني أن محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس إلا مذكراً مبلغاً، وأما الهداية فبيد الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقد قام ﷺ بالذكرى والتذكير إلى آخر رمق من حياته، حتى أنه في آخر حياته يقول: «**الصلاةَ، الصلاةَ، وما ملكت أيمانكم**»[(١)]، حتى جعل يغرغر بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فذكّر صلوات الله وسلامه عليه منذ بعث، وقيل له: ﴿**قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: ٢]، إلى أن توفاه الله، لم يألُ جهداً في التذكير في كل موقف، وفي كل

---

(١) مسند أحمد، ٢٢/ ١١٩، برقم ١٤٢٠٩، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٢١.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٩٤٦، وصحيح مسلم، برقم ٢١.

(١) مسند الإمام أحمد، ١٩/ ٢٠٩، برقم ١٢١٦٩، وصححه محققو المسند، وسنن ابن ماجه، برقم ١٦٢٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧٩، برقم ٢٢٨٥.

زمان على ما أصابه من الأذى من قومه، ومن غير قومه»[(١)].

٢٣- ﴿إلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾، أَيْ: تَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ، وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بِجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١- ٣٢]؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٢٤- ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأكْبَرَ﴾، وَعن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ مَرَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَلْيَنِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَلَى اللَّهِ شِراد الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ يعني: ليس لك سلطة عليهم، ولا سيطرة عليهم، السلطة لله رب العالمين، أنت عليك البلاغ بلغ، والسلطان والسيطرة لله عز وجل، ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ قال العلماء: «إلا» هنا بمعنى «لكن»، يعني أن الاستثناء في الآية منقطع، وليس بمتصل، والفرق بين المتصل والمنقطع أن المتصل يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع يكون أجنبيًّا منه، فمثلاً لو قلنا: إنه متصل لصار معنى الآية: «لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فأنت عليهم مصيطر»، وليس الأمر كذلك؛ بل المعنى: لكن من تولى وكفر، بعد أن ذكرته، فيعذبه الله العذاب الأكبر، فمن تولى وكفر بعد أن بلغه الوحي النازل على رسول الله ﷺ؛ فإنه سيعذب، ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ التولي يعني: الإعراض، فلا يتجه للحق، ولا يقبل الحق، ولا يسمع الحق، حتى لو سمعه بأذنه لم يسمعه بقلبه، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠- ٢١]، أي: لا ينقادون، فهنا يقول عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ «تولى»: أعرض، «وكفر»: أي: استكبر، ولم يقبل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾، والعذاب الأكبر يوم القيامة، وهنا قال «الأكبر»، ولم يذكر

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٨٥.

(٢) مسند أحمد، ٣٦/ ٥٦٠، برقم ٢٢٢٢٦، وحسّن إسناده محققو المسند.

المفضل عليه، يعني لم يقل: الأكبر من كذا، فهو قد بلغ الغاية في الكبر، والمشقة، والإهانة، وكل من تولى وكفر؛ فإن الله يعذبه العذاب الأكبر، وهناك عذاب أصغر في الدنيا، قد يبتلى المتولي المعرض بأمراض في بدنه، أو في عقله، أو في أهله، أو في ماله، أو في مجتمعه، وكل هذا بالنسبة لعذاب النار عذاب أصغر، لكن العذاب الأكبر، إنما يكون يوم القيامة»[(١)].

٢٥- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، أَيْ: مَرْجِعَهُمْ وَمُنْقَلَبَهُمْ.

٢٦- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، أَيْ: نَحْنُ نُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَنُجَازِيهِمْ بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ[(٢)].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص١٨٦- ١٨٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٦.

٨٩ - سُورَةِ الْفَجْرِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «صَلَّى مُعَاذٌ صَلَاةً، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ فطَول، فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: مُنَافِقٌ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ الْفَتَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوّل عَلَيّ، فَانْصَرَفْتُ وصليتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلَّقْتُ نَاضِحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَتَّان يَا مُعَاذُ؟»[(١)]، «أَيْنَ أَنْتَ مِن: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾»[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾

١- أَمَّا الْفَجْرُ فَمَعْرُوفٌ، وَهُوَ: الصُّبْحُ. قَالَهُ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ.

وَعَنْ مَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: الْمُرَادُ بِهِ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ خَاصَّةً، وَهُوَ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُفْعَلُ عِنْدَهُ، كَمَا قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ النَّهَارِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٣)].

---

(١) سنن النسائي، برقم ٨٣١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٥٦.

(٢) سنن النسائي الكبرى، ٦/ ٥١٥، برقم ١١٦٧٣، ولفظه: «عن جابر قال : صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلي معه فطول علي فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**أفتانًا يا معاذ فأين أنت من سبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والفجر والليل إذا يغشى**»، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٢٨.

(٣) **تفسير ابن كثير**، ١٤/ ٣٣٧.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفَجْرِ، رَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ انْفِجَارُ الصُّبْحِ كُلَّ يَوْمٍ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وقال عطية: عند صلاة الصبح، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ فَجْرُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ تَنْفَجِرُ مِنْهُ السَّنَةُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: فَجْرُ ذِي الحجة؛ لأنه قرن بِهِ اللَّيَالِي الْعَشْرُ»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**والفجر**﴾ هو النور الساطع الذي يكون في الأفق الشرقي قرب طلوع الشمس، وبينه وبين طلوع الشمس ما بين ساعة واثنتين وثلاثين دقيقة، إلى ساعة وسبع عشرة دقيقة، ويختلف باختلاف الفصول، فأحياناً تطول الحصة ما بين الفجر وطلوع الشمس، وأحياناً تقصر حسب الفصول، والفجر فجران: فجر صادق، وفجر كاذب، والمقصود بالفجر هنا: الفجر الصادق، والفرق بين الفجر الصادق والكاذب من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الفجر الكاذب يكون مستطيلاً في السماء ليس عرضاً، ولكنه طولاً، وأما الفجر الصادق يكون عرضاً يمتد من الشمال إلى الجنوب.

الفرق الثاني: أن الفجر الصادق لا ظلمة بعده، بل يزداد الضياء حتى تطلع الشمس، وأما الفجر الكاذب؛ فإنه يحدث بعده ظلمة بعد أن يكون هذا الضياء، ولهذا سمي كاذباً؛ لأنه يضمحل ويزول.

الفرق الثالث: أن الفجر الصادق متصل بالأفق، أما الفجر الكاذب فبينه وبين الأفق ظلمة، هذه ثلاثة فروق آفاقية حسية، يعرفها الناس إذا كانوا في البر، أما في المدن، فلا يعرفون ذلك؛ لأن الأنوار تحجب هذه العلامات.

وأقسم اللَّه بالفجر؛ لأنه ابتداء النهار، وهو انتقال من ظلمة دامسة إلى فجر ساطع، وأقسم اللَّه به؛ لأنه لا يقدر على الإتيان بهذا الفجر إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ كما قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**﴾ [القصص: ٧١]، وأقسم اللَّه بالفجر؛ لأنه يترتب عليه أحكام شرعية، مثل: إمساك الصائم، فإنه إذا طلع الفجر، وجب على الصائم أن

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١.

يمسك إذا كان صومه فرضاً أو نفلاً، إذا أراد أن يتم صومه، ويترتب عليه أيضاً: دخول وقت صلاة الفجر، وهما حكمان شرعيان عظيمان، أهمهما دخول وقت الصلاة، أي: أنه يجب أن نراعي الفجر من أجل دخول وقت الصلاة، أكثر مما نراعيه من أجل الإمساك في حالة الصوم؛ لأننا في الإمساك عن المفطرات في الصيام لو فرضنا أننا أخطأنا، فإننا بنينا على أصل، وهو بقاء الليل، لكن في الصلاة لو أخطأنا وصلينا قبل الفجر، لم نكن بنينا على أصل؛ لأن الأصل بقاء الليل وعدم دخول وقت الصلاة؛ ولهذا لو أن الإنسان صلى الفجر قبل دخول وقت الصلاة بدقيقة واحدة، فصلاته نفل، ولا تبرأ بها ذمته، ومن ثَمَّ ندعوكم إلى ملاحظة هذه المسألة، أعني العناية بدخول وقت صلاة الفجر؛ لأن كثيراً من المؤذنين يؤذنون قبل الفجر، وهذا غلط؛ لأن الأذان قبل الوقت ليس بمشروع؛ لقول النبي ﷺ: «**فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ**»[(١)]، ويكون حضور الصلاة إذا دخل وقتها، فلو أذَّن الإنسان قبل دخول وقت الصلاة، فأذانه غير صحيح، ويجب عليه الإعادة، والعناية بدخول الفجر مهمة جداً، من أجل مراعاة وقت الصلاة»[(٢)].

٢- وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ: الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» يَعْنِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»[(٣)].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ، حكاه أبو جعفر ابن جَرِيرٍ وَلَمْ يَعْزُهُ إِلَى أَحَدٍ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٣١، وصحيح مسلم، برقم ٦٧٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٩٠- ١٩٢.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٩٦٩، ولفظه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ»، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»، واللفظ المذكور في صحيح ابن خزيمة، برقم ٢٨٦٥، وسنن أبي داود، برقم ٢٤٣٨، وسنن الترمذي، برقم ٧٥٧، وسنن ابن ماجه، برقم ١٧٢٧، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٢٤٨.

وَقَدْ رَوَى أَبُو كُدَيْنة، عَنْ قَابُوس بْنُ أَبِي ظِبْيان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، قَالَ: هُوَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ رَمَضَانَ، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ[١].

وعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**»[٢].

وأقوال المفسرين محصورة في أربعة أقوال:

القول الأول: إنها العشر الأول من ذي الحجة، والقول الثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، والقول الثالث: أنها العشر الأول من محرم التي عاشرها يوم عاشوراء، والقول الرابع: أنها العشر الأول من رمضان.

ذكر هذا القول عن الضحاك، والقول الصحيح إن شاء الله تعالى ما صححه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنها العشر الأول من ذي الحجة، والله تعالى أعلم[٣].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليال عشر»: عشر ذي الحجة، وأطلق على الأيام ليالي؛ لأن اللغة العربية واسعة، قد تطلق الليالي، ويراد بها الأيام، والأيام ويراد بها الليالي، وقيل: المراد بـ«ليال عشر» ليالي العشر الأخيرة من رمضان، أما على الأول: الذين يقولون: المراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة؛ فلأن عشر ذي الحجة أيام فاضلة، قال فيها النبي ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه، وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء**»[٤]، وأما الذين قالوا: إن المراد بالليالي العشر هي ليال عشر رمضان الأخيرة، فقالوا: إن الأصل في الليالي أنها الليالي، وليست الأيام، وقالوا: إن ليالي العشر الأخيرة من رمضان، فيها ليلة القدر التي قال الله عنها ﴿**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ٣]، وقال: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٧.

(٢) مسند أحمد، ٢٢/ ٣٨٩، برقم ١٤٥١١، وقال محققو المسند: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وأخرجه النسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤- برقم ٤٠٨٦، ورقم ١١٦٠٧، و١١٦٠٨، والطبري، ٢٤/ ٣٩٧، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٨، وأضواء البيان، ٧/ ٢١٠، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٨٦.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٩٦٩.

﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣- ٤]، وهذا القول أرجح من القول الأول، وإن كان القول الأول هو قول الجمهور، لكن اللفظ لا يسعف قول الجمهور، وإنما يرجح القول الثاني أنها الليالي العشر الأواخر من رمضان، وأقسم الله بها لشرفها؛ ولأن فيها ليلة القدر؛ ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو وقت فريضة من فرائض الإسلام، وأركان الإسلام؛ فلذلك أقسم الله بهذه الليالي»[(١)].

قلت: والصواب ما تقدم في حديث جابر ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**»[(٢)].

وقال **الإمام الطبري** ﵀ في تفسيره وقال: «اختلف أهل التأويل في هذه الليالي العشر، أي ليالٍ هي: فقال بعضهم: هي ليالي عشر ذي الحجة، ثم ذكر ذلك عن ابن عباس، وعن عبد الله بن الزبير، وعن مسروق، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، ثم استدل بحديث جابر عن النبي ﷺ، وساقه بإسناده[(٣)].

ويؤكد ذلك ما قاله **الإمام ابن كثير** ﵀: «والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف، ... ثم ذكر بعض الأقوال الأخرى، ثم قال: «والصحيح القول الأول»؛ ثم استدل بحديث جابر المذكور[(٤)]، فإذا ثبت حديث جار عن النبي ﷺ، فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ.

٣- ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾، قَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ؛ لِكَوْنِهِ التَّاسِعَ، وَأَنَّ الشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ لِكَوْنِهِ الْعَاشِرَ، وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ،

---

(١) تفسير القرآن الكريم «جزء عم» للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٢- ١٩٣.
(٢) مسند أحمد، برقم ١٤٥١١، وقال محققو السند: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وأخرجه النسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤، برقم ٤٠٨٦، ورقم ١١٦٠٧، ورقم ١١٦٠٨، والطبري، ٢٤/ ٣٩٧، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤/ ٣٩٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٨.

وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ أَيْضًا.

قَوْلٌ ثَانٍ: عن واصل ابن السَّائِبِ قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءً عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قلتُ: صَلَاتُنَا وِتْرَنَا هَذَا؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّ الشَّفْعَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْوَتْرَ لَيْلَةُ الْأَضْحَى.

قَوْلٌ ثَالِثٌ: وخطب النَّاسَ عبد الله ابن الزُّبَيْرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رجلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، فَقَالَ: الشَّفْعُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿**فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾، وَالْوَتْرُ قَوْلُهُ: ﴿**وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ [الْبَقَرَة: ٢٠٣].

وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أيضاً: الشَّفْعُ أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَالْوَتْرُ آخِرُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ[(١)].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيرة، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنْ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وهو وتر يحب الوتر**»[(٢)].

قَوْلٌ رَابِعٌ: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ شَفْعٌ، وَوِتْرٌ، أَقْسَمَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ الأول.

وَقَالَ العَوفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قَالَ: اللَّهُ وِتْرٌ وَاحِدٌ، وَأَنْتُمْ شَفْعٌ، وَيُقَالُ: الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ.

قَوْلٌ خَامِسٌ: عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قَالَ: الشَّفْعُ الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ ﷻ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ: اللَّهُ الْوَتْرُ، وَخَلْقُهُ الشَّفْعُ: الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ شَفْعٌ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَنَحْوُ هَذَا، وَنَحَا مُجَاهِدٌ فِي هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الذَّارِيَاتِ:٤٩]، أَيْ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ وَاحِدٌ.

قَوْلٌ سَادِسٌ: قَالَ قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وقَوْلٌ سَابِعٌ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمَا: هِيَ الصَّلَاةُ، مِنْهَا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري، ٦٤١٠، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٧٧.

شَفْعٌ كَالرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّنَائِيَّةِ، وَمِنْهَا وَتْرٌ كَالْمَغْرِبِ، فَإِنَّهَا ثَلَاثٌ، وَهِيَ وَتْرُ النَّهَارِ، وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْوِتْرِ فِي آخِرِ التَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ(١).

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: «الْوِتْرُ» بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، وَاخْتَلَفُوا فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، قِيلَ: الشَّفْعُ: الْخَلْقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨]، وَ«الْوَتْرُ» هُوَ اللَّهُ عَجَلَّ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمَسْرُوقٌ: «الشَّفْعُ»: الْخَلْقُ كُلُّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]: الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةَ، وَالسَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَالْوَتْرُ هُوَ اللَّهُ عَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ: «**الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ**» الْخَلْقُ كُلُّهُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَرَوَى قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: هُوَ الْعَدَدُ مِنْهُ شَفْعٌ وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمَا الصَّلَوَاتُ، مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا، وَرَوَى عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، وعن عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «الشَّفْعُ»: يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ، وَ«الْوَتْرُ»: يَوْمُ النَّفْرِ الْأَخِيرِ، رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيَالِي الْعَشْرِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ: فَقَوْلُ اللَّهِ عَجَلَّ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، فَهُمَا الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ، وَأَمَّا اللَّيَالِي الْعَشْرُ: فَالثَّمَانِ وَعَرَفَةُ وَالنَّحْرُ، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: «الشَّفْعُ»: الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَ«الْوَتْرُ»: الْيَوْمُ الَّذِي لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: «الشَّفْعُ»: دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا ثَمَانٍ، وَ«الْوَتْرُ»: دَرَكَاتُ النَّارِ؛ لِأَنَّهَا سَبْعٌ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالْجَنَّةِ والنار، وسئل أبو بكر الْوَرَّاقُ عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ فَقَالَ: «الشَّفْعُ»: تَضَادُّ أَخْلَاقِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعِزِّ وَالذُّلِّ، وَالْقُدْرَةِ وَالْعَجْزِ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَالْبَصَرِ وَالْعَمَى، وَ«الْوَتْرُ»: انْفِرَادُ صِفَاتِ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٠٠.

اللَّهِ: عِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ، وَقُوَّةٌ بِلَا ضَعْفٍ، وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، وَحَيَاةٌ بِلَا مَوتٍ» [(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمرًا ظاهرًا مهمًا، وهو كذلك في هذا الموضع، فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل، ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل، وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها؛ ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات، والقربات ما لا يقع في غيرها، وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام، وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر، ولا أدحر منه في يوم عرفة؛ لما يرى من تنزل الأملاك، والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها» [(٢)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَمْ يَجْزِمِ ابْنُ جَرِيرٍ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» [(٣)].

وقال في **أضواء البيان**: «﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا، وَمَجْمُوعُهَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَمَّا جُمْلَةً، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْوَتْرُ هُوَ اللَّهُ ؛ لِلْحَدِيثِ: «**إِنَّ اللَّهَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ**»، وَمَا سِوَاهُ شَفْعٌ، كَمَا فِي

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١- ٤٨٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٠.

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فَهَذَا شَمِلَ كُلَّ الْوُجُودِ ... وأَمَّا التَّفْصِيلُ، فَقَالُوا: الْمَخْلُوقَاتُ: إِمَّا شَفْعٌ، كَالْحَيَوَانَاتِ أَزْوَاجًا، وَالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالْجَبَلِ، وَالْبَحْرِ، وَالنَّارِ، وَالْمَاءِ، وَهَكَذَا ذَكَرُوا لِكُلِّ شَيْءٍ مُقَابِلَهُ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ الْفَرْدُ كَالْهَوَاءِ، وَكُلُّهَا مِنْ بَابِ الْأَمْثِلَةِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَقْرَبَ الْأَقْوَالِ عِنْدِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ.. وَهُوَ أَنَّ الْوَتْرَ هُوَ اللَّهُ، وَالشَّفْعَ هُوَ الْمَخْلُوقَاتُ جَمِيعُهَا، هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ، وَهُوَ الْأَعَمُّ فِي الْمَعْنَى»[(١)].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والشفع والوتر﴾ قيل: إن المراد به كل الخلق، فالخلق إما شفع، وإما وتر، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، والعبادات إما شفع، وإما وتر، فيكون المراد بالشفع والوتر كل ما كان مخلوقاً من شفع ووتر، وكل ما كان مشروعاً من شفع ووتر، وقيل: المراد بالشفع الخلق كلهم، والمراد بالوتر الله عَزَّوَجَلَّ...والوتر فيها قراءتان صحيحتان: (والوِتر)، (والوَتر)... وإذا كانت الآية تحتمل معنيين، ولا منافاة بينهما، فلتكن لكل المعاني التي تحتملها الآية، وهذه القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين، وأحدهما لا ينافي الآخر، فهي محمولة على المعنيين جميعاً»[(٢)].

قلت وتقدم حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**»[(٣)]، فإذا ثبت فلا قول لأحد مع قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعاً من الشفع، ولا من الوتر دون نوع بخبر، ولا عقل، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا؛ لعموم قَسَمه بذلك»[(٤)]، والعلم عند الله تعالى.

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ إِذَا ذَهَبَ.

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢١٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٣.

(٣) مسند أحمد، برقم ١٤٥١١، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، والنسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤، برقم ٤٨٦، والطبري في التفسير، ٢٤/ ٣٩٧، وتقدم الكلام عليه، وأن محققي المسند، قالوا: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٠٠.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: حَتَّى يُذْهِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةُ، وَمَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِ زَيْدٍ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إِذَا سَارَ.

وَهَذَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَيْ: ذَهَبَ، ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أَيْ: أَقْبَلَ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا أَنْسَبُ؛ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، فَإِنَّ الْفَجْرَ هُوَ إِقْبَالُ النَّهَارِ، وَإِدْبَارُ اللَّيْلِ، فَإِذَا حُمِلَ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ عَلَى إِقْبَالِهِ، كَانَ قَسَمًا بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ، وَإِدْبَارِ النَّهَارِ، وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧-١٨]، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، أَيْ: يَجْرِي.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يَعْنِي: لَيْلَةَ جَمْعٍ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، أَيْ: إِذَا سار، وذهب، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقسم اللَّه أيضاً بـ﴿اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، والسرى: هو السير في الليل، والليل يسير يبدأ بالمغرب، وينتهي بطلوع الفجر، فهو يمشي زمناً لا يتوقف، فهو دائماً في سريان، فأقسم اللَّه به لما في ساعاته من العبادات: كصلاة المغرب، والعشاء، وقيام الليل، والوتر، وغير ذلك؛ ولأن في الليل مناسبة عظيمة، وهي أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له»[(٣)]؛ ولهذا نقول: إن الثلث الآخر من الليل وقت إجابة، فينبغي أن ينتهز الإنسان هذه الفرصة، فيقوم للَّه عَزَّ وَجَلَّ يتهجد، ويدعو اللَّه سبحانه بما شاء من خير الدنيا والآخرة، لعله يصادف ساعة إجابة ينتفع بها في دنياه وأخراه»[(٤)].

٥- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، أَيْ: لِذِي عَقْلٍ، وَلُبٍّ، وَحِجًا،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٤١٠، ومسلم برقم ٢٦٧٧.

(٤) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٤.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ حِجْرًا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَمِنْهُ حِجْرُ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الطَّائِفَ مِنَ اللُّصُوقِ بِجِدَارِهِ الشَّامِيِّ، وَمِنْهُ حِجْرُ الْيَمَامَةِ، وحَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢]، كُلُّ هَذَا مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ، وَمَعْنًى مُتَقَارِبٍ، وَهَذَا الْقَسَمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَبِنَفْسِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَجٍّ، وَصَلَاةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرَبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ لَهُ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ"[1].

٦- وَلَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ، وَعِبَادَتَهُمْ، وَطَاعَتَهُمْ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عُتَاةً جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، جَاحِدِينَ لِكُتُبِهِ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ، وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيث وعبراً، فَقَالَ:

٦- ٧- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: وَهَؤُلَاءِ عَادٌ الْأُولَى، وَهُمْ أَوْلَادُ عَادِ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوص بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا عليه السلام، فَكَذَّبُوهُ، وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧- ٨]، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: عَطْفُ بَيَانٍ؛ زِيَادَةُ تَعْرِيفٍ بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشَّعرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشِّدَادِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خِلْقَةً، وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذكَّرهم هُودٌ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩]، وقال تعالى: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾، وقال تعالى:﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، وَقَالَ هَاهُنَا[١]:

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قَالَ الفَرَّاءُ: أَلَمْ تُخْبَرْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَلَمْ تَعْلَمْ، وَمَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ»[٢].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك، وبصيرتك، كيف فُعِل بهذه الأمم الطاغية، وهي ﴿إِرَمَ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: القوة الشديدة، والعتوّ، والتجبّر»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إرم﴾ هذه اسم للقبيلة، وقيل اسم للقرية، وقيل غير ذلك، فسواء كانت اسماً للقبيلة، أو اسماً للقرية، فإن الله تعالى نكّل بهم نكالاً عظيماً، مع أنهم أقوياء، وقوله: ﴿ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني أصحاب ﴿العماد﴾ الأبنية القوية»[٤].

٨- ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾، أَيِ: الْقَبِيلَةُ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي بِلَادِهِمْ، لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعِظَمِ تَرْكِيبِهِمْ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِرَمَ: أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ، يَعْنِي: عَادًا الْأُولَى، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، والسُّدِّيُّ: إِنَّ إِرَمَ بَيْتُ مَمْلَكَةِ عَادٍ، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْكَلْبِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ، لَا يُقِيمُونَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِطُولِهِمْ.

وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ ابنُ جَرِيرٍ، وَرَدَّ الثَّانِي فَأَصَابَ[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.
(٤)تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٥.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾: أَعَادَ ابْنُ زَيْدٍ الضميرَ عَلَى الْعِمَادِ؛ لِارْتِفَاعِهَا، وَقَالَ: بَنَوْا عُمُدا بِالْأَحْقَافِ، لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَأَمَّا قَتَادَةُ، وَابْنُ جَرِيرٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ عَلَى الْقَبِيلَةِ، أَيْ: لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الْبِلَادِ، يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ، وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَرَادَ ذَلِكَ لَقَالَ: الَّتِي لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾[1].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: فَعَلَى كُلِّ قَوْلٍ، سَوَاءٌ كَانَتِ الْعِمَادُ أَبْنِيَةً بَنَوْهَا، أَوْ أَعْمِدَةَ بُيُوتِهِمْ لِلْبَدْوِ، أَوْ سِلَاحًا يُقَاتِلُونَ بِهِ، أَوْ طُولَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ، فَهُمْ قَبِيلَةٌ، وَأُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، وَهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، الْمَقْرُونُونَ بِثَمُودَ كَمَا هَاهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[2].

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: مَدِينَةٌ إِمَّا دِمَشْقُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعِكْرِمَةَ، أَوِ إِسْكَنْدَرِيَّةُ كَمَا رُوِي عَنِ الْقُرَظِي أَوْ غَيْرُهُمَا، فَفِيهِ نَظَرٌ، فَإِنَّهُ كَيْفَ يَلْتَئِمُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إِنْ جَعَلَ ذَلِكَ بَدَلًا، أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَّسِقُ الْكَلَامُ حِينَئِذٍ، ثُمَّ الْمُرَادُ إِنَّمَا هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ إِهْلَاكِ الْقَبِيلَةِ الْمُسَمَّاةِ بِعَادٍ، وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَد، لَا أَنَّ المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وَإِنَّمَا نَبَّهْتُ عَلَى ذَلِكَ لِئَلَّا يُغْتَرَّ بِكَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، مِنْ ذِكْرِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قُصُورُهَا، وَدَوْرُهَا، وَبَسَاتِينُهَا، وَإِنَّ حَصْبَاءَهَا لَآلِئٌ وَجَوَاهِرُ، وَتُرَابُهَا بَنَادِقُ الْمِسْكِ، وَأَنْهَارُهَا سَارِحَةٌ، وَثِمَارُهَا سَاقِطَةٌ، وَدُورُهَا لَا أَنِيسَ بِهَا، وَسُورُهَا وَأَبْوَابُهَا تَصْفَرُّ، لَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلَا مُجِيبٌ، وَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ، فَتَارَةً تَكُونُ بِأَرْضِ الشَّامِ، وَتَارَةً بِالْيَمَنِ، وَتَارَةً بِالْعِرَاقِ، وَتَارَةً بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ خُرَافَاتِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، مِنْ وَضْعِ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ، لِيَخْتَبِرُوا بِذَلِكَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٤.

عُقُولَ الْجَهَلَةِ مِنَ النَّاسِ أَنْ تُصَدِّقَهُمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ»[(١)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِرَمَ﴾: القبيلة المعروفة في اليمن، ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، أي: القوة الشديدة، والعتوّ والتجبّر»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني أصحاب ﴿العماد﴾: الأبنية القوية ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾، أي: لم يصنع مثلها في البلاد؛ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هو الذي غرهم وقالوا: ﴿مَن أشد منا قوة؟﴾، وفي قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾، مع أن الذي صنعها الادمي، وهذا دليل على أن الآدمي قد يوصف بالخلق فيقال: خلق كذا، ومنه قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المصورين «**يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٣)]، لكن الخلق الذي ينسب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب إلى الله، الخلق المنسوب إلى الله إيجاد بعد عدم وتحويل وتغيير، أما الخلق المنسوب لغير الله، فهو مجرد تحويل وتغيير»[(٤)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقولُ ابْنِ جَرِيرٍ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾ قَبِيلَةً، أَوْ بَلْدَةً كَانَتْ عَادٌ تَسْكُنُهَا؛ فَلِذَلِكَ لَمْ تُصرَف، فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السِّيَاقِ إِنَّمَا هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْقَبِيلَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ[(٥)]:

٩- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾، يَعْنِي: يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِالْوَادِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْحِتُونَهَا، وَيَخْرِقُونَهَا، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَمِنْهُ يُقَالُ: «مُجْتَابِي النِّمَارِ»، إِذَا خَرَقُوهَا، وَاجْتَابَ الثَّوْبَ: إِذَا فَتَحَهُ، وَمِنْهُ الْجَيْبُ أَيْضًا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشُّعَرَاء:١٤٩].

١٠- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَوْتَادُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٩٥٠، وصحيح مسلم، برقم ٢١٠٤.

(٤) تفسير القرآن لابن عثيمين: جزء عم، ص ١٩٥.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

الْجُنُودُ الَّذِينَ يَشُدُّونَ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُقَالُ: كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتِدُ أَيْدِيَهُمْ، وَأَرْجُلَهُمْ فِي أَوْتَادٍ مِنْ حَدِيد، يُعَلِّقُهُمْ بِهَا، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ، قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ يَرْبِطُ الرَّجُلَ، كُلُّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِهِ فِي وَتَدٍ، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهِ صَخْرَةً عَظِيمَةً فَتَشْدَخُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَطَالٌّ وَمَلَاعِبُ، يَلْعَبُ لَهُ تَحْتَهَا، مِنْ أَوْتَادٍ وَحِبَالٍ.

وَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ: قِيلَ لِفِرْعَوْنَ ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى ظَهْرِهَا رَحًى عَظِيمَةً حَتَّى مَاتَتْ»[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ أي: ذي الجنود الذين ثَبَّتُوا ملكه، كما تُثَبِّتُ الأوتاد ما يراد إمساكه بها»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذي الأوتاد﴾ أي: ذي القوة؛ لأن جنوده كانوا له بمنزلة الوتد، والوتد تربط به حبال الخيمة، فتستقر وتثبت، فله جنود أمم عظيمة ما بين ساحر، وكاهن، وغير ذلك؛ لكن اللَّه سبحانه فوق كل شيء»[(٣)].

١١- ١٢- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، أَيْ: تَمَرَّدُوا، وَعَتَوْا، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ، وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ.

١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، أَيْ: أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ، وَأَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً لَا يَرُدُّهَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَسْمَعُ وَيَرَى، يَعْنِي: يَرْصُدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى، وَسَيُعْرَضُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَيْهِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ[(٤)].

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.
(٣) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: جزء عم، ص: ١٩٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٦.

(١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)﴾.

١٥- ١٦- يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيَخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُون:٥٥ - ٥٦].

وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ: إِذَا ابْتَلَاهُ، وَامْتَحَنَهُ، وضَيَّق عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿كَلا﴾، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا، وَلَا فِي هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلٍّ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يَصْبِرَ[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كلا﴾ يعني: لم يعطك ما أعطاك إكراماً لك؛ لأنك مستحق، ولكنه تفضل منه، ولم يهنك حين قدر عليك رزقه، بل هذا مقتضى حكمته وعدله»[(٢)].

١٧- ﴿بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، فِيهِ أَمْرٌ بِالْإِكْرَامِ لَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يعني: أنتم إذا أكرمكم الله عَزَّ وَجَلَّ بالنعم، لا تعطفون على المستحقين للإكرام، وهم اليتامى، فاليتيم هنا اسم جنس، ليس المراد يتيماً واحداً، بل جنس اليتامى، واليتيم قال

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٦.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٠٠٥ ، وفي سنن أبي داود، برقم ٥١٥٠، وسنن الترمذي، برقم ١٩١٨، عَنْ سَهْلِ بْن سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَقَرَنَ بَيْنَ إصبعيه: الوسطى والتي تلي الإبهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٥٤١.

العلماء: هو الذي مات أبوه قبل بلوغه من ذكر أو أنثى، وأما من ماتت أمه فليس بيتيم، وقوله تعالى: ﴿الْيَتِيمَ﴾ يشمل الفقير من اليتامى، والغني من اليتامى؛ لأنه ينبغي الإحسان إليه وإكرامه؛ لأنه انكسر قلبه بفقد أبيه، ومن يقوم بمصالحه، فأوصى الله تعالى به حتى يزول هذا الكسر الذي أصابه»[1].

١٨- ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، يَعْنِي: لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُحِثُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ[2].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، أَيْ: لَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ تَحَاضُّونَ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا أَيْ: لَا يَحُضُّ بعضكم بعضاً عليه»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني لا يحض بعضكم بعضاً على أن يطعم المسكين، وإذا كان لا يحض غيره، فهو أيضاً لا يفعله بنفسه، فهو لا يطعم المسكين، ولا يحض على طعام المسكين، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نكرم الأيتام، وأن يحض بعضنا بعضاً على إطعام المساكين؛ لأنهم في حاجة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[4].

١٩- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾، يَعْنِي: الْمِيرَاثَ ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾، أَيْ: مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ[5].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أَيِ: الْمِيرَاثَ، أَكْلًا لَمًّا، شَدِيدًا، وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ نَصِيبَهُ، وَنَصِيبَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ، وَلَا الصِّبْيَانَ، وَيَأْكُلُونَ نَصِيبَهُمْ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَكْلُ اللَّمُّ الَّذِي يَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ يَجِدُهُ لَا يَسْأَلُ عَنْهُ: أَحَلَالٌ هُوَ أَمْ حَرَامٌ، وَيَأْكُلُ الَّذِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يُقَالُ: لممت عَلَى الْخِوَانِ إِذَا أَتَيْتُ مَا عَلَيْهِ فَأَكَلْتُهُ»[1].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٣٤٨.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا﴾، «التراث»: ما يورثه الله العبد من المال، سواء ورثه عن ميت، أو باع، واشترى، وكسب، أو خرج إلى البر، وأتى بما يأتي به من عشب، وحطب، وغير ذلك، فالتراث ما يرثه الإنسان، أو ما يورثه الله الإنسان من المال؛ فإن بني آدم يأكلونه أكلاً لما»[1].

٢٠- ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أَيْ: كَثِيرًا، زَادَ بَعْضُهُمْ: فَاحِشًا[2].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أي: كثيراً يعني: يحبون جمع المال، ويولعون بِهِ، يُقَالُ: جَمَّ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ إِذَا كَثُرَ وَاجْتَمَعَ»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أي: عظيماً، وهذا هو طبيعة الإنسان، لكن الإيمان له مؤثراته، قد يكون الإنسان بإيمانه، لا يهتم بالمال، وإن جاءه، شكر الله عليه، وأدّى ما يجب، وإن ذهب، لا يهتم به، لكن طبيعة الإنسان من حيث هو كما وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ في هاتين الآيتين»[4].

﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ:

٢١- ﴿كَلا﴾، أَيْ: حَقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، أَيْ: وُطِئَتْ، وَمُهِّدَتْ، وَسُوِّيَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَقَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ[1].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ، وَقَالَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١- ٢٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠٢.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤.

مُقَاتِلٌ: أَيْ: لَا يفعلون ما أمروا به من إكرام الْيَتِيمِ، وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَلَهُّفِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَكُسِرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى ظَهْرِهَا، مِنْ جَبَلٍ، وَبِنَاءٍ، وَشَجَرٍ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ»[(١)].

٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، يَعْنِي: لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ: مُحَمَّد ﷺ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»[(٢)]، فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا[(٣)].

٢٣- ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[(٤)].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾، أَيْ: عَمَلَهُ، وَمَا كَانَ أَسْلَفَهُ فِي قَدِيمِ دَهْرِهِ وَحَدِيثِهِ، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟

٢٤- ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، يَعْنِي: يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، إِنْ كَانَ عَاصِيًا، وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ، إِنْ كَانَ طَائِعًا، كَمَا فِي الحديث عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرة، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَحَقِرَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولودَّ أَنَّهُ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ**»[(١)].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.
(٢) هذه الجملة من مسند أبي داود الطيالسي، برقم ٢٨٣٤.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٨٤٢.
(١) مسند أحمد، برقم ١٧٦٥٠، وصحح إسناده محققو المسند.

٢٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيبِ اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ.

٢٦- ﴿وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾، أَيْ: وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا، وَوَثْقًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ ﷻ، هَذَا فِي حَقِّ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَالظَّالِمِينَ، فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَهِيَ السَّاكِنَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ، فَيُقَالُ لَهَا:

٢٧- ٢٨- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾، أَيْ: إِلَى جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ، وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، ﴿رَاضِيَةً﴾، أَيْ: فِي نَفْسِهَا، ﴿مَرْضِيَّةً﴾، أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ، وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

٢٩- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أَيْ: فِي جُمْلَتِهِمْ.

٣٠- ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ[(١)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أَيْ: مَعَ عِبَادِي فِي جَنَّتِي، وَقِيلَ: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ، الْمُطِيعِينَ، الْمُصْطَفَيْنَ، نَظِيرُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]»[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله، ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه، وأحبابه ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت»[(١)].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٩.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٧.
(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٩.

٩٠ -سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾

١- هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِمَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّاكِنِ فِيهَا حَالًا؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ أَهْلِهَا.

قَالَ خَصِيف، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، لَا: رَدَّ عَلَيْهِمْ؛ أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ.

وَقَالَ شَبِيب بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يَعْنِي: مَكَّةَ[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، لَا: للاستفتاح، أي: استفتاح الكلام، وتوكيده، وليست نافية؛ لأن المراد إثبات القسم، يعني أنا أقسم بهذا البلد، لكن «لا» هذه تأتي هنا للتنبيه، والتأكيد، و«أقسم»، القسم تأكيد الشيء بذكر معظَّم على وجه مخصوص، فكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظماً لدى الحالف، وقد لا يكون معظمًا في حد ذاته، فمثلاً الذين يحلفون باللات والعزى، هي معظمة عندهم، لكن هي في الواقع ليست عظيمة، ولا معظمة، فالحلف، أو القسم، أو اليمين المعنى واحد، هي تأكيد الشيء بذكر معظَّم عند الحالف على صفة مخصوصة، وحروف القسم هي: الباء، والواو، والتاء، والذي في الآية الكريمة هنا ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، «الباء ﴿بهذا البلد﴾: البلد هنا مكة، وأقسم الله بها لشرفها، وعظمها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة، وأحب بقاع الأرض إلى الله ﷻ؛ ولهذا بعث منها رسول الله ﷺ الذي هو سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، فجدير بهذا البلد الأمين أن يقسم به، ولكن نحن لا نقسم به؛ لأنه مخلوق، وليس لنا

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٣.

الحق أن نقسم بمخلوق، كما قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(١)]، أما الله ﷻ فإنه سبحانه يقسم بما شاء»[(٢)].

٢- ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، قَالَ: أَنْتَ - يَا مُحَمَّدُ - يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَطِيَّةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا أَصَبْتَ فِيهِ فَهُوَ حَلَالٌ لَكَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، قَالَ: أَنْتَ بِهِ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ، وَلَا إِثْمٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعضَد شَجَرُهُ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّص بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ**»[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قيل: المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه، لأن حلول النبي ﷺ في مكة يزيدها شرفاً إلى شرفها، وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام اللَّه تعالى بمكة حال كونها حلاً للرسول ﷺ، وذلك عام الفتح؛ لأن مكة عام الفتح أحلت للرسول عليه الصلاة والسلام، ولم تحلّ لأحد قبله، ولا تحلّ لأحد بعد ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ**»[(٤)]، فيكون إقسام اللَّه تعالى بهذا البلد مقيداً بما إذا كانت حلاً للرسول ﷺ عام الفتح؛ لأنها في ذلك اليوم تزداد شرفاً إلى شرفها، حيث طُهِّرت من الأصنام، وهزم المشركون، وفتحت عليهم بلادهم عنوة،

---

(١) مسند أحمد، ١٠/ ٢٤٩، برقم ٦٠٧٢، وقال محققو المسند: «رجاله رجال مسلم» وسنن أبي داود، برقم ٣٢٥٣، وسنن الترمذي، برقم ١٥٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٠٦٧، برقم ٦٢٠٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٤- ٢١٥.

(٣) صحيح البخاري، برقم ١٨٣٢، بلفظه، وانظر: رقم ١٠٤، ١٠٥، ٤٢٩٥، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٦٧٩.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٨٣٢، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٤.

وصارت هذه البلد بعد أن كانت بلد كفر صارت بلاد إيمان، وبعد أن كانت بلاد شرك صارت بلاد توحيد، وبعد أن كانت بلاد عناد، صارت بلاد إسلام، فأشرف حال لمكة كانت عند الفتح»[1].

٣- ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: الْوَالِدُ: الَّذِي يَلِدُ، وَمَا وَلَدَ: الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ[2].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْوَالِدُ: الْعَاقِرُ، وَمَا وَلَدَ: الَّذِي يَلِدُ[3].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وخُصيف، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمْ: يَعْنِي بِالْوَالِدِ آدَمَ، وَمَا وَلَدَ: وَلَدَهُ.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَأَصْحَابُهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَقْسَمَ بِأُمِّ الْقُرَى، وَهِيَ الْمَسَاكِنُ، أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِالسَّاكِنِ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ وَوَلَدُهُ.

وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَذُرِّيَّتُهُ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَيْضًا»[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يعني: وأقسم بالوالد وما ولد، فمن المراد بالوالد ومن المراد بالولد؟ قيل: المراد بالوالد آدم، وبالولد بنو آدم، وعلى هذا تكون «ما» بمعنى «من» أي: ووالد ومن ولد، لأن «من» للعقلاء، و«ما» لغير العقلاء، وقيل: المراد بالوالد وما ولد كل والد وما ولد، الإنسان، والبهائم، وكل شيء؛ لأن الوالد والمولود كلاهما من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف يخرج هذا المولود حيًّا سويًّا سميعاً بصيراً من نطفة من ماء، فهذا دليل على كمال قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الولد السوي يخرج من

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٥.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٢.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٤.

نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، كذلك الحشرات وغيرها تخرج ضعيفة هزيلة، ثم تكبر إلى ما شاء الله تعالى من حد، والصحيح أن هذه عامة تشمل كل والد وكل مولود»[١].

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، رُوي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخعِيّ، وخَيْثَمة، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ: يَعْنِي مُنْتَصِبًا، زَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَالْكَبَدُ: الِاسْتِوَاءُ وَالِاسْتِقَامَةُ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧]، وكَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤].

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَعَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي كَبَدٍ، قَالَ: فِي شِدَّةِ خلق، أَلَمْ تَرَ إِلَيْهِ ... وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ، وَنَبَاتَ أَسْنَانِهِ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ، يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ٤٦]، وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا، وَمَعِيشَتُهُ كُرْهٌ، فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: فِي شِدَّةٍ، وطَلَب مَعِيشَةٍ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: فِي شِدَّةٍ وَطُولٍ، وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي مَشَقَّةٍ.

وَروى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عن عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ سَأَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: فِي قِيَامِهِ وَاعْتِدَالِهِ، فَلَمْ يُنكر عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ.

وَرَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَوْدُودٍ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: يُكَابِدُ أَمْرًا مَنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَأَمْرًا مَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: يُكَابِدُ مضايق الدنيا وشدائد الآخرة[٢].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٥- ٢١٦.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/ ٥٢٠: عزا الرواية الأولى إلى: عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، والثانية إلى ابْن الْمُبَارك فِي الزّهْد، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: آدَمُ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ، فَسُمي ذَلِكَ الكَبَد.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ مُكَابَدَةُ الْأُمُورِ وَمَشَاقِّهَا[1].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده، ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد، ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية، وتجبّر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ اللام هنا واقعة في جواب القسم، لتزيد الجملة تأكيداً، و (قد) تزيد الجملة تأكيداً أيضاً، فتكون جملة ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد، ﴿خلقنا الإنسان﴾ الإنسان اسم جنس يشمل كل واحد من بني آدم «في كبد» فيها معنيان:

المعنى الأول: في استقامة، يعني أنه خلق على أكمل وجه في الِخلقة، مستقيماً يمشي على قدميه، ويرفع رأسه، وبدنه معتدلاً، والبهائم بالعكس: الرأس على حذاء الدبر، أما بنو آدم، فالرأس مرتفع أعلى البدن، فهو كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقيل: المراد بـ﴿كبد﴾ مكابدة الأشياء، ومعاناتها، وأن الإنسان يعاني المشقة في أمور الدنيا، وفي طلب الرزق، وفي إصلاح الحرث، وغير ذلك، ويعاني

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩١.

أيضاً معاناة أشد مع نفسه، ومجاهدتها على طاعة الله، واجتناب معاصي الله، وهذا الجهاد الذي هو أشق من معاناة طلب الرزق، ولاسيما إذا ابتلي الإنسان ببيئة منحرفة، وصار بينهم غريباً، فإنه سيجد المشقة في معاناة نفسه، وفي معاناة الناس أيضاً، فإن قال قائل: أفلا يمكن أن تكون الآية شاملة للمعنيين؟

فالجواب: بلى، وهكذا ينبغي إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة، فاحملها على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل وأوسع، فإن كان بينهما مناقضة فانظر الراجح، فمثلاً، قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، «قروء» جمع قرء بفتح القاف فما هو «القرء»؟ قيل: هو الحيض، وقيل: هو الطهر، هنا لا يمكن أن تحمل الآية على المعنيين جميعاً للتناقض، لكن اطلب المرجح لأحد القولين، وخذ به، فهنا نقول: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ يصح أن تكون الآية شاملة للمعنيين أي: في حسن قامة، واستقامة، و«في كبد» في معاناة لمشاق الأمور»[(١)].

٥- ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَعْنِي أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ: ابْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسأل عَنْ هَذَا الْمَالِ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟

وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ: اللَّهُ عَجَّلَ[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾ أي: أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يقدر عليه أحد؛ لأنه في عنفوان شبابه، وقوته، وكبريائه، وغطرسته، فيقول: لا أحد يقدر عليّ، أنا أعمل ما شئت، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾، قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ**

---

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢١٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]، إذاً، فالإنسان في حال صحته، وعنفوان شبابه، يظن أنه لا يقدر عليه أحد، حتى الرب ﷻ يظن أنه لا يقدر عليه، وهذا لا شك بالنسبة للكافر، أما المؤمن، فإنه يعلم أن الله قادر عليه، وأنه على كل شيء قدير، فيخاف منه»[(١)].

٦- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾، أَيْ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: أَنْفَقْتُ مَالًا لُبَدًا، أَيْ: كَثِيرًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

٧- ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ ﷻ، وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ[(٢)].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿يَقُولُ﴾ أي: يقول الإنسان أيضاً في حال غناه، وبسط الرزق له ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي: مالاً كثيراً في شهواته، وفي ملذاته، يقول الله ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المال، وصرفه في ما لا ينفع، وكل هذا تهديد للإنسان أن يتغطرس، وأن يستكبر من أجل قوته البدنية، أو كثرة ماله»[(٣)].

٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾، أَيْ: يُبْصِرُ بِهِمَا.

٩- ﴿وَلِسَانًا﴾، أَيْ: يَنْطِقُ بِهِ، فَيُعبر عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾، يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ، وَأَكْلِ الطَّعَامِ، وَجَمَالًا لِوَجْهِهِ وَفَمِهِ[(٤)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يعني: يبصر بهما، ويرى فيهما، وهاتان العينان تؤديان إلى القلب ما نظر إليه الإنسان، فإن نظر نظرة محرمة كان آثماً، وإن نظر نظراً يقربه إلى الله كان غانماً، وإذا نظر إلى ما يباح له؛ فإنه لا يحمد، ولا يذم ما لم يكن هذا النظر مفضياً إلى محظور شرعي، فيكون آثماً بهذا النظر، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ لساناً ينطق به، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذه من نعم

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٩.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

اللَّه العظيمة؛ لأنه بهذا اللسان، والشفتين يستطيع أن يعبر عما في نفسه، ولولا هذا ما استطاع، لو كان لا يتكلم فكيف يعبر عما ما في قلبه؟ كيف يعلم الناس بما في نفسه؟ اللهم إلا بإشارة تتعب، يتعب المشير، ويتعب الذين أشير إليهم، ولكن من نعمة اللَّه أن جعل له لساناً ناطقاً، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذا من نعمة اللَّه، وهو أيضاً من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يخرج من مخارج معينة، إن مر بشيء صار حرفاً، وإن مر بشيء آخر صار حرفاً آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق، وفي الشفتين، وفي اللثة هذه الشعرات تكون الحروف، فتجد مثلاً الباء والشين كلها بهواء يندفع من الرئة، ومع ذلك تختلف باختلاف ما تمر عليه في هذا الفم، ومخارج الحروف المعروفة، هذا من تمام قدرة الله ﷻ»[(١)].

١٠- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَكَذَا رُوي عَنْ عَلِيّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيّ فِي آخَرِينَ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: الثَّدْيَيْنِ.

وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيم، وَقَتَادَةَ، وَأَبِي حَازِمٍ، مِثْلُ ذَلِكَ[(٢)].

قال **الإمام ابْنُ جَرِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ[(٣)].

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلِهِ: **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾** [سُورَةُ الْإِنْسَانِ: ٢- ٣][(٤)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قيل: أي: بيّنا له طريق الخير، وطريق الشر، القول الثاني: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ دللناه على ما به غذاؤه، وهو الثديان؛ فإنهما نجدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه اللَّه تعالى وهو رضيع لا يعرف، فمن حين أن يخرج، وتضعه أمه يطلب الثدي، والذي أعلمه الله ﷻ، فبين

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٨.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٩، مسند إسحاق بن راهويه، برقم ٤٤٧، ومسند الشاميين للطبراني، ٣/ ٣١٤، برقم ٢٣٧٩.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٩.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٦.

الله ﷻ منته على هذا الإنسان من حين أن يخرج يهتدي إلى النجدين، وفي بطن أمه يتغذى عن طريق السرة؛ لأنه لا يستطيع أن يتغذى من غير هذا، فلو تغذى عن طريق الفم لاحتاج إلى بول وغائط، وكيف ذلك؟ لكنه عن طريق السرة يأتيه الدم من دم أمه، وينتشر في عروقه حتى يحيا إلى أن يأذن الله تعالى بإخراجه»[1].

قلت: والآية تشمل المعنيين، كما تقدم من قول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة، فاحملها على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل، وأوسع، فإن كان بينهما مناقضة، فانظر الراجح»[2]، فالله ﷻ دل الإنسان، وبيَّن له طريق الخير، وطريق الشر، ودله على ما به غذاؤه، وهو الثديان، والله تعالى أعلم.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ:

١١- ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ ﷻ[3].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: عَقَبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي النَّارِ دُونَ الْجِسْرِ، فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْكَلْبِيُّ: هِيَ صِرَاطٌ يُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ كَحَدِّ السَّيْفِ، مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ سَهْلًا، وَصُعُودًا، وَهُبُوطًا، وَإِنَّ بِجَنَبَتَيْهِ كَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ كَأَنَّهَا شَوْكُ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢١٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٨.

السَّعْدَانِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ مَنْكُوسٌ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَارِسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالرَّجُلِ يَعْدُو، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّجُلِ يَسِيرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمُ الزَّالُّونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَرْدَسُ فِي النَّارِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَقُولُ فَهَلَّا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ»[(١)].

١٢- وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ مَا اقْتِحَامُ الْعَقَبَةِ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ شَيْءٍ قَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ»، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ» فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهِ»[(٢)].

١٣- ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا، فَقَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ﴾

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أَيْ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ، ثُمَّ بَيَّنَهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ﴾.

قُرِئَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بِالْإِضَافَةِ، وقُرِئَ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ، وَفِيهِ ضَمِيرُ الْفَاعِلِ وَالرَّقَبَةُ مَفْعُولُهُ، وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ[(٣)].

وعَنْ أَبِي نَجِيحٍ[(٤)] قَالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ أعتقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ جاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ**»[(٥)].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَن بَنَى مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللَّهُ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، كَانَتْ فِدْيَتَهُ**

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٩- ٤٩٠.
(٢) المرجع السابق، ٤/ ٤٩٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٨.
(٤) وَأَبُو نَجِيحٍ هَذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٤١. وهو في المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣/ ٥١، وصححه، وبنحوه في مسند أحمد، ٢٨/ ٢٤٦، برقم ١٧٠٢٢، وصحح إسناده محققو المسند وانظر: صحيح البخاري، برقم ٦٧١٥، وصحيح مسلم، برقم ١٥٠٩.

مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

وعَنْ سُليم بْنِ عَامِرٍ: أَنْ شُرَحْبِيلَ بْنَ السِّمْطِ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ عَبسةَ: حَدِّثنا حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ تَزَيّد، وَلَا نِسْيَانٌ، قَالَ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، عُضْواً بعضو، ومن شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ، فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ كَمُعْتِقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ»[٢].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ يرفعه قال: «مَنْ وُلِد لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلَغَ بِهِ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، يُدْخِلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»[٣].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَيِّدَةٌ قَوِيَّةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[٤].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «من أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فِكَاكُهُ مِنَ النَّارِ»[٥].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أقصرت الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ؛ فَإِنْ لَمْ تُطِق ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الجائعَ، واسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ

---

(١) مسند أحمد، ٣٢/ ١٨٦، برقم ١٩٤٤٠، وصححه محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٢٤١، برقم ١٧٠٢٠، وصححه محققو المسند دون قوله: «من ولد إسماعيل»، سنن أبي داود، برقم ٣٩٦٧، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٤٨٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٢٧٠٠.

(٣) مسند أحمد، ٣٢/ ١٨٢، برقم ١٩٤٣٧، وصححه محققو المسند.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٠

(٥) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٢، برقم ١٧٣٢٦، وصححه لغيره محققو المسند.

ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ»[(١)].

١٤- ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذِي مَجَاعَةٍ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، والسَّغَب: هُوَ الْجُوعُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: فِي يومٍ الطعامُ فِيهِ عزيزٌ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي يَوْمٍ يُشتهى فِيهِ الطَّعَامُ.

١٥- ﴿يَتِيمًا﴾، أَيْ: أَطْعِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أَيْ: ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[(٢)]، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(٣)]، وَالنَّسَائِيُّ[(٤)]، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ[(٥)].

١٦- ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، أَيْ: فَقِيرًا مُدقعًا لَاصِقًا بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الدَّقْعَاءُ أَيْضًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ يَقِيهِ مِنَ التُّرَابِ، وَفِي رِوَايَةٍ: هُوَ الَّذِي لَصِقَ بِالدَّقْعَاءِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْبَعِيدُ التُّرْبَةِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يَعْنِي الْغَرِيبَ عَنْ وَطَنِهِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْفَقِيرُ الْمَدْيُونُ الْمُحْتَاجُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الَّذِي لَا أَحَدَ لَهُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: هُوَ ذُو الْعِيَالِ، وَكُلُّ هَذِهِ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى[(٦)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحمها، ويعبر عليها؛ لأنه متبع لشهواته، وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر هذه العقبة ﴿فَكُّ

(١) مسند أحمد، ٣٠/ ٦٠٠، برقم ١٨٦٤٧، وصحح إسناده محققو المسند.
(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ١٧١، برقم ١٦٢٣٤، وصححه لغيره محققو المسند.
(٣) سنن الترمذي، برقم ٦٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٨٩٢.
(٤) سنن النسائي، برقم ٢٥٨٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٨٩٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦١.

رَقَبَةٍ﴾، أي: فكَّها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار، ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أي: الإنسان الذي كان يقول: ﴿أهلكت مالاً لبداً﴾، ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يعني: هلاّ اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقة يسمى اقتحاماً، و«العقبة» هي الطريق في الجبل الوعر، ولا شك أن اقتحام هذه العقبة شاق على النفوس، لا يتجاوزه، أو لا يقوم به إلا من كان عنده نية صادقة في تجاوز هذه العقبة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ هذا الاستفهام للتشويق، والتفخيم أيضاً، يعني: ما الذي أعلمك شأن هذه العقبة التي قال اللَّه عنها ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ بيّنها اللَّه في قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: «هي فك رقبة» وفك الرقبة له معنيان:

المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين، سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

المعنى الثاني: فك رقبة من الأسر، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة، لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان باللَّه عَزَّ وَجَلَّ بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ «أو» هذه للتنويع، يعني: وإما ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة شديدة؛ لأن الناس قد يصابون بالمجاعة الشديدة، إما لقلة الحاصل من الثمار والزروع، وإما لأمراض في أجسامهم، يأكل الإنسان ولا يشبع، وهذا قد وقع فيما نسمع

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

عنه في البلاد النجدية، وربما في غيرها أيضاً، أن الناس يأكلون ولا يشبعون، يأكل الواحد مأكل العشرة ولا يشبع، ويموتون من الجوع في الأسواق، ويتساقطون في الأسواق من الجوع، هذه من المساغب، أو قلة المحصول بحيث لا تثمر الأشجار، ولا تنبت الزروع، فيقل الحاصل، وتحصل المسغبة، ويموت الناس جوعاً، وربما يهاجرون عن بلادهم. «يتيماً» اليتيم هو من مات أبوه قبل أن يبلغ، سواءً كان ذكراً أم أنثى، فإن بلغ فإنه لا يكون يتيماً؛ لأنه بلغ وانفصل، وكذلك لو ماتت أمه، فإنه لا يكون يتيماً، خلافاً لما يظنه بعض العامة، أن اليتيم من ماتت أمه، وهذا ليس بصحيح، فاليتيم من مات أبوه؛ لأنه إذا مات أبوه لم يكن له كاسب من الخلق يكسب له، وقوله: «ذا مقربة» ذا قرابة من الإنسان؛ لأنه إذا كان يتيماً كان له حظ من الإكرام والصدقات، وإذا كان قريباً ازداد حظه من ذلك؛ لأنه يكون واجب الصلة، فمن جمع هذين الوصفين اليتم والقرابة فإن الإنفاق عليه من اقتحام العقبة إذا كان ذلك في يوم ذي مسغبة، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ يعني: أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، المسكين: هو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله، المتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء إلا التراب، ومعلوم أنه إذا قيل عن الرجل: ليس عنده إلا التراب، فالمعنى: أنه فقير جداً ليس عنده طعام، وليس عنده كساء، وليس عنده مال فهو مسكين ذو متربة»[1].

١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَيْ: ثُمَّ هُوَ مَعَ هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمنٌ بِقَلْبِهِ، مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الْآيَةَ [النحل: ٩٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، أَيْ: كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ صَالِحًا، الْمُتَوَاصِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَعَلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي**

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٩- ٢٢١.

السَّمَاءِ»[١]، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَا يَرْحَم اللهُ مَنْ لَا يَرْحَم النَّاسَ»[٢]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو – يَرْوِيهِ –قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحم صَغِيرَنَا ويَعْرِف حَقَّ كَبِيرنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»[٣].

١٨- ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، أَيِ: الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ[٤].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم، من كل قول، وفعل واجب، أو مستحب، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقدار اللَّه المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملاً منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؛ لأنهم أدوا ما أمر اللَّه به من حقوقه، وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها»[٥].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، «ثم كان» يعني: ثم هو بعد ذلك ليس محسناً على اليتامى والمساكين فقط، بل هو ذو إيمان، آمن بكل ما يجب الإيمان به، وقد بين الرسول ﷺ الذي يجب الإيمان به، فقال حين سأله جبريل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة

---

(١) مسند أحمد، ١١/ ٣٣، برقم ٦٤٩٤، وصححه لغيره محققو المسند. وسنن أبي داود، برقم ٤٩٤١، وسنن الترمذي، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٦.

(٣) سنن أبي داود، برقم ٤٩٤٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٦٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

(١) مسلم، برقم ٨.

اللَّه، وصبر عن معصية اللَّه، وصبر على أقدار اللَّه المؤلمة، فهم صابرون متواصون بالصبر بهذه الأنواع: الصبر على طاعة اللَّه، ثم الصبر عن معصية اللَّه، ثم الصبر على أقدار اللَّه المؤلمة، وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة، في الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم، فها هو الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صابر على طاعة اللَّه، يجاهد في سبيل اللَّه، ويدعو إلى اللَّه، ويؤذى ويعتدى عليه بالضرب، حتى همّ المشركون بقتله، وهو مع ذلك صابر محتسب، وهو أيضاً صابر عن معصية اللَّه، لا يمكن أن يغدر بأحد، ولا أن يكذب أحداً، ولا أن يخون أحداً، وهو أيضاً متق للَّه تعالى بقدر ما يستطيع، كذلك صابر على أقدار اللَّه، كم أوذي في اللَّه عَزَّ وَجَلَّ من أجل طاعته، أليست قريش قد آذوه حتى إذا رأوه ساجداً تحت الكعبة، أمروا من يأتي بسلا ناقة فيضعه على ظهره، وهو ساجد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(١)]؟! وهو صابر في ذلك كله، ويوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صبر على أقدار اللَّه، فقد أُلقي في البئر في غيابة الجب، وأوذي في اللَّه بالسجن، ومع ذلك فهو صابر محتسب، لم يتضجر، ولم ينكر ما وقع به، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضاً أن يرحم الآخر، ورحمة الإنسان للمخلوقات تكون في البهائم، وتكون في الناطق، فهو يرحم آباءَه، وأمهاته، وأبناءَه، وبناته، وإخوانه، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وهكذا، ويرحم كذلك سائر البشر، وهو أيضاً يرحم الحيوان البهيم، فيرحم ناقته، وفرسه، وحماره، وبقرته، وشاته، وغير ذلك، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٢)]، «أولئك» أي: هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: أصحاب اليمين، الذين يُؤتون كتابهم يوم القيامة بأيمانهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً»[(١)].

١٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، أَيْ: أَصْحَابُ الشِّمَالِ.

---

(١) البخاري، برقم ٣٨٥٤، ومسلم، برقم ١٧٩٤.

(٢) سنن الترمذي، برقم ١٩٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٢١٤، برقم ٢٥٣٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٦٦١، برقم ٣٥٢٢.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢١- ٢٢٢.

٢٠- ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾، أَيْ: مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾، أَيْ: مُطْبَقَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَصَدَ الْبَابَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ: أَيْ أَغْلَقَهُ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾، حَيْطٌ لَا بَابَ لَهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: مُطْبَقَةٌ، فَلَا ضَوْءَ فِيهَا، وَلَا فُرَجَ، وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾، أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة»[(٢)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: جحدوا بها ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ «هم»: الضمير هنا جاء للتوكيد، ولو قيل في غير القرآن: والذين كفروا بآياتنا أصحاب المشأمة، لصح؛ لكن هذا من باب التوكيد، «المشأمة» يعني: الشمال أو الشؤم، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: عليهم نار مغلقة، لا يخرجون منها، ولا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، نسأل الله أن يجعلنا من الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة إنه سميع مجيب»[(١)].



---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٥، وصفة النار لابن أبي الدنيا، برقم ٦٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٢/ ٣١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٣.

٩١ -سُورَة وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا

عن جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟»[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾.

١- قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، أَيْ: وَضَوْئِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَضُحَاهَا﴾: النَّهَارُ كُلُّهُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا؛ لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَ هُوَ النَّهَارُ[٢].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ: ضوءها، الضحى: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، فَيَصْفُو ضَوْؤُهَا»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾، أقسم اللَّه تعالى بالشمس وضحاها، وهو ضوؤها؛ لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة اللَّه سبحانه وتعالى، وكمال علمه، ورحمته، فإن في هذه الشمس من الآيات ما لا يدركه بعض الناس، فإذا طلعت الشمس، فكم توفر على العالم من طاقة كهربائية؟ توفر آلاف الملايين؛ لأنهم يستغنون بها عن هذه الطاقة، وكم يحصل للأرض من حرارتها، من نضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمه إلا اللَّه عز وجل، ويحصل فيها فوائد كثيرة، لا أستطيع أن أعدها؛ لأن غالبها يتعلق

(١) صحيح البخاري، برقم ٦١٠٦، صحيح مسلم، ٤٦٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦٤.
(٣) تفسير البغوي،٤/ ٤٩١.

في علم الفلك، وعلم الأرض، والجيولوجيا؛ لكنها من آيات الله العظيمة»[١].

٢- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: تَبِعَهَا، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، قَالَ: يَتْلُو النَّهَارَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِذَا تَلاهَا﴾ لَيْلَةَ الْهِلَالِ، إِذَا سَقَطَتِ الشَّمْسُ رُؤِيَ الْهِلَالُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ يَتْلُوهَا فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، ثُمَّ هِيَ تَتْلُوهُ، وَهُوَ يَتَقَدَّمُهَا فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ الشَّهْرِ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِذَا تَلَاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ قيل: إذا تلاها في السير، وقيل: إذا تلاها في الإضاءة، وما دامت الآية تحتمل هذا وهذا؛ فإن القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما، وجب الأخذ بهما جميعاً، لأن الأخذ بالمعنيين جميعاً أوسع للمعنى، فنقول: إذا تلاها في السير؛ لأن القمر يتأخر كل يوم عن الشمس، فبينما تجده في أول الشهر قريباً منها في المغرب، إذا هو في نصف الشهر، أبعد ما يكون عنها في المشرق؛ لأنه يتأخر كل يوم، أو إذا تلاها في الإضاءة؛ لأنها إذا غابت بدأ ضوء القمر، لاسيما في الربع الثاني إلى نهاية الربع الثالث، فإن ضوء القمر يكون بيناً واضحاً، يعني: إذا مضى سبعة أيام، إلى أن يبقى سبعة أيام يكون الضوء قويًّا، وأما في السبعة الأولى والأخيرة، فهو ضعيف، وعلى كل حال، فإن إضاءة القمر، لا تكون إلا بعد ذهاب ضوء الشمس، كما هو ظاهر، فأقسم الله تعالى بالشمس؛ لأنها آية النهار، وبالقمر؛ لأنه آية الليل»[٣].

٣- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَضَاءَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾: إِذَا غَشِيَهَا النَّهَارُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَى: وَالنَّهَارُ إِذَا

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦٥.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥.

جَلَّا الظُّلْمَةِ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ تَأَوَّلَ بِمَعْنَى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾، أَيِ: الْبَسِيطَةُ، لَكَانَ أَوْلَى»، وَيَصِحّ تَأْوِيلُهُ فِي قَوْلِهِ:

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، فَكَانَ أَجْوَدْ وَأَقْوَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾، إِنَّهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢].

وَأَمَّا ابْنُ جَرِيرٍ فَاخْتَارَ عَوْدَ الضَّمِيرِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الشَّمْسِ؛ لِجَرَيَانِ ذِكْرِهَا، وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، يَعْنِي: إِذَا يَغْشَى الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ، فَتُظْلِمُ الْآفَاقُ»[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾ إذا جلى الأرض، وبينها ووضحها؛ لأنه نهار تتبين به الأشياء، وتتضح ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ إذ يغطي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء، وهذا يتضح جلياً فيما إذا غابت الشمس، وأنت في الطائرة تجد أن الأرض سوداء تحتك، لأنك أنت الآن تشاهد الشمس لارتفاعك، لكن الأرض التي تحتك حيث غربت عليها الشمس تجدها سوداء، كأنها مغطاة بعباءة سوداء»[٢].

٥- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» هَاهُنَا مَصْدَرِيَّةٌ، بِمَعْنَى: وَالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «مَنْ» يَعْنِي: وَالسَّمَاءِ وَبَانِيهَا، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، وَالْبِنَاءُ هُوَ الرَّفْعُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أَيْ: بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧- ٤٨].

٦- ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿طَحَاهَا﴾ دَحَاهَا، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾، أَيْ: خَلَقَ فِيهَا.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَحَاهَا﴾ قَسَمَهَا.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿طَحَاهَا﴾: بَسَطَهَا.

وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: طَحَوْتُهُ مِثْلُ دَحَوْتُهُ، أَيْ: بَسَطْتُهُ[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ السماء والأرض متقابلات، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قال المفسرون: إن «ما» هنا مصدرية، أي: والسماء وبنائها؛ لأن السماء عظيمة بارتفاعها، وسعتها، وقوتها، وغير ذلك مما هو من آيات الله فيها، وكذلك بناؤها بناء محكم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣- ٤]، ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ يعني: الأرض وما سواها حتى كانت مستوية، وحتى كانت ليست لينة جداً، وليست قوية صلبة جداً، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده أن سوى لهم الأرض، وجعلها بين اللين والخشونة إلا في مواضع، لكن هذا القليل، لا يحكم به على الكثير»[2].

٧- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾، أَيْ: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠]، وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدانه أَوْ يُنَصِّرانه أَوْ يُمَجِّسانه، كَمَا تُولَدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاء هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[3].

وَعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفاء فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٥.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥- ٢٢٦.
(٣) صحيح البخاري، برقم ١٣٨٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٥٨.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٨٦٥.

٨- ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، أَيْ: فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا، أَيْ: بَيَّنَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قُدِّرَ لَهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: بَيَّنَ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَكَذَا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْهَمَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ فِيهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.

عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﷻ: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**»[١].

٩- ١٠- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَيْ: بِطَاعَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ وَالرَّذَائِلِ، وَيُرْوَى نَحْوُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤- ١٥].

١٠- ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أَيْ: دَسَّسَهَا، أَيْ: أَخْمَلَهَا، وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ ﷻ.

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٢٦٥٠ .

دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ الْعَوْفِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عباس[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها، وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها، ويدسيها»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ نفس هنا، وإن كانت واحدة، لكن المراد العموم، يعني كل نفس ﴿وما سواها﴾ يعني: سواها خِلقة، وسواها فطرة، سواها خلقة، حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه، ويناسب حاله، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي: خلقه المناسب له ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أي: هداه لمصالحه، وكذلك سواه فطرة، ولا سيما البشر؛ فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿فألهمها﴾ أي: الله عَزَّ وَجَلَّ ألهم هذه النفوس ﴿فجورها وتقواها﴾ بدأ بالفجور قبل التقوى، مع أن التقوى لا شك أفضل، قالوا: مراعاة لفواصل الآيات ﴿فجورها وتقواها﴾ الفجور: هو ما يقابل التقوى، والتقوى: طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاصٍ فهو فاجر، وإن كان الفاجر خصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، والمراد الكفار، وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، والله تعالى لا يظلم أحدًا، لكن من علم منه أنه لا يريد الحق أزاغ الله قلبه، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿قد أفلح﴾ أي: فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب، ﴿من زكاها﴾ أي:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

من زكى نفسه، وليس المراد بالتزكية هنا التزكية المنهي عنها في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، المراد بالتزكية هنا: أن يزكي نفسه بإخلاصها من الشرك، وشوائب المعاصي، حتى تبقى زكية طاهرة نقية، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: من أرداها في المهالك، والمعاصي، وهذا يحتاج إلى دعاء الله ﷻ أن يثبت الإنسان على طاعته، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، فعليك دائماً أن تسأل الله الثبات والعلم النافع، والعمل الصالح، فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]))[١].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وَقَفَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، وَخَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»[٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا فَقَدت النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مَضْجَعِهِ، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ، أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»[٣].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: «لا أقولُ لكُمْ إلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ والكَسَل، والجُبن وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْم لَا يَنْفَعُ، ومن قَلْب لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْس لَا تَشْبَعُ، ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[٤].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٦- ٢٢٧.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١١/ ١٠٦، برقم ١١١٩١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/١٣٨: «وإسناده حسن».
(٣) مسند أحمد، ٤٢/ ٤٩١، برقم ٢٥٧٥٥، ووثّق إسناده محققو المسند، وقال في مجمع الزوائد، ٢/ ١٢٨: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».
(٤) صحيح مسلم برقم، ٢٧٢٢.

(١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾.

١١- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾، أَيْ: بِأَجْمَعِهَا، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْيَقِينِ[١].

١٢- ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، أَيْ: أَشْقَى الْقَبِيلَةِ، هُوَ قُدَار بْنُ سَالِفٍ عاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أُحَيْمِرُ ثَمُودَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القَمَر: ٢٩]، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا، كَمَا فِي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»[٢].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، وَمُسْلِمٌ فِي صِفَةِ النَّارِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا[٣].

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَلَا أُحَدِّثُك بِأَشْقَى النَّاسِ؟»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رَجُلَانِ: أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرنه- حَتَّى تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي: لِحْيَتَهُ»[٤].

١٣- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: صَالِحًا ﵇: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾، أَي: احْذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾، أَيْ: لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَإِنَّ لَهَا شِرْبُ يَوْمٍ، وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، قَالَ اللَّهُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٩.
(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ١٦٠، برقم ١٦٢٢٢، وصحح إسناده محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٢، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٥٥، وسنن الترمذي، برقم ٣٣٤٣، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٧٥.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٨، ومسند أحمد، ٣٠/ ٢٥٦، برقم ١٨٣٢١، وحسنه لغيره محققو المسند، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣/ ١٥١، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٢٥٨٩.

١٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، أَيْ: كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ، وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾، أَيْ: غَضِبَ عَلَيْهِمْ، فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، أَيْ: فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ نَازِلَةً عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ.

قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ أُحَيْمِرَ ثَمُودَ لَمْ يَعْقِرِ النَّاقَةَ حَتَّى تَابَعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ فِي عَقْرِهَا، دَمْدَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَنْبِهِمْ، فَسَوَّاهَا.

١٥- ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، وقرئ: «فلا يخاف عقباها».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، أَيْ: لَمْ يَخَفِ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَةَ مَا صَنَعَ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٠.

٩٢ -سُورَةُ اللَّيْلِ

تَقَدَّمَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمُعَاذٍ: «فَهَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢)﴾.

عَنْ عَلْقَمَةَ: أَنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ، فَدَخَلَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي جَلِيسًا صَالِحًا، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ يَقْرَأُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: «وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَقَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ هَؤُلَاءِ حَتَّى شَكَّكُونِي، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ أَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ الْوِسَادِ، وَصَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَالَّذِي أُجِيرَ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ»[2].

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[3] هَاهُنَا وَمُسْلِمٌ[4]، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَيَّ قِرَاءَةَ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَ: أَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟ قَالَ: «وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»، قَالَ: أَشْهَدُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ هَكَذَا، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي أَنْ أَقْرَأَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، وَاللَّهِ لَا أُتَابِعُهُمْ».

---

(١) البخاري، برقم ٧٠٥، ومسلم، برقم ٤٦٥.
(٢) مسند أحمد، ٤٥/ ٥٢٥، برقم ٢٧٥٣٨، وصححه محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٤.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٨٢٤.

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ: «هَكَذَا قَرَأَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَرَفَعَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَمَّا الْجُمْهُورُ، فَقَرَؤُوا ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُثبَت فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامُ الْعُثْمَانِيُّ فِي سائر الآفاق: ﴿وَمَا خلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى﴾، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِـ

١- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، أَيْ: إِذَا غَشِيَ الخليقةَ بِظَلَامِهِ.

٢- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، أَيْ: بِضِيَائِهِ، وَإِشْرَاقِهِ.

٣- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبأ: ٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٤٩]»[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، يَعْنِي: ومن خلق، وقيل: هِيَ «مَا» الْمَصْدَرِيَّةُ، أَيْ: وَخَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾: إن كانت «ما» موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة، الموصوفة بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنفٍ من الحيوانات، التي يريد بقاءها ذكرًا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلاً منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين»[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ يعني: وخَلْق الذكر والأنثى على أحد التفسيرين، الذي جعل «ما» هنا مصدرية، والذي خَلَق الذكر والأنثى، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ على التفسير الآخر، فعلى المعنى الأول: يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسم بخلق الذكر والأنثى، وعلى الثاني: يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسم بنفسه؛ لأنه هو الذي خلق الذكر والأنثى»[(٤)].

وَلَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ، كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٣.

(٤) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لمحمد بن عثيمين، ص ٤٣٠.

٤- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، أَيْ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا، وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾: إِنْ أَعْمَالَكُمْ لِمُخْتَلِفَةٌ، فَسَاعٍ فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ، وَسَاعٍ فِي عَطَبِهَا»[(٢)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني: إن عملكم ﴿لشتى﴾ أي: لمتفرق تفرقاً عظيماً، فالله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد: صالح وسيئ، فتناسب المقسم به، والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن، فالمعنى أن اختلاف الليل والنهار، والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح، ومنها الفاسد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله عَزَّ وَجَلَّ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[(٣)].

٥- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، أَيْ: أَعْطَى مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِي أُمُورِهِ.

٦- ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقَالَ خَصِيفٌ: بِالثَّوَابِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْخَلَفِ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قَالَ: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَقَالَ مَرَّةً: وَصَدَقَةُ الْفِطْرِ.

وفي رواية عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ مرفوعة: «الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ»[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٣٣٠.

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٦/ ١٩٤٤، وصفة الجنة لابن أبي الدنيا، ص ٩٧، وبرقم ٩١، والبعث والنشور للبيهقي، ص ٢٤٩، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ٥/ ٢٠٤، وأشار إليه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، ٢/ ١٢٥، وعدد طرقه وشواهده، وبنحوه أخرجه مسلم، برقم ١٨١.

٧- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي لِلْخَيْرِ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: يَعْنِي لِلْجَنَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ ثَوَابِ الحسنةُ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَمِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السيئةُ بَعْدَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾، أَيْ: بِمَا عِنْدَهُ، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ: بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ ﷿، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

٩- ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

١٠- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، أَيْ: لِطَرِيقِ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأنعام: ١١]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷿ يُجازي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ لَهُ، وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخِذْلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُقدّر، وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ[(١)].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ أَنَّ أَبَاهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنِفٍ؟ قَالَ: «**بَلْ عَلَى أمر قد فُرغ منه**»، قَالَ: فَفِيمَ العملُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[(٢)].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فِي جِنازَةٍ، فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلْعُسْرَى﴾[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.

(٢) مسند أحمد، ١/ ١٩٩، برقم ١٩، وحسنه لغيره محققو المسند.

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٥، ورقم ٤٩٤٧، ورقم ٤٩٤٨، ورقم ٤٩٤٩.

وَعَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ**، أَوْ: **مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مَنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مَنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ الشَّقَاءِ؟ فَقَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ الْآيَةَ[(١)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ؟ أَفِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ أَوْ مُبْتَدَأٍ أَوْ مُبْتَدَعٍ؟ قَالَ: «**فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَاعْمَلْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[(٤)].

١١- ﴿**وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى**﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ إِذَا مَاتَ، وَقَالَ أَبُو

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٨، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٤٧، ٢٦٤٨.

(٢) مسند أحمد، ٩/ ١٣٩، برقم ٥١٤٠، وحسنه لغيره محققو المسند.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٤٨٢، وصححه، ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان، ٢/ ٤٦٢، برقم ٦٨٦، وصححه محققه الأرناؤوط، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤٦، برقم ٩١٧.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم، برقم ١٠١٠.

صَالِحٍ، وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ[(١)].

قالَ **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾، هذا هو المقسم عليه، أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتاً كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال، ومقدارها، والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها، وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف، ولهذا فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى**﴾ أي: ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات، والنفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية: كالصلاة، والصوم ونحوهما، والمركبة منهما، كالحج والعمرة، ونحوهما، ﴿**وَاتَّقَى**﴾ ما نهي عنه، من المحرمات، والمعاصي، على اختلاف أجناسها، ﴿**وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**﴾ أي: صدق بـ«لا إله إلا الله»، وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي، ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسرًا له كل خير، ميسرًا له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك، ﴿**وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ**﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب، والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿**وَاسْتَغْنَى**﴾ عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها، ولا فوز، ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها، ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه، ﴿**وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى**﴾ أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة، ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية، ﴿**وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ**﴾ الذي أطغاه، واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح، وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب، فإنه يكون وبالاً عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئًا»[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٣..

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ص١٠٩٤.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: ﴿**فأما من أعطى واتقى ❁ وصدق بالحسنى ❁ فسنيسره لليسرى**﴾، ﴿**فأما من أعطى**﴾ أي: أعطى ما أمر بإعطائه من مالٍ، أو جاهٍ، أو علمٍ، ﴿**واتقى**﴾ اتقى ما أمر باتقائه من المحرمات، ﴿**وصدق بالحسنى**﴾ أي: صدق بالقولة الحسنى، وهي قول الله ﷻ، وقول رسوله ﷺ، لأن أصدق الكلام، وأحسن الكلام كلام الله ﷻ، ﴿**فسنيسره لليسرى**﴾ السين: هنا للتحقيق، أي: أن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسييسره الله ﷻ لليسرى في أموره كلها: في أمور دينه ودنياه؛ ولهذا تجد أيسر الناس عملاً هو من اتقى الله ﷻ، من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، وكلما كان الإنسان أتقى لله كانت أموره أيسر له، قال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**﴾ [الطلاق: ٤]، وكلما كان الإنسان أبعد عن الله كان أشد عسراً في أموره؛ ولهذا قال: ﴿**وأما من بخل**﴾ فلم يعط ما أمر بإعطائه ﴿**واستغنى**﴾ استغنى عن الله ﷻ، ولم يتق ربه، بل رأى أنه في غنى عن رحمة الله، ﴿**وكذب بالحسنى**﴾ أي: بالقولة الحسنى، وهي قول الله تعالى، وقول رسوله ﷺ، ﴿**فسنيسره للعسرى**﴾ ييسر للعسرى في أموره كلها...﴿**وما يغني عنه ماله إذا تردى**﴾ يعني أي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به، و﴿**تردى**﴾ أي: هلك أي شيء يغني المال؟ لا يغني شيئاً»[1].

﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)**﴾

١٢- قَالَ قَتَادَةُ: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾، أَيْ: نُبَيِّنُ الحلالَ والحرامَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ سَلك طَرِيقَ الْهُدَى وَصَل إِلَى اللهِ، وَجَعَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النَّحل: ٩]، حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

١٣- ﴿**وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى**﴾، أَيِ: الْجَمِيعُ مِلْكُنَا، وَأَنَا الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٣١- ٢٣٣.

١٤- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ تَوَهَّجُ.

عن سِماك بْنِ حَرْبٍ، سمعتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «**أُنْذِرُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا**»، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصة كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ»[(١)].

وَعن أَبي إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ النعمان بن بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رجلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أيضاً، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَل، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**»[(٣)].

١٥- ﴿لَا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى﴾، أَيْ: لَا يَدْخُلُهَا دُخُولًا يُحِيطُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ إِلَّا الْأَشْقى، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ:

١٦- ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾، أَيْ: بِقَلْبِهِ، ﴿وَتَوَلَّى﴾، أَيْ: عَنِ الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ وأركانه.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[(٤)].

١٧- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾، أَيْ: وسَيُزَحزح عَنِ النَّارِ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْأَتْقَى، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

١٨- ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، أَيْ: يَصْرِفُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ؛ لِيُزَكِّي نَفْسَهُ، وَمَالَهُ، وَمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا.

---

(١) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٤٨، برقم ١٨٣٩٨، وحسنه محققو المسند.
(٢) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٦٢، برقم ١٨٤١٣، وصحح إسناده محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٥٦٢، وصحيح مسلم، برقم ٢١٣.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٧٢٨٠، ومسند أحمد، ١٤/ ٣٤٢، برقم ٨٧٢٨.

١٩- ﴿وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، أَيْ: لَيْسَ بَذْله مَالَهُ فِي مُكَافَأَةِ مَنْ أَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، فَهُوَ يُعْطِي فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ:

٢٠- ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى﴾، أَيْ: طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ رُؤْيَتُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

٢١- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، أَيْ: وَلَسَوْفَ يَرْضَى مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًا كَرِيمًا جَوَادًا، بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدٌ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي، لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ، وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَته خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ يُدعى مِنْهَا ضَرُورَةٌ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[(١)(٢)].

وذكر الإمام البغوي رحمه الله: «﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾: يَعْنِي: الْبَيَانَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، قَالَ: عَلَى اللَّهِ

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٨٤١، وصحيح مسلم، برقم ١٠٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٧.

بَيَانُ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: يَعْنِي مَنْ سَلَكَ الْهُدَى فَعَلَى اللهِ سَبِيلُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النَّحْلِ: ٩]، يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ اللهَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ الْقَاصِدِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى وَالْإِضْلَالَ، كَقَوْلِهِ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢٦]...﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِ مَالِكِهِمَا فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ»[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ ملكًا وتصرفًا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي: تستعر وتتوقّد، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ﴾ بالخبر ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الأمر، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدًا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبدًا لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها، ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص، إخلاصه، وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٦.

الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء، ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى؛ ولهذا قال: ﴿إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين»[١].

وذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إن علينا للهدى﴾ فيه التزام من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبيّن للخلق ما يهتدون به إليه، والمراد بالهدى هنا: هدى البيان والإرشاد، فإن الله تعالى التزم على نفسه بيان ذلك، حتى لا يكون للناس على الله حجة... وليُعلم أن الهدى نوعان: هدى التوفيق، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، وهدى إرشاد ودلالة، فهذا يكون من الله، ويكون من الخلق: من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن العلماء... ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ يعني: لنا الآخرة والأولى، الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخرها لفائدتين: الفائدة الأولى: معنوية، والفائدة الثانية: لفظية، أما المعنوية؛ فلأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماماً... أما الفائدة اللفظية: فهي مراعاة الفواصل، يعني: أواخر الآيات، كلها آخرها ألف... ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ يعني أنه لا يعطي المال مكافأة على نعمة سابقة من شخص، فليس لأحد عليه فضل حتى يعطيه مكافأة، ولكنه يعطي ابتغاء وجه الله؛ ولهذا قال: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾، فهو لا ينفق إلا طلب وجه الله، أي: طلب الوصول إلى دار كرامته التي يكون بها رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ولسوف يرضى﴾ يعني: سوف يرضيه الله عَزَّ وَجَلَّ بما يعطيه من الثواب الكثير...»[٢].



(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٦)
(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لمحمد بن عثيمين، ص ٢٣٥- ١٢٣٧.

٩٣ -تَفْسِيرُ سُورَةِ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾.

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبا يَقُولُ: اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[(١)].

وَفِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ: سَمِعَ جُنْدُبًا قَالَ: أَبْطَأَ جِبْرِيلُ على رسول الله ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وُدِّعَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[(٢)].

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ -مِنْهُمُ ابْنُ إِسْحَاقَ- أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ هِيَ الَّتِي أَوْحَاهَا جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ تَبَدَّى لَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَدَنَا إِلَيْهِ، وَتَدَلَّى مُنْهَبِطًا عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النَّجْم: ١٠]، قَالَ: قَالَ لَهُ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا نزل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنُ، أَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيلُ أَيَّامًا، فَتَغَيَّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[(٣)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: سَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) مسند أحمد، ٣١/ ١٠٤، برقم ١٨٨٠٤، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٨٣، وصحيح مسلم، برقم ١٧٩٧، والترمذي، برقم ٣٣٤٥، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٨١، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٢، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨١.

ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: «سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا»، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُ الْوَحْيُ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: كَانَ سَبَبُ احْتِبَاسِ جِبْرِيلَ عليه السلام عنه كان جرو في بيته، فلما نزل عَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِبْطَائِهِ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ»[(١)].

وَهَذَا قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالضُّحَى، وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الضِّيَاءِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، أَيْ: سَكَنَ فَأَظْلَمَ وادلهم، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [اللَّيل: ١- ٢]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦][(٢)].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿وَالضُّحَى﴾، أَقْسَمَ بِالضُّحَى، وَأَرَادَ بِهِ النَّهَارَ كُلَّهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَابَلَهُ بالليل إذا سجى، نظيره قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٩٨]، أَيْ نَهَارًا، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي وَقْتَ الضُّحَى، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ، وَاعْتِدَالُ النَّهَارِ فِي الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَالصَّيْفِ، وَالشِّتَاءِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الْوَالِبِيُّ عَنْهُ: إِذَا ذَهَبَ، قَالَ عَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَطَّى كُلَّ شَيْءٍ بِالظُّلْمَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: سَكَنَ، وَاسْتَقَرَّ ظَلَامُهُ، فَلَا يَزْدَادُ بَعْدَ ذَلِكَ، يُقَالُ: لَيْلٌ سَاجٍ، وَبَحْرٌ سَاجٍ، إِذَا كَانَ سَاكِنًا»[(٣)].

وقال في أضواء البيان للشنقيطي: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ... سَكَنَ، ...

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨، وحديث زيد بن أسلم في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ١٨٣، برقم ٣٤٨٧، ولفظه: عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «إن رسول اللَّه ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، قَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! استنكرتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمَا وَاللَّهِ مَا أخلفني!» قَالَتْ: فظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يومَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ بساط لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ، فأُخرج، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً، فَنَضَحَ بِهِ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى؛ لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي اللَّيْلَةَ؟!» قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كلب الحائط الكبير». وقال العلامة الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ١٨٣: «صحيح» وفي مسند الإمام أحمد، ٣٦/ ١٠٧، برقم ٢١٧٧٢ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، ولفظه: قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ، فَسَأَلْتُهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ: «لَمْ يَأْتِنِي جِبْرِيلُ مُنْذُ ثَلَاثٍ» قَالَ: فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ بَيْنَ بُيُوتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، فَبَدَا لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَبَهَشَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُ، فَقَالَ: «لَمْ تَأْتِنِي» فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا تَصَاوِيرُ» وقوى إسناده محققو المسند.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨١.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ سَكَنَ بِأَهْلِهِ، وَثَبَتَ بِظَلَامِهِ»[١].

٣- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أَيْ: مَا تَرَكَكَ، ﴿وَمَا قَلَى﴾، أَيْ: وَمَا أَبْغَضَكَ[٢].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى﴾، هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، أَيْ: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ، وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ»[٣].

٤- ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾، أَيْ: وَللدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْظَمَهُمْ لَهَا إِطْرَاحًا، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَمَّا خُيِّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بَيْنَ الْخُلْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الصَّيْرُورَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ راح وتركتها**»، ولفظ الترمذي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[٤].

٥- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أعدَّه لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، وَطِينُهُ مِسْك أَذْفَر.

٦- ثُمَّ قَالَ تعالى يعدد نعمه عل عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّي وَهُوَ حَملٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ،

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ٢٧٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٣.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨.
(٤) مسند أحمد، ٦/ ٢٤١، برقم ٣٧٠٩، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٧٧، وَقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وسنن ابن ماجه، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٦٦٨.

وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ وُلِدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ، ويرفع مِنْ قدره ويُوقّره، وَيَكُفُّ عَنْهُ أَذَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنِ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وحُسن تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وجُهالهم، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّته عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوه ونَصَرُوه وَحَاطُوهُ، وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَكِلَاءَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ[(١)].

٧- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ بِهَذَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَلَّ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ ضَلَّ، وَهُوَ مَعَ عَمِّهِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، وَكَانَ رَاكِبًا نَاقَةً فِي اللَّيْلِ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ يَعْدِلُ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ، حكاهما البغوي[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، أي: وجدك لا تدري ما الكتاب، ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق»[(٣)].

٨- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أَيْ: كُنْتَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، فَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامَي، الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِلَ الرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٥.
(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٨، وتفسير كثير، ١٤/ ٣٨٥.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أَيْ: فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ، ثُمَّ بِالْغَنَائِمِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَرَضَّاكَ بِمَا أَعْطَاكَ مِنَ الرِّزْقِ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ، وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرْضَاهُ بِمَا آتَاهُ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْغِنَى»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[(٢)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، ورُزِق كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**»[(٣)].

٩- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أَيْ: كَمَا كُنْتَ يَتِيمًا فَآوَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَقْهَرِ الْيَتِيمَ، أَيْ: لَا تُذِلَّهُ، وَتَنْهَرْهُ، وَتُهِنْهُ، وَلَكِنْ أحسِنْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ بِهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ.

١٠- ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أَيْ: كَمَا كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَنْهَرِ السَّائِلَ فِي الْعِلْمِ الْمُسْتَرْشِدَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أَيْ: فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَّاشا، وَلَا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي رَد الْمِسْكِينَ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ[(٤)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك، أو ردّه بمعروف وإحسان، وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم؛ ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام، والتحنن عليه؛ فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد»[(١)].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٩.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤٤٦، وصحيح مسلم، برقم ١٠٥١.
(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠٥٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٥.
(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٥.

١١- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أَيْ: وَكَمَا كُنْتَ عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ، فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْك، كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ النَّبَوِيِّ: «وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِك، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا»[١].

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهَا[٢].

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: «لَا مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[٤].

وَعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»[٥].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أعطى عطاء فَوَجَد فليَجزْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»[٦].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾، وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية ﴿فَحَدِّثْ﴾ أي: أثنِ على الله بها، وخصّصْها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلاّ فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن»[١].



(١) الأدب المفرد، برقم ٦٣٠، وسنن أبي داود، برقم ٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤٩١.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٩.
(٣) مسند أحمد، برقم ١٣٠٧٥، وسنن الترمذي، برقم ١٩٥٤، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٨١١.
(٤) سنن أبي داود، برقم ٤٨١١، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٦٠.
(٥) سنن أبي داود، برقم ٤٨١٤، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، تحت حديث رقم ٩٦٨.
(٦) سنن أبي داود، برقم ٤٨١٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٩٦٨.
(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.

٩٤ - تفسير سورة أَلَمْ نَشْرَحْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾.

١- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، يَعْنِي: أَمَا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، أَيْ: نَوَّرْنَاهُ، وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وَكَمَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعه فَسِيحًا وَاسِعًا، سَمْحًا سَهْلًا، لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا إِصْرَ وَلَا ضِيقَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: شَرْحُ صَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ التِّرْمِذِيُّ[1] هَاهُنَا، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ وَاقِعًا، وَلَكِنْ لَا مُنَافَاةَ، فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ شَرْحِ صَدْرِهِ الَّذِي فُعِل بِصَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْحِ الْمَعْنَوِيّ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أَلَمْ نَفْتَحْ، وَنُوَسِّعْ،

---

(١) سنن الترمذي، برقم ٣٣٤٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وورد بنحوه في صحيح مسلم، برقم ١٦٤، ولفظه: عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا» قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»، قَالَ: «فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ «لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى، وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ﷺ»، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عليه السلام، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي»، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، «أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً»، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ،

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٨.

وَنُلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِكْمَةِ؟»[١].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ أي: نوسعه لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا»[٢].

وقال في **أضواء البيان**: «وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى شَرْحِ الصَّدْرِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ فِيمَا قَالُوا، وَكُلُّهَا يُكْمِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَقِيلَ: هُوَ شَقُّ الصَّدْرِ: سَوَاءٌ كَانَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ، وَغَسْلُهُ، وَمَلْؤُهُ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ... وَقِيلَ: شَرْحُ الصَّدْرِ إِنَّمَا هُوَ تَوْسعتهُ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَجَعْلُ قَلْبِهِ وِعَاءً لِلْحِكْمَةِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**»، وَعِنْدَ أَبِي كَثِيرٍ: نَوَّرْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥]»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ هذا الاستفهام يقول العلماء إنه استفهام تقرير، واستفهام التقرير يرد في القرآن كثيراً، ويقدّر الفعل بفعل ماضٍ مقرون بقد، ففي قوله: ﴿**ألم نشرح لك**﴾ يقدّر بأن المعنى: قد شرحنا لك صدرك؛ لأن الله يقرر أنه شرح له صدره، وهكذا جميع ما يمر بك من استفهام التقرير؛ فإنه يقدر بفعل ماضٍ مقرون بقد... ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ أي: نوسّعه، وهذا الشرح شرح معنوي ليس شرحاً حسيًّا، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله عَزَّ وَجَلَّ بنوعيه: حكم الله الشرعي، وهو الدين، وحكم الله القدري، وهي المصائب التي تحدث على الإنسان، فشرح الصدر للحكم الشرعي معناه قبول الحكم الشرعي، والرضا به، وامتثاله ...، وأما انشراح الصدر للحكم القدري، فالإنسان الذي شرح الله صدره للحكم الكوني تجده راضياً بقضاء الله وقدره، مطمئناً إليه ...، وهو يتألم لكنه لا يصل إلى أن يحمل همًّا أو غمًّا... «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا**

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.

(٣) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ٩/ ٣٠٨.

للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له»، إذاً شرح الصدر يعني توسعته، وتهيئته لأحكام اللَّه الشرعية والقدرية»[(١)].

٢- ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾، بِمَعْنَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: ٢].

٣- ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، الْإِنْقَاضُ: الصَّوْتُ، وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أَيْ: أَثْقَلَكَ حَمْلُهُ[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي: ذنبك، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾، كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]»[(٣)].

٤- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكرُ إِلَّا ذُكِرتَ مَعِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ ذكرَه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ، وَلَا مُتشهد، وَلَا صاحبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَتْ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَرْفَعْ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ»[(٤)].

وَحَكَى الْبَغَوِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ: الْأَذَانُ. يَعْنِي: ذِكْرَهُ فِيهِ، وَأَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٤٥- ٢٤٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٣، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة،١٠/ ٢٨٧، برقم ٣٠٣، والمعجم الكبير للطبراني، برقم ١٢٢٨٩، والمعجم الأوسط له، برقم ٣٦٥١، والحاكم، ٢/ ٥٢٦، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة لابن حجر، ٧/ ١٨٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٨٦، برقم ٢٥٣٨.

أغَــرّ عَلَيــه لِلنُّبُــوَّةِ خَــاتَم مِــنَ اللَّهِ مِــنْ نُــور يَلُــوحُ وَيشْــهَد
وَضـمَّ الإلـهُ اسْـمَ النَّبِـيِّ إِلَـى اسْـمِهِ إِذَا قَـالَ فِـي الخَمْـس المـؤذنُ: أشـهدُ
وَشَــقَّ لَــهُ مِــن اسْــمِهِ لِيُجِلّــه فَـذُو العَـرشِ محمـودٌ وهَـذا مُحَمَّـدُ

وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ، حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُمَمَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْرَهُ فِي أُمَّتِهِ فَلَا يُذكر اللَّهُ إِلَّا ذُكر مَعَهُ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الصَّرْصَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَا يَصِــحُّ الأذانُ فِــي الفَــرْضِ إِلَّا بِاسْـمِهِ العَـذْب فِـي الْفَـمِ المرْضِـي

وَقَالَ أَيْضًا:

أَلَــم تَــر أَنَّــا لَا يَصِــحُّ أذانُنَــا وَلا فَرْضُـنا إِنْ لَـمْ نُكَـرِّرْه فِيهِمَـا[1]

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر اللَّه إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى اللَّه بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال، والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه اللَّه عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته»[2].

٥- ٦- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يوجَدُ الْيُسْرُ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ.

وعن الحسن قال: «كانوا يقولون: لا يغلب عسرٌ واحدٌ يُسرين اثنين»[3].

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْعُسْرَ مُعَرَّفٌ فِي الْحَالَيْنِ، فَهُوَ مُفْرَدٌ، وَالْيُسْرُ مُنَكَّرٌ فَتَعَدَّدَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فَالْعُسْرُ الْأَوَّلُ عَيْنُ الثَّانِي، وَالْيُسْرُ تَعَدَّدَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَزَّلَ الْمَعُونَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى قَدْرِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٦، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٢.

الْمؤُونَةِ، وَنَزَّلَ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ»[١].

وَمِمَّا يُرْوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:

صَبراً جَميلاً مَا أقرَبَ الفَرجا ... مَن رَاقَب اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا

مَن صَدَق اللَّهَ لَم يَنَلْه أذَى ... وَمَن رَجَاه يَكون حَيثُ رَجَا

وَقَالَ ابْنُ دُرَيد: أَنْشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ القلوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرحيبُ

وَأوْطَأتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأنَّتْ ... وَأرْسَتْ فِي أمَاكِنِهَا الخطوبُ

وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أغْنَى بحيلته الأريبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنوط مِنْكَ غَوثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المستجيبُ

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَلَرُب نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ

كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلْقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ[٢]

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «ومعنى قوله: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرَّرَ الْعُسْرَ بِلَفْظِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْيُسْرَ بِلَفْظِ النَّكِرَةِ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرَتِ اسْمًا مُعَرَّفًا، ثُمَّ أَعَادَتْهُ كَانَ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ، وَإِذَا ذَكَرَتْ نَكِرَةً، ثُمَّ أَعَادَتْهُ مِثْلَهُ صَارَ اثنين، وإذا عادته مَعْرِفاً، فَالثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ...»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسراً﴾ العسر الأول أعيد في الثانية بأل، فـ«أل» هنا للعهد الذكري، وأما يسر فإنه لم يأت معرفاً، بل جاء منكراً، والقاعدة: أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف، فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول، لأن الثاني

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٥/ ٤٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٠٠١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٢.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣.

نكرة، فهو غير الأول، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران، وفيهما عسر واحد»[(١)].

٧- ٨- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، أَيْ: إِذَا فرغت مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا، وَقطَعْتَ عَلَائِقَهَا، فَانْصَبْ فِي الْعِبَادَةِ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فَارِغَ الْبَالِ، وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَالرَّغْبَةَ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»[(٢)]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ**»[(٣)].

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَقُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَانْصَبْ لِرَبِّكَ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَانْصَبْ فِي حَاجَتِكَ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَعَنِ ابْنِ عِيَاضٍ نَحْوُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ بَعْدَ فَرَاغِكَ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَنْتَ جَالِسٌ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾، يَعْنِي: فِي الدُّعَاءِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾، أَيْ: مِنَ الْجِهَادِ، ﴿فَانْصَبْ﴾، أَيْ: فِي الْعِبَادَةِ، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، قَالَ الثَّوْرِيُّ: اجْعَلْ نِيَّتَكَ وَرَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ[(٤)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾، أَيْ: فَاتْعَبْ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَانْصَبْ إِلَى رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ يُعْطِكَ، وَرَوَى عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ التَّشَهُّدِ، فَادْعُ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَزَيْدُ بْنُ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٥٣.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣، والحديث رواه مسلم في صحيحه، برقم ٥٦٠.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، برقم ٥٤٦٥، ومسلم، برقم ٥٥٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٣.

أَسْلَمَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ وَصَلِّ، وَقَالَ حَيَّانُ عَنِ الْكَلْبِيِّ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَانْصَبْ، أَي:اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، قَالَ عَطَاءٌ: تَضَرَّعْ إِلَيْهِ رَاهِبًا مِنَ النَّارِ رَاغِبًا فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: فَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي اجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّه وحده»[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾ وحده، ﴿فَارْغَبْ﴾ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك، وقبول عباداتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا، وتفرغوا، لعبوا، وأعرضوا عن ربهم، وعن ذكره، فتكون من الخاسرين، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿فإذا فرغت﴾ من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك، واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ أي إذا فرغت من أعمالك فانصب لعمل آخر، يعني اتعب لعمل آخر، لا تجعل الدنيا تضيع عليك، ولهذا كانت حياة الإنسان العاقل حياة جد، كلما فرغ من عمل شرع في عمل آخر، وهكذا؛ لأن الزمن يفوت على الإنسان، في حال يقظته، ومنامه، وشغله، وفراغه... ﴿وإلى ربك فارغب﴾ يعني إذا عملت الأعمال التي فرغت منها، ونصبت في الأخرى، فارغب إلى الله عَزَّوَجَلَّ في حصول الثواب، وفي حصول الأجر، وفي الإعانة كن مع الله عَزَّوَجَلَّ قبل العمل، وبعد العمل، قبل العمل كن مع الله تستعينه، وبعده ترجو منه الثواب، وفي قوله: ﴿إلى ربك فارغب﴾ فائدة بلاغية ﴿إلى ربك﴾ متعلقة من حيث الإعراب بـ«ارْغَبْ»، وهي مقدمة عليها، وتقديم المعمول يفيد

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.

الحصر، يعني إلى اللهِ لا إلى غيره، فارغب في جميع أمورك، وثق بأنك متى علقت رغبتك بالله ﷻ؛ فإنه سوف ييسر لك الأمور»[(١)].

وقال في **أضواء البيان**: «﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ النَّصَبُ: التَّعَبُ بَعْدَ الِاجْتِهَادِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ**﴾ [الغاشية: ٢ - ٣]، وَقَدْ يَكُونُ النَّصَبُ لِلدُّنْيَا أَوْ لِلْآخِرَةِ، وَلَمْ يُبَيِّنِ الْمُرَادَ بِالنَّصَبِ فِي أَيِّ شَيْءٍ، فَاخْتُلِفَ فِيهِ، وَلَكِنَّهَا أَقْوَالٌ مُتَقَارِبَةٌ، فَقِيلَ: فِي الدُّعَاءِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: فِي النَّافِلَةِ [بعد الفراغ] مِنَ الْفَرِيضَةِ، وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ، أَنَّهُ تَوْجِيهٌ عَامٌّ لِلْأَخْذِ بِحَظِّ الْآخِرَةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا... ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾ التقديم هنا مشعر بالتخصيص وهو كقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد غيرك، وهكذا هنا لا ترغب إلى غيره سبحانه، كأنه يقول: الذي أنعم عليك بكل ما تقدم، هو الذي ترغب فيما عنده لا سواه»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين، جزء عم، ص ٢٥٥.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢١٩- ٢٢١.

٩٥ -سُورَةِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي سَفَرٍ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ»[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾.

١- اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالتِّينِ مَسْجِدُ دِمَشْقَ، وَقِيلَ: هِيَ نَفْسُهَا، وَقِيلَ: الْجَبَلُ الَّذِي عِنْدَهَا.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَسْجِدُ نُوحٍ الَّذِي عَلَى الْجُودِيِّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ تِينُكُمْ هَذَا.

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾، قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ: هُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ: هُوَ هَذَا الزَّيْتُونُ الَّذِي تَعْصِرُونَ.

٢- ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى.

٣- ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، يَعْنِي: مَكَّةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي، وَابْنُ زَيْدٍ، وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: هَذِهِ مَحَالٌّ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ، فَالْأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٢، وصحيح مسلم برقم ٤٦٤، وسنن أبي داود، برقم ١٢٢١، وسنن الترمذي، برقم ٣١٠، وسنن النسائي، برقم ١٠٠٠، وسنن ابن ماجه، برقم ٨٣٤، ٨٣٥ واللفظ له بعد الجمع بين روايتيه.

وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَالثَّانِي: طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ، قَالُوا: وَفِي آخِرِ التَّوْرَاةِ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الثَّلَاثَةِ: جَاءَ اللَّهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، يَعْنِي الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ، يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ مِنْهُ عِيسَى، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ، يَعْنِي: جِبَالَ مَكَّةَ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ مِنْهَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَذَكَرَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الزَّمَانِ، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ، ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: هُوَ تِينُكُمْ هَذَا الَّذِي تَأْكُلُونَهُ، وَزَيْتُونُكُمْ هَذَا الَّذِي تَعْصِرُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ... ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، يَعْنِي: الْجَبَلَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،... ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، أَيِ: الْآمِنِ، يَعْنِي مَكَّةَ، يَأْمَنُ فِيهِ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، هَذِهِ كُلُّهَا أَقْسَامٌ وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾»[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿التِّينِ﴾: هو التين المعروف، وكذلك ﴿الزَّيْتُونَ﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما؛ ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أي: طور سيناء، محل نبوة موسى، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد ﷺ، فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها، وابتعث منها أفضل النبوات، وأشرفها»[(٣)].

ورجح **في أضواء البيان** أن التين هو التين المأكول المعروف، والزيتون هو المعروف، ﴿وطور سينين﴾ هو جبل سينا الذي كلم اللَّه عليه موسى

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.

عليه السلام[(١)]، ورجح ذلك العلامة ابن عثيمين رحمه الله، وأشار إلى القول الآخر[(٢)].

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَشَكْلٍ مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ، سَوِيّ الْأَعْضَاءِ حَسَنَهَا[(٣)].

٥- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: إِلَى النَّارِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ، وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٦- ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، أَيْ: إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، رُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، حَتَّى قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْهَرَمَ قَدْ يُصِيبُ بَعْضَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العَصْر: ١ -٣].

٦- ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ.

٧- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، يَعْنِي: يَا ابْنَ آدَمَ ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؟ أَيْ: بِالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْبَدْأَةَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْأَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرَّجْعَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، فَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ، وَقَدْ عَرَفْتَ هَذَا؟»[(٤)].

وعَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾، عَنَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! عَنَى بِهِ الْإِنْسَانَ، وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَغَيْرُهُ[(٥)].

٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، أَيْ: أَمَا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ، وَلَا

---

(١) أضواء البيان، ٩/ ٣٢٥.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٥٦.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٩، وهو في تفسير الطبري، ٢٤/ ٥١٤.

يَظْلِمُ أَحَدًا، وَمِنْ عَدْله أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ، فَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ : «﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ**﴾، يُرِيدُ إِلَى الْهَرَمِ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَيَنْقُصُ عَقْلُهُ، وَيَضْعُفُ بَدَنُهُ، وَالسَّافِلُونَ هُمُ الضُّعَفَاءُ، وَالزَّمْنَى، وَالْأَطْفَالُ، فَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، وَ﴿**أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ نَكِرَةٌ تَعُمُّ الْجِنْسَ ... وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى النَّارِ، يَعْنِي إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ؛ لِأَنَّ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ»[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا، أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم اللَّه في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا مَنْ منَّ اللَّه عليه بالإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿**فَلَهُمْ**﴾ بذلك المنازل العالية، و﴿**أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ أي: غير مقطوع، بل لذَّات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلّها، ﴿**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ**﴾ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات اللَّه الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به، ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾، فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يُؤمرون ولا يُنهون، ولا يُثابون ولا يُعاقبون؟، أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم، والخير، والبر ما لا يحصونه، وربّاهم التربية الحسنة، لا بدّ أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم، وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمُّون»[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٠٤.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٤.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٧.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَما يُكَذِّبُكَ**﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَعْدُ، أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَالْبُرْهَانِ، بِالدِّينِ، بِالْحِسَابِ، والجزاء»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ هذا هو المقسم عليه، أقسم الله تعالى أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذه الجملة التي فيها المقسم عليه مؤكدة بثلاثة مؤكدات: القسم، واللام، وقد، أقسم الله أنه خلق الإنسان ﴿**فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ في أحسن هيئة، وخِلقة، و﴿**فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ فطرة وقصداً؛ لأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، فالمخلوقات الأرضية كلها دون بني آدم في الخلقة، لأن الله تعالى قال: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ قوله: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾، هذه الردة التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ تعني أن الله تعالى يرد الإنسان أسفل سافلين خِلقة كما قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾ [النحل: ٧٠]، فكلما ازدادت السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة الجسدية، وفي الهيئة الجسدية، وفي نضارة الوجه، وغير ذلك يرد أسفل سافلين، وإذا قلنا إن أحسن تقويم تشمل حتى الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب، أو تنبني على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله، والعياذ بالله، إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى، والقمة من الإيمان والعلم، والآية تشمل المعنيين جميعاً ثم قال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ يعني إلا المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين؛ لأنهم متمسكون بإيمانهم، وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا، وقوله: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرٌ**﴾ أي ثواب: ﴿**غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ غير مقطوع، ولا ممنون به أيضاً، فكلمة «**ممنون**» صالحة لمعنى القطع، وصالحة لمعنى المنة، فهم لهم أجر لا ينقطع، ولا يمن عليهم به، يعني أنهم إذا استوفوا هذا الأجر، لا يمن عليهم

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٥.

فيقال: أعطيناكم، وفعلنا، وفعلنا، وإن كانت المنة لله ﷻ عليهم بالإيمان، والعمل الصالح، والثواب، كلها منّة من الله، لكن لا يمن عليهم به، أي: لا يؤذون بالمن كما يجري ذلك في أمور الدنيا، إذا أحسن إليك أحد من الناس فربما يؤذيك بمنه عليك، في كل مناسبة يقول: فعلت بك، أعطيتك وما أشبه ذلك، ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ انتقل الله تعالى من الكلام على وجه الغيبة إلى الكلام على وجه المقابلة والخطاب، قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذا البيان «بالدين» أي: بما أمر الله به من الدين، ولهذا كلما نظر الإنسان إلى نفسه، وأصله، وخلقته، وأن الله اجتباه، وأحسن خلقته، وأحسن فطرته فإنه يزداد إيماناً بالله ﷻ، وتصديقاً بكتابه وبما أخبرت به رسله. ثم قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، وهذا الاستفهام للتقرير يقرر الله ﷻ أنه أحكم الحاكمين، وأحكم هنا اسم تفضيل، وهو مأخوذ من الحكمة، ومن الحكم، فالحكم الأكبر الأعظم الذي لا يعارضه شيء هو حكم الله ﷻ، والحكمة العليا البالغة هي حكمة الله ﷻ، فهو ﷻ أحكم الحاكمين قدراً وشرعاً، وله الحكم، وإليه يرجع الأمر كله، نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، إنه على كل شيء قدير»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٥٧- ٢٥٨.

٩٦ - سُورَةُ اقْرَأْ

وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ: التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِي ذوات الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّده لِمَثْلِهَا، حَتَّى فَجَأَه الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فغطَّني حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغطَّني الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَال: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**» قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرجُف بَوادره حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعِ، فَقَالَ: «**يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي؟**»، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «**قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ**». فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُق الْحَدِيث، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبَ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقة بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَد بْن عَبْدِ العُزى ابن قُصي، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُكْتَبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابنَ أَخِي، مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جذعا أكونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أومخرجيَّ هُم؟**»، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ

قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدركني يَوْمُكَ أَنصُرْكَ نَصْرًا مُؤزرًا.

ثُمَّ لَمْ ينشب وَرَقة أَنْ تُوُفِّي، وفَتَر الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حزن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَردى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهق الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نفسه منه، تبدى له جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رسولُ اللَّهِ حَقًا، فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأْشُهُ، وتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ[1] تَبَدى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ[2].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ الْمُبَارَكَاتُ، وهُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةٍ رَحم اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ، وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَفِيهَا التَّنْبِيهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقَةٍ، وَأَنَّ مِنْ كَرَمه تَعَالَى أَنْ عَلَّم الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي امْتَازَ بِهِ أَبُو الْبَرِيَّةِ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَالْعِلْمُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَنَانِ، ذِهْنِيٌّ، وَلَفْظِيٌّ، وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وَفِي الْأَثَرِ[3]: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ، وَفِيهِ أَيْضًا: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ»»[4].

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

---

(١) هذا الحديث يفهم منه أن النبي ﷺ فكر في الانتحار عندما تأخر عليه جبريل، وهذا فيه نظر، قال سماحة شيخنا الإمام ابن باز عند تعليقه على هذا الحديث أثناء شرحه لصحيح البخاري: «وهذا الذي قاله الزهري محل نظر، مرسل، مرسلات الزهري ضعيفة، فذهابه إلى رؤوس الجبال ليتردّى منها مرسل، والمقصود أنه فتر الوحي حتى اغتمَّ النبي لهذا ﷺ، ثم تتابع الوحي عليه بعد ذلك، ونزول آية المدثر التي كان بها رسولاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» الفوائد المجنية، ٢/ ١٦٦٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢، ومسلم، برقم ١٦٠. مسند أحمد، ٤٣/ ١١٢، برقم ٢٥٩٥٩، وهو في صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٣، وصحيح مسلم، برقم ١٦٠، ومسند أحمد، برقم ٢٥٩٥٩.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ـ للحكيم الترمذي مرفوعاً ١/ ٦٢، وجامع بيان العلم وفضله، ١/ ٣٠٦، وفي الفردوس بمأثور الخطاب، ٣/ ٢٠٤، موقوفاً على أنس، وفي سنن الدارمي، ١/ ٤٣٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ١٨٧ موقوفاً على عمر، وصححه الحاكم، ووافقه الذ هبي، وموقوفًا على أنس في المعجم الكبير للطبراني، ١/ ٢٤٦، برقم ٧٠٠، وصححه الألباني موقوفاً على أنس في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٨.

(١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ ذُو فَرَحٍ وَأَشَرٍ وَبَطَرٍ وَطُغْيَانٍ، إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدِ اسْتَغْنَى، وَكَثُرَ مَالُهُ، ثُمَّ تَهدده وَتَوَعَّدَهُ وَوَعَظَهُ، فَقَالَ:

٧- ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ أَيْ: إِلَى اللهِ الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ، وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَى مَالِكِ: مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ؟ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ؟

... قَالَ عَبْدُ اللهِ: مَنهومان لَا يَشْبَعَانِ، صَاحِبُ العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فَأَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَتَمَادَى فِي الطُّغْيَانِ، قَالَ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ[1]: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾، وَقَالَ لِلْآخَرِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطِرٍ: ٢٨]»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ الإنسان هنا ليس شخصاً معيناً، بل المراد الجنس، كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى؛ فإنه يطغى، من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، إذا رأى أنه استغنى عن رحمة اللَّه طغى، ولم يبالِ، إذا رأى أنه استغنى عن اللَّه عز وجل في كشف الكربات، وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى اللَّه، ولا يبالي، إذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي المرض، وإذا رأى أنه استغنى بالشبع نسي الجوع، إذا رأى أنه استغنى بالكسوة نسي العري، وهكذا فالإنسان من طبيعته الطغيان، والتمرد متى رأى نفسه في غنى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن؛ لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن اللَّه طرفة عين...»[3].

٩- ١٠- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٩، والأثر أخرجه في المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ص ٣٠٠، من كلام ابن مسعود، وفي سنن الدارمي، ١/ ١٠٨، برقم ٣٣٢، وضعفه محقق الدارمي، ومعجم ابن الأعرابي، برقم ١٠٠٩، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٣٥، ولكن معناه صحيح، ويقويه ما بعده، واللَّه تعالى أعلم.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٠، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ص: ٣٠٠ ، والمعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٨٠، برقم ١٠٣٨٨، ومسند البزار، ١١/ ١٤٨، برقم ٤٨٨٠، ومسند الشهاب للقضاعي، ١/ ٢١٢، برقم ٣٢٢، ومصنف ابن أبي شيبة، برقم ٢٦١١٨، وصححه الألباني موقوفاً في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٦٢٤، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٦٤.

عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ:

١١- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ، أَوْ

١٢- ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صِلَاتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، أَيْ: أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ.

١٥- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾، أَيْ: لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشِّقَاقِ وَالْعِنَادِ ﴿لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾، أَيْ: لَنسمَنَّها سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾، لنأخذن بناصيته...، كَمَا قَالَ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، يقال: سعفت بِالشَّيْءِ إِذَا أَخَذْتُهُ، وَجَذَبْتُهُ جَذْبًا شديدًا، والناصية: شَعْرُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ»[2].

١٦- ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، يَعْنِي: نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ كَاذِبَةً فِي مَقَالِهَا خَاطِئَةً فِي فعالها.

١٧- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، أَيْ: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَيْ: لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ.

١٨- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يغلبُ: أحزبُنا أَوْ حِزْبُهُ[3].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقه. فبلغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَئِنْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ»[4].

وَفِي لفظ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتوعَّده، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٠.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٨.

دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ»[(١)].

وَفِي لفظ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَآتِيَنَّهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ. قَالَ: فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا**»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يعفِّر مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، ولأعفِّرن وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فجأهم مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدقا مِنْ نَارٍ وهَولاً وَأَجْنِحَةً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ، لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا: ﴿كَلا إِنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[(٣)].

١٩- ﴿**كَلا لَا تُطِعْهُ**﴾، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثْرَتِهَا، وصلِّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[(٤)].

وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْجُدُ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[(٥)].



(١) سنن الترمذي، برقم ٣٣٤٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٤٧٠، برقم ٢٧٥.

(٢) مسند أحمد، ٤/ ٩٨، برقم ٢٢٢٥، وصححه محققو المسند.

(٣) مسند أحمد، ١٤/ ٤٢٥، برقم ٨٨٣١، وصحيح مسلم، برقم ٢٧٩٧، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٦١٩، تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٠ .

(٤) صحيح مسلم، برقم ٤٨٢ .

(٥) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.

٩٧ -سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾.

١- يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدُّخَان: ٣]، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزل فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [الْبَقَرَة: ١٨٥].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزَّة مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً على رسول الله ﷺ[1].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسُمّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ، يُقَدِّرُ اللَّهُ فِيهَا ما يكون في السَّنَةِ مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، والإحياء، والإماتة، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣]، أَيْ في ليلةِ القدْرِ يُفْصلُ مِنَ اللَّوحِ المحْفوظِ إلى الكَتَبةِ أمْرَ السنَّةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الآجالِ والأرزَاقِ إِلَى آخِرِهَا، وَهَذَا مروِيٌّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ»[2].

وقيل سميت ليلة القدر؛ لعظم قدرها، وشرفها، ورفعتها، قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... قال الأزهري: وليلة الْعَظَمَةِ وَالشَّرَفِ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ: لِفُلَانٍ عِنْدَ الْأَمِيرِ قَدْرٌ، أَيْ: جاهٍ ومنزلة، يقال: قَدَرْتُ فُلَانًا، أَيْ: عَظَّمْتُهُ، قَالَ اللَّهُ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٢، وفي الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ٥٧٢ بلفظ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ب قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، ثُمَّ نُزِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةٍ»، ومثله الإيمان لابن منده، ٢/ ٧٠٤، برقم ٧٠٣، و المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٢٤٢، برقم ٢٨٧٩، وصححه، ووافقه الذهبي،

(٢) تفسير ابن كثير، عند قوله: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ من سورة الدخان، الآية ٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٩.

تَعَالَى: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، أَيْ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وقيل: لأن العمل الصالح فيها يكون ذَا قَدْرٍ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِكَوْنِهِ مَقْبُولًا»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحيح أنه شامل للمعنيين: فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء، والإماتة، والأرزاق، وغير ذلك»[٢].

٢-٣- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعَظِّما لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ هذه الجملة بهذه الصيغة يستفاد منها التعظيم، والتفخيم، وهي مطردة في القرآن الكريم، قال اللَّه تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١-٣]، ﴿القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة﴾ [القارعة: ١-٣].

فهذه الصيغة تعني التفخيم، والتعظيم، فهنا قال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: ما أعلمك ليلة القدر، وشأنها، وشرفها، وعظمها، ثم بين هذا بقوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾، وهذه الجملة كالجواب للاستفهام الذي سبقها، وهو قوله: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ الجواب: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنا ثواب العمل فيها، وما ينزل اللَّه تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

وروى ابن أبي حاتم عَنْ مُجَاهِدٍ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِي تِلْكَ الشُّهُورِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، وَالشَّافِعِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[٤].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٩.
(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧١.
(٣) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧٤.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٢،

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ، وَلَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، هُوَ اختيارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّوَابُ، لَا مَا عَدَاهُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**رِباطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْر مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيمَا سِواهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»، رَوَاهُ أَحْمَدُ[1].

وَكَمَا جَاءَ فِي قَاصِدِ الْجُمُعَةِ بِهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ: «**أَنَّهُ يُكتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»[2]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُشَابِهَةِ لِذَلِكَ»[3].

وَعَنْ أَبِي هُريرة قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرم خَيرَها فقَدْ حُرم**»[4].

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ، ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ**»[5].

٤- ﴿تنزلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أَيْ: يَكْثُرُ تنزلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ.

وَأَمَّا الرُّوحُ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَقِيلَ: هُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ النَّبَأِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾، يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) مسند أحمد، ١/ ٥٦١، برقم ٥٥٨، ولفظه: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»، وحسن إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٩٣، برقم ١٦١٧٣، وصحح إسناده محققو المسند، سنن أبي داود، برقم ٣٤٥، سنن ابن ماجه، برقم ١٠٨٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ١٧٦، برقم ٣٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٦.

(٤) مسند أحمد، ١٢/ ٥٩، برقم ٧١٤٨، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، برقم ٢١٠٦، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٤١، برقم ٩٩٩.

(٥) صحيح البخاري، برقم ١٩٠١، وصحيح مسلم، برقم ٧٦٠ .

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٧.

مَعَهُمْ، ﴿فِيها﴾ أَيْ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أَيْ: بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَالْبَرَكَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، أَيْ: بِأَمْرِ اللَّهِ ﴿سَلامٌ﴾، قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلامٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَهْلِ طاعته... وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿سَلامٌ هِيَ﴾ أَيْ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ... حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيْ: إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره، والمراد به الإذن الكوني؛ لأن إذن اللَّه – أي أمره – ينقسم إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي، فقوله تعالى: ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه﴾ [الشورى: ٢١] أي: ما لم يأذن به شرعاً؛ لأنه قد أذن به قدراً... ،إذاً هذه الآية ﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره القدري وقوله: ﴿من كل أمر﴾، قيل: إن ﴿من﴾ بمعنى الباء، أي: بكل أمر مما يأمرهم اللَّه به، وهو مبهم، لا نعلم ما هو، لكننا نقول إن تنزل الملائكة في الأرض عنوان على الخير، والرحمة، والبركة. ﴿سلام هي﴾ الجملة هنا مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، والتقدير: «هي سلام» أي: هذه الليلة سلام، ووصفها اللَّه تعالى بالسلام؛ لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها... »[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: سَلَامُ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلامٌ هِيَ﴾، قَالَ: هِيَ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا، أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَذًى.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: تُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ، وَتُقَدَّرُ الْآجَالُ وَالْأَرْزَاقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٥- ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا هُشَيْم، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، قَالَ: تُسلمُ الْمَلَائِكَةُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: «مِنْ كُلِّ امْرِئٍ سَلَامٌ هِيَ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧٥.

حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»[(١)].

وقال في أضواء البيان: «﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قيل: سَلَامٌ هِيَ: أَيْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ لَقِيَتْهُ، وَقِيلَ: سَلَامٌ هِيَ: أَيْ: كُلُّ أَمْرٍ فِيهَا فَهُوَ سَلَامٌ، وَلَا يُصَابُ أَحَدٌ فِيهَا بِسُوءٍ، وَعَلَى كُلٍّ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَالْأَوَّلُ جُزْءٌ مِنَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الثَّانِيَ يَجْعَلُهَا ظَرْفًا لِكُلِّ خَيْرٍ، وَيَنْفِي عَنْهَا كُلَّ شَرٍّ، وَمِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، سَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرِيرة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**إنها ليلة سابعة، أو: تاسعة، وعشرين، وإن الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عدد الحصا**»[(٣)].

وَقَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾، يَعْنِي: هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وَتُصْبِحُ شَمْسُ صَبِيحَتِهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ**»[(٤)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَأُنْسِيتُهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مِنْ لَيَالِيهَا، وهي لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ بِلُجَةٌ، لَا حَارَةً وَلَا بَارِدَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا، لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا**»[(٥)].

ولَيْلَةُ الْقَدْرِ يَخْتَصُّ وُقُوعُهَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ.

قِيلَ: ليلة القدر: لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: اعْتَكَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الْعَشْرَ الأول مِنْ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٠٧.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٣٩٢.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٢٧٧، برقم ٢٦٦٨، وحسّن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٢٢٠.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٤٠١، برقم ٢٨٠٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: ٥٤٧٥.

(٥) صحيح ابن خزيمة، ٣/ ٣٣٠، برقم ٢١٩٠، وضعفه الأعظمي، واستدرك عليه الألباني فقال: «وهو حديث صحيح لشواهده التالية: ٢١٩٢، و٢١٩٣، وغيرهما مما خرجته في الضعيفة، ٤٤٠٤».

مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي أُنْسِيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ وَفِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ**»، وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدًا مِنَ النَّخْلِ، وَمَا نَرى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَة فَمُطرنا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ، وَفِي لَفْظٍ: «**فِي صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ**»، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)].

وَقِيلَ: لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[(٢)]،

وَقِيلَ: لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِلَالٌ: مؤذنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «**أَنَّهَا أَوَّلُ السَّبْعِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»[(٣)]، وهو مَوْقُوفٌ صَحِيح، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، وَالْحسنِ، وَقَتَادَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ: «**أَنَّهَا لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ**».

وَقِيلَ: تَكُونُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**»[(٤)]، فَسَّره كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الْأَوْتَارِ، وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ، وَحَمَلَهُ آخَرُونَ عَلَى الْأَشْفَاعِ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)] فِي صَحِيحِهِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**».

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَشُعْبَةَ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٧، ومسلم، برقم ١١٦٧.
(٢) صحيح مسلم، برقم ١١٦٨.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٤٧٠.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢١.
(١) صحيح مسلم، برقم ٢١٧- (١١٦٧).
(٢) صحيح مسلم، برقم ٢٢٠- (٢٦٧).

عَبْدَةَ، عَنْ زِرّ، عَنْ أَبِي...، فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ: فَقَالَ: «وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ، يَحْلِفُ مَا يَسْتَثْنِي، وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةِ الْقَدْرِ هِيَ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا»[١].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِي رَمَضَانَ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنَّهَا فِي وِتْرٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي ليلة القدر: «**إنها ليلة سابعة أو تاسعة وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى**»[٣].

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ آنِفًا، وَلِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ[٤]، مِنْ حَدِيثِ عُيَينة بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلَاثٍ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ**»، يَعْنِي: الْتَمِسُوا لَيْلَةَ القدر،

وَفِي الْمُسْنَدِ[١] مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**إِنَّهَا آخِرُ لَيْلَةٍ**».

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ نَصَّ عَلَيْهِ مَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَالْمُزَنِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيمة، وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنِ الشَّافِعِيِّ؛ نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْهُ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٧٦٢.

(٢) مسند أحمد، ٣٧/ ٣٨٦، برقم ٢٢٧١٣، وحسنه محققو المسند دون جملة: «أو في آخر ليلة».

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٤٢٧، برقم ١٠٧٣٤، وذكر محققو المسند أن إسناده محتمل للتحسين، وهو في مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٢٧٧، برقم ٢٦٦٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٤٧٣.

(٤) سنن الترمذي، برقم ٧٩٤، وسنن النسائي الكبرى برقم ٣٤٠٤، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) مسند أحمد، ٣٤/ ٤٤، برقم ٢٠٤٠٤، وصححه محققو المسند.

وَقَدْ يُسْتَأْنَسُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمر: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتحريها فَلْيَتَحرها فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»، وَفِيهِمَا[(٢)] أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»، وَلَفْظُهُ لِلْبُخَارِيِّ.

وَقَوْلُهُ: «**فَرُفِعَتْ**»، أَيْ: رُفِعَ عِلْمُ تَعينها لَكُمْ، لَا أَنَّهَا رُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْوُجُودِ، كَمَا يقوله جَهَلَةُ الشِّيعَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي: التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ**».

وَقَوْلُهُ: «**وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ**»، يَعْنِي: عَدَمُ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُبْهَمَةً اجْتَهَدَ طُلابها فِي ابْتِغَائِهَا فِي جَمِيعِ مَحَالِّ رَجَائِهَا، فَكَانَ أَكْثَرَ لِلْعِبَادَةِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَلِمُوا عَيْنَهَا، فَإِنَّهَا كَانَتِ الْهِمَمُ تَتَقَاصَرُ عَلَى قِيَامِهَا فَقَطْ، وَإِنَّمَا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ إِبْهَامَهَا لِتَعُمَّ الْعِبَادَةُ جَمِيعَ الشَّهْرِ فِي ابْتِغَائِهَا، وَيَكُونُ الِاجْتِهَادُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَكْثَرَ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزواجهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ[(٣)].

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ[(١)]: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ**»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»، أَخْرَجَاهُ[(٢)].

وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا[(٣)] «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهَا: «**وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ: اعْتِزَالُ النِّسَاءِ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٠١٥، وصحيح مسلم، برقم ١١٦٥.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠١٧، وصحيح مسلم، برقم ١١٦٩.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٦، وصحيح مسلم، برقم ١١٧٢.
(١) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٥، وصحيح مسلم، برقم ١١٧١.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٤، وصحيح مسلم، برقم ١١٧٤.
(٣) صحيح مسلم، برقم ١١٧٥.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْأَمْرَيْنِ، لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْرٌ مِنْ رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ**»[(١)].

وَالْمُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرُ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ، ثُمَّ فِي أَوْتَارِهِ أَكْثَرُ.

وَالْمُسْتَحَبُّ أَنَّ يُكْثِرَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**»؛ فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَمَا أَدْعُو؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تحب العفو، فاعف عني**»[(٢)].



---

(١) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٣٨، برقم ٢٤٣٧٧، وصححه محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٤٢/ ٣١٥، برقم ٢٥٤٩٥، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٣٥١٣، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٧٦٦٥، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٥٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٣٢٥، برقم ٣٣٩١.

٩٨ -سُورَةُ لَمْ يَكُنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ -قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، قَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَهَا أُبَيًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ هَذِهِ السُّورَةَ**»، قَالَ أُبَيٌّ: وَقَدْ ذُكِرْتُ ثَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَبَكَى أُبَيٌّ»[١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَبَكَى»[٢].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ[٣].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**»، قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قَالَ: فَقَرَأَ فِيهَا: «**وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ، فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَانِيًا، وَلَوْ سَأَلَ ثَانِيًا فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَإِنَّ ذَلِكَ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ، غَيْرُ الْمُشْرِكَةِ، وَلَا الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا فَلَنْ يكفره**»[٤].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[٥]: «وَإِنَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ السُّورَةَ تَثْبِيتًا لَهُ، وَزِيَادَةً لِإِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ -كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ[٦]، مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ عَنْهُ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ عَنْهُ[١]، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ

---

(١) مسند أحمد، ٢٥/ ٣٨٢، برقم ١٦٠٠١، وصححه لغيره محققو المسند.
(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٣٢٨، برقم ١٢٣٢٠، وصحح إسناده محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، ٣٨٠٩، ٤٩٥٩، وصحيح مسلم، برقم ٧٩٩، وسنن الترمذي، برقم ٣٧٩٢، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٨٠٣.
(٤) مسند أحمد، ٣٥/ ١٢٩، برقم ٢١٢٠٢، وحسّن إسناده محققو المسند، ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، وقال حسن صحيح، وسنن الترمذي، برقم ٣٧٩٣، وهو في مسند أبي داود الطيالسي، ١/ ٤٣٥، برقم ٥٤١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٣٥٥، برقم ٢٩٠٨.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢١.
(٦) مسند أحمد، ١٩/ ٣٩٥، برقم ١٢٤٠٣، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي الكبرى، برقم ٧٩٩٩.
(١) مسند أحمد، (١٢٤/٥) وسنن أبي داود برقم، ١٤٧٧.

عفَّانَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْهُ[١]، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْهُ[٢]، كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى إِنْسَانٍ، وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافِ مَا أَقْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَقْرَأَهُمَا، وَقَالَ، لِكُلٍّ مِنْهُمَا: «**أَصَبْتَ**»، قَالَ أُبَيٌّ: فَأَخَذَنِي مِنَ الشَّكِّ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، قَالَ أُبَيٌّ: فَفِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا، وَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»، كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ هَذَا الْحَدِيثِ بِطُرُقِهِ وَأَلْفَاظِهِ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَفِيهَا: ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ قَرَأَهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةَ إِبْلَاغٍ، وَتَثْبِيتٍ، وَإِنْذَارٍ، لَا قِرَاءَةَ تَعَلُّمٍ وَاسْتِذْكَارٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَنْ تِلْكَ الْأَسْئِلَةِ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟**»، قَالَ: لَا قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**»، فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سُورَةَ الْفَتْحِ، دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَفِيهَا قَوْلُهُ: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ الْآيَةَ [الفتح: ٢٧]، كَمَا تَقَدَّمَ»[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ**

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ٨٥، برقم ٢١١٥٠، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ١٠٢، ٢١١٧١، ومسلم، برقم ٨٢٠، وسنن أبي داود، برقم ١٤٧٨، وسنن النسائي، برقم ٩٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٢، وانظر: صحيح البخاري، برقم ٢٧٣١.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾.

١- أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهُمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُشْرِكُونَ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَمْ يَكُونُوا ﴿مُنفَكِّينَ﴾، يَعْنِي: مُنْتَهِينَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ[1].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود، والنصارى، وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ، ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ ... زَائِلِينَ مُنْفَصِلِينَ، يُقَالُ: فَكَكْتُ الشَّيْءَ فَانْفَكَّ، أَي: انْفَصَلَ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لَفْظُهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي، أَيْ: حَتَّى أَتَتْهُمُ الحجة الواضحة، يعني: مُحَمَّداً ﷺ أتاهم بالقرآن، فبيّن لهم ضلالاتهم، وجهالتهم، ودعاهم إلى الإسلام، والإيمان، فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ آمَنَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ حَتَّى أَتَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَآمَنُوا فَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ، ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو»[2].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مُنْفَكِّينَ﴾ عن كفرهم، وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم، وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ يعني: ما كان الكفار من ﴿أهل الكتاب﴾، وهم اليهود والنصارى، سموا بذلك؛ لأن صحفهم بقيت إلى أن بعث النبي ﷺ مع ما فيها من التحريف والتبديل، والتغيير، ولكن هم أهل الكتاب، فاليهود لهم التوراة، والنصارى لهم الإنجيل، ﴿والمشركين﴾ المشركون هم عبدة الأوثان من كل جنس من بني إسرائيل، ومن غيرهم، لم يكن هؤلاء ﴿منفكين﴾ أي: تاركين لما

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٣.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٣.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٩.

هم عليه من الشرك، والكفر، ومنفكين عنه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُنْفَكِّينَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، ذَكَرَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ:

هَلْ الْمُرَادُ: لَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ الْكُفْرِ؟

أَوْ هَلْ: لَمْ يَكُونُوا مُكَذِّبِينَ بِمُحَمَّدِ حَتَّى بُعِثَ، فَلَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَالتَّصْدِيقِ بِنُبُوَّتِهِ حَتَّى بُعِثَ.

أَوْ الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ حَتَّى يُرْسَلَ إلَيْهِمْ رَسُولٌ؟»

ثم ناقش تلك الأقوال، وردّها كلها، ثم قال:

«فقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ أَيْ: لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ بِاخْتِيَارِ أَنْفُسِهِمْ يَفْعَلُونَ مَا يَهْوَوْنَهُ، لَا حَجْرَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّ الْمُنْفَكَّ لَا حَجْرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَمْ يَقُلْ: «مَفْكُوكِينَ» بَلْ قَالَ: مُنْفَكِّينَ، وَهَذَا أَحْسَنُ»، إلى أن قال: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ، لَا يُؤْمَرُونَ، وَلَا يُنْهَوْنَ، وَلَا تُرْسَلُ إلَيْهِمْ رُسُلٌ، بَلْ يَفْعَلُونَ مَا شَاؤُوا مِمَّا تَهْوَاهُ الْأَنْفُسُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مَا يُخَلِّيهِمْ وَلَا يَتْرُكُهُمْ، فَهُوَ لَا يَفُكُّهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إلَيْهِمْ رَسُولًا، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، أَيْ: أَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا يَكُونُ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ الْبَتَّةَ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمَرَ وَيُنْهَى...»[٢].

قال في أضواء البيان: «تبيّن من ذلك أن الأصح في ﴿منفكين﴾ معنى متروكين...»[٣].

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ بِقَوْلِهِ:

٢- ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ مُكْتَتَبٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عَبَسَ: ١٣-١٦].

٣- ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَيْ فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ كُتُبٌ مِنَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٢٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/ ٤٩٥.

(٣) أضواء البيان، ٤/ ٤٠٤.

اللَّهِ قِيمَةٌ: عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، يَذْكُرُ الْقُرْآنَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مُسْتَقِيمَةٌ مُعْتَدِلَةٌ[(١)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾... ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يَقْرَأُ ﴿صُحُفًا﴾ كُتُبًا، يُرِيدُ مَا يَتَضَمَّنُهُ الصُّحُفُ مِنَ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتْلُو عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، لَا عَنِ كتاب، قَوْلُهُ: ﴿مُطَهَّرَةً﴾، مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْكَذِبِ، وَالزُّورِ ﴿فِيهَا﴾ أَيْ: فِي الصُّحُفِ ﴿كُتُبٌ﴾ يَعْنِي الْآيَاتِ، وَالْأَحْكَامِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا ﴿قَيِّمَةٌ﴾ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ غَيْرُ ذات عوج»[(٢)].

٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، كقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ، تَفَرَّقُوا، وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرقٍ: «**إِنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(٣)(١)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أَيِ: الْبَيَانُ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْكِتَابِ مُجْتَمِعِينَ فِي تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا بُعِثَ تَفَرَّقُوا فِي أَمْرِهِ،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٤.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٣.

(٣) مسند أحمد، ١٩/ ٢٤١، برقم ١٢٢٠٨، و٢٨/ ١٣٤، ورقم ١٦٩٣٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ٢١٨، وسنن أبي داود، برقم ٤٥٩٦، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٩٩٣، والضياء المقدسي وصححه في الأحاديث المختارة، ٧/ ٨٩، والمعجم الأوسط، ٨/ ٢٢، برقم ٧٨٤٠، والمعجم الكبير للطبراني، ١٧/ ١٣، برقم ٣، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٥٣، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٠٤، وتصحيح الألباني للروايات.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٤.

وَاخْتَلَفُوا، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ آخَرُونَ»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وما تفرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ يعني: لما جاءتهم البينة اختلفوا: منهم من آمن، ومنهم من كفر، فمن النصارى من آمن، مثل: النجاشي ملك الحبشة، ومن اليهود من آمن أيضاً مثل: عبد الله بن سلام، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، فمن علم الله منه أنه يريد الخير، ويريد الدين لله آمن، ووفق للإيمان، ومن لم يكن كذلك وفق للكفر، كذلك أيضاً من المشركين من آمن، وما أكثر المشركين من قريش الذين آمنوا، فصار الناس قبل بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يزالوا على ما هم عليه من الكفر حتى جاءتهم البينة، ثم لما جاءتهم البينة تفرقوا، واختلفوا كما قال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران: ١٠٥]»[(٢)].

٥- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حُنَفَاءُ﴾، أَيْ: مُتَحنفين عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، وَهِيَ أَشْرَفُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَالْمَحَاوِيجِ، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، أَيْ: الْمِلَّةُ الْقَائِمَةُ الْعَادِلَةُ، أَوِ: الْأُمَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُعْتَدِلَةُ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، كَالزُّهْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٢.

فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾.

٦- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَآلِ الْفُجَّارِ، مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ الْمُخَالِفِينَ لِكُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ، لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، أَيْ: شَرُّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي بَرَأَهَا اللَّهُ وَذَرَأَهَا.

٧- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَبْرَارِ -الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَبْدَانِهِمْ- بِأَنَّهُمْ خير الْبَرِيَّةِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، عَلَى تَفْضِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

٨- ثُمَّ قَالَ: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أَيْ: بِلَا انْفِصَالٍ وَلَا انْقِضَاءٍ وَلَا فَرَاغٍ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وَمَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أَيْ: هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةٌ اسْتَوَى عَلَيْهِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟»" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَجُلٌ فِي ثُلَّةٍ مِنْ غَنَمِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الَّذِي يَسأل بِاللَّهِ، وَلَا يُعطي بِهِ»[(١)].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٥.

(١) مسند أحمد، ١٥/ ٧٢، برقم ٩١٤٢ ، وصححه لغيره محققو المسند.

٩٩ -تَفسِيرُ سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، أَيْ: تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا[١].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، حُرِّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَةً شَدِيدَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ، ﴿زِلْزَالَهَا﴾، تَحْرِيكَهَا»[٢].

٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، يَعْنِي: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحَجّ: ١]، وَكَقَوْلِهِ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانْشِقَاق: ٣-٤]، وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعت يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونه فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[٣].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: مَوْتَاهَا، وَكُنُوزَهَا، فَتُلْقِيهَا عَلَى ظَهْرِهَا...»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ المراد بهم: أصحاب القبور؛ فإنه إذا نفخ ﴿فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٥.
(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠١٣.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٥.

يخرجون من قبورهم لرب العالمين ﷻ...»[(١)].

٣- ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، أَيْ: اسْتَنْكَرَ أَمْرَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ قَارَّةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عَلَى ظَهْرِهَا، أَيْ: تَقَلَّبَتِ الْحَالُ، فَصَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً، قَدْ جَاءَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا قَدْ أُعِدَّ لَهَا مِنَ الزِّلْزَالِ الَّذِي لَا مَحِيدَ لَهَا عَنْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَحِينَئِذٍ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[(٢)].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظمًا لذلك: ﴿مَا لَهَا﴾؟ أي: أي شيء عرض لها؟»[(٣)].

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أَيْ: تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا[(٤)].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾»[(٥)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿يومئذ﴾ أي: في ذلك اليوم إذا زلزلت ﴿تحدث أخبارها﴾ أي: تخبر عما فعل الناس عليها من خير أو شر»[(٦)].

وقد ثبت عن النبي ﷺ «**أن المؤذن إذا أذن؛ فإنه لا يسمع صوته شجر، ولا مدر، ولا حجر، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»[(٧)].

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ[(٨)]: أَوْحَى لَهَا، وَأَوْحَى إِلَيْهَا، وَوَحَى لَهَا، وَوَحَى إِلَيْهَا: وَاحِدٌ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَيْ: أَوْحَى إِلَيْهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مُضَمَّنٌ أَذِنَ لَهَا.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٨.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.
(٦) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٩.
(٧) صحيح البخاري، برقم ٦٠٩.
(٨) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٦٢.

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قَالَ: قَالَ لَهَا رَبُّهَا: قُولِي، فَقَالَتْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَيْ: أَمَرَهَا، وَقَالَ القُرَظِي: أَمَرَهَا أَنْ تَنْشَقَّ عَنْهُمْ[١].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي: وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي لأمره»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: « ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي: بسبب أن الله أوحى لها، يعني: أذن لها في أن تحدث أخبارها، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير إذا أمر شيئاً بأمر؛ فإنه لابد أن يقع، يخاطب الله الجماد، فيتكلم الجماد...»[٣].

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: يَرْجِعُونَ عَنْ مَوقِفِ الْحِسَابِ، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، مَأْمُورٍ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَأْمُورٍ بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا، فَلَا يَجْتَمِعُونَ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ السُّدِّي: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فِرَقًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيْ: لِيَعْمَلُوا وَيُجَازُوا بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَلِهَذَا قَالَ:

٧-٨- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

وعَنْ أَبِي هُرَيرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ طِيلها فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ، كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا، فاستَنَّت شَرَفا أو شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا، وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسقى بِهِ، كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنيا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا، وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٩.

رَبَطَهَا فَخْرًا، وَرِئَاءً، وَنِوَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ»[(١)].

فسُئل رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَنِ الحُمُر، فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[(٢)].

وَعَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ -عَمّ الْفَرَزْدَقِ-: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قَالَ: حَسْبِي! لَا أُبَالِي أَلَّا أَسْمَعَ غَيْرَهَا»[(٣)].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[(٤)]، عَنْ عَدِي مَرْفُوعًا: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحِ[(٥)]: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»، وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا[(٦)]: «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»، يَعْنِي: ظِلْفَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحرقٍ»[(٧)].

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ»[(٨)].

ورُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تَصَدَّقَتْ بِعِنَبَةٍ، وَقَالَتْ: كَمْ فِيهَا مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ[(٩)].

وَعن عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ: أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا»[(١٠)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٢، ومسلم، برقم ٩٨٧.

(٣) مسند أحمد، ٣٤/ ٢٠٠، برقم ٢٠٥٩٣، وصحح إسناده محققو المسند.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٦٥٤٠.

(٥) مسند أحمد، ٣٤/ ٢٣٦، برقم ٢٠٦٣٣، وصححه محققو المسند، بنحوه في مسلم، برقم ٢٦٢٦، ولفظه: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

(٦) صحيح البخاري، برقم ٢٥٦٦، ومسلم، برقم ١٠٣٠.

(٧) مسند أحمد، ٤٥/ ٤٤١، برقم ٢٧٤٥١، وحسن إسناده محققو المسند، وسنن البيهقي الكبرى، ٤/ ١٧٧، والمعجم الأوسط للطبراني، ١/ ٢١٩، برقم ٧١٦، والمعجم الكبير، ٢٤/ ٢١٩، برقم ٥٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٣٥٠٢.

(٨) مسند أحمد، ٤١/ ٤٩، برقم ٢٤٥٠١، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥١٩، برقم ٨٦٥.

(٩) موطأ مالك رواه بلاغاً، ٢/ ٩٩٧، برقم ٦.

(١٠) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٧٧، برقم ٢٤٤١٥، وقوّى إسناده محققو المسند.

وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْنَ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ بَانَك بِهِ[(١)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وأجَّجوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا[(٢)].

وهذه الآثار والأحاديث السابقة ذكرها الإمام ابن كثير في تفسيره أيضاً[(٣)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾، وَزْنَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّمْلِ»[(٤)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾، وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير، ولو قليلاً والترهيب من فعل الشر، ولو حقيرًا»[(٥)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**مثقال ذرة**﴾ يعني: وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل، كما هو معروف، وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم، كما ادعاه بعضهم، لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون...»[(٦)].

۞ ۞ ۞

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٨١١، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٤٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٤٤، برقم ٢٤٧٢.

(٢) مسند أحمد، ٦/ ٣٦٧، برقم ٣٨١٨، وحسنه لغيره محققو المسند.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٣.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.

(٦) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩١.

١٠٠ -تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)﴾

١- يُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ، فَعَدت وضَبَحت، وَهُوَ: الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ الْفَرَسِ حِينَ تَعْدُو[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْعادِيات ضَبْحاً﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْكَلْبِيُّ، وقتادة، ومقاتل، وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَغَيْرُهُمْ: هِيَ الْخَيْلُ العادية في سبيل اللَّه تَضْبَحُ، وَالضَّبْحُ صَوْتُ أَجْوَافِهَا إِذَا عَدَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَيْسَ شيء من الحيوانات يضبح غَيْرُ الْفَرَسِ، وَالْكَلْبِ، وَالثَّعْلَبِ، وَإِنَّمَا تَضْبَحُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ إِذَا تَغَيَّرَ حَالُهَا مِنْ تَعَبٍ، أَوْ فَزَعٍ، وهو من قول العرب: ضَبَحَتْهُ النَّارُ إِذَا غَيَّرَتْ لَوْنَهُ...»[2].

وقال علي، وعبد اللَّه بن مسعود، ومحمد بن كعب، والسدي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى[3].

وقال في أضواء البيان: «الْعَادِيَاتُ: جَمْعُ عَادِيَةٍ، وَالْعَادِيَاتُ: الْمُسْرِعَاتُ فِي مَسِيرِهَا، فَمَعْنَى الْعَادِيَاتِ: أَقْسَمَ بِالْمُسْرِعَاتِ فِي سَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخَيْلُ، تَعْدُو فِي الْغَزْوِ، وَالْقَصْدُ تَعْظِيمُ شَأْنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُرَادُ بِالْعَادِيَاتِ: الْإِبِلُ، تَعْدُو

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.

بِالْحَجِيجِ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَمِنًى...»[(١)].

ولم يذكر **العلامة السعدي** إلا القول الأول، وهو أن العاديات هي الخيل[(٢)]، والقول بأن العاديات هي الخيل قول العلامة ابن عثيمين رحمه الله وبين بأنه قول جمهور المفسرين، وقال: «وهو الصحيح»[(٣)].

وقال **الإمام ابن جرير**: «والصواب الأول: أنها الخيل حين تقدح بحوافرها»[(٤)].

٢- ﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا**﴾، يَعْنِي: اصْطِكَاكَ نِعَالِهَا لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنْهُ النَّارَ[(٥)].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً**﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ، ومقاتل، والكلبي: هي الخيل تواري النَّارَ بِحَوَافِرِهَا، إِذَا سَارَتْ فِي الْحِجَارَةِ، يَعْنِي: وَالْقَادِحَاتِ قَدْحًا؛ يَقْدَحْنَ بِحَوَافِرِهِنَّ»[(٦)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً**﴾، ويعني بذلك: قدح النار حينما يضرب الأحجار بعضها بعضاً، كما هو مشهور عندنا في حجر المرو، فإنك إذا ضربت بعضه ببعض انقدح، هذه الخيل لقوة سعيها، وشدته، وضربها الأرض، إذا ضربت الحجر ضرب الحجر الحجر الثاني، ثم يقدح ناراً، وذلك لقوتها، وقوة سعيها، وضربها الأرض»[(٧)].

٣- ﴿**فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا**﴾، يَعْنِي: الْإِغَارَةَ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا، وَيَتَسَمَّعُ أَذَانًا، فَإِنْ سَمِعَ وَإِلَّا أَغَارَ.

٤- ﴿**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا**﴾، يَعْنِي: غُبَارًا فِي مُعْتَرَكِ الْخُيُولِ[(٨)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿**فأثرن به**﴾ أي: أثرن بهذا العدو، وهذه الإغارة ﴿**نقعاً**﴾ وهو الغبار الذي يثور من شدة السعي، فإن الخيل إذا سعت

---

(١) أضواء البيان، ٩/ ٤٣٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٥.
(٤) تفسير ابن جرير، ٢٤/ ٥٦٦.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.
(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧.
(٧) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦.
(٨) تفسير ابن كثير، ١١/ ٤٣٤.

واشتد عدوها في الأرض، صار لها غبار من الكر والفر»[(١)].

٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أَيْ: تَوَسَّطْنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ كُلُّهن جُمَعَ.

وَقَالَ العوفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ: يَعْنِي جَمع الْكُفَّارِ مِنَ الْعَدُوّ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: ﴿فَوَسَطْنَ﴾ بِذَلِكَ الْمَكَانِ جَميعُهُن، وَيَكُونُ ﴿جَمْعًا﴾ مَنْصُوبًا عَلَى الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي: براكبهن ﴿جَمْعًا﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم»[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فوسطن به﴾ أي: توسطن بهذا الغبار ﴿جمعاً﴾ أي: جموعاً من الأعداء، أي: أنها ليس لها غاية، ولا تنتهي غايتها إلا وسط الأعداء، وهذه غاية ما يكون من منافع الخيل، مع أن الخيل كلها خير، كما قال النبي ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[(٤)].

٦- ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ كَفُورٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخعِي، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو الضُّحَى، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحسنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: الْكَنُودُ: الْكَفُورُ.

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَى نِعَمَ رَبِّهِ[(٥)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: لَكَنُودٌ: لَكَفُورٌ جَحُودٌ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦، والحديث أخرجه مسلم، برقم ٢٨٥٠، ومسلم، برقم ١٨٧٣.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.

بِلِسَانِ مُضَرَ، وَرَبِيعَةَ: الْكَفُورُ، وَبِلِسَانِ كِنْدَةَ، وَحَضْرَمَوْتَ: الْعَاصِي»[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه، فطبيعة الإنسان، وجبلَّته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل، والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله، وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق»[(٢)].

وذكر **في أضواء البيان**: أن الْكَنُودُ: الْكَفُورُ الْجُحُودُ لِنِعَمِ اللَّهِ، نقله القرطبي عن ابْنُ عَبَّاسٍ، وقيل: الْكَنُودُ بِلِسَانِ كِنْدَةَ: الْعَاصِي، وَبِلِسَانِ رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ: الْكَفُورُ، وَبِلِسَانِ كِنَانَةَ: الْبَخِيلُ السَّيِّئُ الْمَلَكَةِ، روى عن ابن عباس هذه المعاني، وقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ الْيَسِيرَ، وَلَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَقِيلَ: الْجَاحِدُ لِلْحَقِّ، وَقِيلَ: هو الَّذِي يُنْفِقُ نِعَمَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وقيل: الْهَلُوعُ وَالْكَنُودُ: هُوَ الَّذِي إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، وَقِيلَ: الْحَسُودُ الْحَقُودُ، ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ هذه الأقوال: هَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْكُفْرَانِ وَالْجُحُودِ»[(٣)].

وذكر **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ معنى قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ أن المراد بالإنسان هنا الجنس، أي: أن جنس الإنسان، إذا لم يوفق للهداية فإنه لكفور، أي كفور لنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقيل: المراد بالإنسان هو الكافر، فعلى هذا يكون عامًّا أريد به الخاص، والأظهر أن المراد به العموم، وأن جنس الإنسان لولا هداية الله لكان كنوداً لربه عَزَّ وَجَلَّ، والكنود هو الكفر، أي: كافر لنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ، يرزقه الله عَزَّ وَجَلَّ فيزداد بهذا الرزق عتواً ونفوراً، فإن من الناس من يطغى إذا رآه قد استغنى عن الله، وما أكثر ما أفسد الغنى من بني آدم فهو كفور بنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٤٤٥.

يجحد نعمة اللَّه، ولا يقوم بشكرها، ولا يقوم بطاعة اللَّه؛ لأنه كنود لنعمة اللَّه[(١)].

ورجح في أضواء البيان أن الضمير يعود للإنسان[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر القولين: «والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فاللَّه شهيد على ما في قلب ابن آدم، وشهيد على عمله، والإنسان أيضاً شهيد على نفسه، لكن قد يقر بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقر بها، فيشهد على نفسه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤]»[(٣)].

٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قَالَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لِشَهِيدٌ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِنْسَانِ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى كَوْنِهِ كَنُودًا لَشَهِيدٌ، أَيْ: بِلِسَانِ حَالِهِ، أَيْ: ظَاهِرٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾ [التَّوْبَةِ: ١٧][(٤)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كَوْنِهِ كَنُودًا لَشَاهِدٌ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، أَيْ: إِنَّهُ شَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَصْنَعُ»[(٥)].

٨- ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَيْ: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ، وَهُوَ: الْمَالُ، لَشَدِيدٌ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ.

وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بَخِيلٌ؛ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ[(٦)].

وقال في أضواء البيان: «﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الْخَيْرُ عَامٌّ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧]، وَلَكِنَّهُ هُنَا خَاصٌّ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٧.
(٢) أضواء البيان، ٩/ ٤٤٧.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٧.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.
(٥) تفسير البغوي، ١٤/ ٤٣٦.
(٦) تفسير ابن كثير ، ١٤/ ٤٣٧، وانظر: تفسير البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ، ٤/ ٤١٨.

بِالْمَالِ، فَهُوَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ، مِنْ قَصْرِ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٨٠]، أَيْ: مَالًا؛ لِأَنَّ عَمَلَ الْخَيْرِ يَصْحَبُهُ مَعَهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ»[(١)].

٩- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُزَهِّدا فِي الدُّنْيَا، ومُرَغِّبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمُنَبِّهًا عَلَى مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾، أَيْ: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَلا يَعْلَمُ﴾ أي: هلاّ يعلم هذا المغترّ ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم»[(٣)].

وقال في أضواء البيان: «الْبَعْثَرَةُ: الِانْتِثَارُ... هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ أَصْلَيْنِ: الْبَعْثُ، وَالنَّثْرُ، فَالْبَعْثُ: خُرُوجُهُمْ أَحْيَاءً، وَالنَّثْرُ: الِانْتِشَارُ كَنَثْرِ الْحَبِّ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى بَعْثِهِمْ مُنْتَشِرِينَ، وَقَدْ نَصَّ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، أَيْ: بُعْثِرَ مِنْ فِيهَا، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]»[(٤)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أفلا يعلم﴾ أي يتيقن. ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾ أي: نشر، وأظهر؛ فإن الناس يخرجون من قبورهم لرب العالمين، كأنهم جراد منتشر، يخرجون جميعاً بصيحة واحدة ﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]»[(٥)].

١٠- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يَعْنِي أَبْرَزَ، وَأَظْهَرَ مَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي نُفُوسِهِمْ[(١)].

---

(١) أضواء البيان، ٩/ ٤٤٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص، ١١٠١.
(٤) أضواء البيان، ٩/ ٤٥٠.
(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٨.
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٧.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: ظهر، وبان ما فيها، وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم»(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: ما في القلوب من النيات، وأعمال القلب كالتوكل، والرغبة، والرهبة، والخوف، والرجاء، وما أشبه ذلك، ... ومناسبة الآيتين بعضهما لبعض أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور: إخراج لما في الصدور، مما تكنه الصدور، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر»(٢).

١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾، أَيْ: لَعَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ(٣).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة، والباطنة، الخفية، والجلية، ومجازيهم عليها، وخصَّ خُبْرَه بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد بذلك: الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه»(٤).



(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

١٠١ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

١- ﴿الْقَارِعَةُ﴾: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَالْحَاقَّةِ، وَالطَّامَّةِ، وَالصَّاخَّةِ، وَالْغَاشِيَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ[(١)].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿الْقَارِعَةُ﴾، اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ»[(٢)].

٣- ثُمَّ قَالَ مُعَظِّمًا أَمْرَهَا، وَمُهَوِّلًا لِشَأْنِهَا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[(٣)].

٤- ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، أَيْ: فِي انْتِشَارِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ، وَمَجِيئِهِمْ، مِنْ حَيْرَتِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ فَرَاشٌ مَبْثُوثٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧][(٤)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها؛ لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورًا، فتضمحلّ ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.

الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾ أي: أنها تكون في ذلك الوقت، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث حين يخرجون من قبورهم. قال العلماء: يكونون كالفراش المبثوث، والفراش هو هذه الطيور الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة، وتكاد تمشي بدون هدى، وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار، وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه، وحيرته، وتراكمه، وسيره إلى غير هدى، و«المبثوث» يعني: المنتشر، فهو كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، لو تصورت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصورت أمراً عظيماً لا نظير له، هؤلاء العالم من آدم إلى أن تقوم الساعة، كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقي في لجة البحر، وأكلته الحيتان، أو في فلوات الأرض، وأكلته السباع، أو ما أشبه ذلك، كلهم سيخرجون مرة واحدة، يصولون ويجولون في هذه الأرض»[(٢)].

٥- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾، يَعْنِي: قَدْ صَارَتْ كَأَنَّهَا الصُّوفُ الْمَنْفُوشُ، الَّذِي قَدْ شَرَعَ فِي الذَّهَابِ وَالتَّمَزُّقِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَعَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الْعِهْنِ﴾: الصُّوفُ.

٦- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا يَؤُولُ إِلَيْهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ أَوِ الْإِهَانَةِ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

٧- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص: ٣٠٠- ٣٠١.

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ.

٩- ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ: فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأُمِّ رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وعَبَّر عَنْهُ بِأُمِّهِ-يَعْنِي دِمَاغَهُ-رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَقَتَادَةَ، قَالَ قَتَادَةُ: يَهْوِي فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: يَهْوُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُءُوسِهِمْ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿فَأُمُّهُ﴾ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَيَصِيرُ فِي الْمَعَادِ إِلَيْهَا ﴿هَاوِيَةٌ﴾، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[1]: وَإِنَّمَا قِيلَ: لِلْهَاوِيَةِ أُمُّهُ؛ لأنه لا مأوى له غيرها.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْهَاوِيَةُ: النَّارُ، هِيَ أُمُّهُ وَمَأْوَاهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا، وَقَرَأَ: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١].

١٠-١١- قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ النَّارُ، وَهِيَ مَأْوَاهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْهَاوِيَةِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بسنده عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَى قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ ذُهِبَ بِرُوحِهِ إِلَى أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُونَ: رَوِّحُوا أَخَاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، قَالَ: وَيَسْأَلُونَهُ: وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُ: مَاتَ، أو ما جَاءَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ[2].

وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا، بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا. وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ صِفَةِ النَّارِ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ قسم اللَّه تعالى الناس إلى قسمين:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٧٦.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٩.

القسم الأول: من ثقلت موازينه، وهو الذي رجحت حسناته على سيئاته.

والثاني: من خفت موازينه، وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليس له حسنة أصلاً كالكافر، يقول الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾ العيشة مأخوذة من العيش، وهو الحياة، يقال: عاش الرجل زمناً طويلاً، أي: بقي وحيي زمناً طويلاً، والعيشة هنا على وزن فعلة، فهي هيئة، وليست مصدراً، المصدر الدال على الوحدة أن تقول عيشة، وأما إذا قلت عِيْشَة، فهي فعلة تدل على الهيئة، كما قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفعلـــة لمـــرة كجَلســـةٍ وفعلـــة لهيئـــة كجِلســـةً

المعنى: أنه في حياة طيبة راضية. ﴿**راضية**﴾ قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي: مرضية. وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة، أي: ذات رضى، وكلا المعنيين واحد، والمعنى: أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه، وهذا يعني العيش في الجنة جعلنا الله منهم، هذا العيش لا يمسهم فيها نصب، وما هم منها بمخرجين، لا يحزنون، ولا يخافون، في أنعم عيش، وأطيب بال، وأسر حال فهي عيشة راضية، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ إما أنه الكافر الذي ليس له أي حسنة، لأن حسنات الكافر يجازى بها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة، أو أنه مسلم، ولكنه مسرف على نفسه، وسيئاته أكثر، ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**﴾ «أم» هنا بمعنى مقصوده، أي: الذي يقصده الهاوية، والهاوية من أسماء النار، يعني أنه مآله إلى نار جهنم، والعياذ بالله.

وقيل: إن المراد بالأم هنا: أم الدماغ، والمعنى: أنه يلقى في النار على أم رأسه، نسأل الله السلامة، وإذا كانت الآية تحتمل معنيين، لا يترجح أحدهما على الآخر، ولا يتنافيان؛ فإنه يؤخذ بالمعنيين جميعاً، فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وأيضاً ليس له مأوى، ولا مقصد إلا النار.

﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾ هذا من باب التفخيم، والتعظيم لهذه الهاوية، يسأل ما هي؟ أتدري ما هي؟ إنها لشيء عظيم، إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحمو، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتَسْعَةٍ وَسِتِّينَ**

جُزْءاً»[١]، إذا تأمّلت نار الدنيا كلّها، سواء نار الحطب، أو الورق، أو الموقد، أو أشدّ من ذلك؛ فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءاً، نسأل الله العافية، وفي هذه الآية التخويف والتحذير من هذا اليوم، وأن الناس لا يخرجون عن حالين: إما رجل رجحت حسناته، أو رجل رجحت سيئاته، وفيها أيضاً دليل على أن يوم القيامة فيه موازين، وقد جاء في بعض النصوص أنه ميزان فهل هو واحد أو متعدد؟

قال بعض أهل العلم: إنه واحد، وإنما جمع باعتبار الموزون؛ لأنه يوزن فيه الحسنات والسيئات، وتوزن فيه حسنات فلان وفلان، وتوزن فيه حسنات هذه الأمة والأمة الأخرى، فهو مجموع باعتبار الموزون، لا باعتبار الميزان، وإلا فالميزان واحد، **وقال بعض أهل العلم**: إنها موازين متعددة، لكل أمة ميزان، ولكل عمل ميزان؛ فلهذا جمعت، والأظهر، والله أعلم، أنه ميزان واحد، لكنه جمع باعتبار الموزون على حسب الأعمال، أو على حسب الأمم، أو على حسب الأفراد، وفي هذه الآية دليل على أن الإنسان إذا تساوت حسناته وسيئاته، فإنه قد سكت عنه في هذه الآية، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يحبسون في مكان يقال له الأعراف، وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن رجحت حسناته على سيئاته، وأن يغفر لنا، ويعاملنا بعفوه، إنه على كل شيء قدير»[٢].

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أَيْ: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، قَوِيَّةُ اللَّهِيبِ وَالسَّعِيرِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقدون جزء من سبعين جزء مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. فَقَالَ: «**إِنَّهَا**

(١) انظر صحيح البخاري، برقم ٣٢٥٦، ومسلم، برقم ٢٨٤٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠١- ٣٠٤.

فُضِّلَت عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا»[(١)].

وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: «أَنَّهَا فُضلت عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

وَقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. فَقَالَ: «لَقَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا حَرًّا فَحَرًّا»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدة: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[(٤)].

وَثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسين: نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، فَأَشُدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا»[(٥)].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيح جهَنم»[(٦)].



(١) صحيح البخاري، برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٤٣، وموطأ مالك، ٢/ ٩٩٤، برقم (١).
(٢) مسند أحمد، ١٦/ ٧٧، برقم ١٠٠٣٢، وصحح إسناده محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير: «وهو على شرط مسلم»، ١٤/ ٤٤٠.
(٣) مسند أحمد، ١٢/ ٢٨٠، برقم ٧٣٢٧، وصححه محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره، ١٤/ ٤٤٠: «وَهَذَا عَلَى شَرْطِ الصِّحَّةِ، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِ [...ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ]، برقم ٢٨٤٣.
(٤) مسند أحمد، ٤/ ٣٨٧، برقم ٢٦٣٦، وصحح إسناده محققو المسند.
(٥) صحيح البخاري، برقم ٣٢٦٠، وصحيح مسلم، برقم ٦١٧.
(٦)صحيح البخاري، برقم ٥٣٣، وصحيح مسلم برقم ٦١٥.

١٠٢ -تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾.

١- ٢- يَقُولُ تَعَالَى: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ، وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟!

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[(١)] يَعْنِي: كَانُوا يَرَوْنَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[(٢)]، من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

وَعَنْ مُطَرِّفٍ -يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الله بن الشخير- عن أبيه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَا لِي مَا لِي؟ وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[(٤)].

وَعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثلاثةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقى عَمَلُهُ»[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٤٠.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤٣٩، ومسلم، برقم ١٠٤٨.
(٣) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٣٣، برقم ١٦٣٠٦، وصححه محققو المسند، وصحيح مسلم، برقم ٢٩٥٨، والترمذي، برقم ٣٣٥٤، وسنن النسائي، برقم ٣٦١٣.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٩٥٩.
(٥) صحيح البخاري، برقم ٦٥١٤. وصحيح مسلم، برقم ٢٩٦٠، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٧٩، وسنن النسائي، برقم ١٩٣٧.

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ**»[(١)].

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، فِي تَرْجَمَةِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَاسْمُهُ الضَّحَّاكُ، أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ دِرْهَمًا فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الدِّرْهَمُ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لِي، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ لَكَ إِذَا أَنْفَقْتَهُ فِي أَجْرٍ، أَوِ ابْتِغَاءِ شُكْرٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَحْنَفُ مُتَمَثِّلًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أنــتَ لِلْمَــالِ إذا أمســكتَه ... فــإذَا أنفقتَــه فالمــالُ لَــكْ[(٢)]

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَكْثَرُ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَنَحْنُ أَعَدُّ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللَّهِ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، أَيْ: صِرْتُمْ إِلَيْهَا، وَدُفِنْتُمْ فِيهَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**». فَقَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟! بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُه الْقُبُورَا! قَالَ: «**فَنَعَمْ إِذًا**»[(٣)].

وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا زِلْنَا نَشُكُّ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَرَأَ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فَلَبِثَ هُنَيْهَةً، فَقَالَ: يَا مَيْمُونُ، مَا أَرَى الْمَقَابِرَ إِلَّا زِيَارَةً، وَمَا لِلزَّائِرِ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ: إِلَى جَنَّةٍ، أَوْ نَارٍ، وَهَكَذَا ذُكر أَنَّ بعضَ الْأَعْرَابِ سَمِعَ رَجُلًا يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، فَقَالَ: بُعِثَ الْيَوْمَ وربِ الْكَعْبَةِ، أَيْ: إِنَّ الزَّائِرَ سَيَرْحَلُ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ[(٤)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، شَغَلَتْكُمُ الْمُبَاهَاةُ، وَالْمُفَاخَرَةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَالْعَدَدِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَمَا يُنْجِيكُمْ مِنْ سُخْطِهِ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٢١، وصحيح مسلم، برقم ١٠٤٧، واللفظ له .
(٢) تاريخ دمشق، ٢٤/ ٣٤٢.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٣٦١٦، ٥٦٥٦، ٥٦٦٢،٧٤٧٠.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٩، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ﴾، حَتَّى مُتُّمْ، وَدُفِنْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ»[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ عن ذلك المذكور ﴿التَّكَاثُرُ﴾، ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى، فاستمرت غفلتكم، ولهوتكم، وتشاغلكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذر عليكم استئنافه، ودل قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، أن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين، فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ﴾ هذه الجملة جملة خبرية، يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ بها العباد مخاطباً لهم يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، ومعنى ﴿ألهاكم﴾ أي: شغلكم حتى لهوتم عن ما هو أهم من ذكر الله تعالى، والقيام بطاعته، والخطاب هنا لجميع الأمة، إلا أنه يخصص بمن شغلتهم أمور الآخرة عن أمور الدنيا، وهم قليل، وإنما نقول هم قليل؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»[٣]، واحد في الجنة، والباقي في النار، وهذا عدد هائل! إذا لم يكن من بني آدم إلا واحداً من الألف من أهل الجنة، والباقون من أهل النار، إذاً فالخطاب بالعموم في مثل هذه الآية جار على أصله؛ لأن الواحد من الألف ليس بشيء بالنسبة إليه، وأما قوله: ﴿التكاثر﴾، فهو يشمل التكاثر بالمال، والتكاثر بالقبيلة، والتكاثر بالجاه،

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.
(٣) البخاري، رقم ٦٥٣٠، ومسلم، برقم ٢٢٢.

والتكاثر بالعلم، وبكلِ ما يمكن أن يقع فيه التفاخر، ويدل لذلك قول صاحب الجنة لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤]، فالإنسان قد يتكاثر بماله، فيطلب أن يكون أكثر من الآخر مالاً، وأوسع تجارة، وقد يتكاثر الإنسان بقبيلته، يقول نحن أكثر منهم عدداً، كما قال الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

أكثر منهم حصى؛ لأنهم كانوا فيما سبق يعدون الأشياء بالحصى، فمثلاً: إذا كان هؤلاء حصاهم عشرة آلاف، والآخرون حصاهم ثمانية آلاف، صار الأول أكثر وأعز، فيقول الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

كذلك يتكاثر الإنسان بالعلم، فتجده يكاثر على غيره بالعلم، لكن إن كان بالعلم الشرعي، فهو خير، وإن كان بالعلم غير الشرعي، فهو إما مباح، وإما محرم، وهذا هو الغالب على بني آدم التكاثر، فيتكاثرون في هذه الأمور عما خلقوا له من عبادة الله ﷻ، وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ يعني: إلى أن زرتم المقابر، يعني: إلى أن مُتم، فالإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت، بل كلما ازداد به الكِبر ازداد به الأمل، فهو يشيب في السن، ويشبّ في الأمل، حتى إن الرجل له تسعون سنة مثلاً، تجد عنده من الآمال، وطول الأمل ما ليس عند الشاب الذي له خمس عشرة سنة، هذا هو معنى الآية الكريمة، أي: أنكم تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متم، وقيل: إن معنى ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ حتى أصبحتم تتكاثرون بالأموات، كما تتكاثرون بالأحياء، فيأتي الإنسان فيقول: أنا قبيلتي أكثر من قبيلتك، وإذا شئت فاذهب إلى القبور عد القبور منا، وعد القبور منكم، فأينا أكثر؟ لكن هذا قول ضعيف بعيد من سياق الآية، والمعنى الأول هو الصحيح أنكم تتكاثرون إلى أن تموتوا، وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ استدل به عمر بن عبد العزيز رحمه الله على أن الزائر لابد أن يرجع إلى وطنه، وأن القبور ليست بدار إقامة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾، فقال: «والله ما الزائر بمقيم، والله لنبعثن»؛ لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقال: والله لنبعثن، وهذا هو الحق، وبهذا نعرف أن ما

يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها، يقول عن الرجل إذا مات: «**إنه انتقل إلى مثواه الأخير**»، إن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هي المثوى الأخير، بل لو أن الإنسان اعتقد مدلول هذا اللفظ لصار كافراً بالبعث، والكفر بالبعث ردة عن الإسلام، لكن كثيًرا من الناس يأخذون الكلمات، ولا يدرون ما معناها، ولعل هذه موروثة عن الملحدين الذين لا يقرون بالبعث بعد الموت؛ لهذا يجب تجنب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة»[١].

٣-٤- ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

٤- ﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أَيْ: لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ، لَمَا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ.

٥-٦- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، تَوَعَّدَهم بِهَذَا الْحَالِ، وَهِيَ رُؤْيَةُ النَّارِ الَّتِي إِذَا زَفَرَتْ زَفْرَةً خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، مِنَ الْمَهَابَةِ، وَالْعَظَمَةِ، وَمُعَايَنَةِ الْأَهْوَالِ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلِكَ[٢].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون»[٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠٥- ٣٠٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.

تعلمون عاقبة أمركم بالتكاثر الذي ألهاكم عن الآخرة ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهذه الجملة تأكيد للردع مرة ثانية، ثم قال: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾، يعني: حقًّا لو تعلمون علم اليقين؛ لعرفتم أنكم في ضلال، ولكنكم لا تعلمون علم اليقين؛ لأنكم غافلون لاهون في هذه الدنيا، ولو علمتم علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال وفي خطأ عظيم»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾، «لترون» هذه الجملة مستقلة ليست جواب «لو»؛ ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾، ونحن نسمع كثيراً من الأئمة يصلون فيقولون ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ *لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾، وهذا الوصل إما غفلة منهم، ونسيان، وإما أنهم لم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لو تأملوها حق التأمل لوجدوا أن الوصل يفسد المعنى؛ لأنه إذا قال «كلا لو تعلمون علم * اليقين لترون الجحيم» صار رؤية الجحيم مشروطة بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه، والتنبيه لهذا من سمع أحداً يقرأ «كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم» يُنبَّه ويقول له: يا أخي هذا الوصل يوهم فساد المعنى، فلا تصل وقف، أولاً: لأنها رأس آية، والمشروع أن يقف الإنسان عند رأس كل آية، وثانياً: أن الوصل تأكيد لرؤيتها، ومتى ترى؟ تُرى يوم القيامة، يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، فما ظنك بهذه النار، والعياذ بالله، إنها نار كبيرة عظيمة؛ لأن فيها سبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، والملائكة عظام شداد فهي نار عظيمة ـ أعاذنا الله منها»[(٢)].

٧- ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، أَيْ: ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، مِنَ الصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا إِذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعَمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ جَالِسَانِ، إِذْ جَاءَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم العثيمين، ص ٣٠٧- ٣٠٨.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم العثيمين، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

أَجْلَسَكُمَا هَاهُنَا؟»، قَالَا: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجْنَا مِنْ بُيُوتِنَا إِلَّا الْجُوعُ، قَالَ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ**»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَيْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمُ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**»، فَقَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مَاءً، فَجَاءَ صَاحِبُهُمْ يَحْمِلُ قِرْبَتَهُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا، مَا زَارَ الْعِبَادَ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ شَيْءٍ زَارَنِي الْيَوْمَ، فَعَلَّقَ قِرْبَتَهُ بِكَرَبِ نَخْلَةٍ، وَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ**»؟ فَقَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونُوا الَّذِينَ تَخْتَارُونَ عَلَى أَعْيُنِكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ؟**»، فَذَبَحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ، فَأَكَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ**»[1]، وهذا لفظ الطبري، وَلَفظُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا، وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[2].

وَعَنْ أَبِي عسيب مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا فَمَرَّ بِي، فَدَعَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ:

---
(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٨٣.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٢٠٣٨ .

«**أَطْعِمْنَا**»، فَجَاءَ بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ، وَقَالَ: «**لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ العِذْقَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، حَتَّى تَنَاثَرَ الْبُسْرُ قِبَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَمَسْؤُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: خِرْقَةٌ لَفَّ بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٌ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ جُحْرٌ تَدَخَّلَ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ**»[(١)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رُطَبًا، وَشَرِبُوا مَاءً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ**»[(٢)].

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسأل؟ وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ الْمَاءُ وَالتَّمْرُ، وَسُيُوفُنَا عَلَى رِقَابِنَا، وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ، فَعَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ**»[(٣)].

وَعن معاذِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ خُبَيب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ، قَالَ: «**أَجَلْ**»، قَالَ: ثُمَّ خَاضَ النَّاسُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ**»[(٤)].

وَعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ -يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ- الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحّ لك جسمك، ونُرْوِكَ من الماء البارد؟**»[(٥)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِأَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ،

---

(١) مسند أحمد، ٣٤/ ٣٦٧، برقم ٢٠٧٦٨، وقواه محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٣/ ٩٨، برقم ١٤٧٨٦، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، ٦/ ٢٤٦، برقم ٣٦٣٩، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، برقم ٣٦٣٩.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٤٧، برقم ٢٣٦٤٠، وحسنه محققو المسند.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٢٨، برقم ٢٣١٥٨، وحسن إسناده محققو المسند، سنن ابن ماجه، برقم ٢١٤١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧١٨٢.

(٥) سنن الترمذي، برقم ٣٣٥٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥٣٩، وصحيح ابن حبان، ١٦/ ٣٦٤، برقم ٧٣٦٤، وصححه محقق ابن حبان.

وَالْمَاءُ؟ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ»[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ، ﷻ، قَالَ عَفَّانُ: يوم القيامة،: يا بن آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَع وَتَرْأَس، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟»[٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق اللَّه فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي اللَّه، فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠]»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني: ثم في ذلك الوقت في ذلك الموقف العظيم تسألن عن النعيم، واختلف العلماء رحمهم اللَّه في قوله: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هل المراد الكافر، أو المراد المؤمن والكافر؟

والصواب: أن المراد المؤمن، والكافر، كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر»[٥].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن أبي حاتم بإسناده، ١٠/ ٣٤٦١. ورواه الترمذي، برقم ٣٣٥٦، وابن ماجه، برقم ٤١٥٨، ومسند أحمد، ٣/ ٢٤، برقم ١٤٠٥، وحسن إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٦٦٥، تحت الحديث رقم ٣٤٠.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤١٢، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٠٤، وسنن ابن ماجه، برقم ٤١٧٠.

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٢٤٤، برقم ١٠٣٧٨، وصحح إسناده محققو المسند.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠٩، وقصة أبي بكر وعمر مع النبي ﷺ تقدم تخريجها.

١٠٣ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ

عَنْ عبيدِ اللَّهِ بْنِ حَصْنٍ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا الْتَقَيَا، لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ سُورَةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ»[1].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ، لَوَسِعَتْهُمْ[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

١-٢- **الْعَصْرُ**: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ.

فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، أَيْ: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ.

٣- **﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**، فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، **﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾**، وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، **﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** عَلَى الْمَصَائِبِ، وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ[3].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿وَالْعَصْرِ﴾**: قَالَ ابن عباس: والدهر، وقيل: أَقْسَمَ بِهِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَرَبِّ الْعَصْرِ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْثَالِهِ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: أَرَادَ بِالْعَصْرِ: اللَّيْلَ، وَالنَّهَارَ، يُقَالُ لَهُمَا: الْعَصْرَانِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، **﴿إِنَّ الْإِنسان**

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ٢١٥، برقم ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ١١/ ٣٤٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٣٣: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٢) ذكرها الإمام النووي نحوها في المجموع شرح المهذب، ١/ ١٢، ولفظها: «النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عن هذه السورة ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥١.

﴿لَفِـي خُسْـرٍ﴾، أَيْ: خُسْـرَانٍ وَنُقْصَـانٍ، قِيـلَ: أَرَادَ بِـهِ الْكَـافِرَ بِـدَلِيلِ أَنَّـهُ اسْـتَثْنَى المـؤمنين، والخسـران ذَهَـابُ رَأْسِ مَـالِ الْإِنْسَـانِ فِـي هَـلَاكِ نَفْسِـهِ وَعُمُـرِهِ بِالْمَعَاصِي، وَهُمَا أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾، فَإِنَّهُمْ لَيْسُـوا فـي خسـران، ﴿وَتَواصَـوْا﴾، أَوْصَـى بَعْضُـهُمْ بَعْضًـا، ﴿بِالصَّبْرِ﴾، بِـالْقُرْآنِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، ﴿وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَرَوَى ابْنُ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَرَادَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا، وَهَرِمَ، لَفِي نَقْصٍ، وَتَرَاجُعٍ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ أُجُورُهُمْ، وَمَحَاسِنُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي شَبَابِهِمْ، وَصِحَّتِهِمْ، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ [التين: ٤ -٦]))[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْعَصْرِ﴾: أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد، وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم اللَّه الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر اللَّه بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به، والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق اللَّه، وحق عباده، الواجبة والمستحبة، والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه، والتواصي بالصبر على طاعة اللَّه، وعن معصية اللَّه، وعلى أقدار اللَّه المؤلمة، فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم»[(٢)].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أقسم الله تعالى بالعصر، والعصر قيل: إن المراد به آخر النهار، لأن آخر النهار أفضله، وصلاة العصر تسمى الصلاة الوسطى، أي: الفضلى كما سماها النبي ﷺ بذلك، وقيل: إن العصر هو الزمان، وهذا هو الأصح، أقسم الله به لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس، وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب، فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق، وتختلف أوقاته شدة ورخاء، وحرباً وسلماً، وصحة ومرضاً، وعملاً صالحاً، وعملاً سيئاً، إلى غير ذلك مما هو معلوم للجميع، أقسم الله به على قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، والإنسان هنا عام، لأن المراد به الجنس، وعلامة الإنسان الذي يراد به العموم أن يحل محل «ال» كلمة «كل»، فهنا لو قيل: كل إنسان في خسر؛ لكان هذا هو المعنى، ومعنى الآية الكريمة أن الله أقسم قسماً على حال الإنسان أنه في خسر، أي: في خسران، ونقصان في كل أحواله، في الدنيا، وفي الآخرة إلا من استثنى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات، الأول: القسم، والثاني: «إنّ»، والثالث: «اللام»، وأتى بقوله: ﴿لفي خسر﴾ ليكون أبلغ من قوله: (لخاسر)، وذلك أن «في» للظرفية، فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، استثنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع:

الصفة الأولى: الإيمان الذي لا يخالجه شك، ولا تردد بما بينه الرسول ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)]، وشرح هذا الحديث يطول، وتكلمنا عليه في مواطن كثيرة، فالذين آمنوا بهذه الأصول الستة هم المؤمنون، ولكن يجب أن يكون إيماناً لا شك معه، ولا تردد، بمعنى: أنك تؤمن بهذه الأشياء وكأنك تراها رأي العين، والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مؤمن خالص الإيمان؛ إيماناً لا شك فيه ولا تردد.

---

(١) البخاري، برقم ٥٠، ومسلم، برقم ٨.

والقسم الثاني: كافر جاحد منكر.

والقسم الثالث: متردد، والناجي من هؤلاء القسم الأول الذي يؤمن إيماناً لا تردد فيه، يؤمن بوجود الله، وربوبيته، وألوهيته، وبأسمائه وصفاته ﷻ، ويؤمن بالملائكة، وهم عالم غيبي، خلقهم الله تعالى من نور، وكلفهم بأعمال، منها ما هو معلوم، ومنها ما ليس بمعلوم، فجبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مكلف بالوحي، ينزل به من عند الله إلى الأنبياء والرسل، وميكائيل مكلف بالقطر والنبات، يعني: وكله الله على المطر، وكل ما يتعلق بالمطر، وعلى النبات، وإسرافيل: موكل بالنفخ بالصور، ومالك: موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، ومن الملائكة من لا نعلم أسماءهم، ولا نعلم أعمالهم أيضاً، لكن جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه ما من موضع أربع أصابع في السماء، إلا وفيه ملك قائم لله، أو راكع، أو ساجد، كذلك نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام، ونؤمن بالرسل الذين قصهم الله علينا، نؤمن بهم بأعيانهم، والذين لم يقصهم علينا نؤمن بهم إجمالاً؛ لأن الله لم يقص علينا جميع أنباء الرسل، قال الله تعالى: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر: ٧٨]، واليوم الآخر هو يوم البعث يوم يخرج الناس من قبورهم للجزاء حفاة، عراة، غرلاً، بهماً، فالحفاة يعني الذين ليس عليهم نعال، ولا خفاف، أي: أقدامهم عارية، والعراة: الذين ليس عليهم ثياب، والغرل: الذين لم يُختنوا، والبهم: الذين ليس معهم مال يحشرون كذلك، ولما حدث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنهم عراة قالت عائشة: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أعظم من ذلك**»[1]، أي من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لأن الناس كل مشغول بنفسه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيجب أن تؤمن بفتنة القبر، أي: بالاختبار الذي يكون للميت إذا دفن، وتولى عنه أصحابه، فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه، وتؤمن كذلك بأن القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، أي: أن فيه العذاب أو

(١) البخاري، برقم ٦٥٢٧، ومسلم، برقم ٢٨٥٩.

الثواب، وتؤمن كذلك بالجنة والنار، وكل ما يتعلق باليوم الآخر؛ فإنه داخل في قولنا «**أن تؤمن بالله واليوم الآخر**»، والقدر: تقدير الله عَزَّوَجَلَّ يعني: يجب أن تؤمن بأن الله تعالى قدر كل شيء، وذلك أن الله خلق القلم، فقال له: «**اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال**: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، **فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»، إذاً فالإيمان في قوله: «**إلا الذين آمنوا**» يشمل الإيمان بالأصول الستة التي بينها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فمعناه: أنهم قاموا بالأعمال الصالحة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وبر للوالدين، وصلة الأرحام وغير ذلك فلم يقتصروا على مجرد ما في القلب، بل عملوا وأنتجوا و«الصالحات» هي التي اشتملت على شيئين:

الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

والثاني: المتابعة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك أن العمل إذا لم يكن خالصاً لله فهو مردود، قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ [أن الله قال]: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[1]، فلو قمت تصلي مراءاة للناس، أو تصدقت مراءاة للناس، أو طلبت العلم مراءاة للناس، أو وصلت الرحم مراءاة للناس، أو غير ذلك، فالعمل مردود حتى وإن كان صالحاً في ظاهره، كذلك الاتباع لو أنك عملت عملاً لم يعمله الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتقربت به إلى الله مع الإخلاص لله؛ فإنه لا يقبل منك لأن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]، إذاً العمل الصالح ما جمع وصفين: الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

الصفة الثالثة: ﴿**وتواصوا بالحق**﴾ أي: صار بعضهم يوصي بعضاً بالحق، والحق: هو الشرع، يعني كل واحد منهم يوصي الآخر إذا رآه مفرطاً في واجب، أوصاه وقال: يا أخي، قم بالواجب، إذا رآه فاعلاً لمحرم أوصاه، قال: يا أخي

(١) مسلم، برقم ٢٩٨٥.
(٢) مسلم، برقم ١٧١٨.

اجتنب الحرام، فهم لم يقتصروا على نفع أنفسهم، بل نفعوا أنفسهم وغيرهم.

الصفة الرابعة: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي: يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر حبس النفس عما لا ينبغي فعله، وقسمه أهل العلم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على طاعة الله.

القسم الثاني: صبر عن محارم الله.

القسم الثالث: صبر على أقدار الله.

الصبر على الطاعة، كثير من الناس يكون فيه كسل عن الصلاة مع الجماعة مثلاً: لا يذهب إلى المسجد، يقول: أصلي في البيت، وأديت الواجب فيكسل، فقال له: يا أخي أصبر نفسك، احبسها كلفها على أن تصلي مع الجماعة، كثير من الناس إذا رأى زكاة ماله كثيرة، شح، وبخل، وصار يتردد، أُخرج هذا المال الكثير، أو أتركه وما أشبه ذلك، فيقال له: يا أخي اصبر نفسك على أداء الزكاة، وهكذا بقية العبادات؛ فإن العبادات كما قال الله تعالى في الصلاة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]، أكثر عباد الله تجد أن العبادات عليهم ثقيلة، فهم يتواصون بالصبر على الطاعة، كذلك الصبر عن المعصية بعض الناس مثلاً تجره نفسه إلى أكساب محرمة: إما بالربا، وإما بالغش، وإما بالتدليس، أو بغير ذلك من أنواع الحرام، فيقال له: اصبر يا أخي، أصبر نفسك لا تتعامل على وجه محرم، بعض الناس أيضاً يبتلى بالنظر إلى النساء، تجده ماشياً في السوق، وكل ما مرت امرأة أتبعها بصره، فيقال له: يا أخي اصبر نفسك عن هذا الشيء، ويتواصون على أقدار الله، يصاب الإنسان بمرض في بدنه، يصاب الإنسان بفقد شيء من ماله، يصاب الإنسان بفقد أحبته، فيجزع، ويتسخط، ويتألم، فيتواصون فيما بينهم، اصبر يا أخي هذا أمر مقدر، والجزع لا يفيد شيئاً، واستمرار الحزن لا يرفع الحزن، إنسان امتحن بموت ابنه نقول: يا أخي اصبر، قدر أن هذا الابن لم يُخلق، ثم كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لإحدى بناته: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**»[1]،

(١) البخاري، برقم ٦٦٠٢، ومسلم، برقم ٩٢٣.

الأمر كله لله ، فإذا أخذ اللَّه تعالى ملكه كيف تعتب على ربك؟ كيف تتسخط، فإن قيل: أي أنواع الصبر أشق على النفوس؟ فالجواب: هذا يختلف، فبعض الناس يشق عليه القيام بالطاعة، وتكون ثقيلة عليه جداً، وبعض الناس بالعكس الطاعة هينة عليه، لكن ترك المعصية صعب، شاق مشقة كبيرة، وبعض الناس يسهل عليه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لكن لا يتحمل الصبر على المصائب، يعجز حتى إنه قد تصل به الحال إلى أن يرتد، والعياذ باللَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ [الحج: ١١]، إذاً نأخذ من هذه السورة أن اللَّه سبحانه وتعالى أكد بالقسم المؤكد بـ«إن»، واللام أن جميع بني آدم في خسر، والخسر محيط بهم من كل جانب، إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو لم ينزل اللَّه على عباده حجة إلا هذه السورة لكفتهم»، يعني: كفتهم موعظة وحثاً على التمسك بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى اللَّه، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة، لكن كفتهم موعظة، فكل إنسان عاقل يعرف أنه في خُسر إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بهذه الصفات الأربع، وإلى تخليص نفسه من الخسران، نسأل اللَّه أن يجعلنا من الرابحين الموفقين، إنه على كل شيء قدير»[(١)].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١١- ٣١٧.

١٠٤ - تَفْسِيرُ سُورَةِ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)﴾

١- **الْهَمَّازُ**: بِالْقَوْلِ، وَاللَّمَّازُ: بِالْفِعْلِ، يَعْنِي: يَزْدَرِي بِالنَّاسِ، وَيَنْتَقِصُ بِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القَلَم: ١١].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ طَعَّانٍ مِعْيَابٍ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: الهُمَزة، يَهْمِزُهُ فِي وَجْهِهِ، وَاللُّمَزَةُ مِنْ خَلْفِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هَمْزُهُ وَلَمْزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، ويطعنُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْهُمَزَةُ: بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ، واللمزةُ: بِاللِّسَانِ، وَهَكَذَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُمَزة لُحُوم النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ عَامَّةٌ[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيْلٌ﴾ أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ في هذه السورة يبتدئ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكلمة «ويل»، وهي كلمة وعيد، أي: أنها تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات، ﴿همزة لمزة﴾ إلى آخره، وقيل: إن «**ويل**» اسم لوادٍ في جهنم، ولكن الأول أصح، ﴿لكل همزة لمزة﴾ كل من صيغ العموم، والهمزة واللمزة وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟ قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد، يعني أن الهمزة هو اللمزة، وقال بعضهم: بل

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٣، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر، وثم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير، وغير التفسير، وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية ﴿لكل همزة لمزة﴾ أن بينهما فرقًا: فالهمز: بالفعل، واللمز: باللسان، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، فالهمز بالفعل يعني أنه يسخر من الناس بفعله، إما أن يلوي وجهه، أو يعبس بوجهه، أو بالإشارة يشير إلى شخص، انظروا إليه ليعيبه، أو ما أشبه ذلك، فالهمز يكون بالفعل، واللمز باللسان، وبعض الناس، والعياذ بالله، مشغوف بعيب البشر، إما بفعله، وهو الهمَّاز، وإما بقوله، وهو اللمَّاز، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١١]»[(١)].

٢- ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، أَيْ: جَمَعَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَحْصَى عَدَدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [الْمَعَارِج: ١٨]، قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: أَلْهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلَى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ، نَامَ كَأَنَّهُ جِيفَةٌ[(٢)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ... وَعَدَّدَهُ، أَحْصَاهُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اسْتَعَدَّهُ، وَادَّخَرَهُ، وَجَعَلَهُ عَتَادًا لَهُ، يُقَالُ: أَعْدَدْتُ الشَّيْءَ وَعَدَّدْتُهُ إِذَا أمسكته»[(٣)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا همَّ له سوى جمع المال، وتعديده، والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات، وصلة الأرحام، ونحو ذلك»[(١)].

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١٨- ٣١٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٣.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٤.
(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الذي جمع مالاً وعدده﴾ هذه أيضاً من أوصافه القبيحة جَمَّاع مَنَّاع، يجمع المال، ويمنع العطاء، فهو بخيل لا يعطي يجمع المال ويعدده، ﴿وعدده﴾، وقيل: معنى التعديد يعني الإحصاء، يعني لشغفه بالمال كل مرة يذهب إلى الصندوق ويعد، يعد الدراهم في الصندوق في الصباح، وفي آخر النهار يعدها، وهو يعرف أنه لم يأخذ منه شيئاً، ولم يضف إليه شيئاً، لكن لشدة شغفه بالمال يتردد عليه، ويعدده؛ ولهذا جاءت بصيغة المبالغة «عدده» يعني أكثر تعداده لشدة شغفه، ومحبته له يخشى أن يكون نقص، أو يريد أن يطمئن زيادة على ما سبق، فهو دائماً يعدد المال، وقيل: معنى «عدده» أي: جعله عُدة له يعني ادخره لنوائب الدهر، وهذا وإن كان اللفظ يحتمله، لكنه بعيد؛ لأن إعداد المال لنوائب الدهر مع القيام بالواجب بأداء ما يجب فيه من زكاة، وحقوق ليس مذموماً، وإنما المذموم أن يكون أكبر هم الإنسان هو المال، يتردد إليه ويعدده، وينظر هل زاد، هل نقص، فالقول بأن المراد عدده أي: جمعه، للمستقبل قول ضعيف»[(١)].

٣- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، أَيْ: يَظُنُّ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؟

٤- ﴿كَلَّا﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، وَلَا كَمَا حَسِبَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾، أَيْ: لَيُلْقَيَنَّ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الْحُطَمَةِ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ صِفَةٌ؛ لِأَنَّهَا تُحَطِّمُ مَنْ فِيهَا[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَحْسَبُ﴾ بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر»[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يعني: يظن هذا الرجل أن ماله سيخلده، ويبقيه، إما بجسمه، وإما بذكره؛ لأن عمر الإنسان ليس ما بقي في الدنيا، بل عمر الإنسان حقيقة ما يخلده بعد موته، ويكون ذكراه في قلوب

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

الناس، وعلى ألسنتهم، فيقول في هذه الآية: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: أخلد ذكره، أو أطال عمره، والأمر ليس كذلك، فإن أهل الأموال إذا لم يُعرفوا بالبذل، والكرم، فإنهم يخلدون لكن بالذكر السيئ، فيقال: أبخل من فلان، وأبخل من فلان، ويذكر في المجالس ويعاب؛ ولهذا قال: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ «كلا» هنا يسميها العلماء حرف ردع، أي: تردع هذا القائل، أو هذا الحاسب عن قوله، أو عن حسبانه، ويحتمل أن تكون بمعنى حقًّا «يعني: حقاً لينبذن»، وكلاهما صحيح، هذا الرجل لن يخلده ماله، ولن يخلد ذكراه، بل سينسى، ويطوى ذكره، وربما يذكر بالسوء لعدم قيامه بما أوجب الله عليه من البذل، ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ اللام هذه واقعة في جواب القسم المقدر، والتقدير: والله لينبذن في الحطمة، أي: يطرح طرحاً، وإذا قلنا: أن اللام لجواب القسم صارت هذه الجملة مؤكدة باللام، ونون التوكيد، والقسم المحذوف، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، أي: تأكيد الشيء باليمين، واللام، والنون، والله تعالى يقسم بالشيء تأكيداً له وتعظيماً لشأنه، وقوله: ﴿لينبذن﴾ ما الذي يُنبذ هل هو صاحب المال، أو المال؟ كلاهما ينبذ، أما صاحب المال، فإن الله يقول في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، أي: يدفعون، وهنا يقول: «ينبذ» أي: يطرح في الحطمة، والحطمة هي التي تحطم الشيء، أي: تفتته وتكسره فما هي؟»[1].

٥- ٧- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾، قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: تَحرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْئِدَةِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمُ الْعَذَابُ، ثُمَّ يَبْكِي.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ حَذْوَ حَلْقِهِ تَرْجِعُ عَلَى جَسَدِهِ.

٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أَيْ: مُطْبَقَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ.

٩- ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: عَمَدٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَالَ السُّدِّي: مِنْ نَارٍ، وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فِي عَمَدٍ

---
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢٠.

﴿مُمَدَّدَةٍ﴾، يَعْنِي: الْأَبْوَابُ هِيَ الْمَمْدُودَةُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّةٍ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ فَمُدَّتْ عَلَيْهِمْ بِعِمَادٍ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ فَسَدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ يَعْنِي الْقُيُودَ الطِّوَالَ[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ﴾ أي: ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة «الَّتِي» من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب، ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾، أي: مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ من خلف الأبواب ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ وهذه الصيغة للتعظيم والتفخيم ﴿نار الله الموقدة﴾ هذا الجواب أي: هي نار الله الموقدة، وأضافها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى نفسه؛ لأنه يعذب بها من يستحق العذاب، فهي عقوبة عدل، وليست عقوبة ظلم، أي: نار يحرق الله بها من يستحق أن يُعذب بها، إذاً هي نار عدل، وليست نار ظلم؛ لأن الإحراق بالنار قد يكون ظلماً، وقد يكون عدلاً، فتعذيب الكافرين في النار لا شك أنه عدل، وأنه يُثنى به على الرب عَزَّ وَجَلَّ؛ حيث عامل هؤلاء بما يستحقون، وتأمل قوله: ﴿الحطمة﴾ مع فعل هذا الفاعل ﴿همزة لمزة﴾ حطمة، وهمزة لمزة، على وزن واحد ليكون الجزاء مطابقاً للعمل حتى في اللفظ ﴿نار الله الموقدة﴾ أي: المسجّرة المسعرة. ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ الأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب، والمعنى: أنها تصل إلى القلوب، والعياذ بالله، من شدة حرارتها، مع أن

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣٤)

القلوب مكنونة في الصدور، وبينها وبين الجلد الظاهر ما بينها من الطبقات لكن مع ذلك تصل هذه النار إلى الأفئدة، ﴿إنها عليهم﴾ أي: الحطمة، وهي نار الله الموقدة، أي: على الهمَّاز، واللمَّاز، الجمَّاع للمال المناع للخير، وأعاد الضمير بلفظ الجمع مع أن المرجع مفرد باعتبار المعنى، لأن ﴿لكل همزة﴾ عام يشمل جميع الهمَّازين، وجميع اللمَّازين ﴿مؤصدة﴾ أي: مغلقة، مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج، والعياذ بالله، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، يعني: يرفعون إلى أبوابها حتى يطمعوا في الخروج، ثم بعد ذلك يركسون فيها، ويعادون فيها، كل هذا لشدة التعذيب؛ لأن الإنسان إذا طمع في الفرج، وأنه سوف ينجو، ويخلص يفرح، فإذا أعيد صارت انتكاسة جديدة، فهكذا يعذبون بضمائرهم، وأبدانهم، وعذاب أهل النار مذكور مفصل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، تأمل الآن لو أن إنسانًا كان في حجرة، أو في سيارة اتقدت النيران فيها، وليس له مهرب، الأبواب مغلقة ماذا يكون؟ في حسرة عظيمة، لا يمكن أن يماثلها حسرة، فهم، والعياذ بالله، هكذا في النار، النار عليهم مؤصدة ﴿في عمد ممددة﴾ أي: أن هذه النار مؤصدة، وعليها أعمدة ممدة، أي: ممدودة على جميع النواحي والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها، أو الخروج منها، حكى الله ﷻ ذلك علينا، وبينه لنا في هذه السورة، لا لمجرد أن نتلوه بألسنتنا، أو نعرف معناه بأفهامنا، لكن المراد أن نحذر من هذه الأوصاف الذميمة: عيب الناس بالقول، وعيب الناس بالفعل، والحرص على المال حتى كأن الإنسان إنما خلق للمال ليخلد له، أو يخلد المال له، ونعلم أن من كانت هذه حاله، فإن جزاءه هذه النار التي هي كما وصفها الله، الحطمة، تطلع على الأفئدة، مؤصدة، في عمد ممدة، نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول، والعمل، والاستقامة على دينه»[١].

۞ ۞ ۞

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢١- ٣٢٢.

١٠٥ -تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٥)﴾

١-٤-قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هَذِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي امْتَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ، وَمَحْوِ أَثَرِهَا مِنَ الْوُجُودِ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ، وَأَرْغَمَ آنَافَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ، وَأَضَلَّ عَمَلَهُمْ، وَردهم بِشَرِّ خَيْبَةٍ، وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ، وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، [وكأنه قيل]... لَمْ نَنْصُرْكُمْ -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ- عَلَى الْحَبَشَةِ لِخَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنُشَرِّفُهُ، وَنُعَظِّمُهُ، وَنُوَقِّرُهُ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ»[1].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أي: أما رأيت من قدرة اللَّه، وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد ﷺ، ما فعله اللَّه بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام، وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا على أنفسهم منهم، أرسل اللَّه عليهم طيرًا أبابيل، أي: متفرقة، تحمل حجارة محمّاة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٥.

كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة مشهورة، وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته، ومقدمات رسالته، فلله الحمد والشكر»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ يخاطب الله تعالى النبي ﷺ، أو يخاطب كل من يصحّ توجيه الخطاب إليه، فعلى الأول يكون خطاب النبي ﷺ خطاباً له وللأمة؛ لأن أمته تابعة له، وعلى الثاني يكون الخطاب عاماً له ولأمته، ابتداءً، وعلى كلٍّ فإن الله تعالى يقرر ما فعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأصحاب الفيل، وأصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم، أرسله إليهم ملك الحبشة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، بيت الله عَزَّوَجَلَّ فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعا الناس إلى حجه؛ ليصدهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة، وتغوَّط فيه، ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك، فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده، فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله سبحانه حافظ بيته، فلما وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس، وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتجه إلى الكعبة، فزجره سايسه، ولكنه أبى، فإذا وجّهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجّهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بقوا حتى أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال العلماء: ﴿طيراً أبابيل﴾ يعني: جماعات متفرقة، كل طير في منقاره حجر صلب ﴿من سجيل﴾، وهو الطين المشوي؛ لأنه يكون أصلب، وهذا الحجر ليس كبيراً، بل هو صغير، يضرب الواحد من هؤلاء مع رأسه، ويخرج من دبره، والعياذ بالله، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

أي: كزرع أكلته الدواب، ووطئته بأقدامها حتى تفتَّتَ.

هذا مجمل هذه السورة العظيمة التي بيّن الله ﷻ فيها ما فعل بأصحاب الفيل، وأن كيدهم صار في نحورهم، وهكذا كل من أراد الحق بسوء، فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره، وإنما حمى الله ﷷ الكعبة عن هذا الفيل، مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة، يهدمها حجراً حجراً، حتى تتساوى بالأرض؛ لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان؛ فإن أهل البيت إذا أهانوه، وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه، حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي، والذنوب، والكبائر؛ لئلا يُهينوا الكعبة فيذلهم الله ﷷ، نسأل الله تعالى أن يحمي ديننا، وبيته الحرام من كيد كل كائد، إنه على كل شيء قدير»[(١)].

وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ، وَالِاخْتِصَارِ، وَالتَّقْرِيبِ[(٢)]، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَاس، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ، وَكَانَ مُشْرِكًا، هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا دوس ذُو ثَعْلَبَانِ، فَذَهَبَ فَاسْتَغَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرِيَاطَ، وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ أَبَا يَكْسُومَ، فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمْيَرَ، وَهَلَكَ ذُو نُوَاسٍ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ، وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ، وَعَلَيْهِمْ هَذَانَ الْأَمِيرَانِ: أَرِيَاطُ، وَأَبْرَهَةُ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا، وَتَصَاوَلَا، وَتَقَاتَلَا، وَتَصَافَّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا، وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزُ إِلَيْكَ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا، وخَلَفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاةٌ، فَحَمَلَ أَرِيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ، وَفَمَهُ، وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢٤.

(٢) انظر قصة أصحاب الفيل بالتفصيل في: سيرة ابن هشام، ١/ ٤٥، وتاريخ الطبري، ٢/ ١٣١، والبداية والنهاية للإمام ابن كثير، ٢/ ١٦٩.

عَتَوْدَة مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَاطَ فَقَتَلَهُ، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا، فَدَاوَى جُرْحَهُ فَبَرأ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لَيَطَأَنَّ بِلَادَهُ وَيَجزَّنَّ نَاصِيَتَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَبِجِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، وَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَأْ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَبرُّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ، فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيّ: إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلُهَا، فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةَ الْبِنَاءِ، عَالِيَةَ الْفِنَاءِ، مُزَخْرَفَةَ الْأَرْجَاءِ، سَمَّتْهَا الْعَرَبُ: «الْقُلَّيس»؛ لِارْتِفَاعِهَا؛ لِأَنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلُنْسُوَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنَ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا، وَعَزَمَ أَبْرَهَةُ الأشرمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحَج إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَأَحْدَثَ فِيهَا[1] وَكَرَّ رَاجِعًا، فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ لَيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلَيُخَرِّبَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا، فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَةُ لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمرمٍ؛ لِئَلَّا يَصُدَّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فِيلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُثَّةِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ، وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فِيلًا، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ، وَتُوضَعَ فِي عُنُقِ الْفِيلِ، ثُمَّ يُزْجَرَ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

---

(١) أحدث فيها: أي: قضى حاجته فيها بالبول والغائط.

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرد مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ «ذُو نَفْر»، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ، وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُه مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ، فَأَجَابُوهُ، وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ، فَهَزَمَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ كَرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأُسِرَ «ذُو نُفْر»، فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، ثُمَّ مَضَى لِوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمٍ، عَرَضَ لَهُ نُفَيل بْنُ حَبيب الخَثْعمي فِي قَوْمِهِ: شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةُ، وَأُسِرَ نُفَيل بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ، وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَى بَيْتِهِمْ، الَّذِي عِنْدَهُمْ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ «أَبَا رِغَال» دَلِيلًا، فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَةُ إِلَى «الْمُغَمّس»، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ، نَزَلَ بِهِ، وَأَغَارَ جَيْشُهُ عَلَى سَرْحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذُوهُ، وَكَانَ فِي السَّرْحِ مِائَتَا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهَةَ أَمِيرِ الْمُقَدِّمَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «الْأَسْوَدُ بْنُ مَفْصُودٍ»، فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ، فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ حُنَاطَةَ الْحِمْيَرِيَّ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ، وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدوه عَنِ الْبَيْتِ، فَجَاءَ حُنَاطَةُ فَدُلَّ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهَةَ مَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعْهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ: فَاذْهَبْ مَعِي إِلَيْهِ، فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ أَبْرَهَةُ أَجَلَّهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا جَمِيلًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى الْبِسَاطِ، وَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِلتُّرْجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهِدت فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ، وَتَتْرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ، قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ، لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ؟!

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ، قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَعَرَضُوا عَلَى أَبْرَهَةَ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَرَدَّ أَبْرَهَةُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ، وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ، فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالتَّحَصُّنِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ، وَيَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَجُنْدِهِ، وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ:

لاهُمَّ إنَّ المرء يمـ ... ـنَعُ رَحْلَه فامْنع رِحالَك[1]

لَا يغلبنَّ صليبُهم ... ومحالُهم غَدْوًا مِحالَك

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَلْقَة الْبَابِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدة، لَعَلَّ بَعْضَ الْجَيْشِ يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَةُ تَهَيَّأَ لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَهَيَّأَ فِيلَهُ، وَكَانَ اسْمُهُ مَحْمُودًا، وَعَبَّأَ جَيْشَهُ، فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحْوَ مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ: ابْرُكْ مَحْمُودُ، وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفِيلُ، وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشتد حَتَّى أُصْعِدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطَّبرزين، وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَهُمْ فِي مَرَاقه، وَبَزَغُوهُ بِهَا لِيَقُومَ، فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يُهَرْوِلُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانِ، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، أَمْثَالُ الْحُمصِ وَالْعَدَسِ، لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ،

---

(١) ابن هشام، والمنمق في أخبار قريش، ص ٧٦ بلفظ: «فامنع رحالك» ومثلها في مروج الذهب، ٢/ ١٠٥، والكامل في التاريخ، ١/ ٣٤٤، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢/ ١٢٥، والبداية والنهاية، ٢/ ١٧٢.

وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ، وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَدِرُونَ الطَّرِيقَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، هَذَا وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ، يَنْظُرُونَ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ النِّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يقول:

أيـــنَ المَفَـــرُّ؟ والإلـــهُ الغالـــب   والأشـرمُ المغلـوبُ غَيْـرُ الْغَالِـبْ

... وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، وَغَيْرُهُ: لَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَهُ الْعَذَابُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ سَرِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ يَتَسَاقَطُ عُضْوًا عُضْوًا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَكَانَ أَبْرَهَةُ مِمَّنْ يَتَسَاقَطُ عُضْوًا عُضْوًا، حَتَّى مَاتَ بِبِلَادِ خَثْعَمٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلَكُونَ عَلَى كُلِّ مَنْهَلٍ، وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أَنْمُلَة أَنْمُلَة، حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ، وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَالًا جَزِيلًا مِنْ أَسْلَابِهِمْ، وَمَا كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الذَّهَبِ مَا مَلَأَ حُفْرَةً.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ: أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَا رُؤِيَتِ الحَصبة والجُدري بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا رُؤِيَ بِهِ مَرائر الشَّجَرِ الحَرْمل، وَالْحَنْظَلِ والعُشر، ذَلِكَ الْعَامُ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، مِنْ طَرِيقٍ جَيِّدٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ فِيمَا يَعُد بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ نعْمتَه عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ، مَا رَدَّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْحَبَشَةِ، لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمُدنِهِمْ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سُورَةُ قُرَيْشٍ]، أَيْ: لِئَلَّا يُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ لَوْ قَبِلُوهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَبَابِيلُ: الْجَمَاعَاتُ، وَلَمْ تَتَكَلَّمُ الْعَرَبُ بِوَاحِدَةٍ، قَالَ: وَأَمَّا السِّجِّيلُ، فَأَخْبَرَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الشَّدِيدُ

الصُّلْبُ، قَالَ: وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ، جَعَلَتْهُمَا الْعَرَبُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هُوَ سَنْجُ وَجِلُّ يَعْنِي بِالسَّنْجِ: الْحَجَرَ، وَالْجِلِّ: الطِّينُ، يَقُولُ: الْحِجَارَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ: الْحَجَرِ وَالطِّينِ، قَالَ: والعصفُ: ورقُ الزَّرْعِ الَّذِي لَمْ يُقضب، وَاحِدَتُهُ عَصْفَةٌ. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَدْ قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَالَ: الْفِرَقُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ: أَبَابِيلُ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَتَادَةُ: الْأَبَابِيلُ: الْكَثِيرَةُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَبَابِيلُ: شَتَّى مُتَتَابِعَةٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَبَابِيلُ: الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، وَمِنْ هَاهُنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: سَمِعْتُ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُونَ: أَبُّولُ مِثْلُ الْعُجُّولِ، قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَبَابِيلِ: إِبِّيلٌ.

وَروى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ؛ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، هي: الأقاطيع، كالإبل المؤبلة...[١].

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: لَهَا خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكُفٌّ كَأَكُفِّ الْكِلَابِ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَالَ: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لَهَا رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ السِّبَاعِ.

وَعَنْ عبيد بن عُمَيْرٍ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: هِيَ طَيْرٌ سُودٌ بَحْرِيَّةٌ، فِي مِنْقَارِهَا وَأَظَافِيرِهَا الْحِجَارَةُ، وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ[٢].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا لَهَا مَنَاقِيرُ صُفْرٌ، تَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ: كَانَتِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ مِثْلَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا عَنْقَاءُ مُغْرِب، رَوَاهُ عَنْهُمُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٠٦.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٠٧، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦١.

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ، بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أُنْشِئَتْ مِنَ الْبَحْرِ، أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ، كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا تَحْمِلُ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ مُجَزَّعَةٍ: حَجَرَيْنِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرًا فِي مِنْقَارِهِ، قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى صُفَّتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، ثُمَّ صَاحَتْ وَأَلْقَتْ مَا فِي أَرْجُلِهَا وَمَنَاقِيرِهَا، فَمَا يَقَعُ حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، وَلَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَبَعَثَ اللَّهُ رِيحًا شَدِيدَةً، فَضَرَبَتِ الْحِجَارَةَ، فَزَادَتْهَا شِدَّةً فَأُهْلِكُوا جَمِيعًا[١].

وَقَالَ السُّدِّي، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾، قَالَ: طِينٌ فِي حِجَارَةٍ: «سَنْكُ -وَكِلٌّ»[٢].

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَعْنِي التِّبْنَ الَّذِي تسميه العامة: هَبُّور، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سَعِيدٍ: وَرَقُ الْحِنْطَةِ، وَعَنْهُ أَيْضًا: الْعَصْفُ: التِّبْنُ، وَالْمَأْكُولُ: الْقَصِيلُ يُجَزُّ لِلدَّوَابِّ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعَصْفُ: الْقِشْرَةُ الَّتِي عَلَى الْحَبَّةِ، كَالْغُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ، وَوَرَقُ الْبَقْلِ، إِذَا أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَرَاثَتْهُ، فَصَارَ دَرِينًا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَأَهْلَكَ عَامَّتَهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا وَهُوَ جَرِيحٌ، كَمَا جَرَى لِمَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَرَى لَهُمْ، ثُمَّ مات، فملك بعده ابنه يَكْسُومُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَبْرَهَةَ، ثُمَّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحِمْيَرِيُّ إِلَى كِسْرَى، فَاسْتَغَاثَهُ عَلَى الْحَبَشَةِ، فَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنْ جُيُوشِهِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ، وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ، وَجَاءَتْهُ وُفُودُ الْعَرَبِ لِلتَّهْنِئَةِ.

وَقَدْ روى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ، يَسْتَطْعِمَانِ، وَرَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَائِشَةَ مِثْلَهُ، وَرَوَاهُ أَيْضًا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦١.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَا مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ...[(١)].

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ، فِيمَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ، وَمِنْ ذَلِكَ الشعر شِعْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبْعَرِيِّ... [(٢)]:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ، إِنَّهَا ... كانتْ قَدِيمًا لَا يُرَام حَرِيمها

لَمْ تُخلَق الشِّعرى لَيَالِيَ حُرِّمتْ ... إِذْ لَا عزيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومها

سَائِلْ أميرَ الْجَيْشِ عَنْهَا: مَا رَأى؟ ... فلسوف يُنبي الْجَاهِلِينَ عَلَيْمُهَا

ستونَ أَلْفًا لَمْ يَؤُوبُوا أَرْضهم ... بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا

كانتْ بِهَا عادٌ وجُرْهُم قَبْلَهَمُ ... واللهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقيمها[(٣)]

[وَ] فِي تَفْسِيرِ «سُورَةِ الْفَتْحِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَطَلَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ الَّتِي تَهْبِطُ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَزَجَرُوهَا فألحَّت، فَقَالُوا: خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، أَيْ: حَرَنت. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعَظِّمون فِيهَا حُرُماتِ اللَّهِ، إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا**»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ[(٤)].

وَثبتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»[(٥)] [واللَّه ﷻ أعلم][(٦)].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٢.
(٢) سيرة ابن هشام، ١/ ٥٧.
(٣) سيرة ابن هشام، ١/ ٥٧.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.
(٥) صحيح البخاري، برقم ١١٢، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٥.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٤.

١٠٦ -تفسير سورة لإيلاف قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لإيلافِ قُرَيْشٍ (١) إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (١) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ السُّورَةُ مَفْصُولَةٌ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، كَتَبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلَهَا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عِنْدَهُمَا: حَبَسْنَا عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَأَهْلَكْنَا أَهْلَهُ ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾، أَيْ: لِائْتِلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ آمِنِينَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِعَظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِكَوْنِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفهم احْتَرَمَهُمْ، بَلْ مَنْ صُوفِيَ إِلَيْهِمْ، وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ، هَذَا حَالُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَرِحْلَتِهِمْ فِي شِتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ، وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَلَدِ، فَكَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العَنكبوت:٦٧]، وَلِهَذَا قَالَ:

١-٢- ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾، بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَمُفَسِّرٌ لَهُ؛ ولهذا قال: ﴿إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾»[١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها، أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل؛ لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب، فأهلك اللَّه من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا»[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

وَقَالَ **الإمام ابْنُ جَرِيرٍ**: الصَّوَابُ أَنَّ اللَّامَ لَامُ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، قَالَ: وَذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ مُنْفَصِلَتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ»[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لِإِيلَافِ﴾ تَتَعَلَّقُ بِالسُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَّرَ أَهْلَ مَكَّةَ عَظِيمَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا صَنَعَ بِالْحَبَشَةِ، وَقَالَ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أَيْ: يُرِيدُ إِهْلَاكَ أَهْلِ الْفِيلِ لِتَبْقَى قُرَيْشٌ، وَمَا أَلِفُوا مِنْ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَلِفُوا ذَلِكَ، فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَالْعَامَّةُ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْعِلَّةِ الْجَالِبَةِ لِلَّامِ فِي قَوْلِهِ ﴿لِإِيلَافِ﴾، قَالَ الْكِسَائِيُّ، وَالْأَخْفَشُ: هِيَ لَامُ التَّعَجُّبِ، يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: لِزَيْدٍ، وَإِكْرَامِنَا إِيَّاهُ، عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ: اعْجَبُوا لِذَلِكَ، وَالْعَرَبُ إِذَا جَاءَتْ بِهَذِهِ اللَّامِ اكْتَفَوْا بِهَا دَلِيلًا عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ مِنْهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هِيَ مَرْدُودَةٌ إِلَى مَا بَعْدَهَا تَقْدِيرُهُ: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لِنِعْمَتِي عَلَى قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ هُمْ وَلَدُ النَّضِرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَكُلُّ مَنْ وَلَدَهُ النَّضْرُ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَلِدْهُ النَّضْرُ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ، وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[(٢)].

وَسُمُوا قُرَيْشًا مِنَ الْقَرْشِ، وَالتَّقَرُّشِ وَهُوَ التَّكَسُّبُ وَالْجَمْعُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَقْرِشُ لِعِيَالِهِ وَيَقْتَرِشُ أَيْ: يَكْتَسِبُ، وَهُمْ كَانُوا تُجَّارًا حُرَّاصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَالْإِفْضَالِ، وَقَالَ أَبُو رَيْحَانَةَ: سَأَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا؟ قَالَ: لِدَابَّةٍ تَكُونُ فِي الْبَحْرِ مِنْ أَعْظَمِ دَوَابِّهِ، يُقَالُ لَهَا الْقِرْشُ، لَا تَمُرُّ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٢١.

(٢) مسلم، برقم ٣٣٧٦.

بِشَيْءٍ مِنَ الْغَثِّ وَالسَّمِينِ إِلَّا أَكَلَتْهُ، وَهِيَ تَأْكُلُ، وَلَا تُؤْكَلُ، وَتَعْلُو وَلَا تُعْلَى، قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهَا؟ قَالَ: نعم، فأنشده شِعْرَ الْجُمَحِيِّ:

وقُـرَيْشٌ هِـيَ الَّتِـي تَسْـكُنُ الْبَحْـرَ ... بِهَـا سُـمِّيَتْ قُـرَيْشٌ قُرَيْشَـا
سُـلِّطَتْ بِـالعُلُوِّ فِـي لُجَّـةِ الْبَحْـرِ ... عَلَـى سَـائِرِ الْبُحُـورِ جُيُوشَـا
تَأْكُـلُ الْغَـثَّ وَالسَّـمِينَ وَلَا تَتْـرُكُ ... فِيـهِ لِـذِي الْجَنَـاحَيْنِ رِيشَـا
وَلَهُـمْ فِـي آخِـرِ الزَّمَـانِ نَبِـيٌّ ... يُكْثِـرُ الْقَتْـلَ فِـيهِمْ وَالْخُمُوشَـا

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْإِيلَافِ الْأَوَّلِ ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ «رِحْلَةَ» نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيِ ارْتِحَالَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، رَوَى عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانُوا يُشْتُونَ بِمَكَّةَ وَيُصِيفُونَ بِالطَّائِفِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقِيمُوا بِالْحَرَمِ، وَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ فِي كُلِّ عَامٍ لِلتِّجَارَةِ، إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهَا أَدْفَأُ، وَالْأُخْرَى فِي الصَّيْفِ إِلَى الشام، وَكَانَ الْحَرَمُ وَادِيًا جَدْبًا، لَا زَرْعَ فِيهِ، وَلَا ضَرْعَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَعِيشُ بِتِجَارَتِهِمْ، وَرِحْلَتِهِمْ، وَكَانَ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، كَانُوا يَقُولُونَ: قُرَيْشٌ سُكَّانُ حَرَمِ اللَّهِ وَوُلَاةُ بَيْتِهِ فَلَوْلَا الرِّحْلَتَانِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِمَكَّةَ مَقَامٌ، وَلَوْلَا الْأَمْنُ بِجِوَارِ الْبَيْتِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى التَّصَرُّفِ، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الِاخْتِلَافُ إِلَى الْيَمَنِ وَالشَّامِ، فَأَخْصَبَتْ تَبَالَةُ، وَجَرَشُ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ، فَحَمَلُوا الطَّعَامَ إِلَى مَكَّةَ، أَهْلُ السَّاحِلِ مِنَ الْبَحْرِ عَلَى السُّفُنِ، وَأَهْلُ الْبَرِّ عَلَى الْإِبِلِ، وَالْحَمِيرِ، فَأَلْقَى أَهْلُ السَّاحِلِ بِجُدَّةَ، وَأَهْلُ الْبَرِّ بِالْمُحَصَّبِ، وَأَخْصَبَ الشَّامُ، فَحَمَلُوا الطَّعَامَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَلْقَوْا بِالْأَبْطَحِ، فَامْتَارُوا مِنْ قَرِيبٍ، وَكَفَاهُمُ اللَّهُ مُؤْنَةَ الرِّحْلَتَيْنِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ رَبِّ الْبَيْتِ»[1].

٣- ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فَقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أَيْ: فَلْيُوَحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا، وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٣٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّمْل:٩١].

٤- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أَيْ: هُوَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَهُوَ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، أَيْ: تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ وَالرُّخْصِ، فَلْيُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنَمًا، وَلَا نِدًّا، وَلَا وَثَنًا؛ وَلِهَذَا مَنِ اسْتَجَابَ لِهَذَا الْأَمْرِ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا، وَأَمْنِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النَّحل:١١٢-١١٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، والإلاف بمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، ولأن الجو مناسب، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف، مع مناسبة الجو البارد، فهي نعمة من اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منها فوائد كثيرة، ومكاسب كبيرة من هذه التجارة، أمرهم اللَّه أن يعبدوا رب هذا البيت قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ شكراً له على هذه النعمة، والفاء هذه إما أن تكون فاء السببية، أي: فبسبب هاتين الرحلتين ليعبدوا رب هذا البيت، أو أن تكون فاء التفريع، وأيًّا كان، فهي مبنية على ما سبق، أي فبهذه النعم العظيمة يجب عليهم أن يعبدوا اللَّه، والعبادة هي التذلل للَّه عَزَّ وَجَلَّ محبةً وتعظيماً، أن يتعبد الإنسان للَّه يتذلل له بالسمع والطاعة، فإذا بلغه عن اللَّه ورسوله أمر، قال: سمعنا وأطعنا، وإذا بلغه خبر قال: سمعنا وآمنا، على وجه المحبة والتعظيم، فبالمحبة يقوم الإنسان بفعل الأوامر، وبالتعظيم يترك النواهي خوفاً من هذا العظيم عَزَّ وَجَلَّ، هذا معنى من معاني العبادة، وتطلق العبادة على نفس المتعبد به، وقد حدّها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا المعنى فقال: إن العبادة اسم

جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة، وقوله: ﴿رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾ يعني به: الكعبة المعظمة، وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وهنا أضاف ربوبيته إليه قال: ﴿رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾، وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِين﴾ أضاف الله البيت إليه تشريفاً وتعظيماً، إذاً خصص البيت بالربوبية مرة، وأضافه إلى نفسة مرة أخرى تشريفاً وتعظيماً، وفي آية ثانية قال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾، وبعدها قال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ احتراز من أن يتوهم واهم بأنه رب البلدة وحدها فقال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، ولكل مقام صيغة مناسبة، ففي قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]، مناسبة بيان عموم ملكه، لئلا يدعي المشركون أنه رب للبلدة فقط، أما هنا، فالمقام مقام تعظيم للبيت، فناسب ذكره وحده.

قوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ «الذي» هذه صفة للرب، إذاً فمحلها النصب، ولهذا يحسن أن تقف فتقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾ ثم تقول: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾؛ لأنك لو وصلت فقلت: «رب هذا البيت الذي أطعمهم» لظن السامع أن «الذي» صفة للبيت، وهذا بعيد من المعنى ولا يستقيم به المعنى، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ بيّن الله نعمته عليهم، النعمة الظاهرة والباطنة، فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه، ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وقاية من الخوف في الأمر الظاهر؛ لأن الخوف ظاهر، إذا كانت البلاد محوطة بالعدو، وخاف أهلها وامتنعوا عن الخروج، وبقوا في ملاجئهم، فذكرهم الله بهذه النعمة، ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ آمن مكان في الأرض هو مكة، ولذلك لا يُقطع شجرها، ولا يُحش حشيشها، ولا تُلتقط ساقطتها، ولا يصاد صيدها، ولا يسفك فيها دم، وهذه الخصائص لا توجد في البلاد الأخرى حتى المدينة، محرمة ولها حرم، لكن حرمها دون حرم مكة بكثير، حرم مكة لا يمكن أن يأتيه أحد من المسلمين لم يأتها، ولا مرة إلا محرماً، والمدينة

ليست كذلك، حرم مكة يحرم حشيشه، وشجره مطلقاً، وأما حرم المدينة، فرخص في بعض شجره للحرث ونحوه، صيد مكة حرام، وفيه الجزاء، وصيد المدينة ليس فيه الجزاء، فأعظم مكان آمن هو مكة، حتى الأشجار آمنة فيه، وحتى الصيود آمنة فيه، ولولا أن الله تعالى يسر على عباده لكان حتى البهائم التي ليست صيوداً تحرم، لكن الله تعالى رحم العباد وأذن لهم أن يذبحوا، وينحروا في هذا المكان، وهذه النعمة ذكرهم الله بها في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، يعني أفلا يشكرون الله على هذا؟! فهذه السورة كلها تذكير لقريش بما أنعم الله عليهم في هذا البيت العظيم، وفي الأمن من الخوف، وفي الإطعام من الجوع، فإذا قال قائل: ما واجب قريش نحو هذه النعمة؟ وكذلك ما واجب من حلّ في مكة الآن من قريش أو غيرهم؟ قلنا: الواجب الشكر لله تعالى بالقيام بطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه؛ ولهذا إذا كثرت المعاصي في الحرم، فالخطر على أهله أكثر من الخطر على غيرهم؛ لأن المعصية في مكان فاضل أعظم من المعصية في مكان مفضول؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فتوعد الله تعالى من أراد فيه أي من هم فيه بإلحاد فضلاً عمن ألحد، والواجب على المرء أن يذكر نعمة الله عليه في كل مكان، لا في مكة فحسب، فبلادنا، ولله الحمد، اليوم من آمن بلاد العالم، وهي من أشد بلاد العالم رغداً وعيشاً، أطعمنا الله تعالى من الجوع، وآمننا من الخوف، فعلينا أن نشكر هذه النعمة، وأن نتعاون على البر والتقوى، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الدعوة إلى الله على بصيرة، وتأنٍ، وتثبت، وأن نكون إخوة متآلفين، والواجب علينا، ولاسيما على طلبة العلم إذا اختلفوا فيما بينهم أن يجلسوا للتشاور، وللمناقشة الهادئة التي يقصد منها الوصول إلى الحق، ومتى تبين الحق للإنسان، وجب عليه اتباعه، ولا يجوز أن ينتصر لرأيه؛ لأنه ليس مشرعاً معصوماً، حتى يقول إن رأيه هو الصواب، وأن ما عداه هو الخطأ،

الواجب على الإنسان المؤمن أن يكون كما أراد الله منه، ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، أما كون الإنسان ينتصر لرأيه، ويصر على ما هو عليه، ولو تبيّن له أنه باطل، فهذا خطأ، وهذا من دأب المشركين الذين أبوا أن يتبعوا الرسول وقالوا: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٢]، نسأل الله أن يديم علينا نعمة الإسلام، والأمن في الأوطان، وأن يجعلنا إخوة متآلفين على كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، إنه على كل شيء قدير»[١].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٣٢٩.

١٠٧ -تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْمَاعُونُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾

١- يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ- ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، وَهُوَ: الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ وَالثَّوَابُ والحسابِ[1].

٢- ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، أَيْ: هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ، وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ[2].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يَقْهَرُهُ، وَيَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ، وَالدَّعُّ: الدَّفْعُ بِالْعُنْفِ، وَالْقُوَّةِ»[3].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف، وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا»[4].

٣- ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨]، يَعْنِي: الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ يَقُومُ بِأَوْدِهِ وَكِفَايَتِهِ[5].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لَا يَطْعَمُهُ، وَلَا يَأْمُرُ بِإِطْعَامِهِ؛ لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ»[6].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٣١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.
(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٢.

يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ فجمع بين أمرين:

الأمر الأول: عدم الرحمة بالأيتام الذين هم محل الرحمة؛ لأن الأيتام هم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا، وهم محل الشفقة والرحمة؛ لأنهم فاقدون لآبائهم، فقلوبهم منكسرة، يحتاجون إلى جابر؛ ولهذا وردت النصوص بفضل الإحسان إلى الأيتام، لكن هذا، والعياذ بالله، ﴿يدع اليتيم﴾ أي: يدفعه بعنف؛ لأن الدّعَّ هو الدفع بعنف، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، أي: دفعاً شديداً، فتجد اليتيم إذا جاء إليه يستجديه شيئاً، أو يكلمه في شيء يحتقره، ويدفعه بشدة، فلا يرحمه.

الأمر الثاني: لا يحثون على رحمة الغير ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فالمسكين: الفقير المحتاج إلى الطعام، لا يحض هذا الرجل على إطعامه؛ لأن قلبه حجر قاسٍ، فقلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، إذاً ليس فيه رحمة، لا للأيتام، ولا للمساكين، فهو قاسي القلب»[(١)].

٤-٥- ثُمَّ قَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَلَا يُصَلُّونَ فِي السِّرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ، وَأَبُو الضُّحَى.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقِلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا، وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا، وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا، والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكلِّ مَن اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ**

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٠- ٣٣١.

الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»(١).

فَهَذَا أَخَّرَ صَلَاةَ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «**لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ، لا ابتغاء وجه اللَّهِ، فَهُوَ إِذًا لَمْ يُصَلِّ بِالْكُلِّيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا**﴾ [النِّساء: ١٤٢]، وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾.

وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سامعَ خَلْقِهِ، وحَقَّره وصَغَّره**»(٢).

٦- وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لِلَّهِ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ رِيَاءً، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ**»(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(٤).

وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا يَحْتَمِلُ تَرْكَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ صَلَاتَهَا بَعْدَ وَقْتِهَا شَرْعًا، أَوْ تَأْخِيرَهَا عَنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ سَهْوًا حَتَّى ضَاعَ الْوَقْتُ(٥).

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾، أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم ﴿**عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾، أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها،

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٦٢٢.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٥٦٦، برقم ٦٩٨٦،، ورقم ٥٦، ورقم ٦٥٠٩، ورقم ٦٨٣٩، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٤/ ١٧٦، برقم ٢٥٥٢، وشعب الإيمان للبيهقي، ٩/ ٢٣٨، كلاهما من طريق أبي داود، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ص ٦٩١، برقم ، وسنن الترمذي بالإسناد نفسه مرفوعاً، ٤/ ٥٩٤، برقم ٢٣٨٤، وابن ماجه، برقم ٤٢٢٦، وقد وثقه الأرنؤوط مرسلاً في تحقيق سنن ابن ماجه، برقم ٤٢٢٦، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ص ٦٩١، برقم ٤٧٨٧.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٦٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٩.

مفوتون لأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر اللَّه؛ حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات، وأفضل القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم، واللوم، وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ؛ ولهذا وصف اللَّه هؤلاء بالرياء، والقسوة، وعدم الرحمة، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أي: يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾، ويل: هذه كلمة وعيد، وهي تتكرر في القرآن كثيراً، والمعنى الوعيد الشديد على هؤلاء، ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ هؤلاء مصلون يصلون مع الناس أو أفراداً لكنهم ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: غافلون عنها، لا يقيمونها على ما ينبغي، يؤخرونها عن الوقت الفاضل، لا يقيمون ركوعها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا قعودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة، سواء كانت قرآناً، أو ذكراً، إذا دخل في صلاته هو غافل، قلبه يتجول يميناً وشمالاً، فهو ساهٍ عن صلاته، وهذا مذموم، الذي يسهو عن الصلاة، ويغفل عنها، ويتهاون بها، لا شك أنه مذموم، أما الساهي في صلاته، فهذا لا يُلام، والفرق بينهما أن الساهي في الصلاة معناه: أنه نسي شيئاً، نسي عدد الركعات، نسي شيئًا من الواجبات، وما أشبه ذلك؛ ولهذا وقع السهو من رسول اللَّه ﷺ، وهو أشد الناس إقبالاً على صلاته، بل إنه قال عليه الصلاة والسلام: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[2]، ومع ذلك سها في صلاته؛ لأن السهو في الشيء معناه: أنه نسي شيئًا على وجه لا يلام عليه، أما الساهي عن صلاته، فهو متعمد للتهاون في صلاته، ومن السهو عن الصلاة أولئك القوم الذين يدعون للصلاة مع الجماعة، فإنهم لا شك عن صلاتهم ساهون، فيدخلون في هذا الوعيد، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أيضاً إذا فعلوا الطاعة فإنما يقصدون بها التزلف إلى الناس، وأن يكون لهم قيمة في المجتمع، ليس قصدهم التقرب إلى اللَّه عز وجل، فهذا المرائي يتصدق من أجل أن يقول الناس ما أكرمه، هذا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٣٠٥، برقم ١٢٢٩٣، وحسّن إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، برقم، ٣٩٣٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٤٢٤، برقم ١٨٠٩.

المصلي يحسن صلاته من أجل أن يقول الناس ما أحسن صلاته، وما أشبه ذلك، هؤلاء يراؤون، فأصل العبادة لله، لكن يريدون مع ذلك أن يحمدهم الناس عليها، ويتقربون إلى الناس بتقربهم إلى الله، هؤلاء هم المراؤون، أما من يصلي لأجل الناس بمعنى أنه يصلي بين يدي الملك مثلاً، أو غيره، يخضع له ركوعاً، أو سجوداً، فهذا مشرك كافر، قد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، لكن هذا يصلي لله مع مراعاة أن يحمده الناس على عبادته، على أنه عابد لله ﷻ، وهذا يقع كثيراً في المنافقين، كما قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: ١٤٢]، انظر إلى هذا الوصف إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، إذاً هم عن صلاتهم ساهون، يراؤون الناس، وهنا يقول الله ﷻ: **﴿الذين هم يراؤون﴾** فهل الذين يسمّعون مثلهم؟ يعني إنسان يقرأ قرآنًا، ويجهر بالقراءة، ويحسن القراءة، ويحسن الأداء والصوت من أجل أن يقال: ما أقرأه، هل يكون مثل الذي يرائي؟ الجواب: نعم كما جاء في الحديث، «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به**»[(١)]، المعنى من سمّع فضحه الله، وبيّن للناس أن الرجل ليس مخلصاً، ولكنه يريد أن يسمعه الناس، فيمدحوه على عبادته، ومن راءى كذلك راءى الله به، فالإنسان الذي يرائي الناس، أو يسمّع الناس سوف يفضحه الله، وسوف يتبين أمره إن عاجلاً أم آجلاً»[(٢)].

٧- **﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾**، أَيْ: لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ، حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ أَوْلَى وَأَوْلَى، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: قَالَ عَلِيٌّ: الْمَاعُونُ: الزَّكَاةُ، وَكَذَا رَوَاهُ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَلِيٍّ، وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمَة، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٩٩، ومسلم، برقم ٢٩٨٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣١- ٣٣٢.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنْ صَلَّى رَاءَى، وَإِنْ فَاتَتْ لِمَ يَأْسَ عَلَيْهَا، وَيَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ، وَفِي لَفْظٍ: صَدَقَةَ مَالِهِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ، ظَهَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّوْهَا، وضَمِنَت الزَّكَاةُ فَمَنَعُوهَا.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، وَشُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ: أَنَّ أَبَا الْعُبَيْدَيْنِ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: هُوَ مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَأْسِ، وَالْقِدْرِ.

وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْل، عَنْ أَبِي العُبَيدين: أَنَّهُ سُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: هُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، مِنَ الْفَأْسِ وَالْقِدْرِ، وَالدَّلْو، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ[(١)].

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ أَبِي العُبَيدين، وَسَعْدِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ الْمَاعُونَ الدَّلْوُ، وَالْفَأْسُ، وَالْقِدْرُ، لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُنَّ[(٢)].

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أيضاً قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عِيَاضٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ[(٣)].

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: مَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ: الْفَأْسُ وَالدَّلْوُ وَشَبَهُهُ[(٤)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ وَنَحْنُ نَقُولُ: الْمَاعُونُ: مَنْعُ الدَّلْوِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ[(٥)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَكُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عاريَّة الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ»[(١)].

وَعن حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الْمَاعُونُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٣.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٨.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٩.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٩.

(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.

(١) أبو داود، برقم ١٦٥٧ نحوه، والسنن الكبرى للنسائي بلفظه، ١٠/ ٣٤٥، برقم ١١٦٣٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٣٥٤، برقم ١٤٦١.

العَواري: الْقِدْرُ، وَالْمِيزَانُ، وَالدَّلْوُ[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، يَعْنِي: مَتَاعَ الْبَيْتِ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخعي، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا العاريَّة لِلْأَمْتِعَةِ.

وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: لَمْ يَجِئْ أهلها بعد[٢].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الطَّاعَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الْعَارِيَّةَ[٣].

وَعَنِ الحارث، عن عَلِيٍّ: الْمَاعُونُ: مَنْعُ النَّاسِ الْفَأْسَ، وَالْقِدْرَ، وَالدَّلْوَ[٤].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَأْسُ الْمَاعُونِ زَكَاةُ الْمَالِ، وَأَدْنَاهُ: الْمُنْخُلُ، وَالدَّلْوُ، وَالْإِبْرَةُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ عِكْرِمَةُ حَسَنٌ؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا، وَتَرْجِعُ كُلُّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَرْكُ الْمُعَاوَنَةِ بِمَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: الْمَعْرُوفُ[٥]؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»[٦].

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قَالَ: بِلِسَانِ قُرَيْشٍ: الْمَالُ[٧].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به، فهؤلاء، لشدة حرصهم، يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه، وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٣.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٤.
(٦) صحيح البخاري، برقم ٦٠٢١.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٩.

ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها، وفي جميع الأعمال، والحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء، والدلو، والكتاب، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله ﷻ أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون ما يجب بذله من المواعين، وهي الأواني، يعني يأتي الإنسان إليهم، يستعير آنية، يقول: أنا محتاج إلى دلو، أو محتاج إلى إناء أشرب به، أو محتاج إلى مصباح كهرباء، وما أشبه ذلك، فيمنع، فهذا أيضاً مذموم، ومنع الماعون ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قسم يأثم به الإنسان.

القسم الثاني: قسم لا يأثم به، لكن يفوته الخير.

فما وجب بذله؛ فإن الإنسان يأثم بمنعه، وما لم يجب بذله؛ فإن الإنسان لا يأثم بمنعه، لكن يفوته الخير، مثال ذلك: إنسان جاءه رجل مضطر يقول: أعطني ماءً أشربه، فإن لم أشرب مت، فبذل الإناء له واجب، يأثم بتركه الإنسان، حتى إن بعض العلماء يقول: لو مات هذا الإنسان؛ فإنه يضمنه بالدية، لأنه هو سبب موته، ويجب عليه بذل ما طلبه، فيجب على المرء أن ينظر في نفسه هل هو ممن اتصف بهذه الصفات أو لا؟ إن كان ممن اتصف بهذه الصفات قد أضاع الصلاة، وسها عنها، ومنع الخير عن الغير فليتب وليرجع إلى الله، وإلا فليبشر بالويل، والعياذ بالله، وإن كان قد تنزه عن ذلك فليبشر بالخير، والقرآن الكريم ليس المقصود منه أن يتلوه الإنسان، ليتعبد لله تعالى بتلاوته فقط، المقصود أن يتأدب به؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «**إن النبي ﷺ كان خلقه القرآن**»[(٢)]، خُلقه يعني أخلاقه التي يتخلق بها، يأخذها من القرآن، وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، إنه على كل شيء قدير»[(١)].



---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسلم، برقم ٧٤٦.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

١٠٨ -تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(٣)﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عليَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، ترِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَج الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[(١)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ آنِيَةً عدد نُجُومِ السَّمَاءِ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَفْظُ مُسْلِمٍ عن أنسٍ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلِيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: «﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النُّجُومِ، فَيختلجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»[(٢)].

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنَ السُّورَةِ، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مَعَهَا.

---

(١) مسند أحمد، ١٩/ ٥٤، برقم ١١٩٩٦، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٤٠٠، وسنن أبي داود، برقم ٤٧٤٧، وسنن النسائي، برقم ٩٠٤.

١- فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أعطيتُ الْكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشق شَقًّا، وَإِذَا حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي تُرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكُهُ ذَفِرة، وَإِذَا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ»[١].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَّتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ﷻ»[٢].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أتيتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِة، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ»، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

وَعَنْ شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يُشَمّ تُرَابه، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا النَّهْرُ؟ قَالَ: هُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ»[٤].

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجوف، فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِه، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ»[٥].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «هُوَ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ فِي الْجَنَّةِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ»، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ،

---

(١) مسند أحمد، ٢١/ ٢٠٠، برقم ١٣٥٧٨، وصحح إسناده على شرط مسلم محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٦٦، برقم ١٢٠٠٨، وصححه محققو المسند.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٤، وفي مسلم، برقم ١٦٢ حديث المعراج، وليس فيه ذكر للكوثر.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤٦، وهو في صحيح البخاري، برقم ٣٤٩، وصحيح مسلم، برقم ١٦٢.

(٥) مسند أحمد، ٢١/ ١٠٦، برقم ١٣٤٢٥، وصحح إسناده محققو المسند. وبنحوه في صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٤، ولفظه: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ».

فَقَالَ: «آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»[١].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَالَتْ: «نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ: شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ»[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: «هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ نَاسًا يَزْعُمون أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»[٣].

وَعَنْ أَبِي بِسرٍ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ[٤].

وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَمُحَارِبُ بْنُ دِثَار، وَالْحُسْنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ، حَتَّى قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ النُّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالنَّهْرِ أَيْضًا، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[٥].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وفضة، يجري على الدر وَالْيَاقُوتِ، مَاؤُهُ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[٦].

وَقَدْ صَحَّ أَصْلُ هَذَا، بَلْ قَدْ تَوَاتَرَ مِنْ طرقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ،... وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٍ، وَغَيْرِ

---

(١) مسند أحمد، ٢١/ ١٣٢، برقم ١٣٤٧٥، وصحح إسناده محققو المسند.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٥.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٦.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٦٥٧٨.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤٥، ورواه الترمذي، برقم ٣٣٦١ مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٥٠٦، برقم ٣٧٢٤.
(٦) مسند أحمد، ٩/ ٢٥٧، برقم ٥٣٥٥، وقوّاه محققو المسند. وهكذا رواه الترمذي، برقم ٣٣٦١، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، برقم ٤٣٣٤، وابن أبي حاتم في تفسيره، ١٠/ ٣٤٧٠، برقم ١٩٥٠٧، والطبري في تفسيره، ٢٤/ ٦٤٥.

واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ الْكَوْثَرَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ حَوْضٌ فِي الْجَنَّةِ[1].

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، أَيْ: كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ومن ذلك النهرُ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ، فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ، وَالنَّافِلَةَ، ونَحْرَك، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ: يَعْنِي بِذَلِكَ نَحْرَ البُدْن وَنَحْوِهَا، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنَ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالذَّبْحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الْآيَةَ [الأنعام:١٢١].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...المراد بالنحر: ذبح المناسك...، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يصلي الْعِيدَ، ثُمَّ يَنْحَرُ نُسُكَهُ وَيَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ. وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ**»، فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نَيَّارٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسَكتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ يُشْتَهَى فِيهِ اللَّحْمُ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**»، قَالَ: فَإِنَّ عِنْدِي عِنَاقًا هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتُجْزِئُ عَنِّي؟ قَالَ: «**تُجْزِئُكَ، وَلَا تُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ**»[2].

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَاجْعَلْ صَلَاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَكَذَلِكَ نَحْرَكَ اجْعَلْهُ لَهُ دُونَ الْأَوْثَانِ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ، الَّذِي لَا كِفَاء لَهُ، وَخَصَّكَ بِهِ[3].

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى: مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَعَطَاءٌ[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، برقم ٩٨٣، ومسلم، برقم ١٩٦١.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٣.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٣.

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أَيْ: إِنَّ مُبْغِضَكَ -يَا مُحَمَّدُ- وَمُبْغِضَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ، وَالنُّورِ الْمُبِينِ، هُوَ الْأَبْتَرُ الْأَقَلُّ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ ذِكْرُه.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ قَالَ: كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عقِب لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ[1]، وَقَالَ شَمِر بْنُ عَطِيَّةَ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيط، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَعِكْرِمَةُ: نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ أَلَّا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُصنبر الْمُنْبَتِرَ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السِّدَانَةِ وَأَهْلُ السِّقَايَةِ؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، وَعَنْهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، يَعْنِي: عَدُوَّكَ، وَهَذَا يَعُمُّ جميعَ مَن اتصف بِذَلِكَ ممن ذكر، وغيرهم.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْأَبْتَرُ: الْفَرْدُ. وَقَالَ السُّدِّي: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذكورُ الرَّجُلِ قَالُوا: بُتِر. فَلَمَّا مَاتَ أَبْنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: بُتِرَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْأَبْتَرَ الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ، يَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَلَّا، بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِّ»[1].

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٣٩٣.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار، ٣/ ٨٣، برقم ٢٢٩٣، وهو في السنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٤٧، برقم ١١٦٤٣، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٩/ ٢٩٢، برقم ٦٥٣٨. وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره، ١٤/ ٤٨٢: «هَكَذَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٣.

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له «الكوثر» ومن الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في، كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات؛ ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع ﷺ»[(١)].

وقال **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: في اللغة العربية هو الخير الكثير، وهكذا كان النبي ﷺ أعطاه الله تعالى خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، فمن ذلك النهر العظيم الذي في الجنة، والذي يصبّ منه ميزابان على حوضه المورود ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى مذاقاً من العسل، «**وأطيب رائحة من المسك**»[(٢)]، وهذا الحوض في القيامة في عرصات القيامة، يرده المؤمنون من أمة النبي ﷺ، وآنيته كنجوم السماء كثرة وحسناً، فمن كان وارداً على شريعته في الدنيا كان وارداً على حوضه في الآخرة، ومن لم يكن وارداً على شريعته، فإنه محروم منه في الآخرة، ومن الخيرات الكثيرة التي أعطيها النبي ﷺ في الدنيا ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسند أحمد، ٣٦/ ٤٧٩، برقم ٢٢١٥٦، و سنن الترمذي، برقم ٣٣٦١، وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٣٢، برقم ٣٦١٤.

وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1]، هذا من الخير الكثير؛ لأن بعثه إلى الناس عامة يستلزم أن يكون أكثر الأنبياء اتباعاً، وهو كذلك، فهو أكثرهم أتباعاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن المعلوم أن الدال على الخير كفاعل الخير، والذي دلّ هذه الأمة العظيمة التي فاقت الأمم كثرة، هو محمد ﷺ، وعلى هذا فيكون للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أجر كل واحد من أمته نصيب، ومن يحصي الأمة إلا الله ﷻ، ومن الخير الذي أعطيه في الآخرة المقام المحمود، ومنه الشفاعة العظمى، فإن الناس في يوم القيامة يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيطلبون الشفاعة، فيأتون إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام حتى تصل إلى النبي ﷺ، فيقوم ويشفع، ويقضي الله تعالى بين العباد بشفاعته، وهذا مقام يحمده عليه الأولون والآخرون، وداخل في قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩]، إذاً الكوثر يعني الخير الكثير، ومنه النهر الذي في الجنة، فالنهر الذي في الجنة هو الكوثر لا شك، ويسمى كوثراً، لكنه ليس هو فقط الذي أعطاه الله نبيه محمدًا ﷺ من الخير، ولما ذكر منته عليه بهذا الخير الكثير قال: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ شكراً لله على هذه النعمة العظيمة، أن تصلي وتنحر لله، والمراد بالصلاة هنا جميع الصلوات، وأول ما يدخل فيها الصلاة المقرونة بالنحر، وهي صلاة عيد الأضحى، لكن الآية شاملة عامة ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ الصلوات المفروضة والنوافل: صلوات العيد، والجمعة «وانحر» أي: تقرب إليه بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر النحر، لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين، ولهذا أهدى النبي ﷺ في حجة الوداع مائة بعير، ونحر منها ثلاثة وستين بيده، وأعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الباقي فنحرها، وتصدق بجميع أجزائها إلا بضعة واحدة من كل ناقة، فأخذها، وجعلت في قدر، فطبخها فأكل من لحمها، وشرب من مرقها، وأمر بالصدقة حتى بجلالها، وجلودها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٣٣٥، ومسلم، برقم ٥٢١.

والأمر في الآية أمر له وللأمة، فعلينا أن نخلص الصلاة لله، وأن نخلص النحر لله كما أُمر بذلك نبينا ﷺ، ثم قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، هذا في مقابل إعطاء الكوثر قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ «﴿شانئك﴾» أي مبغضك، والشنآن هو البغض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، أي: لا يحملنكم بغضهم أن تعتدوا، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]، أي: لا يحملنكم بغضهم على ترك العدل ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فشانئك في قوله: ﴿إن شانئك﴾ يعني: مبغضك ﴿هو الأبتر﴾ الأبتر: اسم تفضيل من بتر بمعنى: قطع، يعني هو الأقطع، المنقطع من كل خير، وذلك أن كفار قريش يقولون: محمد أبتر، لا خير فيه، ولا بركة فيه، ولا في أتباعه، أبتر لما مات ابنه القاسم رضي الله عنه قالوا: محمد أبتر، لا يولد له، ولو ولد له فهو مقطوع النسل، فبين الله عز وجل أن الأبتر هو مبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو الأبتر المقطوع عن كل خير، الذي ليس فيه بركة، وحياته ندامة عليه، وإذا كان هذا في مبغضه، فهو أيضاً في مبغض شرعه، فمن أبغض شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام، فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، ولا حبوط للعمل إلا بالكفر، فمن كره فرض الصلوات فهو كافر ولو صلى، ومن كره فرض الزكاة، فهو كافر ولو زكى، لكن من استثقلها مع عدم الكراهة، فهذا فيه خصلة من خصال النفاق؛ لكنه لا يكفر، وفرق بين من استثقل الشيء ومن كره الشيء، إذاً هذه السورة تضمنت بيان نعمة الله على رسوله ﷺ بإعطائه الخير الكثير، ثم الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات والنحر، وكذلك في سائر العبادات، ثم بيان أن من أبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شيئاً من شريعته، فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه، ولا بركة فيه، نسأل الله العافية والسلامة»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٥- ٣٣٨.

١٠٩ -تَفْسِيرُ سُورَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

عَنْ جَابِرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَبِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكْعَتِي الطَّوَافِ»(١).

وَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً -أَوْ: بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٣).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أيضاً قَالَ: «رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ -أَوْ: خَمْسًا وَعِشْرِينَ- مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»(٤).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٥).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «...وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ القُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِثُلُثِ القُرْآنِ»(٦).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ القُرْآنِ»(٧).

وَعَنْ فروة ابْنِ نوفل -هُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ- عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي رَبِيبَةٍ لَنَا تَكْفُلُهَا؟»، قَالَ: أَرَاهَا زَيْنَبَ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ

---

(١) صحيح مسلم، برقم ١٢١٨.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٧٢٦.
(٣) مسند أحمد، ٨/ ٣٨١، برقم ٤٧٦٣، وصحح إسناده محققو المسند.
(٤) مسند أحمد، ٩/ ٥٠٩، برقم ٥٦٩٩، وصحح إسناده محققو المسند.
(٥) مسند أحمد، ٩/ ٥٠١، برقم ٥٦٩١، وصحح إسناده محققو المسند، وكذا رواه الترمذي، برقم ٤١٧، وابن ماجه، برقم ١١٤٩، والنسائي، برقم ٩٩٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٣٦.
(٦) سنن الترمذي، برقم ٢٨٩٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ١٥٨.
(٧) سنن الترمذي، برقم ٢٨٩٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ١٥٨، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٩٥.

ﷺ عَنْهَا، قَالَ: «مَا فَعَلَتِ الْجَارِيَةُ؟»، قَالَ: تَرَكْتُهَا عِنْدَ أُمِّهَا، قَالَ: «فَمَجِيءُ مَا جَاءَ بِكَ؟»، قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنَامِي، قَالَ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا براءة من الشرك»[١].

وَعَنْ خَبَّابٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا»[٢]. والله أعلم[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهِيَ آمِرَةٌ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ، فَقَوْلُهُ:

١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ شَمِلَ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمُوَاجَهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ كفارُ قُرَيْشٍ.

وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَالَ:

٢- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ.

٣- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَـ«مَا» هَاهُنَا بِمَعْنَى «مَنْ».

٤- ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، أَيْ: وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَيْ: لَا أَسْلُكُهَا، وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

٥- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أَيْ: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدِ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ

---

(١) مسند أحمد، ٣٩/ ٤٨٨، برقم ٤٩، وحسنه محققو المسند، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٨٩، برقم ٦٠٥: «حسن لغيره».

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٤/ ٨١، برقم ٣٧٠٨، وكشف الأستار عن زوائد البزار، ٤/ ٢٧، برقم ٣١١٣، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٢١٦١، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ٨٥١، برقم ٤٦٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ١٩٥.

يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النَّجم: ٢٣]، فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وعبادة يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، أَيْ: لَا مَعْبُودَ بحقٍّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ.

٦- وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يُونُس:٤١]، وَقَالَ: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القَصَص:٥٥]، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الْكُفْرُ، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الْإِسْلَامُ، وَلَمْ يَقُلْ: «دِينِي»؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالنُّونِ، فَحُذِفَ الْيَاءُ، كَمَا قَالَ: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٨]، وَ﴿يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء:٨٠]، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْآنَ، وَلَا أُجِيبُكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المَائِدَة: ٦٤]، انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ[(١)].

وَنَقَلَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح: ٥-٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا * عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التَّكَاثُر: ٦-٧]، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ -كَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَغَيْرِهِ- عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ[(٢)].

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَوَّلُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا، الثَّانِي: مَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فِي الْمَاضِي، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، الثَّالِثُ: أَنَّ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ مَحْضٌ.

وَثَمَّ قَوْلٌ رَابِعٌ، نَصَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تيمية فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: نَفْيُ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾: نَفْيُ قَبُولِهِ لِذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ آكَدُ، فَكَأَنَّهُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكافرون، ٦/ ١٧٨.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٦٣.

نَفى الْفِعْلَ، وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ، وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ، وَنَفْيُ الْإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[١].

ثم قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، تُورِثُهُ الْيَهُودُ مِنَ النَّصَارَى، وَبِالْعَكْسِ؛ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ، أَوْ سَبَبٌ يُتَوَارَثُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَدْيَانَ -مَا عَدَا الْإِسْلَامِ- كُلَّهَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فِي الْبُطْلَانِ.

وَذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُ إِلَى عَدَمِ تَوْرِيثِ النَّصَارَى مِنَ الْيَهُودِ وَبِالْعَكْسِ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى»[٢]»[٣].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه السورة هي إحدى سورتي الإخلاص؛ لأن سورتي الإخلاص ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في سُنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف؛ لما تضمنتاه من الإخلاص لله ﷻ، والثناء عليه بالصفات الكاملة في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ يناديهم يعلن لهم بالنداء ﴿أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، وهذا يشمل كل كافر سواء كان من المشركين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو من الشيوعيين، أو من غيرهم، كل كافر يجب أن تناديه بقلبك، أو بلسانك إن كان حاضراً؛ لتتبرأ منه، ومن عبادته ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، كُررت الجمل على مرتين مرتين: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الذين تعبدونهم، وهم الأصنام ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وهو اللَّه، و«ما» هنا في قوله: «ما أعبد» بمعنى «من»؛ لأن اسم الموصول إذا عاد إلى اللَّه؛ فإنه يأتي بلفظ «من» ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٧.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٢٤٥، برقم ٦٦٦٤، وحسنه محققو المسند، سنن أبي داود، برقم ٢٩١١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٢٦١، برقم ٧٦١٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٧.

يعني: أنا لا أعبد أصنامكم، وأنتم لا تعبدون الله ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ قد يظن الظان أن هذه مكررة للتوكيد، وليس كذلك؛ لأن الصيغة مختلفة ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فعل، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ «عابد»، و«عابدون» اسم، والتوكيد لابد أن تكون الجملة الثانية كالأولى، إذاً القول بأنه كرر للتوكيد ضعيف، إذاً لماذا هذا التكرار؟

قال بعض العلماء: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: الآن ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في المستقبل، فصار ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: في الحال، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني في المستقبل؛ لأن الفعل المضارع يدل على الحال، واسم الفاعل يدل على الاستقبال، بدليل أنه عمل، واسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان للاستقبال، ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآن ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني الآن، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني في المستقبل ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يعني في المستقبل

لكن أورد على هذا القول إيراد كيف قال: ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ مع أنهم قد يؤمنون فيعبدون الله؟! وعلى هذا فيكون في هذا القول نوع من الضعف، وأجابوا عن ذلك بأن قوله: ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يخاطب المشركين الذين عَلِم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، فيكون الخطاب ليس عامًّا، وهذا مما يضعف القول بعض الشيء.

فعندنا الآن قولان:

الأول: إنها توكيد.

والثاني: إنها في المستقبل.

[و]- **القول الثالث**: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لا تعبدون الله، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: في العبادة يعني ليست عبادتي كعبادتكم، ولا عبادتكم كعبادتي، فيكون هذا نفي للفعل، لا للمفعول به، يعني ليس نفيًا للمعبود؛ لكنه نفي للعبادة، أي: لا أعبد كعبادتكم، ولا تعبدون أنتم كعبادتي، لأن عبادتي خالصة لله، وعبادتكم عبادة شرك.

[و]- **القول الرابع**: واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا

تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هذا الفعل. فوافق القول الأول في هذه الجملة، ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: في القبول، بمعنى: ولن أقبل غير عبادتي، ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا، فتكون الجملة الأولى عائدة على الفعل، والجملة الثانية عائدة على القبول، والرضا، يعني لا أعبده، ولا أرضاه، وأنتم كذلك، لا تعبدون اللَّه، ولا ترضون بعبادته، وهذا القول إذا تأملته، لا يرد عليه شيء من الهفوات السابقة، فيكون قولاً حسناً جيداً، ومن هنا نأخذ أن القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر لغير فائدة إطلاقاً، ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة؛ لأننا لو قلنا: إن في القرآن شيئاً مكرراً بدون فائدة، لكان في القرآن ما هو لغو، وهو منزه عن ذلك، وعلى هذا، فالتكرار في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، وفي سورة المرسلات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] تكرار لفائدة عظيمة، وهي أن كل آية مما بين هذه الآية المكررة، فإنها تشمل على نعم عظيمة، وآلاء جسيمة، ثم إن فيها من الفائدة اللفظية التنبيه للمخاطب حيث يكرر عليه ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ويكرر عليه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ «لكم دينكم» الذي أنتم عليه، وتدينون به، ولي ديني، فأنا بريء من دينكم، وأنتم بريئون من ديني، قال بعض أهل العلم: وهذه السورة نزلت قبل فرض الجهاد؛ لأنه بعد الجهاد لا يقر الكافر على دينه إلا بالجزية، إن كانوا من أهل الكتاب، وعلى القول الراجح، أو من غيرهم.

ولكن الصحيح أنها لا تنافي الأمر بالجهاد حتى نقول إنها منسوخة، بل هي باقية، ويجب أن نتبرأ من دين اليهود، والنصارى، والمشركين، في كل وقت وحين؛ ولهذا نقر اليهود، والنصارى على دينهم بالجزية، ونحن نعبد اللَّه، وهم يعبدون ما يعبدون، فهذه السورة فيها البراءة، والتخلي من عبادة غير اللَّه ﷻ، سواء في المعبود، أو في نوع الفعل، وفيها الإخلاص للَّه ﷻ، وأن لا نعبد إلا اللَّه وحده لا شريك له»[(١)].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٩- ٣٤٢.

١١٠ -تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح

عَنْ عُبَيد اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ عُتْبَةَ، أَتَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: صَدَقْتَ»[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيت إِلَيَّ نَفْسِي»، فَبَكَتْ ثُمَّ ضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيت إِلَيْهِ نفسه فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قَالَ: «اصْبِرِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي»، فَضَحِكْتُ[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣)﴾

١-٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدخلني مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بعضهم وَجد في نفسه، فقال: لم يَدْخل هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُؤِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيهِم، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمِرنَا أَنْ نحمد اللَّهَ، وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرنَا، وفُتح عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ أَجلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»[3].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ نُعِيت إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَقِيلَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ السُّورَةُ كُلُّهَا[1].

وعَنْ أَبِي رَزِين: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٤٩، برقم ١١٦٤٩، وهو في صحيح مسلم من طريق ابن أبي شيبة، برقم ٣٠٢٤.

(٢) سنن الدارمي، ١/ ٥١، برقم ٧٩، ودلائل النبوة للبيهقي، ٧/ ١٦٧، وصححه، وصححه حسين سليم أسد في تعليقه على سنن الدارمي.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٠.

(١) مسند أحمد، ٥/ ٢٧٥، برقم ٣٢٠١، وحسّن إسناده محققو المسند.

اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ نُعِيت إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ»[١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ**: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ: «**النَّاسُ حَيِّزٌ، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيِّزٌ**»، وَقَالَ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوان: كَذَبْتَ -وَعِنْدَهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَاعِدَانِ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ - فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَوْ شَاءَ هَذَانِ لَحَدَّثَاكَ، وَلَكِنَّ هَذَا يَخَافُ أَنْ تَنْزِعَهُ عَنْ عِرَافَةِ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَخْشَى أَنْ تَنْزِعَهُ عَنِ الصَّدَقَةِ، فَرَفَعَ مَرْوَانُ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ لِيَضْرِبَهُ، فَلَمَّا رَأَيَا ذَلِكَ قَالَا: صَدَقَ»[٢].

وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَرْوَانُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَلَكِنْ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[٣].

فَالَّذِي فَسَّرَ بِهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ جُلَسَاءِ عُمَرَ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ، وَنَشْكُرَهُ، وَنُسَبِّحَهُ، يَعْنِي نُصَلِّي له، وَنَسْتَغْفِرَهُ: مَعْنًى مَلِيحٌ، صَحِيحٌ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقْتَ الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، فَقَالَ قَائِلُونَ: هِيَ صَلَاةُ الضُّحَى، وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا، فَكَيْفَ صَلَّاهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَقَدْ كَانَ مُسَافِرًا لَمْ يَنْوِ الْإِقَامَةَ بِمَكَّةَ؟ وَلِهَذَا أَقَامَ فِيهَا إِلَى آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَرِيبًا مِنْ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، يقصرُ الصَّلَاةَ، ويُفطر هُوَ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، قَالَ هَؤُلَاءِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَتْحِ، قَالُوا: فَيُسْتَحَبُّ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ إِذَا فَتَحَ بَلَدًا أَنْ يُصَلِّيَ فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، وَهَكَذَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ فَتَحَ الْمَدَائِنَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلِّيهَا كُلَّهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.

وَأَمَّا مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما مِنْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نُعِي فِيهَا إِلَى رَسُولِ

---

(١) مسند أحمد، ٥/ ٣٥٦، برقم ٣٣٥٣، وحسّن إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٢٥٨)، برقم ١١١٦٧، وصححه لغيره محققو المسند.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٣٤، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٣.

اللهِ ﷺ نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا فَتَحْتَ مَكَّةَ، وَهِيَ قَرْيَتُكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَقَدْ فَرَغَ شُغْلُنَا بِكَ فِي الدُّنْيَا، فَتَهَيَّأْ لِلْقُدُومِ عَلَيْنَا، وَالْوُفُودِ إِلَيْنَا، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

٣- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: نُعِيت لِرَسُولِ اللهِ ﷺ نفسُه حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ: «**جَاءَ الْفَتْحُ، وَجَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ قَالَ: «**قوم رقيقة قلوبهم، لَيِّنة قلوبهم، الإيمان يمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ**»[1].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ**: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» **يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**»[2].

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ قَوْلِ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، وَقَالَ: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾»[3].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هَاهُنَا فَتْحُ مَكَّةَ قَوْلًا وَاحِدًا، فَإِنَّ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَتَلَوَّم بِإِسْلَامِهَا فَتْحَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنْ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سَنَتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيمَانًا، وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مُظْهِرٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»[1].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى

---

(١) سنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٤٨، والمعجم الكبير للطبراني، ١١/ ٣٢٨، برقم ١١٩٠٣، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ١١٠٧.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٨، ومسلم، برقم ٤٨٤.

(٣) مسند أحمد، ٤٠/ ٧٥، برقم ٢٤٠٦٥، وصحح إسناده محققو المسند، وهو في صحيح مسلم، برقم ٤٨٤.

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٤.

رسول الله ﷺ، وَكَانَتِ الْأَحْيَاءُ تَتَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهَا فَتْحَ مَكَّةِ، يَقُولُونَ: دَعُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ...» الْحَدِيثُ[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذه السورة الكريمة بشارة، وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك، فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين، وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هذا فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه، فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر «**أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[(١)]»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ الخطاب للنبي ﷺ، «**نصر الله**» النصر هو تسليط الله الإنسان على عدوه، بحيث يتمكن منه،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٣٠٢.

(١) صحيح البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٦- ١١٠٧.

ويخذله، ويكبته، والنصر أعظم سرور يحصل للعبد في أعماله؛ لأن المنتصر يجد نشوة عظيمة، وفرحاً، وطرباً، لكنه إذا كان بحق فهو خير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**»[١]، أي أن عدوه مرعوب منه إذا كان بينه وبينه مسافة شهر، والرعب أشد شيء يفتك بالعدو، لأن من حصل في قلبه الرعب لا يمكن أن يثبت أبداً، بل سيطير طيران الريح فقوله: ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ أي نصر الله إياك على عدوك «والفتح» معطوف على النصر، وعطفه على النصر مع أن الفتح من النصر تنويه بشأنه، وهو من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾ [القدر: ٤]، أي: في ليلة القدر، فجبريل من الملائكة، وخصه لشرفه، و(ال) في الفتح للعهد الذهني، أي: الفتح المعهود المعروف في أذهانكم، وهو فتح مكة، وكان فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وسببه أن النبي ﷺ لما صالح قريشاً في الحديبية في السنة السادسة - الصلح المشهور - نقضت قريش العهد، فغزاهم النبي ﷺ، وخرج إليهم من المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل خرج مختفياً...

فلم يفجأهم إلا وهو محيط بهم، ودخل مكة في العشرين من رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، مظفراً منصوراً مؤيداً، حتى إنه في النهاية اجتمع إليه كفار قريش حول الكعبة، فوقف على الباب، وقريش تحته ينتظرون ما يفعل، فأخذ بعضادتي الباب، وقال: **يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم**؟ وهو الذي كان قبل ثمان سنوات هارباً منهم، وصاروا الآن في قبضته، وتحت تصرفه، قال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [يوسف: ٩٢]، **اذهبوا فأنتم الطلقاء**[١]، فعفا عنهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا الفتح سماه الله فتحاً مبيناً، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ [الفتح: ١]، أي: بيناً، عظيماً، واضحاً، ولما حصل عرف الناس جميعاً أن العاقبة لمحمد ﷺ، وأن دور قريش، وأتباعها

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٣٣٥، ومسلم، برقم ٥٢١.

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ٩/ ٢٠٠، موقوفاً على أبي يوسف، وهي في سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢، وعنه السيرة النبوية لابن كثير، ٣/ ٥٧٠.

قد انقضى، فصار الناس ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً، ولا يدخل فيه الإنسان في بعض الأحوال إلا مختفياً، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً، وصارت الوفود ترد على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المدينة من كل جانب حتى سمي العام التاسع «**عام الوفود**» يقول الله ﷻ إذا رأيت هذه العلامة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ كان المتوقع أن يكون الجواب، فاشكر الله على هذه النعمة، واحمد الله عليها، ولكن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٣- ٢٤].

كان المتوقع فاشكر ربك على هذا التنزيل، وقم بحقه، ولكن قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إيذاناً بأنه سوف ينال أذىً بواسطة إبلاغ هذا القرآن ونشره بين الأمة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ عند التأمل تتبين الحكمة، فالمعنى أنه إذا جاء نصر الله والفتح، فقد قرب أجلك، وما بقي عليك إلا التسبيح بحمد ربك والاستغفار ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: سبحه تسبيحاً مقروناً بالحمد، والتسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله، والحمد: هو الثناء عليه بالكمال مع المحبة، والتعظيم، اجمع بين التنزيه وبين الحمد «واستغفره» يعني اسأله المغفرة، فأمره الله تعالى بأمرين:

الأمر الأول: التسبيح المقرون بالحمد.

والثاني: الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة ستر الله تعالى على عبده ذنوبه، مع محوها، والتجاوز عنها، وهذا غاية ما يريد العبد، لأن العبد كثير الذنب يحتاج إلى مغفرة إن لم يتغمده الله برحمته هلك، ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[1]؛ لأن عملك هذا لو أردت أن تجعله في مقابلة نعمة من النعم، نعمة واحدة لأحاطت به النعم، فكيف يكون عوضاً تدخل به الجنة؟ ولهذا قال بعض العارفين في نظم له:

(١) البخاري، برقم ٦٤٦٣، ومسلم، وبرقم ٢٨١٦.

إذا كان بشكري نعمة اللَّه نعمة علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

﴿إنه كان تواباً﴾ أي: لم يزل ﷻ تواباً على عباده، فإذا استغفرته تاب عليك، هذا هو معنى السورة، لكن السورة لها مغزى عظيم، لا يتفطن له إلا الأذكياء؛ ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الناس انتقدوه في كونه يُدني عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما مع صغر سنه، ولا يدني أمثاله من شباب المسلمين، وعمر رضي الله عنه من أعدل الخلفاء، أراد أن يبين للناس أنه لم يحابِ ابن عباس في شيء، فجمع كبار المهاجرين والأنصار في يوم من الأيام، ومعهم عبد اللَّه بن عباس، وقال لهم: ما تقولون في هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر اللَّه والفتح﴾ حتى ختم السورة، ففسروها بحسب ما يظهر فقط، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد اللَّه، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين، هو أجل رسول اللَّه ﷺ، أعلمه اللَّه له: ﴿إذا جاء نصر اللَّه والفتح﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: «والله ما أعلم منها إلا ما تعلم»[(١)]، فتبين بذلك فضل ابن عباس، وتميزه، وأن عنده من الذكاء والمعرفة بمراد اللَّه ﷻ، لما نزلت هذه السورة جعل رسول اللَّه ﷺ الذي هو أشد الناس عبادة لله، وأتقاهم لله جعل يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[(٢)]، فنقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين»[(١)].



(١) البخاري، برقم ٤٢٩٤.
(٢) تقدم تخريجه.
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٤- ٣٤٧.

١١١ -تَفْسِيرُ سُورَةِ المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٦)﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ الْجَبَلَ فَنَادَى: «**يَا صَبَاحَاهُ**»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حدثتكم أَنَّ الْعَدُوَّ مُصبحكم أَوْ مُمْسيكم، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَإِنِّي نذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَامَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ. أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢].

الْأَوَّلُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي خَبَرٌ عَنْهُ، فَأَبُو لَهَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُتبة، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «أَبَا لَهَبٍ» لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْبُغْضَةِ لَهُ، وَالِازْدِرَاءِ بِهِ، وَالتَّنَقُّصِ لَهُ وَلِدِينِهِ.

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ -يُقَالُ لَهُ: رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ، مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أحولُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ»[٣].

١- فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، أَيْ: خَسِرَتْ، وَخَابَتْ، وَضَلَّ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٢، ومسلم، برقم ٢٠٨.
(٢) صحيح البخاري، برقم ١٣٩٤، ٣٥٢٥،٤٨٠١) .
(٣) مسند أحمد، ٣١/ ٣٤٢، برقم ١٩٠٠٤، وصححه لغيره محققو المسند.

عَمَلُهُ وَسَعْيُهُ، ﴿وَتَبَّ﴾، أَيْ: وَقَدْ تَبَّ تَحَقُّقُ خَسَارَتِهِ وَهَلَاكِهِ.

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، يَعْنِي: وَلَدَهُ، وَرُوِي عَنْ عَائِشَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَالْحُسْنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، مِثْلَهُ، وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِذَا كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِمَالِي، وَوَلَدِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أَيْ: ذَاتَ شَرَرٍ، وَلَهِيبٍ، وَإِحْرَاقٍ شَدِيدٍ.

٤- ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَهِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ، وَاسْمُهَا أَرْوَى بنت حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَتْ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ، وَجُحُودِهِ، وَعِنَادِهِ؛ فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَونًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، يَعْنِي: تَحْمِلُ الْحَطَبَ فَتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا، لِيَزْدَادَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ، وَهِيَ مُهَيَّأَة لِذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ.

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعُرْوَةُ: مِنْ مَسد النَّارِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالسُّدِّيِّ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطِيَّةَ الْجَدَلِيِّ، وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ زَيْدٍ: كَانَتْ تَضَعُ الشَّوْكَ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقِيلَ: كَانَتْ تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْفَقْرِ، وَكَانَتْ تَحْتَطِبُ، فَعُيِّرَتْ بِذَلِكَ.

كَذَا حَكَاهُ، وَلَمْ يَعْزُهُ إِلَى أَحَدٍ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[(١)].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: كَانَتْ لَهَا قِلَادَةٌ فَاخِرَةٌ، فَقَالَتْ: لَأُنْفِقَنَّهَا فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، يَعْنِي: فَأَعْقَبَهَا اللَّهُ بِهَا حَبْلًا فِي جِيدِهَا من مسد النار.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٧.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: الْمَسَدُ: اللِّيفُ.

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: الْمَسَدُ: سِلْسِلَةٌ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَنِ الثَّوْرِيِّ: هُوَ قِلَادَةٌ مِنْ نَارٍ، طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: المَسَدُ: اللِّيفُ، والمَسَد أَيْضًا: حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ، أَوْ خُوصٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا، وَمَسَدْتُ الْحَبْلَ أمسدُهُ مَسْدًا: إِذَا أَجْدت فَتله.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، أَيْ: طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ يُسَمَّوْنَ البَكْرة مَسَدًا؟

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ، لعنها الله:

مُذَممًا أَبَينَا وَدينَه قَلَينا

وَأَمْرَه عَصَينا

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي؟ قَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي ابْنَةُ سَيِّدِهَا، قَالَ: وَقَالَ الْوَلِيدُ فِي حَدِيثِهِ أَوْ غَيْرِهِ: فعثَرَت أُمُّ جَمِيلٍ فِي مِرْطها، وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَتْ: تَعس مُذَمَّم، فَقَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لحصان، فَمَا أكلَّم، وثَقَاف فَمَا أعلَّم، وَكُلُّنَا مِنْ بَنِي الْعَمِّ، وَقُرَيْشٌ بَعْدُ أَعْلَمُ[1].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ، وَعَدَمِ الْإِيمَانِ، لَمْ يُقَيِّضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا، وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا، لَا ظَاهِرًا، وَلَا بَاطِنًا، لَا مُسِرًّا، وَلَا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٧٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ص ٥٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٣٩٣، وصححه ووافقه الذهبي.

مُعْلِنًا، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ[١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يداه، وشقي ﴿وَتَبَّ﴾ فلم يربح، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي كان عنده، وأطغاه، ولا ما كسبه، فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذ نزل به، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطبًا، قد أعد له في عنقه حبلا ﴿مِنْ مَسَدٍ﴾ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار، ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وهذا رد على أبي لهب حين جمعهم النبي ﷺ ليدعوهم إلى الله، فبشر وأنذر، قال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا[٣]، قوله: «ألهذا جمعتنا» إشارة للتحقير، يعني هذا أمر حقير لا يحتاج أن يُجمع له زعماء قريش وهذا كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، والمعنى تحقيره، فليس بشيء، ولا يهتم به كما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فالحاصل أن أبا لهب قال: تبًّا لك ألهذا جمعتنا، فرد الله عليه بهذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ والتباب الخسار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]، أي: خسار. وبدأ بيديه قبل ذاته؛ لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة، والأخذ والعطاء، وما أشبه ذلك، وهذا اللقب: أبو

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(٣) البخاري، برقم ٤٩٧٣، ومسلم، برقم ٢٠٨.

لهب، لقب مناسب تماماً لحاله ومآله، وجه المناسبة أن هذا الرجل سوف يكون في نار تلظى، تتلظى لهباً عظيماً مطابقة لحاله ومآله، يقول الشاعر:

قــل إن أبصــرت عينــاك ذا لقــب إلا ومعنــاه إن فكــرت فــي لقبــه

ولما أقبل سهيل بن عمرو في قصة غزوة الحديبية قال الرسول ﷺ: «**هذا سهيل بن عمرو، وما أراه إلا سهل لكم من أمركم**»[1]؛ لأن الاسم مطابق للفعل.

يقول الله ﷻ: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ «ما» هذه يحتمل أن تكون استفهامية، والمعنى: أي شيء أغنى عنه ماله وما كسب؟ والجواب: لا شيء، ويحتمل أن تكون (ما) نافية، أي: ما أغنى عنه، أي: لم يغنِ عنه ماله، وما كسب شيئاً، وكلا المعنيين متلازمان، ومعناهما: أن ماله وما كسب لم يغنِ عنه شيئاً، مع أن العادة أن المال ينفع، فالمال يفدي به الإنسان نفسه، لو تسلط عليه عدو وقال: أنا أعطيك كذا، وكذا من المال، وأطلقني، يطلقه، لكن قد يطلب مالاً كثيراً أو قليلاً، ولو مرض انتفع بماله، ولو جاع انتفع بماله، فالمال ينفع، لكن النفع الذي لا ينجي صاحبه من النار، ليس بنفع؛ ولهذا قال: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾، يعني من الله شيئاً قوله: ﴿وما كسب﴾، قيل المعنى: وما كسب من الولد، كأنه قال: ما أغنى عنه ماله وولده، كقول نوح: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]، فجعلوا قوله: ﴿وما كسب﴾ يعني بذلك الولد، وأيدوا هذا القول بقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ**»[2].

والصواب أن الآية أعم من هذا، وأن الآية تشمل الأولاد، وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن، وتشمل ما كسبه من شرف وجاه، كل ما كسبه مما يزيده شرفاً وعزًّا فإنه لا يُغني عنه شيئاً ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ السين في قوله: «سيصلى» للتنفيس المفيد للحقيقة والقرب، يعني أن الله تعالى توعده بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن

(١) البخاري، برقم ٢٧٣١، ومسلم، برقم ١٨٦٦.

(٢) مسند أحمد، ٤٢/ ١٧٦، برقم ٢٥٢٩٦، وحسنه لغيره محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٦٣٩، وسنن ابن ماجه، ٢٢٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ٣٢٦، برقم ٢٤٤٦.

قريب؛ لأن متاع الدنيا والبقاء في الدنيا مهما طال، فإن الآخرة قريبة، حتى الناس في البرزخ، وإن مرت عليهم السنون الطوال، فكأنها ساعة ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وشيء مقدر بساعة من نهار فإنه قريب. ﴿**وامرأته حمالة الحطب**﴾ يعني: كذلك امرأته معه، وهي امرأة من أشراف قريش، لكن لم يغنِ عنها شرفها شيئاً؛ لكونها شاركت زوجها في العداء والإثم، والبقاء على الكفر، وقوله: ﴿**حمالة الحطب**﴾ قُرئت بالنصب والرفع، أما النصب، فإنها تكون حالاً لامرأة، يعني وامرأته حال كونها حمالة الحطب، أو تكون منصوبة على الذم؛ لأن النعت المقطوع يجوز نصبه على الذم، أي: أذم حمالة الحطب، وأما على قراءة الرفع، فهي صفة لامرأة ﴿**حمالة الحطب**﴾ «حمالة» صيغة مبالغة، أي: تحمله بكثرة، وذكروا أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ، ﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ الجيد: العنق، والحبل معروف، والمسد: الليف، يعني: أنها متقلدة حبلاً من الليف، تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ، نعوذ بالله من ذلك، وهو إشارة إلى دنو نظرتها، وأنها أهانت نفسها، امرأة من قريش من أكابر قبائل قريش، تخرج إلى الصحراء، وتضع هذا الحبل في عنقها، وهو من الليف مع ما فيه من المهانة، لكن من أجل أذية الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نسأل الله العافية»[1].



---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٤٩- ٣٥٢.

١١٢ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ

ذِكْرُ سَبَبِ نُزُولِهَا وَفَضِيلَتِهَا

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾[١].

وعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّة، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ**»[٢].

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهم فِي مَسْجِدِ قُبَاء، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ، افْتَتَحَ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَفرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فكلّمه أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجزئُك حَتَّى تَقْرَأَ بِالْأُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا، وتَقرأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهم غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: «**حُبك إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»[٣].

هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا مَجْزُومًا بِهِ[٤].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا،

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١٤٣، برقم ٢١٢١٩، وضعفه محققو المسند، والترمذي، برقم ٣٣٦٤، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٦٨٧، والتوحيد لابن خزيمة، ١/ ٩٦، والسنة لابن أبي عاصم، ١/ ٢٩٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٨٩، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٣٩)، وقال: «حسن دون قوله: «والصمد الذي..» ظلال الجنة، ٦٦٣، التحقيق الثاني».

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٥، ومسلم، برقم ٨١٣.

(٣) صحيح البخاري برقم ٧٧٤.

(٤) صحيح البخاري، ١/ ١٥٥، قبل الحديث رقم ٧٧٥.

فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، إِنِّي لَأَرَى هَذَا خَبَرًا جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(٣)].

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فِي لَيْلَةٍ، فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَئِذٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(٤)].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَوْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ**»[(٥)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أيعجزُ أحدُكم أَنْ يقرأ في ليلةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**»، قَالُوا: وكيفَ نقرأُ ثلثَ القرآنِ؟ قالَ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ **تعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(٦)].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَنَا عطَش وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَخَرَجَ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «**قُلْ**»، فَسَكَتُّ، قَالَ: «**قُلْ**»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ**»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٤.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٥٠١٥.

(٣)صحيح مسلم، برقم ٨١٢.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/ ٥٣٦، برقم ٢٣٥٥٤، وصححه لغيره محققو المسند.

(٥) مسند أحمد، ٣٥/ ١٩٧، برقم ٢١٢٧٥، وصححه لغيره محققو المسند.

(٦) صحيح مسلم، برقم ٨١١.

(١) مسند أحمد، ٣٧/ ٣٣٥، برقم ٢٢٦٦٤، وحسنه محققو المسند، والترمذي، برقم ٣٥٧٥، وأبو داود، برقم ٥٠٨٢، والنسائي، برقم =

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيدة، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[1].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأْتُهُ فأخذت بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بيتُك، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»، قَالَ: ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التوراة، والإنجيل، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**فَأَقْرَأَنِي**: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَهُن، وَلَا تُبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ**»، قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ مُنْذُ قَالَ: «**لَا تَنْسَهُنَّ**»، وَمَا بِتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ، قَالَ عُقْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ، فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[2].

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُل لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ عُقَيل بِهِ[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

=

٥٤٢٩، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٤١١، برقم ٦٤٩.

(١) سنن أبي داود، برقم ١٤٩٣، وسنن الترمذي، برقم ٣٤٧٥، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٥٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٢٩، برقم ١٣٤١.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٩، برقم ١٧٣٣٤، وحسنه محققو المسند، والترمذي، برقم ٢٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٣٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم، ٥٠١٧.

١- قَالَ عِكْرِمَةُ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نعبد عُزيرَ ابْنَ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ، وَلَا شَبِيهَ، وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطلَق هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِي يَصْمُدُ الْخَلَائِقُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَمَسَائِلِهِمْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظْمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَرَوَاهُ عاصم، عن أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، مِثْلَهُ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾: الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُطْعَمُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرِيدة، وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

قَالَ سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيدة أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾: نُورٌ يَتَلَأْلَأُ.

٣-٤- وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، يَعْنِي: لَا صَاحِبَةَ لَهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩]، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٠٩٩.

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٤، وبرقم ٤٩٧٥.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر في سبب نزول هذه السورة: أن المشركين أو اليهود قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك؟ فأنزل اللَّه هذه السورة، ﴿قل﴾ الخطاب للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وللأمة أيضاً، و﴿هو اللَّه أحد﴾ «هو» ضمير الشأن عند المعربين، ولفظ الجلالة «اللَّه» هو خبر المبتدأ، و«أحد» خبر ثان، ﴿اللَّه الصمد﴾ جملة مستقلة، ﴿الله أحد﴾ أي هو اللَّه الذي تتحدثون عنه، وتسألون عنه «أحد»، أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة عَزَّ وَجَلَّ، ﴿اللَّه الصمد﴾ جملة مستقلة، بين اللَّه تعالى أنه «الصمد» أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فقد روي عن ابن عباس **أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته**، إلى آخر ما ذكر في الأثر، وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات؛ لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد **هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها**، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. ﴿لم يلد﴾ لأنه جل وعلا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي ﷺ في فاطمة: «**إنها بَضْعَةٌ مني**»[(١)]، واللَّه جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه: إما في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(١) البخاري، برقم ٣٧١٤، ومسلم، برقم ٢٤٤٩.

المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل، والله ﷻ مستغنٍ عن ذلك؛ فلهذا لم يلد؛ لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد ﷻ، وقد أشار الله ﷻ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه، وفي قوله: ﴿لم يلد﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى؛ لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، فكذبهم الله بقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾؛ لأنه ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟! ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي: لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفى الله ﷻ عن نفسه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو له مثيل، وهذه السورة لها فضل عظيم، قال النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»[١]، لكنها تعدله، ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن، لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن، بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات، فكأنما قرأ القرآن كله، لكنها لا تجزئ عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء، ولا يجزئ عنه، فها هو النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل»[٢]، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة، فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء.

هذه السورة كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية على الإخلاص التام لله؛ ولهذا تسمى سورة الإخلاص»[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) البخاري، برقم ٥٠١٥.

(٢) البخاري، برم ٦٤٠٤، ومسلم، برقم ٢٦٩٣.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٣٥٣- ٣٥٦.

تَفْسِيرُ سُورَتَي الْمُعَوِّذَتَيْنِ

عَنْ زِرِّ بْنُ حُبَيش قَالَ: قُلْتُ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، قَالَ لَهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَقُلْتُهَا، قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقُلْتُهَا، فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ»[(١)].

وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيشٍ، وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْب فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**قِيلَ لِي، فَقُلْتُ**»، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[(٢)].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وَهَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كَتَبُوهُمَا فِي الْمَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ، وَنَفَّذُوهَا إِلَى سَائِرِ الْآفَاقِ كَذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»[(٣)].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»[(٤)].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «**يَا عُقْبَةُ، أَلَا تركب؟**»، قَالَ: فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقيب، أَلَّا تَرْكَبُ؟**»، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقَيْبُ، أَلَا أُعلمك سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١١٦، برقم ٢١١٨٦، وصححه محققو المسند.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٦، ورقم ٤٩٧٧، والسنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٥١، برقم ١١٦٥٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥١٧.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٨١٤ .

أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقَيْبُ، اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»[(١)].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ»[(٢)].

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»[(٣)].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ، فَرَكِبَهَا فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَأَعَادَهَا لَهُ حَتَّى قَرَأَهَا، فَعَرَفَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بِهَا جِدًّا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا؟ فَمَا قُمْتَ تَصِلِي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»[(٤)].

وَعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[(٥)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»[(٦)].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(٧)].

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٢٨، برقم ١٧٢٩٦، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٣، برقم ١٧٤١٧، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، برقم ١٣٦٣.

(٣) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٠، برقم ١٧٣٢٢، وصححه محققو المسند.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٧٦، برقم ١٧٣٤٢، وصححه محققو المسند، وسنن النسائي، برقم ٥٤٣٣.

(٥) صحيح البخاري، ٦/ ١٩٠، برقم ٥٠١٦، ومسلم، برقم ٣٩٠٢، وسنن أبي داود، برقم ٣٩٠٢، وسنن النسائي الكبرى، ٤/ ٢٥٥، برقم ٧٠٨٦، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٥٢٩.

(٦) سنن الترمذي، برقم ٢٠٥٨، سنن النسائي، برقم ٥٤٩٤، سنن ابن ماجه، برقم ٣٥١١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٨٨٢، برقم ٤٩٠٢.

(٧) سنن أبي داود، برقم ٥٠٨٢، واللفظ له، والترمذي، برقم ٣٥٧٥، والنسائي، برقم ٥٤٢٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٨، برقم ٦٤٩.

١١٣ - سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: الْفَلَقُ: الصُّبْحُ[(١)].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْفَلَقِ﴾ الصُّبْحُ، وروي عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقَيْلٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَمَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، مِثْلَ هَذَا.

قَالَ الْقُرَظِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ: وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْفَلَقِ﴾ الْخَلْقِ، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: ﴿الْفَلَقِ﴾: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ، إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ: ﴿الْفَلَقِ﴾ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ[(٢)].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[(٣)]: وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، أَنَّهُ فَلَقُ الصُّبْحِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ[(٤)].

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أَيْ: مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: جَهَنَّمُ، وَإِبْلِيسُ، وَذُرِّيَّتُهُ مِمَّا خَلَقَ.

٣- ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: غاسقُ الليلُ إِذَا وقب غُرُوبُ الشَّمْسِ، حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ[(٥)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٧٥ .
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٣.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠١.
(٤) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٧٦.
(٥) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٧٦.

وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وخُصَيف، وَالْحَسَنُ، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ.

وَعَنْ عَطِيَّةَ وَقَتَادَةَ: إِذَا وَقَبَ اللَّيْلُ: إِذَا ذَهَبَ، وَقَالَ أَبُو الْمُهَزِّمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: كَوْكَبٍ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: الْغَاسِقُ سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وَكَانَ الْأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا، وَتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا[(١)].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَمَرُ[(٢)].

وَعُمْدَةُ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طلع، وَقَالَ: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»[(٣)].

قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا وَلَجَ: هَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَنَا؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا فِيهِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ لَا تُضِيءُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ، فَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[(٤)].

٤- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي: السَّوَاحِرَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ فِي الْعُقَدِ.

وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَقْرَبُ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ رُقْيَةِ الْحَيَّةِ وَالْمَجَانِينِ[(٥)].

وَثبت أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيك، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيك، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وعين، الله يشفيك»[(٦)].

وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ شَكْوَاهُ ﷺ، حِينَ سُحِرَ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَفَاهُ، وَرَدَّ كَيْدَ السحرَة الحسَّاد مِنَ الْيَهُودِ فِي رُؤُوسِهِمْ، وَجَعَلَ تَدْمِيرَهُمْ فِي تَدْبِيرِهِمْ، وَفَضَحَهُمْ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَمْ يُعَاتِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، بَلْ كَفَى اللَّهُ وَشَفَى وَعَافَى.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠٣.
(٣) مسند أحمد، ٤٠/ ٣٧٨، برقم ٢٤٣٢٣، وحسنه محققو المسند.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٤.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠٥، وليس في التفسير المطبوع لفظ: (والحية).
(٦) المعجم الأوسط للطبراني، ٨/ ٢٥٧، برقم ٨٥٦٥، وبنحوه مسلم في صحيحه، برقم ٢١٨٦.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحِر، حَتَّى كَانَ يُرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ، قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ، إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا استفتيته فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟** قَالَ: مَطْبُوبٌ[(١)]، قَالَ: وَمَنْ طَبَّه؟ قَالَ: **لبيد بْنُ أعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيق حَلِيف لِيهُود، كَانَ مُنَافِقًا،** وَقَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: **فِي مُشط ومُشاطة**[(٢)]، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: **فِي جُف طَلْعَة ذكر**[(٣)] **تَحْتَ رَعُوفَةٍ**[(٤)] **فِي بِئْرِ ذَرْوَان**»، قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: «**هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعة الحنَّاء، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**»، قَالَ: فَاسْتخْرِجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا؟ أَيْ: تَنَشَّرْتَ؟[(٥)]، فَقَالَ: «**أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**»[(٦)].

وَفِي رواية للبخاري «قَالَتْ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ»، وَعِنْدَهُ: «**فَأَمَرَ بِالْبِئْرِ فَدُفِنَتْ**»[(٧)].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، يُرى أَنَّهُ يَأْتِي وَلَا يَأْتِي، فَأَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ...»[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قل﴾ متعوذًا ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر

---

(١) مَطْبُوب: أَيْ مَسْحُور. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١٠.

(٢) مشط ومشاطة: الشَّعَر الَّذِي يَسْقُط مِن الرَّأْسِ وَاللِّحْيَة، عِنْدَ التَّسْرِيح بالمُشْط. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٣٤.

(٣) الجُفُّ: وِعاء الطَّلْع، وَهُوَ الغِشاء الَّذِي يَكُونُ فَوْقَه: ذكراً أو أنثى، وخصّصه هنا بطلعة الذكر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٨.

(٤) الراعوفة: صخرةٌ تُترك فِي أَسْفَلِ الْبِئْرِ إِذَا حُفِرت تَكُونُ نَاتِئَةً هُنَاكَ، فَإِذَا أرادُوا تَنْقِية الْبِئْرِ جَلَس المُنَقِّي عَلَيْهَا، وَقِيلَ هِيَ حَجَرٌ يكونُ عَلَى رَأْس البِئر يَقُومُ المُسْتَقِي عَلَيْهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٣٥.

(٥) تنشرت: النشرة: ضَرْبٌ مِنَ الرُّقْية والعِلاج، يُعالَج بِهِ مَن كَانَ يُظَنُّ أَنَّ بِهِ مَسّاً مِنَ الجِنّ، سُمِّيَتْ نُشْرةً لِأَنَّهُ يُنْشَر بِهَا عَنْهُ مَا خامَره مِنَ الدَّاءِ: أَيْ يُكْشَف ويُزال، وَقَالَ الْحَسَنُ: النُّشْرة مِنَ السِحر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٥٤)

(٦) صحيح البخاري، برقم ٥٧٦٥.

(٧) صحيح البخاري، الأرقام، ٥٧٦٦، ٥٨٦٣، ٦٣٩١.

(١) صحيح مسلم، برقم ٢١٨٩، ومسند أحمد، ٤١/ ١٩٤، برقم ٢٤٦٥٠، وصححه محققو المسند، و٤٠/ ٤٠٥، برقم ٢٤٣٤٧، وصححه محققو المسند.

الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا، ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه، ومن أهله»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ رب الفلق هو الله، والفلق: الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك أن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح، والنوى، والحب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شر جميع المخلوقات، ومنه النفس؛ لأن النفس أمارة بالسوء، فإذا قلت: من شر ما خلق، فأول ما يدخل فيه نفسك، كما جاء في خطبة الحاجة «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا**»[(٢)]، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، يشمل شياطين الإنس والجن والهوام، وغير ذلك، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق قيل: إنه الليل، وقيل: إنه القمر، والصحيح إنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، والليل تكثر فيه الهوام، والوحوش، فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي: الليل، وأما القمر، فقد جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن النبي ﷺ أرى عائشة القمر، وقال: «**هذا هو الغاسق**»[(١)]، وإنما كان غاسقاً؛ لأن سلطانه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(٢) مسند أحمد، ٤/ ٤٧٧، برقم ٢٧٤٩، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٢١٢٠، والترمذي، برقم ١١٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود،٦/ ٣٤٥، برقم ١٨٤٤.

(١) مسند أحمد، ٤٣/ ١٣٨، برقم ٢٦٠٠٠، وحسنه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٣٣٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٣١١، برقم ١٣٨٧٦.

يكون في الليل، وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ هو معطوف على ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الغاسق من مخلوقات الله ﷻ، وقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي: إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة، فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء؛ فلهذا قال: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني: الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنسا، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك، فيحسده، ولكن الحسّاد نوعان: نوع يحسد، ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد؛ ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، ومن حسد الحاسد: العين التي تصيب المُعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير، فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه؛ لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلّط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على الحديد فيوقف اشتغاله، وربما يصيب السيارة بالعين، وتنكسر، أو تتعطل، وربما يصيب رفَّاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله ﷻ، وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًّا، الليل ستر وغشاء، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، يكمن به الشر، ولا يعلم به، ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أيضاً السحر خفي لا يعلم، «الحاسد إذا حسد» العائن أيضاً خفي، تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك، وأنت من أحب

الناس إليه، ومع ذلك يصيبك بالعين؛ لهذا السبب خصّ الله هذه الأمور الثلاثة، الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، فإذا قال قائل: ما هو الطريق للتخلص من هذه الشرور الثلاثة؟

قلنا: الطريق للتخلص أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوّض أمره إليه، ويحقق التوكل على الله، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يُحصّن نفسه، ويحفظها من شر هؤلاء، وما كثر الأمر في الناس في الآونة الأخيرة من السحرة، والحساد، وما أشبه ذلك إلا من أجل غفلتهم عن الله، وضعف توكلهم على الله ﷻ، وقلة استعمالهم للأوراد الشرعية التي بها يتحصنون، وإلا فنحن نعلم أن الأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج، لكن مع الأسف أن كثيرًا من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئاً، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة، نسأل الله العافية والسلامة» [(١)].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٥٦- ٣٥٧.

١١٤ - سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

١-٣- هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ عَجَّلَ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، وَالإِلَهِيَّةُ: فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَلِيكُهُ، وَإِلَهُهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ، عَبِيدٌ لَهُ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيذَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزَيِن لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ وُكِلَ بِهِ قَرِينَةٌ**»، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[(١)].

وَعَنْ أَنَسٍ فِي قِصَّةِ زِيَارَةِ صَفِيَّةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، وَخُرُوجِهِ مَعَهَا لَيْلًا لِيَرُدَّهَا إِلَى مَنْزِلِهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيي**»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**»، أَوْ قَالَ: «شَرًّا»[(٢)].

وَعن عَاصِمٍ، سَمِعْتُ أَبَا تَمِيمَةَ يُحَدث عَنْ رَدِيف رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: عَثَر بِالنَّبِيِّ ﷺ حماره، فَقُلْتُ: تَعِس الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تعاظَم، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم ٢٨١٤.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠٣٥، ٦٢١٩، ٧١٧١، وصحيح مسلم برقم، ٢١٧٤.

(٣) مسند أحمد، ٣٤/ ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وصحح إسناده محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره، ١٤/ ٥٣٠: «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَلْبَ مَتَى ذَكَرَ اللَّهَ تَصَاغَرَ الشَّيْطَانُ وغُلِب، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرِ اللَّهَ تَعَاظَمَ وَغَلَبَ».

٤- وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذُكِرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوِ: الْوَسْوَاسَ يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ، وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْمُرُ، فَإِذَا أُطِيعَ خَنَسَ.

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِبَنِي آدَمَ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالْجِنَّ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدِ اسْتَعْمَلَ فِيهِمْ ﴿رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ﴾، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

٦- وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِيَ، وَقِيلَ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسوس فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الْأَنْعَام: ١١٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس، ومالكهم، وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم

(١) مسند أحمد، ٤/ ١٠، برقم ٢٠٩٧، وصحح إسناده محققو المسند، وأبو داود، برقم ٥١١٢، وسنن النسائي الكبرى، ٦/ ١٧١، برقم ١٠٥٠٣، وصححه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية، ص ١٠٢.

الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس، ويخنس، أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه، واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين، ويستعيذ، ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها، ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه؛ ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس؛ ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبًا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه، ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو رب الناس وغيرهم، رب الناس، ورب الملائكة، ورب الجن، ورب السموات، ورب الأرض، ورب الشمس، ورب القمر، ورب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي مألوههم، ومعبودهم، فالمعبود حقًّا الذي تألهه القلوب، وتحبه، وتعظمه، هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، «الوسواس» قال العلماء: إنها مصدر يراد به اسم الفاعل، أي: الموسوس، والوسوسة هي: ما يلقى في القلب من الأفكار، والأوهام، والتخيلات التي لا حقيقة لها، «الخناس» الذي يخنس، وينهزم، ويولي، ويدبر عند ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الشيطان؛ ولهذا «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٨.

قضي النداء، أقبل حتى إذا ثوّب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى»(١)؛ ولهذا جاء في الأثر: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»(٢)، والغيلان هي الشياطين التي تتخيل للمسافر في سفره، وكأنها أشياء مهولة، أو عدو، أو ما أشبه ذلك، فإذا كبر الإنسان انصرفت، وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: أن الوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسة الجن، فظاهر لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأما وسوسة بني آدم، فما أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه.

هذه السور الثلاث: الإخلاص، والفلق، والناس، كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفه ومسح بذلك وجهه، وما استطاع من بدنه(٣)، وربما قرأها خلف الصلوات الخمس(٤)، فينبغي للإنسان أن يتحرّى السنة في تلاوتها في مواضعها»(٥).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.



---

(١) البخاري، برقم ٦٠٨، ومسلم، برقم ٣٨٩.

(٢) مسند أحمد، ٢٢/ ١٧٨، برقم ١٤٢٧٧، وصححه محققو المسند، ومصنف عبد الرزاق، ٥/ ١٦٠، برقم ٩٢٤٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٢٩٥.

(٣) صحيح البخاري، ٦/ ١٩٠، برقم ٥٠١٦، ومسلم، برقم ٣٩٠٢.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٣، برقم ١٧٤١٧، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، برقم ١٣٦٣.

(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٥٩- ٣٦٠.

الفهــــــــــــارس

١ـ فهرس الأحاديـث النبويـة والآثـار.
٢ـ فهـــــــرس الموضــــــوعات.

١ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار

٢ - فهرس الموضوعات

كتب للمؤلف

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
-١	العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة	-٦٤	مواقف الصحابة ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
-٢	بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها	-٦٥	مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
-٣	شرح العقيدة الواسطية	-٦٦	مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله تعالى
-٤	شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة	-٦٧	مفهوم الحكمة في ضوء الكتاب والسنة
-٥	الثمر المجتنى: مختصر شرح أسماء الله الحسنى	-٦٨	كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
-٦	الفوز العظيم والخسران المبين	-٦٩	كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
-٧	النور والظلمات في الكتاب والسنة	-٧٠	كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
-٨	نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة	-٧١	كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
-٩	نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة	-٧٢	مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
-١٠	نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة	-٧٣	فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري رحمه الله (٢/١)
-١١	نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة	-٧٤	العلاقة المثلى بين العلماء ووسائل الاتصال الحديثة
-١٢	نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة	-٧٥	الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة (٤/١)
-١٣	نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة	-٧٦	الدعاء من الكتاب والسنة
-١٤	نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة	-٧٧	حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
-١٥	قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال	-٧٨	ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة
-١٦	الاعتصام بالكتاب والسنة	-٧٩	العلاج بالرقى من الكتاب والسنة
-١٧	تبريد حرارة المصيبة في ضوء الكتاب والسنة	-٨٠	شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة
-١٨	عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (٢/١)	-٨١	تصحيح شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
-١٩	طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة	-٨٢	تصحيح شرح الدعاء من الكتاب والسنة
-٢٠	منزلة الصلاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة	-٨٣	الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة
-٢١	الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنة	-٨٤	عظمة القرآن الكريم وتعظيمه وأثره في النفوس
-٢٢	إجابة النداء في ضوء الكتاب والسنة	-٨٥	صلة الأرحام في ضوء الكتاب والسنة
-٢٣	شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنة	-٨٦	بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنة
-٢٤	قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين في ضوء الكتاب والسنة	-٨٧	سلامة الصدر في ضوء الكتاب والسنة
-٢٥	أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة	-٨٨	أنواع الصبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنة
-٢٦	الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة	-٨٩	نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة
-٢٧	سجود السهو: مشروعيته ومواضعه وأسبابه في ضوء الكتاب والسنة	-٩٠	آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة
-٢٨	صلاة التطوع: مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع في ضوء الكتاب والسنة	-٩١	الغفلة: خطرها، وأسبابها، وعلاجها
-٢٩	قيام الليل: فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنة	-٩٢	إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب في ضوء الكتاب والسنة
-٣٠	صلاة الجماعة: مفهوم، وفضائل، وأحكام، وفوائد، وآداب	-٩٣	الهدي النبوي في تربية الأولاد
-٣١	المساجد، مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب	-٩٤	الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء الكتاب والسنة
-٣٢	الإمامة في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة	-٩٥	وداع الرسول ﷺ لأمته
-٣٣	صلاة المريض في ضوء الكتاب والسنة	-٩٦	رحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس ﷺ
-٣٤	صلاة المسافر في ضوء الكتاب والسنة	-٩٧	مواقف لا تنسى من سيرة والدتي رحمها الله
-٣٥	صلاة الخوف في ضوء الكتاب والسنة	-٩٨	أبراج الزجاج في سيرة الحجاج تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
-٣٦	صلاة الجمعة في ضوء الكتاب والسنة	-٩٩	الجنة والنار: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
-٣٧	صلاة العيدين في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٠	غزوة فتح مكة: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
-٣٨	صلاة الكسوف في ضوء الكتاب والسنة	-١٠١	سيرة الشاب الصالح عبد الرحمن بن سعيد بن علي رحمه الله
-٣٩	صلاة الاستسقاء في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٢	مجموع رسائل الشاب الصالح
-٤٠	أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٣	مجموع الخطب المنبرية (تحت الطبع)
-٤١	ثواب القرب المهداة إلى أموات المسلمين في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٤	الغناء والمعازف في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة
-٤٢	صلاة المؤمن في ضوء الكتاب والسنة (٣/١)	-١٠٥	مكفرات الذنوب والخطايا وأسباب المغفرة من الكتاب والسنة
-٤٣	منزلة الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٦	سؤالات ابن وهف لشيخ الإسلام المجدد عبدالعزيز بن باز
-٤٤	زكاة بهيمة الأنعام في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٧	العزاء في ضوء السنة المطهرة
-٤٥	زكاة الخارج من الأرض في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٨	الإحداد في ضوء الكتاب والسنة
-٤٦	زكاة الأثمان: الذهب والفضة في ضوء الكتاب والسنة	-١٠٩	الطاغوت في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة
-٤٧	زكاة عروض التجارة في ضوء الكتاب والسنة	-١١٠	العادات والأعراف القبلية المخالفة للشريعة الإسلامية
-٤٨	زكاة الفطر في ضوء الكتاب والسنة	-١١١	البراهين الجلية في إبطال العادات القبلية الجاهلية المخالفة للشريعة الإسلامية
-٤٩	مصارف الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة	-١١٢	الجيرة بين المشروع والممنوع في ضوء الكتاب والسنة
-٥٠	صدقة التطوع في ضوء الكتاب والسنة	-١١٣	الإفهام شرح ابن باز لعمدة الأحكام لعبدالغني المقدسي (تحقيق)
-٥١	الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة	-١١٤	عمدة الأحكام للإمام عبدالغني المقدسي (تحقيق)
-٥٢	فضائل الصيام وقيام رمضان في الكتاب والسنة	-١١٥	الشرح الممتاز في شرح شروط الصلاة لابن باز (تحقيق)
-٥٣	الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة	-١١٦	شروط الصلاة وأركانها وواجباتها للإمام محمد بن عبد الوهاب (تحقيق)
-٥٤	العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة	-١١٧	إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم
-٥٥	مرشد المعتمر والحاج والزائر	-١١٨	الفضل الكبير في الصلاة على البشير النذير ﷺ
-٥٦	رمي الجمرات في ضوء الكتاب والسنة	-١١٩	العلماء والملوك والأمراء
-٥٧	مناسك الحج والعمرة في الإسلام	-١٢٠	الأخلاق في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة
-٥٨	الجهاد في سبيل الله: فضله، وأسباب النصر على الأعداء	-١٢١	إبطال اتفاقية بعض القبائل
-٥٩	المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة	-١٢٢	صناديق القبائل الإلزامية مواردها ومصارفها وحكمها
-٦٠	الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة	-١٢٣	إبطال اتفاقية قبيلة آل جحيش المخالفة للشرع المطهر
-٦١	من أحكام سورة المائدة	-١٢٤	الفوائد المجنية من التعليقات البازية على صحيح البخاري وفتح الباري لابن حجر
-٦٢	الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى	-١٢٥	كنوز وفوائد من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم
-٦٣	مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى	-١٢٦	توفيق العليم الحليم إلى تفسير الفاتحة وجزء عم من كتب أئمة التفسير

كتب (مترجمة) للمؤلف

* أولاً: حصن المسلم باللغات الآتية:

١- حصن المسلم باللغة الانجليزية
٢- حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣- حصن المسلم باللغة الاوردية
٤- حصن المسلم باللغة الاندونيسية
٥- حصن المسلم باللغة البنغالية
٦- حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧- حصن المسلم باللغة السواحلية
٨- حصن المسلم باللغة التركية
٩- حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠- حصن المسلم باللغة الفارسية
١١- حصن المسلم باللغة المالبيارية
١٢- حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣- حصن المسلم باللغة اليوريا
١٤- حصن المسلم باللغة البشتو
١٥- حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦- حصن المسلم باللغة الهندية
١٧- حصن المسلم باللغة الصينية
١٨- حصن المسلم باللغة الشيشانية
١٩- حصن المسلم باللغة الروسية
٢٠- حصن المسلم باللغة الألبانية
٢١- حصن المسلم باللغة البوسنية
٢٢- حصن المسلم باللغة الألمانية
٢٣- حصن المسلم باللغة الإسبانية
٢٤- حصن المسلم باللغة الفلبينية (مرناو)
٢٥- حصن المسلم باللغة الفلبينية (تجالوج)
٢٦- حصن المسلم باللغة الصومالية
٢٧- حصن المسلم باللغة الطاجكية
٢٨- حصن المسلم باللغة الأذرية
٢٩- حصن المسلم باللغة اليابانية
٣٠- حصن المسلم باللغة النيبالية
٣١- حصن المسلم باللغة الأنكو
٣٢- حصن المسلم باللغة التلغو (جليات الجهراء بالكويت)
٣٣- حصن المسلم باللغة الهولندية (تحت الطبع)
٣٤- حصن المسلم باللغة الشركسية (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٣٥- حصن المسلم. قرغيزي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٣٦- حصن المسلم باللغة الرومانية (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٣٧- حصن المسلم باللغة الفيتنامية (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٣٨- حصن المسلم باللغة السنهالية (مكتب الجاليات بالربوة)
٣٩- حصن المسلم، ملايو (موقع دار الاسلام)
٤٠- حصن المسلم، سندي (موقع دار الاسلام)
٤١- شرح حصن المسلم، اوزبكي (موقع دار الإسلام)
٤٢- حصن المسلم باللغة (ايغوري) (موقع دار الإسلام)
٤٣- حصن المسلم باللغة (خميري) (موقع دار الإسلام)
٤٤- حصن المسلم باللغة الاورومو الأثيوبية (مكتب الدعوة بام الحمام)

* ثانياً: كتب مترجمة باللغة الأوردية:

٤٥- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٤٦- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
٤٧- شروط الدعاء وموانع الإجابة
٤٨- الدعاء من الكتاب والسنة
٤٩- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٥١- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
٥٢- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٥٣- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٥٤- طهور المسلم (مكتب الجاليات بالسليل (وادي الدواسر)
٥٥- منزلة الصلاة في الإسلام (الجاليات بحي السلام الرياض)
٥٦- صلاة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥٧- نور التقوى وظلمات المعاصي (دار السلام)
٥٨- نور الإسلام وظلمات الكفر (دار السلام)
٥٩- الفوز العظيم والخسران المبين (دار السلام)
٦٠- النور والظلمات في الكتاب والسنة (دار السلام)
٦١- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (دار السلام)
٦٢- نور الهدى وظلمات الضلال (دار السلام)
٦٣- نور الشيب وحكم تغييره (دار السلام)
٦٤- رحمة للعالمين (دار السلام)
٦٥- شرح العقيدة الواسطية (موقع دار الإسلام)
٦٦- وداع الرسول صلى الله عليه وسلم (موقع دار الإسلام)
٦٧- العمرة والحج والزيارة (موقع دار الإسلام)

* ثالثاً: كتب مترجمة للغات الأخرى:

٦٨- مرشد الحاج والمعتمر والزائر (باللغة المالبيارية)
٦٩- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الفارسية)
٧٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (باللغة الاندونيسية)
٧١- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة باللغة المالبيارية
٧٢- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة اللوغندية)
٧٣- صلاة المريض (باللغة التاميلية دار السلام)
٧٤- رحمة للعالمين (باللغة الانجليزية دار السلام)
٧٥- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الإنجليزية دار السلام)
٧٦- صلاة الجماعة (باللغة البنغالية مكتب الجاليات بالروضة)
٧٧- رحمة للعالمين باللغة البنغالية (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٧٨- نور السنة وظلمات البدعة. بنغلي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٧٩- نور الإيمان وظلمات النفاق. بوسني (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٠- الدعاء من الكتاب والسنة. شيشاني (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨١- الاعتصام بالكتاب والسنة. إسباني (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٢- منزلة الصلاة في الاسلام. فارسي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٣- شرح أسماء الله الحسنى. فارسي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٤- صلاة المسافر. فارسي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٥- العلاج بالرقى. فارسي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٦- نور التوحيد وظلمات الشرك. كردي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٧- نور السنة وظلمات البدعة. كردي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٨- نور الإخلاص. كردي (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٨٩- العلاج بالرقى. كردي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٩٠- مرشد الحاج والمعتمر. روماني (موقع دار الاسلام بجليات الربوة)
٩١- الحج والعمرة. تركي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٩٢- فضائل الصيام وقيام رمضان. فيتنامي (موقع دار الاسلام)
٩٣- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى. يوربا (موقع دار الإسلام)
٩٤- صلاة التطوع. صيني (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٩٥- منزلة الصلاة في الإسلام. صيني (موقع دار الإسلام)
٩٦- ورد الصباح والمساء باللغة الإنجليزية (دار السلام)
٩٧- الربا أضراره وآثاره باللغة البنغالية (موقع دار الاسلام)
٩٨- صلاة المؤمن باللغة الإندونيسية (مكتب الجاليات بالسلي)
٩٩- الفوز العظيم باللغة الروسية (موقع دار الاسلام)
١٠٠- الدعاء ويليه العلاج بالرقى باللغة الأذرية (موقع دار الإسلام)
١٠١- آفات اللسان باللغة الأذرية (موقع دار الاسلام)
١٠٢- نور السنة وظلمات البدعة باللغة البوسنية (موقع دار الإسلام)
١٠٣- الدعاء من الكتاب والسنة باللغة التركية
١٠٤- الأذان والإقامة باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام)
١٠٥- المساجد في ضوء الكتاب والسنة بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٦- شروط الدعاء وموانع الإجابة كردي (موقع دار الإسلام)
١٠٧- قرة عيون المصلين بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٨- قيام الليل بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٩- مواقف النبي ﷺ في الدعوة بنغالي (موقع دار الإسلام)